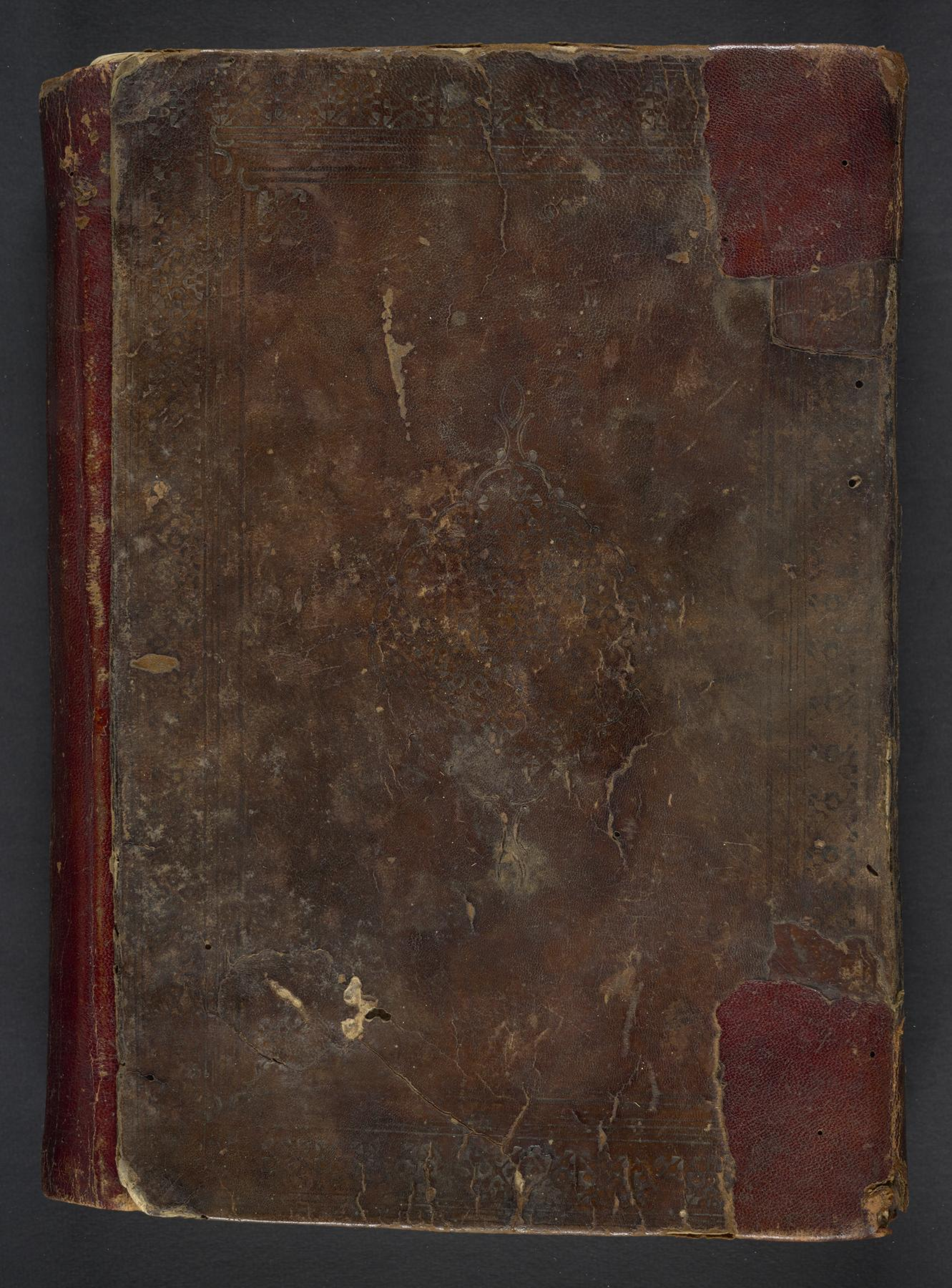


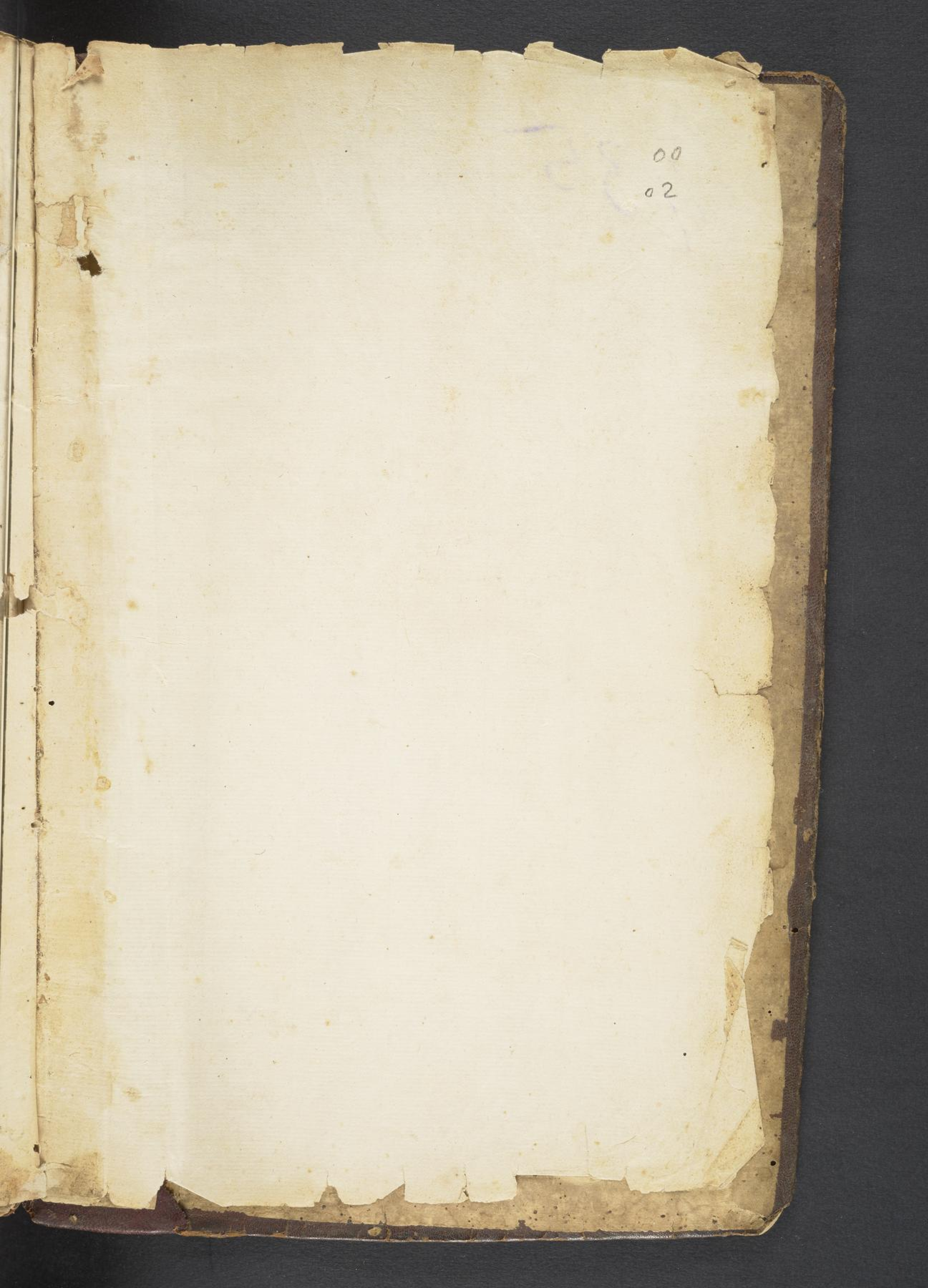
435

٥٥٥

٥٣

لابو فتح الشامل

وله الدكان العادل
علي بن الشيخ عبد الله


00
02

سابع
ونقل المنبر من جامع مسجد القرويين يوم الاثنين جمادى الاخرة عام السادس
والثلاثين والعاشرين والف بامر مولانا الامام الشيخ بعد اسقاط الجمعة بثلاث سنين [illegible]

الحمد لله وحده

اشهد كاتبه عفا الله عنه
بانه باع هذا المجلد المكتوب
على الورق فيه المعنا وعلى فتوحات
الكلام للحافظ سيدي عبد الله بن العربي
السلاوي بقدره وثمانية عشرين مثقال
قبضها منه بتلك [illegible] الاولى
على يد عبد الملك بن [illegible]
الحال [illegible] الكتب [illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم   صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

الحمد لله ناظم الأشباح والصور. فالق الشمس المنيرة والقمر
مصرف الآيات والعبر عند سماع التواريخ والسير. أحمده على ما أولى
الجميل ونشر. وأشكره على ما علم من القبيح وستر. **وأشهد أن لا**
إله إلا الله وحده لا شريك له. شهادة نرجو بها الخلاص في المحشر
والانتقام في شمل من تاب عليه وغفر **وأشهد أن سيدنا محمدا** عبده
ورسوله المبعوث من خير ربيعة ومضر. المنتخب من الفرع الأكبر
صلى الله عليه وعلى آله عدد من آمن به وكفر ورضي عمن جاهد بين يديه
وما قصر. **وبعد** فإني رأيت أهل زماننا هذا مولعين بكتب
الجهاد راغبين لسماع أخبار فتوح البلاد. لا سيما ما تقدم للصحابة الأعلام
في فتوح العراق وبلاد الشام وما استخلصاه من أيدي الكفرة الطغاة
اللئام. وذلك كله في مدة خلافة سيدنا عمر خير الأنام وقدوة الإسلام
عليه من الله أزكى التحية والإكرام **وكان** الفقيه قاضي الأمة أبو عبد
الله محمد بن إسماعيل بن عمر الواقدي **والفقيه الحافظ المحدث** الأستاذ
أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد الله المعافري الطلمنكي قد وضعا في كتابين
في فتوح العراق وبلاد الشام فاطلعت على كتابيهما فرأيتهما قد اتفقا
في أكثر الروايات واختلفا في القليل وروى بعضهما ما لم يرو بعض فشرعت في
جمع الكتابين كتابا منهما يتضمن جميع أخبارهما ورواياتهما
فجعلت ما اختلفا فيه أقل مما اتفقا عليه **وسميت كتابي**
هذا بالدر النفيس في أنس الخاطر والجليس وإن شئت أن تقول
الإشادة والإعلام بأخبار الصحابة الأعلام في كيفية فتحهم بلاد الشام
وفيه من سير الصحابة وأبناء الأنصار والمهاجرين رضي الله عنهم ما يلتذ
به السامعون ويطلع بنظره العارفون أخبار الجهاد من قواعد الدين

واعلم

واعلى رتبة من رتب المومنين لمحاربة من قبل اعداء الله المعتدين كبير واظهار
كلمة المسلمين كتبنا الله تعالى في ديوان المجاهدين والحقنا بعباده الصالحين
انه ارحم الراحمين وبه في كل الامور نستعين ولا حول ولا قوة الا بالله العلي
العظيم وهو حسبنا ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله واصحابه
واتباعه اجمعين والتابعين لهم باحسان الى يوم الدين

ذكر تسبيب بدء الغزو الى بلاد الشام وفي استخلاصها من ايدي الكفرة الطغات

اللئام قال الفقيه الحافظ المحدث الاستاذ ابو عمرو احمد بن محمد بن
عبد الله المعافري الطلمنكي حدثنا ابو الحسن علي بن زياد عن ابي
اسماعيل ابي الجيم بن احمد بن اسحاق البغدادي الجوهري قال حدثنا ابو
عبد الله محمد بن يحيى بن معروف قال اخبرنا ابو الوليد يزيد بن عمار الرقي قال
لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وارتدت العرب بعده ومنعوا الزكوة
حقوق اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وامتنع فكان من امرهم رضي
الله عنهم ما سياتي ذكره وكان من امر العرب مثل الذي فعل رسول الله
صلى الله عليه وسلم في حياته منهم وانهم لا طاقة لهم بحربهم وجهادهم حتى يعودوا
او يتمسكوا بدينهم ويخلوا بين الناس وما اختاروه لانفسهم فقال
ابو بكر رضي الله عنه لو لم اجد من يوازرني لجاهدتهم بنفسي حتى اموت
او يرجعوا الى الله والى دين الاسلام ولو منعوني عقالا مما كانوا يعطونه
لرسول الله صلى الله عليه وسلم لجاهدتهم عليه حتى القى الله عز وجل قال
فلم يزل ابو بكر يجاهدهم باصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وبالمقبلين
المسلمين حتى ردهم وعادوا اجمعين الى الاسلام ودخلوا فيما قد كانوا
خرجوا منه قال فلما دوخ الله العرب واطمانت بالاسلام واذعنت
له واتصلت الفتوح من كل وجه اراد ابو بكر الصديق رضي الله عنه ان يحدث نفسه
بغزو الروم بالشام فحدث ذلك في نفسه ولم يطلع عليه احدا فبينما
هو كذلك اذ جاءه شرحبيل بن حسنة فقال له يا خليفة رسول الله

رسول الله صلى الله عليه وسلم الغزوة بنفسك او تبعث جيشا الى الشام قال
نعم فرجوت نفسي بذلك ولم يطلع عليه احد وما سالتني عنه الا لشيء
عندك قال الرجل اني رايت فيما يرى النائم كانك في اناس من المسلمين فوق
جبل فاقبلت تمشي معهم حتى صعدت منه الى قبة عالية على الجبل فاشرفت
على الناس ومعك اصحابك ثم انك هبطت من تلك القبة الى ارض سهلة
دمثة يعني بالدمثة اللينة المختلطة بالرمل فيها القرى والعيون والزروع
والحصون فقلت يا معشر المسلمين شنوا الغارة على المشركين وانا ضامن
لكم بالفتح والغنيمة وانا فيهم ومعي راية فتوجهت بها الى قرية فدخلتها
فسالوني الامان فامنتهم ثم جئت فوجدتك قد اتيت الى حصن عظيم
من حصونهم ففتح الله لك فيه والقوا اليك السلم وجعل لك عرشا فجلست
فجلس عليه ثم قال لك قائل يفتح عليك وتنصر فاشكر ربك واعمل بطاعته
عنه ثم قرا عليك اذا جاء نصر الله والفتح ورايت الناس يدخلون
في دين الله افواجا فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا قال
ابو بكر رضي الله عنه لله درك ثم دمعت عيناه ثم قال اما
الجبل الذي رايته تمشي عليه حتى صعدنا منه الى القبة العالية فاشرفنا على
الناس فانا نكابد من امر هذا الروم مشقة ونكابدونه ثم نعلوه ويعلوا
امرنا واما نزولك من القبة العالية الى الارض السهلة الدمثة والعيون والزروع
والحصون فانا ننزل الى امر سهل مما كنا فيه الخصب والمعاش واما
قولك للمسلمين شنوا الغارة على المشركين وانا ضامن لكم بالفتح والغنيمة
فان ذلك توجهي الى بلاد المشركين جيوشا وامري اياهم بالجهاد في سبيل الله
واما الراية التي كانت معك فتوجهت بها الى قرية من قراهم فدخلتها
فاستامنوك فامنتهم فانك تكون احد امراء المسلمين ويفتح الله على
يديك واما الحصن الذي فتح الله لك فهو ذلك الوجه يفتحه الله عز وجل
على يدي ويضع المشركين واما قول القائل واشكر ربك واعمل بطاعته وقرا
علي هذه السورة فانه نعى الي نفسي لان هذه السورة حين نزلت على

على رسول الله صلى الله عليه وسلم علم ان نفسه قد نعيت اليه ثم سالت عينا
ابي بكر رضي الله عنه دموعا وقال لاصبرن بالمعروف ولا نهين عن المنكر ولاجاهدن
في سبيل الله من ترك امر الله ولاجهزن الجيوش الى العاندين بالله عز وجل في
مشارق الارض ومغاربها حتى يقولوا الله احد او يؤدوا الجزية عن يد وهم
صاغرون فاذا توفاني ربي لم يجدني في سبيل الله مقصرا ولا في ثواب المجاهدين
زاهدا ثم انه بعد ذلك بعث البعوث الى العراق والى الشام وقال ابو
عبد الله محمد بن اسماعيل بن عمر الواقدي رحمه الله حدثنا ابو بكر
بن عبد الله بن محمد بن الحسين بن سفيان النحوي قال حدثني محمد بن حميد
قال اخبرني عمر بن عثمان عن عبد الرحمن بن سعيد عن محمد بن يربوع
المخزومي وصالح بن نوفل عن ابراهيم بن الحارث التيمي ومحمد بن عبد الله بن محمد بن
يحيى بن رومان العامري وربيعة بن عثمان عن يونس بن محمد المكي وعا
بن بن يحيى بن عبد الله المازني وحماد بن محمد الانصاري وعبد الرحمن بن عبد
العزيز بن عثمان الهمداني وعبد الله بن محمد بن جعفر الانصاري ومحمد بن
ربيعة ومحمد بن يحيى بن سهل عن عبد الرحمن بن ابي الزناد مولى رملة بنت شيبة
بن ربيعة وابو سعيد بن نجيح مولى بني هاشم ومالك بن ابي الغصن واسما
عيل بن ابراهيم بن عيينة مولى ابن الزبير وعمر بن محمد بن ابي بكر الانصاري
ويعقوب بن صعصعة المازني رضي الله عنهم اجمعين وكلهم يحدثون عن
حصن فتوح الشام وكيف كان وكلهم ثقة وجميعهم يقتدى بهم قالوا
جميعا او من قاله منهم رضي الله عنهم لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم
واستخلف بعده ابو بكر الصديق رضي الله عنه فقتل في خلافته مسيلمة
بن قيس الحنفي الكذاب لعنه الله الذي ادعى النبوءة وقتل بني حنيفة واقتحمت
اليمامة على يد خالد بن الوليد رضي الله عنه وقتل المراة سجاح التي ادعت النبوة
وقتل بها ايضا الاسود العنسي الذي ادعى النبوءة وهرب طليحة بن
خويلد الاسدي الذي ادعى النبوءة ايضا امام خالد بن الوليد الى الشام واطاعت
العرب ابا بكر رضي الله عنه عول ان يبعث جيوشه الى الشام ويص فاوجهه

لقتال الروم جمع اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لهم ايها الناس رحمكم
الله اعلموا ان الله تعالى فضلكم بالاسلام وجعلكم من امة محمد عليه الصلاة
والسلام وزادكم ايمانا ويقينا ونصركم نصرا عزيزا مبينا فقال تعالى اليوم
اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا وان
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قد عول ان يصرف وجهه الى قتال الروم بالشام
واراد ان يخلصها من ايدي الكفرة الطغاة اللئام فقبضه الله تعالى اليه واختار له
ما لديه واني مبين ما صار اليه الاولى عازم ان اوجه المسلمين الى قتال الروم بالشام
وقد اردت ان انفذكم اليها لتاخذوها من ايدي الكفرة وتقاتلوا اهل الشرك بها
اجمعين والله تعالى ينصركم وبالاعداء يلقيكم وعليهم يعينكم وان رسول الله
صلى الله عليه وسلم انبانا بذلك قبل موته فقال زويت لي الارض فرايت مشارقها
ومغاربها وسيبلغ ملك امتي ما زوي لي منها فما انتم قائلون في هذا فقالوا
له يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم مرنا بامرك ووجهنا حيث شئت فان
الله تعالى فرض علينا طاعتك فقال تعالى يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا
الرسول واولي الامر منكم فنحن لك سامعون ولامرك مطيعون فجزاهم ابو بكر
رضي الله عنهم اجمعين خيرا **وقال ابو عمرو باسناده عن**
عبد الله بن ابي اوفى الخزاعي رضي الله عنه وكانت له صحبة قال لما اراد ابو بكر
رضي الله عنه ان يبعث الجنود الى الشام دعا عمر وعثمان وعليا وطلحة والزبير
وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن ابي وقاص وابا عبيدة بن الجراح ووجوه المهاجرين
والانصار من اهل بدر وغيرهم فدخلوا عليه وانا فيهم فقال ان الله تعالى
لا تحصى نعمه ولا تبلغ الاعمال جزاءها فلله الحمد كثيرا على ما صنع بنا وبكم
واجمع كلمتكم واصلح ذات بينكم وهداكم الى الاسلام والايمان ونفى
عنكم كيد العدو والشيطان فليس يطمع ان تشركوا بالله ولا ان تتخذوا الها
غيره فالعرب اليوم بنو ام واب **وقد** اردت ان استنفركم الى الروم
بالشام فمن هلك منكم هلك شهيدا وما عند الله خير للابرار ومن عاش
منكم عاش سعيدا مدافعا عن الدين مستوجبا على الله تعالى ثواب المجاهدين

فهذا رأيي الذي رأيت فليشر علي كل امرئ منكم بمبلغ رأيه فقام اليه عمر بن
الخطاب رضي الله عنه فحمد الله واثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم
بما هو اهله ثم قال الحمد لله الذي يخص بالخير من يشاء من خلقه والله ما
استبقنا الى شيء من الخير قط الا سبقتنا اليه وذلك فضل الله يؤتيه من عباده
وقد والله قد اردت لقاءك بهذا الرأي الذي ذكرت قبل اليوم فما قضى الله تعالى
ان يكون ذلك حتى ذكرته الان فقد اصاب الله بك سبيل الرشاد فارسل اليهم
الخيل في اثر الخيل والرجال في اثر الرجال والجنود تتبعها الجنود فان الله تعالى ناصر
دينه ومعز الاسلام واهله ومنجز ما وعد رسوله ثم جلس وسكت
فقام عبد الرحمن بن عوف قائما وقال يا خليفة رسول الله صلى الله
عليه وسلم انها الروم بنو الاصفر حد حديد وركن شديد والله ما ارى من الرأي
ان تقحم الخيل عليهم اقحاما ولكن تبعث الخيل فتغير في ادنى ارضهم ثم
تبعثها مرة اخرى فتغير ثم ترجع اليك ثم تبعثها فتغير ثم ترجع اليك على
عادتها هكذا مرة بعد مرة فاذا فعلوا ذلك مرارا اضروا بعدوهم وغنموا
من ادنى ارضهم فاستعانوا بذلك على قتالهم ثم تبعث بذلك الى اقاصي اهل
اليمن والى ربيعة ومضر فتجمعهم اليك جميعا فان شئت ان تغزي وهم عند ذلك
غزوتهم بنفسك ان شاء الله تعالى وان شئت بعثت على غزوهم غيرك ثم جلس
وسكت فجزاهم ابو بكر رضي الله عنه خيرا وعرفهم قبولا وبشرى وهم اهل
لذلك فنفعنا الله بمحبتهم وحشرنا في زمرتهم اذ لولاهم لما ايد الله لهم لم يكن
البلاد للمسلمين ولا انتشرت اعلام هذا الدين رضي الله عنهم اجمعين وفيهم قيل

لله درهم من فتية صبروا • للمكرهات وكانوا سادة صبرا
منهم عتيق فجعل قدره ابدا • خير النبي وفعل بعده عمرا
وخص بالفضل عثمان ورابعهم • على المرتضى اعلى الورى قدرا
الحافظ الحرب والجيشان قد وقفا • الوارد الموت والصفار في عددا
وطلحة والزبير ثم سعدهم • ثم السعيد جميعا كان مختبرا
ثم ابن عوف فلا تكتم مناقبه • ثم ابن جراح المولى له غفرا

أولئك أصحاب رسول الله كلهم * فحبهم فاز والشانئ لهم خسرا
بدار عدن مع المختار في غرف * والمبغض مردود بين الشقي في سقرا
فيا رب عبد الله حسني إليهم بالتقى * كون لعبد منيب فيهم حشرا

ذكر خبر كتاب أبي بكر الصديق رضي الله عنه
الكتب إلى ملوك اليمن وأمراء العرب يستنفرهم
إلى الجهاد قال أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن عمر
الواقدي رحمه الله فلما سمع أبو بكر رضي الله عنه مقالتهم
وما أشاروا به عليه وظهر له جدهم واجتهادهم فرح بذلك منهم وا
واستبشر بما ظهر له من قولهم وامرهم وكتب الكتب إلى ملوك اليمن
وأمراء أحياء العرب وكانت الكتب كلها نسخة واحدة وكتب
كتابا يقول فيه ما نصه بسم الله الرحمن الرحيم
من عبد الله أبي بكر عتيق ابن أبي قحافة إلى سائر المسلمين وكافتهم من أهل
اليمن ومن حولهم من العرب سلام عليكم فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا
هو وأصلي على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أما بعد فإني قد استنفرت
من قبلي من المسلمين إلى جهاد عدوهم وفتح بلاد الشام وقد عولت أن أو
جهكم إلى الشام لتأخذوها من أيدي الكفرة فمن عول منكم على الجهاد فليسرع
وقد كتبت إليكم لتسرعوا إلى ما أمركم به سبحانه إذ يقول في كتابه العزيز
انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم
خير لكم إن كنتم تعلمون فأسرعوا إلى طاعة الله عز وجل ورضوانه فمن نصر
دين الله فالله ينصره وناصره ومن أبى عن ذلك واستغنى الله عنه والله
غني حميد ودفع الكتاب إلى أنس بن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم
وبعثه رضي الله عنه قال جابر بن عبد الله الأنصاري فما مضت مدة من أيام
قلائل إلا وقد قدم أنس رضي الله عنه على أبي بكر الصديق رضي الله عنه يبشره بقدوم
أهل اليمن وقال يا أبا بكر رضي الله عنه يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما قرأت كتابك على أحد من أحياء العرب إلا أجابوك سمعا وطاعة ولا على أحد

الابادر لطاعة الله واجابة دعوتك وقد جاءني وابى العدد العزيز وقد جاؤوك
شعثا غبرا اعني انهم ابطال اليمن وشجعانها واقيالها وفرسانها وقد ساروا
اليك وجاؤوك بالذراري والاموال والنساء والاطفال وقد اقبلت اليك
لبيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم فبلغني كل قوم منهم رجال واي رجال وقد وردوا
في كراديسهم وقد اتوا اليك وحلوا اليك فتاهب للقائهم قال
فسر ابو بكر رضي الله عنه بقدومهم سرورا شديدا واقام يومه ذلك حتى
اذا كان الغد لاحت للقوم غبرة فاخبر اهل المدينة ابا بكر رضي الله عنه بذلك
فركب واصحابه من المسلمين من اهل المدينة وعبى لهم للاستقبال فخرجوا للقائهم
فما كان الا هنيهة حتى اشرفت الكتائب والمراكب يتلو بعضهم بعضا
قوم في اثر قوم وقبيلة في اثر قبيلة وقد اظهروا زينتهم وعددهم ونشروا
الاعلام ورفعوا الالوية فكانت اول قبيلة ظهرت من قبائل العرب من اهل
اليمن حمير وهم بالدروع الداودية والبيض العادية وقد توشحوا بالقسي
العربية وامامهم ذو الكلاع الحميري وهو يقلد سيفه متعمم بعمامته
فلما قرب من ابي بكر رضي الله عنه اراد ذو الكلاع الحميري ان يعرفه بمكانه
وبقومه فاومأ بالسلام عليه واشار بالكلام اليه وقال

اتتك حمير من قرا معي • اهل السوابق والعالون في النسب •
اسد غطارفة شوس عمالقة • يردوا الكماة غداة الحرب بالقضب •
الحرب عادتنا والضرب همتنا • وذو الكلاع الذي يعلو على الرتب •
قوم كفانا بها بالروم يعقبنا • والشام مسكننا بالرغم والغلب •

قال فتبسم ابو بكر رضي الله عنه من قوله وقال لعلي بن ابي طالب
رضي الله عنه يا ابا الحسن اما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا اقبلت
حمير ومعها نساؤها تحمل معها اولادها فابشر وانصر الله جانبهم ينصرون
المسلمين على اهل الشرك اجمعين فقال علي رضي الله عنه وانا سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول ذلك كما سمعت انت قال فسار قوم حمير بكتائبها
ومضى كتائبها ناحية ومن ورائهم النسوان والاطفال والاموال ثم اقبلت

من بعدها حمير كتائب من اذواء اهل الخيل العتاق والي ماح الافاق ويقدمهم
اماميهم قيس بن هبيرة بن مكشوح المرادي فلما وصل الى ابي بكر رضي الله
عنه اسرع عن لثامه وعرفه بمكانه واشار الى الصديق وانشد

• أتتك كتائب منا تراها ذوو التيجان اعني من مراد •
• بقدمنا اليك كي ترانا نبيد القوم بالسيف الحداد •

فجزاه ابو بكر رضي الله عنه خيرا وتفرح بكتائبه ومراكبه ناحية
ثم اقبلت من بعدهم طيء يقدمهم حابس بن سعيد الطائي فلما وصل
هم ان يترجل ليسلم على ابي بكر رضي الله عنه فاقسم عليه الا يفعل فدنا منه
وصافحه وسلم عليه وشكر له فعله ولحيه ثم اقبلت من بعدهم
دوس في كتائب كثيرة ويقدمهم فارسهم جندب بن عمرو الدوسي
وفيهم ابو هريرة رضي الله عنه وهو متوشح قوسه متقلد سيفه فلما نظر
ابو بكر رضي الله عنه الى ابي هريرة رضي الله عنه تبسم وقال له يا ابا هريرة
ما الذي جاء بك وانت رجل قليل المعرفة بالحرب فقال له ابو هريرة
رضي الله عنه رغبة في ثواب الله عز وجل وايضا اريد ان اكل من فواكه الشام
وخصبه فاذن له ابو بكر رضي الله عنه تبسما من قوله ثم دعا له ابو بكر
رضي الله عنه فقال اللهم لا تسلمهم الى عدوهم ثم اقبلت من بعدهم
بنو عبس يقدمهم اميرهم ميسرة بن مسروق العبسي ثم اقبلت من
بعدهم في اثرهم كنانة يقدمهم خثيم بن السلول بن اشيم الكناني وتتا
بعت من بعدهم قبائل من اليمن يتلوا بعضهم بعضا ومعهم نساؤهم واولادهم
واموالهم وخيلهم ومواشيهم فلما نظر ابو بكر رضي الله عنه الى كثرتهم
سر بذلك سرورا عظيما وشكر الله تعالى على ذلك ونزل القوم كلهم
حول المدينة كل قبيلة معتزلة عن صاحبتها ثم كتب ايضا ابو بكر
رضي الله عنه كتابا الى اهل مكة يستنفرهم الى الجهاد وكان كتابه
بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله ابي بكر عتيق بن ابي قحافة
الى المسلمين من اهل مكة ومن حولها سلام عليكم ورحمة الله واني احمد

اليكم

إليكم الله الذي لا إله إلا هو وأصلي على نبيه أما بعد فقد استنفرت
من قبلي من المسلمين إلى جهاد عدوهم الروم وفتح بلاد الشام وقد كتبت هذا
إليكم لتسرعوا إلى ما أمركم به ربكم سبحانه إذ يقول انفروا خفافا وثقالا
وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون وفي هذه
الآيات نزلت أنتم أولى وأحق بها وأول من صدق بها وتقول بها وقام في حكمها
10 فمن نصر دين الله فالله ناصره ومن يعجز عن ذلك ويبخل بنفسه استغنى الله
عنه والله غني حميد فالإسراع إلى جنة عالية فكونوا جهاد آية أعزها الله
للمهاجرين والأنصار ومن اتبع سبيلهم وحسبنا الله ونعم الوكيل وطوى
الكتاب وختمه بخاتم النبي صلى الله عليه وسلم ودفعه إلى عبد الله بن حذافة السهمي
فأخذه وسار به حتى وصل مكة وصاح في أهلها فاجتمعوا إليه فدفع إليهم كتاب
أبي بكر رضي الله عنه فقرئ على جميعهم فلما سمعوه قام سهيل بن عمرو والحارث
بن هشام وعكرمة بن أبي جهل وقالوا أجبنا داعي الله وصدقنا رسول
الله صلى الله عليه وسلم فأما الحرث بن هشام فقال والله لا يتخلف عن نصرة دين
الله أحد أبدا وأما عكرمة بن أبي جهل فقال اليوم نقتفيك ونبسطا بأنفسنا
وقد سبقنا في المواطن وفاز من فاز بالسبق وإن كنا قد تأخرنا عن السباق فلعلنا
نكتب في اللحاق أو فلسنا نتخلف عن اللحاق ثم خرج عكرمة في أربعة عشر رجلا من
قومه من بني مخزوم وخرج سهيل بن عمرو في أربعين رجلا من بني عامر بن لؤي وخرج
الحارث بن هشام معه [illegible] القوم بهم من أهل مكة من أراد الجهاد فكان
جملة ما سار من مكة خمسمائة رجل ثم **كتب الصديق أيضا**
رضي الله عنه كتابا إلى هوازن والطائف فخرج في أربعمائة فارس من هوازن
وثقيف **قال حدثني** عبد الرحمن بن سعيد اللخمي بإسناده عن أبي
عامر الهوازني قال كنا في الطائف إذ قدم علينا كتاب أبي بكر رضي الله عنه
فقرئ علينا فأجاب منا أربعمائة فارس ما منا إلا من يقول إنه يلقى سبعمائة
فارس من الروم فسرنا حتى لحقنا وفد مكة فكان جملة الكل تسعمائة فارس
وسرنا حتى أتينا المدينة ونزلنا بالبقيع وأخبر أبو بكر رضي الله عنه بقدومنا

فبعث الينا رسوله يقول انتقلوا الى مواضع اخوانكم يعني شرحبيل بن حسنة
ويزيد بن ابي سفيان وربيعة بن عامر وكانت منزلتهم بالجرف وكانوا قد
رحلوا الى تبوك كما سياتي فتحولنا اليها واقمنا هنالك عشرين ليلة
والوفود تقدم علينا قال شداد بن اوس ثم خرج الينا ابو بكر في جمع من
المهاجرين والانصار وهو يمشي بين القبائل ثم قام فيهم خطيبا فحمد الله واثنى
عليه بما هو اهله وصلى الله على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال ايها الناس ان الله
قد كتب على المومنين القتال والجهاد في فريضة من فرائض الله تعالى وثوابه عند
الله عظيم فلتحسنوا نياتكم لتعظم حسناتكم فسارعوا عباد الله الى فريضة
الله ربكم وسنة **محل** نبيكم وانما هي احدى الحسنيين اما الظفر فتنقلبون
باعوانكم واما الشهادة فتلحقون بسلفكم ومن مات او قتل فاجره على الله
قال قلت لعبد الله صف لنا ابا بكر قال كان رجلا اسمر نحيفا طويلا خفيف
اللحية والعارضين **فصل** وقدمت حتى صار في اربعماية رجل ثم كتب
ابو بكر رضي الله عنه ايضا الى الاصيد بن سلمة والى بني كلاب يدعوهم الى
غزو الروم وفيهم الضحاك بن قيس بن عوف بن ابي بكر الكلابي فقام وقال يا بني
كلاب اتقوا الله وانفروا الى خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ونصرة هذا
الدين الذي بعث به محمد صلى الله عليه وسلم فقام رجل من بني كلاب وكان شيخا
كبيرا قد دخل الشام مرارا فقال يا ضحاك انك تدعونا الى غزو قوم لهم عز
وقوة ومنعة وعدد وعدد وخيول معدة وليس للعرب قوة وعدة للقائهم
مع قلة عددهم وجوعهم وضعفهم فقال له الضحاك بن قيس كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم لم ينتصر بقوة العدد والسلاح ولكن نصر باخلاص من الله
عز وجل الذي بعثه به وقد شهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرا في ثلاث ماية
وثلاثة عشر رجلا فلقي قريشا في عددها وعددها وعدتها وخيلها ورجلها
وسلاحها ولم تزل رايته تعلوا حتى قبض عليه الصلاة والسلام وقد قام
بالامر بعده خليفته ابو بكر الصديق رضي الله عنه وقد رايتم اقدامه على اهل
الردة وكيف قهرهم بالسيف وقد كنتم في ذلك عنده وعند المسلمين

فغي

غير محمودين ولا مجاهدين ان لم تنصروا المسلمين كما فضلهم عليكم من عرب
نجد وطي فانشدكم الله تعالى الا تجعلوها في العرب فانه ليس فيهم احد
اعز في الخيل والابل والعدد والسلاح منكم فاتقوا الله واجيبوا خليفة
رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما سمعت بنو كلاب كلام صاحبهم
انبعثت نفوسهم وسمعوا الخروج للجهاد فامتطوا الابل وقادوا الخيل
العراب حتى وردوا الى فناء المدينة فهنالك لبسوا السلاح وركبوا الخيل
ودخلوا المدينة فلقوا ابا بكر الصديق رضي الله عنه وقد خرج ليوجه الناس
الى الشام فلما راهم سر بقدومهم وامرهم ان يلحقوا بعسكر المسلمين
وعقد لهم راية وسلمها الى الضحاك بن قيس وكان قد قدم بخيل وابل من نعمها
الى ابي بكر رضي الله عنه ليستعين به على قتال العدو فقبل ابو بكر الخيل منهم
لينتفع بها في حاشريها وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول الخيل اليمن محجلة كليفة

ذكر خروج الامراء الى الشام

قال ابو عبد الله محمد بن اسماعيل بن عمر الواقدي رحمه الله

ولما زالت القبائل حول المدينة وتزايد القوم واضر بهم المقام من قلة الزاد
وعلف الخيل وجدوبة الارض فاجتمع اكابر القوم وتشاوروا فيما بينهم
وقالوا انطلقوا بنا الى ابي بكر الصديق رضي الله عنه فانطلقوا اليه نسئله
ان يسيرنا الى الشام فقد طال بنا المقام فاقبلوا باجمعهم اليه وسلموا عليه
وجلسوا بين يديه ونظر بعضهم الى بعض ليذكروا ايهم يخاطبه فكان اول
من بداه بالكلام وخاطبه قيس بن هبيرة بن مكشوح المرادي وقال له
يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم انك امرتنا بامر فسارعنا اليه واسرعنا
الى طاعة الله عز وجل والى طاعتك رغبة في الجهاد وقد تكامل جيشنا
وفي غنا من اهبتنا والمقام قد اضر بنا لان بلدك ليس ببلد خف ولا حافر
ولا عيش لعسكر نازل فان يكن قد بدا لك فيما عزمت عليه فلتامرنا بالرجوع
الى بلادنا واقبل كل واحد منهم يخاطبه بذلك او نحوه فلما فرغ عامر

كلامهم فقال ابو بكر رضي الله عنه يا اهل اليمن ومن حضر من غيرهم اما
والله ما اريد بكم الضر ولا الاذى وانما اردت نكاية ملكهم وتمام عسكرهم
قالوا انه لم يبق من ورائنا احد فان كنت عولت فاعزم على بركة الله تعالى
وحسن عونه ولقد بلغني ان ابا بكر قام يمشي من ساعته على قدميه وحوله
جماعة من الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين منهم عمر بن الخطاب وعثمان
بن عفان وعلي بن ابي طالب وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وامثالهم من الاوس
والخزرج وخرجوا الى ظاهر المدينة ووقع النداء في الناس وركبوا با
جمعهم وكبروا جميعا في حال خروجهم واجابتهم الجبال لدوي اصواتهم
وكثرتهم ونعقت الصارخة في العرب وخروج ابناء المهاجرين والانصار
وتكامل الناس بالخروج وعلا ابو بكر رضي الله عنه على ربوة عالية
حتى اشرف منها على الناس ونظر اليهم والى كثرتهم فتهلل وجهه فرحا
وقال اللهم انزل عليهم الصبر وايدهم بالنصر ولا تسلمهم الى عدوهم وكان اول
من عقد له ابو بكر الصديق رضي الله عنه وعقد له راية يزيد بن ابي سفيان
وامره على الف فارس من العرب ودعا من بعده برجل من بني عامر بن لوي يقال
له ربيعة بن عامر وكان فارسا مشهورا بالحجاز فعقد له وقدمه على الف
فارس من سائر الناس ثم اقبل ابو بكر رضي الله عنه على يزيد بن ابي
سفيان وقال له يا يزيد ان ربيعة بن عامر من ذوي العلو والمعاني والشرف
والمفاخر وقد علمت صولته وشجاعته وقد ضممته اليك وامرتك
عليه فقدمه وشاوره في امرك ولا تخالفه رايا قال يزيد حبا وكرامة
وامسى عند ذلك الى لبس السلاح واجتمع الجند وركب يزيد بن ابي
سفيان وربيعة بن عامر واقبلا بقومهما واتيا الى ابي بكر رضي الله عنه
واقبل ابو بكر رضي الله عنه يمشي مع القوم فقال يزيد يا خليفة رسول الله
صلى الله عليه وسلم انا نستحيي منك ونخاف من غضب الله تعالى نحن نركب
وانت تمشي مع القوم فقال على قدميك اما ان تركب واما ان ننزل فقال
ابو بكر رضي الله عنه ما انا براكب ولا انت بنازل فاني احتسب خطاياي

هاجوه

تعادة عنه الله تعالى وسار الى ان وصل الى ثنية الوداع فوقف هنالك
وتقدم اليه يزيد بن ابي سفيان فقال يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم
اوصني فقال ابو بكر رضي الله عنه يا يزيد اذا سرت فلا تعنف على اصحابك
في السير ولا تغضب قومك وشاورهم في الامر واستعمل العدل وباعد
عنك الظلم والجور فانه ما افلح قوم ظلموا ولا نصروا على عدوهم واذا
لقيتم العدو فلا تولوهم الادبار ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال
او متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله واذا نصرتم على عدوكم فلا
تقتلوا وليدا ولا شيخا كبيرا ولا امراة ولا طفلا ولا تقطعوا شجرا
مثمرا ولا تحرقوا زرعا ولا تعقروا بهيمة الا بهيمة الماكول ولا تغدروا
واذا عاهدتم ولا تنقضوا اذا صالحتم وستمرون على اقوام في الصوامع
رهبانا يزعمون انهم ترهبوا من اجل الله فدعوهم وما انفردوا اليه وارتضوه
لانفسهم فلا تهدموا صوامعهم ولا تقتلوهم وستجدون قوما
اخر من عبدة الاوثان وحزب الشيطان قد حلقوا اوساط رؤوسهم حتى
كانها افاحيص القطاة فاعلوا سيوفكم على رؤوسهم حتى يرجعوا الى الا
سلام او يودوا الجزية وهم صاغرون وقد استودعتكم الله سبحانه
ثم صافحه وعانقه وصافح ربيعة ابن عامر وقال له يا ربيعة اظهر شجاعتك
وبراعتك على بني الاصفر بلغكم الله امالكم وغفر لنا ولكم فسار القوم
ورجع ابو بكر رضي الله عنه بمن معه الى المدينة وبعد ايام اردفهما
بشرحبيل بن حسنة رضي الله عنه في ثلاثة الاف فارس من المسلمين
قال وقد عزم ابو بكر الصديق رضي الله عنه ان يقدم على جميع جيوشه
بالشام امين الامة ابا عبيدة بن الجراح رضي الله عنه واراد ان يقدم على طلايع
جيشه امينا اخر فعزم ان يعقد الراية لسعيد بن خالد بن سعيد بن العاص
وكان غلاما نجيبا وذلك ان سعيد بن خالد اتى الى ابي بكر رضي الله عنه
وقال له يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم انك اردت ان تعقد لابي خالد
بن سعيد راية ويكون قائدا من قواد جيوشك فتكلم الناس فيه من المسلمين

فعزلته وما راجع في بيعته وقد حبس نفسه للعدو في سبيل الله وانا قد
حبست نفسي ايضا في سبيل الله فلم ازل مجيبا لدعوتك وبيعتك فجعلك
ان تقدمني على هذا الجيش فوالله لا ابغي الا الله وابدا ولا اعاجز اعداء الحق في سبيل
الله ابدا وكان سعيد بن خالد غلاما نجيبا من ابيه وابى من فعقد له ابو بكر
رضي الله عنه راية وقد دفعها اليه وامره على القوم فارس من العرب قال
حدثني واقد بن ابي ناشئ بن ابي ياسر عن يزيد بن رومان قال لما سمع ابو
حفص عمر بن الخطاب رضي الله عنه كلام سعيد بن خالد وانه قد رام ان يكون
اميرا كره ذلك كله واقبل على ابي بكر وقال له يا خليفة رسول الله صلى الله
عليه وسلم عقدت هذه الراية لسعيد بن خالد على من هو خير منه ولقد سمعته
يقول عندما عقدتها له على رغم الاعادي والله انك لتعلم انه ما في بن هذا
القول غيره والله ما تكلمت في ابيه ولا عاديته فثقل ذلك على ابي
بكر رضي الله عنه فكره ان يعزله وكره ايضا خلاف عمر لمحبته ونصحه
ومنزلته من النبي صلى الله عليه وسلم فوثب قايما ودخل على عايشة رضي
الله عنها واخبرها بما قال عمر وما كان منه ومن كلامه فقالت عايشة
رضي الله عنها قد علمت ان عمر ينظر الى الدين ويريد النصح فقوله لرب العالمين
وما في قلب عمر بغض لاحد من المسلمين فقبل ابو بكر قول عايشة وخرج
من عندها ثم دعا ابا اروى الدوسي وقال له امض الى سعيد بن خالد وقل له
ان ابا بكر يقول لك رد الينا رايتنا قال عبد الله بن عمر كنت في ذلك
الجيش وقد طلع بنا سعيد بن خالد بالجرف اذا اقبل اروى بن اوس الدوسي فقال
له ان الصديق يقول لك رد الينا رايتنا فدفعها وقال والله لاقاتلن تحت
راية ابي بكر رضي الله عنه حيث كانت فاني قد حبست نفسي في سبيل
الله تعالى قال ابو عبد الله الواقدي ولقد بلغني ان ابا بكر رضي
الله عنه اجال فكره فيمن يقدمه طليعة لجيش ابي عبيدة بن الجراح رضي
الله عنه فتقدم اليه سهيل بن عمرو وعكرمة بن ابي جهل والحارث بن هشام
وهم شاكون في السلاح يحضرون ويريدون ان يعقد لهم ابو بكر الصديق

رضي الله عنه فنهاه عمر عن ذلك فاقبل الحرث بن هشام على عمر وقال يا ابا
ابا حفص انك كنت في شركك علينا قبل الاسلام شديدا مصلتا واما اليوم
فقد هداك الله لدينه وما نراك الا فاكعا رحيما وان الله تعالى جل مجده وعز
قدسه امر بصلة الرحم من القرابة فقال عمر انا لا نقدم الا اهل السابقة لسبقهم
فقال الحرث فاذا كنتم لا تقدمون الا اهل السابقة لسبقهم فوالله لا نعصي
ابدا وقال سهيل بن عمرو وعكرمة مثله وكل نفقة انفقتها في غير سبيل الله
لا نفقدن موضعها نفقتين في سبيل الله ولنقفن في كل وقفة وقفناها على
حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقفتين على اعداء الله وقال عكرمة معاشر
المسلمين اشهد الله تعالى اني قد حبست نفسي حبسا في سبيل الله انا
ومن معي من بني عمي ومالي ولا نرجع عن القتال ابدا فقال ابو بكر رضي الله
عنه اللهم بلغهم افضل ما يوملون وجازهم باحسن ما يعملون ثم ان ابا بكر
الصديق رضي الله عنه دعا بعمرو بن العاص بن وايل السهمي فسلم اليه راية
وقال له قد وليتك على هذا الجيش يعني اهل مكة والطايف وهوازن وبني
كلاب وحضرموت فانصرف الى ارض فلسطين وكاتب ابا عبيدة وشاوره
والجره ان اراد ك ولا تقطع امرا دونه الا برايه ومشورته امض بارك
الله فيك وفيهم فاقبل عمرو بن العاص على عمر بن الخطاب رضي الله عنهما وقال
يا ابا حفص انت تعلم شدتي عن العدو وصبري على الحرب فلو كلمت الخليفة
ابا بكر ان يجعلني اميرا على ابي عبيدة وقد رايت منزلتي عند رسول الله صلى الله
عليه وسلم واني لارجو ان يفتح الله على يدي البلاد ويهلك الاعادي فقال له عمر
ما كنت بالذي اكذبك وما كنت بالذي اكلمه على ذلك وما ينبغي ان يكون
اميرا على ابي عبيدة وهو عندنا افضل منك واقدم سابقة والنبي صلى الله
عليه وسلم قال فيه ابو عبيدة بن الجراح امين هذه الامة فقال له عمرو وما ينقص
من ابي عبيدة وفضله واذا كنت واليا واميرا عليه فقال له ويحك يا عمرو
والله انك ما تطلب بقولك هذا الا الرياسة وشرف الدنيا فاتق الله تعالى
ولا تطلب الا شرف الاخرة ووجه الله تعالى فقال عمرو ان الامر كما ذكرت ثم امر

الناس بالمسير تحت رايته فساروا وتفرقوا اهل مكة واتبعهم كلاب وبني
والصوافي وهوازن وثقيف وتخلف المهاجرون والانصار ليسيروا مع ابي
عبيدة بن الجراح وقدم عمرو بن العاص على مقدمته سعيد بن خالد بن سعيد
بن العاص قال ابو الدرداء رضي الله عنه كنت مع عمرو بن
العاص على مقدمته في جيشه فسمعنا ابا بكر الصديق وهو يوصيه ويقول له
يا عمرو اتق الله في سر امرك وعلانيته واستحيه في خلواتك فانه يراك وعملك
وقد رايت تقدمي لك على من هو اقدم منك سابقة الى الاسلام واعظم حرمة
فكن من عمال الاخرة وارد بعملك وجه الله تعالى وكن والدا لمن معك وارفق
بهم في سيرهم وتفقدهم وتعاهدهم بنفسك فان فيهم الضعفاء وانت
تسير سيرا بعيدا والله ناصر دينه ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون
فاذا سرت بجيشك فامش في الطريق الذي سار فيه يزيد بن ابي سفيان وربيعة
وشرحبيل ولا تسلك في طريق حتى تنتهي الى ارض فلسطين ان شاء
الله وابعث عيونك ياتوك باخبار ابي عبيدة فان كان ظافرا فكونوا
بعدوه فكن انت لقتال من في فلسطين وان كان يريد النجدة فنفذ اليه جيشا
بعد جيش وقدم سهيل بن عمرو وعكرمة ابن ابي جهل والحرث بن هشام
وسعيد بن خالد واياك ان تكونوا انيا القائل منك اليه واياك والوهن
وان تقول رماني ابو بكر بن ابي قحافة في نحر العدو ولا قوة لي بهم وقد رايت
يا عمرو في مواطن كثيرة من لقينا من جموع المشركين كثير فهزمناهم باذن الله
ونحن في قلة عدد ثم رايت يوم حنين كيف نصرنا الله عليهم واعلم
يا عمرو ان معك من المهاجرين والانصار من اهل بدر وغيرهم فاكرمهم
واعرف لهم حقهم ولا تتطاول عليهم بسلطانك ولا تنتهز اخلاك نخوة
الشيطان فتقول انما ولاني ابو بكر لاني خير منهم واياك وخدائع النفس
وكن كاحدهم وشاورهم فيما تريد من امرك والصلاة ثم الصلاة
اذن لها اذا دخل وقتها ولا تصل صلاة الا باذان يسمعه اهل عسكرك وصل
بهم فمن رغب في الصلاة معك فذلك افضل له ومن صلاها في رحله فلا باس

عليه

عليه واجبًا أنه حلاله وكن أنت المتولي لكلام الرسل بنفسك واحذر من
عدوك وأمر أصحابك بالحزم وبالحذر من نوائب ولتكن أنت بعد ذلك مشفقا
متعطفا عليهم متفقدا لهم وأقل الجلوس في أصحابك وإذا عاقبتَ فلا تلجّ
في العقوبة عليهم ولا تعجلهم بالهجرة واعليك ولا تقض بين سوكما وأنت
تجد السبيل إلى تركه فإنك لا تأمن رجلا يلقى العدو فيكون لك عدوا وعليك
عونا ولا تكشف أسرار الناس واكتف بعلانيتهم وكن مجدا في أمرك
واتق الله إذا لقيت وقدم الوصية في القول ومرهم ألا يغلوا وعاقب وإذا
وعظت أصحابك فأوجز واصلح نفسك تصلح لك رعيتك فإنما الإمام
ينظر الله بفعله وفعله في رعيته وإني قد وليتك على من مررت به من العرب
واجعل كل قبيلة على حدتها ومنزلتها وكن لهم كالوالد الرحيم والأب الشفيق
وتعاهد عسكرك في مسيرك وقدم طلائعا بين يديك وخلف خلفا
على الناس ممن ترضاه من أصحابك وإذا لقيت عدوك فاصبر ولا تتأخر
فيكون ذلك منك عجزا والزم أصحابك قراءة القرآن وامنعهم من ذكر
الجاهلية وما كان منها فإن ذلك مما يورث العداوة بينهم واعرض عن
زهرة الدنيا حتى تلحق من مضى من أصحابك ومن سلفك الماضين الخير الذين
وكن من الأئمة الممدوحين في القرآن إذ يقول الله تعالى وجعلناهم أئمة يهدون
بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا
لنا عابدين ثم قال سيروا على بركة الله أوصيكم بتقوى الله اغزوا
في سبيل الله قاتلوا من كفر بالله فإن الله ناصر من ينصره رضوان الله تعالى
ورحمته عليهم أجمعين فسار عمرو بن العاص في بر فلسطين
ومعه تسعة آلاف فارس ممن ذكرنا من المسلمين قال فلما كان
اليوم الثاني وأبعد فيوم عقد أبو بكر الصديق رضي الله عنه العقود والرايات
والألوية لأبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه وأمره على جميع عساكر المسلمين
حيث كانوا وأمره أن يقصد بمن معه أرض الجابية وقال له يا أمين
الأمة قد سمعت ما أوصيت به عمرا فسر على بركة الله قال أبو الدرداء

خروج أبي عبيدة
الى الشام

رضي الله عنه وكان ابو بكر رضي الله عنه يوصي عمرو بن العاص وابو عبيدة
حاضر واوصى ابو بكر ابا عبيدة رضي الله عنهما وقال له في بعض وصيته يا
ابا عبيدة اذا لقيت عدوك فاظهر عليهم واستعن بالله عليهم فانه ليس
ياتيهم مدد الا امددناك مثلهم او ضعفهم وليس بكم والحمد لله ذلة ولا قلة
فيما اعلم فلا تجبنوا عليهم ولا تخافوهم فان الله تعالى فاتح لكم وكافيكم
عليهم بالنصر وملتمس منكم الشكر لينظر كيفما تعملون واقطع عمرو
فاوصيك به خيرا او قرا وصيته الا يضيع مقابرك فانه ذو راي وتجربة والسلام
عليك ورحمة الله وبركاته قال فودعه وودع المسلمون بعضهم
بعضا وساروا الى بدون الجابية **قال ابو عبد الله بن حبيش**
فلما رجع ابو بكر وعاد من وداع ابي عبيدة دعا بخالد بن الوليد رضي الله عنه
وارضاه وجدد عليه رحمانه ونعماه وعقد له راية النبي صلى الله عليه وسلم
وهي التي تسمى راية العقاب وكانت راية سوداء وامره على قبيلة من لخم
وجذام وضم اليه جيشا وهم تسعمائة فارس ما منهم الا من شهد الوقايع
وحاضر المعامع بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال له يا ابا سليمان
قدم من تك على هذا الجيش فاقصد بهم اهل العراق من فارس وارجوا الله تعالى
ان ينصرك وبالاعداء يظفرك ويفتح على يديك ان شاء الله تعالى فودعه
وسار خالد رضي الله عنه يطلب من معه العراق **وقال ابو عمرو حدثنا**
احمد بن محمد بن يحيى بن مفرج قال **حدثنا** الحسن بن علي بن احمد بن
اسحاق البغدادي الجوهري قال **اخبرنا** الوليد بن حماد قال حدثنا
اخي نا الحسين بن زياد عن ابي اسماعيل محمد بن عبد الله عن ابيه قال وما كان
اقدام ابا بكر رضي الله عنه ان يبعث خالد بن الوليد الى العراق الا المثنى بن حارثة
الشيباني الذي كان يغير على ارض فارس بالسواد فبلغ ابا بكر والمسلمين خبره
وصنعه بالعجم فقال له عمر بن الخطاب رضي الله عنه من هذا الذي تاتينا
وقايعه قبل معرفة نسبه فقال له قيس بن عاصم اما انه غير خامل الذكر
ولا مجهول النسب ولا قليل العدد ذلك المثنى بن حارثة الشيباني ثم ان

خروج خالد بن الوليد الى العراق

المثنى

المثنى بن حارثة قدم على ابي بكر فقال له ابعثني على قومي فان فيهم
اسلاما اقاتل بهم اهل فارس واكفيك اهل ناحيتي امره ابو بكر بذلك ففعل
المثنى ما امره به فقدم العراق فقاتل واغار على ارض فارس مرارا ونواحي السواد
فقاتل حولا او نحوه ثم انه بعث اخاه مسعود بن حارثة الى ابي بكر الصديق
فقال يا خليفة رسول الله صلى الله عليه اني رسول اخي المثنى بن حارثة اليك
وانه يسالك ان تمده بالرجال فانه لو اتاه مدد من قبلك ولالاه مدد فسمعت
العرب به لسارعوا اليه ولاذل الله المشركين مع ان اخي كان ايها الصديق ان الا
عاجم فرهقنا وتناولوا اقفتنا وقد بعث كتبهم الينا يسالون الصلح فقال
عمر بن الخطاب رضي الله عنه يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ابعث خالد بن
الوليد الى العراق فيكافهم مع هذا الرجل واصحابه يعني المثنى بن حارثة ويكون
فيها من اهل الشام فان استغنى عنه اهل الشام قاتل العراق حتى يفتح الله على
يديه وان احتاج اليه اهل الشام كان قريبا منهم فان جيش الاسلام لا استغنى
عن خالد بن الوليد فقال ابو بكر فانك قد وفقت واصبت الراي فقال
فعند ذلك كتب ابو بكر الى خالد بن الوليد رضي الله عنهما وكان باليمامة
وقد فتحها الله على يديه وقتل مسيلمة الكذاب فوجهه الى العراق ونص الكتاب
بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عتيق بن ابي قحافة ابي بكر
الى خالد بن الوليد ومن معه من المسلمين من المهاجرين والانصار والتابعين لهم
باحسان الى يوم الدين سلام عليكم فاني احمد الله الذي لا اله الا هو انجز وعده
ونصر دينه واعز وليه واذل عدوه وغلب الاحزاب وحده فان الله الذي لا اله
الا هو وعد الذين امنوا وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما منكم
استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم
من بعد خوفهم امنا وعدا لا خلف فيه ومقالا لا ريب فيه وفرض على المومنين
الجهاد فقال تعالى كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى ان تكرهوا
شيئا وهو خير لكم فاغتنموا ما وعدكم الله اياكم واطيعوه فيما فرض عليكم
وان عظمت فيه المصيبة واشتدت به الرزية وبعدت فيه المشقة وفجعتم

فيه بالاموال والانفس فان ذلك يفضي بمن حضه تعالى ولغيره ذكر لنا الصادق
المصدوق صلى الله عليه وسلم ان الله يبعث الشهداء يوم القيامة شاهرين بسيو
فهم لا يتمنون على الله شيئا الا اعطاهم اياه وما لم يخطر على قلوبهم فما فيه
شيء يتمناه الشهيد بعد دخول الجنة الا ان يرده الله الى الدنيا فيغشى صفوف
بالمعارض في الله العظيم فحسبوا به الله انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا با
موالكم وانفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون وقد امرت خالد بن
الوليد بالمسير الى العراق ولا يبرح منها حتى ياتيه امري فسيروا معه ولا تتثاقلوا
عنه فانه سبيل يعظم الله به الاجر لمن حسنت نيته وعظمت في الخير
رغبته فاذا قدمتم العراق فكونوا بها حتى ياتيكم امري كفانا الله واياكم
امور الدنيا والاخرة والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعث الكتاب
ابو بكر رضي الله عنه مع ابي سعيد الخدري من يومه ابو سعيد على خالد فاعطاه
كتابه فقراه واستبشر بما فيه وقام في الناس خطيبا فحمد الله واثنى عليه
وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال اما بعد فان خليفة رسول الله
صلى الله عليه وسلم كتب الينا يحضنا على طاعة الله وجهاد عدوه فجزى الله
دعوتنا وجمع كلمتنا فالحمد لله رب العالمين اني خارج ان شاء الله ومعجل
ثم امر الناس بالرحيل معه فرحلوا وخرج جوابي ملوك العراق وكتب ابو بكر
رضي الله عنه ايضا الى المثنى بن حارثة مع اخيه مسعود بن حارثة اما بعد
فانه قد بعثت اليك خالد بن الوليد الى ارض العراق فاستقبله بمن معك من اصحابك
وقومك ثم ساعدوه ووازروه ولا تعصوا له امرا ولا تخالفوا له رايا فانه من
الذين قال الله تعالى فيهم محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار
رحماء بينهم فما قام معك فهو امير عليك فان شخص عنك فانت على ما
كنت عليه والسلام عليك فلما جاءه الكتاب سار مسرعا لا يلوي على شيء
حتى اتى خالدا فلقيه في جانبه وسلم عليه واثنى عليه قال ابو عبد
الله الواقدي حدثني محمد بن يوسف بن ثابت عن سهل بن سعد
الساعدي رضي الله عنهم قال ما زال ابو بكر رضي الله عنه يبعث بالامراء

صح
خير لكم

الى الشام والعراق اميرا بعد امير ويبعث بالقبائل قبيلة بعد قبيلة حتى كأن
انهم قد اكتفوا وانهم لا يبالون او لا يزدادون ولما رجع ابو بكر وبعث جيوش
المسلمين مع امرائهم الى الشام والعراق رجع الى المدينة وهو يدعو لهم بالنصر
والسلامة اخذه الغم على المسلمين حتى عرف ذلك في وجهه فقال له عثمان
ما هذا الغم الذي اصابك وقد اريك يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له
يا عثمان ماهو اغتممت على جيوش الموحدين وجماعات المسلمين لانه لا اعلم ما
يكون منهم وانا ارجوا الله تعالى ان ينصرهم على عدوهم ولا يلحقوا ابدا به
نكاية بسببهم غير ان شاء الله فقال له عثمان رضي الله عنه ما خرج جيش
من ذات به كمثل هذه التي سارت الى الشام وذلك بما اوحى الله تعالى الى
نبيه عليه السلام وليس خلف فقال ابو بكر والله لقد اعلم ان قول رسول الله
صلى الله عليه وسلم حق وليس فيه خلف وإِنَّا سنفتحها على الروم وفارس ولاكن
لا ندري متى يكون ذلك افي هذا البعث ام لا قال عثمان اما هذا فنعم بلا ادري
ولاكن احسن الظن بالله تعالى قال وبات ابو بكر الصديق رضي الله عنه تلك
الليلة فراى في منامه كان عمرو بن العاص واصحابه في ارض ضيقة وعرة ثم قصد
عمرو فجة فحمل فيها واتبعه اصحابه واذا هم في ارض واسعة سهلة
خضرة نضرة فنزلوا واراحوا فانتبه ابو بكر فحدث بما راه قبل ما صلى الصبح
بالمسلمين واسمه يكفيه حزنهم بما راه فقال عثمان انما تدل على فتح الا انه
يوشك ان يلقى عمرو من قتال المشركين مشقة كبيرة ثم لم يخلص منها

ذكر حروب تبوك قال ابو عبد الله محمد

بن اسماعيل بن عمر الواقدي رحمه الله ولما بعث يزيد بن ابي سفيان بمن معه
من المدينة ورجع عنه ابو بكر الصديق رضي الله عنه من وداعه اعتق في
السير الشديد فقال له صاحبه ربيعة بن عامر ما هذا السير يا يزيد وقد امرك
ابو بكر ان ترفق بالمسلمين في سيرك فقال له يزيد يا ابن عامر انما نقدر ان ابا بكر
يعقد العقود ويجيش الجيوش ويؤمر الامراء ويبعث جمع في الحجاز نا وفي
اثارنا بانه تلينا ان يسيروا الى الشام للقاء العدو فلعل الله ان يفتح لنا فتحا

قبل فلا حول الناس فينا فيجتمع لنا في ذلك ثلاثة خصال رضاء الله تعالى ورضا
خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وغنيمة ناخذوها فقال ربيعة نعم اذا
ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فاخذ القوم في السير وخرجوا على وادي
ثم على الاضرع ليخرجوا على ارض تبوك ثم على الجابية ثم الى دمشق من الشام
ثم ان الخبر اتصل بالملك هرقل ممن قدم عليه من قوم عرب متنصرة كانوا
بالمدينة فيهم فلما سمع الملك هرقل الخبر جمع بطارقته وحجابه اليه
وقال لهم يا بني الاصفر اعلموا ان دولتكم على الانصرام وايامكم على الانهدام
ولقد كنتم تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتقيمون حدود الله كما
امركم في الانجيل ولا جرم انكم ما قصدكم ملك من ملوك الدنيا فنازعكم
على الشام في بلاد فيه عمد من ابيدكم الا قهرتموه وغلبتموه ولقد قصدكم
كسرى بن هرمز بجنود فارس فانكسروا على اعقابهم مولين ولقد قصدكم
الترك فولوا منهزمين وكذلك الجرامقة فما الا قد بدلتم وغيرتم
وجرتم وظلمتم فقد بعث عليكم قوم لم يكن في الامم اضعف منهم عندنا
ولا اضعف لديننا ولم نكن انفسنا تحدثنا انهم ينازعونا في ملكنا ولقد
رمى بهم القحط وطلب الجوع الى بلادنا ولقد بعثت صاحب بصرى اليها
ليأخذوا املاكنا ويخرجونا من بلادنا فاش حدثهم ما سمع من جواسيسه
فقالوا ايها الملك ابعث فينا اليهم لنكفيك عن مرادهم ونردهم على اعقابهم
ونستاصل مدينة نبيهم ونهدم كعبتهم ولا ندع منهم احدا فلما
رءا نشاطهم وتبين له اجتماع كلمتهم واغتنم ذلك منهم جرد منهم ثمانية الاف
فارس من الشجعان فرسانهم وامر عليهم اربعة من البطارقة وهم البطليوس
واخوه جرجيس وصاحب بيت لحم وهو لوقا بن سمعان والرابع
صاحب غزة وعسقلان وهو طايب وكانوا هؤلاء الاربعة تضرب بهم
الامثال في الشجاعة ثم تدرعوا واخذوا زينتهم وعدتهم وصلت عليهم
الاقسة صلاة النصر وقالوا اللهم انصر من كان منا على الحق وبخروهم
ببخور الكنائس ورشوا عليهم من ماء المعمودية وودعوهم وودعوا.

الملك وساروا وسارت معهم العرب المتنصرة تحت الويتهم **قال حدثني**
رفاعة بن عامر عن جده فاتن بن الحصين قال بلغنا ان اول من وصل الى تبوك
يزيد بن ابي سفيان وربيعة بن عامر ومن معهما من المسلمين قبل وصول
الروم بثلاثة ايام فلما كان في اليوم الرابع وقد هم الصحابة رضي الله عنهم
بالرحيل والدخول الى الشام اذ اقبل جيش العدو فلما راى المسلمون غبرة القوم
اخذوا على انفسهم بالاهبة فثبت يزيد بن ابي سفيان في اصحابه الالفين ولقا
هم القوم وكمن ربيعة بن عامر بالالف الباقية وكان هو المقدم على الكمين
رحمه الله ووثب يزيد في اصحابه الالفين ووعظهم وذكرهم الاء الله ونعمه عليهم
وقال اعلموا ان الله وعدكم النصر وايدكم بالملائكة في مواطن كثيرة
فقال تعالى في كتابه العزيز ولقد نصركم الله في مواطن كثيرة وقال
عز وجل كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الجنة تحت ظلال السيوف وانتم
اول جند دخل الشام وتوجه لقتال بني الاصفر وكانكم بجنود المسلمين
قد لحقتكم فكونوا عند ظن المسلمين بكم واياكم ان يهزمكم العدو
فيكم وانصروا الله ينصركم **فبينما** يزيد يعظ الناس واذا بطلائع
العدو ثم الروم قد اقبلت وجيوشها قد اتت فلما راوا قلة العرب
طمعوا فيهم وظنوا ان ليس وراءهم احد فتكلم بعضهم لبعض بالرومية
وقالوا ادركوا من يريد بلادكم ويهتك حريمكم ويقتل ملوككم واستنجدوا
بالصليب فهو ينصركم ثم حملوا على المسلمين والتقاهم اصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم بهمم عالية وقلوب غير واهية ودام القتال بينهم
وتكاثرت الروم عليهم وظنوا انهم في قبضتهم لما عاينوا من قلتهم اذ خرج
عليهم ربيعة بن عامر من الكمين وقد اعلن هو واصحابه بالتهليل والتكبير
والصلاة على البشير النذير وحملوا على خيولهم العربية واعلنوا بتوحيد
رب البرية وعاينت الروم من خرج عليهم من الكمين فانتكست همتهم
والقى الله الرعب في قلوبهم فتقهقروا الى ورائهم ونظر ربيعة بن عامر الى

التاكليو وهو في جمع قومه ويحضهم على القتال ويعلم انه طاغية القوم
فحمل عليه بقلب قوي وجنان جري فطعنه طعنة صادقة في خاصرته خرجت
من الجانب الاخر فانجدل صريعا فلما نظرت الروم الى ذلك ولت منهزمة على
الادبار وركنوا الى الفرار ونزل النصر على اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
قال شداد بن اوس من الانصار وكنت في الخيل السرية التي نفذها وارسلها
ابو بكر رضي الله عنه مع يزيد بن ابي سفيان وربيعة بن عامر ولقينا الروم في
اول ارض تبوك مع التاكليو ونصرنا الله على اعدينا وكان جملة من
قتل منهم الفا وماتين وقتل منا مائة وعشرين رجلا اكثرهم من السكاسك
رحمهم الله وختم لهم بالسعادة ولما انهزم القوم قال لهم جرجيس وهو
اخو التاكليو ويحكم باي وجه نرجع الى الملك وما لقينا الا طليعة القوم
وقد قتلوا اميرنا وقتلوا كبراءنا وابطالنا وملوا الارض من قتلانا وما كنت
بالذي ارجع الا ان اخذ بثار اخي او اموت فاستمع القوم منه ورجع بعضهم
على بعض بالملامة وعادوا الى القتال والحرب وضربوا مضاربهم وخيامهم
واكثروا زينتهم وعولوا على القتال والحرب فلما استقروا واخذ خيامهم
بعثوا رجلا من المتنصرة يقال له القداح بن واثلة التنوخي وقالوا له امض
الى بني عمك وقل لهم يبعثوا الينا رجلا من كبرائهم وعقلائهم حتى
نكلمه واما الذي بين ابن مناخي ركب القداح بن واثلة جوادا له واقبل الى جيش
المسلمين فلما راوه مقبلا علموا انه رسول اليهم فاستقبله رجال منهم من
الاوس وقالوا له ما الذي تريد فقال لهم ان بطارقة الملك يريدون رجلا من عقلائكم
ليكلموه فيما يعود منه والية صلاح الفئتين والفة الجمعين فاجابه يزيد
بن ابي سفيان وربيعة بن عامر بما قال المتنصر فقال ربيعة ليزيد انا امضي الى
القوم فقال له يزيد بن ابي سفيان يا ربيعة اني اخاف عليك من القوم لانك
قد قتلت منهم كبيرهم بالامس فقال له ربيعة لن يصيبنا الا ما كتب الله
لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المومنون وانا اوصيك والمسلمين ان تكون
همتكم عندي فان رايتم القوم قد غدروا بي واني قد حملت فيهم فاحملوا

انتم عليهم ثم ركب جواده وسلم عليهم وصار حتى اتى الى جيش الملك
وقرب من سرادقه فقال له الفراح بن واثلة عليك بجيش الملك وانزل عن جوادك
فقال ربيعة ما كنت بالذي انزل من العز الى الذل وكنت اسلم جوادي الى غيري
وما انا بنازل الا على باب السرادق والا رجعت من حيث جئت لانا لم نبعث
اليكم بل انتم بعثتم الينا فاعلم الفراح الى قوم بمقالة ربيعة وبما تكلم به
فقال بعضهم لبعض صدق العربي في مقالته دعوه ينزل حيث اراد لانا بدأناهم
بالامر فنزل ربيعة على باب السرادق وجثا على ركبتيه وامسك عنان
جواده بيده فقال له جرجير يا اخا العرب لم تكن امة اضعف منكم عندنا
وما كنا نخرج انفسنا اليكم فتنازعونا وتغزونا في الذي تريدون منا
فقال ربيعة نريد منكم ان تدخلوا في ديننا وتقولوا بقولنا فان ابيتم ورا بتم
فهم ان تؤدوا الجزية عن يد وانتم صاغرون قبلنا والا السيف فقال له
جرجير فما منعكم ان تقصدوا الفرس وتدعوا المصادقة بيننا وبينكم قال
ربيعة انما بدانا بكم لانكم اقرب الينا من اهل فارس وايضا قال الله تعالى
امرنا بذلك حيث يقول في كتابه العزيز يا ايها الذين امنوا قاتلوا الذين
يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة فقال جرجير هل لكم كتاب
انزل عليكم فقال ربيعة نعم انزل على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم القرآن
كما انزل الانجيل على نبيكم قال جرجير هل لك ان تعقد الصلح بيننا وبينكم
ونعطي لكل رجل واحد منكم دينارا ووسقا من الشعير ووسقا من التمر
ونعطي للامير كم مائة دينار وعشرة اوسق ونكتب بيننا وبينكم كتاب
الصلح الا تغزو الينا ولا نغزو اليكم ابدا فقال ربيعة لا سبيل الى ذلك
وما بيننا وبينكم الا الاسلام او اداء الجزية او السيف قال جرجير
اكتم ما ذكرت من دخولنا في دينكم فلا سبيل الى ذلك وتلك عن
اخر نا فانا لا نرى بيننا بل لو اتفقا ان نؤدوا الجزية فالموت اهون علينا
من ذلك وما انتم بأشجع منا للقتال والحرب والنزال لان فينا البطارقة
واولاد العمالقة ورجال العزة والحرب وارباب الصبر والنصر ثم قال

جرجيس لحاجبه علي بسقيفة القس حتى يناظر هذا البدوي وكان قد قتل من بعثه
معهم وهو فارس عظيم وكان عارفا بدينهم مجادلا لا يعزب شيء عنهم قال فأتى به
الحاجب فلما استقر به الجلوس قال له جرجيس يا أبانا أمستجيب لنا هذا الرجل
البدوي عن دينهم وعن شيء بعثهم وعليهم فقال سقيفة يا أخا العرب أنا
أنا نجد في علمنا الذي كتبنا أن الله يبعث نبيا عربيا في شبابنا تهاميا وعلامته
أن الله يسري به الى السماء أكان ذلك أم لا قال نعم قد أسري به الى السماء
وقد ذكر الله تعالى ذلك في كتابه فقال عز من قائل سبحان الذي أسرى بعبده
ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا قال القس
فإنا نجد في كتبنا أن الله يفترض عليه وعلى أمته صوم شهر في السنة يقال له
رمضان قال ربيعة نعم قد افترض علينا وقد ذكر ذلك في كتابه فقال تعالى يا أيها
الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم ثم قال
شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان
فقال القس إنا نجد في كتبنا أن الرجل من أمته إذا عمل حسنة كتب له
عشر وإذا عمل سيئة كتب له واحدة قال ربيعة نعم وقد ذكر ذلك في كتابه
فقال من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى
إلا مثلها قال القس إنا نجد في كتبنا أن الله يأمر أمته بالصلاة عليه قال ربيعة
نعم قد ذكر ربنا ذلك في كتابه فقال إن الله وملائكته يصلون على النبي
يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما قال فتعجب سقيفة
من كلامه وقال للبطارقة إن الحق مع هؤلاء القوم فلما سمع الحجاب بذلك قالوا
لجرجيس إن هذا البدوي هو الذي قتل أخاك بالأمس فلما سمع جرجيس ذلك
اشتد غضبه وهم أن يبطش على ربيعة فهم ربيعة ذلك منه فوثب من
مكانه قائما أسرع من البرق فأومى بيده الى قائم سيفه وعاجل جرجيس
بضربة فجدله صريعا وغادره في الأرض قتيلا وأسرع نحو البطارقة اليه وتسا
رعت الحجاب لرميه وهو قد ركب جواده فحمل عليهم ونكى الى ذلك بين يد
يه سبعا فقال لي جاءه أن أعداء الله قد غدروا بصاحب رسول الله صلى الله

ذكر

عليه وسلم جرونكم وا بايهم تحمل المسلمون على المشركين واختلط الجيشان
وتلاقى الجمعان وانصبت الروم لقتال العرب والعرب ايضا كذلك لقتال
الروم فبينما هم في اشد القتال والحرب والكفر والنفاق والظلم باد اذ
اشرفت عليهم جيوش المسلمين مع شرحبيل بن حسنة كاتب رسول
الله صلى الله عليه وسلم فلما نظر المسلمون الى اخوانهم في القتال مع الروم حملوا
عليهم وداروا بهم وتحكمت سيوفهم في اقفية الروم وفي رقابهم ولقد
بلغني عمن اثق به ان الثمانية والالف فارس لم ينج منهم احد وان العرب التقطوهم
بسوابق خيولهم فيما بين الشام وتبوك ثم ان المسلمين احتووا على مضاربهم
وخيامهم وسرادقاتهم وعلى عددهم وخيلهم ثم سلموا على شرحبيل بن
حسنة ومن معه من المسلمين ثم نزلوا وجمع شرحبيل المال والذهب واستشار
مع ربيعة وبني يربوع في حمل النهب فقالوا له ابعث بجميع ما اخذناه من الروم الى
ابي بكر الصديق رضي الله عنه حتى يرى المسلمون اسلاب الروم واموالهم
فيبادرون الى الجهاد فاستصوبوا رايهم وبعثوا بالكل الى ابي بكر رضي الله
عنه الا العدة والسلاح فان المسلمين تقووا بها وبعث شرحبيل وبني يربوع وربيعة
مع الغنيمة شداد بن اوس الانصاري مع خمسمائة فارس من المسلمين
فارسل معهم الغنيمة واقاموا بارض تبوك حتى تلاحقت بهم الجيوش
ولما وصل شداد بن اوس بالمال الى المدينة وعاين المسلمون اموال
الروم واسلابهم رفعوا اصواتهم بالتهليل والتكبير حتى سمع ابو بكر
رضي الله عنه ضجتهم فسال عن الخبر فاخبر بقدوم شداد بن اوس ومعه
غنائم الروم واسلابهم فبينما هو كذلك يسال اذ اقبل شداد ومن معه
حتى نزلوا على باب المسجد وحيوا المسجد بركعتين وسلموا على قبر النبي صلى
الله عليه وسلم ثم اقبلوا على ابي بكر الصديق رضي الله عنه وسلموا عليه
وهنوه بالفتح والنصر واعلموه بقصة الروم وما كان منهم فسجد ابو بكر
لله شكرا وتفاءل بالنصر ثم انه حرض المسلمين بما وصل اليه من مال الروم

ذكر حروب العرفة والدرابة

قال ابو عبد الله الواقدي ولما ودع ابو بكر رضي الله عنه ابا عبيدة
بن الجراح ورجع وودع المسلمون بعضهم بعضا سار ابو عبيدة يريد
ارض الجابية قال حدثني ابو جعفر عن ابي امامة الباهلي قال كنت
فيمن شخص ابو بكر رضي الله عنه مع ابي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه في
مرفوعي فاصابه واوصاه فكانت اول وقعة يوم العربة والداثنة
ولم يكن من الايام العظام خرجت الينا ستة قواد من قواد الروم مع
كل قائد منهم خمسمائة فارس وكانت الجملة ثلاثة آلاف فارس فاقبلوا
حتى انتهوا الى العربة فبعث يزيد بن ابي سفيان الى ابي عبيدة يعلمه
بذلك فبعثني اليه في خمسمائة رجل اخرى فارس فلما اتيت يزيد بعث
معي رجلا في خمسمائة رجل اخرى واقبل يزيد في اثرنا فلما رأينا الروم وهم
وقوادهم حملنا عليهم فهزمناهم وقتلنا قائدا من قوادهم ثم مضوا
واتبعناهم فاجتمعوا لنا بالداثنة فسرنا اليهم ففر مني يزيد وصاحبي
في عدوتنا فتبعناهم حتى دخلوا منازلهم وغنمنا ذلك وجمعوا واجتمعوا ومن هم ملكهم

ذكر حرب فلسطين

قال ابو عبد الله الواقدي حدثني المصعب بن زهير
عن عمرو بن شعيب ان عمرو بن العاص رضي الله عنه لما ودعه ابو بكر الصديق
رضي الله عنه وامره ان يأخذ الرابية وفلسطين من ارض الشام سار قاصدا
اليها وكان في مسيره الى الشام يستنفر كل من مر به من الاعراب فتبع معه
اناس كثير ولما اجتمع مع اصحابه الذين خرج بهم من المدينة سار بهم
حتى نزل على ابي عبيدة ونزل عنده وكان ذو رأي في الحرب وبصر بالاشياء
وكان شجاعا بطلا شاعرا فقال في ذلك رضي الله عنه

٨ • فبلغ ابا بكر اذا ما الغيتة • بانا حمينا عنكم غير نائم • ٨
٨ • فحييناك لا نغزو امرا كالذي • الا ربنا مولى نصره عز غانم • ٨

قال فسر ابو عبيدة بقدومه وقال له رضي الله عنهما يا عمرو ان لنا يوم تشمير فيه ويولي
فيه للمسلمين من رايك وانما انا رجل منكم وان كنت الوالي عليكم فلا اقطع امرا

دونكم فاحفظه رايك فيما قدر في كل يوم فانه ليس لي عنك غنى قال له افعل
والله يوفقك لما يصلح به المسلمون **وحدثني** رؤيم بن عامر عن
سعيد بن عاصم عن عبد الرحمن بن يسار الواقفي مولى ربيعة بن قيس اليشكري
قال كنت في الجيش الذي وجه ابو بكر الصديق رضي الله عنه مع عمرو بن العاص
الى ايلة وفلسطين وكان صاحب رايته سعيد بن خالد بن سعيد فرايته قد
دفع الراية بيده وسمعته يقول

قوم بعصبة من خير قوم ● الى الطاغين من اهل الشام
وعباد الصليب وشر جيل ● ما ينجيهم جلاء من حسام
ونطعن بالمقومة العوالي ● ولا نخشى البوائق في الزحام
وما املي سوى جنات ربي ● لعلي ان افوز بذا المقام

وحدثني مازن بن عمر قال اخبرني مالك بن جندب عن ثقات ممن روى
فتوح الشام ان الذي انشد هذه الابيات بعينها انما كان شرحبيل بن حسنة
كاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم وجهه ابو بكر الصديق رضي الله عنه في اثر
يزيد بن ابي سفيان وربيعة بن عامر رضي الله عنه عن جميعهم ولقد بلغني ان عمرو بن
العاص سار الى ايلة حتى ورد ارض فلسطين هو ومن معه من المسلمين فقدموا
وقد جهدت ركائبهم فوقعوا في بلدة طيبة ونبات وزرع فرعت خيلهم فيه
وكانت جمالهم الى جمعها وذهب عنها وارتاحت مما كان بها قال وكانت
الساقطة تنزل المدينة في الجاهلية والاسلام يقدمون بالبر والشعير والزيت
والتين والقوت والزبيب والتبر وما يكون في الشام في الجاهلية والاسلام بقدر
قوت من الخيرات وجميع الفواكه فقدمت بعض الساقطة الى المدينة وابو بكر
رضي الله عنه يستنفر العرب ويبعث الجيوش الى الشام فسمعوا كلام ابي بكر
لعمرو بن العاص وقوله عليك بايلة وارض فلسطين فساروا ابا الحي الى الملك
هرقل وهو قد نزل في تبوك فلما اذا الكلام منهم جمع ارباب دولته وكبراء بطارقته
وعظماء اساقفته واعلمهم بالحديث الذي وصل اليه وقال لهم يا بني الاصفر
هذا الذي كنت قد حدثتكم به قديما ان اصحاب هذا النبي لابد ان يملكوا ما

سمع

يحدث شيء بعد هذا وقد قرب الوقت وان اصحابكم قد قتلوا في ارض تبوك
وان خليفة محمد قد بعث اليكم الجيوش وكانكم بها وقد اقبلت نحوكم وانتم
اليكم فخذوا على انفسكم وقاتلوا عن دينكم وعنكم وعن اهليكم
واموالكم فان تفعلوا والا ملكت العرب بلادكم واموالكم ونساءكم
واولادكم فبكى القوم على من قتل من اصحابهم فقال لهم الملك دعوا البكاء
فانه لا يصلح الا للنساء والاماء واجتمعوا باجنادين فقال وزير من وزرائه ايها
الملك قد اشتهينا ان تدعو لنا بعض من قدم بهذا الخبر عليك فامر هرقل عند
ذلك بعض حجابه ان ياتيه برجل من العرب المتنصرة ممن قدم عليه بالاخبار
فاتي برجل من لخم فقال له الملك كم عهدك من يثرب فقال منذ خمس وعشرين ليلة
قال فمن المتولي على العرب قال المتنصر رجل منهم يقال له ابو بكر وقد وجه
جيوشه الى بلادك وقد رايت قوما خرجوا من شهرين قال فهل رايت ابا بكر
قال نعم رايته ابتاع منه شملة باربعة دراهم والقاها على كتفه فنظرت
اليه فاذا هو كاحدهم يمشي في ثوبين يطوف في الاسواق ويرد على الناس
ياخذ الحق من القوي للضعيف والقوي والضعيف عنده في الحق سواء قال هرقل
صفه لي قال هو رجل ادم خفيف العارضين عاري الاشاجع حسن الشيبة عليه
رونق من النور الذي خلق الله بهم قال فضحك هرقل وقال هو صاحب محمد الذي
كنا نجده في كتبنا انه يقوم من بعده بهذا الامر ويقوم بهذا الامر ونجد
ان بعده الى جانبه رجلا اخر طويلا كالاسد الوثاب تكون على يديه الملاحم
ملحمة والبلاء قال فسمع اللخمي المتنصر من قول هرقل وقال ان هذا الذي وصفته
رايته يمشي معه لا يفارقه قال هرقل قد تم الامر ولقد دعوت اليوم الى فناء
والهلاك فابيت ان تطيعني وان اليوم سوف تخرج من ارض سورية ثم عقد صليبا
من الذهب وسلمه الى قائد جيوشه وهو روبيس وقال له قد وليتك على جيوشي
فسر وامنع العرب من الوصول الى ارض فلسطين فانها بلدة مباركة كثيرة
الخصب وهي عزنا وتاجنا فاخذ روبيس الصليب وسار من يومه الى
اجنادين واتبعته جنود الروم ومنعها الى فلسطين قال ولما ان عمرو بن

وامتنع

العاص بفلسطين جمع المهاجرين والانصار اليه وشاورهم في امره فبينما
هم في المشاورة اذ اشرف عليهم عامر بن عمرو واقبل اليهم وكان من خيار المسلمين
وكان كمينا مما بعثه عينا له بارض الروم وكان قد عرف بلادهم ودارس ارضهم
وعرف مسالكها وكان قد جاء من عند عينيته فلما اشرف على المسلمين داروا به
واوقفوه بين يدي عمرو بن العاص فنظر اليه عمرو وقد تغير وجهه فقال له ما وراءك
يا عامر قال وراءي عساكر الروم والمتنصرة وجنودها كمثل الشوك والمدر
على عتاق الخيل وجيادها قال له عمرو يا هذا الرجل لقد ملأت قلوب المسلمين
رعبا وانا نستعين بالله تعالى عليهم فكم حزرت القوم فقال ايها الامير انني
علوت على شرف من الجبل عال وتصفحت الخيل فرايت من الصلبان والرماح والاعلام
ما قد ملا وادي الاحمر وهو اعظم واد بارض فلسطين والشام وهم يزيدون
على مائة الف وهذا ما عندي من الخبر ولقد انذر من انذر فلما سمع عمرو بن العاص
ذلك قال استعين بالله عليهم ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ثم اقبل على
من حضر من كبراء المسلمين وقال ايها الناس انا واياكم في هذا الامر سواء فا
ستعينوا بالله على اعدائه وقاتلوا عدوه بنيتكم وذبوا عنكم فمن قتل منا كانت
الشهادة خيرا له ومن عاش عاش سعيدا فما انتم قائلون فتكلم كل رجل بما عنده
من الراي فقالت طائفة منهم وهي البادية من العرب وكان عمرو قد
استشارهم في ذلك ايها الامير ارجع الى البرية حتى تكون في بطن البيداء فانهم
لا قدرة لهم على الرمال ولا يقدرون على مراقي القفر وقفر الحصون فاذا بلغهم
الخبر انا قد سكنا البرية تفرقت خيلهم مخافة ان تعطف عليهم وهم على غفلة
فنقتلهم عن اخرهم ونغنم اموالهم ان شاء الله قال سهيل بن عمرو ان هذه مشورة
رجل عاجز وقال رجل من الانصار لقد كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نهزم
الجمع الكثير وقد وعدكم الله النصر وامركم بالصبر وما وعد الله للصابرين من
الاجر وقد قال تعالى قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة ونحن في
نحر العدو وقد سار بين قتالنا فقال عبد الله بن عمر رضي الله عنه اما انا والله
لا رجعت عن قتال الكفار وجهاد من كفر ولا رددت سيفي عن شيء فلينهض

ومن شاء فليرجع فالله ناصر دينه ومن نكص على عقبيه فان الله من ورائه
بالمرصاد فلما سمع عمرو بن العاص كلام المسلمين من اهل مكة وكلام
عبد الله بن عمر قال احسنت يا ابن الفاروق فكانك والله قد عرفت ما في نفسي
فكشفت عن غامض سري ولقد رايت ان اقدمك على رجال من المسلمين فتكونوا
طلايع وتمضوا نحو ناحية هذا الجيش المقبل وتكشفوا لنا خبر الروم بهم في سبيل
قال عبد الله بن عمر افعل ما تريد فاني لا ابخل ان ابذل نفسي في سبيل الله عز وجل
وكان عنده قال فعقد له راية ودفع اليه الفا فارس من الصحابة وغيرها وفيهم
رجال من بني كلاب واهل الطايف من ثقيف وامره بالمسير فسار عبد الله بن
عمر وجعل يجد السير بقية يومه وليلته الى الصباح واذا بغبرة طالعة
قد لاحت لهم فقال عبد الله بن عمر لاصحابه هذه غبرة عسكر واظنها
طليعة من الروم فوقفا ووقف امامه اصحابه فقال قوم من البادية انا كنا
لنقدم ما هذه الغبرة فقال لهم لا يفترق بعضكم من بعض حتى تروا ما هي
فوقف الناس حتى دنت الغبرة من المسلمين وقربت منهم وانقشعت
عن عشرة الاف من المشاة كبير وقد بعث بهم روبيس مع بطريق من اصحابه
طليعة لجيشه ليكشفوا له عن اخبار المسلمين فلما نظر اليهم عبد الله بن
عمر قال لاصحابه لا تمهلوهم فلا يريهم منكم والله يمكن لكم عليهم واعلموا
ان الجنة تحت ظلال السيوف فاعلوا القوم واكثروا من قول لا اله الا الله
وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم
فلما جهروا بها اجابتهم الشجر والدواب وحملوا فكان اول من حمل عكرمة بن
ابي جهل واتبعه سهيل بن عمرو وحمل الضحاك بن قيس وصاح في رجاله واتبعه
المهاجرون والانصار والتقى الجمعان وعمل السيف في العرب فقال عبد الله
بن عمر فبينما انا في الوقيعة اذ نظرت الى فارس من القوم عظيم الخلقة وهو
كانه من البلبر وهو في كثرة بهمته وبصره فقلت ان يكن للجيش عميد
فهذا عميد الجيش وصاحب الطلايع وهو يزعق من الحرب وقد جبن منها وهو
كالجبل من عظيم خلقته فحمدت الله وحملت عليه ومددت قناتي اليه فنفر

وبس

في شيء من الحرب حين اردت الغناة وطعنته واذا به قد مال يفتك ابنه قال
عبد الله في مبيت قناته واعتمدت على سيفي وضربت قناته فاذا بي بترتها
وتركتها في يده كانها العصا ثم عطفت عليه بضربة هائلة فوالله لقد خيل
لي كانه قد بدت بسيفي في او سمعت كسر السيف حتى خشيت على سيفي
ان يكون قد انقصف واذا هو على حالته ونظرت الى عدو الله فاذا هو قد وهن من شدة
الضربة بالسيف ولم يعمل شيئا فيه فثنيت عليه بضربة اخرى على عاتقه
واذا به قد مال صريعا ثم انعطفت عليه واحززت لامته فلما راى المشركون
صاحبهم منجدلا داخلهم الجزع والفزع والهلع وصدقهم المسلمون الضرب
والقتال فلله در الضحاك بن قيس والحارث بن هشام لقد ابليا بلاء حسنا فما
كان الا قليلا حتى فتح الله على المسلمين ومنحهم من اكتاف المشركين
وانقلبوا على اعقابهم هاربين وقد قتل المسلمون منهم خلقا كثيرا
واخذوا منهم اسرى واجتمع المسلمون بعضهم الى بعض وجمعوا الغنائم
والاسلاب فقال بعضهم لبعض ما فعل عبد الله ابن عمر فقال قائل منهم قتل
وقال اخر اسر وقال اخر ما كان الله ليصنع بعبد الله بن عمر
الا خيرا لحسن زهده وعبادته وقال اخر اوصنا اصبنا بعبد الله بن
عمر فوالله ما يساوي هذا الغنم شعرة من شعر راسه قال عبد الله بن
وانا مع ذلك اسمع كلامهم تحت رايتي فاعلنت بالتكبير والتهليل
والصلاة على البشير النذير وهززت الراية وخرجت نحوهم فلما راى المسلمون
الراية ونظروا اليها انعطفوا الي وقالوا اين كنت ايها الامير فقلت اني
اشتغلت بقتال المشركين وبقتال صاحبهم حتى قتلته فقالوا اجمل الله
وجهك بهذا والله فتح رزقنا الله تعالى اياه بك فقال عبد الله
بن عمر وبوجهكم وحازوا الاموال والاسلاب والخيل وستمائة اسير
وقتل من المشركين خلق كثير ومن المسلمين سبعة نفر وهم نافع بن عدي
ونوفل بن عامر وسعيد بن قيس وسالم بن عامر بن يزيد بن ابي بوعرة وعبد الله
بن خويلد المازني وجابر بن راشد بن عمرو الحضرمي واوس بن سلمة الهوازني

ختم الله لهم بالشهادة في عليين فواراهم المسلمون بعد ان صلى عليهم عبد الله
بن عمر رضي الله عنه ثم ان عبد الله بن عمر عطف باصحابه الى عمرو بن العاص وحدّ
ثوه بما كان منهم ففرح وحمد الله تعالى وشكره على نعمه ونصره واستدعى
بالاسارى واستنطقهم بالعربية فلم يكن فيهم من يعرف العربية ويفقهها
الا ثلاثة نفر من انباط الشام فسألهم عن خبرهم وخبر صاحبهم فقالوا ايها الشيخ
العربي ان هذا روبيس قد اقبل في مائة الف فارس وقد امره الملك الابوع احراس
العرب بامنعكم ان يصل الى ايلة وانه قد بعث بهذا البطريق بو طليعة وكانكم قد اشرف
عليكم ووصل الجيش فيا ويحكم عن اخركم لانه ليس في اصحاب الملك من يعرف
قتال العرب مثله فقال عمرو ويوشك ان الله تعالى يقتله كما قتل صاحبكم
ثم عرض عليهم الاسلام فما اسلم منهم احد فقال عمرو للمسلمين هؤلاء قد كتم
علينا شيئا او بلاء وكانكم بصاحبهم وقد اقبل لاخذ ثاره ثم امر بضرب اعناقهم
فضربت رقابهم في مصاف واحد وصاح بالمسلمين استعدوا فانه اذا القوم
ساروا من الشام اتوا الينا فانهم في كثرة وقوة وستلقى منهم تعبا في القتال
وقد ضعفنا قوتهم ان شاء الله تعالى وان لم يأتوا الينا سرنا اليهم ونرجوا من
الله الظفر بهم كما ظفرنا بغيرهم وما وعد ذا الله تعالى الاخير ان. قال
ابو الدرداء رضي الله عنه وبتنا في اماكننا وبتنا فيها
فلما اصبح الله بخير الصباح رحلنا فما سرنا غير بعيد حتى اشرف علينا تسعة
صلبان تحت كل صليب عشرة الاف فلما اشرف القوم على القوم والجيش على
اقبل عمرو بن العاص رضي الله عنه كالفحل يرتب اصحابه فجعل في الميمنة الضحاك بن
قيس وفي الميسرة سعيد بن خالد واقام على الساقة ابا الدرداء ووقف عمرو في
القلب ومعه اهل مكة وغيرهم من المهاجرين والانصار رضي الله عنهم اجمعين
وامر الناس بقراءة القرءان وقال لهم اعلموا ان الله تعالى جل وعز وجل ملككم
وسلطانه من بر ان يبلوا اخباركم فاصبروا على بلاء الله وارغبوا وارغبوا
في ثواب الله وجنته ثم جعل بعضهم ويعبيهم تعبية الحرب فلما

الجيش

نظر

نظروا فيمن بقي من القوم من اليوم الى عسكر المسلمين وقد صفهم عمرو لا يخرج
غبار عن غبار ولا ركاب عن ركاب كانهم بنيان مرصوص وهم يقرؤون القرآن والنور
يلمع من نواصي خيولهم فشم منهم رائحة النصر وتبين له من نفسه الجزع وانكسرت
ميمنته وعلم ان كل من معه كذلك فوقع ما يكون من امر المسلمين فانكسرت
ميمنة الروم قال ابو الدرداء رضي الله عنه وكان اول من برز من جيشنا
سعيد بن خالد بن سعيد وهو ابن اخي عمرو بن العاص من امه فلما برز نادى في جميع صوته
اني زوار يا اهل الشقي ثم حمل ميمنة والجاها ميسرة وقتل رجالا وجدل ابطالا
ثم اقتحم عليهم وحمل فيهم فشوش صفوفهم وزعزع جيوشهم وزحزح رايتهم
واعلامهم فاجتمعوا عليه فقتلوه رحمه الله وحزن المسلمون على قتله حزنا شديدا
فقال عمرو بن العاص مضى سعيد فوا حسرتاه لقد اشترى نفسه من الله ثم قال يا
فتيان العرب من يحمل معي نصادم الجملة حتى ننظر ما يكون من امرهم فاول من حمل سعيد
واسرع بالاجابة الضحاك بن قيس والكلاع الحميري وعكرمة بن ابي جهل
بن هشام ومعاذ بن جبل وابو الدرداء وعبد الله بن عمر والاصبغ بن مسلمة
ونوفل بن دارم من بني الحارث وسبيع بن عباد اللخمي رجل من بني النجار والاصهب بن
شداد الهوازني واوس بن غفار بن الصامت اخو بني مرة بن كعب بن عبد الله وعمرو بن
جندب وسعيد بن زيد بن نوفل ورجال من المهاجرين من اهل بدر وحملوا على
القوم فحملوا كرة وساروا وكانوا نحو التسعين فخرقوا من القوم وهم
لا يفترون في حملتنا فكانهم جبال من حديد فلما رايناهم ثبتوا صاح بعضنا
ببعض فيعودوا وابوا هؤلاء العلج اللئام فما يهلكهم غير ذلك فصمدوا واتقوهم
بالاسنة فانكسروا وتكسروا فعرفنا كسرهم وانكسارهم فرق بعضهم
من بعض وحملوا علينا وحملنا عليهم وحمل المسلمون باجمعهم وكنا فيهم كالشامة
البيضاء في جنب البعير الاسود وكان شعار المسلمين يومئذ يعني يوم فلسطين
لا اله الا الله محمد رسول الله يا رب محمد انصر امة محمد نصر
الله يا امة محمد قال ابو الدرداء رضي الله عنه فوالله
لقد شغلنا بالحرب عن ما سمعنا الاشعار ولقد كان احدنا يقف في فلان من

يضرب اخاه ام عمرو من كثرة القتال القتام وشدة القتال وظهر المشركون
على المسلمين فثبت الله المسلمين في انفسهم لقتالهم وفوضوا امرهم
الى الله ربهم وخالقهم وما كان احد منا من المسلمين يفتح فاه الا وهو ناطق بالدع
اء يقول اللهم انصرنا على من يجعل معك شيئا يقولا قال عبد الله بن عمر
فلم يزل الحرب بيننا الى وقت الزوال وهبت الرياح والناس في القتال اذ رفعت
الى السماء وانا ادعو بدعاء علمنيه رسول الله صلى الله عليه وسلم واذ ابها
قد انفتحت فيها ابواب وخرجت منها خيول شهب تحمل رايات خضر استقبلها
فلمع في بقاء ومناد ينادي النصر بيادي ويقول ابشري يا امة محمد فقد جاءكم النصر
من الله قال ابن عمر فنصرت هاذه الامة بدعاء نبيها محمد صلى الله عليه وسلم
ورب الكعبة فما كان غير بعيد حتى فرت الروم منقلبة على اعقابها
وقد اتبعهم المسلمون في اثارهم لا ترد وابل العرب السيوف من ادبار الروم
فقتلنا في وقعة فلسطين وواد الاحمر ازيد من عشرة الالاف وفي بياس
احد عشر الفا ولم تزل في اثارهم الى الليل وعمرو بن العاص فرح بنصر الله
المسلمين والظفر لهم داعيا لهم وقلبه متعلق بهم لاشتغالهم في الاتباع من
وراءهم وهم قال ابن عباس فنظرت الى عمرو بن العاص والراية
بيده وقد القى القناة على عاتقه وهو يبكي كما يبره ويقول من يرد الناس الي
رد الله عليه ضالته اذ نظرت الى العرب وقد رجعت عاطفة كعطفة الام
ورجعتها على ولدها فاستقبلهم عمرو وهو يقول مرحبا بهاذه الوجوه
التي تعبت في رضاء الله تعالى اما كان لكم كفاية فيما خولكم الله تعالى
حتى اتبعتم القوم فقالوا ما اردنا الغنيمة بل القتال والجهاد اردنا فجزاهم
باحسن الجزاء قال فلما رجع المسلمون لم يكن لهم همة الا افتقاد بعضهم
بعضا ففقد من المسلمين مائة وثلاثون رجلا منهم سعيد بن عباد الحضرمي
ونوفل بن حازم بن عمرو وسالم بن رويم والاصعب بن شعة اخو ابغى من اليمن
وبوادي المدينة واغتم عمرو لفقدهم ثم راجع نفسه رضي الله عنه وقال
في سبيل الله بهم حبي او انتا يا عمرو وتا بعد ذلك ثم نودي الناس الى الصلاة فلما

امره

أمره أبو بكر رضي الله عنه فصلى ما فاته من الصلوات لكل صلاة أذان وإقامة
قال ابن عمر أقسم أن ما كان صلى معنا خلفه إلا القليل من الناس بل صلى جل
الناس في رحالهم من تعبهم ولم يجمعوا من الغنائم إلا القليل وبات الناس في سرور
فلما أصبح الله بخير الصباح أذن عمرو وصلى بالناس وأمرهم بجمع الغنائم
وأن يجي جوا ماية وثلاثين رجلا وطلبوا سعيد بن خالد في القتلى فلم يجدوه
حتى قام عمرو بن العاص فوجده قد وطئته الخيل بسنابكها حتى رض عظمه
وهشم وجهه فلما نظر إلى ما نزل به بكى وقال رحمك الله يا سعيد فلقد نصحت
لدين الله تعالى وأديت النصيحة ثم جعله في جملة القتلى من المسلمين وصلى عليهم
جماعة المسلمين ثم أمر بدفنهم قبل أن يمس شيئا من الغنائم ثم لما واراهم أمر بجمع
الغنائم فجمعت إليه وكتب إلى أبي عبيدة بن الجراح كتابا يقول فيه
بسم الله الرحمن الرحيم من عمرو بن العاص إلى أمين الأمة أبي عبيدة بن
الجراح أما بعد فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو وأصلي على نبيه محمد صلى الله عليه
وسلم وإني وصلت إلى فلسطين فلقينا عسكر الروم مع بطريق يقال له روبيس
في مائة ألف فمن الله علينا بالنصر وقتل من الروم أكثر من عشرين ألفا وفتح الله
فلسطين على يدي وقتل من المسلمين مائة وثلاثون رجلا كتب لهم الله بالشهادة
وأنا مقيم بأرض فلسطين فإن احتجت إلي سرت إليك والسلام عليك ورحمة
الله وبركاته ودفع الكتاب إلى أبي عامر الدوسي وأمره بالمسير إلى أبي عبيدة
فأسرع أبو عامر بالكتاب إلى أبي عبيدة فوجده نازلا بأرض الشام وكان
قد نهي عن الدخول إليها حتى يأتيه أمره كما أمره أبو بكر الصديق رضي الله
عنه فلما أتى أبو عامر الدوسي على أبي عبيدة ووصل إليه ظن أنه من عند أبي
بكر فقال ما وراءك يا أبا عامر قال خير هذا كتاب من عمرو بن العاص إليك
يخبرك بما فتح الله على يديه ثم سلم الكتاب فلما قرأه خر ساجدا لله تعالى
بما أعطى الله من النصر للمسلمين والظفر على أعداء الله المشركين ثم قال قتل والله
من المسلمين رجال أخيار فيهم سعيد بن خالد بن سعيد قال أبو عامر الدوسي
وكان أبوه خالد بن سعيد في الشام فلما سمع أن ولده قتل جمع نفسه وصرخ صرخة

عظيمة وقال آه واولداه وجعل يبكي حتى بكى المسلمون لبكائه رحمة له ثم اسرع
الى فرسه فركبه وقد عزم على المسير الى الارض والسكين لينظر الى قبر ولده فقال له
ابو عبيدة الى اين يا ابا خالد وانك لمن اركان المسلمين فيما تسير ونريد
قال انما اسير وانظر الى قبر ولدي وارجو ان القى به فسكت عنه ابو عبيدة وكتب
الى عمرو بن العاص جوابه كتابه بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد فانك
انما انت مامور فان كان ابو بكر امرك ان تكون معي فسر الينا وان كان امرك
بالشام في موضعك فاثبت فيه والسلام عليك وعلى المسلمين ورحمة الله
وبركاته وطوى الكتاب وسلمه الى خالد بن سعيد وسار مع ابي عامر الدوسي
الى ان اتيا الى جيش عمرو بن العاص فدفع خالد بن سعيد الكتاب اليه وهو
يبكي فاخبره بما جرى فوثب اليه عمرو فقام يصافحه ورفع منزلته وعزاه في
ولده وعزاه المسلمون ايضا فقال خالد بن سعيد ايها الناس اتروني سعيد سبقه
ورعيه من دم الكفار قالوا نعم لقد قاتل وما قصر وجاهد على الدين ونصر فقال
خالد اروني قبره فاروه اياه فوقع على القبر يبكي وقال يا ولدي ان امكنني
رزقني الله الصبر عليك والحقني بك انا لله وانا اليه راجعون فوالله لئن
امكنني الله لآخذن بثارك يا بني عند الله احتسبك ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

ذكر حديث سرية خالد بن سعيد المقتل العظيم المعروف بتل ثنية سقيف قال ابو عبد الله الواقدي رحمه الله

ثم ان خالد بن سعيد قال لعمرو بن العاص
رضي الله عنه اني اريد ان اسير في سرية في طلب الروم فلعلي ان اخذ منهم فرصة
وغنيمة او رجالا اقتلهم فاكون قد اخذت بثاري فقال له عمرو ان الجيش امامك
يا ابا سعيد فاذا لقيت الروم فلا تشفق عليهم ولا تبق على احد فقال خالد والله
لاسيرن اليهم ولو لم يكن لي مساعد ثم ان خالد اخذ اهبته للمسير وعزم على ان
يسير وخرج في كتيبة معه ثلاثمائة فارس من فتاك العرب من قبائل حمير
واستاذنوا عمرو في المسير فاذن لهم فساروا يومهم ذلك كله ثم ارادوا
النزول في بعض الاودية ليعلفوا دوابهم ثم يسيروا ليلتهم اذ كانت من خالد

الشعاثة

الثعاقة فنظر الى اشباح على جبل هنالك عال منيع فقال لاصحابه اني ارى اشباحا على
ذروة هذا الجبل واظن انهم عيون المشركين واخاف ان ينذروا علينا فقال بعض اصحابه كيف
الوصول اليهم وهم على ذروة هذا الجبل المنيع العالي ونحن في هذا الوادي فقال خالد بن
سعيد كونوا في اماكنكم ثم نزل عن فرسه وتقلد بسيفه وتنكب جحفته والقصا
زاده وقال اعلموا ان القوم ما فطنوا الينا ولا نذروا بنا ولو كانوا راونا وفطنوا الينا لم
تثبتوا في مواضعكم فمن كان منكم باذل نفسه فليصنع كما اصنع فابتدر اليه
عشرة رجال فصنعوا كما صنع وتعلقوا بالجبل وتسللوا فيه حتى اشرفوا على
القوم ووصلوا اليهم وهم في اماكنهم فعند ذلك صاح بهم خالد واصحابه
خذوهم بارك الله فيكم فاسرع المسلمون اليهم فقتلوا منهم اثنين واسروا اربعة
فاستنطقهم خالد بن سعيد واذا هم من انباط الشام فسالهم عن حالهم فقالوا
انا من اهل هذا البقيع والجامعة وجبل الغربية وقد عظمت علينا المصيبة
بدخول العرب الى بلادنا وقد فر عنا منهم من عاشر بنين وقد نحن باكثرنا الى القلاع
والحصون المانعة وقد اعتصمنا نحن بهذا الجبل لان ما في الى سنان احصن منه
فعلونا عليه نتشوف الاخبار حتى اخذتمونا فقال خالد فاين لكم جيش الروم
اليوم قالوا باجنادين وقد عزم الملك ان يدخل من حمص الى فلسطين ليدافع عن
بيت المقدس وقد اجتمع جيشه ومن انضم منهم باجنادين وهذا لهم يومين بها
وقد اقبل الينا البابا خذ العلوفة والميرة منا وقد جمعوا الدواب والبغال والحمير
لحمل الميرة وهم مع ذلك خائفون وجلون ان تلحقهم خيل العرب وهذا ما كان
معنا من خبر قومنا الذي نعلم ولا شك انهم رحلوا في يومهم هذا فلما سمع
خالد بن سعيد ذلك من قولهم قال غنيمة ورب الكعبة ان شاء الله ثم سال
على اي طريق ياخذ القوم قالوا على هذا الطريق التي كنت عليها لانها اوسع الطرق
كلها واقصر المسافة فانها حول التل العظيم المعروف بتل بني صبيع فلما سمع خالد
ذلك منهم قال ما تقولون في ديننا قالوا ما نعرف الا دين الصليب ونحن ابنا فاحوس
وما لكم في قتلنا فائدة فهم خالد بقتلهم فقال له رجل من اصحابه دعهم يدلونا
حيث ميرة القوم وخل سبيلهم فاجابه الى ذلك وسير نحو امامهم الى ان توسطه

الذي يوشع بعث الى الصحابة الذين بالوادي فجاءوا اليه وجعلوا يجرون السبي
والاثقال فلما لحقهم يريدون يسيرون الى التل الاعظم فوافوا الروم وهم يحملون دوابهم
حول التل ستمائة فارس من الروم فلما نظر خالد ابن سعيد الى القوم قال
للصحابة اعلموا ان الله عز وجل قد وعدكم النصر على عدوكم وفرض عليكم
الجهاد وهذا جيش العدو قد اتاكم فارغبوا في ثواب الله واسمعوا ما قال
ربكم في كتابه العزيز ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان
مرصوص وهذا انا احمل فاحملوا ولا يخرج منكم عن صاحبه ثم ان خالد بن سعيد
رضي الله عنه حمل وكبر وحمل الصحابة الحميريون وكبروا قال خزيمة بن
سعيد فلما رأتنا خيل الروم واستقبلونا وانتهى من كان مع الدواب من العلاجين
والعبيد والغلمان وصبرت خيل الروم لقتالنا وثبتت لقتالنا ساعة من نهار خيل
فبينما ذو الكلاع الحميري يوصي الصحابة وينادي قومه وهو يقول يا آل
حمير ابواب الجنة لكم قد فتحت وقصورها وغرفها قد زخرفت والحور عليكم
قد اشرفت واذا بصاحب الكتيبة قد لقيه خالد بن سعيد وضربه في وجهه
ضربة ارغبه بها قال واثار سعيد ثم حمل كافية القوم فانجدل يعالج فانه
بهج من حر بين وما بقي احد من الصحابة الا حمل فارسا من الروم قال خزاية بن
سعيد فقتلنا من الروم ثلاثمائة فارس وعشرين فارسا وولى الباقون منهزمين
وتركوا الاثقال والميرة والبغال فاحتوينا على الجميع باذن الله عز وجل ثم
نادى خالد بن سعيد لاولئك الانباط والعلاجين بعيره ثم خلا سبيلهم
وعاد خالد بن سعيد بالغنائم الى عمرو بن العاص يفرح بسلامة المسلمين
وغنيمتهم وكتب كتابا الى ابي بكر الصديق رضي الله عنه يذكر
له فيه ما جرى لهم مع الروم وبعث الكتاب مع ابي عامر الدوسي فاخذه ابو
عامر وسار به حتى قدم على ابي بكر الصديق رضي الله عنه فلما قرأه على المسلمين
ضجوا بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير وفرحوا بما من الله به على
اخوانهم من المسلمين من النعم وما امرهم به من النصر ثم استخبر ابو بكر
عن ابي عبيدة رضي الله عنهما فقال ابو عامر انه قد اشرف على اوائل الشام ولم يعصى

على الدخول لانه قد سمع ان جنود الملك هرقل قد اجتمعت باجنادين في امم لا تحصى
ويجيء على المسلمين ان يتوسطوا بهم عدوهم **وقال ابو عمرو الطلمنكي**
كان في كتابه بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد فان الروم واهل البلاد ومن على
دينهم من العرب قد اجتمعوا على حرب المسلمين ونحن نرجو من الله النصر وانجاز مو
عوده الينا وعادته الحسنى واحببت اعلامك لترى في هذا الامر رايك والسلام
عليك وعلى من معك من المسلمين

ذكر خروج خالد بن الوليد من العراق ورحيله عنه
الى الشام وما لقي في طريقه رضي الله عنه وارضاه

قال ابو عبد الله الواقدي رحمه الله ولما وصل الخبر
الى ابي بكر رضي الله عنه ان ابا عبيدة بن الجراح لم يجسر على الدخول الى الشام وعلم
بما ظهر له منه انه ليس الرجل بكفء لا يصلح لقتال الروم وكان ابا عبيدة رضي الله عنه
كانت فيه رحمة وشفقة على خلق الله تعالى لا سيما المسلمين وكان يرى ان شعرة
مسلم واحد خير من الدنيا وما فيها لا سيما من الصحابة من الذين شاهدوا النبي
صلى الله عليه وسلم واقاموا الدين وعقدوه رضي الله عنه فاستشار ابو بكر
المسلمين وعول ان يكتب الى خالد بن الوليد المخزومي ويوليه على جيوش المسلمين
وقتال الروم فقال هذا الامر لا بد فيه من قتل ونهب واسبي ولا يكون الشيء الا بقوة
ولا يصلح لهذا الامر الا صاحب الشجاعة والكرم والقوة على ذلك وهو الرجل
الاسد والسيف الذي لا يطاق يعني بذلك خالد بن الوليد رضي الله عنه وارضاه
واعلى في عليين منزله ومأواه واجزاه عن الاسلام واهله افضل ما به اجزاه
فقالوا له الراي ما رايت **فكتب** الى خالد بن الوليد كتابا يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم
من عبد الله عتيق بن ابي قحافة الى خالد بن الوليد المخزومي سلام عليك فاني احمد الله
الذي لا اله الا هو واصلي على نبيه واني قد وليتك على جيوش المسلمين بالشام
وامرتك بقتال الروم فاسرع الى مرضات الله وقتال اعداء الله وكن ممن يجاهد
في الله حق جهاده ثم كتب يا ايها الذين امنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من
عذاب اليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله وقد جعلتك امير على

على ابي عبيدة ومن معه والسلام وبعث بالكتاب مع نجم بن مفرج الكناني
في ركب مطيئة وسار متوجها نحو العراق فوافا خالدا وقد اشرف على فتح القا
دسية فناوله الكتاب فلما قراه وعلم ما فيه وفهم معناه قال السمع والطاعة
لله ولخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ارتحل عن القادسية وسار باصحابه
نحو الشام وقال ابو عمرو الطلمنكي ايضا فلما بلغ ابو بكر رضي الله عنه ان ابا
عبيدة لم يجسر على الدخول الى الشام عزل خالدا عن العراق وولاه على الشام وكتب
اليه كتابا يقول فيه اما بعد فاذا جاءك كتابي هذا فدع العراق وخلف فيه
اهله الذين قدمت عليهم وهم فيه وامض في اهل القوة من اصحابك الذين قدموا معك
وصحبوك في الكي يوم من الحجاز حتى تاتي الشام فتلقى ابا عبيدة بن الجراح ومن معه
من المسلمين فاذا التقيتم فانت امير الجماعة والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته
فقدم على خالد بالكتاب عبد الرحمن بن حنبل الجمحي فساله خالد قبل ان يقرا الكتاب
وقال له ما وراءك قال له خير امرك ان تسير الى الشام فغضب خالد وشق عليه
وقال هذا عمل عمر وانه ان ينعم الله علي بفتح العراق وكانت العجم قد هابوه
هيبة شديدة وخافوا خوفا شديدا وكان خالد رضي الله عنه اذا نزل بساحة
قوم من المشركين كسر عزمهم من عذاب الله عليهم ويشاهدون الموت فلما قرا الكتاب
وجد فيه انه قد ولاه على الشام وعلى ابي عبيدة وسائر الجيوش كان ذلك سخى
بنفسه فقال اما اذ ولاني الشام خلاف العراق فنعم فقام اليه بشير بن ثور
العجلي وكان من اشراف بني عجل وفي مسار بكر بن وائل وممن من اصحاب المثنى
بن حارثة وقال اصلحك الله ايها الامير والله ما جعل الله الشام من العراق خلفا
وللعراق اكثر من الشام حنطة وشعيرا وديباجا وحريرا وذهبا وفضة
واوسع وسعة واعم خصبا والله ما الشام كله الا كجانب يسير من العراق
فكره المثنى بن حارثة مشورته على خالد وكان يحب ان يخرج عنه خالد
ويخليه واياها وكره اهل العراق خروج خالد بن الوليد عنهم لما راوا من شجاعته
واقدامه على الحروب وكثرة كرمه رضي الله عنه ونفعه به ثم قال خالد ان
الشام اهل الاسلام وقد رجعت اليهم الروم وتهما وقوا بهم وانما انا مغيث لمن ثم

ارجع اليكم وكونوا كما انتم تعاهدنا على حالكم الذى انتم عليه فاذا اتى عنى ما
اشخصت اليه فانا منصرف اليكم عاجلا وان ابطات فرجون الا تعجزوا وان خليفة
رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بغافل عنكم ولا بن لان يمدكم بالرجال والخيل
وكثرة الجنود حتى يفتح الله عليكم بعز البلدان شاء الله تعالى قال ثم
ان خالد بن الوليد رضى الله عنه خرج من الحيرة فسار ردفا على الانبار ثم على صبرو
ثم انحط منه وانحرف بخيله على عين التمر فافتتحت بسعيد بن بشير جماعته
بعين التمر جاءت بها رحمه الله شهيدا ودفن بها وكان بها مسلحة لاهل فارس فقاتلهم
خالد فتحصنوا منهم فاستنزلهم وضرب اعناقهم وسبا ذراريهم فكان اول سبي
سبي من العراق وكان من ذلك السبي ابو عمرة وابو عبد الاعلى على الشاعر وحمران
بن ابان مولى عثمان بن عفان رضى الله عنه وقتل خالد بها ابن عم عمران وهلال بن بشير
التمري وصلبه ثم ان خالدا رضى الله عنه رد الضعفاء مع عمير بن سعيد
الانصارى ومضى في سبعمائة رجل وقال المثنى بن حارثة امض فانى سلكانك
غير مقصر ولا ملوم ثم ان خالدا خرج من عين التمر وسار في خيله حتى غار
على بنى تغلب فقتلهم وهم سهو واصاب من اموالهم قال فاتى برجل منهم يقال له
شنى ابا في جفنة وهو يقول

الا عللانى قبل جيش ابى بكر • لعل المنايا عن قريب وما ندرى •

فبينما هو ان رفع من شعره شد عليه رجل من المسلمين بالسيف فضرب عنقه
فاذا راسه في الجفنة وقال ابو عمرو في مصنفه باسناده عن حمزة بن على
عن رجل من بنى بكر بن وائل ان رجلا من بنى محارب فقال له عمرو بن جرير بن كلب
يتمنى بالحيرة ويختلف الى الشام قال لخالد اذا بلغت مفصلا فاجعل كوكب
الصبح على حاجبك الايمن ثم امه حتى تصبح فانك لا تجوز عن ذلك فوجده
كذلك ثم ان خالدا اخرجه المسير حتى انتهوا الى قراقر الى سوى وهما ماءان لال
من قراقر الى سوى وبينهما خمس ليال فلم يهتدوا الى الطريق فقال له رافع
بن عمرو الطائى وكان دليلا فقال لخالد خلف الاثقال واسلك مفازة المفاوز
ان كنت فاعلا فكره خالد ان يخلف احدا وقال فراتا انه امر لا بد من انفاذه

فإن تكون جميعا أولى فقال له فوالله إن الراكب المنفرد ليخاف على نفسه
فيها وما سلكها إلا مغرر فكيف أنت بمن معك قال خالد لابد من ذلك
وقد أتتني عزيمة فقال له قل ما هي قال فمن استطاع منكم أيها الناس أن يوقر
راحلته ماء فليفعل فإن تعبره أرض السموت قليلة الماء لا يدخل إلا بالحزم وأيضا
والماء الكثير ونحن في جيش فكيف تكون الآن فقام رافع بن عمرو الطائي
وقال لخالد أيها الأمير أنا أشير عليك بما تصنع فقال يا رافع افعل أرشدك
الله ووفقك ثم إن رافع بن عمرو الطائي أخذ جمالا فأخرج منها ثلاثين جملا
وعطشها سبعة أيام وأوردها الماء فلما رويت حزم أفواهها ثم ركبوا
المطايا وجنبوا الخيل وساروا كلما نزلوا منزلا نحروا عشرة من
الإبل ثم شقوا بطونها فيأخذون ما يجدون فيها من الماء فيمزجونه و
يجعلونه في أحواض من أدم فإذا أرادوا سقوا الخيل وشربوا وأكلوا اللحم
ولم يزالوا كذلك حتى تمت الإبل ونفد الماء وقد قطعوا من حلتين بغير ماء
وأشفى خالد ومن معه على الهلاك فقال خالد لرافع بن عمرو يا رافع قد أشفينا
على الهلاك والتلف أتعرف ماء ننزل عليه فقال لهم هل رأيتم شجرة من عوسج
عن الطريق فقالوا لا فقال رافع إنا لله وإنا إليه راجعون قد والله هلكتم
جميعكم وكان رافع قد رمدت عيناه فقال لخالد أيها الأمير انظر وأهل ترون
في الطريق أثر أسود فإذا رأيتموه وأشرفتم عليه فاعلموني فلما وصلوا إليه
أعلموا رافع بن عمرو بذلك فرفع ما عمامته عن جبينه وعينيه وسار
على راحلته يمضي يمينا وشمالا والناس حوله إلى أن نظر شجرة من الأراك
فكبر وكبر المسلمون ثم قال احفروا فحفروا فإذا بالماء قد طلع
عليهم كالبحر ففرح الناس عليه وشكروا الله تعالى وأثنوا على رافع خيرا ثم
ثم وردوا الماء وسقوا خيلهم وإبلهم ثم خرجوا في طلب من انقطع من المسلمين
ومعهم السطائح والقرب فسقوهم فرجعت لهم قوتهم ثم لحقوا بالجيش
وأراحوا واستراحوا فقال رافع والله ما وردت هذا الماء إلا مرة واحدة مع
أبي وأنا غلام فقال في ذلك أحد المسلمين

وما سلكها

لله در

لله در رافع اذ اهتدى • فوّز من قراقر الى سُوى •
ارضا اذا ما سارها الجيش بكى • ما سارها قبلك من انس ارى •

قال ثم ان خالد رضي الله عنه اغار بجيشه وجدوا في السير الى ان بقي بينهم
وبين اركة مثل ليلة ومرحلة واحدة فبينما هم سائرون كذلك اذ اشرفوا
على حلة عظيمة عامرة واغنام وابل كثيرة واذا فرسان المستوى فاسرع
المسلمون الى الراعي يستخبرونه من القوم واذا بفتى بيده الخمر والى جنبه
رجل من العرب فاستشهدوا بالغير فتبينوه فاذا به عامر بن الطفيل فاسرع المسلمون
الى خالد يخبرونه بما راوا من عامر بن الطفيل وذلك انه لما خرج خالد من عين التمر
مقبلا الى الشام الى ابي عبيدة يغيث المسلمين الذين معه بالشام يعلمهم بمسيره
اليهم للشام ويقول قد ولاني ابو بكر على جيوش المسلمين فلا تبرح من مكانك
حتى اقدم عليك والسلام وبعث بالكتاب مع عامر بن الطفيل وهو احد ابطال
المسلمين فاخذه عامر وسار يطلب الشام فاصر الى ابي عبيدة ومن معه فوقع
له ما وقع وقال ابو عمر في مصنفه باسناده عن عبد الله ابن قرط
اليماني قال كتب خالد بسم الله الرحمن الرحيم من خالد بن الوليد الى من بارض
الشام من المومنين والمسلمين سلام عليكم اما بعد فاني احمد الله الذي لا اله الا هو
واصلي على نبيه وانا اسال الله الذي اعزنا بالاسلام وشرفنا بدينه ونبيه محمد
عليه الصلاة والسلام ورحمة لنا من ربنا ونعمة سابغة علينا ان يتم ما بنا وبكم
من نعمه فاحمدوا الله يزيدكم وارغبوا الى الله في تمام العافية يعوضها لكم فكونوا
على نعمه من الشاكرين وبامره من العاملين وان كتاب خليفة رسول الله صلى الله عليه
وسلم اتاني يامرني بالمسير اليكم وفرسي تها وكان خيلي قد اطلعت في رجال
فابشروا باتجاز وعد الله وحسن ثوابه عصمنا الله واياكم بالايمان وثبتنا
واياكم على الاسلام ورزقنا واياكم ثواب المجاهدين والسلام عليكم ورحمة الله
وبركاته وكتب كتابا اخر الى ابي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه
يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم الى ابي عبيدة بن الجراح من خالد بن الوليد
سلام عليك ورحمة الله وبركاته اني احمد الله الذي لا اله الا هو اما بعد فاني اسال الله

لأولئك الأمن من الخوف والعصمة في دار الدنيا فقرأ أبان كتاب خليفة رسول قف
الله صلى الله عليه وسلم فأمره بالمسير إلى الشام وبالمقام على جنود دمشق والمتوالي
لأمر فقال فوالله ما كلفت في الطلب منه ولا أردته ولا كتبت فيه وأنت رحمك
الله على حالك التي كنت عليها لا نعصي أمرك ولا نخالف فعلك ولا رأيك ولا نقطع
أمرًا دونك فإنك سيد من سادات المسلمين لا ينكر فضلك ولا يستغنى عن رأيك
تمم الله ما بنا وبك من نعمة الإسلام ووقانا وإياك من عذاب النار والسلام عليك
ورحمة الله وبركاته وبعث بالكتاب مع عامر بن الطفيل الأزدي وهو فارس
من النور فسار عامر بقلب الشام فقبض عليه وأغاثه الله بوصول جيش
المسلمين إليه **قال أبو عبد الله الواقدي** فلما سمع خالد
ذلك من المسلمين أقبل يمشي على جواده حتى وقف عليه فلما رآه تبسم
وقال يا ابن الطفيل كيف كان سبب أسرك فقال له أيها الأمير أغرت على
هؤلاء القوم في الحلة وقد أضناني الحر والعطش فملت إلى هذا الراعي ليسقيني
من اللبن فوجدته يشرب الخمر فقلت يا عدو الله أتشرب الخمر وهو محرم فقال
لي يا مولاي إنها ليست خمر وإنما هو ماء فانزل كي تراه وتستنشق رائحته
فإن كانت خمرًا فاصنع به ما شئت فلما سمعت كلامه أنخت راحلتي ونزلت
عن كورها لأستنشق رائحته فجثوت على ركبتي فإذا بهذا العبد قد عاجلني
بعصا له كانت إلى جنبه وعلاني بها على رأسي فشجني شجة فانقلبت إلى
جنبي فأسرع إلي وأوثقني كتافًا وشدني رباطًا فلما أفقت قال لي أظنك
من أصحاب **محمد** بن عبد الله ولست أدعك من يدي حتى يقدم سيدي من عند
الملك فقلت له من سيدك فقال لي هو الفراح وإن له عشرة أيام كلما مشى فاحضر
أمامه كما ترى وألقى علي فضل كسائه فلما سمع خالد كلام عامر بن الطفيل اشتد
غضبه ومال على العبد وضربه بالسيف على عاتقه فأخرجه يلمع ونهب المسلمون
الإبل والأغنام وقلعوا الحلة بما فيها وأطلقوا عامر بن الطفيل رضي الله عنه وقال له
أين صاحبه قال في عمائمه لم يعلم بها العبد فقال خالد أطلقوا بنا إلى باب
عيونه وسمعه والبصر الحذر فلما بان قال يا كبا عامر جواده وودع خالد الحذر

والمسلمين وسار يطلب الشام وبلغ عامر بن الطفيل كتاب خالد بن الوليد الى ابي
عبيدة فتبسم فلما قراه وقال السمع والطاعة لله ولخليفة رسول الله صلى الله
عليه وسلم ثم اعلم المسلمين بعزله وولاية خالد رضي الله تعالى عنهم اجمعين

قال ابو عمر الطلمنكي فلما قدم عامر بن الطفيل الشام
واجتمع المسلمون اليه وقرا عليهم كتاب خالد ودفع لابي عبيدة كتابه فلما قراه
تبسم وقال الطاعة لله ولخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لنا فيما راى
ودعا خالد ابا السلام وشق على المسلمين عزل ابي عبيدة ولم يكن احد اشق منه على
بني سعيد بن العاص لانهم كانوا استكتوا فقد حبسوا انفسهم في سبيل الله
حتى يظهر الله الاسلام فاما ابو عبيدة رضي الله عنه فلم يتبين في وجهه ولا في شيء
من منطقه الكراهية لامر خالد رضي الله عنه وكان ابو بكر كتب اليه كتابا
يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد فاني قد وليت خالد بن الوليد
لقتال الروم بالشام فلا تخالفه واسمع منه واطع امره فاني قد وليته عليك
وانا اعلم انك خير منه ولست اظن انه خير منك ولكن ظننت ان له فطنة في الحرب
وليبعث لك ان اراد الله بنا وبك سبيل الى قتال والهداية الرحم بن البشير ادو السلام

ذكر حروب ارقة والطينة وتدمر

قال ابو عبد الله الواقدي رحمه الله لما رحل خالد
رضي الله عنه ارتحل من موضعه ذلك ونزل فارك ونحو ارض المعازة لمن
يخرج من العراق وكانت الروم تكمن فيها القوافل وكان عليها بطريق من قبل
الملك فغار خالد عليها واخذ ما كان حولها وتحصن اهلها وكان يسكن فيها
حكيم من حكماء الروم واسمه سمعان وكان قد طالع الكتب السالفة واخبار
الامم الماضية وتواريخ الملاحم والوقايع الاتية فلما راى المسلمين وجيشهم
انخلع قلبه وتغير لونه وقال قرب الوقت وخرج بنفسه فقال له اهل اركة
وكيف ذلك فقال لهم عندي صحيفة فيها ذكر ملاحم تقاولاء القوم وان اول راية
تنشر من العراق ومن خلفهم تلك الراية المنصورة وفيها هلاك الروم فانظروا
فان كانت لهم راية سوداء وامير بهم عظيم اللحية طويل ضخم معه المناكب

واسع الفكر في وجهه اذ جرى اسم اللون فيقوا صاحبا جيوشهم في الشام
وعلي يوم فتح الفتح وقال غيره لم يكن في العرب اشجع منه الا فارسان الواحد فتى
القوم والآخر ابن عم نبيهم وهذا كتبعه الأمم والسما تغيثه ولو دمومة وزالة
في اليوم سيف الشجاعة فما الكم بعضا منه كافة ابن يعني بذلك خالد بن الوليد
رضي الله عنه وكان رضي الله عنه وارضاه يقول القرآن منعني كثيرا من القرآن
الجهاد في سبيل الله عز وجل وكان كثيرا ما يقول ايضا ما ليلة تهدى الي فيها
عروس وانا لها محب وابشر فيها بغلام احب الي من ليلة باردة كثيرة الجليد
شديدة البرد وانا في سرية اصبح فيها العدو فيشير الى ان الجهاد كان احب
اليه من العروس والغلام بعد الولد فقال بعض القوم وابالي ابت على راس
خالد وهو كما قال حكيمهم سمعان فاجتمعوا الى بطريقهم وقالوا له اما انك
انت تعلم ان الحكيم سمعان لا ينطق الا بالحكمة ولا يقول الا الحق وقد قال كذا وكذا
والرأي وصفنا لنا ان ابناء عبادنا ونرى من الرأي ان نعقد بيننا وبين هؤلاء القوم
من العرب صلحا ونامن على انفسنا وحريمنا فلما سمع بطريقهم بذلك قال لهم
اخروني الى صبيحة غد لننظر رايه فاذهبوا عنه وبات البطريق يفكر
نفسه ويدبر امره ويعمل مراده وكان عاقلا عارفا بالأمور فقال ان انا
خالفت هؤلاء القوم خفت ان يسلموني الى العرب من قبلهم وقد تحقق عندي
ان ويعمر سار الى شي رذمة قليلة من العرب بفلسطين فهزموه ومن معه
وقتلوا منه مقتلة عظيمة ووقع الرعب في قلوب الروم فلم يعلموا بعد ذلك
ابدا لم يزل يقلب رايه ويدبر نفسه الى ان اصبح الصباح فعند ذلك دعا
قومه وقال لهم ماذا عولتم من الامر فقالوا عولنا على صلح العرب وفقهم فانا
دامين فقال لهم البطريق فو انا واحد منكم وفي اوليكم ومهما فعلتم امرا
فلا اخالفكم فيه ثم خرج معنا الى ان اتى الى خالد بن الوليد رضي الله عنه و
كلموه في الصلح فاجابهم الى ذلك والان لهم في القول من كلامه وتلقاهم
بالرحب ليسمع غيرهم فيهم ممن سمع منهم من ذلك اهل الصحينة وايلة
والغير يشيرون ويطمعون ويسلمون ما السيء عن هم ويفعلوا فعلهم قال خالد

اصالحكم

اصالحكم على انا نذب عنكم ومن دخل في ديننا قبلناه ونصبناه ومن بغى
على دينه فنعنا منه بالجزية قال وبلغني انه صالح اهل اركة على الفي درهم
من الفضة والفي دينار من الذهب ثم كتب لهم كتاب الصلح قال ولم يبرح من
مكانه ذلك حتى صالحه اهل السخنة وايلة قال وبلغ الخبر لاهل تدمر
وكان الوالي عليهم بطريق اسمه كركي فجمع رعيته اليه وقال لهم قد بلغني
عن هؤلاء العرب انهم قد فتحوا اركة والسخنة وايلة والقرى قبل وعفوا عنهم
صلحا وان قومنا يتمرسون بقربهم وحسن سيرتهم وانهم لا يطلبون الفساد
وقد احصنتنا ما نع ولا سبيل لاحد علينا ولا كنا نخاف على زروعنا ونخلنا وما
يفنى ان نصالح العرب فان كان قومنا هم الكاذبون وسمعنا صلحهم وان كانت
الدولة للعرب بكنا امنين في بلادنا منهم ومن غيرهم فقال قومه نفعل وقالوا
له نعم هو الراي فهيئوا العلوفة ولعدوا الضيافة حتى نزل خالد عليهم فخرجوا
اليه بالحرمة وقابلوه بالضيافة فقبلنا منهم وطلبوا منهم الصلح فصالحهم
على ثلاث مائة وقية من الذهب والفضة وكتب لهم كتاب الصلح ثم اشترى
منهم زادا وعلفا وارتحل عنهم الى ارض حوران وكانت على يديه رضي الله عنه
الرحمات والفتوحات بالصلح والسيف وقد جعله الله عزا قوي به
الاسلام نفع الله به وجدد عليه مغفرته واحسانه ورحمته ورضوانه امين

ذكر حروب حوران قال ابو عمر في قصته

باسناده عن سراقة بن عبد الاعلى انه قال لما تم صلح اهل تدمر مع خالد بن
الوليد ورحل عنهم من في طريقه ذلك على ارض حوران تخافوه وهابوه
واحتاز اكثرهم منه وتحصنوا في مدينتهم فاغار عليهم فسلب الاموال
وقتل الرجال واقام عليهم اياما فبعثوا الى صاحبهم لهم وهو واحد وهم
من مكاتبه مع بعلبك مددا ومن مدينة بصرى جاءهم مدد ايضا وهي
مدينة عظيمة من بلاد حوران فلما راى خالد المدد قد اقبلا صفف الناس
ثم نجد بنفسه في مائتين فارس فحمل على اهل بعلبك وهم اكثر من
الفين وحمل بعضهم على بعض وقتل منهم مقتلة عظيمة فما وقفوا الا ساعة

حتى انتهوا ودخلوا المدينة ثم انطلق يركض بأصحابه حتى إذا كان
بحذاء مدد أهل بصرى وإنهم لأكثر من العدد أيضا فاستعرضهم ثم حمل عليهم
فلم يثبتوا وانتهوا الى اصحابهم ودخلوا المدينة قال وخرج أهل
المدينة يرمون المسلمين بالنشاب فحمل عليهم فألجأهم في المدينة وانتهوا
ثم انصرف خالد عنهم فلما كان من الغد خرجوا أيضا فقاتلوا فشد عليهم خالد
شدة فهزمهم بعضهم أيضا فلما رأوا أنهم عجزوا عنه وأنهم لا طاقة لهم بقتاله
وجهوا به فصالحوه **حدثني** عمر بن محصن قال حدثني علج من أهل
حوران وكان من شجعانهم وأشدائهم بأسا قال والله لقد خرجنا الى خالد بن والشد.
الوليد بعد ما جاءنا مدد أهل بعلبك ومدد أهل بصرى ونحن أكثر من خالد
وأصحابه بعشرة أضعافهم فلما دنونا منهم ثاروا في وجوهنا بالسيوف كأنهم
الأسد الضارية فما ملكنا الا هزيمة وكسرة وما أقبح كسرة وقتلونا
أشد مقتلة فما عدنا نخرج إليهم حتى صالحناهم **ولقد رأيت** رجلا منا
كان يعد في ألف رجل وكان يقول لئن رأيت أميرهم لأقتلنه فلما رأوا خالدا قالوا
له هذا خالد بن الوليد أمير القوم فحمل عليه العلج وأنا أرجو أن يأسره ويشده
أو يقتله فما هو إلا أن دنا منه همز خالد فرسه وحمل عليه وكان خالد رضي الله
عنه إذا كان الحرب يدنو ويعظم في عين من يلقى إليه فاستقبل العلج واستعرض
وجهه بالسيف فإذا كان نصف وجهه وقد يوجد رأسه فقتله أشد قتلة
وإنه منا لفي هزيمة فما عدنا نخرج إليهم وما كان لنا بد من الصلح فصالحناهم
قال وفتح الله تعالى على يد خالد بن الوليد رضي الله عنه كلما مر به
من بلاد الروم ووقع خوفه في قلوبهم أكثر مما وقع خوف غيره من المسلمين
والله تعالى يؤيد بنصره من يشاء

ذكر فتوح بصرى

قال أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن محمد الواقدي رحمه الله
كانت بصرى مملوءة بالخلق معمورة بالناس وكان فيها اثنا عشر ألفا من المقاتلة
وكان عليها بطريق عظيم القدر عند الملك هرقل وعند الروم وكان اسمه

روماس

روماس قرأ الكتب السالفة واخبار الامم الماضية وكان عظيم الخلقة
وكانت الروم تجتمع اليه من اقطار بلادهم ينظرون الى عظيم خلقته و
يستمعون من الفاظه حكمته ويستفيدون من علمه وكانت العرب تقصد
اليه ابضاعاتهم وتجاراتهم من اقطار اليمن والحجاز فاذا كان في ايام الموسم ينصب
له في بعض كرسي من حرير ليجلس عليه ويجتمع الناس اليه لعظيم خلقته و
جثته ويستفيدون من علمه فبينما هو كذلك ذات يوم اذ وقعت
الصيحة بقدوم العرب اليهم بعساكرهم وكان ابو عبيدة وجه شرحبيل بن
حسنة كاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بصرى في اربعة الاف فارس من
المسلمين فلما راى ذلك البطريق وثب الى جواده في موكبه فسار حتى نزل
بفنائها فلما راى ذلك البطريق وثب الى جواده في موكبه وصاح بقومه فاجابوه
وقال لهم لا تعجلوا حتى نرى القوم ونسمع ما عندهم وما يقولون ثم سار
حتى قرب من جيش شرحبيل بن حسنة ومعه بعض قومه فلما قرب من المسلمين
خرج فلما منه وقال يا معشر العرب انا روماس صاحب بصرى وانا اريد صاحبكم
فخرج اليه شرحبيل بن حسنة رضي الله عنه فلما قرب منه قال له البطريق من انتم
قال له شرحبيل نحن من اصحاب محمد بن عبد الله رسول الله صلى الله عليه وسلم
النبي الامي المكي والمبعوث في التوراة والمنعوت في الانجيل قال روماس وما فعل قال
شرحبيل قبضه الله اليه واختار له ما لديه قال روماس فمن ولي الامر من بعده
قال شرحبيل ولي الامر من بعده عبد الله عتيق بن ابي قحافة ابو بكر الصديق رضي الله
عنه من تيم بن مرة بن كعب بن لؤي افضل خلق الله من بعد رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال روماس وحق ديني لقد نعلم انكم على الحق ولا بد لكم ان تملكوا
الشام والعراق ونحن نشفق عليكم اذ انتم في نفر يسير ونحن في جمع كثير
فالاكرم ارجعوا الى بلادكم فانا لا نتبع ذراريكم واعلم يا اخا العرب اني انا
بعثت صاحبي وصديقي ولو كان حاضر المآل ما تكلمني فقال شرحبيل لو كان ابن
عمه او ولده ما عفا عنه الا ان يكون من اهل ملته ودينه وليس له من الامر شيء
لانه مكلف وفرائض الله تعالى في الذي انزل على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم ان يجاهدكم

ا.ا العيد

ولسنا نبرح عنكم الا باحدى ثلاث خصال اما ان تدخلوا في ديننا او تؤدوا الى
الجزية او القتال فقال روماس وحق ما اعتقد من ديني لو كان الامر لي لما
قاتلتكم لاني اعلم انكم على الحق ولكن هؤلاء كهول اغنياء الروم قوم مجتمعة
ولي ان ارجع اليهم واعلمهم ما عندكم وانظر ما عندهم فقال شرحبيل فلا بد لكم
مما ذكرت لك ولا مندوحة لكم مما قلته اليك اما الاسلام او الجزية
او القتال فعاد روماس الى اهله وقومه وجمعهم حوله وقال لهم يا اهل
دين النصرانية وبني ماء المعمودية اعلموا ان الذي كنتم تجدونه في كتبكم من
خروج العرب الى بلادكم ونهب اموالكم وقتل بطارقتكم وابطالكم وملوككم
واخباركم قد قرب ووصل وهذا وقته وزمانه ولستم باعظم خيلا وجيشا
من الملك هرقل فبيس بانه سار الى مشرذمة قليلة من هؤلاء العرب في ارض
فلسطين فقتل وقتل اكثر من كان معه من جيشه واصحابه وانهزم الباقون
وقد بلغني ان رجلا منهم قد خرج من ارض السماوة من قبل العراق اسمه خالد بن
الوليد وهو صاحب الحرب والشجاعة وقد فتح اركة والسخنة وتدمر وحوران
وهو عن قريب يصل اليكم ويهجم عليكم والصواب ان تؤدوا الجزية لهؤلاء
العرب وينصرفوا عنا فلما سمع قومه ذلك منه قد تشوشوا عليه وهموا
بقتله فقال لهم روماس يا قوم انما اردت ان اختبر حميتكم لدينكم والان
دينكم والقوم وها انا على رايكم وفي اولكم فقال قد خرجت الروم في عددها
وعددها وتضاهوا بالدروع والبيضات وتهيبوا للحملة فلما راى ذلك
شرحبيل وعلوا اصحابه وقال لهم اعلموا ان المصطفى صلى الله عليه وسلم
قال الجنة تحت ظلال السيوف واحب شيء الى الله قطرة دم في سبيل الله او د
معة جرت من خشية الله فاصبروا الغزو وارموا السهام ولتكن مجتمعة فانها
تصيب وقل سهم منها ان يخيب ثم قرا يا ايها الذين امنوا اتقوا الله حق
تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون ثم حمل وحمل المسلمون معه على جيش بصرى
قال ابو ماجد بن رويم العبسي كنت في جيش شرحبيل بن حسنة
حين قاتلنا اهل بصرى وقد جمع بيننا العدو وحملوا علينا وهم في اثني عشر الفا

من الروم
ونحن

من الروم ونحن في وسطهم كالشامة البيضاء في جنب البعير الاسود فصبرنا
لهم حتى من جرب الموت والدار الاخرة ولم يزل القتال بيننا وبينهم الى ان توسطت
الشمس في قبة الفلك ولقد زاد طمع العدو فينا وكلبوا علينا فاذا بشرحبيل بن
حسنة وايديه قد رفع يديه الى السماء وهو يقول يا حي يا قيوم يا بديع السماوات
والارض يا ذا الجلال والاكرام اللهم انك قد وعدتنا على لسان نبيك بفتح بلاد
فارس والشام فانجز اللهم من يوحدك على من يكفر بك وانصرنا اللهم على القوم
الكافرين قال ماجد بن رويم فوالله ما استتم شرحبيل كلامه
من دعائه حتى جاءنا النصر من الله تعالى وذلك ان الروم داروا بنا وطمعوا
فينا وحدثتهم انفسهم بالوصول الينا وبالغلبة علينا اذ راينا غبرة قد
اشتقت علينا ولاحت للناس ناحية حوران كانها قطعة الليل فلما قربت منا
راينا تحت سوابق الخيل ولاحت لنا الاعلام والرايات وقد سبق الينا فارسان من
الخيل احدهما ينادي يا شرحبيل ابشر بنصر الله تعالى انا الفارس الضرغام انا
انا البطل المشهور انا خالد بن الوليد وقال الاخر انا الشجاع مبادر في الحرب والقادم
بالنصر وانا عبد الرحمن بن ابي بكر الصديق فلما راى المسلمون خالد بن الوليد
كان ذلك اشهى اليهم من الدنيا وما فيها وانشقت لخم وجذام وجاءت
مواكب في ساقة جيش الزحف واقبلت راية العقابية المسماة براية العقاب
يحملها رافع بن عميرة الطائي قال حدثني سالم بن عدي بن عمرو بن رفاعة
بن حسان العامري عن ميسرة بن مسروق العبسي قال والله لقد سمعت
اصوات الروم عند صيحة خالد بن الوليد رضي الله عنه واقبل المسلمون
يسلم بعضهم على بعض واقبل شرحبيل على خالد فسلم عليه وقال له يا شر
حبيل اما علمت ان هذه مواضع الشام والحجاز والعراق وفيها اجتماع عساكر
الروم واجنادها وبطارقتها فكيف غررت بنفسك وبمن معك فقال شرحبيل
بن حسنة ذلك بامر ابي عبيدة فقال خالد اما ان ابا عبيدة رجل مستسلم
وليس عنده غائلة الحرب ولا علم بمواقعها ولا معرفة بمواضعها ثم امر
الناس بالراحة فنزلوا وواسى الناس بعضهم بعضا من ازوادهم فلما كان

من الغرب زحفت جيوش مصر والشام فقال خالد ان القوم قد زحفوا الينا لعلمهم
بتعبنا وتعب خيلنا اركبوا على بركة الله وعونه فركب المسلمين واخذوا اهبـ
اهبتهم للحرب وقد قسمهم خالد بن الوليد فجعل في الميمنة رافع بن عمرو الطائي
وجعل في الميسرة ضرار بن الازور بن طارق الكندي وكان غلاما فتاكا في الحرب
قد ذكرت شجاعته وظهرت براعته وعرفت جسارته وجعل على الرجالة
عبد الرحمن بن حميد الجمحي ثم قسم جيشه الزحف على شقين فجعل على
الشق الواحد المسيب بن نجبة الفزاري وعلى الشق الاخر مذعور بن غنيم الاشعري
وامرهم ان يرسلوا الخيل على الخيل اذا حمل بنفسه ووقف خالد رضي الله عنه
يعظ الناس ويوصيهم وعبد الرحمن بن ابي بكر الصديق رضي الله عنه كذلك
وان الناس لعلى ذلك وقد عزموا على الحملة واذا بصفوف الروم قد انفتحت
وخرج منها فارس عظيم الهيكل يمشي الى بينه يلمع ما عليه من الذهب واليا
قوت والجوهر فلما توسط الجمعان قال بلسان عربي فصيح كانه بدوي يا
معشر العرب بالامين الى الا اميركم فانا طالب نصحه قال فخرج اليه خالد بن
الوليد رضي الله عنه وقرب منه فقال له البطريق انت امير هذا الجيش قال له
خالد كذا يزعمون واني اميرهم ما دمت على طاعة الله عز وجل وطاعة رسوله
صلى الله عليه وسلم فان انا عصيته او بدلت او غيرت فلا طاعة لي ولا امارة قال
روماس انا رجل عاقل في الروم ومن ملوكهم وان المولى يقع على صاحب بصيرة
وعلم وانه قد قرات الكتب السابقة والاخبار الماضية فوجدت ان الله تعالى
يبعث نبيا عربيا هاشميا واسمه محمد صلى الله عليه وسلم قال خالد رضي
الله عنه هو نبينا قال اوانزل عليه كتاب قال خالد نعم واسمه القرآن قال
روماس احرمت عليكم الخمر قال خالد نعم ومن شربها منا حددناه ومن زنى
منا جلدناه وان احصنا رجمناه قال روماس افرضت عليكم الصلاة قال خالد
نعم خمس صلوات في اليوم والليلة قال روماس افرض عليكم الصيام قال خالد نعم
شهر في السنة واسمه رمضان قال روماس اوتحجوا البيت قال خالد نعم من
استطاع اليه سبيلا قال روماس افرض عليكم الجهاد قال خالد نعم ولولا

ذالك

ذالك ما جئناكم نبغوا عليكم ونبتغي قتالكم قال روماس والله لقد اعلم
انكم على الحق وان الحق معكم واني احبكم وقلبي معكم ولقد حذرت قوم منكم
فابوا ان يقبلوا واني خايف عليهم منكم قال خالد قل آمنت ان لا اله الا الله
وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله حتى يكون لك ما لنا وعليك ما
علينا قال روماس اني ان اسلمت خفت ان يقتلوا القتلى ويسبوا حريمي ولاكن اسعى
الى قومي واحذرهم وارغبهم فلعل الله تعالى ان يهديهم فقال له خالد ان رجعت الى
قومك دون قتال بيني وبينك خفنا عليك منهم ولاكن احمل علي واحمل عليك حتى
لا يتهمونك فبعد ذالك اقبل قومك قال فحمل بعضهما على بعض واريا المعشر من
ابوابا من الحرب باشتا انهزم روماس وقال لخالد تشد على حتى اولي الدبر فانه جاءكم
منهم وقد بعث الملك معونة له واسمه الدرجان فقال خالد فتح الله عليه
وعليهم ثم شد على روماس حملة حتى انهزم بين يديه الى قومه وقصر خالد
عن طلبه فلما وصل روماس الى اصحابه قالوا له ما الذي رايت حتى انهزمت قال
يا قوم ان العرب اجلد منكم ولا فيكم من يقدر على قتالهم ولا بد لهم ان يملكوا الهم
او يملكوا الشام وما تحت سرير الملك فاتقوا الله وادخلوا تحت ذمتهم وكونوا
لهم كاهل ان كنتم الفتنة وقد نصحت وحذرت واني ناصح لكم فلما سمعوا انه الدمس
كلامه زجروه وارادوا قتله لولا خوفهم من الملك هرقل وقالوا له ادخل المدينة
والزم قصرك ودعنا لقتال العرب فانصرف عنهم روماس وكان ذالك بغيته
ومراده فقال العلج اللهم ان يمضي خالد فاسير معه باهلي حيث سار ثم ان اهل
بصرى وكلوا على انفسهم الدرجان وقالوا له ان تمضي اذاهم عنا من قتال العرب
سر فامضي الى الملك ونسئله ان يعزل عنا روماسا ويوليك علينا فانت اعظم
جلدا واكثر عقلا فقال الدرجان وما الذي تريدون ان نفعل فقالوا له تحمل وتطلب
قتال اصحاب القوم فان انت كفيتنا امره فقد انهزم القوم قال فخرج الدرجان فلا منه
وزينه وزينته وطلب خالد للبراز فاراد خالد ان يخرج فقال عبد الرحمن بن ابي بكر
الصديق رضي الله عنه لخالد انت الامير وقد اصابك وسعد بك الاسلام وقوا
منا وقوام الجيش بك فانا لهاذا العدو دونك ثم خرج عبد الرحمن رضي الله عنه

الهوقي

وحمل على الدرجان لعنه الله وحمل بعضهما على بعض وتطاولت اعين الخيل بغير الهيا
فما لبث الدرجان مع عبد الرحمن غير ساعة واحدة حتى انهزم امامه وحسر من
نفسه التقصير فولى هاربا منهزما وكان جواده اسبق من جواد عبد الرحمن فما
تخلص من يديه الى قومه فلما وصل اليهم قالوا له ايها السيد ما الذي ردك عن قتال عدوك
فقال اخذتني شوكة فلم اقدر على الثبات فوليت ولكن احملوا انتم عليهم فالقى
الله تعالى الرعب في قلوبهم وادركهم الفزع وداخلهم الهلع والجزع فلم يقدموا
على ذلك ولم يجسر احد منهم على الحملة فعلم خالد ما عند القوم فحمل وحمل
عبد الرحمن بن ابي بكر الصديق واتبعهما رافع بن عميرة الطائي والمسيب بن نجبة
الفزاري وعبد الرحمن بن حميد الجمحي وضرار بن الازور بن طارق الكندي وقيس بن
هبيرة المرادي وشرحبيل بن حسنة وسائر المسلمين ولما نظر اهل بصرى
الى ذلك من المسلمين ومن حملتهم لم يكن لهم صبر على قتالهم فاستقبلوهم
وصاحت الاجراس والنواقس على سور بصرى وضجت الرهبان والاقسة
بكلمة الكفر فقال شرحبيل بن حسنة اللهم ان هؤلاء الارجاس يبتهلون
اليك بكلمة الكفر ويدعون معك الها اخر ونحن نبتهل اليك بلا اله
الا انت وندعو بنبيك محمد عليك صلى الله عليه وسلم الا انصرتنا على اهل
دعاة الوثن على اعدائك المشركين الكافرين وامن الناس على دعائه ثم حملوا
حملة واحدة حتى لحقوا اهل بصرى الى السور فرايتهم فلم يكن للقوم مع العرب
ثبات فولوا الادبار وركنوا الى الفرار والمسلمون في اعقابهم حتى ادخلوهم
المدينة ووقع القتل في القوم حتى بقيت الارض مملوءة من القتلى وقتل
بعضهم بعضا على الابواب فلما حصلوا في المدينة شدوا الابواب وتحصنوا
بالسور ووقفوا عليه وجعلوا مراكزهم على الابراج والابواب ورفعوا
البوارق والصلبان وحصنوا انفسهم وعولوا ان يكتبوا الى ملكهم ليمدهم
بالرجال والخيل قال عبد الرحمن بن رافع لما تحصن القوم منا
واغلقوا الابواب وعلوا على اسوارهم رجعنا عنهم وافتقدنا اصحابنا فو
جدنا قد قتل من اصحابنا ثلاثون رجلا اكثرهم من بجيلة وهمدان وقتل

من اعدائنا

من اعيانها يزيد بن حرملة وكان حليفا لثقيف وعمرو بن علي بن رفاعة ومازن
ابن عوف وسهل بن ياسر وجابر بن مرارة والربيع بن عامر وعباد بن بشير رحمة
الله تعالى عليهم فقد ختم الله لهم بالشهادة وغنم المسلمون الغنائم والاموال
والسبايا وانواع الامتعة والسلاح وصلى خالد على الشهداء ثم امر بدفنهم قال
فلما جن الليل ومضى منه ربعه او نحوه وتولى حرس المسلمين عبد الرحمن
بن ابي بكر ويعمر بن راشد ومالك بن الحارث الاشتر النخعي وامثالهم ومائة من
جيش الزحف فبينما هم يدورون حول الجيش اذ حرنت الخيل واذا انا وقعت
بفتح واذا برجل من الروم عليه مسوح الشعر فاسرع عبد الرحمن بن ابي بكر
اليه وهم ان يقبضه فقال له امسك عليك فانا صاحب بصرى فاخذه واتى به
الى خالد بن الوليد واوقفه بين يديه فلما رآه خالد عرفه فقال له خالد روماس
قال نعم ثم قال ايها الامير ان قومي كرهوني وقالوا الزم قصرك والا قتلناك
فلزمت قصري وهو متصل بالسور وملاصق به فلما جن الليل امرت غلماني
واولادي فحفروا في السور حتى فتحوا فيه بابا فخرجت منه وجئت اليك
لتبعث معي من تثق به من اصحابك فيمضي وادخله المدينة حتى يملكوها ان شاء
الله تعالى فلما سمع خالد قول روماس سجد لله تعالى شكرا وامر عبد الرحمن
بن ابي بكر ان ياخذ مائة رجل ممن يثق بهم ويمضي مع روماس وامره عليهم
قال ضرار بن الازور وكنت ممن دخل المدينة مع عبد الرحمن فلما
سرنا في قصر روماس فتح لنا خزائنه وقال لنا ادخلوا في زي القوم والبسوه
فلبسنا زيهم في الحين ثم قسمنا وفرقنا على اربعة اركان المدينة من كل جانب
خمسة وعشرون رجلا وقال لنا عبد الرحمن بن ابي بكر اذا سمعتم تكبيرتي فكبروا
ومن ناحيتي امرنا فلما سمعنا ذلك اخذنا على انفسنا لقاء القوم واشعر الله الاسلام
بامارة خالد بن الوليد رضي الله عنه بهذه المدينة المباركة ولقد بلغني
عن من اثق به من الرواة ان عبد الرحمن لما جاء واصحابه على جانب بصرى لبس
لامته وتدرع وكذلك فعل روماس واشتمل شملة حميرية واعطى لعبد
الرحمن سلاحه فالقاه على لباسه وامسك سيفه تحت الذي من وسطه كلاهما

في برج البحر الذي عليه الدرجان واصحابه وقد كانوا في الجانب الذي فيه
عبد الرحمن ورومانس واتبعهما رافع بن عميرة وشرحبيل بن حسنة وضرار بن الازور
والمسيب ابن نجبة ومثل هؤلاء فلما قرب رومانس وعبد الرحمن من البرج نظر
اليهما اصحاب الدرجان وشخصوا نحوهما فنظر اليهما الدرجان فعرفه وقال
لما بنفسه من انتما فقال رومانس انا رومانس البطريق فقال له لا اهلا بك
ولا مرحبا ما الذي جاء بك في هذا الوقت ومن هذا الذي معك فقال رومانس ان هذا
الذي معي صديق لك ومشتاق الى لقائك فقال الدرجان ويحك ومن هو فقال له
عبد الرحمن بن ابي بكر الصديق وهو صاحب محمد رسول الله وقد اقبل اليك
في ان يبعث في وجهك ويبعث بك الى الهاوية قال فلما سمع الدرجان كلامه
وفهم ذلك من قول رومانس هم ان يدنو اليه ويهجم عليه فلم يتكامل حتى نفسه
فعاجله عبد الرحمن بسيفه وجرده في وجهه وبقي له عليه وضربه على عا
تقه فاجدله صريعا في الارض قتيلا قال وكبر عبد الرحمن عند قتل الدرجان
واجابه رومانس وسمع الصحابة التكبير فكبروا من جوانب بصرى واجابتهم
بذلك التكبير الاحجار والجبال والاوعار واغصان الاشجار وصنوف الاطيار
والصالحون من العباد والاحبار والى بقيل الاخيار الاتقياء الاطهار العلماء الابرار
وقالوا الاهنا ما احب سماع ذلك ومن لنا ان نقوم بحقيقة شكرك وقد
اسمعتنا كلمة التوحيد واريتنا وجوه اهل التسبيح والتحميد وفعل
اهل الشكر والتمجيد قال ولما كبر المسلمون من جوانب بصرى ووضعوا
السيف في القوم اجابهم خالد ومن معه من كان في المدينة وزحفوا نحوهم واذا
بغلمان رومانس واولاده قد فتحوا اليهم باب بصرى فدخل خالد ومن معه فلما
نظر اهل بصرى الى مدينتهم قد فتحت ودخلت بالسيف فيها ضربوا با
جمعهم وفتحت النساء والاطفال والبنات وهم يقولون العفو العفو فقال خالد
ما الذي يقولون فقال رومانس انهم يطلبون منك الامان فقال خالد ارفعوا عنهم
السيف حتى رفعوا عنهم السيف واقام خالد الى ان اصبح فاجتمع اليه اهلها
وقالوا العرب لعناكم ما كان شيء من هذا فقال خالد رحمكم الله لا بد فقالوا

نصارى

نسالك بالذي ايدك علينا ونصرك من دونك علينا ومن فتح لك مدينتنا ان تستعملها
خالد ان يقول روماس فوثب روماس وقال انا يا اعداء الله واعداء رسوله فعلت بكم
ذالك ابتغاء مرضات الله وجهادا فيكم فقالوا له ولست منا فقال اللهم لا تجعلني منهم
انا كافر بالصليب ومن عبادته وبمن عبده رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبالكعبة
قبلة وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولا وبالقرءان اماما وبالمسلمين اخوانا
قال فعجبوا من كلامه واغتاضوا عليه واهموا به ثم علم بذالك روماس
ثم قال لخالد الان بلغ عندهم جاءه انسبي معك حيث تسيبي فاذا فتح الله
البلاد على ايديكم وطار النشاط اليكم فانكم تردون اليها الان الوطن مالوف والمرء
به مشغوف **قال الحريثي** معمر بن سالم عن جده اجيمة بن
مسروح قال كان معنا روماس في مواطن كثيرة في كلها يجاهد جهادا احسنا
حتى فتح الله الشام وكتب ابو عبيدة بن الجراح الى ابي بكر او عمر بن الخطاب
في ايامه فولياه علينا فلم يلبث الا يسيرا حتى مات رحمه الله وترك عقبا يعرفون به
ثم ان خالد امر رجالا يعتنوقه على اخراج وركبه من المدينة ففعلوا ذالك فقال
واذا بزوجته تخاصمه وتطلب فراقه فقال لها المسلمون ما الذي تريدين من قالت
اريد ان امضي جيش العرب فحكم بيننا فجاءوا بها الى خالد واستغاثت به عليه فقال
رجل من القوم من يعرف لسان الروم والعرب انها تستجير بك على روماس
فقال للترجمان قل لها كيف ذالك فقال لها الترجمان وكيف ذالك قالت تعلم اني
كنت البارحة نايمة اذ رايت في منامي شخصا بهيا جميلا ما رايت احسن من
طلعته وكانما البدر يطلع ما بين عينيه وكانه يقول لي ان هذه المدينة تفتح على
يد رجال القوم والشام كله والعراق فقلت من انت قال انا محمد بن عبد الله
ثم دعاني الى الاسلام فاسلمت وعلمني سورتين من القرءان فحدث الترجمان خالدا بما
سمع منها فتعجب خالد من ذالك وقال للترجمان قل لها تقرا فقال لها ذالك فقرات
الحمد لله رب العالمين وقل هو الله احد الى اخرهما ثم جددت الاسلام على يد خالد بن الوليد
وقالت اما ان يرجع عن دينه لهذا الدين واما ان يتركني قال فضحك خالد من قولها
وقال سبحان الله والحمد لله الذي وفقكما وهديكما جميعا الى دينه ثم قال للترجمان قل لها

انه قد اسلم قبلك فقاتل الاعداء التي جاءت الى ذلك في حين ثم عطفا عليهم خالد
وصالح اهل بصرى ولم يتعد فيهم على ما اراد واقرار اهل ان يكون له فيها وزيرا ودارا
يلجا اليهم ثم ولى عليهم من اتفقوا رايهم عليه ثم كتب كتابا الى ابي
عبيدة بن الجراح يعلمه بالفتح ويبشره به ويخبره بامره ويقول له قد ارتحلت
الى دمشق والحقني ثم كتب كتابا اخر الى ابي بكر الصديق يخبره بما جرى له
عن العراق يعلمه انه قد اعان على فتح القادسية ويقول في كتابه وانه قد سار
كما امرتني الى الشام وقد فتح الله على يدي اركة والسخنة وتدمر وحوران
وبصرى ويوم كتبت لك هذا الكتاب ارتحلت الى دمشق وانا اسال الله
النصر والسلام عليك وعلى من معك من المسلمين ورحمة الله وبركاته ثم
بعث بالكتابين وارتحل الى دمشق فما ياتي اليها ولا يمر بها بشيء رضي
الله تعالى عنه وارضاه وجعلنا في حماه

ذكر حروب دمشق

قال ابو عبد الله الواقدي رحمه الله تعالى ورضي عنه ولما صالح خالد اهل
بصرى وسكنهم في بلدهم وارتحل عنهم الى دمشق سار في طريقه حتى اشرف
على موضع يقال له الثنية فوقف هنالك وركز بها رايته المسماة بالعقاب
فسميت الثنية من ذلك اليوم ثنية العقاب ثم ارتحل منها الى الغوطة ونزل بالدير
ويعرف الى يومنا هذا بدير خالد وكان اهل السواد قد لجؤوا الى دمشق
وقد اجتمع فيها امم لا تحصى من الرجالة واما الخيل فكانوا اثني عشر الفا وقد
زينوا اسوارهم بالاعلام والصوارى والصلبان والمجانيق واعدوا الات الحرب
والحصار ولقد بلغني انهم كانوا يخرجون في كل يوم على باب الجابية الى سبع
ينتظرون قدوم العرب بالدير مع ابي عبيدة حتى جاءهم خالد بن الوليد من الثنية
كما ذكرنا واقام خالد بن الوليد نازلا بالدير ينتظرون قدوم ابي عبيدة ومن معه
من المسلمين وكان قد نفذ اليه وان الاخبار اتصلت بالملك هرقل وما فتح خالد
وكيف توجه الى دمشق وسيره اليها فجمع البطارقة اليه وقال يا بني الاصفر
قد قلت لكم وحذرتكم فابيتم وهؤلاء العرب قد ملكوا حوران وبصرى وتدمر

تكم قف

وارثة والصحنة وقد توجهوا الى بوه وهي دمشق فلما فتحوها ابوا اكرباه
وواعمالها لانها جنة الشام وقد بعثت اليها الى اهلها الجيوش والعساكر وهم
اضعاف من العرب ثم قال انكم تتوجه الى قتالهم وتكفيني امرهم فان هزمتهم
اعطيته ما فتحوا احكما وخرج اجا فقلع اليه بكلي بوم من بكا وقته يقال له كلوص بن حنة
وكان من ابطال الشام وشجعانهم وقد بين شجاعته وعرفت براعته في عسكر
الغرس لما نصروهم وقال ايها الملك انا اكفيك امرهم واردهم على اعقابهم
فسلم اليه الملك صليبا من الذهب وضم اليه خمسة الالاف فارس من الروم وقال
له قدم صليبك امامك فهو ينصرك فاخذه كلوص ابن حنة وسار من يومه
من انطاكية الى ان وصل مدينة حمص فوجدها مزينة مزينة بالسلاح والعدد
والعدو فلما بلغ اهلها خبر قدومه خرجوا الى لقائه ليسلموا عليه وقدموا
الاقسة والرهبان امامهم بالمباخر والعود والند والانجيل على صدورهم
فلما وصلوا اليه قدسوا من اكبه ورشوا عليه من ماء المعمودية ودعوا
له بالنصر والسلامة واقام عليهم يوما وليلة ثم ارتحل منها ثم ارتحل منها
الى مدينة حوشية فيعل به اهلها كما فعل به اهل حمص ثم ارتحل منها
الى مدينة بعلبك فخرج اليه اهلها ونساوها لاطمات الخدود فاسرات الشعور
فقال لهم ما لي اراكم على هذه الحالة والهيبة وما وراءكم فقالوا له وكيف
لا نكون كذا وقد قتل مقدمنا عندنا اهل حوران وان العرب قد فتحوا اركة
والصحنة وتدمر وحوران وبصرى وقد بلغنا انهم يطلبون دمشق فقال لهم
[illegible] وقد بلغني انهم على الجابية فكيف يقدرون ان يتوسطوا بين هذه
القرى وهذه الحصون فقالوا ايها السيد ان اولئك لم يبرحوا من مواضعهم
وانما هذا رجل قدم من العراق وقد فتح بعض البلاد قال لهم وما اسمه فقالوا له
خالد بن الوليد ذو رؤية ومعرفة وفيه شجاعة وكرم يعرف اهل عسكره قال لهم
ففي كم يكون فقالوا له في الف وخمسمائة فارس فقال كلوص وحق ديني
لا رجعت الا براسه على سنان رمحي ولاجعلنه على قنطارية ثم رحل ولم يقف
في تلك المواضع ساعة واحدة ولم يبق الا بدمشق وكان صاحب دمشق

وولّيناه من قبل هرقل بطريق كبير الشأن معظم عند الملك وعند الروم واسمه
عزرائيل وكان يركب في ثلاثين ألفا بين الخيل والرجال فلما دخل كلثوم المدينة
اجتمع إليه كبراؤها ورؤساؤها من أمراء الروم والبطارقة وعزرائيل وأصحابه
فقرؤوا كتاب الملك يبعثهم لكلثوم وقتاله عنهم فلما قرؤوا منشور
الملك قال لهم كلثوم من ذلك تبايعونني على أن أقاتل عدوكم عنكم
أو أصده عن بلدكم أو أنفيه البحر ولاكن تخرجوا عزرائيل عني من بلدكم
حتى أكون لقضاء الأمر وحدي عندكم فقالوا له أيها السيد وكيف
ينبغي لنا أن نبعد صاحبنا ونخرجه من بلدنا وهذه العرب قد أصرت إلينا ولو
كان منكم عشرة ملوك أردناهم وتقوينا بهم على العدو فقال عزرائيل
أما أنا فلا أخرج من البلد وأنا صاحبه ولاكن إذا أقدمت العرب خرجنا
لقتالهم بالنوبة وكل واحد منا يقاتل بجيشه أنا يوما وكلثوم يوما
فمن هزم العرب كانت المدينة له فقال الشيوخ من القوم قد انصف
الرجل وتواضع قال وتراضوا على ذلك وانفصل القوم وانصرفوا وقد
نشبت عداوة عزرائيل في قلب كلثوم وعداوة كلثوم في قلب عزرائيل نشبت
وقال حدثني أبو معمر بن طلحة قال حدثني أبو ناشئ بن محمد قال
أخبرني رفاعة بن مسلم عن جده واقصة بن مسلم العدوي قال كنت
في خيل خالد لما نزل على الوادي المسمى بوادي خالد بالغوطة وإذا الجيش
دمشق قد زحفا إلينا كالجراد المنتشر فلما رأى ذلك خالد تدرع بدرع
مسيلمة الكذاب بن قيس الحنفي الكذاب وشد وسطه بعمامته وتوشح
بعمامة ثم صاح بالمسلمين وقال لهم أيها الناس رحمكم الله هذا يوم له ما
بعده وهذا العدو قد جاء إلينا وزحف نحونا بخيله ورجله فدونكم
وإياهم وانصروا الله ينصركم واصبروا فإن النصر مقرون مع الصبر
وكونوا ممن باع نفسه من الله سبحانه فإن الله تعالى قد اشترى نفوس
المومنين المجاهدين وأموالهم فقال تعالى إن الله اشترى من المومنين أنفسهم
وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه

حقا

حقا في التوراة والانجيل والقرآن ومن اوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم
الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم وكانكم باخوانكم المسلمين قد
قدموا عليكم مع ابي عبيدة بن الجراح قال فاشرع الناس الخيول بعد ركوبها
واستقبلوا جيش العدو وعند ذلك رتب خالد اصحابه فجعل في الميمنة رافع
بن عمرو الطائي وفي الميسرة المسيب بن نجبة الفزاري وفي الجناح الايمن شرحبيل
بن حسنة وفي الجناح الايسر عبد الرحمن بن حميد وعلى الساقة سالم بن نوفل اليشكري
واقام خالد في القلب مع عبد الرحمان بن ابي بكر الصديق وضرار بن الازور وبن طارق
الكندي فلما رتب اصحابه وعباهم تعبية الحرب قال لضرار ابن الازور
ابتع سبيل الهك وقومك في الجهاد وانصح دين الله فان الله ينصرك فان عبا
القوم حملتك وزعزع صفوفهم بشجاعتك فخرج ضرار بن الازور وعليه ثوب
سنبلاني وسخ وعلى راسه عمامة رثة ومن تحته مهرة عجفاء الا انها تسابق
الخيل فحمل على جيش الروم وجعل يفتك فيهم بقوة عزمه ولم يلو عنهم
حتى صرم جيوشهم وقلب صفوفهم وقتل في حملته تلك اربعة فوارس من
رؤساء القوم ثم ثنى حملته على الرجال فقتل منهم تسعة ولولا سهام القوم
وحجارتهم عليه ما رجع عن قتالهم فلما عاد شكر له خالد والمسلمون فعله
ثم ان خالدا قال لعبد الرحمن بن ابي بكر الصديق رضي الله عنهم يا ابن الصديق
ارعب اعداء الله بحملتك بارك الله فيك فحمل عبد الرحمن بن ابي بكر وفعل كما
فعل ضرار بن الازور فقتل وجرح ثم عاد وحمل من بعده خالد بن الوليد
رضي الله عنه ولعب في قومه واظهر في فرسه حتى تعجبت الروم من حملاته
وشجاعته وخفته فلما نظر كلوص علم انه امير الجيش وقائده وانه لابد
له منهم فخشي ان يفضحه بالحملة لاجل زينته وصليبه الذي على راسه فتاخر
البطريق الى ورائه من مخافته فلما نظر خالد الى تقهقر البطريق تحرز عنه
حمل دربه ثم عطف عليه البطارقة ورموه بسهامهم فلم يلتفت اليهم ولا عبا
بهم وجواده كالبرق في صفوفهم فلم يرجع حتى قتل من الروم عشرة واثنى
راجعا واراهم ابوابا من الحرب اكثر من المرة الاولى ثم طلب البطريق فلم يجده

بن نجبة

ابلى

احد منهم فقال ليبرز لي فارسا منكم لقتالي فلم يجبه احد فقال الربيعة
لفارس الفرسان اقال عثرته فسكتوا عنه فقال فاو فلكم تقولوا الا رجل واحد فوارس
من العرب وكلنا في الحرب سواء فمنهم من فهم ومنهم من لم يفهم ومن فهم
بلغ من لم يفهم فعند ذلك اقبل عزرايل على كلثوم بن جنة وقال له اوليس
قد ملك الملك على جيوشه وبعث الى قتال هؤلاء العرب فرونك وابانهم
فابرز وحام عن بلدك ورعيتك ودينك فقال له كلثوم انت احق بذلك مني
لانك اقدم مني وقد زعمنا انه لا يخرج منها الا باذن الملك فهل جا تمضي الى قتال
العرب فقال عزرايل قد صار الشي كم وجرا بيني وبينك ان تقاتل انت بعسكرك
يوما واقاتل انا بعسكري يوما فقاتل انت اليوم واذا اقاتل غدا فقال كلثوم
انت اقدم مني في الملوك فيما مضى وسيلك ان تتقدم انت اليوم وانا غدا فقال
فتماديا وان تقع الكلام بينهما فقال لهما العرب فقارعا فقارع عمرو فتعين عليه
القرعة بخرج فقال كلثوم نحن بجمعنا فقوا نصيب لنا وافر فقال عزرايل
مالك فيما ذكرت حاجة نخاف كلثوم ان يبلغ الخبر للملك فيعاقبه ويطرده
فقال نقترع عمرو فتعين عليه القرعة يخرج اليوم والاخر غدا قال عزرايل نعم
فاقترعا فوقعت على القرعة فاقترعا فخرجت القرعة على كلثوم فقال له عزرايل
اخرج وبين شجاعتك وافعل كما فعل اهل القوم ولنخرج انا غدا فينكشر
الجمع صفوفا حتى من صاحبه واسمع فعند ذلك ترزع كلثوم
وتاهب وركب وقال لاصحابه اريد ان تكون همتكم عندي فاذا رايتم مني
تقصيرا فاحملوا بجمعكم وخلصوني فقال له اصحابه ان هذا كلام جزوع لم
يعلم صاحبه فقال يا قوم ان الرجل بعوده ولغته غير لغتي وانا اريد خطابه
والحرز درع منيع وقد اردت رجلا منكم يبلغ عني وعنه فخرج اليه رجل فصيح
اسمه جحيش وكان من الفصاحة والنجدة فقال له انا اترجم عنك ثم سار معه
فقال له كلثوم اعلم ان هذا الرجل من اشجع العرب فاذا رايتني قد بلغت غير قتاله
فاعني عليه حتى تكون صاحبي واجعلك وزيرا واتخذك مشيرا ويكون هذا
مكتوما عندك وهذا انا اهل الكتاب واختال في الحرب اليوم وارجع

فتعصى فخرج اليه عزرائيل غلامه فقتله وتفسح في مرضوته وتقدم امر صولته
فقال جرجيس ما انا بصاحب الحرب ولا القتال وانما اعينك بكلام ما عرفت واحاد
عن ما استطعت فان امرت فانظر لنفسك فقال له كلوم ويحك او تطيب
نفسك ان تسلمني الى عدوي قال جرجيس او لا تطيب نفسي ان اقتل في رضاك
وما ينفعني قبلك وفي ذلك ووزارتك ان انا مت قال فسكت عنه وسار
جرجيس وكالوم معا حتى اقبلا من خالد ونظر المسلمون اليهما فهم ان يخرج
رافع بن عميرة الطائي فيعدو عليه خالد مكانك ولا تبرح منه فاذا اهل القبض
فلما دنا من خالد قال كلوم لصاحبه جرجيس امض اليه واسأله وقل له من انت
وما الذي في يومنا وحذره من سطوتنا وخوفه بطشتنا وانظر ما عنده فدنا جرجيس
من خالد وسأله وحذره وخوفه ونظر ما عنده وقال له يا اخي ابن اضرب لك
مثلا من مثلكم ومثلنا كمثل رجل كان له قطيع غنم فسلمه الى راعي في عامه
وكان الراعي فشلا قليل الحركة والجرأة على الوحوش فاقبل اليها سبع فجعل
يفترس كل ليلة منها رأسا الى ان انقضت الغنم والسبع قد كر عليها ولا يجد
لها مانعا فلما رأى صاحب الغنم ذلك ونظر الى ما حل بغنمه علم انه لم يؤت الا من
الراعي فقتله فنصب لها غلاما ماجدا جلدا نجيبا جريا وسلم اليه الغنم
فكان لا ينام طول الليل من الجولان حول غنمه فبينما الغلام كذلك اذ اقبل
السبع كعادته الجارية فاحتوى الغنم فبصر به الغلام وكان يترقب مجيئه
فهجم على السبع وضربه فقتله فلم يقرب الغنم بعد سبع ولا وحش وكذلكم
انتم تماديتم ونالكم وبالكم لانه لم تكن امة اضعف منكم عندنا لانكم جياع
مساكين عبيد الاجعال تعودتم اكل الذرة والشعير والزيت ومص النوى
فلما خرجتم الى بلادنا واكلتم من طعامنا كلبتم علينا فوصلتم الى ما
وصلتم وفعلتم ما فعلتم وقد بعث اليكم الملك الان رجالا او رجالا وزعيمهم
وكبيرهم وسيفهم لا يقاس بالرجال ولا يكترث بالابطال وهو نهز الزحف
الرجاحي فاحذروا منه ان ينزل بكم ما نزل بالسبع الضاري من الغلام الجليد
وانه قد سألني ان اخرج اليك واقف بك في الكلام رحمة بك وشفقة منه

ابا لا يبالي

عليك فاخبرني ما الذي تريدون منا وغاية ما تطلبون لو انا قد توسطتم
عن امر توسطه في بلاده عدونا ومن قتل بامنه فيما قتل بامنه قتلا فان كنت
امين قوم تخاطب عنك وعنهم قبل ان يهجم عليك هذا الاسد فيفترسك
بمخالبه **فلما سمع خالد** ذلك من كلام جرجير وما اتى به من
فصاحته قال له يا عدو الله انا نحن في هذه الامثال اما والله ما نحسبكم عندنا
في الحرب الا كقابض الطير بشبكته فهو يقبضها يمينا وشمالا لا يمتنع من كفه
منا ولا يمل من قبضها **واما ما** ذكرت من بلدنا وقحطها فهي والله كما ذكرت
الا ان الله تعالى قد ابدل لنا ما هو خير منه وانه قد ابدلنا من خبز الذرة والزيت
بخبز الحنطة والفواكه والسمن والعسل وهذه الارض قد رضيها الناس ربنا ووعدنا
الله بها على لسان نبينا **محمد** صلى الله عليه وسلم واما قولك ما الذي تريدونه
اريد منكم الاسلام او الجزية او القتال حتى يحكم بيننا وهو خير الحاكمين
واما ما قولك ان هذا الرجل الذي هو عندكم عظيم فهو عندنا اقل
من كل قليل فان يكن هو ركن الملك فانا ركن الاسلام انا صاحب الركضة والحملة
وتدمر وحوران وبصرى انا الفارس الصنديد انا البطل المبير انا خالد بن الوليد
فلما سمع جرجير كلامه اخذته الرواية وقد تغير لونه فقال له
كلوص ويلك اني قد رايتك في بداية الامر قد زأرت كالاسد فما لي اراك قد جزعت
وتاخرت فقال جرجير وحق ديني لقد كنت اظنه من اجلاف العرب وكانه
احدهم ولم اعلم ان هذا هو كبشهم النطاح الذي لا تقوم له ولا به الفوارس الا
البطلات هذا هو صاحبهم الذي قد ملا الارض شيا فتقوم اليه واكفهم
شيا عنك عليه فلما سمع البطل بن كلوص ذكر خالد انتفض في سرجه
وارتعد كالعصفور في يوم ريح عاصف وقال له يا جرجير اسئله ان يكف
الحرب بيننا الى صبيحة غد فقال ما اظنه يفعل ذلك ولكن ساسئله ثم
التفت جرجير ورجع الى خالد وقال له يا سيد قومه ان صاحبي يقول لك
يرجع الى قومه فيشاورهم فيما ذكرت فقال له خالد يا ويلك اتخدعني
بكلامك وانا جرثومة الخداع ان السلامة منكم بعيدة ثم قلب رمحه

الى جيد

الى جحيش فلما نظر الى ما تفعل لسانه وولى هاربا فلما نظر خالد الى هروب
جحيش طلب البطريق كلوص وحمل عليه مما يلي عسكر الروم ليمنعه من الهرب
فلما نظر البطريق الى فعل خالد لزمه حربه فحمل عليه وصبر لقتاله وتكافا عنا
طعنا احر من الجمر فاحتز البطريق من حملات خالد فلما نظر خالد الى احتزازه فرد
عنانه بعنانه ونطر له طعنة وبدل قناته من اليمين الى الشمال وضرب بيده على
قفا نوخذرعه وجذبه اليه وقال لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ثم شاله
بيده فاقتلعه من سرجه فلما نظر المسلمون الى فعل خالد كبروا تكبيرة
عظيمة اذهلوا بها المشركين وعجبوا من قوته وقربوا اليه الابطال
فلما قربوا منه جذا بالبطريق اليهم وقال استوثقوا منه كتافا فجعلوا ذالك
واستوثقوا من كتافه والبطريق يتكلم بكلام لا يفهمونه فاتى المسلمون
بترجمان من صاحب بصرى وقالوا له يقول بعضهم كلامه فلما فهمه قال انه يقول
يا قوم لم تكتفوني وانا قد جئت اليكم فقال صاحبكم العتق فتطلبون
الجزية والمال عن رأسي وانا ضامن لكم ما سالتم ودافع اليكم ما طلبتم
فلما علموا خالدا بقوله فقال استوثقوا منه فانه احسنه راس القوم ثم ان خالدا
نزل عن فرسه وركب متن اكال اهداه له صاحب تدمر وقصد الحملة على
الروم فقال له ضرار بن الازور يا ابا الامير انك قد تعبت في قتال البطريق وعنا
احمل عنك حتى تستريح فقال يا ضرار انما الراحة في الدار الاخرة ومن تعب
اليوم استراح غدا ثم قال الله الخليفة عليكم ثم عول على الحملة
فصاح به البطريق كلوص وقال نحوذ منك الامان رجعت الى احد صبرك فطام
الناس لخالد ابق هذا العلج في عونك ويصيح عليك ويقسم في جمع السيه
خالد وقال الترجمان قل له ما الذي تريد فقال له الترجمان ما الذي تقول فتكلم
معه ساعة ثم قال الترجمان لخالد انه يقول لك انا صاحب الملك وقد بعثني
اليكم في خمسة آلاف فارس وانه قد تقاصمت مع عزرائيل وانه دمشق عليها
يحي الى معه كذا وكذا وفرسي تتبع بعوض يكاد يقو خرج اليك فلا تنو عليه
وان لم يخرج لك فاستوثق به حتى يخرج واقتله بقوراس القوم فلان انت قتلته

فقد ملكت دمشق فهل انت فاعل ذلك فقال خالد يا روماس قل انه لا ينبغي
على من يشرك بالله ويتحزم معه ولا نتمّ حمل خالد رضي الله عنه وهو يقول

لك الحمد مولانا على كل نعمة • وشكرا لما اوليت يا سابغ النعم
مننت علينا بعد كفر وظلمة • وكشفت عنا ما الاغ من البهم
وايدتنا بالنصر والعز والهدى • وبشرتنا بالهاد من جيش الامم
الاهي ايدتنا بنصر وقوة • وكفّ ما غشانا من جيش الامم
فتمم الاه العرش ما قد بدأته • وعجل لاهل الشرك القاصم النقم

قال ولما ذهب من جموع المشركين كثير كلب الهراز ولقد بلغني انه لما
ولى جيش من كتاب خالد بن الوليد سار الى قومه وقومه تعد فقالوا له ما
وراءك قال يا قوم وراءي الموت الذي لا يغالب والليث الذي لا ينازل وهو امير
القوم وقد الى على نفسه ان لا يشتا وانه يطالبنا حيث ما سلكنا وحيث
ما كنا ولا يغفل في قتالنا وقتلنا حيث ما وجدنا ولا خلصت نفسي منه الا
بعد جهد جهيد فصاحوا الى جل قبل ان يحل فينا يا عابه فقالوا له ويلك
اما يكفيك انك انهزمت حتى ترعب قلوبنا وهموا بقتله ثم التقوا عنه
وساروا الى عزرائيل ذلك حين اسر خالد البطريق يوكلوص وقالوا له ان صاحب
الملك اسير وما قصه وفرج ابنكما من الشر كان يخرج هو يوما فاخرج
الى هذا البدوي فقاتله فقال العم يا قوم اعلموا ان هذا الرجل يعني خالدا
ان قتل هو احد من العرب يقوم مقامه وان انا قتلت بقيتم كالغنم بلا راعي
لها فدعونا نحمل باجمعنا فقالوا لا تفعل ذلك لان حملتنا كذلك يقتل
الرجال ونرمل النساء ويبقى الاولاد ايتام فبينما هم في المحاورة اذ اقبل اصحاب
كلوص وهم الخمسة الالاف الذين وجههم الملك معه وصاحوا على عزرائيل
وقالوا له ما انت عند الملك بافضل من صاحبنا وقد كان بينه وبينه القرابة
وقد عمل به واسر فاحمل انت واصحابك ايضا والا فاتركنا للقتال فقال عمل
لهم يا ويحكم اوكان جزعت من الخروج الى هذا البدوي مرة او مرة وانما
توقفت عن قتاله وتقاعدت عن الحرب حتى جاء عجز صاحبكم وكشفت

فلة حيلته في الحرب وحينئذ الساعة اخرج اليه ويلقى العربي فقال ايتنا الفرس
والسلاح قال ثم نزل ولبس لامته وركب حينئذ جوادا يصلح للجولان
وخرج الى قتال خالد فلما قرب منه وقف وقال يا اخا العرب ادن مني حتى اسألك
وكان الملعون يعرف لسان العرب فلما سمعه خالد غضب وقال يا عدو الله ادن
انت على ام راسك وهم ان يحمل عليه فقال عزرايل يا اخا العرب على رسلك
انا ادنو منك فعلم خالد انه قد داخله الخوف فامسك عنه حتى قرب منه
وقال يا اخا العرب ما حملك على ان تخاطر بنفسك دون قومك فلو قتلت بقي
اصحابك وقومك كالغنم بلا راع فقال له خالد يا عدو الله وقد رايت ما
فعل رجال من اصحابي ولولا كنتم لمزقنا اصحابك بعون الله ومن وراءي رجال من
قومي لا يقاس بهم احد وكل اصحابي يعدون الموت فرحة ومغنما والحياة ندامة
ومغرما ثم قال له خالد من انت فقال اما سمعت باسمي انا فارس الشام
انا قرة العين انا ريس القوم واسمي عندهم انا العاثق بعيون الترك وفارس
والعجم انفة انا الذي تسميت باسم ملك الموت انا عزرايل فضحك خالد وقال
يا عدو الله ما اخوفني ان الذي تسميت به مشتاق اليك يجر روحك الى الهاوية
فقال البطريق يعوذ بك ما فعلت باسمي كل يوم فقال خالد هو موثوق
بالغير قال له وما الذي منعك من قتله فانه داهية اليوم قال خالد اسمع
من ذلك والذي منعني من قتله ان يرى حتى اقتلكما جميعا قال عزرايل فهل لك
ان اعطيك الف مثقال وعشرة اثواب من الديباج وخمس رؤوس من الخيل
وتقتله وتاتيني براسه فقال خالد ذلك في دينه فما الذي تعطيني انت في
دينك فغضب عدو الله وقال ما الذي تاخذ مني فقال خالد الجزية عن راسك
صاغرا ذليلا فقال عزرايل يا اخا العرب كلما زدناكم اكرامكم زدتم في اهانتنا
وبسطتم السنتكم المتعجرفة علينا عز الان لنفسك فاني قاتلك فلما سمع
خالد ذلك من كلامه حمل عليه كانه شعلة نار فلما راه البطريق استقبله
واخذ حذره منه وتجاولا طويلا وكان عزرايل ماهرا بحكم بالسلاح لاجل شجعا
عنه فلما نظر خالد الى ما اعطي من الشجاعة والبراعة عجب منه فقال عزرايل

يا خالد وحق لو اردت الوصول اليك لوصلت وقدرت على ذلك ولكن اشفقت
عليك لاني اريد الصلح بيني وبينك ابقاء عليك وعلى قومك والان اسالك ان
حتى يعلم الناس انك اسيري وبعد ذلك اخليك على شيء وهو انك ترحل عنا
وتمضي لبلادك وتسلم الينا ما اخذت من البلاد فلما سمع خالد كلام عزرائيل
قال يا عدو الله ادركك الطمع فينا وهذه العصابة هي التي فتحت اركة
والسخنة وتدمر وحوران وبصرى وهم ممن باعوا انفسهم من الله بجنته
واختاروا دار البقاء على دار الفناء والدار الاخرة عن الاولى وستعلم اينا ملك
صاحبه ويولي جانبه ثم ان خالد اهوى فيما عنه وشرقه وايقظ خاطره
وان للعجمي يولوا بامر الحرب فنزع عزرائيل على ما تكلم به خالد وقال يا اخا
العرب اما تحمل المزاعبة قال خالد من اعبتي الضرب ودعى اليه فحمل لنفسك ثم
داخله ولوح اليه بسيفه وقنعه فضرب فيه فنبا السيف ولم يقطع شيئا
واتوهل عدو الله من صولات خالد وحملاته فولى هاربا واقبل خالد اليه كالبا
قال عامر بن الطفيل وكنت من اهل الغلب واننا انظر الى ما جرى من
امر خالد وعزرائيل فلما ولى عدو الله هاربا واتبعه خالد وكان جواد العلجي يو
اسبق من جواد خالد وقصر جواد خالد عن اللحاق بجواد العلجي فلما نظر
العلج ان قد تخلف خالد عن اللحاق ادركه الطمع وقال ان العربي قد خاف
مني وما له لا يعوز بالصولة وافق حتى يلحقني فلعل ان يلعل القسيم ان يعينني
على اخذه واسيره فلما وقع ذلك في نفسه وقف حتى لحق به خالد وقد
تكلل فرسه بالعرق وجلله الكلل فلما قاربه صاح به المشرك يا عربي
لا تظن انني منك من الخوف وانما اردت ان ابعدك عن اصحابك وانفرد
باسرك فقال خالد الله اعلم بذلك فقال عزرائيل يا اخا العرب ارحم نفسك
ولا يحملك اللجاج على اتلاف نفسك واستسلم الى الاسر فان اردت الموت
فانا اسوقه اليك انا قابض الارواح انا عزرائيل ملك الموت فقال خالد يا عدو الله
ادركك الطمع حين قصر جوادي عن طلبك وانا اقاتلك فارسا وراجلا
ولا تولي هاربا ثم نزل خالد عن جواده وهز سيفه في يده ومشى اليه

كالاس

كالاسد الباسل فلما راه عزازيل وفطن اليه وانه قد جل زاد فزعه وجال من حوله
جولة الفشعم ودخله واراد ان يعلوه بالسيف فراغ خالد عنها وعاقله
وصرخ به وعلا على قوائم فرس البطريق فقطعهما بعضبه من قينه وسقط عدو الله
الى الارض فولى هاربا يطلب جيشه فاتبعه خالد وقال يا عدو الله ان الذي تسميت
باسمه قد غضب عليك وها هو ذا قد اقبل لقبض روحك فما لبث ثم مال عليه
بشرته بصرمه واختطفه من الارض وملكه اسيرا فلما نظرت الروم الى
صاحبهم وان خالدا قد اخذه وملكه اسيرا هموا ان يحملوا عليه لخلاصه واذا قد
طلعت جيوش المسلمين وكتائب الموحدين مع ابي عبيدة بن الجراح الامين
واذا اراد الله امرا وقدره هيأ اسبابه ومن يتق الله يجعل له مخرجا وكان رسول
خالد قد سار اليه من حمص كما ذكرنا قبل فوجده في الطريق مقبلا يريد معه
الى دمشق فلما التقى خالد في تلك الساعة قد اسر عزازيل فلما راى جيش دمشق
ذلك ونظر الى جيوش المسلمين قد اقبلت داخلهم الرعب فتوقفوا عن الحملة
وعن هشام بن عروة عن قيس بن سعيد عن عامر بن عنمة وهلال
بن نجيب قالا لما قدم جيش ابي عبيدة سال عن خالد فاخبر انه قد اسر البطريق
فاخبر وان ابا عبيدة عن خالد فاسرع ليلقى بقية القوم ثم اقبل خالد اليه وقد ترجل
له فدنا اليه ابو عبيدة وهم ان يترجل له فاقسم عليه خالد الا فعل وكان
ابو عبيدة يحب خالدا لحب رسول الله صلى الله عليه وسلم اياه واقبل بعضهما
على بعض بالسلام فقال ابو عبيدة لخالد والله يا ابن الوليد لقد فرحت وسررت بكتاب
ابي بكر حين قدم الي وامرك علي وما وجدت في قلبي ولا اخذت عليك لاني
اعرف موقعك عند العرب وعند العجم فقال خالد والله لا افعل امرا الا بمشو
رتك ولا خالفت لك امرا ولا رددت لك قولا ووالله لولا ان امر الامام طاعة
وطاعة الامام واجبة لما كنت افعل ذلك لانك اقدم مني قدمة وقدم سابق في
الاسلام وانت خاص من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم انهما تصافحا وقدم
الى خالد جواده فركبه وسار مع ابي عبيدة يحدثه بما كان منه مع
البطريق وكيف نصره الله عليه الى ان اتيا الى الدير فنزلا هنالك واقبل

المسلمون يسلمون بعضهم على بعض واستبشروا بيومهم ذلك فلما
كان من الغد ركب الناس وترتبت المراكب وتزينت الجيوش وزحف
اهل دمشق الى القتال وقد امروا عليهم قوما من الملك وامر عليهم بطريقا
يثق به فلما اقبلوا قال خالد لابي عبيدة ان القوم قد انخزلوا وقد وقع رعب
المسلمين في قلوبهم وايضا فانهم اوهنوا لاجل البطل بغير فاحمل بنا على
القوم قال ابو عبيدة افعل احمل انت وانا لك تبع فحمل المسلمون على الروم
حملة واحدة وكبروا باجمعهم فارتجت الغوطة وما حولها من تكبيرهم
ووقع القتل في الروم وجاهد اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
جهادا اذ تعلقت منه الكفار ورضيه الجبار قال عامر بن الطفيل
والله لقد كان الواحد منا يقوم من الروم عشرة فما لبثوا غير ساعة حتى
ولوا الادبار وركنوا الى الفرار واقبلنا نقتلهم من الجسر الى باب الشرقي
فلما نظر اهل دمشق الى انهزام جيشهم غلقوا الابواب في وجوه من بقي
منهم ثم رجعنا عنهم قال قيس بن هبيرة فمنهم من قتلنا ومنهم من
اسرنا حدثني معمر بن الحارث قال حدثني سهل بن عبد
الله بن رافع التميمي عن اوس بن الخطاب قال كان جيش المسلمين يومئذ
ثمانية وثلاثون الفا وخمسمائة وذلك ان الذي قدم مع ابي عبيدة من
الحجاز وحضر موت ومن عمان ومن حول مكة سبعة وثلاثون الفا والذي
قدم مع خالد من العراق الف وخمسمائة من لخم وجذام وكان مع عمرو بن
العاص بفلسطين تسعة آلاف لم يحضر فكان الجملة سبعة واربعين
الفا وخمسمائة غير ما جهز عمر في ولايته وسنذكرهم في مواضعهم ان
شاء الله تعالى فقال خالد لابي عبيدة لما رجع المسلمون عن اهل دمشق
انا ارى من الراي ان انزل على باب الشرقي وانت على باب الجابية فقال ابو عبيدة
نعم الراي فنزل خالد على باب الشرقي في نصف المسلمين ونزل ابو عبيدة على
باب الجابية بالنصف الباقي فنظر اهل دمشق الى ذلك فدخل الرعب
في قلوبهم وعلموا امرهم ثم ان خالدا احضر البطل [illegible]

عليهما

عليهما الاسلام فابيا فامر بهما ان يضرب اعناقهما ففعل ضرار
ذلك وضرب اعناقهما **ولقد بلغني** عمن اثق به ان ضرار بن الازور قتل
عن ابطال رافع بن عمرو الطاءي قتل كلوص امرهما بذلك خالد رضي الله عنهم
وحدثني رفاعة بن نعمان المازني قال حدثني سليمان بن خالد اليشكري
قال اخبرني شداد بن اوس رضي الله عنه قال لما قتل خالد البطلين بغير امر
المسلمين ان يرجعوا الى دمشق قال فرجعنا واما منا رجال من العرب فاقاموا اليهم
فاتيناهم الجمعة يتقون بها الحجارة والسهام فلما نظر اهل دمشق الينا وقد
زحفنا اليهم رمونا بالحجارة انها من مجانيقهم من على سورهم وبسهام قطر من
فيهم قال وعدنا اليهم فرميهم بنبالهم ووقع الضجيج وارتفع العجيج و
ضيقنا عليهم الحصار وايقن القوم بالهلاك والدمار **قال** شداد بن اوس
فلما اقمنا على حصارهم عشرين يوما فلما كان بعد هذه المدة جاءنا ناوي
بن مرة يخبر ما جمع الروم باجنادين ووصف لنا عظم جيشهم وكثرة
عددهم وعدتهم **قال** فركب خالد نحو باب الجابية الى ابي عبيدة بن الجراح
واستشاره فقال يا امين الامة اني قد رايت ان نرحلوا الى اجنادين ونلقى من
هنالك من الروم فاذا افتح الله عليهم عدنا الى قتال هولاء القوم فقال ابو
عبيدة ليس هذا راي قال خالد ولم قال ابو عبيدة لانا قد اخذنا بهم شيئا
وضيقنا عليهم في الحصار ورعبنا قد حصل في قلوبهم ولا يبعد ان ينزل القوم
في منازلنا ويعز ابو الغضب علينا ولسنا بك اخبر فقال خالد والله لا عصيتك
في امر ولا خالفت لك امرا ثم ركب وبعث الى امرائه الذين على الابواب ان يشنوا
القتال على دمشق ثم زحف هو من باب الشرقي وحرض الناس على القتال وجعل يقول

الا مبلغ عنا عتيقا بانا • تلاقي جيوش الروم كي ما نفنيها •
وكم من جريح سوف يبقى مجدلا • وذات من بعد شوق تبكي قريبها •

قال فعند الناس لقوله واعتنق واللمح وتقدموا للكفاح والضرب ولم يزالوا
كذلك الى تمام احد وعشرين يوما وليلة اخرى فضعف اهل دمشق و
تضعضع احوالهم ونقصت احوالهم في هذه المدة وطال عليهم الامر ولم

يردوا جيشا من الملك هرقل وكانوا قد بعثوا اليه يوم قتل خالد البطريق بغير
بعد مواعدة الصلح فبعثوا الى خالد على ان يعطوا الف وقية من الفضة
وخمسمائة اوقية من الذهب ومائة ثوب من الديباج ويرحل فامتنع خالد
من ذلك وقال لست ابرح الا باداء الجزية او تسلمون او القتال فعاد
الجواب الى قومهم فاخبرهم بذلك فاشتد الامر عليهم قال عروة
بن الشعبي وكان اهل دمشق يميلون الى ابي عبيدة اكثر من ميلهم الى خالد
لان ابا عبيدة كان شيخا ضعيفا يعدهم بالصلح والمسالمة وخالد كان ماضيا
سيف وقتل بعد قتلهم بالسيف والقتل والمحاربة رضي الله تعالى عنهم وارضاهم اجمعين

خبر حرب ثنية العقاب

قال ابو عبد الله الواقدي رحمه الله تعالى لما راى اهل دمشق
ما فعل خالد بالبطريق بغير ونزوله عليهم وشدة الحصار وضيقه وكثرة
العرب كتبوا بذلك كتابا الى الملك هرقل يخبرونه بما جرى عليهم وعلى
عزرائيل وكلوص وان العرب قد نزلت نحوا على باب الشرقي وباب الجابية
وقد نزلوا بنسائهم وقد قطعوا ارض البلقاء الى السواد ووضعوا اليد ما ملكوا
من البلاد فادركنا والا سلمنا البلاد والمدينة ثم سلموا الكتاب الى رجل
منهم واعطوه او بوا اجرة ودلوه من السور بالحبال وذلك بالليل ولقد
بلغني ان الرجل وصل الى هرقل وهو بانطاكية فاستاذن عليه فامر له بالدخول
فلما دخل اليه الرجل وسلم الكتاب اليه فلما قرا الملك رمى به من يده وبكى ثم
جمع البطارقة اليه وقال يا بني الاصفر لقد حذرتكم من هؤلاء العرب واخبرتكم
انهم يملكون ما تحت سريري هذا فعصيتم كلامي وعزموا واردتم قتلي وهؤلاء
العرب قد خرجوا من بلاد الجدب والقحط واكل الذرة والشعير والتمر الى بلاد
مخصبة كثيرة الاشجار والثمار والفواكه فاستحسنوا ما راوا من بلادنا
وخصبها وكثرة خيرها وليس يخرجهم ويردهم عنا الا العزم القوي وشدة
الضرب وكثرة الحرب ولولا انه عار علي لتركت الشام ورحلت الى القسطنطينية
ثم خرج اليهم فاتلفهم فاقتلهم عن اهلي وديني فقالوا له ايها الملك

وما بلغ

وما بلغ من شان العرب ان تخرج اليهم بنفسك وقعودك انسب لك فقال هرقل
من نبعث اليهم قالوا ايها الملك عليك بوردان صاحب حمص فانه ليس فينا
مثله في الفروسية وشدة الضرب ومعه بنو مكايد الحرب وملاقات الرجال ومقاتلة
الابطال وقد بين شجاعته امامك في عسكر العرب حين لما نصرونا حين اتونا فامر
الملك بوردان ان يجاء به فلما جيء به فقال له الملك يا وردان انبعثك
لتسير الى العرب فقال وردان يا ملك الروم لولا انك تغضب علي لما توجهت
الى قتالهم فقال له ولم قال لانك تركتني اخر امرائك وبطارقتك فقال
له الملك انما اخرتك لانك سيفي المسلول وسهمي المكمول فاخرج من وقتك
اليهم ولا تتاخر وقدام نيتك على اثنا عشر الفا فاذا وصلت الى بعلبك فنفذ الى من
باجنادين من الروم ان يقفوا على ارض البلقا وجبال السود ويكونوا هنالك
ولا يتركوا احدا من العرب يلحقوا باصحابه يعني اصحاب عمرو بن العاص فقال
وردان السمع والطاعة لك ايها الملك وسوف يبلغك ما افعل واني لا اعود اليك
الا براس خالد بن الوليد وقتل من معه واهزم جيوشهم وبعد ذلك ادخل على
ارض الحجاز ولا ارجع الا بعد هدم مكة والمدينة فلما سمع الملك قوله قال له
وجودي لمروءتك بقولك لاعطينك ما تبغوا من البلاد حكما وخراجا
واكتب لك كتاب العهد انك الملك بعدي ثم سوره وتوجه واعطاه
صليبا من الذهب في جوانبه اربع يواقيت لا قيمة لها وقال له اذا لقيت العرب
فهو ينصرك بقومه امامك فلما سلم الملك لوردان الصليب قام وردان من
ساعته ووقته ودخل كنيسة الغسيل واغتسل في ماء المعمودية وبخروه
ببخور القنابين وصلوا عليه صلاة النصر وخرج من وقته وضرب خباه على
باب فارس واخرج الروم على انفسها الى جبل فلما تكامل جيشهم ركب
الملك لوداعه مع ارباب دولته الى جسر الحديد فهنالك ودعه الملك
ورجع الى انطاكية وسار وردان الى ما بعث له فاخذ في طريقه على المغارات
وخرج سائرا امامها الى ان وصل الى مدينة حماة من اعمال بعلبك فلما ورد حماة
نزل هنالك وكتب من وقته وساعته كتابا وارسله الى من باجنادين من الروم

فامرهم ان يتفرقوا على سائر الطرقات ليمنعوا عمرو بن العاص وعسكره
ان يصل الى خالد ان اراد ذلك فلما تعذر وصول الرسول والكتاب جمع اليه
روساء البطارقة وقال لهم انى اريد ان ابيت عليهم بوحدى حتى اتى
على القوم واكبسهم وهم على غير غفلة فلا ينجو منهم احد فاستصوبوا
رايه فلما كان من الليل رحل علوطس بن سلامة ووادى الجنات وسار قاصدا الى
الكبسة على المسلمين فاعمروه بن العيين فبينما خالد رض
يوما قد امر الناس بالزحف للحرب وتشتد بين القتال اذ نظر الى اهل دمشق وهم
يصفقون ويصفرون فنظر خالد الى الجبل واذا باهل السور يشيرون الى
الجبل ويثبتون لجهة فنظر خالد الى الموضع الذى يشيرون اليه واذا بغبرة قد لاحت
لهم وقد علت لها الجو والارض وعلم خالد ان كان عينتهم قد امدهم بالجيوش
قال واقبلت الطلائع الى خالد واخبروه انهم راوا الغبرة عسكرا جرارا
ولا شك انه عسكر الروم فقال خالد لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم
ثم انه صاح بالمسلمين وامرهم بالركوب فبادروا الى خيولهم فركبوها
والتفوا باسلحتهم واجتمعت كل قبيلة مع صاحبتها ثم ترك الناس على باب
الشرقي وركب على جواده واقبل يركض عليه حتى اتى الى باب الجابية واجتمع
مع ابي عبيدة واخبره بالامر وقال يا امين الامة ما الذى ترى من الراي اترى ان نسير
بجمعنا الى لقائهم وتقع وقعتنا عليهم فقال ابو عبيدة ليس هذا براي قال خالد ولم
قال ابو عبيدة لئلا يخرج اهل المدينة فيملكوا مواضعنا ويتزايد الغضب
علينا قال خالد فما الراي قال ابو عبيدة الراي ان تندب لهذا الامر رجلا جيدا
شجاعا عارفا بمكائد الحروب فان يكن له فيهم طمع يلقاهم ويدفعهم
ويكفينا امرهم والا فليرجع الينا رسوله حتى نمده بقوم بعد قوم ولا نبرح
نحن من مواضعنا فلما سمع خالد رض ذلك من كلام ابي عبيدة قال يا امين الامة
انى عارف رجلا لا يخاف في الله لومة لائم شجاعا فاتكا في الحرب خبيرا بلقاء
الرجال وقتل الابطال وملاقات الاقيال لا يهاب الموت ولا يخاف الفوت قد مات
ابوه وجده وعمه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجهاد فقال ابو عبيدة

خ سليت

من هو فى المسلمين قال خالد ضرار بن الازور بن مالك الكندى قال ابو عبيدة والله
لقد وصفت رجلا فارسا معروفا بالشدة فافعل ثم رجع خالد الى دابته وقد عاين ابن
الازور فجاء اليه وسلم عليه وقال له يا ابن الازور انه قد بان امرك على خمسة الاف
فارس من المسلمين قد باعوا انفسهم من الله بجنته واختاروا دار البقاء على دار
الفناء والدار الاخرة على الاولى وتمضى الى هؤلاء القوم من الروم الذين وردوا علينا
واتوا الينا فان رايت فيهم مطمعا فقاتلهم وان رايت الامر فوقك ولا قوة لك
عليهم فارجع الينا فقال ضرار وافرحتاه والله يا ابن الوليد ما دخلت على
نفسى مسرة اكبر من هذه ولاكنى ماضيا فانى كنت اسبق اليهم وحدى فقال
خالد لعمرى انك لفعال ولاكن ما امرك الله ان تلقى نفسك بيدك الى التهلكة
ولاكن سر بمن تبعك معك فاختر ضرار على نفسه واسرع فقال له خالد ارفق
بنفسك واصبر حتى يجتمع لك الجيش فقال ضرار والله لا وقفت ولا صبرت
فمن علم الله فيه خيرا ادركنى واتبعنى ثم اسرع ضرار الى الوطن بيت لهيا
وهو موضع كان ازر يصنع فيه الاصنام فى زمانه فوقف ضرار هناك
حتى لحقوا به اصحابه فلما تكاملوا واراد ضرار ان يسير امامه نظر واذا بالجيش
الروم وجنوده قد تحدرت من الثنية كالجراد المنتشر وهم متكفنون فى
الدروع والسلاح وعلى رؤوسهم البيضات وقد اشرقت الشمس على لامتهم
وبيضهم وكوارفهم فلما نظر اليهم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
قالوا لضرار بن الازور اما والله ان هذا الجيش لجيش عظيم والصواب ان نرجعوا
كما امرنا الامير فقال ضرار اما انا فوالله لا رجعت ولا زلت اضرب الاعداء فى
سبيل الله واتبع سبيل من اناب الى الله ولا يرانى الله منهزما اولى الدبر ابدا
لان الله عز وجل يقول فلا تولوهم الادبار فان فررت فانا وليت ورجعت بغير عشيرة
وتكلم ابطال رافع بن عميرة الطائى وقال يا قوم وما الخيفة من هؤلاء الاعلاج
وانتم قد نصركم الله عليهم وعلى غيرهم فى مواطن كثيرة والنصر مقرون
مع الصبر ولم تزل طائفتنا تلقى الجمع الكثير بالجمع اليسير فابتغوا
سنن الاولين واسرعوا الى رب العالمين وقولوا كما قال قوم طالوت يوم لقائهم

لجالوت ربنا افرغ علينا صبرا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين
قال فما هتف القوم لكلام رافع بن عميرة الطائي وقالوا والله لا جزانا الله منه خيرا ان
لم نقاتل اعداء الله الكافرين فلما سمع ضرار كلامهم وانهم قد اثروا الاخرة
على الاولى اكمن بهم عند بيت لهيا واخفى اثره وبقوا امام القوم على الجسر
بين اوليه على بن مسلمة عادي مغني بسبج وبيوقنا تامة الطول هكذا
حدثني تميم بن اوس عن جده عمرو بن دارم عن ابيه سلامة بن خلو بلجة
قال كنت في ذلك اليوم في بيت لهيا من اصحاب ضرار بن الازور وهو بها خلف
الصخرة رغبة منه في الشهادة فلما قاربنا القوم كان اول من برز وكبر
ضرار بن الازور واجابه المسلمون بتكبيرة عظيمة ارتعدت منها قلوب
المشركين وفاجأهم بالحملة ونظر الى القوم الى ضرار بن الازور وهو في اول
القوم على الحالة التي وصفنا فقال المرد الكافر من امره وكان وردان في المقدمة
والاعلام والصلبان مشتبكة على راسه والعجي سار المرتجة مجرفة فلما
نظر الى الاصور ولم يطلب غيرهم لانه علم ان صاحبهم هنالك فصمم
على مكتبته بعكس ثم وحمل على القلب فقتل فارسا وكان يحمل علاما فاخذه
في الحملة ضربة عن فرسه وسقط العلام من يده ثم عطف على فارس اخر
في الميمنة فقتله فارداه عن فرسه وحمل من بين القلب وعاين ضرار وردان و
والصليب على راسه يحمله فارسا على برذون اشهب والجواهر تلمع من اربع
جوانبه فعارضه ضرار وطعن حامله طعنة عظيمة فخرج السنان خارجا من
ارنجالة امعائه وسقط الصليب الى الارض فلما نظر وردان الى الصليب قد
انتكس ايقن بالهلاك وهم ان يترجل او يميل في ركابه لياخذه فلم يقدر
الى ذلك سبيلا مما قد ارادوا به وترجل عليه رجال من المسلمين لياخذوه وقد
شغل القوم ضرار ومن معه وقد دار بنا به اليوم وتكفل ضرار اليوم بترجل
من المسلمين لاخذ الصليب فقال وهو فيما هو فيه معاشر المسلمين ان الصليب
لي ولكم وانا صاحبه فلا تطمعوا فيه فانه اليه راجع اذا فرغت من كلبا
اليوم ومن معه قال وسمع ذلك وردان وكان يعرف العربية فعطف من

الغلب برمثل الهيوب فقالت له البطارقة الى اين ايها السيد قال افر من هذا
الشيطان فهل رايتم ادهش من منظره او اهول من خلقته ونظر ضرار اليه وقد فر
عقبه راجعا فعلم انه قد عزم على الهرب فصاح بقومه ثم اقتحم في اثره
ومد رمحه اليه وهز جواده عليه وتطاردت به الى الروم وعطفت عليه
الكتائب وتسابقت اليه الفرسان المراكب وهو فيما بين القوم مع الذي يقول

۞ الموت حق اين لي منه المفر ۞ وجنة الفردوس خير من سقر ۞
۞ فجاهدوا بعزمكم من قد كفر ۞ ان ثواب الله خير منتظر ۞

ثم اخذ في القوم وحمل عليهم وحمل الناس في اثره واخذ قد اعتلى
الروم واحدقوا به من كل جانب ومكان ونظر ضرار بن الازور وقد قصده وردان
عند ما علم انه قد اختفى في الروم وهز اليه رمحه وقد احدقت به بطارقة
الروم وضرار يمانع عن نفسه يمينا وشمالا لا يقطع احدا الا اباده ولا يقرب
منه فارس الا جدله الى ان قتل من الروم خلقا كثيرا وصاح باصحابه ان
الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كانهم بنيان مرصوص وانكبت
عليه جيوش الروم وحارت بهم من كل جانب واشتغل الحرب بينهم ووصل
حمدان بن وردان الى ضرار بن الازور ورماه بسهم فاصاب عضده الايسر فا
ونعته به واحس ضرار بالالم فحمل على جهة ان يحجبه وجبلته وصمم عليه
غير مكترث ومد اليه رمحه فطعنه فاصاب فؤاده ووصل السنان الى فقار
ظهره فقتله ثم جذب الرمح اليه فلم يخرج واذا به قد استمسك في عظم
ظهره واشتبك به ثم جذبه مرة اخرى واذا الرمح قد خرج بغير سنان
فلما نظرت الروم الى الرمح قد خرج من صاحبهم بغير سنان حملوا عليه
وصمموا عليه وبادروا اليه من كل جانب فاخذوه اسيرا ولم يقدر اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ضرار اسيرا فعظم الامر عليهم وقاتلوا
قتال الاشد بين ليخلصوه فلم يقدروا الى ذلك سبيلا فارادوا الهرب
فقال رافع بن عميرة الطائي يا اهل الحفاظ وحماة الذمار الى اين تفرون اما علمتم
انه من ولى ظهره لعدوه فقد باء بغضب من الله بفعله وان الجنة لها ابوابا

لا تقنعهم الا النجا بعد الصبر الصبر يا اهل الدين على قتال عبدة الصلبان وها
انا معكم وفي اولكم فان كان صاحبكم قد اسر او قتل فالله حي لا يموت
وهو يراكم بعينه فرجعوا الى قومهم وحملوا وقتلوا رجالا وجدلوا ابطالا
ووصل الخبر الى خالد بن الوليد ان ضرار بن الازور قد اسر في بلاد الروم وانه قد قتل
من المسلمين ومن المشركين خلقا كثيرا فعظم ذلك على خالد وقال فمن يكن
يكون العدو فقالوا انه اتى في عشرة الاف فارس فقال والله ما كنت اظن العدو الا في
نفر اقل من ذلك ولقد غررت بقومي ثم سال عن مقدمهم فقيل له مقدمهم
وردان صاحب حمص وقد قتل ضرار ابنه فقال لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم
ثم ارسل الى ابي عبيدة يستشيره فبعث اليه ابو عبيدة رضي الله عنه ان
اترك على باب الشام من تثق به وسر انت اليهم بنفسك فانك تلحقهم
في الحين وتتركهم صرعى في البسيط المديد فلما وصل الجواب الى خالد
قال والله ما انا ممن يبخل بنفسه في سبيل الله ثم اوقف مكانه ميسرة بن
مسروق العبسي في الفي فارس وقال له احذر ان يفتك المسلمون ولا تبرح من
مكانك واستعن بربك وتوكل عليه فقال ميسرة له حبا وكرامة وثبت
مكانه ثم عطف خالد بالناس وقال لهم اطلقوا الاعنة وفوقوا
السهام وقوموا الاسنة واذا اشرفتم على العدو فاحملوا حملة واحدة فلعلنا
فلعلنا نخلص ضرار بن الازور ان كانوا ابقوا عليه وبالله ان كانوا عجلوا عليه
بالقتل لناخذن بثاره ان شاء الله ان لا يفجعنا فيه ثم تقدم امام الناس
وهو يقول • اليوم يوم فاز فيه من صدق • لا تجزعوا الموت اذ الموت حق •
• لاروين الرمح من دم الحدق • واهتكن البيض هتكا والدرق •
• واقطعن هام كل من مرق • عسى ان انال الفوز مثل ما سبق •
قال فبينما خالد يترنم بهذه الابيات اذ نظر الى فارس على فرس
كميت طويل الى كاهل قصير العنان بيده رمح طويل لا يتبين منه الا الحماليق
العيون من بين عينيه والفتوة تلوح من شمائله والشجاعة تبين من معاطفه
وقد اطلق عنان فرسه وهو ثابت في سرجه كانما صب فيه وعليه ثياب

سود

سود وقد تقلد بها من فوق اللامة وقد حزم وسطه بعمامة حمراء واتشح بها
من على صدره الى ورائه وقد سبق امام الناس فلما نظر له خالد قال ليت شعري من
الفارس وايم الله انه لفارس شجاع وكان الفارس اسبق خلق الله الى المشركين
وكان رافع بن عميرة الطائي ومن معه في قتال المشركين وقد حمي والتحم ضربا
جميلا اذ نظر الى الفارس الذي وصفنا وقد حمل في عسكر الروم كأنه البازي
فزعزع كتائبهم وحطم مراكبهم ثم غاب في وسط القوم فما كان الا جولة
الجائل حتى خرج وثيابه مضمخة بدماء الروم وقد قتل رجالا وجدل ابطالا
وهو متلثما بكمي الاحتراق والقلق وقد عرض نفسه للمهالك ثم اخترق القلب
غير مكترث ولا هائبا ثم عطف على كراديس الخيل وغاب عن الناس وكثر
قلقهم وعظم قلقهم عليه فاما رافع بن عميرة الطائي ومن معه فلم يكونوا
ولم يشكوا الا انه خالد وقالوا الا تكون هذه الحملة الا لخالد وانهم على مثل
ذلك في فكرتهم اذ نظروا الى خالد بن الوليد وقد اقبل في كتائب الموحدين
وقد اشرف عليهم خالد في كبكبة من الخيل فصاح به رافع بن عميرة
الطائي ايها الامير من الفارس المتقدم امامك لقد بذل نفسه ومهجته في سبيل
الله وفتك باعداء الله فقال خالد انا والله اشد منكم انكارا له ولقد اعجبني
ما نظرت له من شمائله قال رافع بن عميرة الطائي ايها الامير انه منغمس في عسكر
الروم يطعن فيهم يمينا وشمالا قال خالد معاشر الناس احملوا بجمعكم
واسعفوا المحامي عن دين الله فقدم القوم الاعنة وقوموا الاسنة والتصق بعضهم المسلمين
ببعض وخالد امامهم فتأهب الى الحملة اذ نظر الناس الى الفارس وقد خرج من القلب
كأنه البازي والخيل في اثره منصبة وهو كلما تلاحق به قوم من الروم الوى
اليهم فيجدل منهم رجالا فعند ذلك حمل خالد ومن معه فاستنقذوه من
جيوش المشركين ووصل الى جيش الموحدين فتأملوا فاذا هو كأنه شقة
الارجوان وقد تخضب بالدماء فقال له خالد لله من انت من رجل بذل مهجته
في سبيل الله واظهر حنقه على اعداء الله اكشف لنا عن لثامك فمال عنه
الفارس ولم يخاطبه وانغمس في الناس فصارخت به العرب وتصايحت عليه

الناس من كل جانب وقالوا ايها الرجل الكريم اميرك يخاطبك وانت
تعرض عنه امض اليه واكشف له عن لثامك وعرفه بنفسك وباسمك
ونسبك لتزداد احسانا واعظاما في مقامك فلم يرد عليهم جوابا ولا
خاطبهم خطابا فلما بعد عن خالد سار اليه بنفسه وقال له ويحك
شغلت قلوب المسلمين وقلبي بفعلك من انت فلما الح عليه بالكلام خاطبه
الفارس من تحت لثامه بلسان التانيث وقال لم اعرض عنك والله تهاونا
بك وحاشاي من فعلي ذالك ولاكن حياء منك واعتقادا عن مسئلتك لاني
من ذوات الخدور وممن تسبل عليهن الستور وانما حملني على فعلي هذا اني
حزينة القلب محرقة الكبد فقال من انت فقالت انا خولة بنت الازور من
كارهي الكفر والمانسور هو اخي ضرار وانا كنت مع بنات العرب ونساء
من حجر اذا اتاني الناعي بانه اسير فركبت وفعلت بهم ما فعلت فبكى خالد
رحمة لها ثم قال نحن باجمعنا نحمل حملة واحدة ونرجوا ان نصل بها الى اخيك
فنفكه من اسره فقالت وانا في اولكم **قال عامر بن الطفيل**
وكنا عن يمين خالد حين حمل وحملت خولة امامه وحمل المسلمون وعظم على
الروم ما نالهم من خولة بنت الازور وقالوا ان كان القوم كلهم مثل هذا
الفارس فليس لنا بهم طاقة واذا الروم قد اضحى باجمعهم منحي البعد
وردان وقال لهم اثبتوا للقوم فاذا راوا ثباتكم وراوكم مكانكم
ولوا ويخرج اهل دمشق فيعينونكم على قتالهم ولا ينجوا منهم فثبتت
الروم لقتال العرب وحمل خالد ايضا بالناس حملة منكرة فاختل القوم
ورمقهم يمينا وشمالا وقصد الموضع صاحبهم وردان عنده انتشار
الاعلام واشتباكها وتكاثف الصلبان واذا خولة المرتجة والهرقلية
اصحاب الحرير والزرد النضير وهم يعرفون به وحمل خالد ايضا بالناس
حملة منكرة يريد الوصول بها الى كافتهم وارام الوصول اليه فلم يجد له البلوغ
وصولا ولا الى اللحاق به سبيلا وتفرق المسلمون على قتال الروم وكل قرن
مشتغل بقتال قرنه وقاتل رافع بن عميرة الطاي رضي الله عنه قتالا شديدا

تامار

عليه مثله وكذلك خولة بنت الازور اخت ضرار فانها قاتلت قتالا شديدا
وانها اخترقت القوم ودخلت فيهم وفي قلبهم وجعلت تجول يمينا وشمالا
ولا تطلب الا اخاها ضرار بن الازور وهي تنادي بارفع صوتها وتقول

• ابن ضرار لا اراه يومي • ولا اراه معتنقي وقومي •
• يا واحدي يا اخي يا ابن امي • كدرت عيشي وطير نومي •

فبكى القوم لقولها ولم تزل كذلك لا تري له اثرا ولم يزل الناس في القتال الى وقت
الضحى ثم وقد اعطى الله المسلمين عليهم وقتلوا منهم مقتلة عظيمة وافترق
القوم بعضهم من بعض وتراجعت كل فرقة الى مكانها وقد انكسرت الهيرة
الى الروم ما حل لهم من المسلمين وهموا بالهرب وما يمسكهم عنه الا الخوف من
صاحبهم وردان فلما تراجع القوم الى مواضعهم واما كنهم اقبلت خولة
بنت الازور الى المسلمين فجعلت تسئل عن اخيها رجلا رجلا فلم تر في المسلمين
من يخبرها انه يحضر به ولا راه قتيلا ولا اسيرا فلما وقع بها الاياس
منه بكت بكاء شديدا وقالت يا ابن امي ليت شعري في البيداء طرحوك
ام برماحهم طعنوك ليت شعري ابالسنان طعنوك ام بالحسام ذبحوك
يا ليت اختك لك الفداء تفديك من يد الاعداء اني اراك بعدها ابدا
تركت والله يا ابن امي في قلب اختك جمرة لا تخمد من لهيبها ولا تطفا لحقت
يا ابيك الطاهر الامام المصطفى صلى الله عليه وسلم عليك مني السلام الى يوم
لقاء فقال فبكى خالد من قولها وبكى الناس لبكائها وهم خالد ان يعاود
الحملة اذ نظر الى كردوس من الخيل وقد خرج من ميمنة القوم وقد اطلقوا
الاعنة وقوموا الاسنة كانهم العقبان الكاسرة فتاهب الناس لحربهم
وتقدم خالد وابطال المسلمين وخولة فلما قربوا القوم رموا الى ما من
ايديهم والعقربات والسيوف وترجلوا عن خيولهم ونادوا العوز العوز
يعنون الامان الامان فقال خالد اقبلوا امانهم واتوني بهم فاقتحمهم
المسلمون واتوا بهم اليه فقال لهم خالد من انتم قالوا نحن من جند هذا
الرجل وردان وقد سمعنا بكم وقد نحققنا عنكم ان افعالكم ما افعالكم ليس كما ... يا حربكم

خ والعقرا والحرابات

ولا نستطيع له فاعطنا الامان لنا ولاهلنا ولاهل بلادنا ومالنا واجعلنا
من جملة من صالحته من سائر المدن حتى نؤدي اليك من المال ما شئت في كل سنة
وكل مدينة حمص يرضى بقولنا ويستقيم الامر فقال خالد اذا وصلنا الى
بلادكم فثم حينئذ يكون الصلح ان كان لكم فيه ارب واما هاهنا فلست
مصالحكم ولاكن كونوا معنا الى ان يقضي الله ما هو قاض وامر خالد فاعتقلهم
ثم اقبل عليهم وقال لهم هل عندكم علم او لكم خبر بصاحبنا الذي قتل ابن
صاحبكم قالوا العلج العاري الجسد الذي قتل منا ما قتل من العدد وفجع قلب
صاحبنا بولده قال خالد عنه سألت فقالوا انه مع بعثه وردان عندما ملكه على
بغل ووكل به مائة فارس وبعثه الى صاحب حمص ليحمله الى الملك هرقل ليتمتع
معه ويتشفى به لما فهمت له من افعاله ففرح خالد بقولهم ثم دعا برافع بن
عمرو الطائي وقال له يا رافع ما اعرف احدا اعرف بالمسالك منك وانت الذي
قطعت بنا ارض السماوة ومفازتها وعملت الحيلة الى ان عطشت الابل ثم
رويتها وجزمت افواهها واعجازها وكنا في كل يوم ننحر منها خمسة
من الابل ونأكل لحومها ونسقي الخيل من ما في بطونها الى ان خرجنا
الى اركة ولما وصلنا حيث قتلنا وما وطئها احد غيري فانت اوحد اهل
الارض في زمانك في الحيل والتدبير فخذ معك من احببت واتبع اثر القوم
فعسى ان تلحق بهم فتخلص صاحبنا من ايديهم فلئن فعلت ذالك ووفقت
اليه فهي والله اليد الحسنة العظمى فقال رافع بن عمرو حبا وكرامة ثم انتخب
مائة فارس وعزم على المسير فاتت البشارة الى خولة بمسير رافع بن عمرو
ومائة فارس في طلب اخيها فتهللت فرحا واسرعت في لبس سلاحها ولامتها
وركبت واتت خالدا وقد هم القوم بالمسير فقالت له ايها الامير سالتك
بالطاهر المطهر محمد صلى الله عليه وسلم نبي المجتبى الامامي حتى
مع من سرحت فعسى ان اكون مشاهدة لهم فقال خالد لرافع انت تعلم شجا
عتها وشهرتها فخذها معك فقال رافع السمع والطاعة ثم ان رافع بن عمرو
وسار في طلبه صرار وسارت خولة معهم تتبع اثار القوم ولا تخالطهم

وسار

وسار القوم بين الغيب والنقى يبغي الى ان قربوا من سلمية فنظر رافع في الطريق
واذا الغبار للخيل اثر فقال لأصحابه ابشروا واجاز القوم لم يجلوا بعوثهم كمنهم
في وادي الجنان فبينما هم مكمنين فيه واذا بغبرة قد لاحت لهم فقال رافع
لأصحابه ايقظوا اخواطركم فما يغض القوم همهم وخواطرهم وبقوا في
انتظار العدو واذا بهم قد اتوا وهم محدقون بخولة بنت الازور وضرار يقول

الا بلغا قومي وخولة اختي * اسيري رهين مع قوى البيد بالقيد
وحولي علوج الروم من كل جانب * وما منهم الا المصر بالزرد
فيا قلب مت غما وحزنا وحسرة * ويا دمع عيني جد وفيض على الخد

فنادته خولة من مكمنها قد اجاب الله دعاك وقرب فرجك وها انا
اختك خولة ثم كبرت وحملت وكبر رافع واصحابه وحملوا حملة رجل واحد
قال حميد بن سالم وكنا اذا كبرنا نتصل حبلنا الدما من الله عز وجل
وقصد كل فارس واحد منا الفارس واحد من الروم فما كان اكثر من ساعة
الا وقد قتل كل خصم منا خصمه وخلص الله ضرار واخذنا خيل الروم واسلا
بهم وسلاحهم قال رافع بن قادم التنوخي ولقد كنا في قتال
المائة وخولة قد لقيت اخاها وسلمت عليه فرحبا بها ورحبا جوادا وجره
عاريا واخذ قناة وحمل بها معهم وحمل وهو يقول * *

يا رب حمدا اذ اجبت دعوتي * فرجت همي وازلت كربتي
اعطيتني المأمول قبل موتي * جمعتني يا رب مع اختي
فاليوم اشفي من عدوي مهجتي * ارجو بذلك العز في اخرتي

فبينما هم يجمعون السلب ويقبضون الخيل واذا بالروم قد اقبلت منهزمة
واولهم لا يلتفتنا الى اخرهم وعلم رافع ان القوم قد انهزموا فاقبل يلتقطهم
بمن معه وكان السبب في ذلك ان خالد لما بعث رافع بن عميرة الطائي في طلب
ضرار بن الازور والمائة فارس معه ليخلصه من المائة فارس من الروم صرم
ودار عزمه من يطلب الموت على الشهادة ويبتغي الفوز والنجاة في دار
السعادة وصدم المسلمون الروم صدمة الابطال فما ثبتوا وولوا الادبار

وكان اولهم منتهى ما وردان واتبعهم المسلمون يقتلون ولم يزل الواقد يطلب
الروم الى وادى الحيات فهنالك اجتمع المسلمون برافع بن عمرو الطائي وضرار
بن الازور فسلموا عليه وهنوه بالسلامة وسلم المسلمون بعضهم على بعض
واثنى خالد على رافع خيرا واخذوا الاسلاب الروم واموالهم وعادوا الى
دمشق وبشروا ابا عبيدة بالفتح والسلامة وفرح المسلمون بالنصر
وجعلوا يدعون لاخوانهم وايقن اهل دمشق بالغم والغلبة

ذكر خروب سعور

وخرج رابطو خيل المسلمين عن دمشق وحتى
حتى لحقهم الى اجنادين للقاء المشركين وخرج
اهل دمشق يتبعون اعقاب المسلمين يختطفون
من تخلف منهم قال ابو عبد الله محمد بن اسماعيل
بن عبد الله الواقدي رحمه الله حدثني

رفاعة بن قيس قال حدثني زياد بن عبد الله النخعي قال حدثني ابو
زهير بن ورقاء بن عامر الزبيدي عن ابيه روح بن طريف قال كنت مع
خالد بن الوليد على باب الشرقي حين رجعنا من هزيمة وردان واذا قد ورد علينا
عبادة بن سعد الحضرمي وقد بعثه شرحبيل بن حسنة كاتب رسول الله
صلى الله عليه وسلم من بصرى ليعلم خالدا بمسير الروم اليه من اجنادين
تسعين الفا فخذ حذرك للقائهم وان الخبر اتصل بالملك هرقل ان وردان قد
انهزم وقتل ولده فايقن بزوال ملكه وكتب الى وردان اما بعد فانه بلغني
ان الجياع الاكباد العراة الاجساد قد هزموك وقتلوا ولدك فلا رحم المسيح
ولا رحمك ولولا علمي انك فارس الحرب ومبير العجم والعرب وان النصر ليس
الا لك لعزلتك سخطي والان فقد مضى ما مضى وقد بعثت الى اجنادين تسعين
وقد امرتك عليهم فسر نحوهم وانجد اهل دمشق ونفذ بعض اصحابك
ليشغل من في فلسطين من العرب وليحول بينهم وبين اصحابهم وانصر
دينك ونبيك والسلام ونفذ الكتاب مع خيل الى بن علما وردوا عليه

وفي اكد

وقرا كتاب الملك سلا عنه بعض ما كان يجده واخذوا في اهبة المسير الى
اجنادين فسار حتى وصلها فوجد من هنالك من الروم قد اخذوا العدة والعدد
من الدرق والمغفرات والحوارق واشهروا زينتهم ثم خرجوا الى الغابة فسلموا
عليه وقبلوا مراكبه وتقدموا بين يديه وعزوه في ولده فلما استقر قراره
في سرادقه قرا عليهم كتاب الملك فاجابوه بالسمع والطاعة واخذوا على
انفسهم فكتب بذلك كله شرحبيل الى خالد واعلمه به **فلما سمع**
خالد ذلك ركب الى ابي عبيدة وقال له يا امين الامة هذا عباد بن سعيد الحضرمي
قد بعثه شرحبيل بن حسنة يخبرني ان الطاغية هرقل قد ولى وردان على جميع
من تجمع باجنادين من جيوش الروم وهم تسعين الفا فما الذي ترى من الراي
يا صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قدما وامتثل شرحبيل بن حسنة بارض
بصرى ومعاذ بن جبل بحوران ويزيد بن ابي سفيان بارض البلقاء والنعمان
بن المغيرة بارض تدمر وارِكة وعمرو بن العاص بارض فلسطين والصواب
ان تكتب اليهم فيسيروا الينا حتى نقصد العدو ومن الله نطلب النصر والظفر
فكتب خالد الى عمرو بن العاص كتابا يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم
اما بعد فان اخوانك من المسلمين قد عولوا على المسير الى اجنادين فان بها
هنالك من الروم جيشا عظيما فيه جملة من الروم نحو من تسعين الفا وهم يريدون
المسير الينا والوصول لنا ليطفئوا نور الله بافواههم والله متم نوره ولو
كره الكافرون والله ما ضيعهم وقاطع دابرهم ومجعل دائرة السوء
عليهم وقد شخصت اليهم يوم سرحت رسولي اليك فاذا قدم عليكم رسولي
ووصل اليك كتابي فانهضوا الى عدوكم باحسن عددكم واصح نياتكم
ضاعف الله لكم اجوركم وحط عنكم اوزاركم وبارك فيكم وقد سرحت
الكتب لجميع الامراء يقدمون علينا من النسخة التي كتبت لك فاقدم الينا
بمن معك الى اجنادين فانك تجدنا هنالك ان شاء الله تعالى والسلام عليك وعلى من معك
من المسلمين ورحمة الله وبركاته **وكتب** نسخ الكتاب الى جميع
الامراء الذين ذكرناهم وسرح هذه النسخ مع انباط الشام كانوا مع المسلمين

عيونا لهم وكان المسلمون يحسنون اليهم ويعطونهم العطاء الجزيل ان نجد
تقرّبهم اليهم ودعا خالد رجلا من الرسل الذي بعث به الى شرحبيل وقال له وكيف
علمك بالطريق فقال له انا ادل الناس بالطريق فقال له ادفع الكتاب اليه وخبره
من الجيش الذي ذكر لنا انه ياتينا وخبره وبما عاينه كم يغاغي كم يو العدو
الذي قد شخص الينا وعجل حتى تقدم علينا باجنادين قال نعم فخرج الرسول
الى شرحبيل بن حسنة وهو بغير العسكر حتى وصل اليه وليس بينه وبين الجيش
الذي وصل خبرهم مع وردان الا مسيرة يوم وكان قد قرب منه شرحبيل لا يعلم
به ولا يشعر بمسيره نحو اليه فدفع الرسول الكتاب اليه واخبره بالخبر فقال
شرحبيل وقال ايها الناس اشخصوا الى اميركم فانه شخص الى امير الروم
باجنادين وقد كتب الي يامرني بالنهوض اليه ثم نهض الناس وخرج يعقب
الدليل **وقال ابو عمرو الكلقنحي في مصنفه**
عن سهل بن سعد قال لما عزم خالد على الرحيل من دمشق الى اجنادين جمع
الناس اليه وقام فيهم خطيبا فحمد الله واثنى عليه وصلى على النبي صلى الله
عليه وسلم ثم قال اما بعد فانه بلغني ان كتيبة من الروم نزلوا باجنادين وقد
استغاث بهم اهل البلد وسالوهم النصر علينا استغلالا بهم معهم وقد
نزلوا وغرا ابن الكعبي كلا والله سبحانه ان شاء ان يجعل الدائرة عليهم ويقتل
كل فئة منهم فاقصدوا منهم ما قصدوه منكم فاني راحل الى اجنادين فا
نهضوا رحمكم الله **قال ابو عبد الله الواقدي** رحمه الله ثم ان خالدا
امر الناس بالرحيل الى اجنادين فعقدت على ظهور الجمال وساقوا سائر الاموال
فقال خالد لابي عبيدة رضي الله عنهما اني اريد ان اكون على الساقة مع الغنائم
والاثقال والنساء والاموال والولدان وتكون انت على المقدمة في خاصة اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابو عبيدة انا اكون على الساقة وكن انت
في المقدمة مع الجيش فان وصل اليك جيش الروم مع وردان يجدك على
اهبة فتمنعهم من الوصول الى الحريم والاولاد والغنائم فلا يصلون الى النساء
واكون انا قد وقيت حرمه وحرمت حرمه وجعلت من دونها الرجال من دون

الجمال والا كنت انا ومن معي غنيمة لهم اذا كنت في المقدمة فقال خالد الراي لا امير
عليك من اهل دمشق ان يخرجوا وراءك اذا كنت انا في المقدمة وانت على الساقة
فقال ابو عبيدة انا اكون على الساقة وانت على المقدمة فقال خالد لست
اخالفك فيما ذكرت فافعل ما شئت ثم ان خالدا قال ايها الناس انكم سائرون
الى عسكر كثير وجمع كثير وحد عظيم فاحفظوا همتكم وانفسوا اجمالكم
واعلموا ان الله لكم فان الله وعدكم النصر ثم قرا عليهم كم من فئة قليلة
غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين ثم اخذ خالد الجيش وسار في المقدمة
وترك مع ابي عبيدة الفي رجل من المسلمين كلهم خيل وقلبه مع ابي عبيدة قال
وبلغ اهل دمشق ذلك فجعلوا يتعجبون عليهم ويصيحون بهم ويسبو
نهم ويفرحون ويظنون انهم يفرون الهرب لاجل ما بلغهم من الجيوش فاجتمع من
فقال عقلاؤهم ان كانوا على جادة بعلبك فاخرجوا فانهم يفرون منكم وان
وفتح حمص وان كانوا على طريق مرج راهط وشقحب فالقوم لا شك هاربون
الى الحجاز وتاركوا ما اخذوا من البلاد وكان في دمشق يومئذ بطريق
عظيم يقال له بولص بن لاقا وكان عظيما معظما عند النصارى فيه وله اخ يسمى
بطرس وكان هذا بولص اذا قدم على الملك رسل وعجز عن جوابهم وجههم
الى بولص هذا ويبعث اليه فياتي اليه فيفرج عنه وكان من الخلق في السهام
وذلك كان يعلم انه شجيع عظيم وانه رماها بسهم فغاص السهم في النبق
مرفوعة ساعده وكتب عليها بقول مدينة من كان يدعي الشجاعة فليرمي
مثله الى جانب سهمي هذا وكان قد شاع ذكره بذلك ولم يكن قاتل اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ دخلوا الشام فلما راى اهل دمشق
ان جيش المسلمين قد رحل وان خيلهم قد ولوا واخذوا على طريق مرج راهط
وشقحب وظنوا انهم هاربون اجتمعوا الى بولص هذا فقالوا له ما الرجاء بكم
الا فاعلموه برحيل المسلمين وقالوا له ان كنت تريد تغني الاجر والجاه الكبير
عند الملك وعند كل من الشام من الروم فدونك واياهم فاخرج بنا نغنم
من تخلف منهم وان رايت لنا فرصة فيهم فاقتلناه لان صاحب الراية السوداء قد

سائر مغرومة فيشتهم والحزن انما هو منه يعنون خالد بن الوليد رضي
الله عنه فقال لهم يقولون انما كان بسبب تخلفي عنكم وعن نصرتكم
لانكم قليلون الهمة في الحرب لعوافي العرب والان لا قتال غدا وكم فجعلت
نفسي عنكم لانه لا همة الا بعمل الرجال وصاحب الهمة في الحرب لعوافي العرب
والان لا حاجة لي في قتالهم فقاتلوا الله وهو المسيح والانجيل الذي بيننا معنا
وكنت معرضا للنبشر معك وما انا ممن ينفق عنك وقد جعلناك فيمن
يشفق عنك ان تخرج فامنعه ولا تعارضك في ذلك قال فلما استوى منهم
دخل الى منزله وليس لامته فقالت له زوجته الى اين تريد فقال لها اخرج الى قتال
العرب وقتالهم فقد ولاني امرهم مشو عليهم وعلى قتال العرب فاعمهم فقالت
لا تفعل والزم قصرك ولا تطلب ما ليس لك فيه ولا لك به حاجة فقال لها
ولم ذلك قالت فاني رايت في النوم كانك قابض قوسك ترمي به طيورا
وقد سقطت منها كابية الى الارض ثم عادت طائرة بعد سقوطها
وقائمة بعد وقوعها فان ذلك تعجبه مما رايت اذ اقبلت منها نحوك
سحاب من الجوارح فانقضت من الهواء عليك وعلى من معك فجعلت تخطف
بعامكم ووجوهكم ثم وليتم وانتم هاربون منها ورايت انها لا تنصرف
احد الا صرعته ثم انتبهت فازعة مما رايت مرعوبة باكية عليك
فقال لها هل رايت فيمن صرع فقالت بلى وقد تعرضك جارح عظيم
فصرعك فلطم وجهها وقال لها لا بشرت بخير لقد دخل رعب العرب
في قلبك حتى صرت تحلمين بهم لا خوف عليك ساجعل امير العرب بالكا
خادما واصحابه رعاة الغنم والخنازير فقالت له زوجته افعل ما شئت
فقد نصحتك فلم يلتفت الى كلامها وخرج من منزله متاهبا وخرج معه اخوه
بقين بعسر وركب كل من كان معه مشو من الروم وعبي صفهم فاذا هم
ستة الاف فارس وعشرة الاف راجل من اهل النجدة وساروا في اثر ابي
عبيدة وكان خالد قد بعث المقدمة من اصحابه وعن السواد والعيال
وقلبه متعلق في ابي عبيدة لان ابا عبيدة ساير على مشي الاغنام والاتباع وال

والعيالات

والعيالات اذا هم برجل من اصحابه الغيرة واذا برجل يصيح وينادي معاشر
المسلمين تدرعوا وخذوا على انفسكم فاني ارى غبرة قد طلعت تجيء من الى ابي
عبيدة فاعلمه بها فقال ابو عبيدة ان هم الا اهل دمشق وقد طمعوا فينا ثم
وقف حتى تلاحق الظعن والاغنام فمكثوا والغبرة تمتد وتقربوا والاصوات
تعلوا وتقربوا فقال معاشر المسلمين خذوا على انفسكم فان العدو قد اتاكم
فما استتم كلامه حتى برزت الخيل كانها قطع الليل مظلم وبولص على المقدمة
فلما نظر الى ابي عبيدة ومن معه قصده وبولص في ستة الاف وقصد اخوه
بطرس والعسكر الاف من الرجالة الى النسا والحريم فاقتطعوا منهم قطعة
فلما احتووا عليهم رجعوا بهم مع بطرس الى دمشق حتى وصل الى نهر اسمه باق
فوقف هنالك وجلس ينتظر ما يكون من امر اخيه مع المسلمين واما ابو عبيدة
رضي الله عنه فانه لما نظر الى ما جاءه من الامر ومن الروم قال والله لقد كان
الرأي مع خالد اذ قال دعني ان اكون في الساقة فلم ادعه واذا بفرسان قد عليه
عدو الله بولص والاعلام والصلبان على راسه والابطال من المسلمين قد استقبلوهم
بالقتال الشديد وقصد عدو الله بولص ابا عبيدة والتقت بينهما الحرب
ووقع القتال بين الصحابة والروم وارتفعت الغبرة عليهم واخذوا في الكر والفر
على ارض شعورا وبلي ابو عبيدة بقتال بولص وصبر له صبر الكرام وقاتله
قتالا عظيما قال سهل بن صباح وكان تحتي جواد اغر
محجل من خيول اليمن من نسل الوجيه ولاحق فاطلقت له العنان من تحتي كالبرق
فما كان غير بعيد حتى لحقت بخالد ومن معه من المسلمين فاقبلت صارخا
فعطف الي خالد وقال ما وراءك يا ابن صباح فقلت ايها الامير الحق ابا عبيدة
والحريم فان بعض اهل دمشق قد لحقوا بهم وقد اقتطعوا قطعة من الحريم
والولدان وقد بلي ابو عبيدة بما لا طاقة له به فلما سمع خالد كلام
سهل بن صباح قال انا لله وانا اليه راجعون لقد قلت لابي عبيدة دعني ان
اكون على الساقة فلم يقبل لـيقضي الله امرا كان مفعولا ثم امر خالد
رافع بن عميرة الطائي على الف فارس وقال له الحق بالظعن فلما بعد امر عبد الرحمن

93

بن ابي بكر الصديق على الميمنة فارس وقال له ادرك العدو ثم امر بعده ضرار بن الازور على الميمنة واخوه بن عبد الرحمن وبعثهم الى ثم امر بعده قيس بن هبيرة المرادي على الميسرة وبعثه في اثر ضرار ثم اتبعهم خالد بن الوليد بقية الجيش فبينما ابو عبيدة في القتال مع عدو الله بولص اذ لحقت به جيوش المسلمين وحملوا على اعداء الله الكافرين ودارو بهم من كل جانب ومكان ونكست الصلبان واتقن الروم بالبوار والخسران واقبل ضرار بن الازور وقصد بولص فلما راه عدو الله تبلد خاطره ووقعت الرعدة في جسده فاراد ان يولي هاربا فتبعه وكان هو له فقال لابي عبيدة يا ابا عبيدة بحق نبيك الا ما قلت لهذا الشيطان ان يعفو عني او لا يقتلني فقال له من انا الشيطان فصرت في طلبك ثم جاءه بطعنة فلما رآه بولص ان الطعنة واصلة اليه رمى بنفسه عن جواده وطلب الهرب فعثر فاصابه قبل ضرار في كتفه وقال له الى اين يا ابن يولي والى اين تفر والشيطان في كتفك ثم لحقه وهم ان يعلوه بالسيف فقال بولص يا بدوي ابقني فقد نسايكم فلما سمع قوله امسك عنه واخذه اسيرا وكان عدو الله دخل ضرار من صور دمشق وما صنع في عسكر كلوص وعزرايل وما سمع من فعله انقض في بيت لهيبا فلما راه مقبلا عليه عرفه فقال لابي عبيدة ما قال بعدما والمسلمون قد كبسوا اعداء الله وحملوا عليهم وقتلوهم فلا ربعا وعن سالم بن رافع الى يوم قال حدثني مروان بن قبيصة العامري قال اخبرني نسيع بن ماجد العبسي قال حدثني رفاعة بن قيس قال كنت يوم وقعة سحورا مع المسلمين وكنت في خيل عبد الرحمن بن ابي بكر الصديق ودرنا بالروم من كل جانب ومكان وبذلنا السيف فيا في القوم وكانت الروم ستة مائة في كل منقب العيارس وكنا نحن ستة مائة في كل منقب ستة الاف فارس قال رفاعة بن قيس فوالله لقد اعلمنا يوم فتح دمشق انه لم يرجع من الروم يوما مائة نفس احد من ستة الالاف فارس وعشرة الالاف راجل واعلم ضرار ان اخته

بفاتحة

خولة

خولة مع النساء الماسورات فعظم الامر عليه واقبل الى خالد فاعلمه بذلك
فقال له خالد لا تجزع فانا قد اسرنا امة منهم ولنخرجن اخت صاحبهم وسوف
ناخذهم من اسرهم من حريمنا ولا بد لنا من دمشق في طلبهم ثم امر خالد ابا عبيدة
ان يسير مع الناس على مهل حتى يلقى ما يكون من امرهم الحي ثم سار خالد
في الفي فارس من الخيل جريدة وبعث العسكر كله مع ابي عبيدة مخافة
ان يلحقهم وردان وجنوده وسار القوم وتوجه خالد بمن معه في طلب
الماسورات وقدم امامه رافع بن عميرة الطائي وميسرة بن مسروق العبسي
وضرار بن الازور وسار القوم وجدوا في سيرهم وضرار بن الازور يقول

• يا رب بي جد ما تريد من كربتي • ولا تمتني عاجلا بغصتي
• حتى ارى بنا ظفرا اخيتي • ذاك منائي ثم ذاك بغيتي
• سيروا بنا الى العدا يا صحبتي • عسى انال بغيتي ومنيتي •

فضحك خالد من قوله وساروا اخببا ونقى بنا وجد بنا الى ان قربوا من نهر
استيقاف وهو الجسر راوا غبرة طالعة في خلالها البوارق والسيوف
تلمع فقال خالد لقد اعجب قال قيس بن هبيرة اظن انه من بعض رجال
دمشق قد جاء فقال خالد قفوا الساعة لننظر ما الخبر فوقفوا
وساروا حتى اشرف خالد ومن معه عليهم فنظروا الغبار وبريق السيوف
فقال لاصحابه ايكم ياتينا بالخبر فقال رافع بن عميرة الطائي انا لها ايها
الامير ثم اطلق لجواده العنان حتى اشرف على الغبرة فوجد النسوة
وهن يقاتلن الروم فاقبل راجعا فاخبره بما راى فقال خالد لا عجب من بنات
العمالقة ونسل التبابعة منهم تبع الاكبر وتبع ابي كرب وذو رعين
وعبد كلال المعظم وتبع بن حسان بن تبع الذي ذكر في رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما ذكر قبل ظهوره وخروجه وشهد له بالنبوة فقال

• شهدت على احمد انه • رسول من الله بارئ النسم •
• فامته سميت في الزبور • بامة احمد خير الامم •
• فلو مد عمري الى عمره • لكنت وزيرا له وابن عم •

واعلم يا رافع ان هذه النسوة لمن الحروب والمواقف المشهودة
ولمن كر وعلم ما ذكرت فلقد شدد على سائر بنات العرب ان سالف الايام
وازل العار والعار عنهم قال وفرحوا لذلك وتهللت وجوه العرب فرحا
ووثب ضرار ورمى اطماره واقتلع رمحه من مركزه واطلق عنان فرسه يريد
المبادرة الى نصرة النسوة عندما سمع كلام رافع بن عمرو فقال له خالد
مهلا يا ضرار ولا تعجل فمن تأنى في اموره بلغ ما يطلبه من سروره وما سعد
عجول ولا ساد مكسول فقال ضرار ايها الامير لا اصبر عن نصرة ابنة ابي وامي
قال خالد ما كنت اقرب الى الفرج وفتحك هذا ان شاء الله ثم ان خالد رتب
اصحابه وقرن روس الخيل ونشر الاعلام وقال معاشر الناس اذا وصلتم الى
القوم فتفرقوا عليهم ثم احدقوا بهم وعسى الله ان يخلص حرمنا وحريم
صبياتنا وصبيانا فقالوا حبا وكرامة ثم تقدم خالد في القلب وسمع
الناس وعن سعيد بن عمرو قال حدثني سنان بن حازم اليربوعي قال
سمعت حبيب بن مصعب يقول لما انقطعنا الى يوم مرج كرمنا من نساء العرب
سار بهم بطريق عمر اخو بولص الى ان نزل بهم حيث ذكرنا ثم قال لهم يا معشر
اني لا ابرح من هنا حتى ارى ما يكون من امر اخي مع العرب ثم انه عرض اماما
النساء فلم يرى في الحي احسن من خولة بنت الازور اخت ضرار فقال هذه لي
وانا لها لا يعارضني فيها معارض فقال له اصحابه هي لك وانت لها ثم
اقطع القوم الجواري كل من يسبق الى جارية واحدة يقول هذه لي ثم ضموا
الغنيمة ووقفوا ينتظرون ما يكون من امر بولص واصحابه قال وكان في النسوة
عزائم من حمير من نسل العمالقة والتبابعة وكن قد اعتدن ركوب الخيل
وخوض البلد والهجوم على قتال قبائل العرب فاجتمع النسوة بعضهن فقالت
لهن خولة بنت الازور يا بنات حمير وبقية تبع اتى ضيرا ان يملككم علوج
وتكن عبيدا لاهل الشرك والكفر والشك فاين شجاعتكن وبراعتكن
التي تحدثت بها عنكن في احياء العرب ومجالس الحضر وما ان يكن الا بمعزل
من ذلك واني ارى الموت اهون عليكم من هذه المصائب وما نزل بكم من خدمة

صبياتنا

الهوى

اليوم فقالت لهما عفيرة بنت غفار الحميرية يا بنت الازور وايم الله
انا لكما ذكرتما وحب الشجاعة والبراعة كذلك ولنا المشاهد العظام والمواقف
الحسان الكرام وقد اعتدنا ركوب الخيل وهجوم الليل غير ان القوم لا يحسن فعله
الا بالنبل والرمح يحسن فعله بالطعن والسيف يحسن فعله بالضرب ولولا هذه
الادوات ما عمل السلاح شيئا فما حيلة من لا يملك سيفا ولا رمحا ولا قوسا
وانما قد قصدنا العدو وغيرنا على غير اهبة وها نحن كالغنم اذا كانت بلا راع
او الابل اذا شردت فقالت لهن خولة يا بنات التبابعة والعمالقة
فاقتلعن من اعمدة الخباء والبيوت واوتاد الطنب ونحمل على هؤلاء اللئام
ولعل الله ان ينصرنا عليهم فاما ان يقتلونا فنستريح من العار ولا نعير يا نساء
العرب فقالت لها عفيرة بنت غفار والله ما دعوت الا لشيء هو احب الي
مما ذكرت ثم تناولت كل واحدة منهن عمود خيمة وخولة بنت الازور
على مقدمتهن وهي قد احتزمت والقت على عاتقها عمود خيمة ومن ورائها
عفيرة بنت غفار وام ابان بنت عتبة وسلمى بنت زارع بن عروة ولبنى
بنت سوار ومزروعة بنت عملوق الحميرية وسلمى بنت النعمان ومثل هؤلاء
فقالت لهن خولة لا ينفك بعضكن من بعض وكن كالحلقة الدائرة ولا تفترقن
فتملكن ويقع بكن التشتيت وحطمن الرماح واكسرن السيوف واهتكن
الجماجم قال وهن صفة واحدة وبرزن الى الروم فسبقت خولة فاول ما
ضربت رجلا من الروم فوقعت هامته بالعمود فانجدل صريعا فالتفت الروم
ونظر ما الخبر فاذا بالنسوة قد اقبلن نحوهم والاعمدة بايديهن فصاح بهن
البطريق يا ويلكم ما هذا فقالت له عفيرة هذا فعلنا انفة لانفسنا
و نتنزه بها عن معرة العرب لنا ولنضرب بكم اليوم بهذه الاعمدة حتى
تنقطع ادمغتكم وتنصرم اعماركم قال فضحك بطرس من
قولها ثم صاح بقومه وقال يا ويلكم تفرقوا واركبوا على النسوان ولا تبذلوا
فيهن السيوف وخذوهن اسارى ومن وقع منكم بصاحبته فلا يقتلها وكذلك
فافترق القوم عليهن واحدقوا بهن من كل جانب وراموا الوصول اليهن فلم يقدروا

الى ذلك سبيلا وجعل النسوة لا يرفعوا اليهن احد من الروم الا قتلنه و لا
ضربنا قوائم فرسه ان كان فارسا فيعقبنه فاذا اردينه وانكبا على وجهه
بادرناه بالاعمدة فيقتلنه ولقد بلغني ان النسوة قتلن ثلاثين فارسا من
الروم وخولة بنت الازور امامهن وهي ترتجز كالاسد وتقول •

• نحن بنات تبع وحمير • وضربنا للقوم غير منكر •
• وانا في الحرب كنار تسعر • بالقوم نردي الهلاك الاكبر •
• من خوات خولة وبنت الازور • نحمل فيكم حملات القسور •

فلما سمع بطرس ذلك من قولها وتبين حسنها وجمالها مع حسن
اعتدال قامتها في البها حتى سار بازائها وقال يا عربية اقصري عن فعلك من
فعلك فانا مكرم لك نصير لك ما تحب وما يسوءك الا اني ضمير ان اكون مولاك
وانا الذي تعرفني النصرانية كلها ولي المنزلة الرفيعة العظمى من الملك هرقل
ولي ضياع وبساتين واموال وماشية وجميع ما انا فيه مردود اليك ومصروف
عليك فلا تقتلي نفسك بيدك فقالت له والله يا ابن الكافر واللئيم العاجز
لئن وقعت بك لاضربن راسك بهذا العمود والله ما ارضى ان ترعى الابل
والغنم فكيف ان تكون لي كفوا فلما نظر الى ذلك بطرس وسمع منها ذلك
الكلام حرد وكفر وغضب غضبا شديدا ثم نادى في رجال اصحابه ان احملوا وزحفوا
نحوهن بالقنطاريات والسيوف وحرض اصحابه على القتال وقال لهم ما تقولون
عار اكبر من هذا في جميع الشام وعند ملوك العرب ان نسوة غلبتكم
فاتقوا غضب المسيح والملك هرقل فلما نظر الروم لقوله وحملوا على النساء حملة
عظيمة واقبل بطرس باسه وتلهف عندما نظر الى فعلهن وصبر لهم
النسوة وهن ينادي بعضهن بعضا ويقلن متن كراما ولا تمتن لئاما
فبينما الروم في القتال مع النسوة وانهم لعلى مثل ذلك اذ اشرف عليهم
خالد بن الوليد واشرفت عليهم الكتائب معه وهم يقولون جاءكم الفرج وب
العلم نرى منكم المنعم قال ونظر بطرس الى كتائب الموحدين قد اشرفت
عليهم والرماح مشتبكة كآجام القصب والسيوف تلمع كانها البروق

فجعل

يخفق فؤاده وان تعرف في ابنه واقبل القوم ينكر بعضهم بعضا فصاح بهن
يا معشر النسوان انه قد حل في قلبي لكن رحمة ووقع لكن فينا اشفاق لان لنا
اخوات وامهات وبنات وقد وهبتكن للصليب فاذا فرغ رجالكن فاخبرنهم بذلك
ثم عطف يريد الحرب اذ نظر الى فارسين قد خرجا من قلب العسكر احدهما
متكفر بلامته والاخر عاري الجسد من الاطمار اسمر اللون كانه الشن البالي
وهو على فرس له عاري بغير سرج وبيده رمح وقد اطلقا عنان فرسيهما كانهما
اسوار وكان احدهما خالد بن الوليد والاخر ضرار بن الازور فلما رات خولة اخاها
ضرار قالت اليك يا ابن امي اليك ان كان في الله غني عن نصرتك وكفاية عن معونتك
فصاح فيها البطل فويحك فمن انطلقي الى خيمتك فقد وهبتك له وان كنت لا احب
فراقك ولو فطر القلب فقالت له خولة وهي تقول اما لتبين تعد امرا تسمع العرب
للعجب تكون لنا التعب والحب ونكون لك الشاعر والجفاشي ثم ضحكت اليه
خطوات فقال لها اليك عني فوجهك وغيبي عن رؤيتك فقد زال ما كنت احرس
محبتك فقالت له خولة لابد منك على كل حال ثم التفت اليه وقد قصده ضرار
ايضا وخالد والكتائب وقد اسرع كل فارس الى قرنه فصاح بهم بطرس حين نظر
الى ضرار وقد قصده يا عرابي خذ اختك مبارك لك فيها وهي هدية مني اليك فقال
ضرار قد قبلت هديتك وشكرتها واني لا اجد لك مكافاة على ذلك الا السنان
ربما تقول هدية مني اليك ثم حمل عليه ضرار وهو يقول واذا حييتم بتحية فحيوا
باحسن منها او ردوها ان الله كان على كل شيء حسيبا ثم هم بالطعنة اليه
وعول بها عليه فقد صلت اليه خولة فضربت قوائم فرسه فانكب به الجواد وذهب
عدو الله ليسقط الى الارض فبادره ضرار قبل سقوطه وطعنه في خاصرته حتى خرج
السنان من الجانب الاخر وانتكس عدو الله وسقط في الارض قتيلا فصاح به خالد
لله انت لقد طعنته لا يخيب كافعلنا ثم حمل في اعراض القوم وحمل خالد واصحابه
فما كانت الا جولة الجاهل حتى قتل من الروم ثلاثة الاف رجل **قال خالد**
بن عمرو اليربوعي ولقد عددت لضرار بن الازور انه قتل وحده من الروم ثلاثين رجلا
وقتلت اخته خولة رجالا بعمودها ورايت عفيرة بنت غفار الحميرية وقد قتلت

فقتل الاشتر بيراو وجاءهم جنباد اعظم الروم مثله من امرائه وانهزم بقية الروم
ولم يزل المسلمون في ادبارهم الى ان وصلوا الى دمشق ولم يخرج اليهم احد من
اهلها بل زادوا في غمهم واشتد قلقهم فرجع المسلمون فجمعوا الغنائم والخيل
والسلاح والاموال ثم قال خالد ايها الناس انطلقوا الى ابي عبيدة لئلا يكون
وردان وجنوده قد لحقوا به فسار القوم وقد جعل ضرار راس بطرس على
سنان رمحه وجدوا في المسير حتى وصلوا الى ابي عبيدة ولحقوا به في مرج
الصفر وقد تخلف عن المسير حتى التقى المسلمون عليه وكبروا واجابهم
خالد ومن معه ولما اجتمع المسلمون وسلم الناس بعضهم على بعض وراوا
الماسورين فرحوا بهم واخبرهم من حضر الوقعة بما فعل النساء في
[illegible] وبفعلهن وايقنوا بنصر الله تعالى وعلموا ان النساء لهم ثم دعا
خالد ببولص ومن معه من الماسورين وقال له يا ويلك اسلم والا فعلت بك
ما فعلت باخيك قال وما الذي فعلت باخي فقال له خالد قتلته وهذا راسه
عنوانا فجاء به ضرار وطرحه بين يديه فلما راى راس اخيه بكى وقال
لا بقاء لي بعده فالحقني به فقام اليه المسيب بن نجبة الفزاري بامر خالد
فضرب عنقه وضربت اعناق من معه ثم رحل القوم سائرين لما كانوا
سائرين اليه قبل هذا من لقاء جيش الروم مع وردان باجنادين

ذكر حروب اجنادين والاجتماع جيوش المسلمين بها وكافة امرائهم

قال ابو عبد الله محمد بن اسماعيل بن عمر الواقدي
رحمه الله حدثني سعيد بن مالك العجمي قال اخبرني سفيان بن مرة المازني
قال حدثني يونس بن عبد الاعلى قال لما بعث خالد الكتب الى شرحبيل بن
حسنة والى معاذ بن جبل والى يزيد بن ابي سفيان والى عمرو بن العاص رضي الله
عنهم اجمعين وقد اكل واحد من الامراء كتابه سارعوا الى معاونة اخوانهم
بجمعهم الى اجنادين وجاءوا بعددهم وعددهم قال سفينة مولى رسول
الله صلى الله عليه وسلم كنت في خيل معاذ بن جبل واننا فلما جمعنا على اجنادين

سفيان

وكانا كنا على ميعاد واحد وذلك في جمادى الأولى سنة اثني عشر من
الهجرة وتبادر المسلمون يسلم بعضهم على بعض ورأينا جيوش الروم في عدد
لا يحصى ونزلنا بإزائهم فلما التقينا عليهم أظهر الناس زينتهم وعددهم
وتصفوا كتائب وطوائف ومواكب وأمر والينا بأجنادين ومروا صفو
فهم وكانت الصفوف تسعين صفا في كل صف ألف **قال الضحاك بن**
عروة فوالله لقد دخلت العراق ورأيت جيوش كسرى وجيوش العجم فما
رأيت أعظم جيشا من جيوش الروم ولا أكثر من جنودهم ولا من عددهم
وسلاحهم بأجنادين **قال الراوي** ولقد بلغني عمن أثق به أن وردان لما
رأى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اجتمعوا وعولوا على حربه وعزموا
عليه جمع الملوك والبطارقة وأعيان جيشه إليه وقال لهم يا بني الأصفر اعلموا
أن العرب قد عولوا عليكم وإن تكسرتم فلا تقوم لكم قائمة بعدها أبدا
وتملك بلادكم وتقتل رجالكم وتسبى حريمكم فعليكم بالصبر وايقظوا همتكم
ولتكن حملتكم واحدة ولا تفترقوا واعلموا أن كل ثلاثة منكم لرجل منهم واستعينوا
بالصليب يعني يعينكم **قال الضحاك بن عروة** فلما كان من الغد بادرت
الروم نحونا فلما رأيناهم قد ركبوا أخذنا على أنفسنا وقابلناهم فرتب خالد رضي
الله عنه عسكره ميمنة وميسرة وقلبا وجناحين فجعل في القلب معاذ بن جبل
وفي الميسرة سعيد بن عامر وفي الجناح الأيمن النعمان بن المنذر وفي الجناح الأ
يسر شرحبيل بن حسنة وفي الميمنة يزيد بن أبي سفيان في أربعة آلاف حول
الحريم والبنات والأطفال وإن خالدا ركب جواده وجعل يتخلل الصفوف ويقول
اعلموا أنكم لستم ترون جيشا أعظم من هذا أو لا مثله فإن هزمه الله على
أيديكم فلا تقوم لهم قائمة بعدها أبدا فصونوا الجلاد وعليكم بنصر دينكم
وإياكم أن تولوا الأدبار فيعقبكم ذلك دخول النار فاقرنوا المناكب
وهزوا القواضب وأيقظوا همتكم ولا تحملوا حتى آمركم بالحملة ثم التفت
خالد إلى المسلمين وقال أيها الناس أيكم من يخرج لنا القوم ويبرز لهم
ويحمي فيما يظهر له من أحوالهم فقال ضرار أنا لها أيها الأمير فقال خالد أنت لها

والله يا ضرار لا كان الذي فيه على القوم فاياك ان تغرر بنفسك فتحمل
عليهم بما امرك الله بذلك وقد قال عز وجل ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة
التهلكة فاطلق ضرار عنانه الى ان اشرف على القوم فنظر الى بنودهم واهبتهم
وخيامهم وشعاع البيض والدروع والرايات كاجنحة الطيور وكان
وردان يحدق فانتصر له نحو جيش المسلمين وكر يقفو اثره الى ضرار فقال البطريق
زفنته اني رايت فارسا قد اقبل ولست اشك انه طليعة القوم فابغي فاتيني
به فانطلق من القوم ثلاثون فارسا وابتدروا الامتثال امره وطلبوا ضرار
فلما راهم ضرار ولى بين ايديهم كي يتبعوه واراد بذلك ان يبعدهم عن
اصحابهم فلما ولى بين ايديهم اتبعوه وظنوا انه قد انهزم فلما بعد واخرجهم
داس الجواد اليهم وصوب السنان نحوهم فاول ما طعن فارسا من القوم فنكسه
رداه وثنى بثان وصال بينهم صولة الاسد وصرخ فيهم صرخة عظيمة
فدخل الرعب في قلوبهم فانثنوا من بين يديه وهو يصرع منهم فارسا بعد فارس
الى ان صرع من القوم تسعة عشر رجلا فلما قرب من جيش الروم ولى راجعا الى ان
وصل الى خالد واعلمه بما كان من امره فقال له الم اقل لك لا تغرر بنفسك ولا تحمل
عليهم فقال له ان القوم طلبوني وخفت ان يراني الله منهزما فجاهدتهم بنية
واخلاص ولاجرم ان الله نصرني عليهم ووالله لولا خفت من ملامتك لما رجعت
حملتي على الجميع واعلم ايها الامير ان القوم غنيمة لنا ان شاء الله ثم ان خالد
رضي الله عنه لما رتب اصحابه كما ذكرنا التفت الى النساء وهن عفيرة بنت
بنت غفار الحميرية وام ابان بنت عتبة بن ربيعة وكانت عروسا قد تزوجها
ابان بن سعيد بن العاص في ذلك اليوم والخضاب في يديها والعطر في راسها
وخولة بنت الازور ومزروعة بنت عملوق الحميرية وسلمى بنت زارع بن
عروة وسلمى بنت النعمان بن ربيعة ولبنى بنت سوار وغيرهن من النساء
ممن عرفن بالشجاعة والاقدام رضي الله عنهن فقال لهن خالد يا بنات العمالقة
ومن بقي من بقية التبابعة وسادات الاكاسرة قد فعلتن فعلة ارضيتن
الله ورسوله والمومنين بها وقد بقي لكن بذلك الذكر الجميل وهذه ابواب

الجنة قد فتحت لكم والنار قد اغلقت عنكم وفتحت ابوابها لعدوكم واعلموا انه
واتقوا ربكم فان حملت كتيبة من الروم عليكم فقاتلوا عن انفسكم وان رايتم
احدا من المسلمين هاربا فدونكن فيه فاضربن وجهه بعمود وعيرنه وابناءه وانسبنه الى السبة
بولده وقلن له الى اين تولي عن اهلك وولدك وحريمك فانكم عرض بنات الـ
المسلمين وقالت له عفيرة بنت غفار رحمة الله عليها ايها الامير وايم الله
ما يعجبنا الا ان لو قدمتنا امامك لنضرب وجوه الروم ولنقاتلن الى ان لا يبقى لنا
عين تطرف وقالت خولة ايها الامير والله ما نبالي بمن دخل علينا كائنا من كان نحن اهل
خيما واثنى عليهن ثم عاد خالد الى الصفوف فجعل يدور بينهم
بفرسه ويحض الناس على القتال وهو ينادي برفيع صوته معاشر الناس
انصروا الله ينصركم وقاتلوا في الله من كفر واحتسبوا نفوسكم في سبيل
الله واصبروا على قتال اعداء الله وقاتلوا عن حريمكم واولادكم فليس لكم
ملجأ تلجؤون اليه ولا مكمن تكمنون فيه فاقرنوا المناكب وقوموا القواضب
والزموا الصمت الا من ذكر الله ولتكن السهام اذا خرجت من كبد القسي
كانما تخرج من كبد قوس واحد فانه اذا خرجت السهام رشقا كالجراد
لم يخل ان يكون فيهم سهم صائب واعلموا انكم لن تلقوا عدو الله
حماته وابطاله وملوكه مثل هذه الفئة من ماتهم وحماتهم وابطالهم
وملوكهم ولا تحملوا حتى امركم بالحملة واصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا
الله لعلكم تفلحون قال فقبل الناس لقوله وانتدبوا ونشطوا
للكفاح والضرب فجردوا السيوف واوتروا القسي وفوقوا السهام فاقبل
خالد فوقف في القلب مع عمرو بن العاصي وعبد الرحمن بن ابي بكر وقيس بن
هبيرة المرادي وميسرة بن مسروق العبسي ورافع بن عميرة الطائي والمسيب
بن نجبة الفزاري وذو الكلاع الحميري وربيعة بن عامر ونظائرهم ثم رجعوا
بسكينة ووقار فلما نظر ورد الى جيش المسلمين قد زحف نحوه زحف
هو ايضا بعسكره وكانوا من كثرتهم قد ملؤوا الارض في الطول والعرض
واقبل اعداء الله في عسكر من الصلبان والاعلام ورفعوا اصواتهم بالضجيج

بكلمة الكفر فلما نظر وردان تقارب القوم بعضهم من بعض خرج
من صفوف الروم شيخ منهم بلامة سوداء وعليه اقامة فلما قرب من
صفوف المسلمين نادى بلسان عربي ابن ابي بكر المقدم فليخرج الي فخرج الشيخ
فخرج اليه خالد فقال له القس انت امير القوم قال له خالد نعم كذا زعم الكل
في عمري انه اميرهم ما دمت على طاعة الله وسنة نبيه فان انا بدلت او غيرت
فلا طاعة لي عليهم ولا امارة فقال القس بهذا انتصرتم علينا ثم قال له واني
لهذا اعلم بانك قد توسطت بلادا ما تجاسر ملك من الملوك ولا للعجم
ان يتعرض لها ولا يدخلها وان الذين دخلوها رجعوا خائبين وانكم امة
اتونا وافنوا انفسهم علينا وما بلغوا ما ارادوا وانما والان نصرتم علينا
وليس النصر يدوم لصاحبه وهذا صاحبنا وردان قد اشفق عليكم ان
تسفك دماؤكم وقد بعثني اليكم وقال نعطي لكل واحد منكم ثوبا
وعمامة ودينارا ولك انت مائة دينار وعشرة اثواب ولصاحبكم يعني
ابا بكر الف دينار ومائة ثوب وارجعوا عنا بجيشكم فانا على عدد الذر
وليس فينا من ينهزم ولا تظنون ان هؤلاء مثل من لقيتم من جموعنا فان
الملك قد قدم فيما تقدم في هذا الجيش الاعظم البطارقة وعلماء الاساقفة
فقال له خالد والله ما نرجع عنكم الا باحدى ثلاث خصال اما ان تدخلوا في
ديننا واما ان تؤدوا الجزية عن يد وانتم صاغرون او القتال واما ما ذكرت
انكم على عدد الذر فان الله تعالى قد وعدنا النصر على لسان نبينا وانزله
في كتابنا واما ما ذكرت ان صاحبك يعطي لكل واحد منا ثوبا وعمامة
ودينارا فعن قريب نحن ناخذ ثيابكم علينا ونعمكم وبلادكم ملكا لنا
فقال الراهب انا ارجع الى صاحبي واخبره بجوابك ثم ولى القس وعطف
راجعا واخبر وردان بما كان من جواب خالد فقال وردان ابصر انا مثل من يغتر
بالامس وانما هؤلاء قد اطمعهم الطمع اذ تقاصرنا عن قتالهم والملك الان قد
بعث اليهم الاراجنة والامداد رجالة وعلماء الهي قلبه وكبراء البطارقة
وما بيننا وبينهم الا جولة الجائل حتى نتركهم صرعى ونذرهم هباء

ثم امر

ثم امر خالد اصحابه بالاهبة وزحف وقدم امامه الرجالة صفا امام الخيل
وبايديهم القسي والحراب وصاح معاذ بن جبل معاشر الناس ان الجنة قد تزخرفت
والنار قد غلقت والملائكة قد اشرفت والحور قد تزينت فابشروا بالحياة
التي مرية والنعيم الدائم ومجاورة العزيز ذي المنة ان الله اشترى من المومنين
انفسهم واموالهم بان لهم الجنة الحملة الحملة بارك الله فيكم فقال خالد مهلا يا معاذ
حتى اوصي الناس ثم قال ايها الناس اقرنوا المناكب بالمناكب والزموا الصمت
الا من ذكر الله واعلموا ان هولاء اضعافكم فاحملوا ولو لهم الى وقت العصر فانها
كانت ساعة يرزق فيها نبيكم صلى الله عليه وسلم النصر على اعدائه واياكم
ان تولوا الادبار ازحفوا على بركة الله فلما تقارب الجمعان رمت الرماة
نفسا بها رمية واحدة فقتلوا رجالا وجرحوا اناسا واعادوا واعادوا
وخالد قد اوقف الناس ومنعهم من الحملة فقال له ضرار بن الازور ما لنا والوقوف
والله تعالى قد تجلى لنا والله ما ينظر اعداء الله الا انا قد فشلنا وجزعنا
مرنا بالحملة والابتدار ومنا رجال احب ان يبارزوا او يكون ذلك الى وقت الحملة
فنحمل بحملتك فقال فانت لها يا ضرار فقال فوالله ما شيء احب الى قلبي
واشهى اليه من ذلك ثم خرج ضرار وقد تدرع بدرع [illegible]
والقى الزرد على وجهه وركب جواده وعليه [illegible] لطاف من جلود الفيلة
وكان ذلك اللطاف ايضا لبكر بن [illegible] فوقى به نفسه عن الروم بذلك اللطاف
وبلباسه ثم اطلق عنانه وحمل في صفوف الروم فرشقوه بالسهام ورموه
بالحجارة فلم يصل اليه منهم اذى وهو يفتق في صفوفهم ويجول ابطالهم
فما كانت الا جولة الجائل حتى قتل منهم عشرين فارسا وراجلا قال
حسان بن عوف وكنت ممن يعد قتلى ضرار كلما وقع فارسا وراجلا احسبه
حملة من قتل في حملته تلك ثلاثون فارسا وراجلا وقال عمرو بن سالم
حدثني نوفل بن زياد عن رفاعة بن اسلم عن جده ضريبة ابن كارق اليحصبي
فاقبلت الفرسان تتاخر عن قتاله مما ابصروا منه من فعله ثم رمى بالبيضة
عن راسه وبالزرد عن وجهه وباللطاف عن جسده وقال ويحكم يا بني الاصفر

انا ضرار بن الازور صاحبكم بالامس وغم بكم اليوم الان انا قاتل حمران بن وردان
انا مفنيكم في كل مكان انا البلاء المسلط على من اشرك بالرحمان فلما سمعت
الروم كلامه وعرفوه تقهقروا الى ورائهم وخافوا فصاح فيهم وحمل في
اثرهم فعندها انعكفت عليه الارجية والهرقلية والمرتجة فتقهقر الى
ورائه فقال وردان من هذا البدوي فقالوا ايها الملك هذا الذي يكمن مرة على
الجسر ومرة بالرمح ومرة بالنبل المسمى ضرار بن الازور قاتل ولدك حمران فلما
سمع وردان ذكر ضرار بن الازور قال هذا والله قاتل ولدي ومقلل عزي ولقد
اشتهيت ان اخرج اليه بثاري منه ولكني ما تم بدرع رقبته ثم قال من يعرف
ثاري منه وله مني ما يريد فبرز اليه بطريق من الارجية اشنه قال صاحب
ضربته **قال هلال بن مرة** وكنت في الميسرة وكان عن يسار
روماس صاحب بصرى فسمعته يقول هذا معقعع اربعا ولم ادر ما اسمه فقال
لوردان ايها الصاحب انا اخذ لك بثارك منه ثم اطلق عنان جواده وحمل
على ضرار بما تعاولا اكثر من ثلاث ساعات حتى طعنه ضرار طعنة صادقة
حتى خرج بها درع اللعين فانجدل صريعا وفي الارض قتيلا فقال وردان نعم ما
اتاك به ولو اتاك به ورايته عيانا لما صدقت بصري فكيف تكيبو الانس
لقتال الجن وما دام وصار لهذا الزنيم غيري ثم ترجل وردان عن سريره
ولبس لامته والقى الدرع على بدنه وعليه من فوقه شبكة من اللولو وجعل
التاج على راسه ويطلب بذلك الهيبة على ضرار ثم ركب جواده من نسل خيل
العرب وهم ان يخرج فتعرض اليه بطريق من الادرجانية اسمه اصطفان
وهو صاحب عمان فقبل ركابه وقال له ايها السيد ان انا اخذت لك بثارك
من هذا اللعين بان قتلته او اسرته اتزوج ابنتك **فقال** وردان هو لك
وكل شيء لها لك وبين يديك وانا اشهد جميع من حضر من ملوك الشام
وخواص الملك بهذا **فلما** سمع اصطفان بذلك خرج مصمما
كانه شعلة نار وحمل على ضرار بن الازور وقال له ويحك يا ويلك مالا قدرة
لك عليه ولا طاقة لك به فاعلم يا بن ضرار ما يقول بلسان الحال وميتة عني

انه اخذ حذره منه وقد اخرج اصطفان صليبا من الذهب وجعله في عنقه
في سلسلة من الفضة وجعل يقبله فعلم ضرار انه يستنصر عليه بصليبه
فقال ضرار ان كنت تستعين علي بالصليب فانا استعين عليك بالرقيب
العجيب الذي هو مني قريب ثم حمل بعضهما على بعض واري كل واحد منهما
ابوابا من الحرب حتى اعجب الناس من قتالهما فصاح خالد يا ابن الازور ما هذا
التبلد والتغافل والجنة قد فتحت لك والنار قد اضرمت لعدوك فاياك والفشل
فانك بعين الله عز وجل قال فابغض ضرار خاطره وحمل على صاحبه وتصارخت
الروم بصاحبها تشجعه وكلاهما في حرب عظيم حتى حميت الشمس وجللهما
وتعب الجوادان فاشار البطريق الى ضرار ان ترجل وترجل هو وبقيا رجالة
ففهم ضرار ان ذلك شفقة منه على جواده واذا بصفوف الروم قد انفرجت
وخرج منها فارس يقود جوادا اجنبيا وكان الفارس غلام البطريق فلما
نظر اليه ضرار صاح بجواده حتى اسمعه الناس بقوله تحملني ساعة
والا شكوتك عند قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمحم جواده و
وشمر اجتهد جريه فاستقبل ضرار غلام البطريق فطعنه طعنة صادقة
فقتله وركب جواده واطلق ضرار جواده نحو عسكر المسلمين ثم عاد
نحو البطريق فلما راه البطريق وقد قتل غلامه وركب جواده ايقن عدو الله
بالهلاك وعلم انه ان ولى قتله للعادة وان وقف اهلكه فوقف متحيرا
وقال ان انا رجعت قتلني وان وقفت اهلكني فلما نظر ضرار الى عدو الله وتبلده
وعلم ما عنده فاجمع على الحملة عليه واراد بها وانه في ذلك اذ نظر الى
كردوس من الخيل وقد خرج من عسكر الروم وذلك ان وردان لما نظر الى صا
حبه وقد اشفى على الموت علم انه ان لم يدركه هلك فقال لقومه يا قوم
ان هذا الشيطان قد اكل قطعة من كبدي وان لم اقتله اليوم قتلت نفسي
ولا بد من الخروج اليه وادع الملوك تعاين تخروني الى هذا الضعيف فما
زالت البطارقة والقياصرة الهرقلية يردونه حتى حلف لهم بالصليب
انه لابد من الخروج اليه فخرج في عشرة وهم مقنعون وفي ارجلهم اخفاف من

حريرية وسواعد من حديد وبايديهم اعمدة الحديد ووردان قد تكبر في
لامته وعلى راسه التاج فخرج القوم ووردان يقدمهم ونظر الى ذلك
الصقعان فقوي قلبه بعد ان ايقن بالهلاك ونشط للحرب بعد الارتباك
وصاح بضرار من الازور دونك والحرب فلم يلتفت ضرار الى خروج وردان
ومن معه الا انه تاهب له اذ نظر خالد الى القوم وخروجهم ونظر الى التاج
لا يكون الا على راس الملك ولا شك انه صاحب القوم وردان وارى قد خرج
الى اخينا وصاحبنا فما الذي يقعدنا عن نصرته ثم قال لاصحابه ليخرج منكم
عشرة في مساواة القوم ثم خرج خالد في عشرة فما لحقوا الا عشرة اليهم
وحملوا عليهم وقد وصلت الروم الى ضرار وقصدوه وقد شهر الحرب والقتال
الى ان وصل اليه خالد باصحابه وصاح يا ضرار ابشر فقد اسعدك الجبار وقد
تم عمر من الكفار فقال ضرار وما في ب النصر من الله وغشيه خالد ومن معه
والتقت الرجال بالرجال وانفرد كل واحد لصاحبه وطلب خالد صاحبهم
وقد سمع وردان ولم يزل ضرار عن خصمه الرومي جاني الصقعان وهو قد كل
ساعده وعادت في حمه بن حمزة عندما نظر الى خالد واصحابه وجعل
ينظر يمينا وشمالا يطلب الهرب وليس لفرسه نهضة فلما راى ذلك
ضرار وعلم منه حمل عليه وهجم اليه بسنانه فايقن اللعين بالهلاك فلما
ايقن بالموت القى نفسه عن الجواد وولى هاربا فبادر ضرار والقى نفسه
ايضا عن جواده وطلب عدو الله حتى لحقه فعند ذلك رمى ضرار الرمح
من يده وتصارعا على وجه الارض وتراجعا وتواخذا بالمناكب وكان عدو
الله كالصخرة الجلمود وكان ضرار رضي الله عنه نحيف الجسم غير
ان الله اعطاه حيلة وقوة فلما طال بينهما العراك ضرب ضرار بيده الى
محزمه واخذ عدو الله من مراق بطنه فقلعه من الارض بحيلة ثم جلد به
الارض فصاح عدو الله وجعل يستغيث بوردان ويقول يا لي وميتة ابنا السير
انقذني مما انا فيه فقد هلكت فصاح به وردان وقال يا ويلك وانا
من ينقذني من هاولاء السباع وتبع خالد الرجوانه وهو جيره و هما

اصبر فقد اسعدك الجبار

بتماوا

يتجاولان ويتحاولان فصاح فيه وحمل عليه فلم يمهل ضرار قرنه دون ان ركز
على صدره وهو يتراوغ تحته ويعج كعجيج البعير وكل واحد من القوم
مشتغل عن نصرة صاحبه فعندها انتضى ضرار سيفه من غمده وامتشقه
ومكنه من نحر عدو الله فانتكس وخرج السيف من ناحية حلقه من جانبه الاخر
فعندها زعق عدو الله زعقة عظيمة سمعها اهل العسكرين من ثقل ثبت اليهما
العينان واشتد نحوهما العسكران وتصارخت الروم وحملت باسرها فلما
نظر ضرار الى ذلك خشي ان يدهمه جيش العدو وان يدركه فقطع راسه
الخيل تحوايي بها فاحتز راس عدو الله وقام عن صدره وهو ملطخ بالدماء ثم
كبر وكبر المسلمون اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وحملوا من اماكنهم
فحملت الروم كذلك فكان من قبل ميمنتهم على معاذ بن جبل وميسرتهم على
سعيد بن عامر بن حذيم وترامى الاثنان والتحموا بالنبل والقنا حتى ستروا عين
الشمس من كثرة السهام ونادى سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل معاشر الناس
اذكروا الوقوف بين يدي الجبار واياكم ان تولوا الادبار فتستوجبوا النار غضبا
الجبار صبرا صبرا يا اهل الجهاد وقراء القران فزاد الناس لقوله نشاطا
واختلط جوده واقواما وتلاحم القتال بغاران الى ان ذهب وقت العصر او دخل
فاقتتلوا قتالا فما قتل من الفئتين كثير الا ان قتلى المشركين كان اكثر وكان جملة
من قتل او وقعه بالجابية من المسلمين • سلمة بن هشام المخزومي • ونعيم
بن عدي بن صخر العدوي • وهشام بن العاص السهمي • ونبهان بن سفيان • وعبد
الله بن عمرو الدوسي • وذر بن عوف النميري • وراغب اللخمي رجل • وقادم بن مقرام
الزهري • واليسار بن جعفر التميمي • وحازم بن سالم العدوي • وسعيد ابن
عاصم بن ابي ليلى الكلابي • وحازم بن شتى بن السكسكي • وامية بن حبيب
بن يسار من بني عبد الدار • وجميل بن رافع السلمي • وموهب بن واثق ال...
ومعلم بن حنظلة الثقفي • وعدي بن يسار الاسدي • ومالك بن النعمان
الكلاعي • وسالم بن طلحة الغفاري • فهؤلاء اثنا عشر رجلا من اخلاط الناس نقف
على اسمائهم فالجملة اثنان وثلاثون رجلا واما الروم فقتل منهم زهاء ثلاثة

الا في بيهم عشرة من ملوكهم وهم مارس بن تيلة صاحب ارض عمان
وما يليها • وصرفقش بن صلبة صاحب الصمير وجبير ابوب • وبزو صاحب
الجولان الى الكهف والرقيم • ولارون بن جنة صاحب جبل السواد
وعاملة • وصرعود بن ميسر صاحب غزة وعسقلان • وتعين بن عبد
الشمس المسيح صاحب ارض طول وبلادها • وجرقام بن جبر ال
صاحب ارض النافة والى ملة • وجربوس صاحب ارض البلقاء • وكون
صاحب نابلس • وصاحب ارض العواصم لم تقف على اسمه ثم افترق
القوم بعضهم من بعض ورجع المسلمون الى اماكنهم وهم فرحون
بنصر الله لهم ورجع وردان الى مكانه وقد امتلا قلبه رعبا مما اصابهم
له من المسلمين وشدة صبرهم وكثرة قتالهم وما قتلهم بينهم
وانقطع الحرب بينهم ذالك اليوم وباتوا تلك الليلة والمسلمين
متابعين للغزو فلما رجع وردان الى العسكر ودخل مضربه
وتامل في امره وتفكر فيمن قتل من قومه وجيشه واكابر ملوكه
وبطارقته جمع كافة البطارقة اليه وساير الروسا وكل من يعد
منهم ويذكر وكبير رايه وتدبيره وعامة جيشه وقام فيهم
وقال يا اهل هذه الدين ما تقولون في امر هولاء العرب فاني اراهم
غالبين لنا غير مغلوبين ولقد رايت اسيافكم كليلة واسيافهم قاطعة
وخيلكم منقطعة وخيلهم طايرة وسواعدهم صلبة وسواعدكم
بليدة فقال القوم انكم منكم لدينهم واصدق لكلمة بما فرض عليهم في
دينهم وانتم بعكس ذالك وما خذلنا الا بالظلم والجور والغدر وقلة
العهد ونقض الميثاق وما ارى لكم عليهم دولة الا ان تغسلوا ما
بقلوبكم من العصيان والاجترام وتتوبوا الى ربكم من كثرة اقترا
فكم الاثام وتتركوا عنكم ما اشتغلتم به من اكتساب الذنوب
من الغدر والجور وظلم الانام فان فعلتم ذالك رجوت لكم النصر على
عدوكم وان ابيتم ذالك فايقنوا بالهلاك من عند ربكم فان الله قد عاقبكم

بانتر

باشد عقوبة اذ سلط عليكم اقواما كنا لا نعرفهم شيئا ولا تشبعكم
فيهم ولا يفخرون على احد منا الا كثير منهم رعاة وعبيد جياع منا كبر اخرجهم
القحط الينا وشدة الضر والبلاء فالان اذا اكلوا من خيرات بلادكم وفواكه
ارضكم واكلوا ثرائد الشعير والذرة ما صعاما من خبز الحنطة واكلوا
مكان النخل والزيت السمن والعسل والزبد الطري ومن الفواكه التين والعنب
والزبيب وسائر التفاح وانواع الفواكه فاعظم من ذلك سبي نسائكم
واولادكم واخواتكم فكيف صبرتم على هتك الحريم والبلاء العظيم فلم
يبق في القوم من الروم احد الا انتحب وبكا وصفق على يديه واغتاظوا
غيظا شديدا وقالوا نقتل عن اخرنا ولا يقبل القوم الذي ذلك فيما ذكرت
لنا انفسنا ان نظفر بهم بالسيوف ونخا عنهم بالرماح ونرشقهم بالنبل وال
والنشاب ولا يقبل القوم الى ما ذكرت منا فلما سمع وردان كلامهم
ووقع في الكسفهم [illegible] فرحا شديدا وعدل عن القوم وصاح باكابر
البطارقة وخواص الملك يشاورهم فقال لهم قد سمعتم ما قال جيش الملك
فما الذي عندي لكم انتم منهم فقال له رجل من القوم وقال يا وردان لا تغتر بكلام
الناس واعلم انك قد بليت بقوم لا يقام بامرهم وقد عاينت الواحد منهم
يحمل على عسكر فاباده ولا يبالي بكثرتنا ولا بجمعنا حتى يقتل منا خلقا كثيرا
وقد اتفق القوم على ما قال لهم نبيهم وايقنوا به انه من قتل منا صار الى النار
ومن قتل منهم صار الى الجنة والقتل والحياة عندهم ولا القوم سواء وقد قتل
اليوم منا خلق كثير ومن القوم خلق يسير وصار الي كل في القوم [illegible] الا ان
تقتل الرجال منهم واميرهم بالخدع والمكر فتبيدوه وتمكر به كيدا فان فعلت
ذلك وقتله خدعا ومكرا انهزم القوم عن اخرهم وانه لا تقتل الا
اني هم الا بحيلة توقعها به فقال وردان واي حيلة توقعها في القوم
والحيل والخداع لهم فقال له البطريق ما ارى لك الا ان تدعوا بالي جل
لعل كثرتك ومسايلتك فاذا خلوتما بادر اليه واعتنقه ومع يغوثك
وليكن منهم رجال مكمنين فقال وردان ما اجد الرجل من يسيل لانه

غيظا شديدا

صعب القياد والوصول اليه بعيد ولا امان من مخاطبه فيحتج عليّ فقال له
البطريق وانا اقول لك شيئا ان انت صنعته وصلت الى امنى الفوز من حيث
لا يصل اليك سوء يعني خالد بن الوليد ولم يكن عند الروم خوف اشد من خوفه
وذلك انك تعمد الى عشرة من فتاك قومك وخيار عسكرك فتجعلهم
في كمين بناحية من العسكر قبل خروجك اليه فاذا دعوته واجتمعت به
تسير ان جمعا الى ان تطايفا بالمكمن فتجلسا عنده وتشاغله بالحديث
حتى تصير اليه ثم اهجم عليه واصرخ بقومك فيبادرون اليك من المكمن
فيقطعونه اربا اربا وتكفى مؤونته ويبقى ما اصحابه ولا يجتمع منهم اثنان
فلما سمع وردان ذلك من كلامه تهلل وجهه فرحا وقال اما هذا
فنعم لقد قلت فاحسنت ووفقت في كل ما ذكرت غير ان هذا الامر يعمل
بالليل ولا يتبين الصباح الا وقد وقع عندنا ما اني به ثم ان وردان لعنه الله دعا
برجل من نصارى الشام وكان مسكنه حمص اسمه داوود وقال له اعلم وانك
انت فصيح اللسان جري الجنان خبير بالعروب مطلع بحجتك وانا اريد منك
ان تخرج الى هؤلاء العرب فتسألهم ان يقطعوا الحرب بيننا وبينهم في كما
بقية يومنا وقل لهم يخرج الينا اميرهم بالبكرا ويخرج انا حتى اجتمع معه
بنفسي ولعلنا نتكلم معه ونرفع اليه من المال ما يرضيهم فقال له داوود
وكيف يا وردان تفعل هذا وتخالف الملك فيما امرك به من الحرب وتتكلم
مع العرب فينتسب اليك الفزع والجزع وما كنت بالذي اخاطب لك العرب في
ذلك اخشى ان يبلغ الملك عني اني كنت الواسطة بينكم فيقتلني فقال
له وردان ويلك انا جعلنا رأينا وجعلنا امرنا هذا على الحيلة عسى ان نصل الى
صاحبهم فاقتله ويبقى اصحابه ولاء ونبيدهم بالسيف ثم حرفه
بما عزم عليه من المكيدة لخالد فقال له داوود دان الكافر والغادر والباغي
في كل فعل فالوا لجمع بالجمع واترك ما عزمت عليه من المكر والغدر فغضب
وردان من قوله وقال له ما استشرتك في هذا الامر وانما امرتك ان تمضي
برسالتي فافعل ما امرتك به ودع عنك اللجاج فقال داوود حبا وكرامة

ثم عطف نحو المسلمين وقد انكر ما سمعه من كلام صاحبه وقال الرومان
قد عزم ان يلحق بولده ثم اقبل حتى وقف في قبالة عسكر المسلمين ونادى
بارفع صوته يا معاشر العرب حسبكم من القتال وسفك الدماء فان الله
معشا بلكم عن القوم ابنا وسكتها وقد اجتمعنا على امر نرجو به الصلح
فليخرج الى اميركم حتى اخاطبه بما ارسلت به اليه او يخرج عني من يبلغه
ما اقول له فلما استتم كلامه حتى خرج اليه خالد رضي الله عنه وهو متنكب
في لامته وبيده الرمح وقد جعله بين اذني الفرس فلما نظر اليه داود
قال يا اخا بني عامر رسلك فما خرجت لحربك وما انا من رجال الحرب ولا ممن يطلب
المناضلة والضرب وانما انا رسول اليك اريد ان ابلغ الرسالة واسمع ما تقول
وارد الجواب فاقرب مني دعك حتى اخاطبك واسمع ما تقول لك فرد رمحه
وعرضه في قربوس سرجه ووقف بازاء الشيخ وقال له قل وابلغ ما ارسلت به
واستعمل الصدق فنجا به من صدق ونجا من كذب غوى قال صدقت يا اخا بني
عامر رسلك فما خرجت لحربك وما انا من رجال الحرب ولا ممن يطلب المناضلة
ان اميرنا وصاحبنا وردان قد كره سفك الدماء وانه لا يرى حربكم وقد نظر
الى من قتل بينه وبينكم فاحزنه ذلك وقد راى ان يحقن دماء الناس بمال
يدفعه اليكم ولاكن يشترط ان تكتبوا بيننا وبينكم كتابا تشهدون فيه
على نفسك وبشهد فيه كبراء قومك انك لا تتعرض له ولا لاحد من
اصحابه ولا تقعد في بلاده ولا تتعرض لحصن من حصونه فان فعلت ذلك
وثق بقولك ورضي بفعلك وهو يسئلك ان تقطع الحرب بينك وبينه بقية
يومك فاذا اصبحت خرجت منفردا من قومك ولا يكون معك احد ويخرج
هو منفردا من قومه ولا يكون معه احد فتلتقيا اما تتفقان عليه وتمضيا ان
اليه ويسمع بعضكما البعض عسى الله ان يحقن بينكما الدماء فلما سمع
خالد ذلك فكر طويلا ثم قال ان كان ما اضمره وارسلك به من حيلة او
مكيدة فنحن والله من قوم الخداع ومعدن المكر وما مثلنا من يؤتى من حيلة
ولا خديعة فان كان ذلك ضميره واعتقاده فما هو الا في اجله وانقطاع

اهله وهلاك جمعكم واستيصال شافتكم وان كان ذلك حقا من قولك
فلست اهاله الا على اداء الجزية عن جماعتكم وكافة روسكم واولادكم
واما المال فلست ارغب فيه الا على ما ذكرته لكم على طول الزمان فتاخذه
منكم في راس كل عام قال داود وقد عظم الله كلام خالد ما يكون
الامر الذي واذا نو فيما يكون الا ان يفصل الله بينكما على ما توافقتما عليه
وها انا ارجع اليه فاعلمه بكلامك واذكر له ما ذكرت ثم ولى راجعا
وقد امتلا قلبه رعبا من خالد وفزع مما سمع منه وقال في نفسه صدق والله
العربي وانا والله اعلم ان وردان اول مقتول وغير بعده ومالي الا ان اصدق وا
لعربي وان اخذ لنفسي ولاهلي امانا منه ثم التفت الى خالد وقال يا اخا العرب
انه قد نسيت شيئا اودعني وردان ان استاذرك فقال خالد وما هو — استاذرك
قال خذ على نفسك وكن عليها مشفقا فان وردان قد اضمر لك كيدا ثم
خبره بالقصة ثم قال انما اريد الامان لنفسي ولاهلي فقال خالد لك الامان
على مالك واهلك وولدك ان انت لم تخبر القوم ولم تعلمهم فقال داوود
لو اردت ان اعلمهم ما جئتك فقال خالد وابن مكمن القوم فقال عند
الكثيب عن يمين عسكرهم ثم تركه ورجع فاعلم صاحبه بجواب
خالد ففرح وقال الان ارجوا من الصليب ان ينصرني ويظفرني ثم دعا
بعشرة من ابطاله الفتاك وامرهم ان يكمنوا في الموضع المذكور وقال
لهم امضوا رجاله واكمنوا فاذا دعوت اليكم غدا فاسرعوا الي فـ
ضوا الى ما امرهم صاحبهم **واما** خالد فانه رجع والتقاه ابو عبيدة
بن الجراح رضي الله عنهما فراه ضاحكا فقال له يا ابا سليمان اضحك الله
سنك وسكنا ايش الذي فحدثه بما قال له العلج فقال له ابو عبيدة وما
عزمت عليه قال عزمت ان اخرج اليهم وحدي فقال يا ابا سليمان لعمري
انك لكفو ولاكن ما امرك الله ان تلقي بنفسك الى التهلكة والله
سبحانه وتعالى قد قال واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط
الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وقد اعدلك عشرة وهو الحادي

عشرة وما امر عليك من العير ولا كن اتوب اليك رجالا كما نوب اليه رجالا
واكمن بهم قريبا من القوم ان كان الناس فاعلمك بمكانهم قال نعم فقال
ابو عبيدة فامر اصحابك ان يكونوا في ناحيتهم فاذا صرخ العير بقومه فا
صرخ انت بقومك فانك تكفي ما تحذر له ان شاء الله ونكون نحن على خيلنا
متاهبين فاذا رأينا انك من عدو الله حملنا عليهم نحن بجمعنا ونرجو من الله
تعالى النصر فقال خالد لست اخالفك فيما ذكرت ثم ان خالد ادعا
بعشرة من الصحابة منهم رافع بن عمر والطائي والمسيب بن نجبة الفزاري
ومعاذ بن جبل وضرار بن الازور وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل العدوي
وابان بن سعيد وسعيد بن عامر ابن جمح وقيس بن هبيرة وعبد
الرحمن بن ابي بكر الصديق وعدي بن حاتم الطائي فلما اجتمعوا اليه
اخبرهم بما قد عزم عليه القوم ومن حيلتهم وخديعتهم وقال لهم اخرجوا
بجمعكم حتى تاتوا الهضبة التي عن يمين الكثيب فاكمنوا هنالك فاذا
صحت بكم فبادروا وارجعوا للقوم واني كونه وعدو الله فاني كفو له ان شاء
الله فقال ضرار بن الازور ايها الامير فيكثر الفتى ويعظم ويخشى ان يمنع
القوم عن صاحبهم ويعظم هذا الجمع عليك فلا تامن ان يصلوا اليك ولقد
كنت ارى ان ياتيا [illegible] الكافر نسير من وقتنا الى مكمن القوم فان وجدناهم
رقودا فيغنمنا منهم [illegible] الصباح وتكمنوا نحو مواضعهم فاذا خلوت
انت وغيرك وانقضت بصاحبك حتى جئنا اليك واليه بغير قتال ولا مصادمة
فضحك خالد من قوله وقال له افعل ما ذكرت ان وجدت اليه سبيلا وخذ
هاولاء العشرة الذين قد ندبتهم اليك وانت الصاحب لهم والامير عليهم
فكن معهم وارجوا ان يبلغك الله ما طلبته فاذا وصلت اليهم
واستمكنت منهم فهو والله الفرصة الكاملة فقال ضرار ارجو الوصول
اليهم ان شاء الله ثم خرج ومعه القوم العشرة اصحابه بالليل وهم رجالة
وبايديهم السيوف وسلموا على الناس وسالوهم بالدعاء وكان
خروجهم ذلك عند ما مضى من الليل ثلثه الاول او قد قرب ان يمضي

وضرار بن الازور على مقدمتهم رضي الله عنه وهو يقول

الجن تفزع مني في الظلام اذا • خفت الى بابي ولم الو على الجزع •
فاين من موضع الارصاد تفر عنا • وتقر حتى تومنه الامكار والفزع •
لا ارضي الاله في جهادهم • ليعبر الجسور على الاهوال كالملع •

ثم نهض ضرار باصحابه وسار بهم حتى وصل الكثيب فاوقف اصحابه
هنالك وقال لهم على رسلكم ومهلكم حتى اخبر لكم خبر القوم واجس
احوالهم ثم نزع اثوابه واخذ سيفه وسار مع لحف الجبل والكثيب نحو القوم
وهو يمشي مشيا خفيفا الى ان قرب من القوم ولم يصل اليهم فلما اشرف عليهم
من بعيد سمع غطيطهم في نومهم فوصل اليهم واذا القوم سكرى لما
نالهم من التعب والنصب في يومهم وهم في امان من ان يقصدهم عدو
او يقف لهم على خبر فهم ضرار ان يدنوا الى القوم فيقتلهم فخشي ان يوقظ
بعضهم بعضا فاخرا بهم عنه فتلهم فرجع الى اصحابه وقال لهم
ابشروا واعلموا اني كفيتكم ما تطلبون وجئتكم ما تريدون وازال عنكم ما
تحذرون جردوا السيوف وسيروا الى القوم واقتلوهم كيف شئتم
وكل واحد منكم لواحد منهم ولتكن ضرباتكم واحدة واخفوا
اصواتكم ما استطعتم فقالوا حبا وكرامة ثم خففوا القوم من لامتهم
وجردوا اسيافهم وتقدم ضرار امامهم وساروا فيه الى ان وصلوا
الى القوم فوكل واحد منهم سلاحه عند راسه فتفرق الصحابة عليهم
وكل واحد انفرد لواحد فلما تمكنوا منهم واستمكنوا من قتلهم رفعوا
السيوف ووضعوها على الوجوه والقفا والاجساد والاصلاب فلم
يستيقظ القوم الا وضربات السيوف اخذتهم من كل جانب حتى قطعوهم
اربا اربا واعدموهم عن اخرهم ثم اخذوا اسلابهم وسلاحهم وما كان
معهم فقال ضرار ابشروا واجعلوها اول الفتح ان شاء الله ونرجوا من الله
تمام الوعد وانجاز الامر محمد وابشروا بنصرهم على اعدائهم
و اقاموا طول ليلتهم يتنظرون ويصلون له شكرا ويسئلونه النصر

ولم يزالوا

خ الزعاجي
خ الاحكام
خ الانهي
خ كالهزم

ولم يزالوا كذلك الى ان برق الفجر فهنالك اجتمعوا ونزعوا اطمارهم
التي كانت عليهم وافرغوا عليهم ثياب الروم وتعصبوا بالمشاء واستتروا
بعمائم ان يا فيهم رسول من وردان يكشف على ما صنعوه فيخفى عليهم مرادهم
وغيبوا الغيلر في مهبط الربوة وحثوا عليهم التراب وجلسوا تحت السلاح
ينتظرون من الله الفرج **فلما** اصبح الله بخير الصباح واضاء الفجر
بنوره اذن المؤذن في العسكر وصلى خالد بالناس ورتب اصحابه كتعبية
الحرب واشتهر في بردة حمراء وتعمم بعمامة صفراء وترتبت المراكب
وتعبيت الكتائب وحفروا مواضعهم واستعدوا وكل واحد من المسلمين
مبتهل بالدعاء لله بالنصر وتصفصفت كذلك الروم واشتهرت بسلاحها
ورفعوا فوق روسهم الاعلام والصلبان **فبينما** هم كذلك اذ خرج
فارس من عسكر الروم ومن دون الصلب واتى حتى دنى من قرب المسلمين وقال
يا معشر العرب اغررتم ابن الوليد كان بيننا وبينكم بالامس يخرج اليه
خالد وقال ما منعتنا الغدر فقال له الفارس ان صاحبنا وردان يريد ان
يخرج اليك ويريد منك ان تخرج اليه حتى تتفق اما تتفقان عليه فقال له خالد
ارجع اليه واعلمه وقل له ها انا خارج اليه غير هالع ولا فزع ولا جازع فرجع
الفارس واعلم صاحبه بكلام خالد وبما سمع له من جوابه وخطابه فعند
ذلك خرج اليه عدو الله متكبرا في لامته وقد تحلى بقلائد الجوهر
وتعصب بعصابة من الجوهر ايضا وجعل تاجه على راسه فلما راه خالد
قال هذا والله غنيمة للمسلمين ان شاء الله ثم **قال** لاب عبيرة امض
ان ضرار واصحابه قد وصلوا الى اعدائنا وقد فرغوا منهم فان نفسي تحدثني
بذلك واطلب من الله ان يكون كذلك فاذا رايتني قد حملت فاحمل من معك
ثم سلم على المسلمين وخرج وهو **يقول**

عليك ربي في الامور متكل • واغنني الالهي ارد نائب الاجل
يا ربنا وفقني الى خير العمل • واغفر الالهي ما عملت من زلل
وامنع بسيفي الفتى كي يفتضل • ما لي سواك في الامور من امل

اتكل
وفقني
اخاب عمر...
بتسال

وعن رفاعة بن قيس عن حوران بن نهية عن ماجد بن العاص
جده صاعد بن علقمة اليربوعي قال كنت في الخيل مع اصحاب عياض بن غنم
الاشعري فسمعت خالدا ينشد هذه الابيات بعينها فلما نظر عدو الله الى خالد
وزيه اعجبه ما راه منه وكبرائه فسيصل اليه ويستمكن منه ولم يزل خالد
يمشي الى ان قرب منه فاذا بعدو الله قريب من الكتيب فلما قرب منه خالد ترجل
عدو الله عن بغلته وترجل خالد عن جواده وجلسا كلاهما وقد جعل عدو الله
سيفه بين يديه بينه وبين خالد حذرا منه ان يهجم عليه وجلس خالد
ايضا بازائه وقال له قل ما تشاء واستعمل الصدق واياك ان تكن من الحـ
واعلم انك جالس بين يدي رجل لا يكترث بالخداع ولا يلوي الى الحيل والا
به لانه حق نومتها ودعا منتفعا فقل ما في جنانك تقول فقال له وردان يا خالد اني
ما اي يوم قرب الامر بيني وبينك واحقن دماء الناس واعلم انك صا وقال
ومكانك مما فعلت وما قتلت من عبيد الله فان تطلب منه شيئا فلا نبخل عليكم
بصدقة منا عليكم لانه ليس عندنا امنة هو اضعف منكم وقد علمنا انكم
في بلاد قحط تموتون فيها ضرا وبؤسا وجوعا وهولاء فقل ما بدا لك
واقنع بالقليل فلما سمع خالد ذلك من قوله قال يا كلب النصرانية
ان الله عز وجل قد اغنانا عن صدقاتكم وجعل اموالكم حلالا لنا نقتسمها
بيننا واحل لنا نساءكم واولادكم الا ان تقولوا
لا اله الا الله محمد رسول الله فان ابيتم عن ذلك فالجزية عن يد
وانتم صاغرون فان ابيتم فالسيف يحكم بيننا وبينكم حتى يموت الاعجل منا
ومنكم والنبي ينصر من يشاء وما ثم لكم عندنا الا ما سمعته فان ابيت
والا الحرب فوالله ان القتال او الحرب با اشهى الينا من الصلح واما ما
قولك لم تكرامة اضعف منا عندكم فانتم عندنا اقل من كل قليل بل انتم
عندنا بمنزلة الكلاب وان الواحد منا يستضعف ويعد امنكم الفا وما
بعد احبابا من يطلب صلحا فان كان ذلك منك لطمع ترجوا له ان تقطع الي ليت الا القتال
باقي اهل من اصحابي فذلك منك بعيد فان شئت القتال فيها انا وانت

في منزلة

في منزلة منعة له عن قومه وقومك فلما سمع وردان ذلك من مقالة خالد
وثب من مكانه من غير ان يجرد سيفه ثقة منه باصحابه انهم يمنعونه واليه
من الكمين فوصل فوثبته اليه وعانقه وقبض عليه وثار اليه خالد وشابكه
وضرب بيده على عضديه واشتكا وثنى بعضهما من بعض وصاح
عمرو الله بقومه عندما وثب من خالد وقال اللهم بادروا الى فقد امكن الطلب
من امير العرب فما انتهى من كلامه حتى سمع القوم صوته فاقتحموا اليه
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من وراء الكثيب كانهم العقبان وقد رموا
الاطمار التي كانت عليهم وجردوا السيوف وخرجوا مبادرين اليه وضرار
بن الازور في مقدمتهم وكان هو اول من برز وظهر لهم وهو عار يسعى او بله
قابض على سيفه وهو يهدر كهدير الليث والقوم من ورائه يتبعونه فالتفت
عمرو الله ونظر الى القوم وهم يتسابقون اليه فلم يشك فيهم وانهم اصحابه
وقومه حتى وصلوا اليه فلما وصلوا نظر في اولهم ضرار بن الازور وهو
يثوب وثبة الذيب ويمشي ع اليه وبيده السيف فلما نظر وردان ذلك
ورا الموت تعدت جوارحه وارتعشت سواعده وقال لخالد سالتك بمعبودك
الا قتلتني انت ولا يقتلني هذا الشيطان فانه اقشاءم فقطعته فقال خالد
نعم فاتلك لا محالة فبينما هما كذلك في المحاورة اذ جاءهما
رسول الله
وهو يهز سيفه وصرخ به وقال له يا عمرو الله ابن خذ عنكم من خدعة اصحاب
صلى الله عليه وسلم ثم لوح اليه بسيفه فصاح به خالد وقال ويحك يا ضرار
تامرك
اياك ان تصل اليه بسيفك ولا تقتله واصبر حتى امرك بقتله ووصل اليه اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يهزون سيوفهم وكل يبادر الى قتله وقال
امركم
لهم خالد على رسلكم وامهلوا الى ان امركم بقتله ونظر وردان الى الموت فهمه
فسقط الى الارض وهو يشير باصبعه وينادي الامان الامان فقال له خالد
اضمرت
يا عمرو الله انما يعطى الامان لاهل الامان وانت رجل اظهرت لنا السلم و
المصالحة وقد اخفيت لنا الخديعة والمكر والله خير الماكرين فلما
سمع ضرار ذلك من قول خالد لم يمهله دون ان ضرب به على حبل عاتقه والخشف

التاج من راسه وقال من سبق الى شيء كان له وادركته سيوف الموحدين
فجعلت تقدد فقطعته اربا اربا وتبادروا الى سلبه فاخذوه ولم ياخذ خالد
منه شيئا انفة الى بقاء السيف والى رفيع همته فيا اعلا نفسه الله سبحانه
وتعالى حيث لم تصل نفسه الى شيء مما كان على نفس اللعين وكان الكل
يساوي الثمن الكثير وله قيمة رفيعة وكيف لا يكون كذلك وقد قال
الله تعالى في وصف امثاله ويوثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة رضي
الله عنهم وارضاهم وجعلنا في قفاهم واخرى تحت حمايتهم امين ثم ان خالد
اقبل على اصحابه فاحتز راس عدو الله والبسوا الاطمار التي كانت على
الروم وتوجهوا تلقاءهم فاذا في بني منهم فحملوا عليهم وكبروا فحمل
المسلمون عنه تكبيرهم فهو بعمرو كل واحد الى سلب من قتله فلبسه ثم
توجهوا تلقاء الروم وقد استخفوا الفت سلاحهم ولامتهم وخالد وضرار
في اوائل الناس وراس عدو الله وردان على راس رمح بيد سيف خالد فلما
انكشفوا لاهل العسكر من ما والى جهة الروم ونظر الكفار الى راس
صاحبهم على كعب السيف فلم يشكوا انه راس خالد وان اولئك اصحابه
فاظهروا الصلبان وعظموا وصفقوا وكثر فرحهم فلما قرب خالد
من الصفوف اخذ الراس ولوح به ونادى يا اعداء الله هذا راس صاحبكم وانا
خالد بن الوليد صاحب محمد رسول الله ثم رمى اليهم وحمل وحمل ضرار صلى الله عليه وسلم
بن الازور في اثرهم وكبر تكبيرة عظيمة وكبر المسلمون ايضا وحملوا
ونادى ابو عبيدة احملوا يا اهل الجنة وحماة الدين ثم حمل وحمل الناس
بحملته فلما راى القوم راس صاحبهم وتيقنوا ان قومهم قد قتلوا ولوا
الادبار وركبوا الى الفرار واخذتهم السيوف من كل مكان وقتلوا تحت كل
حجر ومدر ولم يزل القتال بالسيف فيهم من الضحى الاول من النهار الى وقت
صلاة العصر والاصحاب وافترقوا كانهم في سبا وكان جيشهم الى يوم تسعين
الفا فجاء من قتل منهم في ذلك اليوم خمسون الفا يزيدون ولا ينقصون
وقتل بعضهم بعضا تحت الغبرة وافترق من بقي منهم فمنهم من مضى الى

فيسارية ومنهم من كلب في دمشق **قال عامر بن الطفيل** رضي الله عنه
كنت في جملة من الخيل ومعنا ابو هريرة وسرنا نتبع المنهزمين نحو دمشق
على طريق وعر اذ انقض علينا غبرة فظننا انها خيل الروم خرجت من دمشق
فاخذنا على انفسنا وكذلك من اتبعنا من المنهزمين واذا الغبرة قد دنت
منا ولاحت في بيارقنا واذا هم عسكر انجدنا به ابو بكر الصديق رضي الله عنه فلما
لحقوا احد امراء الروم الاقبلوه ونهبوا ما كان معه وعليه **وعن عبد الله**
بن ابي اوفى السلمي قال حدثنا سويد بن غانم الثقفي قال حدثني يونس بن
عبد الاعلى قراءة عليه في المسجد الحرام قال ان العسكر الذي قدم على المسلمين
باجنادين يوم هزيمة المشركين انما كان عمرو بن العاص بن وائل السهمي
ولم يكن حضر الوقعة هو ولا من معه من المسلمين وكان قدومهم يوم هزيمة
الروم **وغنم** المسلمون غنيمة لم يغنموا مثلها في ايامهم التي خلت و ا
خذوا من سلاسل الذهب ومن صلبان الذهب والفضة ما لا يعد ولا يحصى فجمع خالد
ذلك مع التاج الذي اخذوا غنيمة من وردان الى وقت المقسم وقال للمسلمين
لست اقسم عليكم شيئا الا في فتح دمشق ان شاء الله تعالى **وكانت**
الوقعة باجنادين يوم السبت لليلتين بقيتا من جمادى الاولى من سنة ثلاث عشر
وعشرين ليلة **ثم ان خالدا كتب** الى ابي بكر الصديق رضي الله عنه
كتابا يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم الى خليفة رسول الله صلى الله
عليه وسلم من خالد بن الوليد سلام عليك فاني احمد الله الذي لا اله الا هو واصلي
على نبيه ثم ازيده حمدا وشكرا على سلامة المسلمين ودمار المشركين
واخماد جمرتهم وانصداع بيضتهم وانا لقينا جموعهم باجنادين مع وردان البطريق
صاحب حمص وقد نشروا كتائبهم ورفعوا صلبانهم وتقاسموا بدينهم
ان لا يفروا ولا ينهزموا فخرجنا اليهم واثقين بالله ومتوكلين على الله وعلى
دينا ما اصمهم فلاقيتهم فقاتلناهم وصدقنا عليهم في شيء اني ما عرفنا النصر وايدنا
بالنصر وغلبنا على اعدائنا بالقهر فقتلناهم في كل فج عميق وشعب وواد
ومضيق وجملة من احصينا من الروم ممن قتل خمسون الفا وقتل من المسلمين

عشر من الهجرة وذلك قبل
وفاة ابي بكر الصديق
رضي الله عنه

في اول يوم وثانيه اربعمائة وسبعون رجلا ختم الله لهم بالشهادة فقتل
منهم من الانصار عشرون رجلا وهم مسلمة بن عمرو وعوف بن مازن وشاكر
بن منذر وعمرو وواقد بن حسان ومرة بن عجلان والمقنع ابن نجبة وصعو
بن خزرجة واوس بن حوشبة وعمرو بن فاكهون وعبد الله بن بشر بن قيس
وسلول بن حزم وحامد بن عطا وسفيان بن ربيعة والاكوع بن مرة
نسيب بن جابر والصامت ابن حمير ووايل بن بديع وميسرة بن حامد وكـ
بن مزينة والعافق بن داكال الروم وقتل من حمير عشرون رجلا وهم
رفاعة بن مسهر وعمار بن مالك وسعيد بن رافع وماجد بن الاسقع
وقاسم بن يحيى باهر والعليان بن عوف ويزيد بن عبد الله ونشاني بن فاس
وعباد ابن اوس وكليب بن رفاعة ووافد بن اسيد وانس بن ادم
الكامل بن حزم وعدي بن كالب وحاجب بن يربوع وغيلان بن سنان وعمـ
المرابع بن وايل ومولى بن نجبل بن حارث وسمار ابن عوف وجابر
بن ربيعة وقتل من سليم ستة رجال وقتل من اهل مكة ثلاثة
رجال وهم قيس بن عامر النخعي ومعيقب بن صعوان وهاشم بن حرملة من
بني عبد الدار والعلى من اخلاط الناس ويوم كتبت
لك هذا الكتاب وهو يوم الخميس لليلتين مضتا من جمادى الاخرة ونحن
راجعون الى دمشق فادع الله تعالى لنا بالنصر والسلامة والسلام عليك
وعلى من معك من جميع المسلمين ورحمة الله وبركاته ثم طوى الكتاب
وختمه وسلمه الى عبد الرحمن ابن حميد الجمحي وامره بالمسير من وقته
الى المدينة وارتحل الرجل بعده الى دمشق وقد بلغني
ان ابا بكر الصديق رضي الله عنه كان يخرج كل يوم الى ظاهر المدينة يلتمس
الاخبار عن المجاهدين فبينما هو كذلك ذات يوم اذا اقبل عليه عبد
الرحمن بن حميد فلما اشرف عليهم تسابقت اليه الصحابة وقالوا له من اين قال
من الشام فرجعوا ومشى وابا بكر الصديق رضي الله عنه بذلك واعلموه ان
الله نصر المسلمين وقد نصر دينه فسجد لله شكرا واقبل عبد الرحمن

حوشب
عمر
الاكوع

بن جميع وقال يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ارفع راسك فقر الله
عينك بالمسلمين فرفع ابو بكر رضي الله عنه راسه فسلم عليه عبد الرحمن
وسلم اليه الكتاب وكان بخط ابي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه فقراه ابو بكر
حتى اتى اخرها وفهم ما فيه قراه على المسلمين جهرا وتزاحم الناس لقراءته وسما
عه وشاع الخبر في المدينة فاذا الناس يهرعون الى باب المسجد ويهرعون
ليسمعوا قراءته فقراه ابو بكر رضي الله عنه مرة ثالثة ففرح المسلمون
بنصر الله تعالى لاخوانهم وجعلوا يدعون لهم ويبتهلون ويشكرون ربهم على
اعزاز دينه واعزاز اوليائه واذلال اعدائه واعلموا ان الشام لهم وان الله
مكنهم من البلاد كما وعدهم رضي الله تعالى عنهم وارضاهم اجمعين
وحشرنا في زمرتهم وتحت لوائهم وجمعنا معهم يا امين

ذكر خبر بعث ابو بكر الصديق رضي الله عنه الى الشام وخبر نسبه ورد جواب الكتاب قال ابو عبد الله الواقدي رحمه الله تعالى

ورضي عنه ولما وصل كتاب خالد الى المدينة وقراه ابو بكر الصديق رضي
الله عنه وعلموا ما فيه فرحوا بذلك وجعل الناس يتحدثون بما افاء
الله على المسلمين وجنودهم في الشام فشاع الخبر بذلك وتسامع به
الناس من اهل مكة والطائف والحجاز واليمن وغيرهم وبما فتح الله على
ايدي المسلمين وما ملكوا من الاموال فتتابعوا النعم وفي رغبة في الجهاد
والثواب وسكنى الشام وجمع المال فاقبل الى المدينة منهم جمع كبير
واكابرهم وعلماؤهم وخطباؤهم على الخيل العتاق لابسين السلاح من
الزرد والحديد متاهبين بالعزم القوي والباس الشديد وعلى اولهم
ابو سفيان بن حرب والغيداق بن هشام ونظراؤهم من رؤسائهم فا
قبلوا يستاذنون ابا بكر رضي الله عنه في الخروج الى الشام فكره عمر رضي
الله عنه خروجهم الى الشام وقال لابي بكر رضي الله عنه يا خليفة رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان هؤلاء القوم لنا في قلوبهم بغض وحقد ابدوه

وحقا ان في الحمد لله الذي كانت كلمة الله هي العليا وكلمتهم هي السفلى
وهم على كثرتهم بشركهم يريدون ان يطفئوا نور الله بافواههم ويابى
الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون ونحن اذ ذاك نقول ليس مع الله
الاها اخر وهم يقولون ان مع الله الهة اخرى فلما اعز الله
ديننا ونصر نبينا بعثنا السلموا من خوف السيف ولما سمعوا ان جند الله
قد نصر على اعدائه من الروم اتوا الينا لنبعث بهم الى الاعداء فيقاتلوا مع
المهاجرين والانصار من السابقين وغيرهم والصواب ان لا تبعدهم ولا
تبعث بهم فقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه انا لا اخالف لك رايا
وبلغ اهل مكة ما تكلم به عمر رضي الله عنه فاقبلوا باجمعهم
الى ابي بكر الصديق رضي الله عنه فوجدوه في المسجد ووجدوا حوله جماعة
من المسلمين وعلي بن ابي طالب رضي الله عنه عن يمينه وعمر بن الخطاب رضي الله
عنه عن شماله وعثمان بن عفان عن يساره رضي الله عنه وكافة الناس حوله
يذكرون ما فتح الله على المسلمين وما اظفرهم به على اعداء الله من المشركين
فاقبلت قريش الى ابي بكر رضي الله عنه فسلموا عليه وجلسوا بين يديه
وتطاولوا ينظرون من يكون اولهم كلاما فكان اول من تكلم ابو سفيان
بن حرب فاقبل على عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقال يا عمر قد كنت لنا
مبغضا قاليا ونحن في الجاهلية وكانت وكنت تحقد علينا ونحقد عليك فلما
هدانا الله الى الاسلام تقدم ما كان لك في قلوبنا لان الاسلام والايمان يجب
ما قبله ويهدم الشر والبغض والكياد وانت بعد اليوم تسوءنا وتشنأنا
وتبغضنا الينا اخوانكم في الاسلام وبنو ابيكم في النسب فما هذه
العداوة يا ابن الخطاب قديما وحادثا اما ان لك ان تغسل ما في قلبك من
الحقد والتباغض فقال انا لنعلم انك افضل منا واسبق سابقة الى الايمان
والاسلام ومواطن الجهاد ونحن في ذلك عارفون ولا يخفى منكم
فسكت عمر رضي الله عنه استحياء وجلله العرق ثم قال والله
ما اردت بقولي الا اتصال الشر وحقن الدماء لا حمية الجاهلية فا

في روسكم وانتم تريدون التطاول بانفسكم وتسبقكم على من سبقكم في
الاسلام **فقال** ابو سفيان انا اشهدكم واشهد خليفة رسول الله صلى الله
عليه وسلم اني قد حبست نفسي في سبيل الله وكذلك تكلمت سادات مكة
فقال ابو بكر رضي الله عنه **اللهم** النصر على اعدائهم ولا تمكنهم
من نواصيهم **قال** فما مضت ايام قلائل بعد قدوم اهل مكة حتى وفد جيش
كثيف وجمع كثير من اليمن وفيهم وعليهم عمرو بن معد يكرب الزبيدي مع
النساء والصبيان يريدون سكنى الشام فما استقر في المدينة حتى اقبل مالك
الاشتر النخعي فتى اعتز على بن ابي طالب رضي الله عنه وكان بينهما مودة
وصحبة وكان ملتجا اليه وكان قد شهد معه الوقائع وخاض معه المعامع
وعزم على الخروج مع الناس وجاء ايضا قوم من حضرموت والشام بالمدينة
جيش عظيم وجمع جسيم زهاء على تسعة الاف فارس **فلما** تم
امرهم كتب ابو بكر الصديق رضي الله عنه كتابا الى خالد بن الوليد رضي الله
عنه يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم من ابي بكر خليفة رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى خالد بن الوليد ومن معه من المسلمين بالشام اما بعد
فاني احمد الله الذي لا اله الا هو وامرك بتقوى الله في السر والجهر والرفق بالمسلمين
والتحمل لضعيفهم والتجاوز عن مسيئهم والمشاورة لهم وقد فرحت بما
افاء الله عليكم من النصر وهزيمة الكفار واجعل السبي وذكرك وعزمك
الى ان تصل الى بلادهم وتطا اقصى ارضهم وابدا فانزل على جنة الشام الريان
فان الله يفتحها على يديك فاذا فتحها الله وتم لك ذلك فسر الى حمص
والمعرات واطلب انطاكية وان نزلت على المدينة العظمى الطاغية ذات
الجبال المطبقة انطاكية قال الملك هنالك فان طالعك بطاعته وان حاربك
فحاربه ولا تدخل الدروب او تطا تبعني بذلك مع اني اظن الاجل قد قرب
ثم كتب كل نفس ذائقة الموت وقد تقدم اليك ابطال اليمن وليوث
النخع وابطال مكة ويكفيك عمرو بن معد يكرب الزبيدي ومالك الاشتر
النخعي والسلام عليك وعلى من معك من المسلمين ورحمة الله وبركاته

والسلام وهو الكتاب وختمه بخاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودفعه
الى عبد الرحمن بن حميد الجمحي وقال له انت تكتب الي بسؤال من الشام وانتظر
رد الجواب اليه واخذه عبد الرحمن وسار على مطيته وسار الى دمشق
على طريق البرية يطوي المنازل والمناهل الى ان وصل دمشق وهي الجيش
مسرورا به سالما بين على مشيئة الاولاد والمال **ولما قدم** عبد الرحمن
بن حميد من المدينة الى دمشق بكتاب ابي بكر الصديق رضي الله عنه الى
خالد وجد الروم ناحية الذي وجد خالد على باب الشرقي وقد خرج كل ابطاله
من الناس للقتال مع رافع بن عمرو الطائي من اصحابه فدفع اليه الكتاب
فلما قرأه فرح وبشر اصحابه بقدوم الجيش مع ابي سفيان بن حرب وعمرو
بن معدي كرب ومالك الاشتر وشاع الخبر عند جميع المسلمين وبعث
خالد بالكتاب الى كل باب يقرأ عليهم وفرح المسلمون وجاشر بن ابي بن فرح بجده عليهم

ذكر حرب دمشق ايضا وفيه رجوع المسلمين عنها

قال ابو عبد الله محمد بن اسماعيل بن عمر الواقدي
رحمه الله **حدثني** عمر بن عبد الله الباهلي عن صفوان بن مغنم العوفي
عن رافع بن عميرة الجمحي قال لما بعث خالد الكتاب الى ابي بكر الصديق رضي الله
عنه من اجنادين ارتحل بنا الى دمشق وكان اهلها قد سمعوا بقتل ابطالهم
وبطارقتهم وملوكهم وقتل وردان ابن عمه وجيوش الملك فخافوا واضعفوا
وانجفل اهل القرى والبساتين الى الشام وتحصنوا في المدينة معهم واعدوا لهم
الات الحصار ونصبوا المجانيق والعرادات الى اعلا السور ونشروا
الاعلام والرايات واستعدوا بالات القتال من السيوف والرماح والدرق
والكوارق واخذوا على انفسهم **فلما اقبل خالد اليهم** واشرف
عليهم بالجيش فرقهم فزاد فيهم عمرو بن العاص في الالف ويزيد بن ابي سفيان في
الف وعمرو بن ربيعة في الفين ومعاذ بن جبل في الفين وشرحبيل بن حسنة
في اربعة الالاف فلما راى اهل دمشق عسكرا جرارا ايقنوا بالهلاك
واقبل خالد بن الوليد رضي الله عنه حتى اخذ في يده المعنى وقابل

وبينه وبين المدينة اقل من ميل فلما نزل هنالك دعا بالامراء فا
حضرهم بين يديه وقال لابي عبيدة رضي الله عنه انت تعلم ما لقينا من غدر
هولاء القوم حين انصرفنا عنهم ورحلنا عنهم وخروجهم في اثرنا فامض بمن معك
من اصحابك وانزل بهم مما يلي باب الجابية ولا تزل من مكانك ولا تسمح
للقوم بالامان فيخادعونك او تؤتى وكن منتبها عن امر الباب وابعث اليهم
فوجا بعد فوج واجعل قتال الناس دولا ولا تضجر صدرك من شدة المقام
وكثرة القتال فان الصبر يعقبه الفرج فقال ابو عبيدة حبا وكرامة
ثم خرج بربع الجيش وسار حتى نزل على باب الجابية ونصب له بيت من شعر على
بعد ثم ان خالدا دعا يزيد بن ابي سفيان وقال له يا ابن ابي سفيان خذ اصحابك وانطلق
الى باب الصغير واجعل قومك والعصبة التي بعثتك اليها واياك ان تؤتى
من قبلك وقاتل اهل الباب الذي بعثتك اليهم وان خرج اليك احد من اهل المدينة
ولم تكن لك بهم كافة فابعث الي حتى اغيرك ان شاء الله ثم دعا خالد
ايضا بشرحبيل بن حسنة كاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له يا
شرحبيل امض بقومك وجملة اصحابك الى باب توما واحترز من صاحب الباب
توما ان يخرج اليك فقد ذكر لي انه صاحب الحرب وانه دعي الى الامارة فابى
منها تكبرا وان الملك هرقل بعثه وما رغبا فيه الا لما يعلم من شجاعته
لاجل انه زوجه ابنته فقال شرحبيل ما منا من يؤتى من قبله وقبله ان شاء
الله وتوجه بقومه وهم اربعة الاف ثم دعا خالد ايضا من بعده
بعمرو بن العاص بن وائل السهمي وقال له يا عمرو اذهب بجيوشك وجنودك
الى باب الفراديس واوصاه مثل الاولين وقال الزم قتال اهل تلك الناحية
فانه قد بلغني ان هنالك ابطالا من الرجال واياك ان تؤتى من قبلك فقال له
عمرو السمع والطاعة لله وسار لما وجهه اليه ثم دعا خالد ايضا
من بعده قيس بن هبيرة بن مكشوح المرادي وسلم اليه جزءا من الجيش
وقال له الزم باب كيسان بمن معك واوصاه ايضا فتوجه نحوه قيس
بن هبيرة واما باب شرقي فانه كان مغلوقا فلم يكن عليه قتال فهمته

العرب باب السلامة لذلك ثم دعا خالد ايضا بضرار بن الازور وضم
اليه الفي فارس وقال له يا ضرار كن في الجولات والطوالع وطف حول المدينة
كلها ودر بها فان دهاك امر ولاحت لك عيون من ناحية القوم فارسل الي
لاعمل على حسب ذلك فقال ضرار اني كالحرب والقتال واشتغل بالابطال
والتشوف ما ارغب فيما ذكرت فقال خالد فقاتل ما قدرت عليه عند كل باب
تاتيه فقال ضرار ان كان غدا فنعم ثم اجتمع بقومه وسار رحمه الله واتبع
القوم وهو يقول • دمشق قد اتاك ضرار يوما • لكي يبيد بالويل الكفار
• واضرم في الجوانب منك نارا • وارميك بالخطب الجليل
• واضرب في العلوج بغير سيف • فتعلم باني ما اخشى صغارا
ثم نزل خالد بما بقي من الجيش على باب الشرقي وبقي عليه خالد وجل
القوم هنالك فلما نزل ابو عبيدة على باب الجابية امر اصحابه بالزحف والقتال
وكذلك سائر الامراء من سائر الابواب فلما اصبح الله بخير الصباح
من الغد زحف القوم للقتال واقتحموا الحرب وتهيبوا للكفاح والضرب
وعول اهل دمشق ان يقتلوا عن اخرهم ولا يسلموا الحريم والاولاد ورموا
بالسهام والحجارة بل والمقاليع حتى جرح من العرب بعض رجال ولم يزل الناس في
الحرب يومهم ذلك الى ان رجا الليل واختلط الظلام واعتكر بعضه
فافترق الناس من القتال ونزل كل امير على بابه الذي نزل اليه وبات الناس
متاهبين للحرب يتحارسون ويلاحظون وكان ضرار بن الازور يطوف حولهم
ويدور بسائر المدينة من ورائهم وهو مع ذلك لا يقف في مكان واحد خوفا
من المشركين ان يهجم جواسيس المدينة على المسلمين او جيش من غوطة فيهجم
فيكبسهم ولقد بلغني ان اهل دمشق لما راوا ذلك من محاصرة المسلمين
لهم ونزولهم عليهم من كل باب وشدة الحصار وكثرة القتال اجتمعوا
الى الكبير منهم من ارباب البلد وتشاوروا فيما بينهم فقال بعضهم لبعض
ما ترون الا ان نصالح القوم على ما طلبوه منا من الامان ولا نقاتلهم كافة وما
نحن باشجع ممن اجتمع باجنادين من جند الملك من البطارقة والاراجنة

والهم قلبه والقباحة وقد ظنوهم هولاء القوم من المحصين وقال بعضهم
اطلبوا الناصح الملك وهو قومنا فنشاوره في هذا الامر لنسمع ما يقول ونسله
ان يكشف عنا ما نحن فيه فاما ان يصالحهم واما ان يخرج بنا فنحامي عن انفسنا
او يقاتل عنا فقال بعضهم هو الى ان مضى القوم اليه يوما وعليه رجال موكلون
بالعديد والسلاح فقالوا لهم ما الذي تريدون فقالوا نريد صاحب المدينة فدخل
من يستاذن عليهم له فاذن لهم في الدخول فدخلوا واذا هم عنهم عظيم
مما قد ورد عليهم ونزل بهم فاستبشر بهم وامرهم بالجلوس فجلسوا ثم
اقبل عليهم واذا هم في امر عظيم مما قد ورد عليهم ونزل بهم وقال لهم
ما الذي جاء بكم الاخبار في هذا الكلام فقالوا ايها السيد البلاد والملاذ
بك والغوث مما نزل بنا واحرق ومن فتنا اليك وقد جاءنا ما لا طاقة
لنا به فاما ان تصالح العرب على ما طلبوه منا واما ان تكتب الى الملك يبعث لنا
ويمانع عنا فقد اشتد بنا على البلاد فلما سمع ذالك منهم تبسم
ضاحكا وقال يا ويلكم اطمعتم فيكم العرب فاستضعفكم عدوكم فظهروا
فيكم وحق راس الملك ما ارى القوم اهلا للقتال ولا موضعا للنضال ولو كانوا
في قتال لا تخفف او لهم فنا خمهم واخزيت فارقونا منهم والا ان تكونوا في مد
فتنتكم مقيمين فلو فتحت لهم من المدينة ابوابها ما جسر القوم على الدخول
اليها فقالوا ايها السيد ان القوم اكثر واكثر مما وصفت واجل واعظم
مما نعتت وان صغيرهم واقلهم ليقاتل الرجل منا والعشرة والمائة ولما
صاحبهم وامير فهم من داهية لا يطاق فان كنت المومن على بلدنا والكالي
لاموالنا والحامي عنا فابعث وقومك فصالح القوم او اخرج بنا الى قتالهم
فقال يا قوم انكم اعز من القوم واكثر حرمة لانهم حفاة عراة فقالوا ايها
السيد ان معهم من عرفنا واطعمنا كثيرا مما اخذوا بارض فلسطين
وجندروا بيهم وما اخذوا من بصرى وما اخذوا منا يوم لقائهم لكلوص
وعزرايل وما اخذوا منا من صيت لقيها وما اخذوا منا يوم فحل من جند
واجنادين وما اخذوا من اجنادين فان عرفنا واموالنا قد اخذها

واستلبتنا

القوم ولا كن لا تحصوا بها منا الكثرة عدوا اكثر اتيم بنا وقلة نجدتهم
منا وابطال نبيهم قال لهم ربه انه من قتل منهم يعني منا صار الى النار ومن
قتل منكم بعث منهم صار الى الجنة العالية والحياة التي مدية فلما جاء الك
بلغونا عن اهل الاجساد ليبطلوا الرما قال لهم نبيهم فضحك توما من قولهم
وقال لهم لا اجل ما وقع في قلوبكم وتخوفت به نفوسكم من هذا الكلام فمع قولهم
الا نزال فيكم ولو صرفتموهم الحرب لغلبتموهم لانكم اضعافهم مرارا
فقالوا ايها السيد اكفنا مؤونتهم كيف شئت واعلم انك ان لم تمانع
عنا فتحنا لهم ابوابا وصالحناهم على ما طلبوه منا فلما سمع توما
كلامهم فكر طويلا وخشي ان يفعل القوم ذلك فقال لهم انا
احمي عنكم العرب واقتل امراهم الاول فالاول الا ان تبرزوا منكم او تمنعوا عن
وتقاتلوا امامي فما انا راض لكم وتنظرون الى من احدكم من عن ايكم فقالوا
نحن معك وبين يديك نقاتل او نهلك عن اخرنا فقال لهم بما ذكروا القوم
بالقتال فعندها الكف عجل بالحرب الويل والنكال فانصرف القوم عنه الا وهم
له شاكرون ولامره سامعون مطيعون والى رايه منتظرون واقبلوا بقيتهم
ليلتهم على الحرس الشمع بين الرايات والنيران ونصبوا في الابراج على الابواب
واما اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فهم في مراكزهم
ومواضعهم لهم ضجة عظيمة بالتهليل والتكبير وخالد عند الباب مع
النساء والحريم والاولاد والسواد والغنايم التي غنموها من اعدايهم
ورافع بن عميرة الطاي على باب الفتح في عسكر الزحف وغيرهم ولم يزل الناس
في الحرس الى ان راوا النهار قد اقبل وبدا ضياء الفجر فلما اصبح
الله بغير الصباح وصلى كل امير بمن معه من قومه وصلى ابو عبيدة بمن معه
على باب الجابية امر اصحابه بالزحف وقال لا تملوا من القتال ولا تعتبر بكم
الكلل والتعب واصبروا فان من تعب اليوم وجد الراحة غدا وهي الراحة
الكبرى واحذروا من السهام فانها تصيب وتخطي واركبوا الخيل فان
اعداء الله عالون عليكم وهم امكن للرمي منكم وليشد بعضكم بعضا

في مضاجعهم

واصبروا وصابروا وزحف الناس باجمعهم وكلهم رجالة واستنى وابا الزرقي
وزحف يزيد بن ابي سفيان من باب الصغير وقيس بن هبيرة من باب كيسان
ورافع بن عميرة من باب الشرقي وشرحبيل بن حسنة من باب توما وعمرو
بن العاص من باب الفراديس وقال عن يحيى بن سلمة عن عبد الرحمن بن جابر
الاشعري عن جده رفاعة بن قيس قال سالت ابي قيسا وكان ممن حضر
فتوح الشام فقلت له يا ابت اكنتم تقاتلون دمشق يوم حصار اهلها خيالة
ورجالة ام كيف فقال ما كان احد منا فارسا الا دهاء العرب معضار بن الازور
يطوف بهم حول المدينة وكلما اتى بابا من الابواب وقف عنده وحرض اصحابه
على القتال ويقول اصبروا يا اعداء الله تخلصوا غدا في جوار الله ولو ان اعداء
الله كثير والناس خلف ظهورهم لعلمنا ان الله تعالى فرقنا عليهم وبحرمة
انه قادر ان يرسل عليهم عذابا من فوقهم ومن تحت ارجلهم وانا اومل لكم
الغنم والنصر ان شاء الله قال فتداعى الناس للقتال وتراموا الى ان مات
بالنبل واقبلت الجنادل من اهل الحصن والى عادات والمنجنيقات والمقلو
طابور وعلى ماني ابعد من المشي كبير وقد اقبل توما المطارقي للملك من بابه
الذي يدعو باسمه وكان عندهم راهبا عابدا ناسكا ولم يكن في بلاد الشرك
اعبد منه ولا ازهد في دينهم فكان معظما عند القوم ومع ذلك كان فيه
من الشجاعة والبراعة ما لم يكن في غيره فخرج ذلك اليوم من قصره والصليب
الاعظم عندهم على راسه فركزه على الباب على اعلى البرج وعظماء النصرانية
والبطارقة حوله والانجيل يحمله خدم المعرفة منهم فنصبوه بالقرب من الصليب
ورفع القوم اصواتهم واستبشروا بهم وتقدم توما امامهم ووضع يده
على اسفار من الانجيل وقال اللهم ان كنا على الحق وانت ناصرنا فلا تخذلنا
وتسلمنا واخذل الظالم منا فانك به عالم اللهم انا نتقرب اليك بالصليب
ومن صلب عليه وما فيه من الايات البينات والافعال الالهية المباركات وهو القربان
الذي لم يزل منك بدا واليك عاد اللهم انصرنا على هؤلاء القوم الظا
لمين وانصر منا من كان على الصراط المستقيم وامر القوم على دعائه فقال

وجاعة بن قيس فهكذا حدثني شرحبيل بن حسنة كاتب رسول الله صلى الله
عليه وسلم والذي يقص له الكلام روماس صاحب بصرى رحمه الله وكان في جيش
شرحبيل على باب توما وكلما قالت الروم بلغتها شيئا اعلمنا به العربية
قال واستعاذ المسلمون بالله من كفرهم وكذبهم على المسيح وزحف
شرحبيل ومن معه وقصد الباب فحملته وقد عظم عليه قول توما اللعين
فقال اما والله يا عدو الله لقد كذبت ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه
من تراب ثم قال له كن فيكون اختار له ما شاء ورفعه الى السماء ثم تناوشوا
القتال فقاتل المسلمون في ذلك اليوم قتالا شديدا مع الملعون عدو الله
توما فتهشم الناس بالحجارة ورمى بالنشاب رميا كثيرا متداركا
فجرح رجالا شتى وكان ممن جرح ابان بن سعيد بن العاص ابن امية اصا
بته نشابة في عضده وعصبها بعمامته وكانت النشابة مسمومة فحس
بالسم في بدنه فالتفت الى ورائه وحمله اخوانه الى ان اتوا به العسكر
واراد واحل العمامة ليداووا جرحه فقال لهم لا تحلوا العمامة عن جرحي فانكم
ان حللتموها تبعتها نفسي ولقد رزقني الله بما كنت اومله واهواه فلم
يسمعوا لقوله ونزعوا العمامة فلما نزعوها عنه حتى شخص الى السماء و
واشار باصبعه وقال اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا
رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق المرسلون ثم
استشهد حتى مات رحمة الله عليه فسمعت بموته زوجته ام ابان بنت عتبة
بن ربيعة وكان قد تزوجها باجنادين وكانت في بيت العمد بالعرس ولم يكن
الخضاب يتصل من يديها ولا العطر من راسها وكانت من العرب جلدات البازلات
من اهل بيت الشجاعة فاتت تعثر في اذيالها الى ان وقعت عليه فلما نظرت اليه
في مصرعه صبرت واحتسبت ولم يسمع منها غير قولها هنيئا لك بما اعطيت
ومضيت الى جوار ربك ثم الذي جمع بيننا ثم فرق لاجاهدن الى ان الحق بك
فاني مشتاقة اليك ولم تزودني ولم ازد منك ولا كره الله الا ان يعصمني
بك لشيء حرام علي ان لا يمسني احد بعدك وقد حبست نفسي في سبيل الله

خ
اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله

عن

عسى ان الحق بك وارجوا ان يكون ذلك عاجلا ولم ير الناس احسن صبرا
منها ثم حفر له ودفن مكانه وقبر له معنى وفا بعد ان صلى عليه خالد فلما
غيب في الثرى لم تبكه زوجته ام ابان ولم ترثه دون ان اتت الى سلاحه
فجاءت عنها علينا وتناولت سيفه وجحفته وتلثمت وتنكرت وقالت على
اى باب قتل بعلى قيل لها على باب توما صاحب الملك فسارت الى الباب قال شيخ جميل
ولحقت الجيش من غير ان يعلم بذلك خالد فاختلطت بهم وقاتلت مع الناس
قتالا شديدا لم ير الناس مثله وكانت ارمى خلق الله بالنبل **قال** شيخ جميل
رايت يوم حصار دمشق رجلا على باب توما يحمل الصليب وهو امام توما
يمشى وينادى **اللهم** انصر نصرا من لاذ به **اللهم** لا تخذله ولا تخذل
من يعبده واكبنا منوقة السخرة الكبيرة **اللهم** المنهى عليهم نصرة
واعلى رحمته وانا ذاهبا انظر اليه اذ رمته ام ابان بنبلة فلم تخطئ يده فبينما
فاذا بالصليب قد سقط من يده وهوى الينا وانا انظر لمعان جواهره فحامينا
الامر فسار اليه وبادر اليا خذه وقد استبقنا بالارق وتكابس بعضنا على
بعض كل يسابق اليه وقطعت علينا الحجارة من اعلى السور كالمطر وبنصر
عدو الله الذى كان قد تنكس من الصليب وانصروا به الينا واعتداه الفاجية
المسلمين ففزع وكبر وعظم ذلك فقال يبلغ الملك عنى ان الصليب الاعظم
اخذ منى وملكته العرب لا كان لى بذلك عذر ابدا ثم حزم وسطه واخذ
سيفه وجمع بطارقته وقال لهم من شاء منكم فليتبعنى ومن شاء فليقعد
ولا بد لى اليوم ان اشفى صدرى واخرج غل قلبي من هؤلاء الكلاب ثم انحدر مسرعا
الى الباب وامر بفتحه ففتح له وكان اول من بادر فلما نظر الى القوم الذى كان من
فعله لم يكن لهم يومئذ الانحدار واشى عوائج الخوخ في اثره لما يعلمون من حربه
وحرصه وجودة مراسه وشدة اختلاسه فمنهم قوم بالقسي والنشاب
ومنهم قوم بالسيوف والطوارق وخرجوا كالجراد المنتشر وتسامع
اهل دمشق ان توما خرج اليهم وان الصليب الاعظم قد سقط من كف صاحبهم
الى فاجية العرب فجعلوا ينهون عن اليه ويخرجون من بابه لرتبه الى ان تراهم

امرهم وتكاثر جمعهم وجيشهم والمسلمون يتجاذبون الصليب
فلما خرجت الروم ووقع صياحهم وتعباجهم حجز الناس بعضهم بعضا
ونظروا الى ما جاءهم من الروم وسلموا الصليب الى شرحبيل بن حسنة
واتى ذلك الى اعرابهم ومالوا عليهم وحملوا في اعراضهم معا خيولهم
وعملت السيوف في العرب وتراموا بالنبل وتكاثروا بالحجاب وتراسلوا
بالجنادل واخذتهم الحجارة والنشاب من كل مكان من اعلى السور والباب
فصاح شرحبيل معاشر المسلمين تقدموا الي وراءكم لتامنوا النشاب
والجنادل من اعداء الله العالين على الباب فتقدموا الى ورائهم الى ان امنوا
من شر من على السور من عدوهم واتبعهم عدو الله توما وهو يضرب
يمينا وشمالا ويهدر كالبعير الهائج وحوله ابطال من قومه فلما نظر
شرحبيل الى ذلك من تكاثر المشركين صرخ بقومه وهو يحرضهم على
القتال وهو يقول معاشر الناس كونوا صابرين لاجالكم فالصبر جنة لكم
وارضوا خالقكم بفعلكم فانه لا يرضى منكم بالفرار ولا ان تولوا الادبار
احملوا عليهم وقربوا اليهم بارك الله فيكم فحمل الناس حملة منكرة
والتحم القوم واختلط بعضهم ببعض وجعل عدو الله ينظر يمينا وشمالا
ويجي في قومه ويطلب ان يتكفر الى صليبه اذ كانت منه الشجاعة فنظر اليه
مع شرحبيل بن حسنة فلما نظر اليه معه وراء ذلك لم يلو وراح
عليه مسرعا اليه وهجم عليه بجملته وقصده بجملته وصاح به ان رد
الصليب من يدك لا ام لك فلقد لحقتك حوارقه وبوائقه فنظر شرحبيل
الى فعل عدو الله وقوله وهجمه فالقى الصليب من يده وقصده بجحفته
ولاقاه واتقى سيفه من عدوه وصادمه وحمل عدو الله حملة منكرة
حين نظر الى الصليب ملقى وصاح باصحابه صرخة عظيمة فاعجزوه واد
ركوه والناس في اشد ما يكون من القتال وكل فرد مشتغل بقرنه فنظرت
ام ابان بنت عتبة بن ربيعة الى حملة عدو الله على شرحبيل بن حسنة فقالت
من هذا العلج المنزل بنفسه وباسه فقالوا لها هذا توما صهر الملك وهو

فاتل يغلبك ابان بن سعيد. فلما سمعت ذلك منه حملت عليه حملة
منكرة الى ان قاربته فحملها فالجمت نبلة بكبد قوسها واردت ان ترمي
بالنبلة اليه فبادر اليها العلوج وتصارخوا بها ليلقوها ويكبروها فلم
تلو اليهم دون ان حققت نبلتها على جسم ابن تقع منه ونادت بسم الله
وبالله وعلى ملة رسول الله ثم انطلقت النبلة نحو عمرو الله وهو قد وصل
الى شرحبيل وكاد ان يغلب على اخذ الصليب اذ جاءته النبلة فاصابت عينه
اليمنى واشتبكت فيها فتقهقر الى ورائه كارها ونهضت ان ترميه باخرى
فتبادر المتبعة الى الروم وسبق واعد والله بالكوار فاوحموا عليه وتبادر
اليها قومها يحامون عنها فلما امنت من شر اللعداء اخذت ترمي بالنبل
وهي تقول • ام ابان فاطلب بثارك • واحمي على حكمك ما بدا لك •
• فقد جمع الروم من قبلك • صول عليهم صولة المبارك •
فرمت عليها فاصابت صدره فسقط على وجهه ومشت واحنى فاصابت فانتكس
لجنبه ميتا فلم تزل ترمي واحدا بعد واحد وكان عمرو الله قد نجى وولى هاربا
من حرارة النبلة وهو يصيح صراخ البعير الى ان قارب دخول الباب فنظر
شرحبيل الى ذلك فصاح باصحابه ما شانكم وما توقفكم وقد تعلمون كلاب
الروم احملوا على الكلاب ما داموا في دهشتهم عسى ان تدركوا عمرو الله
فحمل شرحبيل وحمل المسلمون وجميع الناس حملة منكرة وصبروا في
اعقاب الروم الى ان وصلوا الى الباب فحملتهم قومهم من اعلى الباب بالنشاب
والجنادل والحجارة حتى رجع المسلمون الى ورائهم وقد قتلوا من الروم ثلاث
مائة رجل واخذوا اسلابهم وسلاحهم وصلبانهم ودخل عمرو الله قوما
الى المدينة والنبلة في عينه لم تخرج منها فلما حصل القوم في المدينة
احدقوا به كبراء قومه من النصرانية وعظماء اهل دينه من الاساقفة والا
راجنة واخذوا في قلع النبلة من عينه فلم تنقلع لهم ولم تزل من مكانها
وجذبوها فلم تخرج من موضعها وهو يضج بالصياح مكانه فعصبوا
راسه وسالوه المسير الى منزله فابى وجلس داخل الباب الى ان يمكر ما به

فلما كان عليهم رعيتهم ذلك
دبروا حيلة في اخراجها
فقطعوها وبقي الزج في عينه
لم يزل من مكانه مع دمه

وخف عنه الالم قليلا وقالوا له امض الى قومك لك بقية يومك فغدا نطـ
في يومنا هذا ان يكشف نكبته فاخذ الطليب الاعظم ونكبته بك مما اصاب
ووصل اليك من هؤلاء اللئام وقد علمنا ان هؤلاء القوم لهم ولا الشى هـ
وحربهم قائمة ولا يصطلون لهم بنار وانما سالناك ان تصلح القوم بما
كلفوه منا لما راينا من حربهم واختشينا من فعلهم ولا فرق لهم غير ما
ذكرناه لك من الصلح ويثنى القوم عنا فغضب من قولهم وتزايد
به الغضب على عابه **وقال** لهم يا ويلكم يؤخذ الطليب الاعظم مني
واصاب بعيني ونفشل حاشيتي واغفل عن هؤلاء اللئام والعبيد فيبلغ
الملك الى عني فيشمت علي بالعجز والوهن عندك ولابد من كلبهم على
كل حال الطلبا طلبي وان اخذ الف عين بعيني ليعلم الملك اني قد اخذت بثاري
منهم وساوقع بالقوم حيلة اصل بها الى امرائهم واملك صاحبهم
وابيد جمعهم واخذ اموالهم وما غنموا منا ومن قومنا واهل ديننا
وابعث بها الى الملك **ثم** اني لا ارضى لهم بذلك حتى اجيش الجيوش
واحمل الاثقال والا[illegible] والاموال واسبي الى صاحبهم ابي بكر الذي هو بالحجاز
فابيد اثاره واهدم مساجده واخرب دياره واترك بلده مسكنة للضباع
والوحوش والسباع **ثم** ان الملعون علا على الباب وهو مصعب العين يحرق
في من اصابه عينيه ويزيد الى عينا من قلوبهم ويقول لهم لا تخافوا فاصـ
فقد ظهر لكم في يومكم هذا ولابد للطليب ان يرميهم بسوارقه وانا
الضامن لكم ذلك فثبت القوم لقوله وقاتلوا قتالا شديدا وصبر لهم
المسلمون صبر الكرام واحتسبوا انفسهم لله تعالى والدار الاخرة
فبعث شرحبيل بن حسنة الى خالد بن الوليد رضي الله عنهما يخبره
بما صنع القوم به وقال للرسول الذي ارسله اخبره ان عدو الله توما صاحب
الملك قد ظهر لنا منه ما لم يكن عندنا في الحساب فليبعث لنا رجالا من
الحرب عندنا اكفى من كل باب **فلما** وصل الخبر الى خالد فرح بذلك
وحمد الله عليه حمدا كثيرا وقال للرسول كيف اخذتم الطليب القوم قال له

رسول

رسول شرحبيل كان يحمل صليب القوم رجل من الروم فرمته ام ابان فاصابت
يده فسقط خارج المدينة فاخذه المسلمون وخرج القوم لاستنقاذه
وامامهم صاحب الملك توما فحمل على شرحبيل بن حسنة يريد اخذ الصليب
منه فرمته ام ابان فقلعت عينه فقال خالد ان توما عند القوم معظم
وهو الذي منعهم من الصلح ونرجو من الله ان يكفينا امره ويصرف عنا
شره ثم قال الى رسول عد اليه وقل له كن حافظا لما امرتك به وكل
فرقة مشتغلة عنك وها انا بالقرب منك وهذا ضرار بن الازور يطوف
حول المدينة وكل وقت يكون عندك ولن يوتى من قبلهم ان شاء الله فرجع
الرسول واخبر شرحبيل بذلك فصبر وقاتل بقية يومه وصبر الناس على مراكز
هم واتصل بامراء المسلمين الخبر على الابواب ما نال شرحبيل بن حسنة
من توما صاحب الملك وما غنم من صليبه ففرحوا بذلك سرورا عظيما
وفرحوا فرحا شديدا واقام الناس بقية يومهم ذلك في الحرب الى ان
فات وقت الظهر وقرب وقت العصر فقطعوا القتال ورجعت كل
فرقة الى مكانها الى ان ركبها المساء فتحاجز القوم وتفارق الناس
واضرمت النيران وقرئ القرآن في عسكر المسلمين واذن المؤذنون في
سائر العساكر وصلى الناس صلاة العشاء كل امير بقومه وبات
الناس في الحرس الشديد يتحارسون ودار ضرار يطوف حول المدينة
فلما جن الليل بعث توما الى اكابر دمشق وابطالهم واحضرهم
بين يديه واقبل عليهم وقال يا اهل هذا الدين انه قد نكاه بكم قوم لا خلاق
لهم ولا دين ولا امان ولا عهد ولا ذمام ولو صالحتموهم واعطيتموهم
ما اوجبوا لكم بعد العهد فانهم فرحوا بنسائهم واولادهم ليسكنوا
بلادكم ويشتتكم وانتم فكيف صبرتم على هتك الحريم وسبي النساء
والخروج من الاوطان ويكون نساؤكم واولادكم عبيدا لهم وما وقع الا
الصليب في يومكم هذا الا غضبا عليكم لما قصرتم في هذا الدين من
مصالحة العرب واذا الكم الصليب وانا قد خرجت للقوم ولولا ما

اصيب بعيني لما عرفت حتى افرغ من القوم وارد له الفكر وقد اليت على نفسي
بعزة الملك الرحيم لا كان لي يوم من المكابدة بثاري وان اقلع الفاعي من
العرب فابعث بها الى الملك ثم لا ابقي لا اخذ لهم بالصليب حتى اصل اليه
واخذه فان توانيت او تغافلت لم امن من تعيير الملك لاجل ذلك على
فلما سمعوا ذلك من قوله قالوا ايها الامير ان القوم كثير وما هو
الا ان تقصد جانبه من جانبات القوم حتى يعطف القوم عليك بجمعهم
من سائر الاماكن ويزحف اليك اميرهم الاكبر في الخيل من باب الشرقي
ويبقى الاخر من باب الجابية بالخيل ايضا ويعظم عليك الامر وما تبقى
ما لا طاقة لك به ويعود فعلا خيرا مما فعل لك وبين يديك رضينا بما رضيته
لنفسك فان امرتنا بالخروج اليهم خرجنا وان امرتنا بالقتال من على سور
مدينتنا قاتلنا فقال لهم توما ساخبركم تدبيرا من خاص الحرب و
غيرها وخلوخ رعايا ثم امر باجتماع القوم كلهم من خاصتهم وعامتهم
فاجتمعوا اليه الا قليلهم على الابواب حذرا وخوفا من المسلمين فلما تكاملوا
ملؤا واجتمعوا قال لهم اني عزمت ان اكبس على القوم واهجم عليهم هذه
الليلة وهم في اماكنهم فلو البر منوبا وانتم احق بالبلدة من غيركم
فلا يبقى منكم احد الليلة الا ويتاهب ويخرج من بابه ويكبس على القوم
واخرج انا من بابي بمن معي وارجو ان لا اعود الا بفتح حتى يصل الصلح
صفيهم في فاذا اني غنا من هاولاء القوم عطفت على غيرهم في سائر الابواب
فابيدوا الاول فالاول الى ان اصل الى اميرهم الاكبر فاخذه اسيرا واحمله الى الملك
ليامر فيه بامره فمن خرج منكم الى جهة من الجهات فلا يرجع ولا يبرح من
مكانه حتى اصل اليه فقالوا حبا وكرامة فعند ذلك عمد الى قومه
يفرقهم فرقا فبعث فرقة الى باب الجابية الى ابي عبيدة بن الجراح وقال
لهم ليس هناك من تخافون منه ثم بعث فرقة اخرى الى باب الشرقي
وقال لهم لا تخافوا ولا تفزعوا فان اميرهم الاعظم متباعد عنكم وليس هناك
الا ان ذلك المولى فاهجموا عليهم بحد السيف واكلوهم اكلا ولا تتابوهم

ثم بعث

ثم بعث بفرقة اخرى الى باب العماء بشر الى عمرو بن العاص رضي الله عنه
واوصاهم بما اوصى به غيرهم ثم بعث بفرقة اخرى الى باب كيسان الى سعيد
ابن زيد بن نفيل واوصاهم ايضا بما اوصى به غيرهم ثم بعث بفرقة اخرى الى الباب
الصغير الى يزيد بن ابي سفيان واوصاهم ايضا بما اوصى به غيرهم ثم اقبل
عليهم قبل تفرقهم وقال لهم سأترك لكم رجلا على باب معه ناقوس يضرب
به من غير خرس فاذا سمعتم صوته فهو العلامة بيني وبينكم فافتحوا
الابواب واخرجوا مسرعين الى اعدائكم ولا شك انكم تجدون قوما نياما
وقوما قياما فقاتلوهم قبل ان يصلوا الى اسلحتهم فهاجموهم بالقتال
والحرب وكثرة الطعن والضرب وادخلوا عليهم قبل ان يصلوا اليكم فاضربوهم
ضربا واقتلوهم كيف شئتم فلما علمتم ذلك وصدقتم القوم في هذه
الليلة فمعكم فيهم وكفى بي بهم ونقضت قوتهم وانكسروا كسرة
لا ينجبرون وبعد هذا ثم دعا برجل من النصارى وقال له احمل الناقوس واعلو
على الباب فاذا رايتنا قد فتحنا الباب فاضرب الناقوس ضربة يسمعها
قومنا الموكلون بالابواب فيبادرون الى اعدائهم فقال حبا وكرامة ومضى
واسرع الى ما قرب اليه واخذ الناقوس كذلك وعلا على الباب ينتظر امره
يضرب به فسكت القوم لكلامه وفرحوا بذلك وخرجوا الى حيث امرهم
وسارت كل فرقة الى الجهة التي بعثت اليها ووصلت كل فرقة بابا من
الابواب واقاموا ينتظرون الصوت ان يقع بهم فيبادرون للمسلمين
واقبل باقوما الى الباب ومعه سادات قومه وابطالهم وشجعانهم ولم يبق
شجاعا ولا بطلا الا من عرفوا واختبروا بالنجدة والشجاعة والقوة والبراعة
الا اخذه معه وسار بقطعة جيش مثل ذلك وعليهم الدروع والبيض وما
بين ايديهم الاعمدة من الحديد والسيوف وقوموا اولهم وبيده صفيحة هندية
ودرقة مغربية وقد لبس سوابغه من حديد والقى على راسه بيضة
كسروية كان قد اهداها له من الخزانة وكانت مطوقة بالذهب
مكلبة بالفضة لا تنفذ فيها السهام ولا تعمل فيها السيوف القواطع شيئا

خ مهل

فاقبل على مقدمتهم الى ان وصل الى الباب فاسرعوا الى عمرو كلهم وجروا به
سيفكم الى ان تصلوا الى امير القوم فاذا وصلتم اليه فاحملوا واهجموا عليه
وعليهم وامكنوا السيوف منهم ومن صاح بكم وطلب منكم الامان فلا تبقوا
عليه الا ان يكون امير القوم ومن ابى منكم الصليب فليأخذه وليجعله الى
فان بعد عليه ذالك فليمض حتى ياتي اليه واصل العترة فقالوا حبا وكرامة
ثم امر رجلا ان يمشي الى الذي يعدل الناقوس فامره يضربه وامر بالباب
ففتح ووصل الرجال الى صاحب الناقوس فحققه خفقة ولم يرد عليها غير نف
فلم يكلمها حتى فتح القوم الابواب وخرج اللعين توما وسمع اصحابه الصوت
فخرجوا فبادر زبير ومشى عبيد الى اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم في
غفلة مما دبر القوم عليهم الا انهم في يقظة وحذر دائما فلما سمعوا
الصوت ايقظ بعضهم بعضا ونطاحوا وقد رفع الصوت وتوا ثبت
الرجال من مراقدها ومضاجعها كالاسود الضارية فلم يصل اليهم عدوهم
الا وهم على حذر الا انهم على غير اهبة وزي تبيب فتوجهوا اليهم ولاقوهم
وتقاتل القوم في ظلام الليل واشتد القتال وعمل السيف في الفريقين وحمي
الحرب نكمهم رجاله وكان شرحبيل رضي الله عنه من عدو الله امرا عظيما
لم يلقه احد مثله وذالك انه هجم عليه توما اللعين في تلك الليلة العصابة
التي كانت معه وكان هو اول من خرج من الروم واول من وصل الى المسلمين
فصبر لهم شرحبيل واصحابه صبر الكرام وثبتوا على القتال بنية الاسلام
وفوضوا امرهم للملك العلام وقاتل عدو الله قتالا شديدا وجعل يمينا ويمينا
وشمالا وهو ينادي انا اميركم الزعيم الذي رماه فاطاني انا ذكر الملك
الرحيم وناصر الصليب العظيم فهلموا الي حتى ارجع عنكم وتسلم لكم حالكم
فلما سمع صوته شرحبيل بن حسنة قصد نحوه وقال انا صاحب
القوم وانا صاحبك وغريمك انا مبيد جمعك وآخذ صليبك فعطف
عليه توما وقال اياك اردت ولك طلبت ثم التقى دله وحاذه فلم ير الناس
في هول الانام ضرابا كضرابهما في تلك الليلة ولقي شرحبيل من عدو الله ما لم

بلواحق وردامنه شيئا فعاله الا انه صبر له فلم يزل الا كذلك الى ان مضى من
الليل شطره وكل قوم مشتغل بقرنه ثم ان شرحبيل رضي الله عنه ضرب عدو الله
ضربة هائلة يريد ان يصل بها الى مقتله فتلقاها عدو الله بدرقته فانكسر
سيف شرحبيل وطمع عدو الله فيه فحمل عليه واراد الهجمة عليه وكرافه
اسيره وكانت ام ابان ابطار رضي الله عنها مع شرحبيل لم تزل معه وكانت
في تلك الليلة احسن الناس صبرا ورمت بنبالها وكانت لا تقع لها نبلة الا
في رجل من المشركين كبير الحال فقتلت رجالا من الروم وهم يحسبون انها رجل فلم تزل
كذلك الى ان نفد لها النبل ولم يبق معها غير نبلة واحدة وهي تمشي بها
يمينا وشمالا والقوم يحسبونها وبينما تقرن منها من خوف النبلة اذ قصدها
جبار رجل من الروم فرمته بالنبلة اليه فوقعت في نحره فلما احس بالموت هجم
عليها وصرخ بقومه من الروم فمالوا الى معونته وهاجموا على ام ابان
فاخذوها اسيرة ومات عدو الله الذي رمته في وقته ذلك فبينما
هي مع شرحبيل على تلك الحالة اذا بغبار قد اثار ومن ورائهما كتيبة من
الخيل فهجموا على الروم وحملوا عليهم فانهزموا امامهم واخذوا ام ابان فيهم
فنحت على رجلين يكلمانها وهي تزعق وتصيح بالمسلمين فلحقها الفار
سان وكان احدهما عبد الرحمن ابن ابي بكر الصديق والاخر ابان بن عثمان بن عفان
رضي الله عنهم فقتلا الرجلين وخلصا ام ابان بنت عتبة زوج شرحبيل بن حسنة
فانهزمت بقية الروم ورجع عدو الله منهزما الى المدينة وعن عامر بن سهل
عن جابر بن الاصهب عن نعيم بن عدي وكان ممن شهد الفتوح قال كنت
في جيش ابي عبيدة على باب الجابية ولم يكن في الامراء اكثر من اصحابه ولا من
قاتل كقتال اصحابه وذلك ان ابا عبيدة كان في خيمته مما يلي الجابية وهو
متباعد عنهم وهو يصلي اذ سمع الصوت فدوقع وقد تبادر الروم للمسلمين
فلما نظر الى ذلك اوجز في صلاته وقال لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم
ثم لبس سلاحه وافرغ عليه لامته وركب فرسه وقد تداعوا كلهم بالسلاح
ودنا من القوم فلما وصل اليهم والقوم مع اصحابه في القتال فحمل بقومه

معه من ورائهم فلما سمع المتقي تكون التكبير والتهليل ظنوا ان المسلمين
قد دهمهم من ورائهم في عسكر عظيم او جيش جسيم فعطفوا راجعين
نحو الباب وعلى مقدمتهم امير الباب وكان اسمه جرجي بن كال واقتطع
المسلمون الذين كانوا معهم في القتال ونزلوا فيهم السيف حتى اذا قربوا من
الباب حمل ابو عبيدة واصحابه فالتقوا القوم لوجوههم وقطعوا عليهم
المجاز ورموا عليهم الكرابيس والجنادل والصلاع تتعادى عليهم من اعلى الباب
وهم لا يلوون عليهم ولا يلتفتون اليهم فلما احموهم خشي القوم ان يصيبوا
اصحابهم بسهامهم وحجارتهم فامسكوا ايديهم عنهم وابو عبيدة ازدا الله
بالموافقة من الله فيسر اليهم السيف ولقد بلغنا انه ما اسلم من
القوم الذين خرجوا من ذلك الباب لا صغير ولا كبير بل قتلوا عن اخرهم وقتل
جرجي بن كال وجاهد اصحاب ابي عبيدة جهادا احسنا وامّا التي قد
كان خالد اخذ منها سباعا من عند النبي مع النساء ... والاولاد فحين
سمع ذلك قام في اهل العقل جزعا مما سمع من ضجيج الاصوات وعجيج
الزعقات فصاح واغوثاه واسلاماه وا محمداه اكيد بقومي
ورب الكعبة اللهم افتح اليهم بعينك التي لا تنام واجعلهم في حلة
الطعم والمقام وانصرهم على عدوك ولا تسلمهم الى من خلقك بحق
محمد صلى الله عليه وسلم نبيك وحبيبك ثم دعا بمعاذ بن رفاح ال
طائي وهو ابن اخي عدي ابن حاتم وقال له كن خليفتي في قومي واستعمل
الحزم والصبر وحذار ان تؤتى من قبلك والى من هذا الموضع فلا صبر لي عما
سمعته فوقع ملما بهم ان تعذبا معه وركب خالد مع العسكر وسار
خالد رضي الله عنه في نخبة اصحابه وكانوا في نحو من اربعمائة فارس وليس
عليه الا ثوب من كراسة القباء وهو يعني درع مكشوف الراس دايرا بيضه
وقد اعطته الصحابة للمسلمين عن لبس الصلاح واطلق جواده واطلق
القوم الاعنة من ورائه وهو في اولهم وقد معه يسيل على خده حتى عامنه
على المسلمين وهو يقول

فجرى دمعي واعتلى حزني ٭ وضاق صدري وبي أنّي شجن ٭

من اجل ما في الفؤاد من قلق ٭ من وقعة المحنة بين الوسن ٭

يارب سلم من نزول المحن ٭ وانج من الاسلام يا ذا المنن ٭

ثم خرج الشيخ والاربعمائة فارس من وراءه الى ان وصلوا الى الباب الشرقي فـ
وإذا بالغرفة التي هنالك قد نهاها جند مع صاحبه رافع بن عميرة الطائي وكان
خالد قد قدمه لحفظ تلك الجهة والقتال مع اهلها وقد توافت القوم اليهم
وهم معهم في القتال الشديد والسيوف تعمل في الزرق ونارها تلمع كالبرق
وكثر الصياح واستجاب من سائر الابواب واصوات المسلمين عالية
بالتهليل والتكبير والروم من اعلى السور وقد ابرقوا وارعدوا وتصارخوا
عند ما استيقظ المسلمون ثم حمل خالد على الروم ونادى بارفع صوته
واعلاه ابشروا يا معشر المسلمين فقد اتاكم العون والنصر من رب العالمين
انا الفارس الصنديد انا البطل المبيد انا خالد بن الوليد ثم حمل في وسط الروم
وهجم عليهم بمن معه وقاتل قتال الاشتر بن امارة مثله فقتل رجالا وجندل
ابطالا وهو مع ذلك مشغول القلب في عسكره وسائر الامراء من المسلمين
الذين اوقعهم على الابواب وهو يسمع اصواتهم وزعقاتهم من قعقعة
اصواتهم عالية وصراخ اليهود والنصارى قال قيس بن عمرو قلت
لابن عمي قيس بن هبيرة اكانت اليهود تقاتلكم على دمشق يوم حصار
اهلها قال نعم كانوا يقاتلون من اعلى السور ويرموننا بالسهام والحجارة
وخشي خالد على شرحبيل من توما صهر الملك مما اتصل به من عدو الله وشدتها
عنه وانه ملازم لذلك الباب فبينما خالد كذلك في القتال اذ اتى فـ
عليه ضرار بن الازور رضي الله عنه وهو مضمخ فقال له خالد ما وراءك يا ابن
الازور فقال له ابشر ايها الامير فوالله ما جئتك حتى قتلت منهم في هذه
الليلة مائة وخمسين رجلا وقتل من معي من قومي منهم ما لا يحصى ولا يعد
وقد كفيتك مؤونة من خرج من باب الصغير الى يزيد بن ابي سفيان ثم
عطف على سائر الابواب فقتلنا وبذلنا فيهم سيوفنا كيف شئنا فبقي

خالد بن الوليد شهورا عظيما ثم ساروا جميعا حتى اتوا شرحبيل
فاخبرهم بما كان من امرهم مع توما وانهزامه فشكر الله فعله ودعوا
وفرحوا بنصر الله تعالى لهم وكانت تلك الليلة ليلة عظيمة لم يلق الناس
مثلها في ايامهم التي مضت فقتلوا فيها الوفا عديدة من المشركين
فلما رجع اهل دمشق الى المدينة اجتمعوا الى توما بعد ان افتقدوا
من قتل منهم فوجدوا الف كثير فقالوا له ايها العسكر انا نصحناك
فلم تقبل منا عذرنا ولم ينفع لك قولنا وقد لحقك ما لحقك وقتل منا الكثير
وهذا امر لا يطاق فصالح القوم اصلح لك وان ابيت صالحنا على انفسنا
وفي كتابك وشانك فقال يا قوم امهلوني حتى اكتب الى الملك
واعلمه بما قد نزل بنا فان اعاننا واغاثنا فنعم والا فالصلح امامكم فكتب
من وقته وساعته كتابا يقول فيه الى الملك الرحيم من صهره توما اما
بعد ايها الملك فان العرب قد حلوا بنا كاحاطة البياض بسواد العين وقد
قتلوا اهل اجنادين ورجعوا الينا وقد قتلوا منا مقتلة عظيمة واني قد خرجت
اليهم واصبت منهم الا ان قومك اهل الشام تركوني واسلموني وقد
ذهبت عيني واخذ الصليب الاعظم مني وقد عزم اهل دمشق على الصلح
واداء الجزية ودفعها الى العرب فاما ان تبعث الينا بنفسك واما ان تبعث
الينا عسكرا تنجدنا به واما ان تامرنا بمصالحتهم فقد تراجع الامر
علينا والسلام ثم طوى الكتاب وختمه بخاتمه وبعث به قبل الصباح
فلما اصبح القوم بعثوا الى خالد ان امهلنا حتى ننظر في امورنا فابى
خالد الا قتالهم وبعث خالد الى كل امير ان يرجع الى بابه ومن مكانه
ورجع ابو عبيدة رضي الله عنه ايضا من مكانه وكل امير من امراء المسلمين
وبكروا اليهم بالقتال ولم يزل يقاتلهم كل يوم الى ان ضاق بهم الحصار ووقع
القتال واشتد الامر عليهم وهم مع ذلك ينتظرون جوابا من الملك ا و
جميعا فلم يرد اليهم ذلك حتى اوامنه جوابا ولا اتاهم وضعفت قوتهم وساءت احوالهم
واذعنوا حينئذ للصلح ودفع الجزية وجعلوا يتاملون كيف
يصنعون في ذلك

ذكر خبر فتح مدينة دمشق
والسبب في ذلك وكيفيته

قال اهل السير جميعا في اخبارهم ممن رووا
فتوح الشام منهم محمد بن اسماعيل وغيره ممن ذكر اسنادهم ونقدم
اول الخبر ثقة منهم واعتمادا عليهم لما ان بلغ القوم جواب امر الملك ولا بعثا
وطال عليهم الامر واشتد بهم الحال وضيق بهم المسلمون اجتمع ارباب البلد
منهم بعضهم الى بعض وقالوا يا قومنا الا تصبرن لنا على ما نحن فيه من امر هاولاء
العرب ان قاتلناهم نصروا علينا وان تركناهم ولزمنا من بيننا اضر بنا
مقامهم ورعوا عنكم النعاج ومنعكم الغلات واطلبوا من القوم الامان والصلح
على ما طلبوه منا فقال لهم شيخ كبير منهم من الروم ممن قرا الكتب السالفة
وتدبرها والاخبار الماضية وعقلها وعرفها يا قوم اني والله اعلم واتحقق
لو ان الملك جاء بعدده وعديده ما دفع عنكم هولاء القوم فاني قرات
في الكتب السالفة والملاحم والاخبار الماضية والاتية ان صاحبهم محمدا
هو خاتم النبيين وسيد المرسلين وسيظهر دينه على كل دين فدعوا
عنكم الغلالات والتشاغل بالمحالات واعطوا القوم ما طلبوه منكم
تحمدوا قولكم فلما سمعوا مقالته وركنوا اليه لما يعلمون من حزمه
وعلمه ومعرفته بالاخبار والملاحم وقالوا له كيف الراي عندك فقال لهم
يجب ان تعلموا ان هذا الرجل الذي على الباب الشرقي من رجل فظ غليظ سفاك الدماء
فان اردتم الامر فامضوا الى الذي على باب الجابية فانه بخلاف الاخر قال فلما
استصوبوا رايه واقاموا بقية يومهم الى الليل فلما جن الليل اقبلوا
بجمعهم الى الباب الجابية وتكلم رجل منهم ممن يعرف العربية وقال بصوت رفيع
يا معشر العرب اتامنكم اما جنح ننزل اليكم ونكلم صاحبكم كي يلزم
الصلح ويبرم بيننا وبينكم قال ابو هريرة وكان ابو عبيدة قد بعث
رجالا من المسلمين يكونون بالقرب من الباب مخافة الكبسة مثل تلك الليلة
التي خلت وكانت النوبة تلك الليلة لدوس والامير عليهم عامر بن الطفيل

رحمه الله بينما نحن جلوس في موضعنا في باب من الباب اذ سمعنا اصوات الـ
ينادون بالامان فلما سمعت قولهم بادرت الى ابي عبيدة وبشرته بذلك
وقلت له لعل الله تعالى ان يريح المسلمين من التعب وكفى له القتال فاستبشر بذلك
وقال لي امض الى القوم وكلمهم وقل لهم منا الامان حتى ترجعوا الى بلدكم نفوسكم
سالمين فقال القوم من انت من اصحاب محمد حتى نثق بقولك فقلت لهم انا ابو
هريرة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي لم يفارقه قط حتى قبضه الله
اليه واختار له ما لديه فاوليكم والله لو ان عبدا منا اعطاكم الامان والذمام عنا لـ
جاز فان الله تعالى يقول في كتابه واوفوا بالعهد ان العهد كان مسؤولا وما عرفت
العرب الا الذمام وهم في الجاهلية فكيف وقد هدانا الله للاسلام وشرفنا بـ
محمد عليه السلام فنزل القوم وفتحوا الباب وخرجوا واذا هم مائة من
كبرايهم وعظمائهم وقسيسيهم وعلمائهم فلما قربوا من عسكر ابي عبيدة
نادوا اليهم المسلمون وازالوا عنهم القنا والصلبان وساروا الى ان اتوا
خيمة ابي عبيدة فرحب بهم ووثب لهم قائما واجلسهم وقال لهم ان نبينا
محمدا صلى الله عليه وسلم قال اذا اتاكم كريم قوم فاكرموه فنحن قوم
وقالوا له انا نريد منكم ان تتركوا كنايسنا ولا تغصبوا علينا منها كنيسة
يوحنا وهي الجامع اليوم وكنيسة القسطاط وكنيسة سوق البـ
وكنيسة تعرف بساسينا وهي عند دار حميد بن درة فاجابهم ابو عبيدة
الى ذلك والى كل ما شرطوا عليه وكتب لهم كتاب الامان والصلح ولم يسم
لهم نفسه ولا اثبت لهم شهودا فيه وذلك لم يجب ان يلي امر المسلمين بعد
ان عزله ابو بكر الصديق رضي الله عنه فلما كتب لهم ابو عبيدة رضي الله عنه
كتاب الصلح واخذوه منه قالوا له قد اذن لنا ان نرحل المدينة فقام ابو عبيدة
وركب وركب معه ابو هريرة ومعاذ بن جبل وسلمة بن هشام المخزومي وسـ
ونعيم بن عمرو وهشام بن العاص التميمي وسنان بن سفيان وعبد الله بن
عمرو الدوسي وعامر بن الطفيل الدوسي وسعيد بن جبير الدوسي وذو الكلاع
الحميري وحسان بن نعمان الكلاعي وجرير بن نوفل الحميري وسالم بن يزيد اليربوعي

وسيعا

ووهب بن اسلم الكلبي ومعمر بن خويلد السكسكي وسنان بن الاوس
الانصاري ومخلد بن عون الكندي وربيعة بن مالك التميمي وراشد بن سعد
وقيس بن سعد وسعد بن عمرو ورافع بن سهل وزيد بن عامر وعبيد بن اوس
ومالك بن الحارث وعبد الله بن ابي كعب وابو لبابة بن المنذر وعوف بن ساعدة
وعباس بن قيس وعباد بن ابي غنيمة وعباس بن عيينة النبهاني وسمرة
بن عامر وعبد الله بن قرط الازدي وفي الجملة خمسة وثلاثون رجلا صابيين
وخمسة وستون من اخلاط الناس **فلما** ركبوا تقدموا نحو الباب فقال
ابو عبيدة رضي الله عنه لمن طلعهم ان من منكم بهم الباب وحينئذ ادخل معكم
الى المدينة فاتوه بي نهابين منهم **وعن ابي ثعلبة** عقبة بن صفوان عن
عمرو بن عبد الله عن عبد الرحمن بن جبير عن ابيه قال ان ابا عبيدة لم يأخذ من القوم
رهائن وذالك انه تلك الليلة التي صالح فيها القوم ونام حين صلى الفريضة
وراى في نومه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول له الليلة تفتح لكم المدينة
ان شاء الله تعالى قال وكانه راه مستعجلا فقلت له يا رسول الله اراك على عجل
قال جئت لاحضر جنازة ابي بكر الصديق رضي الله عنه فاستيقظ ابو عبيدة
وابو بكر قد مات فجاء يبشره بالصلح فلم يأخذ من القوم رهائن ثقة منه بكلام
رسول الله صلى الله عليه وسلم **وقد** بلغني ان ابا عبيدة رضي الله عنه
لما دخل المدينة بالصحابة دخلت الاقسة بين يديه والرهبان عليهم المسوح
من الشعر الاسود وقد رفعوا اصواتهم بقراءة الانجيل والمباخر بالعود والند
وذالك ليلة الاثنين احدى وعشرين من جمادى الاخيرة سنة ثلاثة عشر من
الهجرة فهذا ان كان سبب دخول المدينة من قبل الباب عند اهل التاريخ
وعن عبد الحميد بن ابي عمران عن ابي عبد الله بن انس عن ابيه
وكان ممن يعرف اخبار فتح الشام قال دخل ابو عبيدة بن الجراح دمشق
من باب الجابية بالصلح وليس عند خالد بن الوليد من صلحهم خبر لان خالد
كان يشتد في القتال على باب الشرقي وكان حنقا عليهم لان ابان بن سعيد رمي
بسهم مسموم فمات وهو اخو عمرو بن العاص من امه وقتل عليه خالد

ودبر ما بين باب الشرقي في وباب توما فلذلك اشتد القتال عليهم لم يصبهم
بالسهام المسمومة وكان قس من اقسة الروم اسمه يونس بن مرقش ساكن
في دار ملاصقة للسور مما يلي باب الشرقي وكانت عنده ملاحم دانيال
وغير ذلك فعلم ان الله يفتح هذه البلاد على يد اصحاب النبي المبعوث
اخر الزمان خاتم النبيين وسيد المرسلين محمد الامين وان دينه يعلو
على كل دين فلما كانت الليلة الاثنين وهي ليلة احدى وعشرين من
جمادى الاخرة سنة ثلاث عشرة من الهجرة نقب في داره نقبة وخرج منها
على حين غفلة من اهله واولاده وقصد الى خالد وحدثه انه خرج من داره
من موضع حفره وطلب منه امانا له ولاهله فاعطاه خالد الامان على ذلك
وبعث معه مائة رجل من المسلمين كلهم مستعدون واكثرهم من حمير وامر
عليهم كعب بن ضمرة او مسعود بن عون والله اعلم ايهما كان وقال لهم خالد
اذا دخلتم في المدينة فارفعوا اصواتكم بجمعكم واقصدوا الباب واهدموا
واكسروا الاقفال وارموا سلاسله حتى ندخل اليكم ان شاء الله تعالى ومضى
بهم وامامهم يونس بن مرقش حتى دخل من حيث خرج فلما دخلوا في
داره تدرعوا وخرجوا وفعلوا ما امرهم به خالد وقصدوا الباب واعلنوا بالتهليل
والتكبير والصلاة على النبي البشير النذير والقوم في الغفلة على الحصار الا السور
فلما سمعوا التكبير ذهلوا واعلموا ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
قد حصلوا في المدينة معهم فشغلوا ما في ايديهم واتى كعب بن ضمرة حتى وصل
الى الباب فكسر الاقفال وقطع السلاسل ورمى بها ودخل خالد بن الوليد
واصحابه معه ووضعوا السيف في الروم وهم منجفلون بين يديه الى ان وصل الى
كنيسة مريم وخالد يسبي ويقتل فالتقى الجيشان عند كنيسة مريم
جيش خالد وجيش ابي عبيدة فلما التقوا نظر خالد الى ابي عبيدة واصحابه
وهم سائرون والقسيسون والرهبان امامهم وبين ايديهم وما احد من
اصحاب ابي عبيدة جرد سيفا فبهت خالد لذلك وجعل ينظر اليهم متعجبا
فنظر ابو عبيدة الى خالد وعلى وجهه الانكار فقال له يا ابا سليمان قد فتح

الله

الله المدينة على يدي صلحا وكفى الله المومنين القتال **وعن** عبد الحميد بن ابي
عمران **عن** ابي عبد الله بن انس **عن** ابيه ايضا قال ما احب ابو عبيدة لخالد
رضي الله عنهما يوم الفتح الا بالامارة فقال له ايها الامير قد تم الصلح فقال خالد
وما الصلح لا اصلح الله احوالهم وانا لهم بالصلح واذا قد فتحت المدينة بالسيف
وخضبت سيوف المسلمين من دمائهم واخذت الاموال غنيمة والنساء والاولاد
اماء وعبيدا فقال ابو عبيدة ايها الامير ما دخلتها الا صلحا فقال له خالد
انك لم تزل مغفلا ما دخلتها انا الا بالسيف عنوة وما بقيت لهم حامية
فكيف يكون لهم الصلح فقال ابو عبيدة اتق الله ايها الامير فقد والله صالحت
القوم فقال خالد كيف تصالحهم بغير اذني وامري ولا اعلامي وانا صاحب
رايتك والامير عليك ولا ارفع السيف عنهم حتى افنيهم واقتلهم عن اخرهم
فقال ابو عبيدة فوالله ما كنت اظن انك تخالفني في امري وعقدت عقدا
او رايت رايا فالله الله في امري فقد والله اعطيت ذمامي القوم عن اخرهم
واعطيتهم الامان من الله عز وجل وامان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد رضي
بذلك كل من معي من المسلمين وليس الغدر من شيمتنا فلا تخفر ذمتي رحمك الله
فارتفع الصياح بينهما وقد شخص الناس اليهما وخالد مع ذلك لا يرجع
عن مراده ونظر ابو عبيدة الى اصحاب خالد وهم جيش الزحف واهل البوادي من
العرب وهم مشتغلون على قتال الاعلاج ونهب الاموال وسبي الذراري وهم
لا يردون نسوتهم عن احد فنادى ابو عبيدة وانكساراه خفرت والله ذمتي
ونفض عمامته وجعل يحرك جواده ويسير الى العرب مرة يمينا ومرة شمالا
وهو ينادي في رفيع صوته معاشر المسلمين اقسمت عليكم برسول الله صلى الله
عليه وسلم الا تمروا ايديكم نحو القوم بالاذية حتى ترون ما نتفق عليه
انا وخالد فلما قال لهم ذلك ودعاهم به امسكوا ايديهم عن القتال والنهب
فاجتمع اكابر الصحابة رضي الله عنهم من فرسان المسلمين واهل
الراي واصحاب الرايات مثل معاذ بن جبل ويزيد بن ابي سفيان وسعيد بن زيد
بن عمرو بن نفيل وعمرو بن العاص وشرحبيل بن حسنة وربيعة بن عامر وقيس

بن هبيرة المرادي وعبد الرحمن بن ابي بكر الصديق وعبد الله بن عمر بن الخطاب
وابان بن عثمان بن عفان والمسيب بن نجبة الفزاري وذو الكلاع الحميري ونفر اوهم
عند الكنيسة التي اتفقوا عندها للمشورة والمناظرة فقال نفر كثير من المسلمين
بينهم معاذ بن جبل ويزيد بن ابي سفيان الراي عندنا ان يمضي ما صنع ابو عبيدة وان
تمضوا امضاه وتكفوا عن القوم فان مدن الشام كما هي لم تفتح وهي فيها كثير
كما تعلمون فان اتصل باهل المدن انكم صالحتم وغدرتم لم تفتح لكم مدينة صلحا
وذا ابيا ان تفعلوا انها اولا الاعلاج في صلحكم فهو خير من قتلهم ثم قالوا لخالد
امسك عليك ما فتحت بالسيف ويمسك ابو عبيدة ما فتحه من جانبه صلحا
واكتبا للخليفة واحتكما اليه بما امر به فعلتماه فقال خالد قد اجبت الى ذلك وقبلت
مشورتكم فاما اهل دمشق ومن كان فيها من غيرهم فقد امنتهم الا الهربين اللعينين
توما وهربيس وجيشهما الذي لجا اليهما وكان هربيس هو المومن على نصف المدينة
والى توما حين رجع الامر اليه فقال ابو عبيدة ان هذين اول من دخل في صلحي فالذي
ذمتي رحمك الله اني لو امنت انت لاجرتهما او غيرهما اكنت انا كذلك
اجعي ذمتك اني توما وهربيس كانا خارج المدينة او داخلها فان كان داخل
المدينة فهما في الزمام وان كانا خارج المدينة فلا ذمام لهما فقال خالد اما والله
لولا ذمامك لقتلتهما ولاكن يخرجا عني من هذه المدينة حيث شاءا او ان
لعنهما الله فقال ابو عبيدة ان هذين اول من دخل في صلحي فكيف يخرجان من
بلادهما **وذكر** توما وهربيس الى خالد وهو يتنازع مع ابي عبيدة ومعهما
ترجمان عنهما ما يقولان فقال الترجمان لابي عبيدة يقولان لك توما وهربيس يترجم
ما هذا الذي انت فيه فيما بينكم وبين صاحبك من المشاجرة وان كان صاحبك
من غدرنا فنحن واهل المدينة سواء في العقد والصلح فلا يوقع بنا ما اوقع
على ما بيننا وبين رايه العنيف من القتل ولا انكالكم بغفل من قتل منا ومن
حل من ذلك وانما نسئلكم ان تدعونا ان نخرج انا واصحابي من هذه البلاد
وتسلكا لنا كم يوما شئتما وارادنا فقال له ابو عبيدة وخالد رضي الله عنهما
انتما في ذمتنا فاخرجا الى يوم شئتما فاذا وصلتما الى حيث بنا وصرتما في

ارض ملوككم فقد خرجتم من الذمة والعهد انتما ومن معكما فقال توما وهربيس
نحن في منتكم ثلاثة ايام اي نحن بين سلكناه فلا يتبعنا منكم احد فاذا كان
بعد ثلاثة ايام فلا ذمة لنا عندكم ولا عهد في اعناقكم ومن لقينا منكم بعد
ثلاثة ايام وقتل علينا وظفر بنا فيعمل له عبيده ان شاء اسر وان شاء قتل فقال لهم
خالد قد اجبناكم الى ذلك على ان لا تحملوا من هذه البلدة سوى الزاد وما تنفقوا
منه فقال ابو عبيدة لخالد سبحان الله هذا كلام يدعو الى النقض للصلح الذي بيننا
وبينهم العهد والميثاق وانما وقع بيننا وبينهم الصلح على انهم يخرجون بحالهم
ان ارادوا وبذلك تم العهد والميثاق الذي بيننا وبينهم فقال خالد قد سمحت
لكم بذلك الا الحلقة يعني السلاح فاني لا اسمح ولا اطلق لكم منه شيئا فقال
هربيس لا بد لنا من السلاح نمتنع بها عن انفسنا في طريقنا ان لحقنا فنا كارف
حتى نصل الى موضع مامننا والا فنحن بين ايديكم فاحكموا فينا بما اردتم
فقال ابو عبيدة لخالد اطلق لكل واحد منهم قطعة من السلاح فمن اخذ رمحا
فلا ياخذ سيفا ومن اخذ قوسا فلا ياخذ سكينا فقال توما قد رضينا
بذلك وما في يد احدنا الا قطعة من السلاح لا غير ثم قال توما لابي عبيدة
اني خائف من هذا الرجل يعني خالد ان يكتب الى كتابا يغدر علينا فيه عهدا
ويشهد لي فيه شهودا فقال له ابو عبيدة رضي الله عنه اسكت
ان ابا سليمان قوله قول وعهده عهد لا يغدر الا لحق ولا يبالغ الا الحق فانطلق
توما وهربيس جميعا رجع مسرعا وجاء من انهم باخراج رحالهم وامر توما فضربت
له خيمة من الديباج والخز بكانت في مدينة دمشق واقبلت الروم تخرج الامتعة
والرجال والاموال وانواع الاحمال حتى خرجوا شيئا كثيرا وتوما وهربيس قد
جمعا اليهما الروم فاقبل وجمعوا المال الذي ضمناه لابي عبيدة فلما اجتمع لهما واتوا
به الصلحاء وبه الى ابي عبيدة ففرح به وقال لهم قد وفيتم فسيروا واحيث
شئتم ولكم الامان منا ثلاثة ايام فان وقع عليكم احد من المسلمين وظفر بكم
بعد ذلك فلا ذمة علينا قال نزر بن بكر بن الكلبي فلما سلموا
المال لابي عبيدة ان يغلوا سائر بركاتهم سواء مكلم وقد خرج مع القوم خلق

كثير من اهل دمشق بنسائهم واولادهم كرهوا ان يكونوا في جوار
المسلمين **وقال عقبة بن عامر** السكسكي كنت واقفا على باب
دمشق وهو باب الجابية في اليوم الذي سار فيه الروم مع توما وهي يسير ومع
ومعها ابنة الملك هرقل زوجة توما فنظرت الى ضرار بن الازور ينظر الى القوم
وهو يعض اناملة ويفرك اسنانه كالمتاسف والمتحسر على ما فاته فقلت له يا
ابن الازور ما اراك متحسرا اومتاسفا فيما عند الله اكثر فقال والله ما يغبني
غنيمة انما اتاسف على بقائهم وانفلاتهم وفواتهم منا ولقد اساء ابو عبيدة
فيما فعل بالمسلمين **قال عطية** قلت يا ابن الازور وما اراد امير الامة
بالمسلمين الا خيرا ان حقن دماءهم واراحهم من التعب في القتال فلحرمة رجل
مسلم عند الله افضل مما طلعت عليه الشمس وان الله عز وجل قد خلق الرحمة
واسكنها في قلوب المومنين وازالها من قلوب الكافرين وان الله تعالى قال في بعض كتبه
المنزلة انا الرب الرحيم لا ارحم من لا يرحم وقال تعالى والصلح خير فقال ضرار نعم والله
لصادق في كل ما قلت ولكني لا اكاد اصبر على ان لا ارحم من جعل الله زوجة ولمن

ذكر خروج من خرج الرياح وسببه خالد
بن الوليد رضي الله عنه بجيش الى ان جعل الله حلق
توما صاحب الملك فلقد خرج فيهم بشر لعنهم الله

قال ابو عبد الله الواقدي رحمه الله تعالى ورضي عنه وكان
للملك هرقل خزانة من خز وديباج في مدينة دمشق وفي الحين انه زهاء على ثلاث ماية
الف حمل من الديباج وحال من فضة وكان قد عزم توما وهو يبكي على اخراجها وحملها
معهم فاخرجاها واذا فيها ما لا يوصف ولا يكيف من انواع الامتعة فاقبلت الروم
تخرج من انواع الامتعة ما لا يقدر على وصفه مع امتعتهم واموالهم فنظر خالد
الى كثرة سوادهم وعظيم رحالهم فقال ما اعظم سوادهم واكثر رحالهم
ثم قرا قوله تعالى ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن
لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون ولبيوتهم ابوابا وسررا عليها
يتكئون وزخرفا وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والاخرة عند ربك

المتقين فلما فرغ من هذه الابيات رفع يديه الى السماء وقال اللهم اجعله لنا
وملكنا اياه واجعل هذه الامتعة فيئا للمسلمين انك سميع الدعاء، ثم نظر الى
القوم كانهم حمر مستنفرة فرت من قسورة لا يلتفت منهم احد الى صاحبه من شدة
عجلتهم وكثرة قلقهم فلما نظر خالد رضي الله عنه الى ذلك اقبل على اصحابه وجماعة
من ساداته وابطال رجاله وقال لهم قد رايتم راي عين فهل تشيرون علي فقالوا له
راينا الى رايك تبع ولا نخالفك فقال لهم قوموا على خيلكم واحسنوا اليها ما
استطعتم واصلحوا الاتكم واشحذوا سلاحكم فاني اريد ان امشي بعد ثلاثة ايام
في طلب هؤلاء الاعلاج وارجو من الله تعالى ان يغنمنا هذه الاموال التي ارسلها فان نفسي
تحدثني ان القوم ما تركوا بدمشق متاعا فاخرا ولا ثوبا حسنا الا وقد اخذوه
وحملوه معهم فقالوا له افعل ما بدا لك فلا نخالف لك امرا ثم اخذوا في
اصلاح شانهم وعددهم وعلف خيلهم وسائر مؤونتهم واشتغل خالد عن ابي عبيدة
لخلف وقع بين المسلمين وبين الروم ومن اهل دمشق في شيء من حنطة وشعير
وجد في المدينة منه شيء، فقال ابو عبيدة هو للقوم وداخل في صلحهم
وقال خالد هو غنيمة للمسلمين وغير داخل في الصلح وكادت الفتنة ان تقع
بين المسلمين من اصحاب خالد واصحاب ابي عبيدة فاتفقوا بينهم ان يكتبوا الى ابي
بكر الصديق رضي الله عنه وليس عندهم خبر انه قد توفي يوم دخولهم مدينة
دمشق وعزم خالد على القعود واقام بدمشق الى اليوم الرابع ولم يبق وقد
ثبت على اتباعهم والمسير خلفهم فما حرضه على ذلك الا رجل من اهل دمشق
كان معه اسيرا فاسلم وكان يقاتل مع المسلمين قتالا حسنا وكان من فرسان
القوم وابناء ملوكهم وعظمائهم وبطارقتهم وعن عمر بن محمد بن عيسى بن ابي عطاء
عن عبد الواحد بن عبد الله البطحي عن واثلة بن الاسقع قال كان سبب اسلام ذلك
الرجل وذلك اني كنت في جيش خالد بن الوليد وكان قد جعلني في الخيل التي
تجول مع ضرار بن الازور من باب الشرقي الى باب توما الى باب السلامة الى باب
الفراديس الى باب الجابية الى باب الصغير الى باب كيسان وذلك قبل فتح
دمشق فبينما نحن ذات ليلة نحوم وكانت ليلة مظلمة وقد خرج من باب

فبينما اذ سمعنا صرير الباب فوقفنا واذا به قد فتح وخرج منه فارس فتى كـ
حتى قرب منا فاخذناه اسيرا وقلنا له ان تكلمت ضربنا عنقك فسكت و
فخرج فوارس اخرون فقاموا على الباب وجعلوا ينادون الذي اخذناه باسمه
فقلنا له كلمهم حتى ياتوا اليك فقال لهم يالي ومية ان الظبي قد وقع في
الشبكة فعلموا انه قد اسر فجعلوا سلاحا على الباب فدخلوه واغلقوه عليهم
قال فاردنا قتله فقال بعضنا لا تقتلوه حتى نمضي به الى الامير ليرى فيه رايه
فحملناه الى خالد **فلما** نظر اليه قال له ما قصتك قال له انا من بطارقة الروم وابناء
ملوكهم ولقد تزوجت جارية من قومي قبل نزولكم علينا وكنت احبها
حبا شديدا فلما كان علينا حصاركم سالت اهلها ان يزوجوها لي فابوا عن
ذلك وقالوا ان لنا شغلا عن زفافها اليك وكنت احب ان القاها ولنا في
المدينة ملاعبا نلعب فيها فوعدتها ان تخرج الى تلك الملاعب فخرجت الي
فيها وحدثتها فسالتني ان اخرج بها الى باب المدينة فانعمت لها بذلك وخرجت
لاجس خبركم فاخذني اصحابك ورجعت على الجارية فنادت اهلها الظبي
وقع في الشبكة احذرهم منكم مخافة عليها ان ياسروها ويسبوها ولو كان
غيرها لما اعتد على ذلك **فقال له خالد** فما تقول في دين الاسلام وان
دخلت المدينة زوجتك بها وان ابيت قتلتك فاختار الاسلام وقال **اشهد**
ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله
ففرح خالد باسلامه فرحا شديدا قال وكان يقاتل معنا قتالا حسنا فلما
دخلنا المدينة فلما اقبل يطلب زوجته فقيل له انها قد لبست ثياب الرهبان
من غمها عليك واتت الكنيسة فمضى اليها وعرفها وعليها ثياب الرهبان فاقبل
اليها وهو لا يعرفه فقال لها ما حملك على الرهبانية قالت حملني على ذلك الغم
بزوجي حين اسرته العرب فتنهدت جزعا عليه فقال لها فما انا زوجك
الذي تزوجك وقد دخلت في دين العرب وانك في ذمامي فلما سمعت ذلك قوله
قالت له لا وحق المسيح لا كان ذلك ابدا وما لك الي من سبيل فامتنعت عليه
فلما نظر الى امتناعها عليه اقبل الى خالد فشكى اليه ذلك فقال له خالد ان فا

عبيدة قد فتح المدينة صلحا ولا سبيل لك اليها وخرجت مع البكي بغير توما
وهي تبصر حتى خرجا وعلم ان خالدا بن الوليد المسيب خلف البكي بغير الاخرى ما معهما
فقال السبي معه لعلي ان اقع بها فاقبل العلج الدمشقي الى خالد وقال له ايها
الامير اعني منت على المسبي في طلب نحن ابن اللعين واخذ ما معهما قال خالد وقال
العلج وما الذي اقعدك عن ذلك قال له خالد قد اقعدني عن ذلك بعد ما بيننا
وبينهم فاليوم اربعة ايام بلياليها وهم يسيرون سير الخوف وما نقدر الى اللحوق
بهم من سبيل فقال له ايها الامير ان كان سبب تخلفك لبعد ما بينك وبينهم
فانا اعرف الديار والمسالك والسبل بك على طريق تلحقهم فيها ان شاء الله تعالى
وانما افعل ذلك لعلي املك زوجتي **قال واثلة بن الاسقع** فكبر الله
خالد وقال له يا يونس اتعرف الطريق وتدلنا قال نعم ولكن البسوا زي العرب
المتنصرة لخم وجذام وامر اصحابك ان يركبوا السوابق خيولهم وياخذوا ازوادهم
ويجعلوا احمال الزاد ويسيرون واقام خالد عسكره الى حين وهم اربعة الاف فركبوا
السوابق خيولهم ويجعلوا احمال الزاد ويسيرون وافعلوا ذلك وقد وصى خالد ابا
عبيدة على المدينة **قال [illegible] بن طريف** وسار خالد وجيشه الى حجا
وكنت في تلك السرية معه ويونس امامنا وهو يتبع اثارهم ونحن مع ذلك
نرى اثار الخيل والبغال وحوافرها وان القوم لا يسعهم لهم حمل الا كثيرا ولا تقعا
لهم نقيمة الا وعرفوها ولم نزل كذلك نتبع اثارهم ونسير الليل والنهار
ولا ننزل الا وقت الصلاة حتى انقطعت اثار القوم فانكر يونس ذلك من امرهم
فقال له خالد يا يونس ما شانك قال ايها الامير سيروا واستعينوا بالله ان
القوم ساروا حذرا منكم وقد عرجوا عن الطريق واخذوا في جبال واعقاب وكانا
قد لحقناهم ان شاء الله ثم ان يونس عرج بالمسلمين عن الطريق واخذ بهم
في ادهاس وارماس وجبال واعقاب واوعار **قال الضحاك بن حسان**
الطائي وسار بنا في طريق كثيرة الحجارة لا يكاد الجمل ان يتخلص منها
فنقسم الاكثر لها فجعلنا نتخلل الحجارة بخيولنا وانا انظر الى الدم يسيل من
عراقيبها وان نعالها لتسقط من ارجلها وان الخفاف في ارجلنا تقطعت حتى لم

يو منها الا اسفا نسا وقال عباد بن سعيد الحمصي وكنت
للحمص بنه يومين مع عبد الرحمن الوليد وقد سار بنا الدليل في ارض كثيرة الحجار
فوالله لقد كان لي خفان ادم وقد انتعلتهما بنعل يماني وسيور وكنت
اظن بجودته واحرزت نفسي انه يقيم عشر سنين فوالله لقد بقي في تلك الليلة
ساق الخف في ساق رجلي وانا امشي حافي ولقد لحقني من شدة حر وشدة الجبال
ووعورها حتى رايت العرب يشكوا بعضهم الى بعض ويقولوا ان الذي الدليل
اخذ بنا في الطرق الواضحة فما انقضت تلك الليلة حتى شق الطريق وخرجنا
الى الجادة والدليل يقرا انه سيلقى اليوم فلما اصبح وخرجنا راينا اثارهم
وقد سبقوا كانهم قوم هاربون فقال خالد وقد بعثوا بانفسهم فقال يونس
ارجوا من الله تعالى ان يعوقهم حتى نلحق بهم ان شاء الله فاسرع بنا فاسرع خالد
وقال ايها الناس اسرعوا رحمكم الله فقال المسلمون ايها الامير ان شدة السير
وصعوبة الطرق قد فرضت بنا فان رايت ان تستريح بنا ساعة وقد خرجلنا راحة
وتعلفا فقال خالد سيروا على اسم الله فان الله هو المعين وجدوا في طلب
عدوكم فسار الدليل بين ايدينا فما ولم يزل كذلك والدليل هو المترجم
عنا وانه قد خلا من ذلك اليوم الا ويخبرون ان امر العرب المتنصرة من لخم
وجذام وغسان حتى قطع بنا الدليل جبلة والاذقية واستوى على ساحل البحر
وهو يطلب الاثار واخذ بالقوم قد عدلوا عن انطاكية ولم يدخلوها خيفة
من الملك هرقل فوقف الدليل عند ذلك حائرا في امره فعدل الى قرية هنالك
وسال بعض اهلها فنبهها فاخبره ان الغني اتصل بالملك هرقل ان يوما وهو بين
قد حالا على دمشق ونقم عليهما ولم يرعهما ان يا تياه وقد الكانه يجمع
الجموع ويجيش الجيوش ويبعثها الى اليرموك فخاف ان يجد ثا العسكر
بشجاعة العرب فتضعف قلوبهم فبعث اليهما ان يسيرا الى القسطنطينية
بمن معهما فلا يقربوا من انطاكية وساروا على جبل الاكم فلما علم يونس
ان القوم قد تركوا انطاكية واخذوا في طلب البحر انكر ذلك من حاله
وخاف على المسلمين فبقي حائرا في امره وكان في ذلك عزوة النصارى يوم الثلاثاء

مراول

من أول العشر الأول من رجب فصلى خالد بالناس صلاة الفجر وهو يريد أن يركب
إذ نظر إلى يوقنا وهو في الحال التي وصفنا وقد ورد عليه أثر الانكسار وفي
وجهه كآبة فقال له ما وراءك يا يوقنا وما شأنك فقال أيها الأمير إن
القوم قد عرفوا بكم وقد بلغتم الغاية القصوى في طلب عدوكم ولم تتركوا في
أمر هذه الشام إلا ما تطلبون وقد قتلتم أعداء الله وما معهم من الرياح
والأموال فقال له خالد وكيف علمت ذلك يا يوقنا قال أيها الأمير إني قفوت
آثارهم رجاء أن ألحقهم في أرض سورية وكنت أظن أنهم لا يجاوزون هذا
المكان فلما رأيتهم قد عرجوا علمت أن القوم قد نجوا بأنفسهم وأموالهم وقد
أخبرني دهقان من دهاقين هذه القرية أن الملك هرقل منعهم من الدخول إلى
أنطاكية لئلا يرعبوا عساكره وأمرهم أن يطلبوا القسطنطينية وقد قطع
بينكم وبينهم هذا الجبل العظيم وأنتم في بلد هرقل وهو يجمع العساكر
والجنود ويبعث بها إليكم وإني أخاف عليكم إن تركتم هذا الجبل وراء
ظهوركم وبعد هذا فالأمر إليك وما أمري فيه بعد أمرك قال
ضرار بن الأزور كان في الكتيبة فرأيت خالدا وقد انتقع
لونه كالخضاب وكنت أرى ذلك قطعا وجزعا وما عهدت ذلك منه فقلت له
أيها الأمير على ماذا عولت أن تصنع فإني أراك متفكرا في أمرك فقال يا ضرار
ما أجزع من الموت ولا خفت من القتل وإنما خفت أن يؤخذ المسلمون من قبلي وإني
قد رأيت قبل فتح دمشق رؤيا أفزعتني وأنا أنظر لها تأويلا وأرجو الله أن
يجعلها النجاة أو ينصرنا على عدونا قال ضرار فقلت وما رأيت وخير يكون
إن شاء الله فما الذي رأيت قال رأيت كأني والمسلمين في برية ونحن سائرون
بينما نحن كذلك وإذا بقطيع من حمير الوحش كثيرة أعدادها عظيمة
أجسامها مهولة خلقتها خشنة جلودها مشوكة شعورها وكأنها
قد أقبلت علينا وهي تكدمنا بأفواهها وتضربنا بحوافرها ونحن مع ذلك نجول
عليها بخيولنا ونطعنها برماحنا ونرميها بسهامنا ونضربها بسيوفنا
وهي لا تعبأ بما نزل بها من الأذى ولا تطلع لما يلحقها من المضرة والبلاء ولم نزل

على مثل ذلك حتى اجتمعت قتنا واجتمعت خيولنا وكاني اقبلت على كتائب ور
فتهجم عليها من اربعة جوانب البر وحملنا عليها من كل جانب فانجلت امامنا
وانقلعت من بين ايدينا الى مضايق وتلال وآجام واودية متخصبة وآكام ولم ن
منها الا على شيء فبينما نحن نتقحم من اكاليب لحومها فننكبخ ونتشوى و
واذا النحر قد رجعت تقلب الوثبة علينا وتنتهز الفرصة منا فلما نفيت البهـ
وفرحت من المضايق والآكام فخفت بالمسلمين ان يكبوا في طلبها بان حمى الله فيكم و
فستوى المسلمون على خيولهم وركبت انا معهم حتى وقعنا بها وتصبرت انا حمار اعلى
منها وهو الذي كان يقدمها فبينما انا احرم بصيرتها واخرها وازيد الرجوع بالمسلمين
الى او كانهم اذ وقعت من راسي فكانت العمامة عن راسي فهويت لاخذها فوهنت ان
وهنا فبينما انا قد نسلفت وانا فزع مرعوب فقال فيكم احد يفسر هذه الرؤيا
فانا اقول ان الرؤيا ما نحن فيه من طلب هؤلاء القوم وبقي خالد بن الوليد فعيسه في الحر
فقال عبد الرحمن بن ابي بكر الصديق رضي الله عنهم انا ادري ما
دلت عليه رؤياك قال خالد افقال له اما الوحوش فهم هؤلاء الاعاجم الذين
تفرقوا في طلبهم فانا نلقى منهم تعبا ونصبا واما سقوط العمامة عن راسك فـ
لعلهم يتمادون الى فجهة مغرة تلحقك واما سقوطك عن فرسك الى الارض فانه
امر تتحكم فيه من ربعة الرخعض فقال خالد رحمه الله اسال الله العظيم ان كان
ذلك نازلا بي فليجعله من امر الدنيا ولا يجعله من امر الدين وعلى الله اتوكل وهو
جميع الامور استعين **ثم قال يا معشر المسلمين** ان خالد الا يهلك الا نفسـ
وقد جعلها في سبيل الله حبسا مؤبدا فهل لكم ان تعولوا على طلب هؤلاء
القوم فاما الظفر والغنا واما ان يكون موعدنا الجنة فقال المسلمون افعل ما تر
فما نحن بين يديك الا ناس فلا تهل فيه لعظم التعب والنصب فانهم كرهوا
ذلك ثم اقبل خالد على يونس وكان قد سماه النجيب فقال له يا يونس اتقول انك
تلحق بالقوم فقال اما اللحوق فانك تلحق بهم وانما اخاف عليكم ان يعلم بكم
القوم فيمتنعوا في الحصن من كل جانب ومكان فقال خالد نسير يا يونس
وتوكل على الله عز وجل فوحق رسول الله صلى الله عليه وسلم وبيعة ابي بكر

158

الحبوة

الصديق رضي الله عنه لما فرغ خالد بن الوليد من كلامهم ثم استوى على ظهر جواده
وركب المسلمون وسار الدليل امامهم حتى اتى بهم على الدعوة وقطع بهم جبال
الاكام وهو يقفو اثر القوم وينظر الى اثارهم واثار دوابهم فلما كان في الليلة
التي اردنا ان نصبح فيها القوم اتانا ناس كانوا من الغرب فكان ذلك من توفيق الله
لنا حبس القوم عن المسير قال زيد بن طريف فلقد رايتنا وان بعضنا
ليمشي بعضا والمطر ينزل علينا طول ليلتنا فلما اصبح الصبح وبرق الفجر
انقشعت السحاب وطلعت الشمس قال يونس ايها الامير قف حتى اجس لكم خبر
القوم فانهم لا شك في الغرب منا وقد سمعت صياحهم فقال خالد او سمعت اصوا
تهم قال نعم ايها الامير وان تاذن لي في المسير واتيك بخبرهم ان شاء الله وكان
خالد رضي الله عنه يصعد الجبل والغوار فالتفت الى رجل اسمه المغيرة بن جعدة
وقال له يا مغيرة سر مع النجيب وكن له مؤنسا واحرص ان تاتيني بخبر القوم قال
المغيرة بن جعدة السمع والطاعة لله ولك ايها الامير ثم انطلقنا كلانا الى ان علونا
على جبل يقال له الاجيرس والروم تسميه جبل باروق قال المغيرة بن جعدة
فلما صرنا على قنة الجبل نظرنا وراءه مرجا واسعا كثير النبات والخضر ولاح لنا
في وسطه جمع القوم وقد اصابهم المطر حتى بل رحالهم وامتعتهم وقد حميت
عليهم الشمس فقاموا فاخرجوها من احمالها ونشروها في طول المرج وقد
نام اكثرهم من شدة السهر والتعب والمطر الذي اصابهم طول ليلتهم فلما رايت
ذالك فرحت حتى كادت ان تزول لتي من الغنة وسرت نفسي اعنيها الخبر لك
ابشر فطمعوا بالغنيمة وتركت صاحبي يونس من ورائهم وهو ممشي في على القوم
فلما رآني وجري اسرع الي وظن قد خدع فقال ما وراءك يا ابن جعدة فقلت
الفتح والغنيمة ان شاء الله وان القوم خلف هذا الجبل وقد اصابهم المطر حتى بل
رحالهم وامتعتهم فخرجوا الى الراحة لطلوع الشمس ونشروا امتعتهم فقال
لي خالد بشرك الله بخير ثم ظهر في وجهه الفرح فبينما هو كذلك اذ اقبل
يونس فقال له خالد ما خبرك ان شاء الله يا نجيب قال بشرى ايها الامير ان القوم
قد امنوا على انفسهم اذ كانوا امنكاكية مرورا بهم فظنوا انك لا تتبعهم

الى نحوها المكان وتحته الغابة ولا كان واحد من اصحابك من وقع منهم بزوجة
فليتبعها الى فما اريد من الغنيمة سواها فقال له خالد هي لك ان شاء الله تعالى
ثم ان خالدا رضي الله عنه قسم اصحابه اربع فرق فامر على الفرقة الاولى ضرار
بن الازور وعلى فرقة اخرى رافع بن عميرة الطائي وعلى فرقة اخرى عبد الرحمن
بن ابي بكر الصديق وبقي هو في الفرقة الرابعة وقال لهم سيروا على بركة الله واياكم
ان تخرجوا في دفعة واحدة بل يخرج كل امير منكم قبل الآخر ويكون بين خروجه
وبين خروج صاحبه نهنهة ثم افترقوا ولا تحملوا على القوم حتى احمل فتقدم
ضرار بن الازور وخرج من نحوه هنالك ثم اتبعه رافع بن عميرة ثم عبد الرحمن بن
ابي بكر ثم سار خالد الى القوم حتى وصلوا الى بين المرج والوادي الذي يباح فيه الى
في الشمس ما بين الصبي واحمر وهو يخطف البصر قال عباد بن سعيد
فوالله لقد كدت ان افتتن من حسن منظره وازهاره ولقد كاد ان يلهيني
عن طلب الجهاد فقال رجل من بني تميم قبح الله الدنيا فما اسرع انقلابها على اهلها
فاياكم ان تركنوا اليها فانها خداعة غرارة مكارة غدارة فبكى خالد من قوله
وقال صدق والله التميمي في قوله ثم صاح خالد بالمسلمين وقال احملوا
اعداء الله وارغبوا في ثواب الله وقتالهم ودمارهم ولا تشتغلوا بالغنائم
فانها لكم ان شاء الله ثم قال لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وعطف
بكتيبته على القوم عطفة الاسد المغضب ونظرت الروم الى الخيل وقد خرجت
عليهم وخالد امامهم والراية بيده فعلموا انها خيول المسلمين فنادوا وابالويل
والثبور وصاح توما في رجاله وهي بيعرف بطارقته وابطاله وقال بعضهم
لبعض انها خيل قليلة ساقها المسيح اليكم وجعلها غنيمة لكم فبادروا اليها
واتكلوا على نصرة الصليب فهو ينصركم فتبادرت الروم الى ما كان معهم من
السلاح وركبوا ووقفوا من دون اموالهم يمنعون عنها وهم يظنون ان ليس وراء
خالد احد واذا بضرار بن الازور قد اشرف عليهم في الالف من الخيل في الكتيبة
الثانية وطلع من بعده رافع بن عميرة الطائي في الالف الاخرى في الكتيبة الثالثة وطلع
من بعدهم عبد الرحمن بن ابي بكر الصديق رضي الله عنه في الالف الباقية في الكتيبة

الرابعة

الرابعة وحملت كل كتيبة في فئة من القوم وهم كالعقبان الكاسرة وتعرفوا
من حولهم وحملوا اخذ ما بين ايديهم ورفعوا اصواتهم بقول لا اله الا الله محمد رسول
الله وانكبت خيول المسلمين على الروم كانها السيل المنحدر ونادى اللعين هربيس
برجاله قاتلوا عن نعمتكم فما لهؤلاء القوم حيلة ولا يتخلصوا من هذا المكان ابدا وانفسهم
الروم فكانت وقائعه مع هربيس وكان اول من طلبه خالد وقاتله قوما وقد
احدق به خمسة الاف فارس ما يتبين منهم الا الحدق وقد رفع بين عينيه صليبا من
الجوهر مرصعا بالذهب فعرف خالد اليه وحمل عليه في رجاله ونادى باسمه فقال يا عدو
الله اكنتم انكم تقتلون من ايدينا والله يقوي لنا البلاد ثم قصد قوما وما كان
اعور قد اعورته ام ابان فحمل عليه وطعنه في عينه الاخرى فقلعها وارداه عن
جواده وانتكس الصليب للارض وحمل اصحاب خالد على رجال قوما فجعلوا يقتلوهم
قتلا ذريعا فلله در عبد الرحمن بن ابي بكر الصديق رضي الله عنه فانه ما اشتغل بغير
قوما اللعين وقد الله انه لما نظر اليه وقد انتكس عن جواده انفذ في طلبه وجلس على
صدره واحتز راس عدو الله ورفعه على سنان رمحه ونادى يا المسلمين قد قتل الله
قوما اللعين فاطلبوا هربيس فعند ذلك المسلمين وجعلوا يقتلون الروم قتلا
ذريعا وبذلوا فيهم السيف في القتال الذي لا مزيد عليه وعن عبد الحميد
قال سمعت انس بن مالك رحمه الله وهو بالبصرة يذكر حديث خالد وما فتح
الله على يديه بالشام حتى ذكر وقعة مرج الديباج فقال ولقد كانت وقعة
عظيمة ولقد غرر خالد بنفسه وبالمسلمين حين طلب الغنيمة في وسط بلاد
الروم فقال له رجل من بني مازن وكيف ذلك يا خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال ان خالد اسار بالمسلمين الى مرج الديباج في طلب غنيمة اهل دمشق حين
خرجوا سائرين الى بلاد ملكهم فلقي خالد اموالهم فيسبي اليهم في اربعة الاف
فارس فقتل قوما وغنم غنيمة عظيمة واعلمت نفسي من بعده في ذلك
ان خالدا طلبه في الوقعة فلم يدركه حيا او لا ادركه اني او كانت فيه لحاجة
فبينما خالد يجول في عسكر الروم ويقاتل الرجال ويجدل الابطال اذ نظر الى علج من
اعلاج الروم عظيم الخلقة طويل القامة احمر اللون له لحية عظيمة وعليه ثياب

الديباج المثقل ومن فوقها الزرد والحديد فكان خالد يجول في عسكر الروم ويقـ
المجال ويجدل الابطال اذ نظر الى انه اللعين نفر بن يسر فاطلق جواده نحوه وكان
كلبا شديدا وحمل عليه ليقتله فلما نظر العلج اليه والى حملته عليه ولى بين
يديه هاربا وخالد يتبعه والعلج قد استعجل في نفسه وسقط في يده فلحقه
خالد وهو كذلك فعقبا الرمح واداره فرفعه وسقط عن دابته ثم بقي الى الارض على
ام راسه فانقض خالد عليه كالاسد المغضب وهو يقول الويل لك يا نفر بن يسر
انظر انك تفوتني وكان ذلك العلج يفهم العربية فناداه وقال يا عرب
لست انا نفر بن يسر فابو علي ولا تقتلني اعطيك فديتي ما تشاء به وكان من
تقلب متى في دينك فقال له خالد ما لك من يدي خلاص حتى تدلني على نفر بن يسر و
يفتني عنه وما ادري سواه وقد قتل الله على يدي نوما وانا امل ان الحق به فهو بين
يدي فان دللتني عليه اطلقت وتاذك وخليت سبيلك بالحرية ولا مال فقال له ذلك
العلج ابشر يا فتى العرب فانك قد وصلت الى ما تريد ولا تكدر يدا ان اخذ عليك
عهدا وميثاقا انه اذا دللتك عليه اطلقت سراحي وخليت سبيلي فقال له
خالد ان دللتني عليه ووقع بين يدي اطلقت السبيل ان شاء الله فقال له العلج يا اخا
العرب ها هو امير عسكركم لانكم اعطيتموه الزمام والامان ثم اتبعتموه الى مكان لم
نقدر ان يبلغ اليه احد منكم فاخذتم ما في جنابه من دمشق لان اعينكم كانت بين
ونقول في الساعة ان وقعت بنفر بن يسر اطلقت لك السبيل وكيف اضر لك اخذ
نفر بن يسر وهو رجل زمانه مفتخر على اهل زمانه وهذا الكلام داهية الغدر فلما فهم
خالد من كلامه وقال له لا امر لك انتسبنا الى الغدر ونقض العهد والميثاق وما في الكـ
من شيمتنا الا اقتداء من اصحاب النبي المجيد وشفيع الامة واذا غدر قلنا وفينا واذا اعـ نبي
هدينا صبرنا واذا ائتمنا اذينا فوالله ما في جنابي لطلبكم الا في اليوم
الرابع وان الله سبحانه وتعالى سهل علينا كل صعب شديد وهون لنا العسير وما
قلت لك دلني على نفر بن يسر الا وانه اذا وقع بين يدي اخذته بنصر الله وعونه
وذلك فتى وحق بيعة ابي بكر الصديق رضي الله عنه ليرجعني لا اطلق سراحك
دون فدية ولا مال فلما سمع العلج كلامه قال له يا فتى العرب افهم عن صدري

حتى ادرك عليه فقام خالد عن صدره ووثب العلج قايما وجعل ينفض يمينا وشمالا
ثم قال للعلج الواثق من الخيل الصاعدة العقبة قال خالد نعم قال اقصد كبكبة الخيل فان
فيها بيس على المقدمة والبارق على راسه عليه صليب من الجوهر فوكل به خالد رضي
الله عنه رجلا من حمير او من زبيد اسمه اسد بن جابر وقال له يا اسد توكل به فان
كان الذي دلني عليه فهو بيس فاطلق سبيله وان كان كاذبا فاضرب عنقه ثم ان
خالد اطلق عنانه وصوب سنانه وسار حتى لحق بكبكبة الخيل فصاح بهم وقال
لهم يا ويلكم من خالد وهذا ابو القتل وحز النواصي **فلما سمع** هربيس
كلامه علم انه من بعض العرب وانه قد طمع فيهم فوقف ووقفت البطارقة حوله
وهم شاكون في السلاح من الحديد والعدة وليس الا اهل النجدة والبراعة في
يشدد عليهم حملته وقال لهم يا ويلكم اظننتم ان الله عز وجل لا يمكننا من نواصيكم
ولا يملكنا متاعكم وخزا ربكم **انا الفارس الصنديد انا البطل**
المبيد انا خالد بن الوليد ثم حمل فارسا منهم فارداه وثنى بثاني **فلما** سمع هربيس
كلامه وانه قد نوه باسمه ارتعد في سرجه وزعق بقومه وقال لهم يا ويلكم هذا
الذي قلب الشام على اهله هذا صاحب اركة وتدمر والغوطة هذا صاحب حوران
وبصرى هذا صاحب دمشق واجنادين وبعلبك وان جاز اخذتموه وماكنتموه
رجع عنكم الى ما كان ورجعت بلادكم وان قتلتموه اخذتم بثار من قتل منكم من
اهل دينكم وابنا بطارقتكم وملوككم فحلت البطارقة حوله لانهم
كانوا في جبل كثير الشجر والحجارة والوعر فعند ذلك قد نزل خالد عن جواده واخذ
سيفه وصبر لقتال الروم واحاط بخالد الروم ما لا طاقة له به ولا قدرة له عليه فهم
فيه القوم لا يدري احد عن صاحبه وكان المسلمون في قتال الروم ونهب اموالهم وكل
مشتغل بنفسه **وعن** عمرو بن شمر **عن** سلمة بن نعيم **عن** زيد بن منو مسل
الربعي **عن** مروان بن ماجد **عن** ابيه ماجد بن رويم **عن** شداد بن اوس وكان
ممن حضر الوقعة في مرج الديباج قال لما نزل خالد عن جواده واحاطت به الاعاجم
قال العلج صحت رؤياك يا خالد الرؤيا التي ما كنت تطلب بعد الشهادة وعلم انه قد
اخطا في فعله وما به ان يقتل وانما به المسلمون ان يقتلوا اقمت رايته قال ولقد ذكر

العلماء رضي الله عنهم ان خالد رضي الله عنه لقي بعد وفاة رسول الله صلى الله
عليه وسلم فتنا وقتالا ثم رجعا كلاهما يطلب الشهادة فبينما فلحق برفقهما فلما نزل
جواده واقبل يقاتل القوم وهم عشرو ورجلا فتقدم اليه بطريق يقال له بيبرس واحتكم
وهو مشتغل بقتال الصحابة وقد مكن له ضربة ليصل بها الى قتله واتى الضربة
فوقع السيف على البيضة فقدها ووصل الى العمامة فقطعها فسقط السيف
من يد بيبرس وخاف خالد ان يلتفت الى ورائه فيهجم الاعلاج عليه وخاف ان
هو يبطش من يده وازداد يهجم عليه فيقتله فجعل خالد يلتفت يمينا وشمالا
ثم صاح وضج بالتهليل والتكبير كأنه مستغيث بشيء وقد ادركه وقد اراد
منه خديعة وحيلة في بدار يمكر بالاعلاج فبينما هو معهم كذلك اذ
الله قوله وبلغه نيته فسمع زعقات العرب وقد اخذت القوم من ورائهم عن
ايمانهم وعن شمائلهم وهم يضجون بالتهليل والتكبير وقائل يقول
لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله
يا ابا سليمان قد اتاك الغوث من الرحمن فاثبت على عبدة الصلبان انا عبد الرحمن
بن ابي بكر الصديق فلما سمع خالد صوتهم لم يلتفت الى عبد الرحمن ولا الى من معه
في الاعلاج ذات اليمين وذات الشمال ولما سمع بيبرس اصوات المسلمين
وقد هاجمته ولى من بين اليدين فلحقه خالد وضربه ضربة غادره بها قتيلا
الارض صريعا واستقبل اصحاب عبد الرحمن بن ابي بكر على اصحاب بيبرس و
وبذلوا فيهم حتى اباحوهم وافنوهم عن اخرهم وكان اكثر الناس قتالا في
اليوم ضرار بن الازور رضي الله عنه وتعجب خالد مما صنع ضرار وفعله فقال له
افلح الله وجهك يا ابن الازور فما زلت مباركا في كل فعالك ثم انه لما
انكشفت الكربة عن خالد وقتل الاعلاج سلم على عبد الرحمن وعلى من معه من
المسلمين وقال لهم من اين علمتم بمكاني هذا فقال له عبد الرحمن ايها الامير فنحن
نحن في قتال الروم وقد اظهرنا الله عليهم واعطى ناصيتهم وبعد فيما بين ايدينا
من قتيل واسير والمسلمون قد انهمكوا في جمع الغنائم اذ سمعت صوت
هاتف يهتف من الهوى وهو يقول اشتغلتم بجمع الغنائم وخالد قد احاط به

به الاعلا

به الاعداء فلما سمعنا الصوت لم نر بها مكانا اتت وفقدنا شخصك واخبر
المسلمون الغم من اجلك فقلنا عليك علمه كان فيه رجل من اصحابك فقال لنا ارحـ
حتكم فوالله علو همة فبيسروا انه معه في نفقه الجبل فاسعى عنا اليك فقال خالد الحمد
والله دلنا على عدونا ودل المسلمين على نصرتنا فوجب له الحق علينا ورجع خالد
الى المسلمين وهم في قلق عظيم من غيبته عنهم فلما نظروا اليه فرحوا به وتبادروا
المسلمون عليه فدروا عليهم وشكى بعلهم

قال رافع بن عميرة الطائي

فكنت في ميمنة خالد وفرحي حيث حين حمل جناح الكتيبة ومن الزمه كان معي في سواد القوم
وقد رايتهم وقد نظرت الى نساء الروم وقد وقفن بازائهن عن اعينهن منعا شعر فيرا
ونظرت الى فارس وعليه زي مثل زي الروم وقد انفرد عن جواده وهو يقاتل بعجلة
من نساء الروم فيحمل عليه مرة ويحمل عليها مرة فقربت منه لا نكى من هو واذا
به يونس الوكيل وهو يقاتل زوجته وتصارخها صراخ الاسد اللبوة فهممت
ان تقدم اليه فاعينه فقصد الى عشيرة من النسوة بمن معي فرمي بالحجارة فخرج
في كتيبي من كف امرأة حسناء عليها ثياب الديباج فوقع الحجر في جبهة جوادي
في كبد راسه وسقط الجواد ميتا وكان جوادا فرشهرت عليه اليمامة وعنى ءا
فبقيت راجلا من كثرة واذا حتى عليها فاسى عنت في طلبها فهي حين بيرز كانها ظبية
الفلاة فهم وعن النساء من ورائها فسمعت وراء نعرة زعقت بهن فاذا هن شقين
وجعفتهن وهممت بقتلهن ورجعت عن ذلك وعزمت على تلك قلبي ومالي فيه الا
تلك الجارية التي قتلت فرسي فقربت منها وعلوتها بالسيف ضربا على راسها
فتسبكت بيديها على راسها وجعلت تقول كلاما بالرومية فبقيت متعجبا ولم ادري
تقول العجوز العجوز تعني الامان فرجعت عن قتلها واقبلت اليها فقبضت عليها واذا
هي عليها ثياب الديباج المثقل وعلى راسها شبكة من اللؤلؤ فاخرتها الاسيرة
مع النساء اللواتي كن معها وتبعتهن كتابا ورجعت على اثري فنظرت الى
برذون من براذين الروم واقفا من غير راكب فركبته واردت ان اعود نحو
القتال فقلت لا والله لا امضي اليه حتى اعرف ما كان من خبر يونس الدمشقي
فجعلت اطلبه مكانه فاذا هو جالس وزوجته بين يديه قتيلة وهو تضمخت

بين يديها وهو يبكي عليها فناديته ما كان منك يا يونس فقال ان هذه زوجتي
التي من اجلها وما كان لي حيلة غير هذا الا والله احبها فلما رايتها قلت لها
قد لحقتك وانت لا تقبلين مني دين فقالت وحق المسيح لا اجتمعت انا وانت ابدا
وقد تركت دينك ودخلت في دين محمد وقد وهبت نفسي للمسيح وانا ماضية
الى القسطنطينية واكون بها راهبة ثم تمنعت علي بالقتال فقاتلتها حتى ملكتها
اسيرة فلما نظرت الي وقد ملكتها اسيرة اخرجت سكينا كانت معها فضربت
بها صدرها فسقطت ميتة فها انا ابكي عليها لشدة شغفي بها وكثرة حبي
لها قال رافع بن عمرو فبكيت من كلامه وقلت له ان الله عز وجل قد ابدلك
من هو خير منها واحسن وعليها ثياب الديباج وشباك اللؤلؤ واساورة الذهب
وكان القمر يطلع من وجهها فقد رءاها بدلا من زوجتك فقال اين هي فقلت ها هي
معي فلما نظر اليها والى ما عليها من الزينة والحلي وتبين حسنها وجمالها كلمها بالر
وسالها عن امرها فلم تكلمه وهي تنتحب ساعة بعد ساعة ثم التفتت اليه واخ
انا بنت الملك هي قد زوجة توما فقال يونس قد رددت من هذه فقلت لا فقال
زوجة توما بنت الملك هي قد وما مثلي يصلح لمثلها ولا بد لهي قد ان يطلبها
من جاله او يفدوها بماله فقلت له هي لك وانت لها فاخذها يونس ال
وحازها اليه والمسلمون يجمعون ثياب الديباج والامتعة والاموال الثمينة
والذخائر النفيسة في مسمى المرج بمرج الديباج وبه يعرف الى وقتنا هذا وانما سمي
بذلك لان العرب كانت اذا نظرت الى احد وعليه ثوب ديباج تقول له من اين لك
فيقول من غنيمة مرج الديباج فبذلك يعرف الى هذا الوقت ثم ان خالدا امر بجمع الغ
والاسرى فجمع ذلك اليه فلما مثلت بين يديه ونظر الى كتيبته حمد الله
واثنى عليه ثم انه دعا بذلك العلج الذي دله على بن بيسر وقال له انك قد وفيت
وفي بما زعمت لك بما وعدناك ولا كذبك فقد وجبت لك النصيحة علينا فهل لك ان
تكون من اصحاب الصلاة والصيام وملة محمد عليه الصلاة والسلام فتكون من اهل
الجنة وممن فاز بالرضى والمنة فقال ما اريد بديني بدلا فاطلق خالد سبيله ف
عبد الله بن عمر في ابنه فقد استوى على كفه ابنه ومضى يطلب بلاد الروم وحده

دعا خالد بن الوليد وقال له انت يونس النجيب فما فعلت بزوجتك فحدثه بالحديث
من اوله الى اخره وما كان من امره فتعجب خالد من ذلك فقال رافع بن عميرة
الطائي ايها الامير ان فراسة ابنة الملك هرقل وقد اسلمتها اليه ابن الامير زوجته
فقال خالد ابن ابنة الملك فتمثلت بين يديه فلما نظر الى حسنها وجمالها وما خصها
الله به من جمال الصورة صرف وجهه عنها وقال سبحانك اللهم وتعالى ربك يخلق ما
يشاء ويختار ثم قرأ قوله تعالى وربك يخلق ما يشاء ويختار ثم قال يا يونس اتريدها
بدلا من زوجتك قال نعم ولكن اعلم ايها الامير ان ابي قد لا يوافق ان يفديها بالاموال
او بالقتال فقال خالد خذها اليك فان لم يقبلها فهي لك وان طلبها فالله يعوضك
خيرا منها ولم ياخذها خالد واثر على نفسه رضي الله عنه قال الله تعالى ويؤثرون
على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون
ثم ان يونس اقبل على خالد وقال له ايها الامير انك في مكان ضيق وموضع صعب
فاعزم على الخروج منه قبل ان يلحقك نفير الروم من كل جانب ومكان فقال خالد الله
لنا وهو معنا حيث ما كنا ثم عطف راجعا بجميع السبي والغنائم والاسارى امامه والمسلمون
في اثرها فاذا بغبار جبر بالغنيمة والسلامة قال عقبة بن عامر السكسكي
وسرنا حتى قطعنا الحي بوكلة وما في قبلنا من الروم احد ونحن نخوض في وسط ديارهم
خوضا فلما وصلنا الى مرج الصفا عند ثنية ام حكيم اليوم اذ نظرنا الى الغبرة من ورائنا
وقتام ذائر فاذا ذلك فلما عايناها وحققناها اسرع رجال من المسلمين الى خالد
يخبرونه بالغبرة فقال اليكم فتى يخبرنا بها فبادر بالاجابة رجل من غفار يقال له
صعصعة بن زيد الغفاري فقال انا اتيك بخبرها ثم قرع جواده وكان يثق بجريه حتى
انه يسبق الطير من الجواد ويعرفه بجودة العدو ونظر اليها واختبرها وحققها
ورجع على عقبه وهو ينادي ايها الامير ادركنا الصلبان والاعلام من ورائها روم
مصعر وخيل العرب ما بقي منهم الا القليل فدعا خالد بيونس الدليل عندما قاربته
الخيل وقال له يا يونس افحص نحو الخيل وانظر ما يريدون فقال يونس السمع والطاعة
ثم سار حتى خالط القوم وقاربهم وتكلم مع بعضهم واخذ الخبر منهم ثم رجع الى
خالد وقال له البشارة لك ايها الامير ان هرقل لا يغفل عن طلب ابنته وقد نفذ نحو الجيش

يريدون ياخذ الغنيمة من ايدي المسلمين فلما لحقوك هاهنا قريبا من دمشق
بعثوا اليك رسولا معه هاذه الخيل يسالك في الجارية اما بيع او هدية فبينما خالد
يتحدث مع يونس اذا بشيخ كبير عليه لباس المسوح فدنا اليه واقبل حتى دنا
من المسلمين وقال اي رسول اليكم واين اميركم فاخذ بيده رجال من المسلمين واوقفوه
امام خالد فقال له خالد قل ما تشاء، فقال الشيخ انا رسول الملك هرقل اليك و
يقول لك قد بلغني ما فعلت برجالي وما قتلت من ابطالي واكثر من ذلك فتلك ا
ابنتي واسرتها لي بيمنى وقد هربت وسلمت فلا تنفع ذلك نفع والان اما ان تبيع لي ابنتي
واما ان تهديها لي فالكرم شيمتكم ولا يرحم الله من لا يرحم عباده واني ارجو ان يكون
بيننا وبينكم صلح فلما سمع خالد ذلك قال للشيخ قل لصاحبك والله
لا رجعت حتى املك ما تحت قدميك واسير كما تجري على ملكك ومسكوك وان
ابقاوك علينا فوالله لو وجدت اليه سبيلا ما صبرت عليه وما قصدت
فيما يوصلك ليه واما ابنتك فهي لك هدية منا اليك وارجوا ان تكون في مكانها
هذا انتم افضل الا كلوا ثمن الجارية ولم ياخذ منهم مالا في ثمنها فلما رجع الرسل
الى الملك هرقل وعظماء الروم وملوكها وبطارقتها واعلمه بجواب خالد قال لهم
هرقل هذه الذي اشرت به عليكم فلم تقبلوا قولي واردتم قتلي وتبكون الان
من هذا ولاكن ليس هذا منكم بل هو من رب السماء فبكت الروم بكاء شديدا من قوله
واما خالد فانه سار حتى اتى دمشق وكان المسلمون وابو عبيدة قد يئسوا من
خالد ومن المسلمين الذين معه فبينما هم في اعظم الاياس اذ قدم خالد عليهم واقبل
يحنون اليهم يخبروا الغنائم ويهنئوه بالسلامة وفرحوا بما جاء به من الغنائم
وسلم الناس بعضهم على بعض ووجد خالد بدمشق عمرو بن معدي كرب ومالك
الاشتر النخعي ومن كان معهما من الجيش الذي ارسله ابو بكر الصديق رضي الله عنه
في ورود الجواب الى خالد مع عبد الرحمن الجمحي قبل فتح مدينة دمشق واقبل خالد
الى جانب ابي عبيدة وهو يحدثه بما اتفق له في بعثه وابو عبيدة يتعجب من شجاعته
وجسارته فلما استقر خالد وكانه اخرج الخمس من الغنيمة ومما غنموا بـ
جنادين ودمشق وفرق الباقي على المسلمين ثم انه اعطى ليونس الدليل من ماله

يوما حفنة وقال لي خذ هذا المال اليك فتزوج به امراة او اشتر به جارية من بنات
الروم فقال يونس والله لاني وجنبي هذه الدنيا زوجة ابدا وما اريد الا زوجة في
الاخرة يعني من الحور العين قال رابع بن عمرو الكلاعي فشهد معنا القتال في
ساير المواطن وما كنت اراه في حرب الا وهو يقاتل قتالا عظيما ويقاتل قتالا
حسنا فلما كان يوم اليرموك رايته وقد ابلى في الروم بلاء حسنا فاصابه سهم
في لبته فخر ميتا رحمة الله عليه فحزنت عليه واكثرت من الترحم له فرايته ذات
يوم في النوم وعليه حلل تلمع وفي رجليه نعلان من ذهب وهو يجول في روضة خضراء
فقلت له ما فعل الله بك يا يونس قال غفر لي واعطاني بدلا من زوجة سبعين زوجة من
الحور العين لو بدت واحدة منهن الى الدنيا لكسف ضوء وجهها نور الشمس
والقمر فجزيتم من الله خيرا انتم وخليفتكم واميركم خالد بن الوليد وابو عبيدة
بن الجراح وقصصت الرؤيا على خالد بن الوليد فقال ليس والله لشيء سوى الشهادة
فهكذا يكون لمن رزقها الله له واعطاه اياها

ذكر خبر وفاة ابي بكر الصديق • وولاية عمر بن الخطاب وعزله خالد بن • الوليد وتوليته ابا عبيدة بن الجراح • رضي الله عنهم وارضاهم اجمعين • وجعلنا في جاههم ونفعنا بحبهم وحشرنا • تحت لوائهم امين امين امين

قال ابو عبد الله محمد بن اسماعيل بن عمر الواقدي رحمه الله
حدثني ابو عمرو السكسكي عن يونس بن عبد الاعلى قرات عليه بجامع
الكوفة عن عبد الله بن سالم الثقفي عن اشياخه الثقات قال لما كانت الليلة
التي مات فيها ابو بكر الصديق رضي الله عنه راى عبد الرحمن بن عوف الزهري رؤيا فقصها
على عمر يوم بويع قال رايت بعيني دمشق وانا حولها ورايت خالدا وقد دخلها
بالسيف وكاني اسمع تكبير المسلمين بابها داخلها وعند تكبيرهم وزحفهم
اليها رايت حصنا قد ساخ في الارض حتى لم ار منه شيئا ورايت كان نارا امام خالد

ثم رايت كان ماء وقع على النار فانطفت فقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه
ابشر بان دمشق قد فتحت يومك هذا ان شاء الله تعالى وبعد ايام قدم علينا
عقبة بن عامر الجهني صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه كتاب الفتح الذي
كتبه خالد يوم اختصامه مع ابي عبيدة على العنوة والصلح التي وجدت بدمشق
وكان الكتب بذلك قبل ان يبيت وخالد الى مرج الديباج **فلما** راه عمر قال
يا ابن عامر كم عهدكم بالشام قال يوم الجمعة وهذا يوم ومازلت امسح على
الخفين منذ خرجت قال له اصبت السنة فما معك من الخبر قال قلت خير وبشارة
وانه ساءه كم هابين بين الصديق فقال عمر قبض الله حميدا وسار الى ربه كريما
وقلدها عمر الضعيف في جسمه فان عدل فيها نجى وان ترك او مال هلك قال عقبة
ابن عامر فبكيت وترحمت على ابي بكر الصديق واخرجت الكتاب ودفعه اليه
فلما قراه سرا كتم الامر الى صلاة الجمعة فلما خطب وصلى رقى المنبر واجتمع
المسلمون اليه وقرا عليهم الكتاب بفتح دمشق فضج المسلمون بالتهليل والتكبير
والصلاة على البشير النذير ومن حواه حاشرا بها وعلموا بصدق رؤية عبد الرحمن
ابن عوف وتعبير علي بن ابي طالب لها قبل ذلك ثم نزل عمر عن المنبر **وكتب**
الى ابي عبيدة بولاه على الجيش وعزل خالد بن الوليد ثم سلم الكتاب الي وامرني
بالرجوع **قال** عقبة بن عامر فاخذت الكتاب من يده ورجعت الى دمشق فوجدت
خالدا قد انبعث خلف توما وهربيس فاعطيت الكتاب الى ابي عبيدة فقراه سرا
عن المسلمين ولم يعلم احدا بموت ابي بكر وولاية عمر ولا بعزل خالد وتوليته على
المسلمين وكتم امره في ذلك كله حتى ورد خالد من السرية وكتب الكتاب
بفتح دمشق ونصر المسلمين على عدوهم وبما ملكوا في مرج الديباج وسلم
الكتاب الى عبد الله بن قرط **ولما كتب عمر الكتاب** الى ابي عبيدة بن
الجراح يقول له قد وليتك على جيوش الشام وجعلتك اميرا عليها وعزلت خالدا
وسلم الكتاب الى عبد الله بن قرط اقام قلقا على ما يرد عليه من امر المسلمين
وقتال ولقد بلغني ان خالدا رضي الله عنه لما رجع من سريته غانما كان الكتاب
ان الخليفة ابا بكر رضي الله عنه حيا لم يقبض فاراد ان يكتب الكتاب بالغنم

الجمعة

والبشارة

والبشارة وما غنم المسلمون من الروم وابو عبيدة لم يخبر، ولا اعلمه الخليفة عمر
بعزل خالد بن الوليد وانه في كاسر وكتب فيه بسم الله الرحمن الرحيم لعبد الله
ابي بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم من عامله على الشام خالد بن الوليد المخزومي ومن
سلام عليك وعلى من معك من المسلمين ورحمة الله وبركاته أما بعد فاني احمد
احمد الله الذي لا اله الا هو واصلي على نبيه واعلم انا نزلنا من مكابدة العدو على حرب دمشق
حتى اتى الله علينا بنصره وقهر عدوه وفتحت دمشق عنوة بالسيف من باب الشرقي
وكان ابو عبيدة على باب الجابية فخرج عنه الروم وصالحوه على الباب الاخر ودخل معهم
والتقينا عند كنيسة يقال لها كنيسة مريم وامامه القسيسون والرهبان ومعهم
كتاب الصلح فمنعني ان اسبي واقتل فارضى الملك وهو يدعى بو عقيم اسمه توما
واخا حوله يقال له هربيس فقد خرج من المدينة بمال عظيم وحال جسيم فسرت
خلفهما في عسكري الى ان لحقنا فانتزعت الغنيمة من ايديهما وقتلت اللعينين واسرت
ابنة هرقل ثم اغناهم الله وقد رجعت سالما غانما وانا منتظر امرك والسلام
وكتب الكتاب وختمه بخاتمه ودعا رجلا من العرب اسمه عبد الله بن قرط فدفع
الكتاب اليه وسار به الى مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم فورد بها والخليفة
عمر فلما ورد به على عمر سلمه اليه فقرأ ما في عنوان الكتاب وانه من خالد
بن الوليد الى خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ابي بكر الصديق فانكر الامر ورجعت
سمرته الى البياض وقال يا ابن قرط اما علم المسلمون بخبر موت ابي بكر الصديق
وولايتي عليهم قال قلت لا يا امير المومنين قال فغضب وقال قد وجهت بذلك كتابا
الى ابي عبيدة وامرته على المسلمين وعزلت خالدا وما اظن ابا عبيدة اراد الامارة
لنفسه ثم سكت وفي الكتاب ثم انه جمع الناس اليه وقام على المنبر وقرا
عليهم ما فتح الله على المسلمين من غنيمة مرج الديباج فضج المسلمون بالتهليل
والتكبير واستبشروا بالفرح والسرور واشتغلوا بالدعاء لاخوانهم ولخالد
بن الوليد ثم قال عمر يا معشر المسلمين اني قد امرت ابا عبيدة الرجل الامين وقد
رايته لذلك اهلا وقد عزلت خالدا عن امارته فقال له رجل من بني مخزوم اتعزل
رجلا اظهر الله بيده سيفا قاطعا وجعله دامغا للمشركين فبرح افقعا وتعد قبل

لأي شيء أعزله فقال لا أعزل سيفا سله الله ونصر به دينه والله لا يغمده
في ذلك ولا المسلمون إذا أغمدت سيفا سله الله وعزلت أميرا أمره خليفة رسول
الله صلى الله عليه وسلم لقد قطعت الرحم وعزلت ابن العم ثم سكت الرجل ونظر
الى الفتى ومن حوله غلاما حدثنا السن فقال شاب حديث السن غضب لابن عمه
ثم نزل من على المنبر وأخذ الكتاب تلك الليلة وجعله تحت فراشه وبات يوامر نفسه
في عزل خالد فلما كان من الغد صلى عمر بالناس صلاة الفجر وقام فرقى
المنبر فحمد الله وأثنى عليه وذكر الرسول فصلى عليه وترحم على أبي بكر
ودعا له ثم قال أيها الناس إني قد حملت أمانة والأمانة عظيمة وإني راع
وكل راع مسئول عن رعيته وقد حبا الله التوفيق لأحكم والنظر في معاشكم و
في بكم من يكن قبلنا وأنتم ومن حضر في هذا البلد سواء وإني سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول من صبر على بلائها وشدتها كنت له شهيدا أو شفيعا
يوم القيامة وبلادكم بلاد لا زرع فيها ولا ضرع إلا ما يوتى به على الإبل من مسيرة
شهر أو أكثر وأقل وقد وعدنا الله مغانم كثيرة وإني أريد النصح للعامة
والخاصة ولست جاعلا أمانتي إلى من ليس لها بأهل ولاكني سأجعلها إلى من تكون
رغبته في أداء الأمانة والتقوى للمسلمين وإني كنت وليت خالدا على المسلمين
خالدا فيه تبذير للأموال يعطي الشعراء إذا امدحه فوق العادة ويعطي الجهال إذا
جاهروا أمامه فوق ما يستحقه ولا يبقى بذلك الغنى إلا للمسلمين وضعفائهم شيء
وإني قد عزلته ووليت أبا عبيدة مكانه والله يعلم أنه قد وليت أمينا فلا يغل منكم
عن الرجل الشديد العنيف الغليظ القوي وولى الرجل الصغير اللين السلس الفياد والله
معه يسدده ويعينه ثم نزل عن المنبر وأخذ جلدا أدم مبشورا وكتب إلى أبي
عبيدة رضي الله عنه كتابا يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم
من عبد الله عمر بن الخطاب أمير المومنين إلى أبي عبيدة بن الجراح سلام عليك وعلى من معك
من المسلمين ورحمة الله وبركاته أما بعد فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو وأصلي على نبيه
وقد وليتك أمر المسلمين فلا تستحي من الحق وإني أوصيك بتقوى الله الذي يبقى ويفنى
ما سواه الذي أخرجك من الكفر إلى الإيمان ومن الضلالة إلى الهدى فغض بصرك عن الدنيا

وعينيك

وعينيك والله عنهما فغلبك واياك ان تهلكك كما اهلكت من كان قبلك فقد رايت
مصارعهم واخبرت بسيء ابرهم وانما بينك وبين الاخرة كما الحمار وقد تقدم اليها سلفك
وانت عاقبتك تنتظر سفرا كونيا ورحيلا الى دار من دار قد ذهبت نضارتها ومضت
زهرتها فاحزم الناس الراحل عنها الى غيرها وتكون منها التقوى وقد استعملتك على
جند خالد بن الوليد فاقبض منه جنده وازله عن امارته ولا تقدم المسلمين الى هلكة رجاء
غنيمة ولا تبعث سرية الى جمع كثيف وتقل الغارة جوا لكم النصر فان النصر انما يكون مع
النيبين الذين هم اعلم الناس في البغض والثقة برب العالمين واما اختصامك انت وخالد
في الغنم فالحكم في الغنم بالصلح لا بالقتال لانك انت الوالي وصاحب الامر واما الحنطة
والشعير الذي وجد في دمشق وكتبت فيه فقاحح نكم فهو للمسلمين وان كان ملكه
على الحنطة انما القوم فعليهم البيع واما الذهب والفضة ففيهما الخمس والسهام
واما السرية التي اسرى فيها خالد بن خليد العدو الى مرج الديباج فانه غرر بدماء المسلمين
وكان بها سخيا واما ابنة هرقل فهو يقربها الى ابيها فقد كان الاولى ان يأخذها مالا
كثيرا ان يرجع على ضعفاء المسلمين والسلام عليك وعلى جميع من معك من المسلمين ورحمة
الله وبركاته ثم طوى الكتاب وختمه بخاتمه ودعا بعامر بن ابي وقاص
اخي سعد بن ابي وقاص ودفع اليه الكتاب وقال له انطلق الى دمشق وسلم كتابي هذا
الى خالد بن الوليد وامره ان يجمع الناس اليك واخبره بموت ابي بكر وقل له تقرا
الكتاب على الناس ودفع اليه عمر ايضا سنة اهبرا وبين وصافحه وقال له انطلقوا انت وعلى
الله النجاح فاذا قرا عامر الكتاب فمر الناس فيبايعونك لتكون بيعتك ببيعتي
فانطلقا صاحبا عمر بعد ان الكتب حتى وردا دمشق والناس
مقيمون بها يتكبرون واوا فبهم خبر من ابي بكر وما يامرهم به فانتهى فاصاحبا عمر
على المسلمين وقد كانت اعناقهم اليهما وخرجوا بغرو مقدمهما فاقبلا حتى قدما الى خيمة
خالد وسلما عليه وسلم عليهما وقال لهما كيف تركتما الخليفة ابا بكر الصديق
فقال له عامر بن ابي وقاص قد تركته يخبرني بغنى عمر ومعي كتابه وانه امرني ان اقراه
على الناس كما امرهم بان يجتمعوا فاستنكر خالد ذلك واستراب الامر وجمع
المسلمين اليه وقام عامر بن ابي وقاص يقرا الكتاب فارتفعت للناس ضجة عظيمة

وفي نسخة مصح دابنا واياي
والثغر بين والغفار للمسلمين
والسلاب والعمر للمسلمين
ما استعمعت م

بالبكاء والنحيب وبكى خالد وقال ان كان ابو بكر قد مات واستخلف عمر فالسمع
والطاعة لله ولعمر وما به أمر وفي اعلام الكتاب الذي اخبره بعزله فاقاموا الى صدر
شهر ابن اوس وبايعوه وصافحوه وكانت بيعتهم له بدمشق لثلاث خلون من
شعبان سنة ثلاث عشرة من الهجرة وقبض ابو عبيدة الخمس والاموال واخذ
بما حكم به عمر وكره ابو عبيدة ان خالدا يستحكم عليه الامر وانه يستغضي من طلب
الغزو ويحزن ويضعف بعزله ذلك فوالله لقد بلغني انه كان على الغزو وبعد
عزله اشد مخاطرة واقوى حصرا واصعب جنانا الايام في حصر ابي الغرد
كما كانت ومكث ابو عبيدة خمسة عشر يوما وخالد يصلي بالناس ويامر
وينهى قبل مجيء الكتاب وما يعلم ان ابا عبيدة هو الامير والوالي عليه حتى جاء
كتاب عمر فلم يمكن ان يخفيه وكان فيه بسم الله الرحمن الرحيم
من عبد الله امير المومنين عمر بن الخطاب الى ابي عبيدة بن الجراح سلام عليك ورحمة الله
وبركاته اما بعد فاني احمد الله الذي لا اله الا هو واصلي على نبيه واعلم انك تكفي
من المسلمين وعدد كثير فابعث سرايا كجار ارض حمص وما والاها من الشام ولا
يحملك قولي هذا ان تغرر بالمسلمين ان تجلس بعسكرك ويطمع فيك عدو وتكون
ولا تكون انكى برايك بما استغنيت عنه منهم فيشق بهم وما احتجت اليه منهم
فاجلسه عندك وليكن من يجلس عندك خالد ابن الوليد فانه لا غناء لك عنه
والسلام ولما عزل خالد رضي الله عنه قال يرحم الله ابا بكر
الصديق لو كان ما عزلني ويرحم الله ابا عبيدة كيف لم يعلمني بولايته علي ثم
اتيت اليه وقال له رحمك الله يا ابا عبيدة انت الامير والوالي علي ولم تعلمني
انت تصلي خلفي والسلطان سلطانك فقال له ابو عبيدة ما كنت لاعلمك
به ابدا الولا انك علمته من غيري وما سلطان الدنيا وامارتها وكل ما ترى يصير
الى زوال فانما نحن اخوان او كان اميرا عليه لم يضره ذلك في دينه ولا دنياه
بل لعل الوالي ان يكون اقربهما الى الفتنة واوقعهما بالخطيئة لانه اخذه الامر الا من عصمه
الله وقليل ما هم قال وعزل خالد وهو محب للمسلمين فمع وليهم باحسن
الولاية عليهم ولم يكره احد ولاية ابي عبيدة ولم يحب احد عزل خالد

رضي الله ع

رضي الله عنه وكان يعضد الكفر على عقبى بلاده وعناده واشتد على الكفار رضي
الله عنه وارضاه **وذكر اصحاب السير** ممن تقدم ذكرهم في اول الجزء
ممن روى فتوح الشام ونقلوه عن ثقات منهم محمد بن اسحاق وسيف بن عمر ومحمد بن
عمر الواقدي وغيرهم رحمهم الله وكل حدث بما رواه وسمعه ثقة عن ثقة قالوا
جميعا في اخبارهم رضي الله عنهم انه لما قبض ابو بكر الصديق رضي الله عنه وولي
الامر من بعده عمر بن الخطاب رضي الله عنه وله من العمر اثنان وخمسون سنة بايعه
الناس في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم مبايعة عامة ولم يتخلف احد عن بيعته
لا صغير ولا كبير يوم موت ابي بكر رضي الله عنهم اجمعين وانقطع في مدة ايامه
الشقاق وانحسم الباطل والنفاق وقام الحق وقوي السلطان وذهب الظلم
وضعف كيد الشيطان وظهر امر الله وهم كارهون وكان في مدة امارته
يجلس للمساكين ويلطف بهم ويتعطف على اليتيم ويرحم الصغير ويوقر الكبير
وينصف المظلوم من الظالم ويرد الحق الى مكانه ولا تأخذه فيه لومة لائم وكان
في مدة امارته يدور في الاسواق من المدينة وعليه مرقعته وبيده درته وكان
قوته في كل يوم خبز الشعير وادامه الملح الجريش وربما اكل خبزه بغير ملح
زهدا في الدنيا وحياطة وتوقيرا للمسلمين ورافة بهم ورحمة لهم ولا يريد بذلك
الا الثواب من الله سبحانه وتعالى ولا يشغله شاغل عن اداء فرائضه الواجبة
عليه وما اوجب الله عليه من حقوقه وسنة نبيه **وقالت عائشة**
رضي الله عنها والله لقد تولى عمر الخلافة وحذا حذو اخيه واخذ في التقشف
وترك عن نفسه التكبر ولقد كان احب قوته اكل خبز الشعير بالملح واذا
اكل الزيت واليابس من التمر وكان يقول اكل الشعير بالملح اهون علي من نار
من دخل فيها لم يمت ولا يجد فيها راحة ابدا قعرها بعيد وعذابها شديد وشرابها
صديد لا يبرد ولهيبها يتقد وجند في امارته الجنود وبعث البعوث والعساكر
وفتح الفتوح ومهد البلاد ومصر الامصار وكان يخاف عذاب النار وعن عاصم
ابن عمرو قال لما ولي عمر الخلافة جهز جيوشه الى الشام ولقد بلغني ان الملك هرقل
لما بلغه ان عمر تولى الخلافة والامر من بعد ابي بكر الصديق رضي الله عنهما

جمع الملوك والبطارقة اليه وارباب دولته وقام فيهم خطيبا على منبر نصب
في كنيسة معظمة عندهم يقال لها كنيسة القشبار وقال لهم يا بني الاصفر
هذا الذي كنت احذركم منه واخوفكم به فلم تسمعوا مني ولم تصنعوا الى قولي
اشتد عليكم الان الامر فولاية الرجل الاسمر القوي الاحور الزاهد يملك كسرى
وقيصر وقد دنا ما بعد فولايته صاحب الفتوح المشبه بنوح فو الله ثم والله لابد
ان يملك ما تحت سريري هذا فالحذر الحذر قبل وقوع الامر ونزول الخطب وهدم البيع
والقصور والصوامع والديور وقتل جميع القسوس وتعطيل الناقوس فهذا اصل
الفتن والحروب والجالب على الروم والعرب من انواع البلاء والكروب فهذا الذي جرى
الذي اهرج فينا هذا العليف على من اتبع غير ملته واراد له هواه وانا
ارجو الكم النصر ان امرتم بالمعروف ونهيتم عن المنكر وتركتم الظلم والجور
واتبعتم ما امركم به المسيح من اداء المفروضات ولزوم الطاعات وترك
المخالفات من فعل الزنا وانواع الفسوق والخنا وان ابيتم الا العناد والفساد
والفسوق وارتكاب الكبائر والى كور الشهوات والعصيان سلط
عليكم وابتلاكم بما لا طاقة به لكم ولقد علمت ان هؤلاء القوم سيملكون
على كل شبر ولا في الارض شيء ما لم تبدلوا وتغيروا وبالحال ان ترجعوا اليه وتتو
لحوا القوم على اداء الجزية **فلما** سمع قومه ذالك منه بادروا اليه
وثاروا عليه وهموا بقتله فسكن غضبهم بلين كلامه وملاطفة قوله
وقال لهم انما اردت ان ارى كيف محبتكم لدينكم وهل تمكن حب الغير بامر
قلوبكم اولا **ثم ان قيصر عاين رجل من المتنصرة يقال له**
طليعة من مازن فجيء به اليه فضمن له مالا وقال له انطلق من ههنا من فتك لي
وتلقى كيفما تقتل عمر بن الخطاب فقال له طليعة نعم ايها الملك ثم تعلق
وسار حتى ورد مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكمن حولها واذا بعمر
بن الخطاب قد خرج يمشي على اموال اليتامى والارامل ويتفقد حوائجهم
وحذاهم فقصد المتنصر الى شجرة ملتفة الاغصان فصعد عليها
واستتر بورقها واذا بعمر قد اقبل الى الشجرة التي عليها المتنصر فنام حولها

على الارض وتوسد حجرا فلما نام هتف المنتصر ان قد نزل الله بفضله واذا بسبع قد
اقبل اليه فطاف حوله وجعل يلحس قدميه واذا بهاتف يقول يا عمر عرفت فاثبت
وثبت فاصبت فلما استيقظ عمر ذهب الاسد وقرا المنتصر فتح امره عليه فقبل يديه
ويقول يا ابت انت والله اعز الله من الكائنات تحفظه وللسباع تحرسه والملائكة
تصحبه والجن تعرفه ثم اعلمه بما كان منه واسلم على يديه

حصن

ذكر حصن وادي ابي القدس وسوقه وسرية عبد الله بن جعفر رضي الله عنه اليه وفتحه

الخمي

قال ابو عبد الله محمد بن اسماعيل بن عمر الواقدي
رحمه الله سالت من حدثني بهذا الحديث عن حصن ابي القدس اين يكون موضعه من
الشام فقال ان حصن ابي القدس ما بين غزة ونهر نابلس ومرج يقال له مرج المسلسلة
وكان بازائه دير فيه صومعة وفي الصومعة راهبا عالما بدين النصرانية قرا
الكتب السالفة واخبار الامم المتقدمة وله من العمر ما ينيف على المائة سنة
عند ديره عيد وهو عيد الشعانين فتجيء الروم اليه من جميع النواحي والسواحل
ومن قبط مصر فيجتمعون عليه ويحدقون به فيطلع عليهم من روزنة فيوصيهم
ويعلمهم من قضايا الانجيل فكانوا كذلك يقصدون اليه ويقتبسون من
علمه كل عيد وكان يقام ايضا عند ديره سوق عظيم من السنة الى السنة ويحمل
الى سوقه الامتعة والذهب والفضة فيبيعون ويشترون ثلاثة ايام ثم يفترقون
وما كان المسلمون يعلمون بذلك السوق ولا يعرفونه حتى دلهم عليه رجل
من النصارى المعاهدين وكان ابو عبيدة قد اصطنعه وامنه واهله فلما
ولي ابو عبيدة امر المسلمين اراد ذلك المعاهد ان يتقرب الى ابي عبيدة ويعلمه
بالدير والسوق على بربه فاقبل الى ابي عبيدة وهو قد اكمل العسكر فيما يصنع
والى اي بلاد يقصد من بلاد الشام فمرة يقول انسير بالجيش الى بيت المقدس فانها
اشرف بلدة لهم وكرسي بلادهم وبها قوام دينهم ومرة يقول انسير الى انطا
كية فانها كرسي ملكهم وبها جمع ملوكهم وبطارقتهم فاقصدهم فلعل
وان يفتح منه وهو معكم في امره وقد جمع المسلمين للمشورة فلما اقبل ذلك

المعاهد وقال ايها الامير انك قد احسنت الي فيما خصصتني به من امانك
على الاهل والاولاد وها انا اتيتك ببشارة وغنيمة يغنمها المسلمون سافيها الي
اليمن فان اخذها الله بها استغنوا عن الطمع بعده قال ابو عبيدة
فاخبرنا ما هذه الغنيمة واين تكون مما علمتك الا اخا صا فقال ايها الامير بان
دير فيه راهبا ازاي حصن يعرف بباب القدس على ساحل الشام وذلك الراهب
يعظمه اهل دين النصرانية ويتبركون بدعائه ويقتبسون من علمه وله في كل
سنة عيد يجتمعون اليه من جميع النواحي والقرى والضياع والاديرة ويقوم عنده
سوق عظيم يبيعون ويشترون فيه ثلاثة ايام او سبعة ثم يمضي عنه وقد قرب وقت
قيام السوق فلو سيرت سرية تكون فيها رجال من العرب يكبسون ذلك السوق
فياخذون جميع ما فيه ويقتلون الرجال ويسبون الذراري لكانت غنيمة يغنمها
المسلمون فقال ابو عبيدة وكم بيننا وبين هذا الدير قال عشرون [illegible] للمجد
فقال ابو عبيدة وكم بقي الى وقت قيام السوق قال ايام قلائل فقال ابو عبيدة
وهل تكون لهم حامية من الروم تحمي عنهم قال ليس يعرف في ذلك في بلاد المل
هم قد ولا يغضب بعضهم لبعض لهيبة الملك في قلوبهم فقال ابو
عبيدة هل لهم بالقرب منهم مدينة من مدائن الشام قال نعم بالقرب منهم
مدينة تسمى اطرابلس وهي من سواحل الشام واليها تقصد المراكب
من كل مكان وفيها بطريق عظيم التجبر كثير التكبر وقد اقطعه الملك اياها
الا انه لا يحضر السوق وما [illegible] اعهد ان السوق حامية من الروم الا ان يكون
فيها منهم ولو سار الى الدير والسوق اخذ رجل من المسلمين لرجوت له الغنيمة
والغنم فقال ابو عبيدة معاشر الناس رحمكم الله ايكم يهب
نفسه لله تعالى ويتطوع مع جيش ابعثه فيعلموا ان يكون على يديه فتح للمسلمين
فسكت الناس ولم يتكلم احد فنادى ثانية وانما اراد بقوله خالد الا انه
استحيا منه ان يواجهه بذلك فسكت خالد ولم يتكلم فقام اليه من
وسط الناس شاب كما نبت واكل واخضر عارضه وشاربه وكان الشاب
عبد الله بن جعفر وكانت فيه مشابها من رسول الله صلى الله عليه

في خَلقه وخُلقه وكان يقال هو احد الاسخياء، وكانت امه اسماء بنت عميس الـ
الخثعمية وكان ابوه جعفر بن ابي طالب رضي الله عنه قد مات في غزاة التي بعثه
فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تبوك من ارض الشام وقطعت يداه وخلف
ولده عبد الله فلما كبر وترعرع كان يقول لامه يا اماه ما فعل ابي فكانت تقول له
يا بني قتلته الروم فكان يقول لئن عشت لاخذن بثاره وكانت امه قد تزوجها
ابو بكر الصديق رضي الله عنه فلما مات ابو بكر وولي عمر جاء عبد الله الى الشام
في بعث بعثه عمر مع عبد الله بن انيس الجهني **وعن عبد الله بن انيس**
قال كنت احب جعفرا واوده واحب من اولاده عبد الله فلما قبض ابو بكر الصديق
رضي الله عنه نظر عبد الله الى امه اسماء بنت عميس حزينة فكره ان ينظر اليها وهي في
ذلك الحزن وايضا ان ابا بكر الصديق رضي الله عنه كان قد قام له مقام ابيه جعفر وكان
يحب عبد الله حبا شديدا فاستاذن عبد الله بن جعفر عمر ابن الخطاب في المسير الى
الشام فاذن له فقال لي يا ابن انيس اني اشتهي ان الحق بالشام واكون بها مجاهدا
افتصحبني فقلت له نعم فتوادع مع عمه علي بن ابي طالب كرم الله وجهه ومع امير
المومنين عمر بن الخطاب ومع كافة المسلمين وخرج نافرا الى الشام ومعنا عشرون
فارسا من اهل اليمن والازد فسرنا حتى اشرفنا على تبوك فقال يا ابن انيس ان
الموضع الذي قتل فيه ابي قلت نعم قال فاني اشتهي ان ارى الموضع فاتيت به
الى مصرع ابيه وموضع الوقعة وقبر ابيه جعفر وعليه حجارة قد صفها قوم من
بني كلاب للتبرك فلما نظر عبد الله قبر ابيه نزل عنده وبكى وترحم عليه
واقمنا عنده الى صبيحة اليوم الثاني **فلما** رحلنا رايت عبد الله يبكي
ووجهه مثل الزعفران فسالته عن ذلك فقال لي يا ابن انيس اني رايت البارحة
في النوم ابي جعفرا وعليه حلتان خضراوتان وجناحان وبيده سيف مشهور
اخضر فسلمه الي وقال لي يا بني قاتل به اعداءك فيا وحلفت انا الى ما زرت الا
بالجهاد وكاني اقاتل بالسيف حتى الناس في يدي **قال عبد الله بن** انثلم
انيس فسرنا حتى اتينا عسكر ابي عبيدة بدمشق فلما قال ابو عبيدة ابكم
يصلوا الى بقعة العدو وثب عبد الله بن جعفر وقال انا اول من يمضي مع بعث

فبعثه يا امير الامة فصرح ابو عبيدة بقيامه وقوله فبعثه ابو عبيدة امير
التلك السرية التي في حصر الي الفرس وجعل ينتدب اليه رجال المسلمين و
سادات الموحدين وقال له انت الامير عليهم وعقد له راية سوداء وسلمها
اليه وكانت الخيل خمسمائة فارس منهم رجال من اهل بدر وكان من جملة
من توجه مع عبد الله بن جعفر ابو ذر الغفاري وعبد الله بن ابي اوفى وعامر
بن ربيعة وعبد الله بن انيس الجهني وعبد الله بن ثعلبة وعقبة بن عبد الله و
الله السلمي وعبد الله بن بشر السلمي والسائب بن يزيد بن وانس بن
صعصعة وعمر بن الربيع وعامر بن سراقة وعمرو بن ساعدة ابن الغنم
بن المغنم وكان ممن شهد بدرا وجابر بن مسعود وكان ممن شهد بدرا
ايضا ومثل هولاء السادات رضي الله عنهم فلما اجتمعت الخمسمائة فارس
تحت راية عبد الله ابن جعفر وما منهم الا من شهد الوقايع وخاض المهالك
والمعامع لا يولون الادبار ولا يكنون الى الفرار ولا يبالون الا القتال الاشر
مع اعداء الله الكفار وعولوا قال ابو عبيدة لعبد الله بن جعفر يا ابن عم رسول
الله صلى الله عليه وسلم لا تغرر على القوم ولا تتوغل فيهم الا اول يوم من ايامك فسر
البيوت ثم ودعهم وودع المسلمون بعضهم بعضا وساروا رضي الله عنهم
وقال واثلة بن الاسقع كنت في سرية عبد الله بن جعفر وكان
خروجنا من دمشق الي بر حصر الي الغد في ليلة نصف من شعبان والقمر
زاهر النور وانا الى جانب عبد الله بن جعفر فقال لي يا ابن الاسقع ما احسن
قمر هذه الليلة وانوره فقلت يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه
ليلة النصف من شعبان وهي ليلة عظيمة البركة فقال اجل هي ليلة تكتب
فيها الارزاق وتقضي فيها ولقد كنت اردت ان اقوم بها فقلت له ان سرينا هذه
احسن من مقامنا وقيامنا فيها والله جزيل العطاء فقال صدقت فسرنا
ليلتنا تلك الى الصباح فاصبح بنا الدليل وهو ذاك المعاهد على جبل عظيم
فبينما نحن نسير اذا اشرف بنا على صومعة راهب وهي عن ايماننا في دير
فعدل عبد الله نحو الدير وعدلنا معه فاطلع علينا الراهب من صومعته

وعليه برنوس اسود فجعل يقول من انتم فقلنا له نحن عرب فقال انتم المحمديون
فقلنا نعم فجعل يتاملنا واحدا بعد واحد ويكيل النظر في وجه عبد الله بن جعفر
ثم قال أتعرف الفتى ابن نبيكم فقلنا له لا قال ان نور النبوة يلوح من بين عينيه
فهل يلحق به فقلنا له هو ابن عمه قال الراهب هو ابن عمه من الورقة والورقة
من الشجرة فقال عبد الله بن جعفر ايها الراهب وهل تعرف رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال وكيف لا اعرفه واسمه مكتوب في التورية والانجيل والزبور وهو
معي وما عرفنا انه صاحب الجمل الاحمر والسيف الاشهر فقال عبد الله فلم لم تومن
به وتنصره فرفع يده الى السماء وقال حتى يشاء ربنا هاذه المنى اذ فاعجبت
كلامه قال فسرنا والدليل امامنا وبين يدينا الى ان اتينا الى واد كثير الشجر
والماء وامرنا ان نكمن فيه وقال اكمنوا هنا في هذا الوادي حتى اجس لكم خبر
القوم فقال له عبد الله بن جعفر فاسرع في مسيرك وارجع الينا بالخبر واقلهم
فانطلق ومضى عنا وعبد الله بن جعفر في ذلك الوادي فاطعمنا زادنا واكلنا
فلما امسينا ومضى من الليل بعضه قام عبد الله بن جعفر في من اصحابه يحرسه
الى الصباح فلما اصبحنا صلينا الصبح وجلسنا ننتظر رجوع الرسول فابطات
وابطا خبره علينا فقلق المسلمون لاحتباسه وخافوا من المكيدة لطول
غيبته ووسوس عليهم الشيطان وساءت بالدليل الظنون فما من المسلمين
الا وظن بالمعاهد شرا الا ابو ذر الغفاري فانه قال احسنوا بصاحبكم فما تخافون
منه كيدا ولا مكرا وان له لشأنا ستعلمونه فبينما الناس كذلك قال واذا
بصاحبهم قد اقبل فلما رايناه مقبلا في خفايه وظننا انه يامرنا بالنهوض الى
العدو فجاء حتى وقف بين المسلمين وسلم وقال يا اصحاب محمد وامته
وحق المسيح انما غششتكم فيما كنت حدثتكم به ولم اغششكم ابدا واني
كنت وجدت لكم الغنيمة والغنم وقد حيل بينكم وبينها فقال له عبد الله بن
جعفر وكيف حيل بيننا وبينها فقال له قد حال بينكم وبينها بحر عجاج متلاطم
الامواج وذلك انه لما اشتهرت عن السوق وقد قام فيه البيع والشراء واجتمع
اليه اهل عرب النصرانية وقد دارا كثير هم فجعلوا الى العسكر واجتمعت اليه

الاقسة والاحبار والملوك والبطارقة فلما نظر الى عظم الكلام اراد الرجوع
اعماق واختفى السبب في ذلك وما الذي جمعهم هنالك فمضيت واختلطت
بالقوم واذا بصاحب حمص ابليس قد زوج ابنته ملكا من ملوكهم وقد اتوا بالجهاز
الى دير العرس ليأخذوا الهاما عونا وهو الغيار من ذهب الى الدهب وقد اراد
الروم والعرب المتنصرة في عددهم وعديدهم وحديدهم وباسهم كان في الذخر فاين
يا معشر العرب وما ارى لكم صوابا ان تسبهم والى القوم لانهم خلق كثير وجمع غفير
فقال له عبد الله بن جعفر ويحكم حتى نذهب القوم فيكونوا قال اما السوق ففيه
اربعون عسكر من العامر عواج الروم من الارمن والنصارى والقبط واهل مصر والبقعة
واهل السواد واما البطارقة والملوك وغيرهم من المتنصرة المستعربون اللخم
الاف فارس وما لكم بالقوم طاقة وان وقع الصوت اجابهم مثلهم لان بلاد الشام
متصلة واما انتم فعدد قليل والغوث منكم بعيد قال وصعب على المسلمين
ذلك وهموا بالرجوع فقال لهم عبد الله ابن جعفر معاشر الناس ما تقولون في
الامر فقالوا انا نرى ان لا نلقوا بايدينا الى التهلكة كما امرنا ربنا في كتابه العزيز
ولنرجع الى الامير ابي عبيدة والله لا يضيع اجرنا فلما سمع قولهم قال اما انا فاني
ذلك ان يكتبني الله من الفارين ولا ارجع حتى ابلي عذرا من ساعدني واجره على الله
ومن رجع فلا لائمة ولا عتيبة عليه فلما سمع المسلمون ذلك من كلام عبد الله
بن جعفر وبذل مهجته على صغر سنه استحيوا منه واجابوه باجمعهم وقالوا
افعل ما تريد فما ينفع حذر من قدر ففرح عبد الله باجابتهم ثم عمد الى درع
وافرغه عليه وركبا على راسه بيضته وشد وسطه بمنطقته وتقلد بسيف
ابيه جعفر واستوى على متن جواده واخذ الراية بيده وامر المسلمين بالاهبة
للحرب فلبسوا دروعهم واستلموا اسلحتهم وركبوا خيولهم وقالوا للدليل
تقدم بنا نحو القوم فستعاين من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اليوم عجبا قال
الدليل وقد اصفر وجهه وتغير لونه وقال لهم سيروا انتم وما على من حرج في
امركم قال ابو ذر رضي الله عنه فرأيت عبد الله بن جعفر فتلطف
به حتى سار بين يديه على القوم فمشى ساعة ثم وقف وقال امسكوا عليكم فانكم قد

خ الاقلعي

قد بتم

قريبا من القوم وكانوا في مواضعهم مكمنين الى وقت الصبح ثم اغيروا على القوم وقال
واثلة بن الاسقع فبتنا حيث امرنا ونحن نطلب من الله عز وجل النصر على اعدائنا فلما
كان وقت الصبح صلى بهم عبد الله بن جعفر صلاة الفجر فلما فرغ من صلاته قال لاصحابه ما
تقولون في الغارة عليهم في هذا الوقت وما تامرونه فقال عامر بن ربيعة انا ادلكم
على امر تصنعونه قالوا له قل فقال اتركوا القوم حتى يكونوا قد اشتغلوا ببيعهم
وشرائهم واظهار امتعتهم ثم اكبسوا على حين غفلة وغرة من امرهم قال فاستصوب
الناس رايه وصبروا الى قيام السوق وطلعت عليهم الشمس فلما ضحى واستوى من
اغماصها وانتشر الغبش واسرعوا الاسنة وعمد عبد الله بن جعفر اليهم فجعلهم
خمسة كراديس في كل كردوس مائة فارس وجعل على كل مائة نقيبا وقال لهم
لتاخذ كل واحد مائة منكم ناحية من اقطار السوق ولا تشتغلوا بنهب ولا غنيمة
ولكن اوضعوا السيوف في المفارق واحكموا بها في العواتق وتقدم عبد الله بن جعفر
امامهم وبيده الراية وطلع على القوم فنظر الى قوم متفرقين في الارض ومنتشرين
كانهم الجراد او النمل من كثرتهم وقد احدقوا بدير الراهب خلق كثير وقد اخرج
راسه من الدير وهو يعظهم ويوصيهم ويعلمهم معالم اديانهم وهم اليه شاخصون
بابصارهم وابناء الملك في الدير والبطارقة وابناؤهم عليهم الديباج المثقل
بالذهب ومن فوقها دروع وجواشن تلمع وهم ينظرون خروجها اليهم وهم
معه بين يديه ولبسوا الحرير جلابيبا كانهم ينتظرون صيحة من ابن ربهم او قارعة
تلى عليهم فنظر عبد الله الى الدير وما احدق بالراهب وما حوله من عظم جمعه فهاله
ذلك من امرهم فصاح بالمسلمين قبل الحملة وقال يا اصحاب محمد رسول الله
اوصيكم فان كانت الغنيمة والفتح والسلامة يكون الاجتماع عند صومعة
الراهب وان كان غير ذلك نعوذ بالله من الخذلان يجمع عرصة الجنة وملتقانا
عند حوض ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم احملوا عليهم بارك الله فيكم
ثم هز الراية وحمل بها نحو الجمع فكبروا المائة فارس من ورائه يحملون بحملته
وهم اصحاب النقيبة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وحملت كردوس من ال
المسلمين وكل كردوس طلبا ناحية من اقطار السوق وهم رافعون اصواتهم

بالتهليل والتكبير يقولون الله أكبر لا إله إلا الله محمد رسول ا
فسمع الروم أصوات المسلمين فتيقنوا أن جيوشهم أدركتهم وك
الزلزلة منتكثين وهم على بقية من أمرهم وأما السوقة فإنهم تبادروا
أسلحتهم وأخذوا السيوف والأعمدة وانعطفوا إلى قتال المسلمين والمنع
عن أموالهم وقتلوا صاحب الراية ولم يكن مع المسلمين راية غيرها وكان
عبد الله بن جعفر مكان الجمع العظيم حين حمل عليهم فغاص فيهم وجعل يض
بسيفه تارة ويطعن بالرمح تارة والمسلمون من ورائه وهو أمامهم
وقد لحق الروم بالمسلمين الذين مع الراية من كل جانب ومكان تمام كـ
المسلمين فيهم وسطهم إلا كالشامة البيضاء في جنب البعير الأسود وقام
الحرب على ساق وثار الغبار وانعقد وصار فيستكلا واحدا وكل امرئ منهم
مشتغل بنفسه دون غيره وما كان أصحاب عبد الله بن جعفر يعرف بعض
بعضا إلا بالتهليل والتكبير وقال أبو ميسرة ابن إبراهيم عن عبد العزيز بن
أبي قيس وكان من العلماء بغير المتقدمين بأيام من في الإسلام وصاحب الهجرتين قد
معا قال شهدت قتال الحبشة مع جعفر بن أبي طالب وشهدت المشاهد كل
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بدر وحنين وأحد وغيرها وقلت إنه لا
مثلها فلما قبض النبي صلى الله عليه وسلم حزنت عليه ولم أستطع أن أقيم بعده
بالمدينة لفقده في جعلت أمكة فأقمت بها ما شاء الله فعوتبت في منام
لتخلفي عن الجهاد فخرجت إلى الشام وشهدت أجنادين ودمشق وسرية خا
بن الوليد خلف توما وهو يريد المرج الديباج وشهدت سرية عبد الله بن
جعفر وكنت معه في دير حصن أبي القدس فأنساني ما شهدت قبلها من الوقائع
بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعده وذلك أني نظرت
إلى الروم حين حملنا عليهم وهم في كثرة عددهم وعددهم وقلنا لا غبرة
وعليهم الدروع والزرد ولا يتبين منهم إلا الحدق وأجسامهم هائلة وصو
وجثثهم عظيمة ولهم همهمة وزجرة عند ما يحملون فنظرت إلى المسلمين
فرغا بواقي سيفهم ولا أسمع إلا الأصوات من تبعته فأيقنت بذلك وعبد الله

بن جعـ

بن جعفر بكر على المثنى كبير ويقاتل بالراية ولا ينثني مجاهدا على صغر سنه ولم يزل
الحرب بينهم كذلك قال مكثنا وثبت ضرامها وعلا قتامها والتهبت نارها
فشد عبد الله اليها وحمل في وسط الروم من اجلها وهم من حوله وحول اصحابه
محدقون كالحلقة الدايرة والروم كلما حمل عبد الله يمينا حملت يمينا وكلما حمل
شمالا حملت شمالا حتى كلت منا السواعد وخذلت منا الحركة وعظم الامر واثلم
السيف في يد عبد الله بن جعفر وكاد ان يقف في يده فعند ذلك انحاز باصحابه الى موضع
ليجتمع اليه بقية اصحابه فتقدم اليه بقية المسلمين والراية فنصروها وما منهم
الا مكلوم بالجراح من ابعد المثنى كبير فصار بذلك ذرعهم وما نزل به من امر
نفسه مثل ما نزل به من امر المسلمين فالتجا الى الله امره وفوض الى خالقه سره
وجعل يرفع يديه الى السماء ودعا وقال في دعائه يا من خلق خلقه فاحسن
خلقهم وابتلى بعضهم ببعض وجعل ذلك محنة لهم اسالك بجاه محمد صلى
الله عليه وسلم الا جعلت لنا من امرنا فرجا ومخرجا ثم حمل الى القتال واصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقاتلون معه تحت رايته فلله در ابي ذر الغفاري فانه
نحى عبد الله بن جعفر في ذلك اليوم وجاهد بين يديه قال عمرو بن ساعدة
فلقد رايته وهو مع ذلك على كبر سنه يفني بالروم بسيفه ويفتخر الى
قومه بنفسه ويذكر عند حملاته اسمه فيقول انا ابو ذر الغفاري والمسلمون
يفعلون كفعله الى ان بلغت القلوب الحناجر وكثر في ذلك الموضع فورهم
وما من المسلمين احد الا اصيب بجرح او اثنين او ثلاث وقد ايسوا من الحياة
الفانية وطمعوا في الحياة الباقية والعيشة الدايمة التي من ربه والروم
قد شيم لهم با والحصر والضرب وعبد الله بن جعفر يقول لاصحابه دونكم
والمثنى كبير واصبروا والجهاد الكافر وصبروا على قتال المارقين واعلموا انه
من يحل لكم ارحم الراحمين ثم قرا كم من فية قليلة غلبت فية كثيرة باذن
الله والله مع الصابرين وقال عبد الله بن انيس فلما رايت المو
قعة كما بينه وبين الروم قلت يوشك ان يهلك عبد الله بن جعفر ومن معه
فخرجت من القوم وسرت كالبرق الخاطف لا الوي الى راحة حتى اتيت عسكر ا

عبيدة فلما رءاه قال البشارة يا ابن انيس ام لا فقلت له ايها الامير بفتـ
المسلمين الرصافة عبد الله بن جعفر ثم حدثته بالقصة من اولها الى اخرها
فقال ابو عبيدة لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم اذ اصيب عبد الله بن جعفر
ومن معه تحت رايتك يا ابا عبيدة وهي اول امارتك ثم التفت الى خالد بن الوليد
وقال له يا ابا سليمان سالتك بالله العظيم الا ما كنت لها ولمن مع عبد الله
بن جعفر فانت المعد لها ولمثلها فقال خالد بن الوليد انا والله لها ان شاء الله
والمعد لمثلها وما كنت انتظر الا ان تامرني فقال له ابو عبيدة استحييت منك
يا ابا سليمان فقال خالد اما والله لو امر علي عمر طفلا لسمعت ولاطعت له
فكيف بك يا امين الامة اخالفك وانت اقدم مني ايمانا واسبق اسلاما
سبقت باسلامك مع السابقين وسبقت بايمانك مع المسارعين وسماك
رسول الله صلى الله عليه وسلم بالامين وكيف اسبقك او اساويك وانال درجتك
وانا قد ضربت زمانا بالسيف في وجوه المسلمين والان فاني اشهدك اني قد
جعلت نفسي في سبيل الله حبسا مؤبدا وسوف اخالف امير المؤمنين الذي
قال اني لا ارى في الجهاد الا الشهوة والرفعة والعلو والله لا وليت امارة
بعدها ابدا قال فاستبشر المسلمون بكلامه واستصوبوا مقالته
فقال له ابو عبيدة ايه يا ابا سليمان الحق اخوانك رحمك الله قال فوثب خالد
من مكانه وسار الى رحله وافرغ عليه درعه الذي كان اخذه لمسيلمة الكذاب
يوم فتح اليمامة والقى بيضته على راسه وادرجها قلنسوته المباركة وتقلد
حسامه ولبس لامته وسلاحه وانصاع في سرجه كانه نفي فيه وقال يا اهـ
الزحف هلموا الى ضرب السيوف فجاءوه مسرعين كانهم العقبان وتبادروا
الى طاعة الرحمن واخذ خالد الراية بيده وهي راية العقاب وهي بها على ركابه
وحاديه عسكر الزحف من كل جانب ومكان ونادى في المسلمين بعضهم
بعضا وسلم عليهم خالد وسار وعبد الله بن انيس امامهم يدلهم
وقال رافع بن عميرة الطائي كنت يومئذ من اصحاب خالد رضي
فجد السير والله عز وجل قد طوى لنا البعيد وسهل علينا كل صعب فسرنا فلما

كان عند غروب الشمس أشرف فينا على القوم والروم كالجراد المنتشر وقد
غرق المسلمون في كثرتهم فقال خالد يا ابن أنيس في جحفة أقبل يا ابن عم رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال له إنه قد وعد أصحابه أن يلتقوا عند دير الراهب
أو موعدهم الجنة فنكص خالد نحو الدير وإذا به قد ورد الراية الإسلامية وهي في
يد عبد الله بن جعفر وهم صابرون على ما نزل بهم وهم في أشد ما كانوا فيه
من القتال والسيف يعمل في الرجال إذ نادى بهم مناد وقد هتف بهم هاتف خذل
الأمر ونصر الخلائف أبشروا يا حملة القرآن فقد جاءكم الغوث من الرحمن
ونصرتم على عبدة الأصنام والأوثان وحزب الصلبان فلما نظر خالد إلى صبرهم
وتجلدهم على قتال أعدائهم لم يملك الصبر دون أن يهجم إلى الراية بيده وقال لأصحابه
دونكم والقوم اللئام فاروا وأمر حماتهم بالصياح وأبشروا وأبا النجاح يا أهل
الحق على الظلام فبينما أصحاب عبد الله في أشد ما كانوا فيه إذ خرجت
عليهم خيول المسلمين وبادرت إليهم كتائب الموحدين كأنهم الطيور
البادرة في حرثها والعقبان الكاسرة في فعلها وهم غائصون في الحديد والزرد
النضيد وقد ارتفع لهم ضجيج ولخيلهم عجيج وهم يقولون لا إله إلا الله
محمد رسول الله فنظر أصحاب عبد الله جعفر إلى ذلك أيقنوا بالهلاك
والفناء وجعلوا ينظرون إلى الخيل التي رأوها قاصدة إليهم فظنوا أنها كمين
من الروم قد أكمن لهم فعظم الأمر عليهم واستغاثوا بربهم وقد يئسوا من
أنفسهم وإذا بفارس على المقدمة ينادي ودنا إلى الراية بيده وهو ينادي يا
على صوته أبشروا يا معشر المسلمين بالنصر والتأييد من عند رب العالمين
أنا الفارس الصنديد أنا البطل المبيد أنا خالد بن الوليد وكان المسلمون إذا
سمعوا صوت خالد ونداءه فرج الله عليهم بإذن الله وزادت فيهم قوة
فلما سمعوا صوته ونداءه فكبروا إلى الراية بيده وكأنهم في لجة أجابوه
بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير ثم حمل خالد بن الوليد مع
جيشه إلى جمع الروم لا يفارقونه في الروم ووضعوا السيف فيهم وجاء خالد
يطلب أن يصل إلى عبد الله بن جعفر وهو يفتخر بنفسه ويذكر باسمه

وسمعه عبد الله بن جعفر فقال لأصحابه أيها الناس دونكم والأعداء فقد
جاءكم النصر من رب العالمين ثم حمل وحمل المسلمون بحملة إخوانهم وتثبت
المسلمين من الروم كل علج شديد وكل من يمانع عن نفسه وماله والمسلمون
زال عنهم ما كانوا فيه قال عامر بن سراقة فوالله ما شبهت حملة
خالد في الروم إلا كحملة الأسد في الغنم فعن يمينا وشمالا وقال واثلة
بن الأسقع فوالله لقد كنا يئسنا من أنفسنا وأيقنا أننا في ربقة الهلاك
حتى أتتنا المعونة والنصر من الله عز وجل بحملنا بحملة إخواننا فما اختلط
الظلام حتى أن خالد بن الوليد والراية بيده وهو يسوق الروم بين يديه
سوق الغنم إلى المرعى وكانت هزيمة الروم فتبعهم خالد والمسلمون
يقتلون ويأسرون ولله در أبي ذر الغفاري وضرار بن الأزور ورافع بن عميرة
الطائي والمقداد بن الأسود والمسيب بن نجبة الفزاري لقد فرقوا المواكب
بالمراكب وهزموا الفوارس وحملوا على الروم فقتلوهم قتلا ذريعا من كل
مكان وجانب قال والتفت ضرار بعبد الله بن جعفر فنظر إليه والدم على
أكمام درعه فقال له شكر الله لك فعلك يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلقد أخذت بثأرك وشفيت غليلك من أعدائك وكان الظلام قد اعتكر
وضرار ملثم لا يتبين منه ولا يظهر إلا العيون فلم يعرفه عبد الله بن جعفر
فقال له من الرجل الفاعل لي ومن أنت فقال له أنا ضرار بن الأزور بن كدارة
الكندي فقال له عبد الله حبا وكرامة من حافظ لعهدك لم تزل مساعر الناس
وفاتحا النصر فما تم قال له يا ضرار اعلم أن حامية الروم من البطارقة عند الدير
لأجل ابنة الملك صاحب طرابلس وما معها من الأموال وقد أحاط بها كل
من هو فارس شهم سهم فهل لك يا ابن الأزور أن تحمل معي فقال له ضرار
وابن نعم فقال له عبد الله أما تنظر إليهم قد ضرار كمينه وإذا انحاه الروم
مع بطريق طرابلس وقد أحدقوا بالدير بما نعوا عن الجارية والنيران
مشتعلة والصلبان تلمع في ضوء النار وكأنهم يسد محجر فقال له
ضرار أرشدك الله إلى الخيرات فنعم المرشد أنت أحمل حتى أحمل بحملتك

السماء

نحمل

فحمل عبد الله بن جعفر من جانب وحمل ضرار من جانب واتبعتهما الفرسان
وزعقوا بالروم وحمي المسلمون انفسهم وكان اشدهم منعة بطريقهم
وقد برز امام قومه وهو يهدر ويزار كالبعير ويضج بكلمة الكفر
فقصده ضرار بن الازور رضي الله عنه وباكشه بالحرب والتقت الاقران بالاقران
واشتد بينهما القتال ونظر ضرار الى العلج وعظم خلقته وتمكنه في سرجه
وشدة ضرابه وحسن لعبه ازله فاخذ منه حذره وكل واحد منهما طامع في
صاحبه وانفرد ضرار مع صاحبه عن القوم وكل قرن مع قرنه فانتشب ضرار
بين يدي البطريق واصحابه ليمكر بهم فطلبه البطريق واصحابه فقصدوه بجملتهم
والبطريق يطلبه اشد الطلب وليس مع ضرار احد من المسلمين فلما نظر ضرار الى
ذلك قصد الى موضع فيه سلم لمجال الخيل فاعترضه واحد في كلمة الليل وكبا به
الجواد فسعى الى الارض بهاويا فثار من سقطته يروم ان ياخذ العلج من قبل فلم يجد
الى ذلك سبيلا فثبت في مكانه وسيفه وحجفته بيده وجعل يجاهرهم
بكلمة وحده وصبر لهم بنفسه صبر الكرام فحمل عليه البطريق ومن معه
وهم ان يضربه بعموده فلما قاربه وانزل العمود عليه زاغ له ضرار عن الضربة
ووثب وضربه ضربة بعجز بين البطريق بحجفته وضربه بيده فوقعت
ضربة الاضرار في عين الجواد فانكسر العلج الى الارض ووقع البطريق وعليه درعه
ولم يقدر ان يقوم لانه مدرع في سرجه فعاجله ضرار بضربة قبل وصول غلمانه
اليه على حبل عاتقه فنبا السيف ولم يعمل شيئا فانه يعضه العلج وقد ايقن
بالهلاك فوثب ضرار وقبض عليه بقوته وكان عدو الله كالجبل العظيم
من حاله ضرار بغتته وبرك عليه وملك صدره واحتوى عليه وكان لضرار سكين
من صنع اليمن لا يفارقه فاستله من غمده وضرب بها في عنق عدو الله ضربة
وانفذها الى صدره فانصرع قتيلا وعجل الله بروحه ثم وثب ضرار الى جواد
البطريق فاستوى عليه وكان على جواد عدو الله حلية كثيرة من الذهب
والفضة والفصوص من الجوهر وعليه ما تساوي الثمن الكثير فلما
صار في السرج على ظهر الجواد حمل على الروم وكر فيهم يمينا وشمالا

وكان عبد الله بن جعفر قد ملك الدير حين انبسط ضرار امام
البطريق فاحتوا عليه المسلمون ولم ياخذوا منه شيئا حتى رجع من اتبع المنهزمين
من الروم ورجع خالد من اتباع من كان خالد قد اتبعهم الذين عطفهم كان
بينهم وبين كفر ابلس والروم يعني من مشارعه فغاصوا فيه خوضا ووقف
خالد على ضفة النهر ثم رجع خالد الى اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدهم
وقد ملكوا الدير وقال عبد الله بن انيس الجهني وقفنا على الدير
اذ جاء خالد ومعه جيشه الى حي فقال له عبد الله بن جعفر شكر الله
لك يا ابا سليمان واحسن جزاءك وانبتت الناس وابشروا واي جمع
الغنائم وما كان في السوق من المتاع والثياب والطعام وقال واثلة
بن الاسقع فجعلنا نجمع الغنائم ونحمل الامتعة وناكل من الخيرات والفواكه
واخرج ما كان في الدير من اواني الفضة والذهب والستور والثياب من الحرير
وانواع الاثاث والمرايات واخرجت ابنة البطريق ومعها اربعون جارية
وعليها حلل تلمع وتضيء وحملوا كيف نحمل المتاع والمال على البراذين والبغال
والخيل وانقلب اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالغنائم العظيمة والاموال
الجسيمة مستبشرين بنعم الله يغمرهم الفرح والسرور فلما سار
اقبل خالد على الراهب فصاح به فلم يكلمه فصاح به ثانية وتهدده فاطلع
عليه الراهب من روزنة صومعته وقال له ما تشاء فهو هو المسيح ليكافانك
رب هذه الفضاء اي يوما من قتلت واشار الى السماء فقال له خالد وكيف
يكافينا وقد امرنا ان نقاتلكم ونجاهدكم ووعدنا على ذلك الثواب والاجر
الكثير ووالله لولا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهانا ان لا نتعرض لامثالك
لانزلتك من صومعتك وقتلتك شر قتلة فسكت الراهب ولم يجبه
وانقلب خالد وعبد الله واصحابهما راجعين بالغنيمة حتى وصلوا الى
دمشق وابو عبيدة متطلع الى قدومهم فلما اشرفوا عليه بالغنائم وخرج
من حاشيرا ومن معه بقدوم المسلمين والغنائم واستقبلهم ابو عبيدة
فشكرهم ودعا لهم وسلم على خالد وعلى عبد الله بن جعفر

وشكر

وتشكى همَّا وسلّم المسلمون بعضهم على بعض ورجع ابو عبيدة معهم الى ان
وطئوا الى مكانه فحسبت تلك الغنيمة لثلاث عبد الله بن جعفر صاحبها وعبد
الله بن انيس مع ركبها وخالد بن الوليد منجدها وعمت بركة خالد على المسلمين
بالغنم والغنائم ولقي فيها خالد رضي الله عنه مشقة عظيمة وجراحات
فيها حتى مؤلمة فلما كان من الغد خمس ابو عبيدة الغنيمة وقسمها على الناس
ووقع لضرار بن الازور فرس البطريق بسرجه وما عليه من حلية الذهب
والفضة والياقوت والجوهر فاتى به ضرار الى اخته خولة فجعلت تنزع منه
فصوص الجوهر وتلقي فيها على سائر نساء المسلمين وان العقد الواحد منها
ليساوي الثمن الكثير وخرج لكل واحد من المسلمين من الستور وانواع ثياب
الحرير ما لا يوصف في سهمه وقال عامر بن ربيعة اصبت من غنيمة دير
ابي القدس وسوقه ثيابا ديباج الحرير وفيها صور من صور الروم وكان في ثوب
منها صورة مريم وعيسى عليهما السلام فبعثت الثياب الى اليمن فبيعت بثمن
كثير واشتري لي منها غنما بالطائف فكتب الى عمر وانا مع ابي عبيدة
ان ابعث الي بمثل هذه الثياب واكثر منها فانها تنفعنا فكتبت ابعث لهما
وجزت منها وعرض السبي على ابي عبيدة وفي الجملة ابنة البطريق بسوق
فسأله عبد الله بن جعفر ان يعطيها له فقال له حتى استاذن امير المومنين في ذلك
وقال عاصم بن زيد العامري كنت ممن شهد قتال الشام وفتح دمشق
وغوطتها فلما رجع المسلمون وجيشهم غانما من سرية حصن دير ابي القدس و
سوقه كتب ابو عبيدة بن الجراح الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتابا يخبره فيه
بما فتح الله عليه وما غنم المسلمون من حصن دير ابي القدس وسوقه ويمدح خالد
ويشكره ويثني عليه ويخبره بما قال فيه وبما تكلم به في جانبه ويسأله
في كتابه ان يكتب الى خالد فيشكره ويستعطفه عليه وكان في كتاب ابي
عبيدة يستاذنه في المسير الى انطاكية لمن قال او الى بيت المقدس وعن اسامة
بن زيد بن الليثي عن الزهري عن عبد الرحمن بن عوف الغساني قال كنت مع ابي
عبيدة بالشام فكتب الى عمر رضي الله عنه يخبره بفتح السوق واعلمه بما كان

من امر السرية كلها وسؤال عبد الله بن جعفر لابنة البطريق وكتب ع
رضي الله عنه الى ابي عبيدة رضي الله عنه كتابا يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم
من عبد الله عمر بن الخطاب امير المومنين الى امين الامة ابي عبيدة بن الجراح
السلام عليك وعلى من معك من المسلمين ورحمة الله وبركاته اما بعد
فاني احمد الله الذي لا اله الا هو على سلامة المومنين ونصره لهم ودمار الكافرين
وقهره لهم واصلي على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وقد ورد علي كتابك وفي ان
واعلم انه لا مرد لقضاء الله وقدره ومن كتب في اللوح المحفوظ كافرا ا
ايمان له وذلك ان جبلة بن الايهم الغساني كان قد قدم علينا في بني عمه
واشراف قومه وسادات عصبته فانزلتهم واحسنت اليهم فاسلموا
على يدي ففرحت بذلك اذ شد الله عضد الايمان واهل الاسلام واعز
المسلمين بهم ولم اعلم ما في مكنون الغيب وانا امضي الى مكة شرفها
الله تعالى واعزها لنقضي الحج فطاف جبلة بالبيت سبعا فوطئ ازاره
رجل من بني فزارة فسقط الازار عن كتفيه فالتفت الى الفزاري وقال له
يا ويلك كشفتني في حرم الله تعالى فقال له الفزاري والله ما تعمدتك فلطم
جبلة الرجل الفزاري في وجهه لطمة هشم بها انفه وكسر ثناياه الاربع
فاقبل الفزاري الي مستغيثا بي على جبلة فامرت باحضاره وقلت له ما
حملك على ان لطمت اخاك في الاسلام حتى كسرت ثناياه الاربع وهشمت
انفه فقال جبلة انه وطئ ازاري فحله وكشفني في حرم الله والله لولا
حرمة البيت لقتلته فقلت له قد اقررت على نفسك فاما ان يعفو عنك او اقتص
له القصاص فقال لي جبلة اتقتص له مني وانا ملك وهو سوقي فقلت له قد
شملك واياه الاسلام فما تفضله الا بالعافية فقال لي فلعمري كنت ارجو
واقتص مني فقلت للفزاري اتقتص من لطمك قال نعم فلما كان الليل ركب في بني
عمه وسار الى الشام متوجها الى كلب الروم الطاغية هرقل فان اتاك كتابي
وارجو من الله تعالى ان يظفرني به فان رحل اليكم ولا تعرضوا عنه
فان طلبكم ان تصالحوه فصالحوهم وان ابوا وقاتلوك فقاتلهم وابعث عيونك

الى انطاك

192

الى انطاكية وابعث من اتاك فيما في يا منك وكن على حذر من العدو
المتنصرة واما ابنة البطريق فاعطها لعبد الله بن جعفر ونفلها له والسلام
عليك وعلى من معك من المسلمين ورحمة الله وبركاته ودفع الكتاب الى
اسامة بن زيد القادم وامره ان يسرع السير ويجد فيه فركب اسامة نجيبه
وسار يجد السير نحو الشام فبينما ابو عبيدة بموضعه اذ اشرف عليه
راكب على نجيب ياكل الارض بسيره فلما قرب منه النجيب واذا هو اسامة بن
زيد القادم فقال له ابو عبيدة يا اسامة من اين فاناخ اسامة نجيبه وسلم
عليه وعلى المسلمين وقال له اتيت من المدينة وسلم اليه الكتاب فلما ورد
كتاب عمر على ابي عبيدة فتحه وقراه وفهم ما فيه ثم قراه جهرا على المسلمين
واعطى لعبد الله بن جعفر الجارية فاخذها عبد الله فاقامت عنده زمانا حتى
اعلمها الفقه وقيل انها كانت تحس كحس الروم والعرب فاقامت عنده
الى ايام يزيد بن معاوية بن ابي سفيان فاخذها يزيد فاستوهبها منه
فوهبها عبد الله رضي الله عنه

ذكر حروب حمص ورحيل المسلمين اليها ومصالحتهم اول من سنة كاملة

قال ابو عبد الله محمد بن اسماعيل بن عمر الواقدي رحمه الله
ثم ان ابا عبيدة رضي الله عنه استشار المسلمين بعد ان جمعهم اليه وقال لهم
ايها الناس ما الذي ترون من المسير الى حمص والمسير منه الى انطاكية واقصد
كلب الروم فلعل الله تعالى ان يفتح علينا وعلى ايدينا فما ترون في هذا الامر فقال
له المسلمون ايها الامير سر حيث شئت فنحن لك تبع نقاتل اعداء الله حيث
ما كانوا وحيث ما وجدوا كما امرنا ربنا ففرح ابو عبيدة بقولهم وقال لهم
تاهبوا واستعدوا للرحيل فانه سائر بكم الى حمص ومنه الى حلب وارض
العواصم فاذا فتحها الله علينا توجهنا منها ان شاء الله الى انطاكية
فاسرع المسلمون الى اصلاح شانهم واخذوا في استعداد انفسهم وترك
ابو عبيدة على دمشق صفوان بن عامر السلمي في بني اسلم في خمسمائة

فارس منهم فلما فرغ ابو عبيدة من جميع شغله امر خالد بن الوليد ان ياخذ راية
العقاب وهي التي عقدها له ابو بكر الصديق رضي الله عنه وامره بالمسير امام الجيش
بعسكره الى حمص فسار خالد على المقدمة بعسكره ومعه ضرار بن الازور ورافع
بن عميرة الطائي والمسيب بن نجبة الفزاري والناس يتبع بعضهم بعضا
ورحل ابو عبيدة بالحاجز والقضاعي وبقية الجيش وسار في اثر المسلمين
ومعه جماعة من عرب اليمن فسلك على بر البقاع والبوة فلما وصل الى
هنالك بعث خالد بن الوليد معه الى حمص وقال له يا ابا سليمان انفذ
على بركة الله وحسن عونه واسبق الى القوم ولازمهم وشن الغارات على
ارض العواصم وما يلي بابه من بلاد حلب وبلاد قنسرين ولعل الله ان يسهل عليك
فتحها وانا اسير على مهل مع الاثقال حتى الحقك فاذا فتح الله علينا فنسير
اليك بعلبك ولعل الله تعالى ان يسهل علينا فتحها ثم ودعه وسار خالد بمن
معه وهو ثلث الجيش الى حمص وبقي ابو عبيدة مع الثقل والحريم ومن
معه يمشي بمشيتها فبينما هو في بعض الطريق اذ قد ورد عليه بطريق بو
حوشنية ومعه الهدايا والتحف وهو يطلب الصلح وقال له اذا فتحتم
حمص وبعلبك فعاهدنا بين ايديكم فلا نخالفكم فوافقه ابو عبيدة
سنة كاملة على خمسة الاف درهم وخمسمائة ثوب من الديباج فلما
انبرم الصلح والتزمه البطريق بقومه سار ابو عبيدة الى حمص يلحق بخالد
وكان خالد قد سبقه اليها بثلث الجيش فنزل عليها يوم الجمعة في شوال
سنة اربعة عشر من الهجرة وكان عليها واليا بطريق من قبل الملك هرقل
وكان اسمه نفيل بن كركر وكان فرسات يوم نزول خالد بن الوليد عليهم فلما
ان اهل حمص نزول خالد عليهم اجتمعوا وخرجوا لقتاله فشنها خالد عليهم
غارة واحدة فانهزموا امامه فلما كان بعد ايام نزل عليهم ابو عبيدة بسائر الجيش
والحريم والثقل والاولاد فهالهم ذلك فتحير اولاد الكفر من نزول المسلمين عليهم
بجمعهم وجميعهم اجتمعوا في كنيستهم المعظمة عندهم فقالت بطارقتهم
واكابرهم وقسيسهم حاضرون معهم ان صاحب الملك قريبات وليس عند الملك

خ السباع

خ بشنة

خبر

يحمي بحوزته وهولاء العرب قد نزلوا علينا وما كنا نظن انهم يفعلون ذلك
ولقد حسبنا انهم لا ينزلون علينا حتى يفتحوا حوشية وبعلبك فان انتم قا
تلتموهم وكان منكم الى الملك ان ينفذ لكم والينا جيشا فانه لا يقوى العرب
ان يقاتلوه على بعد ولا يمكن لاحد من جنود الملك وجيوشه ان يصل اليكم معهم
وليس عندكم طعام يقوم بكم للحصار ولو مدة قليلة فقالوا للقسيس ايها
الشيخ فما الذي ترى فقال انهم ان تصالحوا القوم على ما اراه وامنا ونقول لهم نحن
لكم وبين ايديكم ان فتحتم حلب وقنسرين والحاضر ونحن منهم جيش الملك
واذا توجه القوم عنا بعثنا الى الملك وكتبنا اليه يمدنا بجيش عرمرم ووالي
قبيلته واهل بيته او من يحبه ويستوثق لنا وله من الطعام والعدد والعدد
ما يكفينا واياه جميعا وبعد ذلك نقاتلهم فاستصوب القوم رايه وقالوا
له ذهب لنا ايها القسيس بحسن رايك وصلاح تدبيرك فبعث القوم الى ابي عبيدة
جاثليقا وكان عندهم معظما ليعقد لهم الصلح بينهم وبين المسلمين فخرج
الجاثليق وسار حتى وصل الى ابي عبيدة فتكلم معه في امر الصلح وحدثه
بما تحدث به البطريق بون وانهم ان ملكوا حلب وقنسرين والعواصم وانطاكية
فهم في عقدة الصلح ويؤدون الجزية بعد ذلك فاجابهم ابو عبيدة الى
ذلك وانه يمضي الى حلب وقنسرين والعواصم وانطاكية ويرجع اليهم
على انهم يؤدون الجزية وصالح اهل حمص على عشرة الاف دينار وثمانمائة
ثوبا من الديباج وعقد الصلح بينهم سنة اولها هلال ذي القعدة واخرها
شوال سنة اربعة عشر من الهجرة من السنة الاتية فلما تم الصلح مع القوم
واخرجوا السوق الى عسكر المسلمين من جهة بيتهم فباعوا عندهم واشتروا
وراوا سماحة العرب في بيعهم وشرائهم ما لم يكن في علمهم وربحوا معهم ربحا وافيا

ذكر غارات خالد بن الوليد ومصعب بن محارب اليشكري على ارض العواصم والمعرات وما يليها من حلب

قال ابو عبد الله الواقدي رحمه الله تعالى ورضي عنه
ثم انه لما تم الصلح لاهل حمص والمسلمين جمع ابو عبيدة بن الجراح خالد بن

الوليد رضي الله عنهما وضم اليه اربعة الاف فارس من لخم وجذام وكندة
وطي وبهران وقال له يا ابا سليمان سر بهذه الكتيبة واقصد بها المعرة
واقرب من حلب وشن الغارات على ارض العواصم وما حولها من البلاد وارجع
على اثرك ونحن نعقبونك يمينا وشمالا ولا تغب عن المسلمين وانت اهل لكل الفخر
نجدة وحامية امرا فاجابه خالد رضي الله عنه الى ذلك واخذ رايته وتقدم امام ال
الكتيبة وهو يقول • اخترتها والملك العظيم ۞ انتم جنود ربي الكريم •
• امضي بسيفها اسر غشوم ۞ لاجل ان الفخر قال الى وم
• فانني ليث بني مخزوم ۞ وصاحب المجد الكريم •
فسار خالد حتى وصل الى شيزر فاقام بها يومه على عزم المغلوب ثم دعا
بمصعب بن محارب اليشكري فعقد له راية الزحف معه وضم اليه خمسمائة فارس من قومه
وامره ان يشن الغارات على ما يلي فامر حلب الى العواصم فسار اليها وسار خالد
الى كوكان وعرج منها الى المعرات الى دير سمعان وجعلت خيله تغير يمينا
وشمالا على ما يتبعها من القرى وتاخذ الغنائم والاسرى فلما ثقلت ايديهم
بالغنائم رجع خالد الى ابي عبيدة بما معه فلما نظر ابو عبيدة الى ما معه
من الغنائم والاموال والاسرى فرح بها وحمد الله شكرا وجعل يسال خالد ال
امر الكواي البلاد التي غار عليها فبينما ابو عبيدة كذلك يسال
خالدا اذ سمع ضجة عظيمة قد ارتفعت بالتهليل والتكبير واذا بجماعة
من المسلمين وفرسان الموحدين قد اقبلوا ومعهم سواد عظيم فقال ابو
عبيدة ما هذا ومن هؤلاء يا ابا سليمان فقال خالد ايها الامير هذا مصعب
بن محارب اليشكري عقدت له راية على خمسمائة فارس من قومه من اهل
اليمن وانه غار بهم على ارض العواصم وقد اوتي بالسبي والاموال والغنائم
فتلقاهم الامير ابو عبيدة فنظر الى سرح عظيم من البقر والغنم وبراذين
عليها رجال ونساء وصبيان واطفال وخلفهم دوي عظيم وبكاء شديد
وضجيج فقصد ابو عبيدة الضجيج واذا بهم اهل الضياع من الاعلاج من
في الجبال وهم يبكون على عيالاتهم وخراب ضياعهم ونهب اموالهم فقا

196

ابو عبيدة للذي جاءه وكان لا يعرفه قل لهم ما لكم تبكون ولم لا تدخلون
في ديننا دين الاسلام او تطلبون الذمام او كنتم آمنين على انفسكم وعلى
اولادكم واموالكم فقال لهم الذي جاءه ذلك فقالوا نحن اقوام كنا بالبعد وانما
كانت الاخبار تتصل بنا وتبلغ الينا وما ظننا انكم تبلغون لعدونا او تقفو
مون علينا بما نشتهي فاخترايش فاعلينا بهولاء القوم فانتهبوا اموالنا
واخربوا اما عنوة وساقونا باولادنا وعيالاتنا في الجبال الساري وكان القوم
الاعلاج زهاء على اربعمائة علج فقال لهم ابو عبيدة فان مننا عليكم واطلقناكم
من اسركم ورددنا اليكم اولادكم واهاليكم فهل تكونون في طاعتنا
وتودون الجزية والخراج الينا وتكونون عونا لنا فقالوا اصنع علينا بذلك ونحن
نفعل كلما تشترط علينا فعند ذلك اقبل ابو عبيدة رضي الله عنه على
وجوه المسلمين وقال لهم ايها الناس انه رايت من الراي ان نمن على هولاء القوم من
القتل ونرد عليهم عيالاتهم ويكونون لنا عونا عيونا وناخذ منهم جزيـ
ـتهم وخراجهم ويعمرون الارض فما انتم قايلون فما كنت بالذي اقطع امرا
دونكم فقال له المسلمون الامر امرك والراي رايك ايها الامير فان رايت
ذلك صلاحا للمسلمين فافعله فعند ذلك فرض على كل راس منهم اربعة
دنانير من السنة الى السنة ممن بلغ الحلم وبذلك كتب امير المومنين عمر بن
الخطاب رضي الله عنه ورد عليهم ابو عبيدة اموالهم واولادهم وعيالاتهم
واطلقهم من اسرهم واخذ عليهم عهدا اداء الجزية في ضياعهم وكتب اسماءهم
واسماء حصونهم وامرهم بالرجوع الى بلادهم وقراهم فرجعوا الى اوطانهم
فرحين بما فعل معهم المسلمون وسامحوهم به بعد ان كانوا قد ايسوا من
انفسهم فلما استقروا في بلادهم اخبروا من كان بالقرب منهم بحسن
سيرة العرب وعدلهم وما عاملوهم به واطلقوهم عليه من الجميل باداء
الجزية والخراج وقالوا الكل من يقدم عليهم ولقد ظننا انهم يقتلوننا و
ويستعبدون نساءنا واولادنا فخلونا واقرونا على اداء الجزية ودفع
الخراج فلما سمع الروم بذلك اقبلوا الى ابي عبيدة من كل جانب من جميع

كُلّ

الى ساتو والغمى والضياع في طلب الامان ويودون الجزية والخراج فاجابهم
ابو عبيدة الى ذلك وكتب اسماءهم واسماء حصونهم وقراهم

خبر مصالحة اهل قنسرين والعاصم انطاسية كاملة قال ابو عبد الله محمد بن اسماعيل بن عمر

الواقدي رحمه الله وكان على قنسرين والعاصم بطريق من بطارقة الملك
وكان من اهل الشرك والباس شديد البطش عظيم الاحتيال اسمه لوقا
وكان بينه وبين صاحب حلب في مملكته وسلطانه ولما بلغه ان يوقنا فـ
دعا بنفسها اليه حين خرجت العرب بجيوشها الى الشام وجعلوا يفتحون
في اول امرهم واختبر هممهم في امر العرب فقالا له ايها الملك ما كنا بالذي نرد
ملكنا من غير ان نلقى العرب ولا ان نبلو عندهم بلاء حسنا فحين اتيها الملك
ونشكر انهما وعداه ان يبعث لهما جيشا وكانا يشتغلان بذلك وكان
مع كل واحد منهما عشرة الاف فارس الا انهما لا يجتمعون في موضع واحد
وكان اهل قنسرين والعاصم بلغهم الخبر ان ابا عبيدة يعطي الامان لمن
قصده فاحبوا ان ياخذوا الامان لانفسهم واهليهم امانا من ابي عبيدة فاجتمعوا
على ذلك واجمعوا على ان يبعثوا رسولا الى ابي عبيدة ليأخذ لهم الامان
من غير علم بطريقهم وكانوا يخافون منه من شره ويسطونه ومكره
فلما سمع البطريق صاحب قنسرين والعاصم ما عزم عليه اهل بلده من الصلح
لابي عبيدة غضب غضبا شديدا وعزم ان يجمع عسكره ويلقى بهم جميع
اهل قنسرين والعاصم اليه وقال لهم يا بني الاصفر وعباد الصليب ما تريدون
ان تصنع في امر هؤلاء العرب وكانكم بهم وقد اقبلوا الينا فغنموا بلدنا
كما غنموا سائر البلاد فقالوا له ايها السيد قد بلغنا انهم اهل وفاء وذمة
وقد فتحوا اكثر بلاد الشام فمن قاتلهم قتل وغلبوه واستعبدوا
اولاده واهله ومن دخل في ذمتهم اقروه في بلده وكان امنا من سطواتهم
والراي عندنا ان نصالح القوم ونكون نحن امنين على انفسنا واهالينا واموالنا
فقال لهم البطريق قد قلتم فاحسنتم وبالصواب تكلمتم واشرتم [illegible]

198

العرب قوم منصورون على من قاتلهم فاذا انعقد معهم الصلح سنة
كاملة الى ان يوافينا جيش الملك فنعقدها عليهم ونعمر امنون فتهلكهم
عن اخرهم فقالوا له افعل ما رأيت واتقوا راي ابيهم فمشى بين العام مع البطريق
على الصلح في قلوبهم الغدر والمكر فصرعا الوفا برجل من اصحابه اسمه
صطخر وكان فصيحا عالما بدين النصرانية وبدين اليهودية وكان قد قرأ في
الدينين وفصيح اللسان بالعربية فقال له البطريق يولوقاس صر الى امير العرب
وقل له يصالحنا سنة كاملة حتى يوافينا جيش الملك فنبيد القوم
بالحيلة والخدائع وكتب البطريق يولوقا كتابا الى ابي عبيدة يقول فيه بعد كلمة
الكفر من دينه اما بعد يا معشر العرب فان بلدنا بلد مانع كثير المعونة
والزاد والماء وما تؤتى من قلة وانكم لو اقمتم علينا اربعين سنة ما قدرتم
علينا وان الملك هرقل قد استنجد عليكم الرومية من جميع الاقاليم الرومة
الكبرى وانا قد بعثت اليكم اصالحكم سنة كاملة حتى نرى البلاد لمن
تصير ونحن نصالحكم من امر الملك هرقل فلا يعلم بنا فيقتلنا وانا نريد
منكم ان تجعلوا بيننا وبينكم علامة من حيز بلادنا من ارض قنسرين
والعامر وبلاد العواصم حتى اذا همت العرب الغارات عليها رأت العلامة
رجعت ثم خلع على صطخر خلعة سنية واعطاه بغلة من مراكبه
وعشرة غلمان فسار صطخر حتى ورد على ابي عبيدة يصلي بالناس صلاة
العصر فوقف صطخر ينظر ما يفعلون فلما سلم المسلمون من صلاتهم
نظروا الى صطخر ومن معه فعلموا انه رسول فدنا منه عبد الله بن ربيعة
وقال له من انت فقال له القس انا رسول ومعي كتاب احمله الى ابي عبيدة فمثله
بين يديه وهم القس بالسجود فمنعه ابو عبيدة من ذلك وقال له نحن عبيد
الله عز وجل منا شقي وسعيد فاما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير
وشهيق خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك ان ربك
فعال لما يريد واما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات
والارض الا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ فبقي صطخر لا يرد جوابا وهو

يتعجب مما تكلم به ابو عبيدة فقال له خالد ما شأنك ايها الرجل ومن انت
ورسول من انت فقال صطخي انا امين القوم فقال خالد للابن هذا امين فاف
صطخي انا رسول صاحب قنسرين والعواصم البيكي ثم اخرج الكتاب ودفعه
الى ابي عبيدة فاخذه ابو عبيدة وقرأه على المسلمين فلما سمع خالد ما فيه
من صلحهم لبلدهم من كثرة عددهم وزادهم وما هو بينهم وتمد بين
بعضنا نعم قال فحرك راسه وقال لابي عبيدة ايها الامين وهو من ايدنا بالنـ
والهداية والاسلام وجعلنا من امة محمد عليه الصلاة والسلام ان هذا
الكتاب لمن رجل لا يرى بو الاشبه فان جاءت جنود صاحبهم وراوا القوة
جانبهم نقضوا عهدنا وكانوا اول يقاتلنا وان راوا الغلبة دعربوا الـ
كانوا عينهم ثم قال الصطخي فان انت اردت ان تعقد الامر معكم على الامر
الامر معكم على الانواع وكم الحرب الانسنة كاملة فان لحوبكم جيش
من الملك هو قلم يفاذه الحسنة فلا بد لكم من قتاله فمن قاتلنا منكم
فلا صلح له ومن اقام منكم في المدينة ولم يقاتل مع الجيش فهو في صلحنا
لا نعرض له فقال صطخي فانا جئتك الى ذلك فاكتب لي كتابا فقال خالد
ايها الامين اكتب له كتابا لموادعة الحرب سنة اولها هلال ذي العقدة
من سنة اربعة عشرة من الهجرة واخرها هلال شوال من سنة خمسة
عشرة من الهجرة فجعل ابو عبيدة ذلك وصالحهم عليه وعلى فعواله ما
اتفقوا عليه من المال والثياب وعن عمرو بن عبد الله الغنمي عن
سلم بن قيس عن ابيه قيس عن من حدثه عن سعيد بن عبادة قال
كان صلح المسلمين لاهل قنسرين والعواصم على اربعة والاف دينار ومائة
اوقية من الفضة والف ثوب من متاع حلب والف وسق من الطعام وقال
عامر بن رفاعة هكذا سمعت من معاذ بن جبل الا انه قال واربع مائة
وسق من الطعام قال فلما فرغ ابو عبيدة من كتب كتاب الصلح قال له
صطخي ايها الامين بلدنا معروف وبازاينا صاحب حلب ونحن نريد ان تجعل بيننا
بيننا وبين غيرنا من الروم علامة للمسلمين ليكون اصحابك لا يجاوزونه الا

بعارة

في غاراتهم فرضي ابو عبيدة بذلك وقال له لقد قلت فاحسنت فانا
ابعث معكم من يحضر ذلك لكم فقال بطريق ما نبعث احدا من اصحابك بل
نحن نصنع عمودا وننصبه وتكون عليه صفة الملك هرقل فاذا راه اصحابك
فلا يتعدونه فقال ابو عبيدة افعل ذلك وانا اتقدم في الناس
واعلمهم به فرجع اليه الكتاب ونادى ابو عبيدة في المسلمين من اصحاب
الغارات ونهاهم عن مواشي المسلمين من لحق الى العمود الذي يجعلون عليه
التمثال ولا يتعداه ولا يجاوزه ولا يجاوز العمود منكم احد وليبلغ الشاهد
الغائب فرجع بطريق الى صاحبه بحلب يوقنس بن والعاص ودفع اليه
الكتاب واعلمه بما جرى له مع خالد من الخطاب ففرح بذلك وعمل الى عمود
وصنع عليه صورة الملك هرقل كانه جالس في قبة ملكه بعد ان بعث
بما اتفق عليه الصلح مع المسلمين من الذهب والفضة والثياب والطعام
وكانت خيول المسلمين تمضي في غاراتها الى قرب حلب وانطاكية وقد
يجيئون عن حدود قنسرين بين والعاص ولا يقربون من العمود الذي عليه الصـ
الصورة وكان ذلك دابهم وعادتهم وعن ملتمس بن ابي عامر
قال كنا في بعض الغارات اذ نظرت الى العمود وعليه صورة هرقل
فتعجبنا منه وجعلنا نحوم حوله ونحن نلعب بخيولنا ونعلمها الكر والفر
وكانت بيد ابي جندلة بن سهل قناة تامة الطول فقرب من العمود ففقأت
به عينه من الصورة وهو لا يدري بذلك فبقيت عين الصورة من غير نظر وكان
قوم من الروم من غلمان صاحب قنسرين قد وكلهم البطريق يحفظون العمود
الذي عليه الصورة فرجعوا الى البطريق واعلموه بذلك وحدثوه بامر
العرب فصرخ البطريق ودفع اليه صليبا من الذهب واسلم اليه مائة فارس
من اعلاج الروم مع الغلمان الذين كانوا يحرسون العمود وامره ان يمضي معهم
وقال له اذهب الى امير العرب وقل له قد غدرتم بنا ولم توفوا فاتى الى ابي عبيدة
والصليب على راسه فلما دنا من المسلمين نظروا الى الصليب وهموا ان يقع
اسرعوا اليه وينكسوه فوثب ابو عبيدة قائما واستقبلهم وقال العلج

من انتم فقال له صطحي انا الذي كنت الرسول اليكم من صاحب قنسرين
يقول لكم انكم قد غدرتم بنا ونقضتم عهدنا ولم توفوا بذمتنا فقال ابو
عبيدة وما كان سبب نقضنا الصلح لكم ومن نقضه منا فقال صطحي نقض
الذي فقا عين ملكنا فقال ابو عبيدة وحق رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما علمت بذلك وسوف اسال عن هذا الامر ثم نادى ابو عبيدة معاشر
العرب من فقا عين التمثال فليخبرنا فقيل له ابو جندلة عامر بن سهيل صنع
ذلك من غير تعمد فقال لهم ابو عبيدة فما الذي يرضيكم منا قالت الاعلاج
لا نرضى حتى نفقا عين ملككم بربور ان ينظروا بذلك الى ولاة المسلمين
فقال ابو عبيدة فها انا فاصنعوا به مثل ما صنع بصورتكم فقالوا لا نرضى
بذلك منك الا بملككم الاكبر الذي يلي العرب كلها فغضب المسلمون
اذ ذكروا امير عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهموا بقتلهم فنهاهم ابو عبيدة
عن ذلك وقال لهم ان ملكنا امنع من ذلك وقال لهم المسلمون نحن دون اميرنا
نفديه بانفسنا ونفقا عيوننا دونه فقال صطحي عندما نظر الى المسلمين
قد هموا بقتله وقتل من معه لا نفقا عينه ولا اعينكم ولكن نصور
صورة ملككم على عمود ثم نصنع بها مثل الذي صنعتم بصورة ملكنا
فقال المسلمون ان صاحبنا ما صنع ولا فعله متعمدا وانتم تريدون
التعمد فقال ابو عبيدة للمسلمين مهلا عليكم يا قوم فاذا رضي القوم
بصورة فانا اجيبهم الى ذلك لا يعمروا ولا يتحدث القوم عنا انا عاهدنا
ثم غدرناهم فان هولاء القوم لا عقل عندهم ثم اجابهم ابو عبيدة الى
ذلك فصوروا الروم صورة مثل صورة ابي عبيدة على عمود وجعلوا له
عينين من الزجاج واقبل رجل منهم حتى فقا فلقا عين الصورة برمحه ثم رجع
صطحي الى صاحبه بقى بن قنسرين فاخبره بذلك فقال لقومه بهذا
الامر بلغوا ما يطلبون وبهذا الفعل يتم لهم ما يريدون واقام ابو عبيدة
عليهم بقيتهم في وقت السنة ثم ينظر ما يفعل بعد ذلك

ذكر فتح صلح المسلمين لاهل الشام

صح ورمم
ففقا

وحماة وشيزر قال ابو عبد الله محمد بن عمر الواقدي رحمه الله ولما

ابطا خبر ابي عبيدة على امير المومنين عمر بن الخطاب رضي الله عنهما اذ لم
يرد له كتابا ولا فتحا انكر ذلك من امره وظن به الظنون وحسب انه قد
داخله الجزع والجبن وانه قد ركن الى القعود فكتب اليه كتابا يقول فيه
بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر بن الخطاب امير المومنين
الى ابي عبيدة بن الجراح سلام عليك وعلى من معك من المسلمين ورحمة الله و
بركاته وبعد فاني احمد الله الذي لا اله الا هو واصلي على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم
وامرك بتقوى الله تعالى واحذرك عن معصية الله وانهاك ان تكون من الذين
قال الله تعالى فيهم في كتابه العزيز على لسان نبيه الكريم قل ان كان
اباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال
اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم
من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى ياتي الله بامره ان الله
لا يهدي القوم الفاسقين وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وامام
المرسلين والسلام عليك ورحمة الله وبركاته ودفع الكتاب اليه فلما
ورد عليه وقراه على المسلمين علموا انه يحرضهم على الجهاد ولم يبق احد
من المسلمين الا وبكا من كلام كتاب عمر رضي الله عنه وندم ابو عبيدة على
صلحه مع اهل قنسرين والعاص وقال المسلمون ايها الناس فما الذي ترون
فقالوا ايها الامير وما الذي يقعدك ويقعدنا عن الجهاد فدع اهل قنسرين
والعاص واقصد بنا مدينة حلب وقلعتها الى ان نملكها ان شاء الله تعالى
ويكون قد انقضى الاجل فنرجع حينئذ اليهما فعزم ابو عبيدة على المسير
الى حلب وعقد راية لمصعب بن محارب اليشكري وعقد راية اخرى لسهل بن
عمر واخرى لعياض بن غانم وامرهم بالمسير على مقدمة الجيش واتبعهم
خالد بن الوليد وسار ابو عبيدة ببقية الجيش مع الاموال والحريم في اثرهم
فاخذوا جدهم يقيمون على الرستن فصالح اهلها ثم اقبل منها الى حماة فاتى

اليه اهلها ومعهم الانجيل فخرج معها اهلها من القسيسين والرهبان وو
امام القوم يقلبون لهم منهم الصلح فلما راهم ابو عبيدة وقف لهم وقال لهم
ما تريدون قالوا نريد ان نكون في صلحكم وعهدكم فانتم احب الينا من
فصالحهم ابو عبيدة وكتب لهم كتابا بالصلح والزمام وسالوه ان يكون
عندهم رجالا من المسلمين فتركهم عندهم ثم رحل وسار حتى نزل
شيزر فاستقبله اهلها فصالحهم ايضا على ما ارادوه وقال لهم هل سمعتم
للطاغية هرقل خبرا قالوا ما سمعنا عنه والله خبرا غير انه قد اتصل بنا
ان بطريق قنسرين كتب الى هرقل يستنجده عليكم ويدعوه الى نجدته و
بعث اليه جبلة بن الايهم الغساني في غسان والعرب المتنصرة ومعه بطريق
عمورية في عشرة الاف فارس وانهم قد نزلوا بعسكرهم على جسر الحديد
وكن منهم على حذر فقال ابو عبيدة حسبنا الله ونعم الوكيل وبه عـ
كل الامور الاستعانة والتكلان

ذكر سبب اتفاق صلح قنسرين وفتحها وتقدم جبلة بن الايهم الغساني ومن معه وفتحها قال ابو عبد الله محمد بن اسماعيل الواقدي رحمه الله تعالى ورضي عنه

ولما سمع ذلك ابو عبيدة من اهل شيزر وان صاحب قنسرين
قد كاتب بالصلح وان النجدة قد جاءت اليه من عند الطاغية هرقل اقام ابو
عبيدة بشيزر وهو متحير في امره واقبل يؤامر نفسه هل يسير الى
قنسرين اذ اجمع ما بينه وبينهم من الصلح والعهد وكان بقي منه شهر
او اقل منه ويقيم ينتظر انفصال العهد ويقول مرة اسير الى حلب ومرة
يقول اسير الى انطاكية فجمع المسلمين اليه وقال لهم ايها الناس انه قد
بلغني ان بطريق قنسرين قد كاتب الى هرقل يستنجده علينا وما عندي
الا انه قد ضمر في قلبه الغدر والمكر والخديعة بصلحه لنا فقال له خالد
بن الوليد ايها الامير ان الحال كلامهم بل على حيلة ومكر وخديعة

ولم تزل

ولم تزل يرحمك الله في غفلة عن هذه فقال له ابو عبيدة يا ابا سليمان
والله ما تنفعه حيلة ولا خديعة ولا مكر والله من ورائه بالمرصاد فما انتم
فاعلون فقالوا له نقيم هنا الى ان يقضي ما يكون بيننا وبين صاحب قنسرين
والحاضر فاقام ابو عبيدة ينتظر ما يفعل العدو قال وكانت عبيد العرب
يأتون بالحطب من جوانب الشجر والزيتون والى ما رفع ذلك على ابي عبيدة
ودعا بالعبيد وقال لهم سيروا النكير فالله ما هذه الا العساكر فقالوا ايها الامير
ان الاحطاب منا متباعدة وهذه الاشجار منا متقاربة لا يمكننا غير هذه في
الغربا فقال ابو عبيدة عزيمة مني على كل حر وعبد فليقطع شجرة من الاشجار بيته
ونكلت به فلما سمع العبيد ذلك خافوا النكال فاقبلوا يأتون
بالحطب من بعيد **وقال سعيد بن عامر** فكان عندي عبد حبشي
اسمه ملهمع وكان جريء القلب في القتال وقد شهد معي الوقائع والحروب
وكان يقاتل بالمقلاع اكثر من قتاله بالسيف وكان اذا خرج في غارة او طلب
حطب يتغول فيمنع الى عن رفقائه ويبعد عنهم فخرج هو وجماعة من اهل
بيتي مع العبيد ذات يوم يحتطبون فابطا خبره عني فركبت جوادي
وخرجت في طلبه فجعلت اقفو اثره واذا بشخص قد لاح لي فقصدته
فاذا هو عبدي مشروخ الراس وقد سال دمه على وجهه قال سعيد
فقلت له ما وراءك يا ملهمع من الاخبار فقال هلكت يا مولاي فقلت ويلك
يا ابن السوداء حدثني بخبرك ثكلتك امك فلم يكن ان يقف حتى
سقط على وجهه ولم يقدر ان يقوم فنزلت اليه ونضحت على وجهه ماء فسكن
ما كان يجده من الالم فقال لي يا مولاي انج بنفسك والا ادركك القوم
وصنعوا بك مثل ما صنعوا بي فقلت ومن القوم فقال يا مولاي لا ادري غير
اني خرجت ومعي جماعة من الموالي نحتطب حطبا فبينا نحن كذلك واذا
نحن بكبكبة عظيمة من الخيل زهاء على الف فارس كلهم عرب متنصرة
وفي اعناقهم الصلبان وهم متقلدون بالسيوف وبايديهم الرماح فلما
نظروا الينا قصدوا نحونا وداروا بنا واحدقوا حولنا وهموا بقتلنا

فقلنا لاصحابه دونكم واياهم فقال الوالي ويحك وكيف نقاتل من لا طاقة
لنا به من هذه الكتيبة ومالنا نقاتل القوم ونلقي بايدينا الى التهلكة
والاسر اهون علينا من القتل فقلت والله لا استسلمت اليهم دون قتال ابدا
فلما عاينوا مني الجد حملوا علي فقاتلنا القوم فقاتلونا فاسروا منا
عشرة واما انا فعنتت بالجراح فسقطت على وجهي في جملة القتلى وبقيت
مقمعا كما ترى **قال سعيد بن عامر** فغمني ما اتى ابا العيس
والغلام فارقته خلفي وانقلبت اريد الى جوع واذا انا بخيل من وراء كان
الريح العصوف فادركوني وداروا حولي واذا هم خيل غسان متقلدين
بالسلاح وهم يصيحون نحن غسان من حزب الى جفنة والطلبان فناديت
انا من حزب محمد المختار صلى الله عليه وسلم فاسرعوا الي وهموا ان يعلوني
بالسيف فناديته يا ويلك اتقتل رجلا من قومك فقال بعضهم من ابن
الناس انت فقلت من الخزرج الكرام فرد السيف عني وقال انت طلبة
الامير جبلة بن الايهم وهو المسيح فقلت ومن اين يعرفني جبلة حتى
يطلبني فقال الوالي انه يطلب رجلا من اليمن من انصار محمد ثم قال الوالي سيروا
بنا الى الاسرى كارها فسرت معهم والعين معي حتى اشرفنا على
جيش كبير وعسكر عظيم فلم ازل مع القوم حتى اتوا مضرب جبلة بن
الايهم واذا به جالس على كرسي من الذهب وعليه ثياب الديباج وعلى
راسه شبكة من الجوهر وفي عنقه صليب من الياقوت فلما وقفت
بين يديه رفع راسه الي وقال من اي العرب انت فقلت من اليمن فقال الى
اكرمت من اين انت فقلت انا من ولد حارثة بن ثعلبة بن عمرو القيس
بن عبد الله بن الازد بن عوف بن ثابت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبا
فقال من اي عنصر القبائل الذي انتسبت اليه فقلت انا من ولد الخزرج
بن حارثة من انصار محمد بن عبد الله نبي الله صلى الله عليه وسلم فقال
جبلة وانا من قومك انا من غسان فقلت له انت من القبيلة الذي نسبت
اليها فقال اجل انا جبلة بن الايهم الذي رجعت عن الاسلام كي لا اضـ

مرورا

الأرض صاحبكم أن يكون ناصر الفقراء الدين الذي أنتم عليه حتى ينقض
ويفادي مني وأنا صاحب غسان وسيدها فقلت يا جبلة أن أخو الله أوجب
من حقك وإن ديننا لا يقوم إلا بالنصيحة وإن عمر لا تأخذه في الله لومة لائم
فقال لي ما اسمك فقلت سعيد بن عامر فقال لي يا سعيد اوفي مجلسك فجلست
فقال لي كيف عهدك بحسان بن ثابت فقلت باي شاعر رسول الله صلى الله
عليه وسلم ومن قال فيه المصطفى أنت حسان ولسانك حسام فقال لي كم
لك منذ فارقته فقلت له عهدي به قريب وقد عاد الى دعوة ضعفا
وأنا مع عصابة من قومنا وأنشدنا

لله در عصابة نادمتها ... يوما تغلو بجلق في الزمان الأول
يغشون حتى ما تهر كلابهم ... لا يسألون عن السواد المقبل
بيض الوجوه أعفة أحسابهم ... شم الأنوف من الطراز الأول
الملحقون فقيرهم بغنيهم ... المشفقون على اليتامى المرمل
أولاد جفنة حول قبر أبيهم ... قبر ابن مارية الكريم الأفضل

ثم خرجنا الى الشام فهذا كان آخر العهد به فقال جبلة لم جعلت
لي تعرف المكرمة فقلت نعم فأمر لي بثوب من الكتان الرومي وفيه شيء
من الورق وقال إنما أمرت لك بالكتان كي تلبسه ثم قال لي ما كنت
تصنع في الموضع الذي أمرت فيه فقلت أن أصرف أو من ما تستعمله
العبد من دينه أنا من عسكر الأمير أبو عبيدة بن الجراح وقد قصدنا نريد
أنطاكية فقال جبلة بن الأيهم أن الملك هرقل قد بعثني أنا وتقدما
البطريق صاحب عمورية حتى نلتقي صاحب دمشق بن دانه فقد كاد كم
بصلحه لكم وقد بعث إليه وأنا أتشكره أن يلقانا ولكن ارجع الى
صاحبك أبو عبيدة وحذره منا ومن أسيافنا وليرجع من حيث قدم ولا
يقع في بلاد الملك فإنا نجود بالنصيحة بأنفسنا وأموالنا الذين الملك
وسوف نبيع من أين يكم ما أخذتموه من بلاد الشام وكنت جواده
وأردت قتالي ويعرت حتى أتيت عسكر المسلمين فأسمع الناس

الروف الوالي يا ابن عامر ان كنت بعد حزنا لفقدك فاتيت ابا عبيدة
وحدثته بشاني مع جبلة بن الايهم فقال له ابو عبيدة لقد خلصك الله تعالى
بسبب ذلك لحسان بن ثابت قال سعيد بن عامر ثم ان ابا عبيدة رضي
الله عنه جمع اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكافة المسلمين الى
المشورة وقال لهم ايها الناس ما ترون في هذا الامر وفي قصة هذا الكلب
وما تامروني به في قتاله فقال المسلمون له ما ترى وانت تقوم مقامنا والراي
رايك ونحن لك تبع فقال خالد بن الوليد رضي الله عنه وقال له ايها الامير
ان الكلب لمصرعه والله له بالمرصاد فان كان هو قد كاد فانطحه
بسوء تكبره انا بمكيدة اعظم من مكيدته فاسير اليه بعشرة من
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولعلي اظفر به فاقتله ثم قال
خالد ابن عياض بن غانم الاشعري وعبد الرحمن بن ابي بكر الصديق وعمرو بن
سعيد اليشكري وعمرو بن سهيل العامري ورافع بن عميرة الطائي وعمرو بن
معدي كرب الزبيدي وضرار بن الازور بن كارز الكندي والمسيب بن نجية
الفزاري وقيس بن هبيرة المرادي وسعيد بن عامر الانصاري رضي الله
تعالى عنهم فاجابوه بالتلبية فقال لهم خذوا اهبتكم وقال لهم
واجتمعوا الي بارك الله فيكم قال فتدرع القوم واخذوا اهبتهم و
جمعوا واتوا نحو خالد بن الوليد وقد تدرع بدرعه ولبس لامته وركب
جواده ثم قال لغلامه نعمان جئني معي حتى نخرج فجعل خالد بن الوليد
ومعه غلامه نعمان والعشرة وابو عبيدة يدعو لهم بالنصر والسلامة
قال ابو عبد الله الواقدي رحمه الله فلما سار خالد اقبل على
سعيد بن عامر الانصاري وقال له يا سعيد اخبرني كيف جبلة انه يا تيهم
الكفر بن صاحب قنسرين فقال نعم يا ابا سليمان فقال له خالد خذ بنا
الطريق الى عسكر جبلة بن الايهم فاخذ بهم على الطريق الى ... وساروا وكان
مسيرهم ليلا فلما كانوا في بواسيهم ووصلوا الى قريب من البيرا وسمعوا الاصوات
بعد انهم سعيد الى الطريق الذي يأتي عليه صاحب قنسرين وكمن خالد

فهناك بمن معه الى الصباح فلما بان لهم الفجر صلى خالد بالمسلمين صلاة الفجر وهم
مكمنون فبينما هم كذلك اذ اشرف عليهم جبلة بن الايهم وصاحب عمورية وهم
يقصدون ارض العواصم فقال المسلمون لخالد يا ابا سليمان اما ترى نحو الجيش
الذى اشرف علينا فعد الى صلح والهدن فقال خالد رضي الله عنه وما يكون من
كثرتهم اذا كان النصر لنا فاختلطوا بهم وكونوا من جملتهم كانكم من
جيشهم الى ان نلقى العدو فيجعل الله بعد ذلك ما يشاء فعند ذلك اختلطوا
بهم وساروا في جملتهم وهم سكوت لا ينطقون لانهم كانوا لا يعرفون بالروم
لا يعرفون قال رافع بن عميرة الطائي فلما اشرفنا على موضع
قال الامير لنا بلاد العواصم وتفتش بعضهم بعضا فتهيأ من استقبلنا وقد رفع
الاعلام وامامه الصلبان واخرج بين يديه الاقسة والرهبان وهم يقرون
الانجيل وقد ارتفعت منهم كلمة الكفر ودنا بعضهم من بعض فلما دنوا
من القوم اقبل العلج وخرج امام اصحابه لياتي الرجلة فسلم عليه وعلى صاحب
عمورية فاستقبله خالد مواجها له واصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
حوله وعليهم زي العرب المتنصرة فلما سمع جبلة قوله قال لهم العلج حي
سلمكم المسيح وابقاكم الصليب فقال له خالد يا ويلك ما نحن من عباد
الصليب ولكننا من اصحاب محمد الحبيب ثم كشف عن لثامه ونادى من رفيع
صوته وقال **لا اله الا الله محمد رسول الله** انا خالد بن الوليد
ثم القى يده في العلج ولبب ثيابه عليه واقتلعه من سرجه واتبعه اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اصحابه وسلوا عليهم السيوف وارتفعت
الضجة على اعداء الله بكلمة الكفر وضج المسلمون بكلمة التوحيد من
التهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير فسمع جبلة وصاحب عمورية
اصوات المسلمين بالتهليل والتكبير وضجة اصحابهم بالكفر فانزعجت
قلوبهم بذلك ونظر الى السيوف قد جردت والى الرماح قد شرعت
فصاحا باصحابهما احملوا عليهم فابتدروا نحو اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم وداروا بهم من كل جانب واحاطوا بهم من كل مكان فلما نظر خالد

الرماد لهم ونزل به وباصحابه الذين معه من الكرب العظيم والمتنصرة
والبطريق صاحب قنسرين معه في كبة لا يفارقه وقد ملك فؤاده وقد
خاف ان ينفلت من يده فلويه الارض وبعث بقتله ورفع عليه السيف ليعلو
به فيقتله فتبسم البطريق من فعله وعجب خالد من تبسمه وقال له وتضحك
مم تضحك فقال له البطريق اضحك من فعلك لانك مقتول انت ومن معك
وانت تريد قتلي فان ابقيت علي فقد ابقيت على نفسك واصحابك فتيكا
خالد وامر بقتله وسلمه الى عشرة تمام وقال لهم اوثقوه بالقيد ولا تبرحوا من
مكانكم فكانوا ما سكتوا بيده عن قتله ووقفوا حوله ثم صاح خالد باصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم كونوا حولي واحموا عني واحمي عنكم واصبروا
على ما نزل بنا ولا يغني عنكم ما رايتم من احوالكم ولا يهولنكم جمعهم
فان الشر ما تخافون منه الموت والقتل في سبيل الله امنيتكم وامنية خالد
بن الوليد معكم واني والله قد اشرفت نفسي للقتل في سبيل الله والفتنة
في مواضع التهلكة لعلي ارزق الموت وابلغ الشهادة واعلموا رحمكم الله
كانكم قد وصلتم الى رب كريم وسكنتم في دار لا يموت ساكنها ولا يهرم
شبابها لا يمسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين قال واجتمع اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى خالد ودارو حوله واحدقوا به فصار عبد
الرحمن بن ابي بكر الصديق رضي الله عنه عن يمينه ورافع بن عميرة الطائي عن شماله
وعبد الله بن تمام من ورائه والناس حولهم وهم محدقون به اقبلت نحوهم العرب
المتنصرة من غسان وغيرهم يقدمهم جبلة بن الايهم وفي عنقه صليب من
ذهب فيه صليب من الجوهر وعليه ثياب ديباج مثقل من فوق قباء درع مذهب
وقد اسبل عليه الى رجليه وصاحب عمورية الى جانبه وكانه برج مشيد من
ذهب ومن حوله المرتبة من الاعلاج وقد احدقوا بهم الجيش فلما عاين البطريق
صاحب عمورية خالد او راه قد ملك صاحب قنسرين وصير به اسير
وخاف ان يعجل عليه بالقتل اقبل على جبلة وقال ما يقول هؤلاء العرب الا شيئا كثيرا
الا ان قتلهم الرجلة العرب ومن معه وهم اثني عشر نفرا وقد احدقوا بهم هاهنا

الجيش طمعا العظيم وقد ملكوا صاحبنا وهو في ايديهم اسير وان خافوا عليه
ان يقتلوه فاخرج الى هولاء العرب وقل لهم يفدوا على صاحبنا ويرسله الينا ونعوض
عليه وعلى من معه بانفسهم فاذا اطلقوا صاحبنا ملنا عليهم فنقتلهم عن
اخرهم **قال رافع بن عمرو** فاقبل الينا جبلة بن الايهم وهو ينادي
بارفع صوته ويقول من انتم من اصحاب محمد اخبروني من انتم قبل ان يشرع بكم
الدمار فكان المتكلم منا خالد وقال يا جبلة نحن من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم
العرب وجئتم بالنصرانية والاسلام والقبلة والامام والانعام نحن الان من قبائل شتى
وقد جمع الله قلوبنا واحدة بسبب كلمة واحدة ونحن مجتمعون عليها وهي
لا اله الا الله محمد رسول الله فقال جبلة يا فتى العرب انت امير هولاء
القوم فقال خالد لسنا اميرهم ولاكن اخوهم في الاسلام قال جبلة من انت من
اصحاب محمد قال خالد انا العربي وقد بليت بني مخزوم انا خالد بن الوليد وهذا الذي عن
يميني عبد الرحمن بن ابي بكر الصديق وهذا الذي عن شمالي رجل من كرام قبائل اهل
اليمن من كرام حمير فقال له رافع بن عمرو الطائي وذا الذي اخترت من كل قبيلة
شجاعها المعروف وبطلها الموصوف وما انتم عندنا في القتال الا كعبيد وقع
عليها صايد فعاد الى الشبكة عليها فما قلت منها الا النجيب فلما سمع جبلة
كلام خالد غضب غضبا شديدا وقال ستعلم يا ابن مخزوم ان كلامك عليك
مشوم اذا دارت بك الاسنة وفرقت منك الاسنة فقال له خالد ومن انت من
العرب الذي سعيت لعبادة الصليب قال جبلة انا امير غسان ومن ملوك
همدان انا جبلة بن الايهم فقال له خالد الله اكبر انت الذي اخترت على الاسلام الكفر
والردة والشقاء والضلالة على الهدى فقال جبلة ليس كذلك انا الذي اخترت العز على
الذل فقال له خالد فانك لعلها انفسك لحين وانما الذي امنه في دار البقا والبعد
عن دار الشقا فلما غضب جبلة من كلام خالد وقال يا اخا بني الاصغر مخزوم لا تعد
علينا في القتال وانما ابقاء عليك وعلى اصحابك لسبب هذا الاسير الذي في يديك
لاني اخاف ان احمل عليك فتقتله وهو معظم عند الروم عظيم عند الملك وقريب
منه في النسب فاطلقه من يدك لنبقي عليك وعلى من معك لانكم قوم

فليلون ونحن جمع كثير فقال خالد اما اسيركم فبالله ما احلفه من يوم حتى ولا ابالي ما
تصنع بعده واما قولك انك تفدي عني وعن من معي بمن معك من جيشك فيا
انصفت في المقال فان اردت الانصاف في القتال فجمعكم عظيم وعددكم كثير ونحن
اثنا عشر رجلا وقد احدقت بنا اعنة خيولكم فابرزوا الي واحدا بعد واحد
ونصف السبي الذي معنا فان قتلتمونا فاسبوا ما في ايديكم نسبيكم وان فتح
الله بكم فان النصر من عند الله يؤتيه من يشاء فلم يعظم عليكم هلاك السبي
اذا هلكت انفسكم قبله فنكس جبلة راسه وجعل يحدث صاحب عمورية
بجواب خالد فاهمي الذي يؤدي الغضب وانتضى سيفه من غمده واراد المبا
فلما هم صاحب عمورية بالقتال سكنه جبلة واوقفه مكانه وقال
جبلة لخالد ان الذي ذكرت وقلت وهؤلاء بنو الاصفر قد رضوا منك
بالمبارزة فمن احب منكم المبارزة فليبرز وكان خالد الذي البكري يوم وقد جرد
سيفه وقد غضب فعلم انه يريد القتال فهم خالد بالبراز فمنعه عبد الرحمن
بن ابي بكر الصديق وقال يا ابا سليمان روح رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا يبرز لهؤلاء اللئام فتكلفني فيهم فان لك الجمهور فيهم فلعل الله يبلغ
فتركه خالد فعند ذلك خرج عبد الرحمن بن ابي بكر رضي الله عنهما من بين اصحابه
وهو على جواد كان لعمر بن الخطاب رضي الله عنه فجال عبد الرحمن في الميدان
بين الروم والعرب ثم اقبل عليهم ودعا الى البراز وقال ويحكم يا بني الاصفر
انا عبد الرحمن بن ابي بكر الصديق رضي الله عنه وانشا يقول

انا ابن عبد الله ذي المعالي — والشرف الدائم والكمال
ابي عتيق الصادق المقال — والمعتدي والمجد والافضال
افني بسيفي جملة الارذال — لا ارهب الموت ولا ابالي

فخرج اليه خمسة فوارس من شجعان الروم فما كان يجول معهم عبد الرحمن الا
من جولة واحدة في ساعة واحدة حتى صرعهم قتلى وجدلهم على الارض قتيلا
بعد قتيل فقتل الخمسة وهم بالجملة في قلب عسكر الروم واذا قد خرج
اليه جبلة بن الايهم وقد اشتد غضبه فقال له يا غلام لقد نعيت علينا

في فعلك وتعيب في قتالك وتعيب في نزالك فقال عبد الرحمن وكيف ذلك
وما النعرة والبغي من شيمتنا قال جبلة لأنك قد ملأت الأرض من قتالنا
وما خرجت إليك على أن أقاتلك فإنك غير كفو وإنما خرجت لأن رجلا من
أصحابك قد خرج ليعيبك علينا وليبرهن أنه من شيم الإنصاف ولا من فعل أهل
الأشراف ولقد قال غانم وكان ممن حضر فتوح الشام أن عبد
الرحمن لما سمع كلام جبلة تبسم وقال يا ابن الأيهم أتريد أن تخدعني وأنا قد
شهدت المواقف ولله لا أولين من قبل الخيل فاخرج معك أخا من قومك إن كنت
صادقا وأحملا علي فإنه كفو كريم فلما نظر جبلة إلى عبد الرحمن وأنه لا يولين
من قبل الخيل عجب من فعله وجوابه وقوله فقال له جبلة هل لك أن تمسك
جماء المعمودية غمسة تخرج بها نقيا من الذنوب كيوم ولدتك أمك وتكون
من حزب الصليب فاسمع إلى ما ذكرته إليك وعرضته عليك لتنجو بنفسك
من المهالك فقال عبد الرحمن لا إله إلا الله محمد رسول الله يا ويلك أتدعوني
من الهدى إلى العمى والضلالة ومن الإيمان إلى الكفر والجهالة وأنا ممن أمكن
الإسلام في قلبه وعرف رشده من غيه فدونك والقتال إن أردت وتقدم إلى
حتفك إن عزمت على ذلك حتى أضربك ضربة أعجل بها حمامك وتستريح
الحرب أن ينتسب إليها مثلك لأنك من عباد الصليب فغضب جبلة بن الأيهم
من كلام عبد الرحمن وجرد إليه سيفه وقوم السنان إليه يريد أن يطعنه
فزاغ عبد الرحمن عن الطعنة وجعلا يتغاوران حتى كل عبد الرحمن عن حمل
قناته فرمى بها من يده وانتضى سيفه من غمده وتضاربا وحمل وانتضى جبلة
سيفه أيضا من غمده وحمل على عبد الرحمن فزعق عبد الرحمن بجبلة وضربه قال
رابع بن عمرو الطائي فعجبنا من عبد الرحمن وصبره على قتال جبلة وصعب الأمر
بينهما والتقيا بضربتين سابقه عبد الرحمن بالضربة فأخذها جبلة في
حجفته فقطع الدرقة ووصل السيف إلى البيضة وعاجله جبلة بضربته
فقطع ما كان عليه من الدروع ووصلت الضربة إلى منكبه فجرحه فلما أحس
عبد الرحمن بالجراح أثبت نفسه وأورى أن الضربة لم تصل إليه وتقهقر

بجواده حتى لحق بخالد الروم المسلمين فلما راه المسلمون ما لحقه اخذوه عن فرسه
وشدوا جراحه وقال له خالد يا ابن الصريف ان جبلة قد المك بضربته ثم صاح
بعشرة بهام وقال لهم دونكم هذا العلج الذي قد قدمته اليه وابى ذلك اليهم في بني
فنظرت الروم الى صاحبهم وقد قتله خالد فغضب جبلة بن الايهم وقال قد
ابيتم الا الغدر وقد استوجبتم القتل حين قتلتم صاحبنا ثم صاح بـ
المتنصرة من العرب يا ويل الروم من الارض وعين لها وحرضهم على القتال فـ
اجتمعوا اليه ونظر خالد الى القوم وقد عزموا على الحملة فصاح بعشرة باهل
فقال يا زاد عبد الرحمن وامنع عنه من انها الشر قال الاصابة رسول الله صـ
الله عليه وسلم لا يخرج منكم احد عن صاحبه وكونوا من حولها اسرع الثـ
من الله بوقف اصحاب رسول الله صلى الله عليه من حول خالد كما امرهم
وما فيهم الا من يشق بنفسه وحملت الروم على المسلمين وعظم بينهم القتال
وقال ربيعة بن عامر بن والله لقد كان خالد كلما كثر
علينا وعليه خيل الروم والمتنصرة التقاها بنفسه ولم يزل كذلك
الى ان عظمت بيننا وبينهم الحرب وكبر الامر واخذنا العصر الشر
ولم نعرف الغلام من سبيل **وقال رافع** بن عمرو الطائي فلما رايت ذلك
قلت لخالد يا ابا سليمان قد القضاء بنا قال صدقت والله اني قد نسيت
القلنسوة التي لم اصحبها معي فعظم علينا الامر فبينما نحن في اشد القتال
اذ نادى مناد وهتف هاتف خذ الامر ونصر الغائب يا حملة القران جاءكم
الفرج والنصر من عند الرحمن **وعن العشي عن ابيه** قال كنت مع ابي عبيدة
بن الجراح في وقعة اجنادين وتنمرت معه قيس بن وحلب فبينما نحن على
شيء بين وابو عبيدة في مضربه بعض الايام واذا به قد خرج من المضرب باوحام
بالمسلمين النفير فقد احيط بالمسلمين وفي ستار الموحدين فاسرعوا اليه من
كل جانب ومكان وقالوا له ما بالك ايها الامير قال كنت الساعة نائما
اذ رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم وزجرني وقال لي يا ابن الجراح اتنام عن
نصرة القوم الكرام قم والحق بخالد بن الوليد ومن معه فقد احاطت بهم

القوم

القوم اللئام فلما سمع المسلمون قوله تبادروا فلبسوا السلاح وركبوا
عربا وبقي عدي بن بدر من المبادرة الى خالد بن الوليد ومن معه وساروا
حتى اشرفوا على القتال فلوح الغبرة والغمام والاسنة تلوح في القتام
وقال رافع بن عميرة الطائي بينما نحن قد ايسنا من انفسنا اذ سمعنا
التهليل والتكبير من ورائنا وعن ايماننا وشمائلنا فرجعنا وقلنا قد اتانا
الله بالفرج من عنده والمعونة والنصر ان شاء الله فلم يكن الا هنيهة حتى
احاط جيش المسلمين بعسكر الروم واختلط الجيشان ووضعوا بينهم
السيف من كل جانب ومكان وعلت الاصوات واستجابت الدعوات
وقال مكحول عباد بن محارب ورايت خالدا وهو ثابت في سرجه متشوفا
الى الاصوات من اين هي فلما عاين المسلمين حمل وحمل المسلمون معه حملة
فما كان غير يسير حتى ولوا الادبار وركنوا الى الفرار ورايت عبيدة الطائي
وهم هاربون وكان اول منهزم جبلة والمتنصرة العرب والمسلمون يتبعونهم يقتلونهم
فلا ... حتى ... وقتلوا منهم مقتلة عظيمة فلما رجع المسلمون
عن اتباعهم اجتمعوا تحت راية ابي عبيدة واقبل خالد واصحابه معه الى
ابي عبيدة فسلموا عليه وهنى المسلمين فسلم عليهم المسلمون وفرحوا
بقدومهم وحمدوا الله على سلامتهم من الكافرين ... المشركين وشكر ابو
عبيدة لخالد فعله قال ثم ان ابا عبيدة قال ايها الناس اني قد رايت
من الراي نسير في وقتنا هذا الى قنسرين وحاضرها ونحاصرها فلعل الله
ان يفتح علينا فقال له المسلمون نعم الراي يا امير الامة رايت فانتخب
ابو عبيدة ابطال المسلمين وجعلهم في المقدمة مع عياض بن غانم الاشعري
وساروا الى ان اشرفوا الى قنسرين وحاضرها وشنوا الغارات عليها
وسبوا الذرية ونهبوا الاموال وكان قد بلغهم قتل بطريقهم وانهزام
جيش ملكهم فلما نظر اهل قنسرين الى ذلك اغلقوا ابواب مدينتهم واخذوا
عنوا الصلح واداء الجزية فاجابهم ابو عبيدة الى ذلك وكتب لهم كتاب
الصلح وعن سليمان بن علي قال كنت في جملة من سبي في حاضر

قنسرين بامان حاضر بعد ان اعطوا ابا عبيدة فرض عليهم اهل قنسرين على
خمسة الاف اوقية من الذهب ومثلها من الفضة البيضاء والفي ثوبا من اصناف
الديباج وخمسمائة وسق من التين والزبيب فلما تم صلحهم ودفعوا
كان عليهم وما ضمنوا عن مدينتهم وحاضرهم كتب لهم كتابا بالصلح
وشهد لهم الشهود وكذا ودخل ابو عبيدة وخالد وجماعتهما من رجال المو
وسادات المسلمين وحكموا فيها عن اذنها فلما بعث ابو عبيدة بالخمس الى امير
المومنين عمر بن الخطاب بعثه فيمن بعث وكتب اليه الكتاب بفتح الك

ذكر حرب بعلبك
وكيفية فتحها بعد حصارها

قال ابو عبد الله محمد بن اسماعيل بن عمر الواقدي
رحمه الله تعالى ورضي عنه ثم ان ابا عبيدة لما فتح قنسرين والعواصم وسكن
اهلها فيها جمعهم قال المسلمين اشيروا علي برايكم رحمكم الله هل نسير
تمضي الى حلب وقلعتها وانطاكية ونشتغلوا بقتال هرقل وجيوشه
ام نرجع الى ما وراءنا من البلاد فقال المسلمون لو قصدنا نسير الى حلب و
انطاكية ونشتغل بقتال هرقل وجيوشه وبعدها ايام الصلح الذي
بيننا وبين اهل شيزر وحماة والرستن وحمص قد انقضت ونخاف ان
يغيروا على ما بيننا ورائهم من البلاد ممن يقرب دمشق ولا نشك ايضا انهم
قد اخذوا الاهبة التي بامر العزة والسلاح واستعدوا بالة الحصار وحصنوا
بلادهم وقووا انفسهم بالازواد ولاسيما بعلبك وحصنها فنرجع لما وراءنا
ورائنا من البلاد لما كانت محصنة فسيروا اليهم فلما سمع ابو عبيدة ذلك
منهم رحل بالمسلمين وسار نحو بعلبك فلما قربوا منها نظروا واذا قافلة
عظيمة تاتي الى بعلبك فاسرع المسلمون اليها فاخذوها عن اخرها وهرب
اقوام منها الى بعلبك فاخبروهم بخبرهم وان العرب جاءت قاصدة اليهم
وكان على اهل بعلبك بطريق اسمه هربيس فقال له بعض اصحابه من البطارقة
وغيرهم ما انت صانع من هؤلاء العرب فقال لهم انا اقاتلهم لئلا يطمعوا

فينا فاشاروا اليه عليه برايهم وقالوا له لا تفعل فان اهل البلاد الكفار قد
اذعنوا لهم وصالحوهم فلم يسمع ولم يقبل منهم قولهم وعول على القتال فلما
رجع المسلمون اليهم ووصلوا اليهم وراوا البلاد كما قالوا محصنة مانعة
وراهم ابو عبيدة معولين على الحرب حرض اصحابه على القتال ووعظهم وقال لهم
ان الله تعالى فتح ابوابكم بنصره ولم يزل يورث ارضه لعباده الصالحين فلا تنـ
ـهشوا ولا تفشلوا فان الله معكم ثم كتب كتابا الى اهل بعلبك يقول فيه
بسم الله الرحمن الرحيم من خليفة امير المومنين عمر بن الخطاب
العامل عليكم ابي عبيدة عامر بن الجراح الى اهل مدينة بعلبك من العظماء والمعا
ندين سلام على من اتبع الهدى وجنب عواقب الردى اما بعد فان الله عز
وجل قد امرنا بهذا الدين واعز اولياءه المومنين واعان جماعة المسلمين على
جنود الملحدين والمعاندين من انواع الكافرين وان كتابنا هذا معذرة بيننا
وبينكم وما كنا بالذي نقاتلكم او نغير بكم حتى نعذر اليكم ونعلم ما عندكم
فان دخلتم فيما دخل فيه غيركم من الصلح والامان فلكم ذمة النبي بما صالحناكم
ومنعنا منكم بذلك وان ابيتم الا الحرب والقتال استعنا بالله عليكم
واسرعوا الينا بالجواب والسلام على من اتبع الهدى وطوى الكتاب ود
فعه لرجل من المعاهدين وامره ان يمضي به الى اهل مدينة بعلبك ولا يرجع
اليه الا بالجواب فاخذ المعاهد الكتاب واتى به الى السور وخاطبهم
بلغتهم فقال لهم انا رسول اليكم ومعي كتاب من عند هولاء العرب
فادلوا له حبلا فربطه في وسطه واخذه القوم اليهم واتوا به الى بطريقهم
فسلم عليه وناوله الكتاب فجمع البطارقة اليه وقرا عليهم الكتاب فلما
قراه بين من الكتاب على قومه قال لهم اشيروا علي برايكم فقالت له البطا
رقة وعظماء البلد انا نرى من الراي الا نقاتل هولاء القوم حتى نعلم ما عندهم كنا في
امر وخصب ودعة وان نحن قاتلناهم اخذونا واستعبدونا والصلح اوفق
لنا فقال لهم بطريقهم لا رحم المسيح صداكم فما رايت في اليوم اجبن منكم
ولا اخوف واتى وانا اهل بعلبك فيهم قبيل منهم من اراد الصلح ومنهم من اراد

الصلح ومنهم من اراد القتال وهم اكثر ممن يرى فبعث الكتاب من يريد المعاهدة
فاتى به الى ابي عبيدة فخبره بما كان منهم واخبره بامرهم وقال له ان اكثر القوم
عولوا على قتالك فقال ابو عبيدة شدوا عليهم فلبس الناس للامة وتاهب
ونصب له سلم من على برجه واشتغلوا بالقتال يومهم ذلك الى الليل فاخذنا الى
ما اخذوها وهممت رجالها واصيب من المسلمين اثنا عشر رجلا في ذلك اليوم
واصيب منهم ايضا من الروم خلق كثير لا يعرفوا وانصرف المسلمون الى رحالهم وما لهم
وما لهم همة في شغل ولا غير لهم في طعام ولا شراب سوى الاصطلاء بالنار من شدة
البرد وباتوا يلتهبون الى الصباح فلما اصبحوا وصلوا صلاة الفجر نادى منادي
ابي عبيدة عزيمة من الامير عليكم الا يخرج احد من رحله حتى يطعمه الامير طعاما
يعينه على قتال العدو وكان قد نصب لهم بيبس سلم من على برج يشرف
على العسكر فلبس لامته وجلس فيه ينظر غرة المسلمين فلما نظر اشتغالهم
في عسكرهم نادى من رجاله وصاح بهم اخرجوا اليهم فلم يشعر المسلمون حتى
الا والابواب قد فتحت والقوم قد خرجوا كالجراد المنتشر وان بعض الناس
قد صبروا الى الطعام وبعضهم لم يبق به اصلا واذا المنادي ينادي يا خيل الله
اركبي النفير النفير فنادى ابو عبيدة وقد نصب الراية والناس يهرعون اليه
من كل جانب وهو ينادي في قتال العدو بالنفير النفير فنظر ابو عبيدة الى كثرة
جيش الروم وهم يسعون والمسلمين فحمل عليهم ابو عبيدة بمن معه من الخيل
فاجاله بالروم ما لا طاقة لهم به وكان في جملة خيله عمرو بن معدي كرب الزبيدي
وعبد الرحمن بن ابي بكر الصديق وعامر بن ربيعة ومالك الاشتر النخعي
وضرار بن الازور وابن كارب الكندي وذو الكلاع الحميري فلله درهم لقد ابلوا
بلاء حسنا فصبروا وردوا الروم على اعقابهم منهزمين ونظر المسلمون الى
ذلك من فعلهم فحملوا على الروم ووضعوا فيهم القتال والضرب والطعن والقتل
فولوا الادبار وركنوا الى الفرار والمسلمون في اعقابهم حتى ادخلوهم حصنهم
ثم رجع المسلمون الى عسكرهم وقد غنموا ما استلبوه منهم وبقوا الى الليل فلما
اقبل الليل اقاموا في اماكنهم وباتوا يتحارسون واجتمع رؤساء المسلمين الى

عبيـ

218

عبيدة وقالوا له ما الذي عزمت عليه أن تصنعه فقال لهم الذي عزمت عليه
أن تقعدوا وتخبأوا مكانكم عن المدينة مقدار شوط في خمر أو شجر ليكون ذلك حالا لا
يفطن لكم وأخفيا الأعلام والنصر من عند الله فقالوا له افعل ما تريد فإنا لك تبع
ثم إن أبا عبيدة دعا بسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وعقد له راية وأمره على خمسمائة
فارس وثلاثمائة راجل وأمره أن يمضي بهم إلى الوادي وأن يلزم القوم ويقاتلهم
من الباب الذي يليه ويشغلهم بالقتال عن أن يروا أحدا من المسلمين ثم دعا بضرار
بن الأزور وعقد له راية على خمسمائة رجل وثلاثمائة فارس ومائتين راجل
ونهض به إلى باب الشام وبقي أبو عبيدة في موضعه وأصبح المسلمون على هيئتهم
فلما أصبح الصباح فتحت الروم الباب الكبير الذي يلي أبا عبيدة وخرج منه
خلق كثير منهم مع بطريقهم وهم يظنون وقد أخلفهم الطمع لما كانوا قد تعودوا من
غرة المسلمين في أمسهم من شدة الحرب ومعاناة الصعق والضرب فلما نظر
أبو عبيدة إلى خروجهم نادى بأرفع صوته معاشر المسلمين لا تنازعوا فتفشلوا
وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين ثم حمل بعضهم على بعض واقتتلوا
قتالا شديدا وأبعدوهم عن المدينة وأتبعهم الروم وقد أيقنوا أنهم هم
الغالبون فبينما هم في أشد القتال والضرب والنزال إذ خفقت عليهم رايات
المسلمين من خلفهم فأتى عليهم سعيد بن زيد وضرار بن الأزور والمسلمون
خلفهم البحار والبطريق يوقنه من كان معه على المدينة فالتفتت الروم ينظرون
ما الخبر وإذا هم المسلمون قد حالوا بينهم وبين المدينة وفرقوا بينهم وبين
نسائهم وأموالهم فبلدوا بالويل والثبور وظنوا أن المسلمين قد أتاهم مدد
فقصفوا وفشلوا وعلموا أنه قد غرر بهم البطريق فلما نظر طحنهم إلى بلدهم
أعوانهم وقال لهم يا ويلكم لا ترجعوا إلى المدينة فقد حيل بينكم وبينها وإن
تعرضوا مكايد العرب في الحرب وكان سعيد بن زيد وضرار بن الأزور قد أقبلا
بأصحابهما عن يمينه والآخر عن يساره فلما نظر إلى ذلك حملا بأصحابهما على
الروم وجعلوا يقتلونهم قتلا ذريعا من كل مكان حتى ولوا الأدبار وركنوا إلى
الفرار والمسلمون يتبعون آثارهم حتى قطعوا إلى جبل كان قريبا منهم فصعدوا

عليه والتجوا الى ضيعة حصينة كانت في ذلك الجبل وصعد الجبل خلفهم
سعيد بن زيد في غاية الجبل ورجع ضرار الى العسكر فلما تحصن البطريق في
الضيعة قال سعيد بن زيد تعالى ذكره كافية قد اراد الله هلاكهم حاصروهم ولا تبر
احرامنهم يطلع من راسه الى ان يلحق بكم اخوانكم المسلمون واذا اراد الله امرا
هيا اسبابه ومن يتق الله يجعل له من امره يسرا ثم ان سعيد اخذ معه عشرين
فارسا وسار الى ان لحق بعسكر المسلمين فلما نظر اليه ابو عبيدة ومعه عشرين
فارسا الا عشرين قال انا لله وانا اليه راجعون ذهب المسلمون ثم اقبل عليه وقال
يا سعيد بن زيد ما صنعت في امرك فقال له ايها الامير ابشر فان المسلمين في
وسلامة وقد لجوا اعداء الله الى ضيعة في الجبل واخبره بالحديث فبينما
يحدثه واذا برجل من المسلمين ينحدر من الجبل وهو ينادي النفير النفير
ادركوا اخوانكم فقد احاطت بهم الروم وكان السبب في ذلك انه لما
اخذ سعيد عشرين فارسا وسار الى عسكر المسلمين واجتز الباقية معه وبقي
الروم بعضهم بعضا وقالوا قد مضى اميرهم وليس هناك من يمنع لنا فخرج
بهم البطريق وحملوا على المسلمين وحمل عليهم المسلمون ايضا وعمل السيف
الى بغير واحاطت بهم الروم **قال** مصعب بن عامر فانا كذلك في اشد
الحرب اذ سمعت صوتا عاليا وهو ينادي الا رجل يهب نفسه لله ولرسوله
ويستنقذ لنا المسلمين فانهم في الغرباء منا فلما سمعت الصوت همزت جوادي
وسرت حتى اشرفت على المسلمين وناديتهم بالنفير فلما سمع ابو عبيدة
النداء صاح بالرماة فاجابوه فضمهم الى سعيد بن زيد وقال له احمل على الكفار
قبل ان ياتي عليهم العدو ثم دعا بضرار بن الازور وقال له اسعف اخاك فحمل
المسلمون حتى علوا اعلى قنة الجبل واشرفوا على الروم فمن خرجوا من الضيعة وهم
واحرقوا المسلمين وقال ابن زيد كنت ممن شهد القتال في الضيعة وقد
احاطت بنا الروم وصبرنا لهم صبر الكرام وقد صرع منا سبعون رجلا من قتيل
وجريح فبينما نحن كذلك اذ سمعنا التهليل والتكبير من ورائنا ولحقنا
النفير من المسلمين فلما اشرفوا علينا تراجعت الروم على اعقابهم منهزمين

وكثر القتل فيهم وبلغ الخبر الى ابي عبيدة ان القوم قد احيط بهم فقال الحمد لله
الذي جعلهم ابتلانا بعد جمعهم ثم قرا ذلك بان الله مولى الذين امنوا وان الكافرين
لا مولى لهم ثم ارسل الى سعيد بن زيد يقول له لا تبرح من مكانك عن اهل الضيعة
ولا تبتغ لهم او تساعفهم فتكون كمن حمل في بدنه شيئا فاضاعه فلما بلغه
ذلك شدد عليهم الحصار وضيق بهم ثم رجع ابو عبيدة ومن معه من جيش المسلمين
الى مواضعهم التي نزلوا بها اول مرة وضربوا اخبيتهم ورجعوا الى المدينة للقتال
وحاصروها وضيقوا عليها فحين رجع المسلمون الذين وا اهل بعلبك على السور
يروا المسلمين وقد رجعوا الى مواضعهم فجعلوا يبكون بلغتهم فاويلهم وخرابا
ديارهم وبقي ابو عبيدة محاصر المدينة وسعيد بن زيد محاصر الاهل الضيعة
قال فلما نظر البطريق هربيس الى ذلك ورأى من شدة الحصار ما هاله
قال لاصحابه لقد اسلمنا التوبيخ في حبس انفسنا في موضع ليس فيه طعام
ولا شراب وان كان بنا الامر سلمنا انفسنا كارهين فقال له اصحابه ما الذي
ترى فقال لهم رايت ان اخرج القوم واحتال عليهم فاسالهم الصلح لنا ولاهل
المدينة واعمل لهم ان افتح لهم الباب واكون في ذمتهم فاذا دخلنا المدينة
حاربناهم ولعله ان يرسل الينا صاحبا عين الحرب فيبسا عرفنا على ما نريد
من مخادعة القوم فلما سمع قومه قوله اجابوه الى مراده ووافقوه عليه
وباتوا ليلتهم فلما اصبح الصباح قعد هربيس على جدار الضيعة
وقال يا معشر العرب هل فيكم احد يعرف كلامي فانا هربيس صاحب القوم
فدنا منه الذي جاء وقال له ما تريد قال اريد ان تواضع اميركم فاخاطبه
فقال الذي جاء ذلك لسعيد بن زيد فقال سعيد لا ولا كرامة له فان كانت له
حاجة فليبعث الي حتى اسمع كلامه فاعلم الذي جاء هربيس بجواب سعيد
بن زيد فقال هربيس للذي جاء وكيف انزل اليه وانا خائف له فقال له الذي جاء
ان العرب لا تغدر العهد فقال هربيس صدقت كذلك بلغنا عنهم ولكن
اريد ان استوثق لنفسي ولاصحابي فانهم قد لحقهم الجهد علينا الكثرة
ما قتلنا منهم ولكن سأرسل اليه رجلا ياخذ منه الامان ثم ان هربيس ارسل

رجلا من قومه الى سعيد بن زيد فلما قرب الرجل منهم ووقف امام سعيد بن زيد فـ
ان يقعد له فمنعه اصحاب سعيد بن زيد من القعود فقال لهم الرجل لم تمنعوني
اعظم صاحبكم فقال سعيد بن زيد انا وانت عبدان لله تعالى ولا يجوز السجود
الا لله فقال له الرجل فهذا انصفتم علينا وعلى غيرنا من الامم فقال له سعيد
بن زيد ما الذي جاء بك قال جئتك لاخبرك انا البقي فينا فلا تنقض عهدنا
فقال له سعيد لسنا ممن ينقض العهد وقد اعطيت صاحبك الامان ومن معه من
القى السلاح وخرج مستامنا يطلب الامان فقال له الرجل منك ومن اميركم
ومن معكما فقال له سعيد ذلك لكم فعند ذلك رجع الرجل الى بطريقه
واعلمه بجواب سعيد واخبره بقوله معه وقال له احذروا الغدر فانه مهلكة
وان هؤلاء القوم لا يغدرون **ولقد بلغني** ان البقي بن لبس الصوف
وخلع ما كان عليه من الديباج والقى السلاح وانتحا قدما حاسرا حتى وقف بازاء
سعيد بن زيد فخر ساجدا شكرا لله تعالى وقال الحمد لله الذي اذل الـ
الجبابرة ثم اقبل عليه وقال له ادن مني فدنا منه حتى اجلسه الى جانبه وقال
له هل لك ان تصالحنا على اصحابك هؤلاء الذين هم في الضيعة وعلى اهل
المدينة ومن فيها فقال له سعيد اما انت واصحابك فقد اخذت الحكم على
شيء كثير انه من دخل في ذمتنا له ما لنا وعليه ما علينا ومن اختار الاقامة
على دينه والقى السلاح كان امنا من القتل ويودي الجزية واما المدينة
فالامير عليها وقد قرب فتحها ان شاء الله وان احببت ان تقيم معي حتى
تسمع كلام الامير ويسمع كلامك فقل وانت في ذمتي الى ان يحكم الله
لك وبيننا وبينك فقال البقي بن افعل ذلك **ثم ان سعيد بن زيد**
دعا ابو قادم وقال له يا ابا قادم كن المنشي بما سمعت ورايت واسرع بالجواب
فسار قادم واسرع حتى اتى الى الامير ابي عبيدة بن الجراح وقال ان
ايها الامير ان البقي بن قد اخذ الامان من سعيد بن زيد وهو يريد ان ياتيك
يسالك الصلح لاهل المدينة فلما سمع ابو عبيدة رضي الله تعالى
شكر ابلهام ورفع راسه قال للمسلمين ذلك وان فتحت المدينة من غير قتال

رجع صح

مهلكة صح

وجزع

وفزع اهل بعلبك وتداعوا الناس للقتال وكان اول من سبق الى المدينة واخبرهم
بقتل البطريق بن المرقال الهاشمي بن عتبة معه وقال الامير يا ويلكم لقد هلكتنا
شقا حصنكم وكانت غنيمتكم مع بعض بقتلكم وحاميتكم فلما سمع اهل بعلبك ذلك
من مقالتهم ارتعدت قلوبهم وقالوا ايا ويلهم اهلكنا البطريق بن واهلك نفسه
وشدد المسلمون عليهم الحرب والحصار وقربوا من بيتهم حتى دنوا من
الجدار فلما علم ابو عبيدة ان تيار الحرب قد اضحى متعلقا على اهل المدينة
ارسل الى سعيد بن زيد يقول له ارسل البطريق بن الينا وله الامان الذي امنته فبعث
الخبر اليه من ساعته فجاء سعيد بن زيد والبطريق بن معه فبين صوله صاح اهل
المدينة العفو العفو يعنون بذلك الامان الامان فلما جاء البطريق بن
ووصل الى المسلمين ودنا منهم حملتهم صغر وانه عينيه وقال العرب قد علمت انكم
اكثر عددا منا ولكن كان يتحمل لنا عنكم بحيلكم انكم اكثر عددا من الحصا
واما مدينتنا فحصينة مانعة حصينة وليس بالشام احصن منها ولا امنع
منها ولولا ما سبق من قتل بطريقنا ما صالحناكم والآن فقد كان ما كان فانا
نصالحكم على الف اوقية من الذهب والف اوقية من الفضة والف ثوب من الديباج
فتبسم الامير ابو عبيدة وقال له نصالحكم على ضعف ما ذكرت وزيادة
خمسة الاف سيف من عدة بيتكم وسلاح اصحابك الذين قتلهم في الضيعة وعلى
انكم بعد ذلك لا تحملون سلاحا ولا تحدثون حدثا ولا تبنون ديرا ولا كنيسة
فلما سمع البطريق بن ذلك مما اشترطه ابو عبيدة عليه قال له كل ذلك علينا الا
انا اشترط عليك وعلى اصحابك شيء قال ابو عبيدة وما هو قال لا يدخل
الينا من قبلكم احد وتبقى كصاحبك الذي تخلفه علينا خارج المدينة
باصحابه فيكون لهم الحما والحدود وتدعون انا واصحابي داخل المدينة
من قبلك للاصلاح بين الناس والنظر في امورهم ونحن في الذي تخلف علينا
من اصحابك سوقا فيكون فيه جميع ما يحتاجون مما في مدينتنا ولا يدخلون
الينا مخافة ان يقتلوا لك لانهم على اكابر فيكون ذلك سببا للغدر
فقال ابو عبيدة لكم ذلك وما لنا الى حصنكم والدخول من وراء الاحجار

من مدينتكم حاجة وتم الصلح على ذلك قال سهل بن صالح فجاء الـ
بعد اثنى عشر يوما وبهم معه ذلك يحملون الى ابى عبيدة الثياب حـ
استيمتا واجتمعت بفناء البطريق ومعه الثياب والسلاح والمال واهل
المدينة يحملون ذلك فلما سلم لابي عبيدة ذلك المال قال له البطريق بولـ
من تخلف علينا من اصحابك فاشترط عليه الا يجور علينا ولا يكلفنا ما
لا نطيق به فدعا ابو عبيدة برجل اسمه رافع بن عبد الله التميمي وقال
له اني استعملتك على هذه المدينة وضم اليه خمسمائة فارس من بني عمـ
وعشيرته وخمسمائة فارس اخرى من سادات المسلمين وقال له اوصيك
بتقوى الله تعالى ولا تكن الا من العادلين واياك والجور فتحشر مع الظالمـ
واقم الارصاد في جميع اطراف البلاد واكثر ما يكون حذرك من السـ
ولتعلم انك بين اعدائك فلا تمكن احدا من اهل المدينة ان يختلط مع اصـ
في تجارة واحسن معاملة من ساعدك وكن بين قومك كاحدهم وامر
اصحابك ان يكفوا ايديهم واياكم والفساد والله خليفتي عليكم ثم
ابو عبيدة الى جبل واخرجا اصحابه عين الجمر بن فراتاه يطلب الصلح منه على بلاده
فصالحه ابو عبيدة على نصف ما صالحه عليه اهل بعلبك وولى عليهم سالم بن ذويب
السلمي ووصاه بما كان اوصى به غيره بعد ان ضم اليه ما يحتاج من
المسلمين ومن سادات الموحدين رضي الله عنهم اجمعين

ذكر حروب حمص الكرة الثانية ومصالحتهم على الجزية للمسلمين

قال ابو عبد الله محمد بن اسماعيل بن عمر الواقدي
رحمه الله تعالى ورضي عنه فلما فرغ ابو عبيدة من امور الجمع من مرجي ما صالحهم
رحل يطلب حمص فلما وصل بين البطريق سمعان اتته هدية كبيرة فقبلها
وسار حتى نزل على حمص على النهر فلما استقر به الجلوس واخذ الناس مواضعهم
والقبائل منازلهم وتاهبوا قال ابو عبيدة اللهم عجل علينا فتحها
واخرجنا من حصونها من المشركين واعنا عليها من الكافرين يا ارحم الراحمين

ثم كتب الى اهل حمص كتابا يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم من
ابي عبيدة بن الجراح عامل امير المومنين عمر بن الخطاب على الشام وقائد جنوده
وخليفته على جيوشه اما بعد فان الله عز وجل قد فتح الكثير بلادكم على
ايدينا ولا يغرنكم علو مدينتكم وكثرة زادكم ما منعتكم عندنا
الا كنصف نهار في وسط معسكرنا وانا ادعوكم الى دين ارتضاه لنا
ربنا ونبي بعثه جاء بها نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فان اجبتم الى ذلك
كان لكم ما لنا وعليكم ما علينا وان تولينا عنكم وخلفنا عليكم رجالا يعلمونكم
امر دينكم وان ابيتم الاسلام اقررناكم على اداء الجزية او الحرب بيننا
وبينكم حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين ثم طوى الكتاب
وسلمه الى رجل من المعاهدين وقال له انطلق بهذا الكتاب الى حمص وائت
بالجواب فاخذه المعاهد وسار به حتى وقف في باب من ابواب حمص
فصاحوا من فيه بالنشاب فقال لهم امسكوا عني فانا رجل منكم بكتاب من
هؤلاء العرب فادلوا اليه حبلا فربطه في وسطه ورفعوه اليهم فاتوا به
الى بطريقهم وكان هرقل قد بعث اليهم بطريقا من عظماء بطارقته
فناوله الكتاب فقال له البطريق أرجعت عن دينك الى دين هؤلاء العرب
فقال لا انما انا اسير ولاكني في ذمتهم ونفقت عندهم وما رايت من القوم
الا خيرا والصواب ان تصالحهم ولا تقاتلهم فان القوم ذوو باس وشدة
والقتال عندهم احب من الحياة وقد تقاسم القوم بينهم الاخيرة احوا
الا ان تسلموها اليهم او يفتحها الله على ايديهم عنوة وحق ديني والمسيح
لانكم احب الي منهم ولاكني اخاف عليكم من باسهم وشدتهم فلما سمع
البطريق قوله برد الغضب في وجهه وقال له لولا انك رسول لامرت بقطع
لسانك وقتلك على جرأتك على بهذا الكلام وكتب له من كان معك للعرب
ثم اجاب ابا عبيدة وكتب اليه بعد كلمة كتب له اما بعد يا معشر
العرب فانه قد وصل الينا كتابكم وعلمنا ما فيه من التهديد ولا بد لنا من
القتال والحرب والسلام ثم طوى الكتاب ودفعه الى المعاهد وامره

فيكم

فادلى بالحبل من السور فلما قدم على ابي عبيدة ووصل اليه ناوله الكتاب
ففضه وقراه على المسلمين وعولوا على الحرب وقسم ابو عبيدة عسكر
المسلمين على اربعة فرق فبعث منه جزءا مع المسيب بن نجبة الفزاري
فنزل على باب الجبل وبعث جزءا اخر منه مع شرحبيل بن حسنة وقيل مع
المرقال هاشم بن عتبة الى باب اخر وبعث جزءا اخر مع يزيد بن ابي
سفيان الى باب اخر واقام ابو عبيدة وخالد بجيشيهما على باب
الى ستو وزحف المسلمون اليهم من كل مكان واقاموا في القتال يومهم
ذلك اجمع فلما كان من الغد جمع خالد بن الوليد كل من كان في العسكر
من العبيد وامرهم بالزحف الى السور فقال له ابو عبيدة وما يغني عنك قتال
هولاء العبيد فقال له خالد على رسلك ايها الامير ولا تعجل فيما صنعت
في ذلك حتى يعلموا ان ما لهم عندنا قدر حتى نقاتلهم بانفسنا فقال ابو
عبيدة افعل ما شئت وكانوا زهاء على اربعة الاف عبد فاشرف
عليهم الملعون بكر بنفسه من بيتهم وفي يده درابة عكشا بكارفته وحوله
اكابر اصحابه فلما نظر الى العبيد صلبوا صلبانهم على وجوههم
وقالوا يا ويلهم ما ظننا ان العرب بلغ فيها ذل الحجة واذا هم كلهم سود
فقال لهم بعض من حضرهم من فقهائهم يا جنادير ما هولاء الا عبيدهم
وهذه من فعل البعض من مكايد العرب في الحرب وكانهم يقولون لكم انه
ليس لكم عندنا من القدر ما نقاتلكم بانفسنا وانما يكفونا فيكم
عبيدنا فلم يزل العبيد والموالي يقاتلون يومهم ذلك الى رجاء الليل
واقتتلوا وبعضهم من بعض فلما جن الليل بعث البطريق يومئذ ببيس رسولا الى ابي
عبيدة ومعه كتاب فاقبل نحو عسكر المسلمين فاحس به المسلمون فاخذوه
واتوا به الى ابي عبيدة فقال له من انت فقال له انا رسول البطريق صاحب
حمص ومعي كتاب منه واريد الجواب عليه فاعطاه اليه واخذه ابو عبيدة
وقراه واذا فيه مكتوب اما بعد يا معشر العرب فانه قد تبين لنا ضعفكم
وقلة عندنا فسعة رايكم اذ وجهتم الينا العبيد للقتال ونحن

صبيحة غد هذه الليلة نخرج اليكم والله ينصر من يشاء فلما قرا
ابو عبيدة الكتاب على المسلمين استشارهم في ذلك وقال لهم ما عندكم
من الراي فقام اليه خالد بن الوليد وقال له ايها الامير الراي عندنا ان نكتب
الى هؤلاء القوم ونسالهم ان يمهلونا ويبيعونا الزاد الكثير ونضمن لهم انا نرحل
عنهم الى ان يفتح الله عليك في مدينة من مدن الشام ثم يكون الخيار الينا
بالرجوع اليهم او تمضي الرعب بهم ثم نرحل عنهم ونرجع وقد فنيت ازوادهم
وتعوقت دوابهم من بلادهم ونشن عليهم غارة واحدة على حين
غفلة من امرهم فقال ابو عبيدة اصبت الراي والله فانا باسلم ان جاء
افعل ان شاء الله ما ذكرته ثم دعا بدواة وقرطاس وكتب لهم جواب
الكتاب يقول فيه اما بعد فقد قرات كتابك ورايت قولك صالحا
ولسنا ممن يريد البغي على احد من عباد الله عز وجل فان اردتم ان نرحل
عنكم فابعثوا الينا بميرة خمسة ايام فالحق بوقد املتنا امامنا وهو
متتابع متبا عن قلة ان فتح الله علينا مدينة من مدن الشام جعلنا اليكم
ان شئنا او سرنا الرعب كم ان ابيتم ذلك فان فعلتم ذلك كان صلاحا لكم
والسلام على من اتبع الهدى وطوى الكتاب وختمه بخاتمه وسلمه الى الرسول
فسار به الى البطريق فلما قرا البطريق بعض الكتاب فرح بذلك وحاشروا
وجمع اهل الرؤساء من البلد اليه وقال لهم ان العرب قد بعثت اليكم تطلب منكم
الزاد كي ترحل عنكم وقد رايت من الراي ان تزودهم حتى يرحلوا فان
العرب كمثل السبع فاذا اوجع في بطنه لم يقدر عنها الرغبي بعدا فقالوا له
افعل ما رايت فبعث الى بيبس الى الاقسة واحضرهم بين يديه وفتح لهم باب
البلد وارسلهم الى ابي عبيدة ليأخذوا له عليه العهد والميثاق منه فيتم
الصلح لهم على ذلك فاجابهم ابو عبيدة لذلك وبعثوا اليه ما طلب منهم من
الميرة فقال لهم ابو عبيدة يا اهل حمص قد قبلنا منكم ما حملتم الينا من امر الميرة
فان رايتم ان تبيعونا الازواد والعلوفات وما نحتاج للكراء فافعلوا فقالوا نعم
وباعوا لهم ما ارادوه من الزاد والعلوفات والميرة وهم مستبشرون برحيل العرب
منهم ورحيلهم عنهم الى غير بلدهم

ذكر حصن بالرستن
وكيفية فتحه عنوة بالخديعة

قال ابو عبد الله محمد بن اسماعيل بن عمر الواقدي
رحمه الله تعالى ورضي عنه ثم ان ابا عبيدة لما فرغ من اهل حمص مما اتفق
عليه من الجزية واستوفى منهم ما اراد رحل عنهم وسار حتى نزل على الرستن
ويقال له حصن الراي وانما سمي بذلك لاجل تعب بني المسلمين عليهم من الجهد
والهوان حتى فتحوه عنوة فلما نزل عليه ابو عبيدة بالمسلمين راه حصنا
عزيزا وهو مشحون بالرجال فبعث اليهم رسولا بالصلح فابوا عليه
وقالوا له انا لا نفعل ذلك حتى نرى ما يؤول اليه امركم مع الملك هرقل
وبعد ذلك ما شاء الله يكون فانه قد عزم عليكم بجنود لا طاقة لكم
بها فاتيا فقال لهم ابو عبيدة فانا وفتحنا جمهور الرحبة بلاد الملك
ومعنا رجال قد اثقلتنا ونحن نريد ان نودعها عندكم في مدينتكم ونمضي
وتمسكونها لنا الى وقت رجوعنا ان شاء الله فرجعوا الى حصنهم
واتوا الى بطريقهم وكان عليهم بطريق اسمه نعيكا فاخبروه
بذلك فقال اما زالت الملوك تودع بعضها عند بعض وليس ذلك بعيب
فبعث الى ابي عبيدة يقول له مهما كانت لكم من حاجة فنحن لقضائها وهي
مقضية وعن ثابت بن علقمة قال كنت ممن حضر مع ابي عبيدة على
حصن الرستن وشهد كيفيته وذلك انه دعا باهل الراي والمشورة من اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لهم اعلموا ان هذا الحصن حصين منيع
وليس الى فتحه من سبيل الا بالخديعة والحيلة وقد رايت من الراي ان اجعل منكم
عشرين رجلا في عشرين صندوقا وتكون الاقفال من عندكم فاذا صرتم في
المدينة وحصلتم فيها تنزلون على اسم الله وتثبتون فيها فانكم
منصورون ان شاء الله فقال له خالد بن الوليد رضي الله عنه فاذا عزمت
على ذلك فلتكن الاقفال ظاهرة واستعمل الصناديق ان تجعل من غير شيء
يمسكها فاذا ادخل القوم في البلد وتمكنوا فيه فليخرجوا من جهة واحدة

ويكبر والتكبير واحدة فان النصر مقرون مع التكبير فاجابه ابو
عبيدة الى ذلك فاخرج صناديق من الصناديق التي تجعل فيها الامتعة والمال
ونقض اسفلها وجعلها اثنى عشر كرسيا واول من دخل ضرار بن الازور و
المسيب بن نجبة الفزاري وذو الكلاع الحميري وعمرو بن معدي كرب الزبيدي
والمرقال هاشم بن عتبة وقيس بن هبيرة المرادي وعبد الرحمن بن ابي بكر
الصديق ومالك الاشتر النخعي وعوف بن اسلم وطالب بن كلكل الفزاري
ومازن بن عامر وعكرمة بن ابي جهل وعتبة بن العاصي وربيعة بن عامر
والاصيد بن مسلمة وعبد الله بن جعفر وجعله ابو عبيدة اميرا عليهم
ومثل هاولاء السادات رضوان الله عليهم اجمعين فلما حصلت الصناديق
في اليسنو القى بها نقيطس في قصر امارته وارتحل ابو عبيدة بجيش المسلمين
على اعينهم وقلبه واثق بالله من امر اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
وسار حتى نزل بقرية يقال لها الشوكية فلما اظلم الليل بعث ابو عبيدة
خالد بن الوليد بجيشه الى جهة البقعة فاغار على اليسنو واذا بالصياح قد علا
داخل اليسنو وكان امر الصحابة رضي الله عنهم انه لما اتى كبيرهم نقيطس
في دار امارته ركب الى البيعة مع بطارقته وعلماء ملته ليصلوا صلاة
الشكر اذ رحلت العرب عنهم فارتفعت اصواتهم بقراءة الانجيل وعلت
ضجتهم حتى لم يبق في البلد احد الا حضر معهم في البيعة فسمع اصواتهم
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرجوا من الصناديق وشدوا على
انفسهم واشهروا اسلاحهم وقبضوا على امراة البطريق بن نقيطس وقالوا لها
اعطينا مفاتيح البلد فسلمتها اليهم فلما حصلت في ايديهم نادوا بالتهليل
والتكبير والصلاة على البشير النذير وكبسوا القوم على باب بيعتهم
فلم يجسر احد من القوم ان يخرج اليهم لانهم دون عدة وبعث عبد الله بن
جعفر ربيعة بن عامر وعكرمة بن ابي جهل وعتبة بن العاصي والاصيد بن مسلمة
الى باب البلد وسلم اليهم المفاتيح وقال لهم افتحوا الباب وارفعوا اصواتكم
بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير فان اخوانكم حول البلد

وهم ينادون فخرج ربيعة بن عامر [illegible] الباب ففتحوه ورفعوا اصواتهم
وهم يقولون لا اله الا الله محمد رسول الله الله اكبر فخرج البطريق
من الكنيسة عسكر الى حيث وفي المقدمة خالد بن الوليد وقد اجابوهم بالتهليل
والتكبير ودخلوا المدينة فلما سمع اهل البلد اصوات اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم من داخل الحصن وخارجه وعلموا ان بلدهم قد دخلت عنوة والقي
في قلوبهم الرعب استسلموا وخرجوا اليهم وقالوا لا تقتلونا فنحن الان اسارى او
فاعملوا فينا ما انتم احب الينا من قومنا ونحن احب اليكم من قتلنا فعرض
خالد بن الوليد عليهم الاسلام فاسلم من القوم بعضهم وبقي الاكثر منهم على
دينهم يؤدون الجزية واما نيقولا فانه قال لا اريد ان يرى [illegible] فقال له خالد
اخرج عنا باهلك فخرج باهله [illegible] واعلمهم بفتح [illegible]
ذلك ودعا عليهم وعلموا ان العرب [illegible] بالغارات وبلغ الخبر الى ابي عبيدة
بالقرية التي كان نازلا بها فسجد لله شكرا وحمد الله واثنى عليه بما هو اهله
ووجه بذلك الخبر [illegible] عبد الله بن جعفر واصحابه ولخالد بن الوليد
ومن معه [illegible] بعضهم الى [illegible] وامر عليهم بلال بن عامر
اليشكري ووصله بخمس السبي والعدل فسار اليه بلال بن عامر فلما
استقر [illegible] خالد بن الوليد وعبد الله بن جعفر واصحابهما بعسكر
المسلمين الى ابي عبيدة فشكر لهم ابو عبيدة فعلهم رضي الله تعالى عنهم وارضاهم

ذكر حروب بثنية [illegible] وفتحها عنوة

قال ابو عبد الله محمد بن اسماعيل بن عمر الواقدي رحمه الله
تعالى ورضي عنه ثم ان ابا عبيدة لما اتوه خالد بن الوليد وعبد الله بن جعفر بالغنائم
[illegible] وتوجه الى حمات [illegible] صباحا وكانوا في صلح المسلمين
كما ذكرنا وانهم لم ينقضوا الصلح والعهد ولم ينكثوا وكذلك اهل
شيزر الا ان [illegible] بعضهم كان [illegible] وبعث اليهم الطاغية هرقل
بطريقا جبارا اسمه [illegible] فنقض الصلح [illegible] او بلغ
الخبر الى ابي عبيدة فلما نزل ابو عبيدة حمات بعث جيشا من المسلمين فاغارت

الخيل

الخيل عليهم وعلى بلدهم ووقعت الصيحة بهم فسمع البطريق بو الصيحة عندهم
فنزل اليهم من قلعته وقال لهم يا اهل بشنين ان لم تعلموا ان الملك الرحيم اسد
استعطفه عليكم ليعفو من بينكم وجماعة من بيتكم ثم فتح خزائنه بسلاح
ففرقه عليهم وامرهم بالحرب والقتال فبينما القوم كذلك اذ اشرف عليهم
خالد بن الوليد في وجوه اصحابه ونزل بازائهم واقبل ابو عبيدة ببقية الجيش
فنزل عليهم فهالهم العسكر وحارت ابصارهم فلما نزل المسلمون كتب ابو
عبيدة الى اهل بشنين كتابا يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم من ابي عبيدة بن
الجراح عامل امير المومنين عمر بن الخطاب على الشام وعلى من بها من جنود المسلمين
الى اهل بشنين من الناكثين المعاندين اما بعد يا اهل بشنين فان حصنكم
ليس بامنع من بعلبك ولا من البسنتو ورجالكم ليس باشجع من رجالهم
فاذا اتاكم كتابي هذا فادخلوا في طاعتي ولا تغالبوا امري فتكونوا بالا عليكم
ثم طوى الكتاب ودفعه الى رجل من المعاهدين فلما وصل اليهم اعطوه لبطريقهم
فنكس راسه وقال لهم ما تقولون في هذا يا اهل بشنين فقالوا صدقت العرب
في قولهم فان حصننا ليس بامنع من البلاد التي اخذوها فكيف نمتنع عليهم
بشنين من يتسمع بغي فيهم جهرين وغنمهم وسبيهم وامر غلمانه فخرجوا بهم وامرهم
بالخروج للحرب فخرجوا الى الحرب وهم له كارهون فكبس بهم المسلمون وانهزموا
ابلغ هزيمة ووقع القتل فيهم ودخلوا عليهم البلد عنوة بالسيف فعند
ذلك طلبوا الامان فمنعهم المسلمون وارتفع عنهم القتل على ان يسلموا
المدينة لمن معهم من المسلمين فلذلك فتحوا المدينة عنوة بالسيف ثم نادى ابو
عبيدة معاشر المسلمين قد فتح الله على ايديكم هذه المدينة ايضا واهونه
وقد خرج الان اهل حمص من خوفكم فارجعوا بنا اليهم فانا نستعين الله على فتحها
وهموا بالمسير اذ لاحت غبرة من بقعة حتى علت على الجو وهي مقبلة من ناحية
انطاكية فامسك عن المسير حتى دنا وحضروا اليها واذا هم بقوم عظيم ومعه
مائة فرس وراجل من حولها مائة علم يخفقون بها ويهتفون بها ولم يكن للقوم
علم بنزول المسلمين على بشنين فبرز عليهم خالد بن الوليد وكبر وكبر المسلمون

معهم نكيسة عظيمة اذ نظروا ابا المثنى كبير اعداء الله الكافرين واحدقوا
بهم من كل جانب ومكان واستاقوا الى اخيهم ما عليها واخذوا القسيس
والعلوج اسارى وساقوا الجميع واتوا بهم الى ابي عبيدة يجرونه على النعش
المغلوب فلما نزلا واوقفوا القسيس ومن معه امام ابي عبيدة والمسلمين واستخبر
عن ما عندهم من الخبر فاخبرهم وعرفهم بما جاء به من عند ملكهم و
علمهم انه استنفر جميع ارتقاء الروم واجناسها من الروم ومينة والصقا
لبة والنوبة والافرنج والارمن والعرب المتنصرة فاجابوا الملك للنجدة
وهم عازمون على النهوض في البحر والقدوم عليكم فعظم ذلك على ابي
عبيدة والمسلمين وصغى خالد بن الوليد وقيس ابن هبيرة المرادي
نحوهما رضي الله عنهما وعرض ابو عبيدة على القسيس الاسلام فقال القس
للذي جاء قل للامير اني رايت البارحة رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم
وعرض علي الاسلام وقد اسلمت على يديه ثم انه جدد الاسلام على يدي ابي
عبيدة رضي الله عنه ففرح المسلمون باسلامه على العلوج الذين كانوا مع
القسيس فابوا فضرب اعناقهم بعضهم القسيس وفرح المسلمون بما اخذوه من
تلك الهداية وبما كان فيها من الامتعة

ذكر حروب مدينة حمص المرة الثالثة وفتحها المسلمين لها قال ابو عبد الله محمد بن اسماعيل بن عمر الواقدي رحمه الله تعالى

ولما اخذ المسلمون الهوية بعث معي فلما مع القسيس لهم بيمنوا واسلم القسيس
وقتل ابو عبيدة اصحابه رحل بجيشه وسار متوجها نحو حمص فلم يشعر
الا والخيل قد غارت عليهم والرايات والاعلام قد انتشرت عليهم ودارت
بهم فانجمع القوم الى المدينة متحصنين وغلقوا ابوابها وقالوا لاهلها
قد غزتكم العرب وها هم قد جاءوا والجميع حيوتهم ونزل المسلمون
حول حمص وداروا بها من كل جانب وكتب صاحب حمص الى ابي عبيدة كتابا
يقول فيه بعد كلمة الكفر يا معشر العرب فانا لم نعفي عنكم بالغدر

يحو

صح
التي

وانتم طالعتمونا على الميرة فمرنا كم فما هذا الذي صنعتم بنا وبعث الكتاب
مع الاقسة الذين كانوا عقدوا له الصلح اول مرة مع ابي عبيدة فلما وصلوا
اليه ناولوه الكتاب فقال لهم ابو عبيدة فانا لم نغدر بكم ولم تنكثوا عهدكم
الم تعلموا اني عاهدتكم على اني امضي حتى افتح مدينة من مدن ارض
الشام ثم يكون الامر الي ان شئت رجعت اليكم وان احببت مضيت الى غيركم
قالوا نعم قال لهم فانه قد فتح الله لنا الى مستوى ونمضي من في اهون شيء والس
ولا عهد لكم عندنا الان تستانفوا الامر ونصالحونا على ما اردناه منكم فقال
له القسيسون صدقتم ليس عليكم لوم والخطا انما كان منا اذ لم نستوثق لا
نفسنا ثم رجعوا الى حمص ينتظرهم واخبروا ابو الكلامهم واجتمع اهل حمص الى
بطريقهم وقالوا له ما عندك من الراي فقال لهم الراي عندي ان تقاتلوهم ولا تريهم
ضعفا منا فقالوا له وكيف الحيلة واين الزاد فقال لهم البطريق عندي حبا
طعام فيه ما يكفيكم ويقوتكم مدة طويلة ثم فتح خزانة خرج حب
واتى جماعتهم فقسم عليهم الطعام وفرق عليهم السلاح من الدروع والسيوف
والرماح وجميع الالة وسائر العدة وقدموا الانجيل امامهم وباتوا بقية
تلك الليلة من ليلتهم يبتهلون بكلمة كفرهم واما ابو عبيدة فانه
دعا اليه بالعمل الى من رجال المسلمين ومن سادات الموحدين وقال لهم تاهبوا
رحمكم الله وخذوا الاهبة للحرب فان القوم بلا زاد عندهم ولا مدد ياتيهم من
طاغيتهم فاستعينوا بالله وتوكلوا عليه وادنوا من الابواب فلما اصبح
الصباح فتحت ابواب مدينة حمص وخرج القوم في عددهم وعديدهم فالتقى
الجمعان واختلط البعض ببعض وتقاتلوا قتالا شديدا لم ير مثله فلم يقبله الا ان
المسلمين تراجعوا القهقرى الا انهم كانوا قريبا من السور وقد اضر بهم
الالم وفشا فيهم القتل والجراح وبادرت الروم حين فشى القتل في المسلمين وحملت
العلوج على الركبا واستتروا بالدروق وانزعوا جعاب النشاب والسهام
فلما نظر امين الامة ابو عبيدة من الجهاد الى ما حل من هزيمة المسلمين وتاخرهم مع ما
فشا فيهم من القتل والجراح عظم الامر عليه وكبر ونادى من رفيع صوته يا اهل

ف
ثبات البهم

العربيات الرجعة الرجعة ارجعوا بارك الله فيكم فمن ابوا له ما بعده فان
المسلمين حين سمعوا صوته واجتمع سائر الناس وحملوا على اهل حمص حملة منكرة
ووضع المسلمون السيف فيهم فتناخت الروم منهزمة على اعقابها وفشا القتل فيهم
اكثر مما فشا في المسلمين ثم انهم تراجعوا فلما نظر خالد بن الوليد الى ذلك برز بالكو
وكان صاحبه وحامله يوم حمص ونعم ينادي الصحابة تشوا بارك الله فيكم فانها
غنيمة الدنيا والاخرة فقال له ابو عبيدة لله درك يا ابا سليمان لقد جاهدت في
الله حق جهاده قال ولما نظر ابو هاشم المرقال بن عتبة الى ذلك صاح في زهرة
من قومه وحمل على الروم في ميمنتهم وحمل قيس بن مسهر ووفا العبسي في ميسرتهم
وحمل بعدهم عكرمة بن ابي جهل على الروم فجعل يفرقهم يمينا وشمالا وفرغا في اوساط
المشركين فقصده العلج يوقنا بسيف ورماه بحربة في صدره فانجدل صريعا فلما
نظر خالد الى ذلك اقبل يعدو على جواده حتى وقف عليه وبكى رحمة له وكان ابن عمه
رضي الله عنهما ولم يزل المسلمون في اشتداد الحرب يومهم ذلك حتى ادبر
النهار وهجم عليهم الليل واظلم فانصرف اهل حمص الى مدينتهم وانصرف
المسلمون الى رحالهم وباتوا ليلتهم فاستشار ابو عبيدة خالد بن الوليد
وخاصة المسلمين في امره فقال له خالد ان رايت من الراي ان تكشف عن القوم
فننهض من امامهم وندع لهم سوادنا واثقالنا وامتعتنا فاذا خرجوا عن مدينتهم
انثنينا الكرة عليهم وتمكنا منهم فقال له ابو عبيدة والمسلمون نعم الراي
رايت يا ابا سليمان بارك الله فيك وبات المسلمون وتواعدوا على هذا الراي
فلما اصبح صباح تلك الليلة خرج اهل حمص من مدينتهم وقد زاد طمعهم لما راوا
من المسلمين في امسهم فالتقى الجمعان وانهزم المسلمون امامهم على ما هو معهود
بينهم فتبعهم قوم يبغون حيلة وكانوا الوفا عديدة وكان لحمص قس عظيم
قد احكمته التجارب فانثنى على السور ونظر المسلمين استهزموا وقد ملكت
الروم سوادهم فجعل يصيح وينادي برفيع صوته وهو المسيح انما الفريسة
ومكيدة من العرب وانهم لا يسلمون اموالهم واولادهم ابدا ولو قتلوا عن اخرهم
فلما نظرت الروم الى ذلك من المسلمين ظنوا انهم انهزموا فابعدوا عن مدينتهم

قد

جراود اخلص الصرع فيهم فعندها الكفار ابو عبيدة رضي الله عنه برفيع صوته
يا معاشر العرب الى جعة الى جعة عليهم بارك الله فيكم فلما سمعوا صوته عطفوا
على الروم الذي فعل المسلمين بهم فثبتوا لهم كالسماء الى شقة واخذوا بالنبل فيه ومن
معه من كل جانب ومكان فلما نظرت الروم الى فعل المسلمين بهم ثبتوا لهم وتكالب
بعضهم على بعض حتى اذا حمي الوطيس اقتدى بخالد بن الوليد رضي الله عنه ونادى ذي
بن ربيع وحمل البه من حد سيفه وقوي عزمه وقاتل اعداء الله ونادى ابو عبيدة
رضي الله عنه ايضا معاشر المسلمين قاتلوا عن حرمكم وسوادكم وانصروا
دينكم الذي ارتضاه ربكم لنبيكم فان الله تعالى مطلع عليكم وهو ميزانكم وكان
معاذ بن جبل رضي الله عنه ايضا فانتهى الى السواد في خمسمائة فارس فانقض على
القوم من ورائهم فما شعرت الروم الا والقتل فيهم والصغر والذل باد فيهم
بعد ذلك انفضت العرب الى بعضها وانتضت السيوف من اغمادها وحملوا على اعداء
الله المشركين الكافرين فولوا الادبار منهزمين فقتل منهم من قتل وانهزم الباقون
حتى دخلوا من بيوتهم وكان من جملة من قتل من الروم بطريقهم بعلبك لعنه الله
قتلا ووضعت الحرب اوزارها اخذ المسلمون الاسلاب والدروع وانواع العدة من
السلاح وغير ذلك فحملوها الى عسكرهم وافتقدوا من استشهد منهم فوجدوا
خمسة وثلاثين رجلا ختم الله لهم بالشهادة والجنة ثم ان اهل حمص لما دخلوا
مدينتهم من الروم بيوتهم وعزموا على ان يسلموا مدينة حمص للمسلمين فخرج القسيس
القسيسون من اهل دينهم وصالحوا ابا عبيدة على ان يسلموا اليه المدينة وان
يكونوا تحت العهد والذمة فقال لهم ابو عبيدة انتم تحت ذمتنا وعهدنا ولاكن
لسنا ندخل الى مدينتكم حتى نرى ما يكون بيننا وبين ملك الروم وجيوشه وكتب
ابو عبيدة بذلك كله وبما فتح الله على يديه من البلاد الى امير المومنين عمر بن
الخطاب رضي الله عنه بالخبر واقام بحمص ينتظر امر جيوش الروم وما
يكون منهم ويتجسس الاخبار وبعث عينا من سبل العدو من المعاهدين
في طلبها حتى جاء بها اليه

وذكر ابو عمر والطلمنكي

في مصنفه غير هذا فقال لما فتح ابو عبيدة نحو حمص فخرج اليه اهلها بجمع عظيم وقال

حبيبه فاستقبلوه بالمقربة وصالحوه على ارض حمص كلها على ان عليهم مائة
الف دينار وسبعون الف دينار فقبل ذلك منهم المسلمون وفتحوا باب المدينة
ودخل ابو عبيدة ووجوه المسلمين الى المدينة وامن بعضهم بعضا وكتب
ابو عبيدة الى امير المومنين عمر بن الخطاب رضي الله عنهما كتابا يقول فيه
بسم الله الرحمن الرحيم لعبد الله امير المومنين عمر بن الخطاب من ابي عبيدة
عامر بن الجراح عامله على الشام وجنوده فاني سلام عليك وعلى من معك من المسلمين
ورحمة الله وبركاته اما بعد فاني احمد الله الذي لا اله الا هو واصلي على نبيه صلى
الله عليه وسلم وان نحمد الله حمدا ونشكر اياه الحمد لله الذي افاء علينا وعليك يا امير المومنين
ابطل كونه بالشام اصلا وهي عادا اكثر منهم عددا وجمعا واجرى كانا فوقنا
بلادهم وبها من جموع المشركين عدد كثير فلما حللنا بلادهم القى الله تعالى
الرعب في قلوبهم فقتلنا منهم وكففنا عنهم وفتحوا لنا المدينة وادوا الجزية
وكذلك ما والاها من الحصون فنشر من بعلبك وحماة وشيزر وسائر بلاد
العواصم قد فتحوا وادوا الجزية وقد وجهت الخيول من ابا الى النواحي التي
بها ملكهم وقد بلغني انه جمع الجموع التي لم يجمعها احد قبله وهم عازمون
على النهوض الينا وقد احببت اعلامك بذلك فنسأل الله مالك الملوك
وناصر الجنود ان يعز الاسلام واهله وان يذل الشرك وجمعه والسلام
عليك ورحمة الله وبركاته فلما ورد الكتاب على امير المومنين عمر
بن الخطاب كتب الى ابي عبيدة كتابا يقول فيه اما بعد فقد اتى من انك وجهت
الخيول من ابا نحو البلاد التي بها ملكهم وجموعهم فلا تفعلوا وابعث لخيلك
يأتيك واضممها اليك حتى يقضي الله هذا العام ونرى رأينا ونستعين بالله
تعالى على جميع امورنا والسلام عليك وعلى من معك من المسلمين ورحمة الله
وبركاته فلما ورد الكتاب على ابي عبيدة كتب الى ميسرة بن مسروق العبسي
ونهى له عن المضي ابا فقال له اذا اتيت رسولي فارجع معه حتى نرى رأينا ويأتي امر
امير المومنين عمر بن الخطاب فلما ورد الكتاب على ميسرة رجع باصحابه الى ابي
عبيدة بحمص فخرج اليه ابو عبيدة وعسكر الناس ودعا بخالد بن الوليد وقال

يا ابا سليمان اخرج بمن معك الى دمشق وانزل بباب جابية الى حصار المسلمين
وانا اقيم هاهنا ويقيم عمرو بن العاص بمكانه ويكون لكل مكان وموضع من
الشام طائفة وجماعة من المسلمين فهو اقوى لنا عليهم واعلم رايا حتى نرى ما يؤول
اليه امرنا في طاقات هاذه الجيوش الاتية فخرج خالد في عسكره الى حصار حتى نزل
بدمشق على دير المعروف به من ناحية الباب الشرقي واقام هنالك حتى جاءه الكتاب
من ابي عبيدة بالرحيل اليه كما سياتي بيانه والله الموفق انتهى

كمل الجزء الاول من هذا الكتاب المسمى بالاشادة
والاعلام باخبار الصحابة الاعلام في كيفية فتحهم بلاد
الشام ويتلوه اول الجزء الثاني منه وهو في جمة

ذكر حروب اليرموك

على يد كاتبه محمد بن محمد المعروف المذكور الشفيعي بسميري ابن الكريم
الى اخي عفو ربه ومغفرته لانه يعتبر الى ما ساء اليه ويعفو في جنته عمن
استوجب عليه النار للارحمته اوسع واكبر واغلظ واكثر واكبر واكمل
واتم وعمر من ذنوب العاصين لانه نويهم في رحمته اصغى من حبة في ارض فلات
جعلنا الله واياكم ممن يغفر فاخذهم بهم في رحمته ويعتق رقابنا ورقاب المسلمين
بفضله وكرمه انه جواد كريم وغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين امين

وكتبنا هذا الكتاب الشريف محمد بن بن بن الحسني
من وقت الزوال من يوم الاثنين ستة وعشرين يوما في شهر الله شوال من العام
١٠٢٣ اورحم الله الكاتب والقارئ والمستمع ولمن قال امين فان رايتم خطا
في فهم فاصلحوه ولا تضحكوا لان بن الكاتب اعمى وبعد الكمال الله عز وجل
وصلى الله على سيدنا ونبينا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى اله واصحابه وسلم تسليما
والحمد لله رب العالمين

عدد ما في هذا النصف الأول من النوازل
بالاعداد من الاوراق مائة وتسعة عشر ورقة



بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آله وأصحابه

ذكر حروب اليرموك وما وقع في أيامها وبعض لياليها من القتال

قال الفقيه القاضي أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن عمر الواقدي رحمه الله تعالى ورضي عنه قال أهل السير ممن تقدم ذكرهم وأسماؤهم وإسنادهم في أول الجزء الأول ثقة منهم واعتمادا على نقلهم وحروب الفتوح متقارب بعضها من بعض والله يعيذنا من الزيادة والنقصان فأما حروب اليرموك فهي أعظم شيء في هذه الفتوح ولا حرقت الأعراب الصدور وعن قاعدته لا تثبت بذلك فضائل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأرغم أنوف أهل البدع والجاحدين لأهل السنة ولولاهم لم تكن البلاد بمشيئة الله عز وجل للمسلمين ولا انفتحت أغلاق هذه الدين فلله درهم لقد جاهدوا في الله حق جهاده ثبتوا للقاء العدو وصبروا وبذلوا أجسادهم ومهجهم في سبيل الله كأنه وعد مافيهم وأخرجوا جموع الملك عن سرير بره وفيها العالية وصيبي له وأذلوا كلمة قيصر وأجلوه من كرسيه حتى علا الإسلام وظهر وسطع نوره وبدت وذهب الكفر وتقعقع ولا جرم أن الله سبحانه وتعالى قال فيهم فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا وذلك أن الأخبار اتصلت بالملك هرقل أن المسلمين فتحوا حمص والرستن وشيزر وحماة وبعلبك وقنسرين وأخذوا البلاد التي بها الى بيسان وكان قبل ذلك يجمع الجموع ويجيش الجيوش حتى كان أول جيشه بأنطاكية وأتى به على أجنادين وعشرين شهرا ثم قام فيهم خطيبا وقال يا أهل دين النصرانية قد حذرتكم من هؤلاء العرب فلم تقبلوا وحذرتكم منهم فلم تقبلوا بوجوه ذنب لا بد لهم أن يملكوا ما تحت سريري هذا وقد جمعت لكم من الجموع والجيوش ما لم يقدر عليه ملك من ملوك النصرانية فكيف تتوبوا الى المسيح من ذنوبكم إن رجعتم ارتضى وأعطاكم وإن لم تتوبوا من ذنوبكم الى المسيح فإنهم لا شك ينصرون عليكم ولا تقرعوا علا ان

امرى هذه الجيوش الى بلادها وقد عزمت على ذلك وآخذ مالي واهلي واخرج
من هذه البلاد وامضي الى القسطنطينية فاكون هنالك آمنا من العرب قال فلما
سمعوا ذلك من قوله سقطوا الى الارض بين يديه وقالوا له ايها الملك لا تبعد الله
وتخذل دين النصرانية وتطالب بذلك يوم القيامة وتعير كل الملوك فنحن نلقى
العرب بجمعنا ولعل النصر ينزل علينا فنفرح بقولهم الملوك ووجههم نحو
العرب وقال لهم اقتسموا على اربعة فرق فانكم ان اجتمعتم على كربوا احد لم
نسعكم ثم تقدم اليه جبلة بن الايهم الغساني فخلع عليه وضم اليه المتنصرة
من غسان ولخم وجذام وعاملة ونبهان ثم تقدم اليه جرجير الارميني وقومه
على ربع الجيش وهو ما ابتنا العاتي ثم تقدم اليه قناطير فامره على مثلها وتقدم
اليه الدريجان الدربي جار وقومه على مثلها ايضا ثم تقدم اليه قورين وهو ابن
اخته وقومه على مثلها ايضا وتحت كل واحد من هؤلاء الاربعة بطارقة وعظماء
وتقدم اليه ماهان الارميني فخلع عليه وقال له قد وليتك على هذه الجيوش
كلها وهؤلاء البطارقة فلا امر عليك ولا امر على امرك ثم قال لجميع البطارقة
جرجير وقناطير والدربي جار وقورين وهو ابن اخت الملك هرقل لا تقطعوا
امرا الا بمشورته ورايه وجدوا في طلب العرب وخذوا على ارض العواصم
والمعرات ويكون جبلة على مقدمة ماهان وجملة ما بعث الى البر مود ثمانية
الاف من جميع طوايف الروم واستنفر كل من يعبد الصنم من بلغ الحلم ولم
يتخلف عن جمعهم الامر كان شيئا كبيرا لم يرا مثل اهل الارض من بعد
ادم او نحو وكان لابي عبيدة عيون وجواسيس من المعاهدين ينقلون
له اخبار الروم فجاءوا ذات يوم وحدثوا ابا عبيدة بما راوا وبما سمعوا
فقال لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فجمع المسلمين اليه وقام فيهم خطيبا
فحمد الله واثنى عليه ثم قال اما بعد يا معشر رحمكم الله ان الله سبحانه
قد ابلاكم ببلاء حسنا لينظر كيف تعملون وذلك عندما صدقكم الوعد
وان عدوكم اعين وان عدو الله هرقل قد استنفر علينا كل من بلاد الترك
وقد سيق بهم الينا يريدون ليطفئوا نور الله بافواههم والله متم نوره

يقطعون جيوش

خ
يا معشري

ولو كره الكافرون واعلموا ان الله معكم وليس بقليل من كان الله معه والله
خاذل عدوكم وليس بكثير من يخذله الله ثم وصف لهم عظم جيشهم و
لهم فما عندكم من الراي فقام اليه رجال من المسلمين وقالوا ايها الامير
الراي ان ننتحي من موضعك هذا وكان موضع اجتماعهم الجابية فتنزل من
ما يلي وادي القرى ويكون المسلمون قريبا من المدينة والامداد تصل الينا
من الخليفة فقال ابو عبيدة ان خرجت من موضعي هذا كره لي امير المومنين
عمر بن الخطاب ذلك وعنفني ويقول تركت مدنا وبلادا فتحها الله على يديك
وانت حتى عنها فكان ذلك هزيمة لك منك قال واجتمع المسلمين
وكل واحد تكلم بما عنده فلما سمعوا كثرة عدوهم اضطربوا وارادوا
ان يخرجوا الى البرية الا خالد بن الوليد وقيس بن هبيرة بن مكشوح المرادي فقام
قيس بن هبيرة وقال يا امير الامة ان الشام خصيبة والحجاز جدبة وكيف
نرجع الى بلاد الحجاز والمدر ونترك لهولاء العلوج القصور والانهار وكان الجمع
خالد ساكتا يسمع ما يقولون وما عليه ويثني ون واذا كانت شدة
او نائبة فاليه والى رايه يرجعون ولا كان يثقل عليه شيء من امر الروم وكان
يزداد عليهم حرصا وكان الله عز وجل قد اسعد المسلمين برايه وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يثني عليه ويقول انه سيف من سيوف الله في
ارضه ولقد حرم عليه الصلاة والسلام يوم ان قدم عليه في المدينة باسلامه
فقال له ابو عبيدة ما تقول انت يا ابا سليمان وما عندك من الراي فقال
ارى والله ان كنا نقاتلهم بالكثرة والعدد فهم اكثر منا واقوى علينا وما
لنا بهم طاقة وان كنا انما نقاتلهم بالله ولله فما ارى جمعهم ولو كانوا اهل
الارض كلها انها لا تغني عنهم شيئا ثم غضب رضي الله عنه وقال ما هذا
الفشل وما هذا الجزع وما هذا الجزع من هولاء العلوج الكلاب ثم قال لابي
عبيدة يا امير الامة اعلم انك ان اقمت في موضعك هذا فانك تعين على
نفسك لان هذه الجابية معها قريب من قيسارية فيما فسكنا هم بن
جاز بعير البلقاء والذي اشير به عليكم انكم تستقبلون عدوكم وتجعلون

أذرعات خلف ظهوركم حتى تنزلوا اليرموك فيكون المدد من امير المؤمنين
متصلا منا حقا وانتم من عدوكم على فرسخ فلما تكلم خالد بهذا
الكلام قال المسلمون نعم ما اشار به خالد فعند ذلك امر ابو عبيدة الناس
بالرحيل من الجابية فارتحلوا ودعا ابو عبيدة بخيل خالد وضمه اليه وامره
ان يكون على حرم المسلمين ففعل ذلك ووقعت الضجة من المسلمين عند
رحيلهم فظنوا انهم هاربون وكان منهم جيش عظيم بالاردن عليهم درنجار
فطلبوهم والتقوا بخالد في جيشه فتقدمت الروم للقتال وصاح خالد
باصحابه وقال دونكم القوم فعندها راية النبي فانتضوا السيوف واوموا
الى الرماح فحمل خالد بن الوليد وهاشم المرقال وضرار بن الازور وعلقمة بن نوفل
العامري وعامر بن الطفيل ومثل هؤلاء السادات فلم تكن للروم
بهم طاقة ولا ثبات فولوا منهزمين فاتبعتهم الهزيمة الى الاردن وهو
وادي كبير فغرق منهم خلق كثير ورجع المسلمون عنهم فاخذوا
اسلابهم وما جروه من امتعتهم وخيلهم وعددهم ورجعوا مستبشرين
فرحين بالنصر والسلامة والغنيمة واما ابو عبيدة فانه قد نزل باذرعات
اليرموك اذرعات وكان هنالك تل عظيم فحط فيه ابو عبيدة النساء والا
والاولاد وافاق الحرس والعيون على رؤوس الجبال وجعل الطلايع على سائر
الطرق وامرهم باليقظة وافاق المسلمون باليرموك وهم مستعدون
لقتال الروم وقد الشتاء اتاهم ولم يزل العدو يرحل من مرحلة بعد مرحلة ويدنوا
منهم الى ان وصل بالقرب منهم فلما قربوا منهم نزلوا بازائهم ورأى المسلمون
الى كثرة عساكر الروم اضطربوا منهم واستغاثوا بالله العظيم عليهم
وكان لهم رجل قد امر ماهان الا يبتدي الحرب بينه وبين المسلمين فوجه
ماهان جرجير رسولا وكان عندهم فرس عظيم من عظمائهم فسار حتى
وقف بازاء المسلمين وقال يا معشر العرب ليخرج الينا مقدمكم حتى نعرض
عليه مقالتنا فخرج ابو عبيدة وسار حتى التقيا والناس ينظرون اليهما
فقال له ابو عبيدة قل يا اخا النصرانية ما انت قايل فقال جرجير يا معاشر

العرب لا ينبغي لكم ان تقولوا هذا منا الروم في مواطن كثيرة وقتلنا من
عدوكم فانتم والان ما اتيتكم من الجنود والعساكر فقال له ابو عبيدة
نحن لا نخوف بالسيف وفي طلبنا الضرب خرجنا واليه جئت وانا على يقين
من امرنا ولا بد لنا ان نملك ارضكم بالشام هذا كما وعدنا نبينا محمد صلى الله
عليه وسلم فلما سمع جرجير كلام ابي عبيدة انثنى راجعا الى عسكره واخبر
به ماهان وحدثه به فقال له ماهان اذ وفدا ادعتهم للصلح والموادعة
فقال لا وحق المسيح فعند ما هان بجبلة بن الايهم الغساني وقال له اخرج
الى هولاء القوم وحذرهم منا وخوفهم بكثرتنا فخرج جبلة حتى وقف
بين الصفوف ونادى في المسلمين فاجابه عبادة بن الصامت فخرج اليه رضي الله
عنه فنظر اليه جبلة بن الايهم لعنه الله فرآه رجلا طويلا اسمر كان
من رجال شنوءة فهابه وقال له من انت فقال له انا عبادة بن الصامت
صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له جبلة اذ خرجت الي
فاسمع الان اعلم ان كنت تحكم من الرحم والقرابة ولتعلم ان هولاء القوم قد نزلوا
بفنائكم بجنود لا قبل لكم بها ولا تقولوا هذا منا وبعضنا جموع عظيم فان الحرب
سجال والدنيا دول فارجع بين هولاء القوم عليكم هذه المرة ونحن من
لا يكون لكم صلحا ولا صلح الا بيننا وبين ان ننفي من اجل جموع العساكر
وبلاد وخزائن واجناد ومماليك تلتهم حدة وانصرفوا الى بلادكم
فقال له عبادة بن الصامت نحن نعلم ان من بغى منكم ومن جنودكم قد
تيقنوا علينا وانا ادعوكم الى السلام فاتبع سبيل من اناب فغضب جبلة
من كلامه فقال له عبادة فاراك بقيت الا ما انت عليه من الكفر والضلال وإياك
ان تلقانا في هذا الاول فنهلك بسيوفنا فلما سمع جبلة ذلك قال
يا ابن العم انما خرجت ان ابذل النصيحة فان ابيت فتسأل قومك ان يجيبوا الى
الصلح فقال ابو عبيدة لا اصلح الله احوال الكفر والله لا صلح بيننا وبينكم
الا بالاسلام او اداء الجزية او القتال فرجع جبلة الى ماهان من عامر عوارا
من كلام عبادة بن الصامت فتبين لماهان الجزع منه ورجع عبادة بن الصامت

الى عسكر

الى عسكر المسلمين فاجتمع اليه المسلمون لعند ابي عبيدة فجعل يحدثهم بما
وقع منه من الكلام والجواب لجبلة بن الايهم فجزاه المسلمون عنه الخير ا

ذكر الوقعة الاولى وهي اليوم الاول من ايام اليرموك
التي وقع فيها القتال ولم تكن من الوقائع الكبار

قال ابو عبد الله محمد بن اسماعيل بن عمر الواقدي
رحمه الله تعالى ورضي عنه ثم ان ماهان لعنه الله لما رجع اليه جبلة بن الايهم
الغساني لعنه الله واعلمه بجواب عبادة بن الصامت امره ان يسير بجيشه
المتنصرة الى المسلمين للقتال فجهز له كتيبة من خيلهم وقتالهم فسار جبلة
في ستين الف من المتنصرة من غسان ولخم وجذام يريدون القتال حتى اشرف على
المسلمين وابو عبيدة والمسلمون لم يزالوا يتحدثون مع عبادة بن الصامت
فيما كان بينه وبين اللعين جبلة بن الايهم اذ اشرفت عليهم رايات القوم فلما
راهم المسلمون صاح بعضهم ببعض وقد اقبلت العرب المتنصرة لعنة الله عليهم
فاخبروا اليهم فصاح خالد يا للمسلمين اصبروا وابن حكيم الله فانا كبيرهم
لكم بكثيرة اعظم من كثيرتهم لنا فقال ابو عبيدة ما تقاده المكيدة
يا ابا سليمان فقال خالد ان هؤلاء الروم قد استعانوا علينا بهم وهم اضعاف
عددنا فان نحن قاتلناهم بجمعنا كان ذلك وهنا وضعفا لنا فلو بعثنا
فنبعث اليهم رجالا يقاتلون في زحفهم عنا فان فعلوا كان ذلك مكيدة لهم
وان ابوا الا الحرب خرجنا بمن معنا من دونهم على اعقابهم فقال ابو عبيدة افعل
ما تراه يا ابا سليمان ثم قال خالد يا معاشر العرب ان جبلة في ستين الف من
العرب المتنصرة ونحن نريد ان نلقى بهذا الجمع الكثير من الروم فان قاتلناهم
بجمعنا لم تكن لنا هيبة في قلوب اعدائنا ولكن ينتدب اليهم ثلاثون رجلا منا
كل واحد يلقى الفين من هذه العرب المتنصرة فقال له ابو سفيان بن حرب
ان اجابك الى ذلك رجل فهو مغرر بنفسه فقال له خالد يا ابا سفيان انكم
كنتم شجعانا في الاسلام وشجعانا في الجاهلية فقال ابو سفيان والله ما قلت
ذلك الا شفقة على المسلمين فان عزمت على ذلك فاجعل ستين رجلا يقاتل

الى جل العا فقال ابو عبيدة نعم ما اشار به ابو سفيان فقال خالد للستين
رجلا انا نشوا رحمكم واستغروا غيركم ولنكن الستون هم المفترع من القوم الموقع
قال فبعث الستون رجلا من المسلمين الى رجالهم لا صلاح شانهم فلما صرا زمن الاول
فانه اقبل الى خيمته ليسلم على اخته وكذلك الستون رجلا حتى استعدوا
ما ارادوا وسلموا على اولادهم وكان اول من خرج للقتال خالد بن الوليد
رضي الله عنه فتقدم امام جيوش المسلمين واصحابه يقدمون عليه رجلا خرج
رجلا حتى اتوا الى الجعدان بن خالد ونادى يا عبدة الصلبان وبعلوا الالة
والكفر وصاح جبلة بقوم يا ال غسان الحملة الحملة فحملت الستون الف
من المتنصرة على الستين رجلا من الصحابة واشتعل القتال بينهم فما كنت
تسمع الا همهمة القوم وكبر ذالك على المسلمين واخذهم القلق على اخوانهم
والروم تقول ان هلك جبلة هولاء العصابة فملاك العرب باحاصل فلما حمى
القتال ترجل خالد عن جواده وركب في ساعته بغلا وركب هاشم المرقال وحملوا
على المشركين وجاء خالد بن الوليد يقول انا الفارس الصنديد انا البطل المبيد انا
خالد بن الوليد والفضل بن العباس يقول انا الفارس الورع انا الفضل بن العباس
وقثم بن الوابعهم اجمعهم القتال الشديد الى ان اجنحت الشمس للغروب واخذ
بعض المتنصرة منهم واصوات المسلمين قد ارتفعت بلا اله الا الله
محمد رسول الله فتفقد خالد المسلمين فلم ير منهم الاعشى بن رجا فجعل
يقول هلكت المسلمين ما لي ابكي عذري عند رب العالمين فسأله ابو عبيدة وقال
له ما لك يا ابا سليمان فقال فقدت اربعين رجلا منهم الفضل بن العباس فـ
سترجع ابو عبيدة وقال لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فقال سلام بن
الاحوص دونكم المعركة فان رايتهم فيها والا فالقوم في الاسر فافتقدوا
المعركة واذا قد قتل من المتنصرة خمسة الالاف فقال ابو عبيدة من يتكفل
في بغية الصحابة فقعد المثنى بن جرو وعشرة رجال من المسلمين
فقال خالد وسار واتبع اثار القوم وتبعه اناس من المسلمين فما كان غير
كثير حتى سمعوا التهليل والتكبير فاجابهم خالد بمثله فاقبل القوم

اليه فقال لهم ما كان من امركم فقالوا الملك اعز الله الملك كثيرا قتلنا منهم وعند ذلك
ان رجالا منا اسروا ورجونا ان نخلصهم فلم نقدر وهم ولا شك انهم قد قتلوا فقال
خالد ان القوم اسرى ولا محالة فقال له الذي من اين علمت ذلك قال انا لم نجد في
الموضع الذي كانت فيه المعركة من المسلمين الا عشرة موتى ونحن عشرون
وانتم خمسة وعشرون وقد اسر خمسة لا محالة فمن كان قتل فاجره على الله
ومن كان اسر فخلاصهم على يدي ان شاء الله قال ولما اسر الخمسة من اصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم اغتم المسلمون من اجلهم وكان اكثر غمهم على خالد بن
الوليد رضي الله عنه واما جبلة فانه لما رجع الى ماهان لعنهما الله قال له
ايها الملك انا لم نزل منصورين عليهم الى ان جاء الليل واقبل الظلام فكان صارخا
صاح بنا فبدد شملنا وفرق جمعنا فقال ماهان وحق الصليب لاحملن عليهم
غدا بخيلي ورجلي فاجعلهم رميما ثم ان الخمسة الاسرى من الصحابة احضروا
بين يدي ماهان فازدراهم واحتقرهم فقال له بعض جلسائه ممن شهد قتالهم
هؤلاء قوام جيش العرب وما بقي في جيشهم من يعادل منه الا رجل واحد وهو
الذي يتم البلاء وكان امين افعل هذا فقال له خالد بن الوليد فقال ماهان لابد
ان احتال عليه حتى اجعله مع هؤلاء الخمسة ثم دعا ماهان برجل من الروم
من خيارهم وعظمائهم اسمه جرجة وكان حليما فصيحا بلسان العربية
فقال له امض الى امير هؤلاء العرب ابي عبيدة وقل له انا رسول ماهان عامل
الملك على الشام وعلى هذه الجنود وهو يقول عسى ان ترسل اليه رسولا وليكن
هو الرجل الذي كان امين اقبلك وقيل له خالد بن الوليد فانه ذكر لي ان ذلك
الرجل فيكم عاقل وحسيب وقد سمعت ان عقول ذوي الاحساب ابعد من
عقول غيرهم فنخبره بما نريد ونسأله عما نريد فان وقع بينه وبينكم امر
كان لنا ولكم فيه صلاح فاخبرت به وعملنا عليه ولعل الله ان يحقن دماءنا
ودماءكم وان لم يكن فالقتال من وراء ذلك فمضى جرجة الى ان وصل الى نحو
عسكر المسلمين ونادى يا معشر العرب ان الملك ماهان قد بعثني اليكم لتبعثوا
اليه رجلا منكم وليكن هو الرجل المسمى خالد بن الوليد ولعل الله ان يحقن

دمائنا ودمائكم فحمله المسلمون الى ابي عبيدة فلما وصل الرجل الى ابي عبيدة
اعلمه بذلك فقال خالد بن الوليد انا اكون الى جانب نفسي وكان جرجة الى
رسول ما بها فوقع على المسلمين عند غروب الشمس ولم يمكث الا يسيرا
حتى نادت الصلاة فقال له خالد ان هذا الليل قد غشينا ولا كره ان اصبحت غدوت
الى صاحبكم ان شاء الله فارجع اليه واعلمه بذلك ففرح المسلمون لصلاتهم
وعاينوه ان يرجع الى عسكره لصاحبه فيخبره بما راه واعليه والرومي ينظر
الى المسلمين وهم يصلون ويدعون الله ويستنصرون الله وجعل الرومي يبكي
فيما له عنهم فقال عمرو بن العاص ان رسول الكم الذي ارسل اليكم لمجنون فقال
ابو عبيدة وما ذاك فقال الا تنظرون الى بكائه للمسلمين فقال ابو عبيدة ولعله
لا رجوا ان يكون قد قذف الله في قلبه الايمان وحببه اليه فلبث الرومي كذلك
فلما انه اقبل على ابي عبيدة وقال له ايها الرجل اخبرني متى دخلتم في هذا الدين
ومنذ كم دعوتم الناس اليه فقال ابو عبيدة منذ دعينا اليه بضعة من عشرين سنة
فمنا من اسلم حين اتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنا من اسلم بعد ذلك
فقال الرومي هل كان رسولكم اخبركم انه ياتي من بعده رسول فقال له ابو
عبيدة لا ولكنه اخبرنا انه لا نبي بعده ولكن اخبرنا ان عيسى بن مريم
قد بشر به قومه فقال الرومي قد بشر قومه براكب الجمل وما اظنه الا صاحبكم
فاخبروني عن قول صاحبكم في عيسى وقولكم انتم فيه قال ابو عبيدة
قولنا قول صاحبنا قول الله تبارك وتعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم خلقه
من تراب ثم قال له كن فيكون وفي قوله تعالى يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم
ولا تقولوا على الله الا الحق انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته القاها
الى مريم وروح منه فلما سمع الرومي ذلك قال اشهد ان هذه صفة عيسى بن
مريم وان نبيكم صادق وانه بشر به عيسى وانكم قوم صادقون ثم قال لابي
عبيدة ادع لي رجلا او رجلين من اول قومك اسلاما فدعا ابو عبيدة بمعاذ بن جبل
وسعيد بن زيد بن نفيل وقال له هذان من افضل المسلمين واقدمهم اسلاما فقال
لهما الرومي ولابي عبيدة اتضمنوا لي الجنة ان انا اسلمت وجاهدت معكم فقالوا

له نعم انت من اهل الجنة فقال الي ومن اشهد ان لا اله الا الله
واشهد ان محمدا رسول الله واشهدكم اني من المسلمين ففرح المسلمون به
باسلامه وصافحوه ودعا له بخير وقالوا له ان ارسلنا رسولنا الى اليهم واقف عندنا
ظنوا انا حبسناك فيخافون ان يحبسوا صاحبنا فان شئت ان تاتيهم الليلة
وتكتم اسلامك حتى نبعث رسولنا اليهم ويبقى على ما هم بيننا وبينهم
فاذا رجع رسولنا اتيتنا عند ذلك فما اعزك علينا واي منك عندنا وما انت
عندنا الا واحد منا الا بمنزلة اخيه من امه وابيه فقال نعم فخرج من عندهم فبات
عند اصحابه وانتم ما نهار وقال له عمر يا ابا بكر رسول القوم الذي ارد ثم فلما
اصبحوا بعث خالد بن الوليد بقبة له حمراء من ادم كان اشتراها من امرة ميسرة
ابن مسروق العبسي بثلاث مائة دينار فضربت له في موضع قريب من جانب عسكر
الروم ثم وثب الى قبته ولبس جبة حجازية بيضاء واعتم بعمامة يمانية وقال له ابو عبيدة
امض سلمك الله فلعل الله ان يهديهم او طائفة منهم على يدك فقال خالد ان الله المستعان
وبعث معه ابو عبيدة مائة رجل من المسلمين من الانصار والمهاجرين كل واحد منهم
جيش في نفسه يلقى جيشا وحده لان ابا عبيدة والمسلمين ظنوا ان ماهان يريد
ان يمكر بخالد ثم خرج خالد وسار الى قبته حتى اتاها فاقام فيها ساعة وكان
خالد رضي الله عنه رجلا صبورا جليدا اصحابه الا ينبغي اليه احد الا ملا صدره رعبا
وعرفه انه من شجعان الرجال واشهرهم باسا فسار خالد واصحابه حتى اشرفوا
على عسكر الروم فلما انتهى فوارسه رفعوا اصواتهم بقول لا اله الا الله محمد رسول الله
فاستقبلهم جبلة ابن الايهم وقال لهم من انتم فقيل له هذا خالد بن الوليد يريد
ماهان وقد اتاه رسوله فقال جبلة قفوا مواضعكم حتى استاذن لكم على
الملك فدخل على ماهان فقال اقبل صاحب الحرب وامام الضرب وفارس الشجاعة
ومعدن البراعة ومعه مائة رجل من اصحابه فقال ماهان انما اردنا خالدا وحده
نسئله عما يريد ونعطيه ما يريد فخرج اليهم جبلة وقال لهم ان الملك يقول له
خالد قل لصاحبك ان خالدا لا يدخل اليك الا باصحابه معه لانه لا يستغني عن
رايهم فرجع جبلة الى ماهان واعلمه بقول خالد فقال له ايذن لهم واذا صاروا

بازاء مضربه من همهم بالنبي وان اخلع سيوفهم وكان ماهان بعث الى خالد الرو
في قبته صفا له في كل جانب عشرة صفوفا عن يمينه وعشرة صفوف عن شماله
مقنعين بالحديد عليهم الدروع والبيضات لا يرى منهم الا الحدق وصفا وراء
تلك الصفوف خيلا عظيمة لا يرى طرفاها وانما اراد بذلك ان يريه قوة المسـ
وعددهم وعدتهم لكي يعظم بذلك في صدر جبلة غوثهم وامر نفرا بالوقوف بين
واقبل خالد حتى مكتنف شابان وكانوا القوا عليه من الكلاب بفناء القبة
التي جاء فيها فقال له الرسل ادن الى الملك فانزلوا عن خيولكم وضعوا سيوفكم
فقال خالد اما خيولنا فننزل عنها واما سيوفنا فهي عزنا وما كنا بالذي
نعطيها فاخبر ماهان بذلك فقال دعوهم يدخلون كيف شاءوا فدخلوا بخيولهم
وهم يجرون حمائل سيوفهم وطرحت لهم كراسي فلم يجلسوا عليها وجلسوا
على الارض فلما نظر ماهان الى فعلهم قال انتم تابون الكرامة فقال خالد الارض
بساط الله وتواضعي من غير شك فلما دنا من ماهان رحب به وقال له هاهنا
اجلس عندي فانك من ذوي احساب العرب فيما ذكر لي ومن شجعانهم وقد
عجب الشجعان وقد ذكر لي ان لك عقلا والعاقل ينتفع بكلامه ويوثق به
وقد اجلس فيما بينه وبين خالد ترجمانا يفسر لهما ما يقول خالد والرجل السائل
الرجبيه فلما فسر له الذي جاء في قوله قال خالد ان نبينا محمد صلى الله عليه
وسلم قال لنا ان حسب المرء دينه ومن لم يكن له دين فلا حسب له وقال لنا افضل
الشجاعة في العاجلة والآجلة ما كان منها في طاعة الله عز وجل واما ما ذكرت
انا اوتيت عقلا ووفاء فان اكن كذلك فلله الحمد على ذلك وقد قال نبينا
محمد صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى خلق العقل وقدره وفرغ من خلقه وصوره
فقال له اقبل فاقبل ثم قال له ادبر فادبر فقال وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا هو
احب الي منك فبك اخذ وبك اعطي وبك اعرف وبك تنال الحظوة عندي وبك
تدخل جنتي والوفاء لا يكون الا من العقل فمن لم يكن له عقل فلا وفاء ومن لا وفاء
له فلا عقل له فعجب من ذلك الذي جاء لماهان فقال له انت اعقل اهل الارض ثم
تكون بعقلك وتحتاج الى مشورة احد معك فقال خالد بذلك امرنا نبينا عليه

الله عليه وسلم كما امره ربه بذلك مع كمال عقله ووفوره فقال تعالى وشاورهم
في الامر فقال ماهان لخالد الوزير خالد الراي اريد ان ابداك بالكلام فقال خالد تكلم بما
تريد ولكل كلام جواب فقال ماهان الحمد لله الذي جعل سيدنا المسيح افضل
الانبياء فقطع خالد عليه كلامه فقال الحمد لله الذي جعل نبينا افضل الانبياء و
ملوكنا افضل الملوك وامتنا خير الامم فضلنا بالاسلام وهدانا بنبينا نعم عليه
السلام فجعله خاتم الانبياء والمرسلين وجعلنا قوما من جميع الانبياء عليهم
الصلاة والسلام ووقع على صاحب الروم منقطعا ثم قال له قل ما تشتاق فابل فلما
بلغ الترجمان لماهان هذا الكلام تغير ماهان واصفر وجهه ومكث قليلا ثم تكلم
وقال الحمد لله الذي ابتلانا فاحسن لنا البلاء وعافانا فاحسن وقد كانت لقصا
كاينة منكم يا معشر العرب يجيئون يغشوننا في بلادنا يلتمسون فضلنا وكنا
نحسن اليهم في جوارهم ونوفي لهم بالعهود ونتفضل عليهم ونجيزهم في
بلادنا ينزلون منها حيث شاوا ويرتحلون امنين وكنا نرى ونظن ان جميع
العرب ممن لا يجاورنا ايرون ذلك منا ويستحيي لنا ذلك الذي فعلنا مع
اخوانهم ولم يكن منكم ذلك وما شعرنا حتى جئتمونا بالخيل والركاب وقلنا
انكم جئتمونا تطلبون ما طلب اخوانكم قبلكم واذا انتم على خلاف من ذلك
تطلبون قتل الرجال وسبي النساء والاطفال وغنيمة الاموال وتريدون ان تغلبوا
على بلادنا وقد طلب منا ذلك من كان قبلكم من الامم من هو اكثر منكم عددا
واعظم مكيدة واقوى جندا وعلم فرجعوا عنها الا وهم بين اسير وقتيل وهارب
منا ذلك فارس واراد منا ذلك الترك واراد ذلك منا غيركم من اهل المشرق و
والمغرب وكلهم اظفرنا الله بهم واظهرنا عليهم ولم تكن امة من الامم ادون عندنا
منكم شانا ولا اصغر حظا انما كنتم رعاة الشاة والابل واهل الفقر والجهد
وانتم تطمعون ان تجلونا عن بلادنا فبيس ما طمعتم فيه منا وقد ظننا انه
لم يات منكم على بلادنا من يقدم على ذلك وما ذلك الا الجهد نزل بكم من
جدب الارض وقحط المطر واليبس ثم بلادنا كل الجسد ولقد ركبتم مراكبنا
لبستم كسر اكبكم ولبستم ثيابنا ليست كثيابكم وملات ايديكم من

الفضة والذهب ولقد لقيناك الا روع اليك كله لنا ما كان في ايديكم مما اخرجتم
فنحن نسلمه لكم والان فاخرجوا وانصرفوا عن بلادنا وان احببتم الى الصلح وادع
ان نزيدكم من بيوت اموالنا ما يقوى به الضعيف منكم ويبرى الغايب ان يرجع
الى اهله فعلنا فنامر لكل واحد منكم بمائة دينار وللامير فيكم ابي عبيدة
بالف دينار ولخليفتكم عمر ابن الخطاب بعشرة الاف دينار ونامر لك انت
بمثلها على انكم تخرجون من بلادنا وتحلفون لنا وتتوثقون منكم بالايمان والعهود
الا تعودوا الى بلادنا وحرمنا ابدا فان ابيتم الخروج والانصراف عنا عليكم
عزمة جمعنا وردناكم كامس الذاهب ثم سكت **فأخبر الترجمان**
خالد ابن الوليد فقال خالد الحمد لله الذي لا اله الا هو فاخبره الترجمان بما قال فرفع ماهان
بصره الى السماء ثم قال خالد واشهد ان محمدا عبده ورسوله فخبر بها الترجمان
فقال ماهان الله اعلم ما تقول لعله كما قال فاخبر الترجمان خالدا فقال خالد
اما قولك انا اهل الشقاء والجهد والبؤس والشقاء والضر فنحن والله كما
ذكرت وما انا نتبرا من ذلك ولا نتبرا منه وكنا على هذا ومثله واشد مما
ذكرت وسأقص عليك قصتنا واعرض عليك امرا وادعوك الى حظك ان قبلته
وانا كنا معشر العرب امة من قبايل الامم انزلنا الله وله الحمد منزلا من الارض ليس
فيه انهار جارية ولا يكون من الزرع الا القليل وجل ارضنا الحصا والغفار وكنا
اهل حجر ومدر وشاء وبعير وقلة عيش دائم وبلاء لازم نقطع ارحامنا
ونقتل خشية الاملاق اولادنا ويأكل القوي منا ضعيفنا ويكثر فينا قليلنا ولا
تامن قبيلة منا قبيلة الا اربعة اشهر من السنة نعبد من دون الله اوثانا واصناما
ننحتها بايدينا من الحجارة وهي لا تضر ولا تنفع ونحن مكبون عليها في النار فبينما نحن
كذلك على شفا حفرة من النار من مات منا مات مشركا صار الى النار ومن بقي منا
بقي مشركا كافرا بربه فلما اراد الله تعالى رحمته اذ بعث الله فينا رسولا من صميمنا
وكريمنا وخيارنا وشيء فابتدعانا الى الله وحده ان نعبده ونوحده ولا نشرك
به شيئا فامنا به وصدقناه ولكل ما دعانا اليه اجبناه ومنا من كان خالف
وعاند وابى وامتنع من ذلك والهمه الله عليه حتى دخل في الاسلام كرها فامرنا

ان ندعوا

ان ندعوا كل من زعم ان لله ولدا او له ثاني اثنين او ثالث ثلاثة ... ان يقولوا لا اله
الا الله وحده لا شريك له وان محمدا رسول الله ويدخلوا في الاسلام فان فعلوا
حرمت علينا دماؤهم واموالهم واعراضهم الا بحقها وهم اخواننا في الدين لهم
ما لنا وعليهم ما علينا فان هم ابوا ان يدخلوا في ديننا وبقوا على دينهم فا
عرضوا عليهم الجزية ان يؤدوها عن يد وهم صاغرون فان فعلوا فاقبلوا منهم
وكفوا عنهم وان ابوا فقاتلوهم فانه من قتل منكم كان شهيدا مرزوقا عند الله
وادخله الله الجنة ومن قتل من عدونا ومات كافرا ادخله النار فاعلم ايها ماهان ادعو
ك اليه من الخير وهو من صلاحكم وامر الصلح فلا فيما لكم الا ان تشهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا
رسول الله او تؤدوا الجزية عن يد وانتم صاغرون ولا سبيل الى غير ذلك لان الله عز وجل
وعدنا ان يملكنا اموالكم ودياركم وارضكم وبهذا لم يورثها من يشاء من عباده واما ما
ذكرته من عزمكم علينا ان لم نفعل فيما جئنا الا ان نحاربكم حتى يحكم الله بيننا وهو
خير الحاكمين فقال ماهان لقد اعجبني عقلك وبصيرتك وقد احببت ان اواخيك
فقال له خالد واني حقا ان تهمني الله في ذلك من مقالتك فقال ماهان وكيف ذلك فقال
خالد تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فقال ماهان اما ما دعوتني اليه
من الترك لديني والدخول في دينك فما الى ذلك من سبيل فقال خالد وكذلك لا سبيل
الى مؤاخاتك وانت مقيم على دينك وكيف ذلك لانا ندعوك الى عبادة رب لا اله الا
المعبود ولا تأخذه سنة ولا نوم ولا تعبد من دونه صنما ولا تتخذ من دونه وليا
ولا تجعل له صاحبة ولا ولدا ولا شريكا ولا ضرا ولا نفعا ... قال خالد وهو والله
الذي لا اله الا هو امر الله به نبيه صلى الله عليه وسلم فعلمناه وامرنا به وامرنا ان
ندعوا الناس اليه فمن اتبعنا على ذلك كان اخانا له ما لنا وعليه ما علينا ومن ابى
ذلك فالجزية يؤديها عن يد فمن اداها حقن بها دمه وماله وولده ومن ابى الاسلام
والجزية فالسيف يحكم بيننا وبينه ونحن ندعوكم الى احدى هذه الثلاثة خصال
نعني بها كما امرنا نبينا ... اولا الى الاسلام بان تقولوا لا اله الا الله وحده
لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله فقال ماهان يا خالد وهل بعد هذا شيء قال خالد
وان تقيموا الصلوة وتؤدوا الزكوة وتصوموا رمضان وتحجوا البيت وتجا

وتعاهدون من كفر بالله وتامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتوالون في الله
وتعادون في الله وتقرون بكل ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من عند الله فان فعلـ
فانتم اخواننا في الدين لكم ما لنا وعليكم ما علينا فان ابيتم فانا نعرض عليكم
ان تعطوا الجزية في كل عام عن يد وانتم صاغرون على كل محتلم من الرجال وليس على
من لم يبلغ الحلم جزية ولا على امراة ولا على راهب منقطع في صومعة او جبل فان فعـ
قبلنا منكم وكففنا عنكم فان ابيتم ذالك فالحرب بيننا فقد والله جاءكم قوم
احرص على الموت منكم على الحيوة فاخرجوا على اسم الله فنحاكمكم الى الله فان الارض
لله حتى يورث الله ارضه من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ثم سكت خالد رضي
الله عنه فقال ماهان فافعل ما تشاء فاما الخروج عن ديننا وما فيه اخراج
الناس يترك دينه ويدخل في دينكم واما ان نؤدي الجزية فسنموت من
قبل جميعا قبل ان نؤدي الجزية الى احد من الناس وهم ياخذونها ولا يعطونها
واما قولك فاخرج ليحكم الله بيننا فلعمري ما جاءك هولاء القوم وهاذه
الجموع الا ليحاكموك الى الله واما ما ذكرت من قولك ان الارض لله يورثها
من يشاء من عباده فلقد صدقت ووالله ما كانت هاذه الارض التي تقاتلونا
عليها وتقاتلونا فيها الا لامة كانت قبلنا فيها ولم تكن لنا ولا لكم وقد
كانت تغيرنا وغيركم فقاتلناهم عليها حتى اخرجناهم منها فملكناها
فابرزوا على اسم الله تعالى فانا اليكم خارجون فقال خالد والله ما انتم باشهر
منا الحرب والطعن والضرب فان الله معنا ينصرنا وكاني بجموعكم منهزمة
والنصر يقدمنا وتنساوا وانت حتى اخذك ليلا والحبل في عنقك وتقدم حتى توقف بين
يدي امير المومنين عمر بن الخطاب فيضرب عنقك ولم يقل خالد هذا الكلام الغليظ
حتى يجد منه مقتلا ويتبين له انه يريد غدره فلما سمع ماهان كلام خالد
غضب غضبا شديدا ونفرت البطارقة والروم قلبيه والقيام ضرخة الى الغضب ماهان
وهموا بقتل خالد ومن معه الا انهم ينتظرون امر ماهان فقال ماهان لخالد
وقد استوسق غضبا وامتلا غيظا الو كنت اكلمك وفي نفسي رحمة لك وقد
طار ما كان من ذالك غضبا فوحق المسيح لاحضرن اصحابك الاسرى ولاضربن

259

اعناقهم امامك **فقال له خالد بن الوليد** اسمع ما اقول لك يا هذا الرجل
ان هؤلاء القوم الخمسة الاسرى من اصحابي ما منا هم الموت والقتل في سبيل الله وغير
ذلك مثلهم يوجد صاحب الدعوة الحجابية واللواء والتاج والذي امنه رسول الله صلى
الله عليه وسلم وبيعة خليفة ابي بكر الصديق وخالفة امير المؤمنين عمر بن الخطاب واما
فته لئن قتلتهم او قتلت واحدا منهم لاقتلنك بسيفي هذا ولاقتلن كل واحد من
اصحابي هؤلاء بعددهم رجالا من قومك ثم ان خالدا وثب من مكانه قائما واستشق (?)
وجرد سيفه وفعل كل واحد من اصحابه كفعله في ذلك وهم يقولون لا اله الا الله محمد
رسول الله **وعن** مسلم بن عبد الحميد **عن** جده رافع بن مازن قال كنت مع خالد
بن الوليد في يوم ادوما نهار وجردنا سيوفنا وهممنا بالقوم ولم يكن في اعيننا
من جيوشهم شيء وقد تيقنا ان الحتف من ذلك الموضع فلما راى ماهان الحقيقة من
خالد ومن اصحابه وتبين له الموت في استعار سيوفنا نادى المهلا عليك يا خالد
ولا تكن عجولا فتبلك وانا اعلم ما فعلت هذا الا انك رسول والرسول لا يقتل
ولا يجب عليه شيء وانما كلمتك بهذا لاختبرك وانظر ما عندك والان فلا
اواخذك فارجع الى عسكرك واعزم على القتال حتى يعطي الله النصر لمن يشاء قال
فلما سمع خالد ومن معه من كلامه ذلك اغمد سيفه واغمدنا سيوفنا فقال
له ماهان ما تفعل في هؤلاء الاسرى الخمسة الذين بين يديك فقال له ماهان اكلهم
كرامة لكوا اخلي سبيلهم ليكونوا لك عونا في الحرب غدا ثم ان ماهان باطلاق
الاسرى فاطلقوا من اسرهم وفرح خالد بذلك وهم بالمسير فقال له ماهان يا
اخي كنت اردت ان اصلح الامر بيني وبينك فما قضي وانا اسئلك حاجة فقال
له خالد وسل ما تريده فقال له ماهان ان خيمتك الحمراء هذه اعجبتني وانا اريدها
واحب ان تهبها لي واعوضك عنها ما شئت من عسكري فقال خالد خذها اليك
ولا حاجة لي فيما تعوضني عنها والله لقد غنمتها حتى اذ طلبت لي من ملككم فهي
موهوبة لك فقال له ماهان لله انت لقد اعطيت فتيا مني ووهبت فاجملت
فقال له خالد انت تكن منك علي او ما تكافئك لا عطاء من الاسرى تالله ما شعرة
واحدة من اصحابي تعدل بها الدنيا وما فيها عندي فاقبلوا خالد ...

خالد

وفرقت لهم خيولهم في كتب نواحي اصحابه وامر ماهان اصحابه ووزراءه ان
يشيعوهم من الموضع مامنهم فساروا حتى وصلوا الى ابي عبيدة سالمين وفرح
المسلمون بسلامتهم واقبلوا يسلمون عليهم وخبر خالد ابا عبيدة والمسلمين
بما جرى بينهم وقال خالد للمسلمين وحق رسول الله صلى الله عليه وسلم والمس
والى وجه ما اكلونا ماهان اصحابنا الا خوفا بامر اشعار سيوفنا فقال ابو عبيدة
يفتن رجل حكيم الا ان الشيطان غلب على قلبه فعلى ما افتى فتنه يا ابا سليمان وقد
له خالد على ان نلتقي بهم غدا ويقضي الله النصر لمن يشاء **قال** فلما سمع ابو
عبيدة ذلك جمع عظماء الناس من المسلمين اليه واقام فيهم خطيبا فحمد الله
واثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم واخبرهم ان العدو مصبحهم بالقتال
في غداة غد وامرهم باخذ الاهبة والاستعداد للعدو وقال لهم توكلوا على
الله واعتصموا بالله في حفظ والصبر لقتال عدوهم واقبل فرسان المسلمين
في بعضهم بعضا واقبل خالد على اصحابه وهم عسكر الزحف وقال لهم اعلموا
ان هؤلاء القوم الكفرة وهم الذين نصركم الله عليهم في مواطن كثيرة وقد
جيشوا جيوشهم وحشروا حشودهم وجمعوا عساكرهم من جميع نواحي
بلادهم وانه قد دخلت عسكرهم ونفخت اليهم في الكثرة كالنمل ولاكن
انما عزمة بلا قلوب واعلموا ان الله ينصركم عليهم وهم ليس لهم ناصر وان
الله تعالى يقول في كتابه الحكيم على لسان نبيه الكريم ذلك بان الله مولى
الذين امنوا وان الكافرين لا مولى لهم وتقدم الوقعة الواقعة بيننا وبينهم
وقد وقع الاتفاق بيننا وبينهم ان القتال يكون غدا وانتم اهل الباس والشدة
فما عندكم وما رايكم رحمكم الله فقالوا له اما نحن فبغيتنا القتال ومنيتنا
التي الى ونحن لهم صابرون ولا ننتظر بهم حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين
ففرح خالد بقولهم وقال لهم وفقكم الله وارشدكم وللخير هداكم وسعدكم كم
تغزوا الاهبة القتال والحرب والطعن ولم يبت خالد تلك الليلة الا وقد استعد
بالات الحرب وبات المسلمون فرحين بالجهاد وبات ابو عبيدة وقد راجع على القلب
الهموم وقتالهم **وكتب** الى الخليفة امير المومنين عمر بن الخطاب كتابا يقول فيه

بسم الله

بسم الله الرحمن الرحيم الى امير المومنين عمر بن الخطاب من ابي
عبيدة بن الجراح عامله على الشام سلام عليك ورحمة الله وبركاته اما بعد فاني
احمد الله الذي لا اله الا هو واصلي على نبيه واعلم يا امير المومنين اعزك الله انه قد نزل
كلب الروم قد استنفر علينا كل من عبد الصليب من كافة نواحي بلاد الشام من
ساحل البحر وهم ثمانمائة الف مقاتل غير الاتباع وستين الفا من العرب المتنصرة
من غسان ولخم وجذام وعلى مقدمة الجميع بطريق من عظماء بطارقته يقال له
ماهان الارمني واول من التقانا جبلة بن الايهم بجموعه في ستين الفا بعد ان نزلوا
بقربنا باليرموك وخرج اليهم منا ستون رجلا فلم يزالوا يومهم اجمع في القتال
الى ان اقبل الليل ففتح الله الفتح الكبير على ايديهم فقتل من المتنصرة خمسة الاف
وقتل من اصحابنا عشرة واسر منهم خمسة وهم رافع بن عمرو الطائي ويزيد
بن ابي سفيان وربيعة بن عامر وضرار بن الازور وعاصم بن عميرة وبعث بعد
الهزيمة ماهان الى خالد بن الوليد وصادقه ان يمضي به جيشا اليه من الغد في مائة
من المسلمين من المهاجرين والانصار فاجتمع به في عسكره فخلصه الله منه وخلص
الله الاسرى على يديه واتفق معه على ان القتال في غداة ورجع سالما وقد اجمعنا
على لقاء القوم ونحن على نية القتال في غد وبعده فلا تغفل عن المسلمين والله ينصر
الاسلام واهله والسلام عليك وعلى من معك وجميع المسلمين ورحمة الله وبركاته
وطوى الكتاب وسلمه الى عبد الله بن قرط فاخذه وتوجه به سائرا الى المدينة
من ليلته تلك **قال عبد الله بن قرط** فلما وصلت المدينة صليت
ركعتين في المسجد وسلمت على روضة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى ابي بكر
الصديق رضي الله عنه وسلمت على امير المومنين وعلى المسلمين ودفعت الكتاب لعمر
ففكه وقراه فتغير لونه وقال لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم انا لله
وانا اليه راجعون فقال له عثمان وعلي والعباس وعبد الرحمن بن عوف وطلحة بن عبيد الله
وغيرهم رضي الله عنهم اطلعنا على ما في الكتاب فقراه فضجوا بالبكاء وكان اشد
هم بكاء عبد الرحمن بن عوف فقال يا امير ابعث في اليهم فوالله ما املك الا نفسي
ومالي وما ابخل بهما على المسلمين **وقال** علي بن ابي طالب رضي الله عنه

لهذه الوقعة التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبغي ذكرها الى الابد
وهذه الغنيمة المهلكة المذمومة على من كفر بالله وعبد الصليب ثم قال لعمر
اكتب لعاملك ابي عبيدة واعلمه ان رضى الله خير من معونتك فكتب عمر الى ابي
عبيدة رضي الله عنهما كتابا يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم
من عبد الله عمر بن الخطاب امير المومنين الى عامله ابي عبيدة بن الجراح والذين معه بالشام
من المسلمين سلام عليكم فاني احمد الله الذي لا اله الا هو واصلي على نبيه وبعد فقد ورد
كتابكم وكانكم بالامداد وقد شخصت نحوكم واعلم ان مدد الله وفتحه خير لكم وا
العدو ممن معك وقاتل بمن معك ممن بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فما عجزوا عن عدو
في مواطن كثيرة وجاهدوا في الله حق جهاده حتى تقتلوا في سبيل الله واني اكتب
تقرا على المسلمين والسلام عليك وعلى من معك من المسلمين ورحمة الله وبركاته ثم دفع
الكتاب الى عبد الله بن قرط فاخذ الناقة وسار الى ابي عبيدة وسلمه
اليه وعلى المسلمين وقد دفع له الكتاب فقراه على المسلمين فطابت به قلوبهم
وقالوا اما نحن فالامر يطلب الشهادة في الله تعالى فبلغنا اياها وعن هاشم بن
عمارة عن نافع بن حسين عن عبد الله بن عدي قال كنت ممن شهد اليرموك
وكان عدد المسلمين خمسة وعشرين الفا فقط وبعضهم ابو الحويرث وكان جالسا
وقال قد كذب من حدثك هذه وانما كان المسلمون يوم اليرموك احدا وثلاثين
الفا وقد ادينا اليك ما سمعناه ممن نثق به من الرواة قال ونحن الا ثبت الا
ان المسلمين كانوا يوم اجنادين اثنين وثلاثين الفا جاءت الامداد بعد ذلك

حديث من بعثه امير المومنين عمر بن الخطاب الى اليرموك

قال ابو عبد الله الواقدي رحمه الله وعن ابي عمر الثقات من اهل المدينة
قالوا انه لما سار سعيد بن عامر من المدينة الى اليرموك اذ سمعنا اصواتا هاتفة
في جنباتها وعن وراءها يقول من الضمر ونحن نسمعه الا جابر بن يقول هم جابر بن
سعيد بن فيلة الى بعد وماء البطن حتى الى فارس من مكة والطائف فجمع عمر
صحبهم وهم وعقد لواء وسلمه الى سعيد بن عامر وقال له يا سعيد
اني قد وليتك على هذا الجيش ولست بخير من رجل منهم الا ان تكون اتقى لله منه

جاءنا س

السير

فاذا اسرت فارفق بهم في السير ولا تتعب ضعيفهم ولا توقف [illegible]
ضعيفهم ولا توقف قويهم واتبع هواك والله الخليفة عليهم فسار
سعيد بن عامر يجد السير يجتنب العمران ويسلك الفلوات الى ان وقع في واد
عميق كثير الشجر وفيه عيون ماء كثيرة فنزل المسلمون عليه واكلت الخيل
من ورق الشجر وشربوا من مائه قال سعيد فاخبرني عيسى بن تميم بن اياس رويا
تدل على غنيمة وسلامة فاستيقظت ولم ازل اتلو اذ سمعت هاتفا يهتف في الوادي ويقول

يا عصبة الهادي الى الرشاد • لا تفزعوا من هول هذا الوادي
ما فيه من جن ولا معاد • ستعلموا يا معشر العباد
لطف الذي يلطف بالاولاد • ويجعل الرحمة في الاكباد

سعيد فلم نشك انه من [illegible] حتى اشرفنا على الوادي من بلد عمان الى قرية هنالك
فنظرت الى دخان فاقبلنا الى القرية وهم خارجون منها ومعهم الاهل والاولاد فلما راهم
المسلمون حملوا عليهم من غير ان امرهم بذلك فاخذوا بعضهم اسارى ورجع
بعضهم الى القرية الى حصن منيع فتحصنوا فيه وطلبوا منا الامان فامنا لهم
واستخبرناهم فقالوا انا نخاف صاحب عمان لا نبرا ان نلقوا منه شرة فلو
نعلم ان فيه لكان لكم نصرا وغنيمة مما تريدون فدلونا على الطريق فسرنا
الى واد عميق وكمنا فيه يوما وليلة فعلمت للمسلمين ان الذي وجهنا اليه امير
المومنين من نجدة المسلمين افضل لنا من مقامنا بهذا المكان الذي نحن فيه
فاخرجوا اثنين نحو جناوس تا فبينما نحن نسير اذ اشرف علينا اول جيش
عمان فلما اشرفوا على المسلمين حملوا عليهم والمسلمون على غير اهبة الا انهم
رفعوا اصواتهم بالتهليل والتكبير ووضعوا فيهم السيف فقتلوا الرجالة
عن اخرهم فاجتمعت الفيلة واقتتلوا قتالا شديدا فانهزم بكر بقيتهم راجعا
الى عمان وبعض المسلمين في اثرهم وبعضهم يجمع الغنائم اذ اقبل نحوهم من
خلفهم خيل فسمع في كانها زهاء على الف فارس يقدمهم فارسان كانهما
قال سعيد فلقيت الغبرة واشرفت على الموضع فرايت قوما وقد وقع بينهم
حرب وبعضهم يقتل بعضا فلما قربت منهم سمعت التهليل والتكبير فظننت

[illegible] لعل سقط امر الله اعلم

اما هما

دعـــــــوته من القبائل بها فتاملت الفارس فاذا اخو بني
الفضل بن العباس والاخر الزبير بن العوام فلما نظر الزبير الى البطريق حمل
عليه وتطارد البطريق بين يدي الزبير ثم حمل عليه فاراد البطريق ان ينحني فسبقه
الزبير وطعنه فقلبه عن سرجه صريعا وسمعت الفضل بن العباس
يتسمى باسمه ويقول انا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سعيد بن
عامر فما اقلعت الغوم اخر ذلك اليوم الا بعد هزيمة الروم وكثر فيهم القتل فسلمت وحملت
العرب على اسنة الرماح وكانت الهزيمة من اربعة الاف اسير والاسرى
اليهم وسار المسلمون على اثر فرّوا على جيوش المسلمين باليرموك فلما راى
ابو عبيدة والمسلمون كبروا واعتنق بعضهم فاز عجب لذلك ابو عبيدة الى
وسلم المسلمون بعضهم على بعض فسجد ابو عبيدة لله شكرا وامر بالاسرى
الاسارى فضربت رقابهم

ذكر خبر اليوم الثاني من ايام اليرموك التي وقع
فيها القتال وهو الاول من ايام العظام
قال الفقيه القاضي ابو عبد الله محمد بن اسماعيل بن عمر الواقدي
رحمه الله فلما اصبح الله بخير الصباح من اليوم الثاني من ايام الملاقات وطلع الفجر
ولاح الضياء اذن المؤذن في عسكر المسلمين حتى ارتفعت لهم جلبة عظيمة
بالتكبير فاسبغوا الوضوء وصلى بهم ابو عبيدة صلاة الصبح فلما صلوا ركبوا
خيولهم وتهيؤوا للقتال عدوهم وعبوا صفوفهم فكانت صفوفهم ثلاثين
صفوفا متلاصقة والصف الواحد منها الاف من الرجال واقبل خالد على ابي عبيدة
وقال له ما تامرني ايها الامير فقال اجعل على الميمنة معاذ بن جبل فقال خالد
اهل لذلك هو الان على الثغر فامر ابو عبيدة خالدا ان يقول له ذلك فقال
خالد يا معاذ كن على الميمنة فسار معاذ نحو الميمنة فوقف بين ابنيه فقال الله
فقال خالد من نجعل في الميسرة فقال له كنانة بن الهيثم الكناني فقال
خالد نعم الرجل هو ثم قال له يا كنانة سر الى الميسرة فمضى حيث امره
ابو عبيدة وعمرو بن فضالة بن عامر فقال كان رفيع الحسب عارفا بالحرب بالشيء

يزعزعت

وكان

وكان اذا اشتد الحرب حمى من اجناد العرب وصرخ فيهم وانتمى باسمه تثبت
اليه الرجال على عنان الخيل فيقاتلهم ويقاتلونه فان كثروا عليهم كان ذلك مراده
وان ضيقوا عليه نزل عن جواده وسعى على رجليه بين ايديهم فلا يلحقون له اثرا
ولا يرون له خبرا فلما ولاه ابو عبيدة الراية وقف بها حيث امره بالوقوف
ثم التفت ابو عبيدة الى خالد بن الوليد وقال يا ابا سليمان قد وليتك امر كذا وجدته
الخيل والرجال فول امر الجميع من شئت فقال له خالد رضيت ولي امرهم رجالا
لا يؤتى المسلمون من قبلهم ثم نادى بهاشم بن عتبة بن ابي وقاص وقال له قد
وليتك الامر على الرجالة فقال له ابو عبيدة ان يا هاشم وكرمهم وهذا انا
ارجو بك فلما رتب ابو عبيدة صفوف المسلمين وعباهم تعبية الحرب فقال له
خالد ايها الامير ابعث الان الى اصحاب الرايات وقل لهم يسمعوا مني فبعث ابو عبيدة
الضحاك بن قيس وقال له يا ابن قيس اسرع الى اصحاب الرايات وقل لهم ان الا
مير ابا عبيدة يامركم ان تسمعوا من خالد وتطيعوا امره ففعل الضحاك
ذلك واسرع اليهم وجعل يدور على اصحاب الرايات ويقول لهم ذلك حتى
انتهى الى معاذ بن جبل رضي الله عنه وقال له مثل ذلك فقال معاذ سمعا وطاعة
ثم اقبل معاذ على الناس وقال لهم انكم امرتم بطاعة رجل ميمون النقيبة
مبارك الطلعة مصيب الراي فان امركم بامر فلا تخالفوه فانه لا يريد غير
صلاح المسلمين قال فلما ورد الضحاك بن قيس اصحاب الرايات يقول ابي
عبيدة من الطاعة لخالد جعل خالد يمشي بين الصفوف ويقف على كل راية
ويقول يا اهل الاسلام ان الصبر حزم والفشل عجز فاعلموا ان الصابرين هم
الغالبون وان الفشل والجبن سببان من اسباب الخذلان فمن صبر كان الله ناصره
على عدوه لان الله معه وان الله وعد من صبر على حد السيوف الجنة فانه
اذا قدم عليه يوم القيامة اكرم نزله وشكر له سعيه والله يحب الصابرين
ومازال خالد يقول هذا الكلام لاهل كل راية حتى مر بجميع الناس ثم ان خالدا
جمع اليه خيل المسلمين من اهل النجدة والصبر على الشدة وكل من شهد معه
المواطن والحروب وقسمهم على اربعة اقسام فجعل على احدها قيس بن

يبغي له الى اخيه وقال له يا قيس انت فارس العرب فكر على هذه الخيل واصنع
كما اصنع وجعل على الربع الثاني ميسرة بن مسروق العبسي واوصاه بمثل
ذلك ودعا بعامر بن الطفيل وجعله على الربع الثالث واوصاه بمثل ذلك
ووقف خالد مع عسكر الزحف في الربع الرابع فلم تطلع الشمس الا وقد فرغ
المسلمون من تعبية العسكر **واما ماهان** الارمني فانه امر
الروم بالزينة واللبس لاهبة الحرب ففعلوا ذلك لان المسلمين كانوا اسرع
في التعبية منهم فعند ذلك عبى ماهان عساكره وقدم امامه الصليب الاعظم وكان
من الفضة البيضاء وزنه خمسة ارطال وكان مكوفا بالذهب وفي اركانه الاربعة
جواهر في كل ركن من اركانه الاربعة جوهرة تلمع وتضيء كالكوكب
وعن سنان بن اوس اليربوعي **عن** عمرو بن الحارث الفهري وكان ممن
شهد الفتوح اولها واخرها **قال** كانت صفوف الروم التي صفها
ماهان ثلاثين صفا الصف الواحد من صفوفهم مثل عسكر المسلمين واكثر
ماهان بين الصفوف الاقسة والرهبان وهم يحرضون الناس بالمباركة ويتلون
الانجيل واكثر عدو الله في عسكره من الصلبان والرايات والاعلام ما لم يعلم
عددها الا الله عز وجل وجعل العرب المتنصرة من غسان ولخم وجذام في مقدمة
الصفوف وزحفت عساكر الروم وهم على عدد الشوك والمدر الى عسكر المسلمين
فنظروا الى تعبية المسلمين وكان الطير على رؤوسهم تظللهم والصفوف
مثل الصفة والرماح مشتبكة والنور من نواصي خيولهم يلمع وقد الابر اخذهم
الفزع وخامر قلوبهم الجزع وعم جميعهم الرعب والهلع **فلما** اصطفت
الصفوف من الجيشين اذا بفارس من بطارقة الروم عظيم الخلقة قد برز
وعليه درع مذهب ولامة مليحة وفي عنقه صليب من الذهب معلق بسلسلة
ذهب مرصع بالجوهر وتحته جواد اشهب وكان البطريق من عظماء الروم
ممن يقف عن يمين الملك هرقل فلما برز جعل يهمهم بكلامه بصوت
كانه الرعد فعلم المسلمون انه يطلب البراز فتوقفوا عن الخروج اليه بدون
خالد وقال يا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ان هذا العلج الاغلف

يطلب

262

يطلب البراز ويدعوكم الى قتاله وانتم متاخرون عنه فلم قال لم تخرجوا اليه
والان اخرج اليه بنفسه ثم ان خالد اهم بالخروج اليه واذا بفارس من المسلمين
قد خرج اليه متلثم بالعمامة على برذون اشهب عظيم الخلقة وعلى المسلم لامة
حسنة ودرقة سابغة فقصد نحو البطريق فلم يعرف رجال خالد من هو الفارس
الذي خرج اليه فقال خالد لعبد الله بن عمر اخرج الى هذا الفارس وانظر من هو من رجال
المسلمين ومن اي العرب هو فمضى نعمان وجعل يقتفيه وقرب من الفارس ان يلحق باسر
البطريق فصاح به من انت يا هذا الفارس فقال انا روماس صاحب بصرى فلما علم به
خالد قال اللهم انصره وبارك فيه وزده ايمانه ويقينه فمضى روماس حتى وقف
بازاء العلج فلما صار بازاء العلج كلمه بلسانه فقال له العلج الى من وقد عرفه
يا روماس كيف تركت دينك وصبوت الى دين هولاء القوم فقال روماس يا هذا
الدين الذي دخلت فيه دين شريف قويم من دخل فيه نجا وكان سعيدا ومن خالفه
ضل وغوى وكان شقيا في النار ثم حمل روماس على العلج وحمل العلج عليه وتقاتلا حمل
ساعة حتى تعجب الجمعان منهما فوجد العلج من روماس غفلة فضربه ضربة
هائلة صعبة اسال دمه فيها وحسر روماس بالضربة فانثنى راجعا نحو المسلمين
والدم يفور من جرحه واتبعه العلج كالبالة لا يقصر عن طلبه وكاد ان يدركه
فصاح به رجال المسلمين فقوي قلب روماس بصياح المسلمين ودخل قلب العلج
الجزع فقصر عن طلبه فدخل روماس عسكر المسلمين والدم على وجهه فاخذوه المسلمون
اليهم وشدوا جرحه وشكروا له فعله واوعدوه بالغنائم وهنوه بالسلامة
فلما رجع روماس منهزما اعجب العلج بنفسه واظهر عناده وطلب البراز
فهم ان يخرج اليه ميسرة بن مسروق العبسي فقال له خالد يا ميسرة ان وقوفك
بمكانك احب الي من خروجك الى هذا العلج وانت الشيخ الكبير وهذا العلج علج
شديد عظيم الخلق وشاب شجاع ولا احب ان تخرج اليه فانه لا يكاد الشيخ الكبير
ان يقوم بالشاب الحدث السن لا سيما وقد قتل مسلم من المسلمين احب الي من والي
الله من اهل الشرك اجمعين فرجع ميسرة الى مكانه وهم ان يخرج اليه عامر
بن الطفيل الدوسي فقال له خالد انت غلام حدث السن واخاف عليك الا تقوى

عليه ولا تقوم له فقال له عامر بن الطفيل انك والله ايها الامير قد عظمت امر هذا
العلج الزنيم وادخلت في قلوب المسلمين الرعب منه فقال له خالد ان العرب سار
اكفاؤها في مواطن الحرب وما خفي عليه ما هو فيه من الشجاعة والشدة لان
ما بين قتل اصحابه وبين شجاعته الا وهو واحد في قومه وانت لا تقوم به ولو
عامر بن الطفيل ولم تقاتله وهم ان يخرج اليه الحارث بن عبد الله الازدي فاقبل
خالد عليها وقف بين يديه قال ايها الامير انا اخرج اليه فقال له خالد نعم ان فيك
الشجاعة وقوة وجسارة وشدة فان شئت ان تخرج فاخرج اليه فاخرج على اسم
الله فاخذ الازدي اهبته وهم ان يخرج فقال له خالد على رسلك يا ابن عبد الله
حتى اسالك فقال له سل فقال له خالد فهل بارزت احدا قبله فقال له لا فقال خالد
فارجع يا ابن اخي ولا تخرج فانك غر بالحرب وخرج اليه فقد اجاز من قد جرب
الحروب وجرب فيه وعرف مصارعها ولا احب ان يخرج اليه الا رجل مثله وجعل
خالد يقول ويلتفت الى قيس بن هبيرة المرادي فقال له قيس يا ابا سليمان اني
احسبك انك تعني فيّ واياي تعني وانا ابرز اليه على بركة الله وعونه فقال
له خالد ابرز اليه على اسم الله تعالى فانك كفو له والله يعينك عليه قال
والعلج لم يزل يدعو الى البراز **فخرج** قيس بن هبيرة المرادي اليه واجرى
جواده حتى لبس عن بطنه ويثني راسه نحو العلج ويصوب رمحه ويقول بسم
الله وعلى بركة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قرب من العلج فلما نظر
العلج الى قيس وفعاله علم انه فارس شديد من حيفا نحوه وقصد اليه
وتقاتلا وقصد له قيس وضربه على هامته فتلقاها العلج بحجفته فقد
سيف قيس الحجفة ووصل الى البيضة فتشبث بها السيف وهم ان يخرج
قيس سيفه فامتنع عليه فخرج وضربه العلج فسدا على حبل عاتقه
فزاغ قيس عن الضربة فلم تصبه ثم التقيا بعد الضرب فشد وجرح العلج بنفسه
على قيس بن هبيرة وكان العلج جبارا من الجبابرة وكان قيس قد عود
نفسه الصياح وقتال الابطال وطول العكرة حتى نحل جسمه فلما نظر قيس
الى العلج وقد حمي عليه الغضب من بين يديه وبعد عنه وجعل يفكر اليه

شزرا وبصر له مكي الا رسيفه فخرج من بين يديه فقتل عنان فرسه وشزرا جعل
نحو عسكر المسلمين ليأخذ سيفا ويعود الى القتال وقد يئس من نفسه فلما
عاينه الجعاسار العلج في اثره وجرد في طلبه فقحم قيس في مسيره وقال في
نفسه يا قيس من ام نفسك الموت وانت تفر الفرار من الموت فارجع الى العلج
فرجع اليه فصاح به خالد وقال له يا قيس سألتك بالله وبرسوله الا ما رجعت
ولا تفعل واني كدت [?] على [?] الكار خالد اقبل له منه التعب فقال له قيس
يا خالد العفو اقسمت عليك بحقهم فان رجعت اليك افتن [?] في عمري فقال له
خالد لا فقال قيس ولم اختار الفرار واكون من اصحاب النار بل اصبر فافوز بالغفران
من عند الرحمن ثم عطف على فرسه وليس في يده سيف بل اخذ
خنجرا كان في وسطه وبكى خالد الى قيس وقد عطف على العلج وليس في يده
سيف فقال من ياخذ نحو السيف ويرجعه الى قيس ابتغاء وجه الله تعالى فقال
عبد الرحمن بن ابي بكر الصديق رضي الله عنهما انا لها يا ابا سليمان فقال له خالد انت
لها يا ابن الصديق فانتضى عبد الرحمن السيف ولحق بقيس بين يديه وناوله
السيف فنظرت الروم الى عبد الرحمن وقد لحق بقيس فظنوا انه قد خرج لمعونته
على صاحبهم فخرج اليه بطريق من اخواته فلما دنا وقف بازاء صاحبه ووصل عبد
الرحمن ودفع الى قيس السيف ووقف معه ولم يرجع حين راى البطريق وجعل
العلج الخارج يتكلم بكلام الروم فلم يفهم فقال له عبد الرحمن يا ويلك ما
الذي تقول فما نفهم كلامك فخرج اليه الترجمان من الروم وقال يا معشر العرب
الستم تذكرون انكم اهل نصحة وخير فقال عبد الرحمن بلى فقال الترجمان
ما رأينا من نصحتكم شيئا ان يخرج فارسان منكم لعلج منا فقال عبد الرحمن
انما خرجت لاعطي صاحبي سيفا وارجع ولو خرج مائة منكم لواحد منا ما
عيب علينا ولا عليكم لو رجعنا وها انتم ثلاثة وانا واحد فما لكم كفؤا واخبر
الترجمان صاحبيه بذلك فتعجبا من قوله وجعلا ينظران اليه شزرا فقال عبد
الرحمن لقيس انك قد تعبت فقف مكانك ساعة تستريح ودعني وانا لهما
بكرمي [?] ومنهم ثم حمل عبد الرحمن على العلج الذي كان يخاصمه بطعنه

في نحو ما اطلع السنان من قفاه فوقع منجدلا قتيلا فنظر العلجان الى صاحبهم
قتيلا منجدلا فحملا على عبد الرحمن وقصدا اليه فقصد اليهما واراد ان يعاون
قيس فقال له عبد الرحمن يا قيس سألتك بالله العظيم وبرسوله الكريم وبحق ابي
بكر الصديق الامام ان تترك عبد الرحمن يصطلي بنارهما وان قتلت كنت شريكي
في الاجر والثواب وانا اعاينك من السلام فتاخر قيس عنه وقد عجبا من فعل
حمل عبد الرحمن على احد العلجين وطعنه في صدره فاشتبك السنان منه في درعه
فهز عبد الرحمن الرمح من يده وانتضى سيفه من غمده وضرب العلج ضربة طرح
بها قتيلا ونظر العلج الثالث وهو الذي كان قد خرج اولا الى عبد الرحمن وجرح
بقي حايرا متعجبا من فعله فتلقى قيس الى العلج وهو متحير باهت فتبينت
له فيه الغفلة فقال في نفسه ما يوقفك يا قيس فحمل عليه حملة هائلة وضربه
ضربة هشم بها هامته فسقط الى الارض صريعا فلما نظرت الروم الى اصحابهم
مقتولين وفي الارض مجدلين فقال بعضهم لبعض ما هؤلاء العرب الا
كبوش ان قيس بن هبيرة وعبد الرحمن بن ابي بكر الصديق رضي الله عنهم
لما قتلا الثلاثة كما ذكرنا نزل عبد الرحمن فاخذ سلبهم وسلاحهم
ودوابهم وسار هو وقيس راجعان الى عسكر المسلمين ودفعا السلب
لابي عبيدة فقال لهما ابو عبيدة هو لكما فمن قتل فارسا فسلبه له هكذا
عهد الى امير المؤمنين عمر بن الخطاب فاخذ قيس السلب الذي للبطريق الاول
ووقف في موضعه الذي اقامه فيه خالد واخذ عبد الرحمن سلب العلجين الاخرين
الذين قتلهما **قال** ثم رجع عبد الرحمن الى ميدان الحرب فجال بين الصفين
وكان قد ركب جواد البطريق الذي قتله عليه جواد لا يلحق تحته كما عهد
من خيل العرب فجال وجال وبرز في نفسه يطلب من يبارز ثم حمل على ميمنة الروم فشوش
صفوفهم وقتل منهم فارسين ورجع ثم حمل على القلب ثم انثنى بحملته نحو
الميسرة ففعل كذلك فشغلوه بالنشاب فرجع ووقف في صدر الجيش
وجعل يدعو الروم باسمه ويدعوا الى البراز فخرج اليه علج من علوج الروم
فما جال معه غير ساعة حتى قتله وخرج اليه ثاني فقتله فقال خالد اللهم اعنه

واجعله

واحبطه بانه قد اصطلى اليوم بنار قتال الجيش وحده ثم اقسم عليه خالد
وصاح به فقال له يا عبد الرحمن بالله عليك وبحق صحبة ابي بكر الصديق وبيعته
الا ما رجعت الى مكانك فقد قضيت ما يجب عليك ودع غيرك من اخوانك
المسلمين يقاتلون فرجع عبد الرحمن الى مكانه حين اقسم عليه خالد بن الوليد
رضي الله عنه فاغتاظت الروم عند ذلك وحملت على المسلمين حملة هائلة
وحمل عليهم المسلمون ايضا **قال عمرو** بن حزم بن شهدت في اليوم الاول من
اليرموك حتى يا ليتني او شهدت في اليوم الثاني حتى يا عشيتي وذلك ان ماهان لعنه
الله امر عشرة صفوف من الروم ان يحملوا على المسلمين وذلك بعد ان قتل عبد الرحمن
من الروم من قتل ورجع الى مكانه وحمل المسلمون عليهم ايضا والتقى الجمعان والـ
والتحمت الرجال بالرجال ونظر ابو عبيدة الى عسكر ماهان وكان واقفا لم
يحمل بعد اله وقد تهيأ للحملة فعلم ان الامر سيصعب فقال لا حول ولا قوة الا بالله
العلي العظيم ثم قرا الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم
فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله
وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم **وعن**
عبد الملك بن عبد الحميد من عمير عن من شهد وقعة اليرموك قال كانت
وقعة اليرموك اولها [illegible] ايام وان كل يوم كانت فيه
من القتال ما هو اشد من اليوم الذي قبله وانه لصعب من الاخر ولم يزل الحرب بين
القوم من ارتفاع الشمس في كبد السماء حتى غابت بالغروب ولم ينفصل
الجمعان حتى جن الليل بينهما فتحيزوا فوقفوا ما بين تدور الابطال الاشعار وكل
قوم من العرب يفتخرون باشعارهم ويعتزون بانسابهم ويتذاكرون بها
ورجعت كل فرقة الى مكانها واستقبل المسلمين نساؤهم فجعلت المراة
تمسح وجه زوجها بكمها وتقول له ابشر بالجنة يا ولي الله **وقال** حازم
بن قيسة قلت لجابر من شهد اليرموك اكانت النساء يشاهدن معكم
القتال قال نعم كانوا يشاهدن القتال منهن اسماء بنت ابي بكر الصديق
زوجة الزبير بن العوام وخولة بنت الازور اخت ضرار بن الازور وانيسة

بنت كعب ورملة بنت ثعلبة الى بيرعة وام ابان زوجة عكرمة بن ابي جهل واللّ
بنت عتبة وعادية بنت عامر بن عاصم الضمري مع زوجها مسلمة بن عمرو وزينب
وداغلة واسامة وام ابان وتميم ولبنى والغيداء وامثالهن ولقد كن يقاتلن قتالا
بي ضير الله به ورسوله

ذكر ضحى الليلة التي بعد هذا اليوم وهو اليوم الاول من ايام اليرموك العظام

قال ابو عبد الله الواقدي ولما رجعت الفئتان كل
فئة الى موضعها باتت كل واحدة في مكانها باتا المسلمون من حين في حر
فاوقدوا النيران وهم مستبشرين بفضل الله عليهم وذلك ان القتل اول
يوم كان من العسكرين يسيرا بل قتل من الروم كثير وقتل من المسلمين عشرة
رجال رحمهم الله واكرمهم وختم لهم بالرحمة والشهادة ثلاثة رجال من
بجيلة وثلاثة من غسان وهم رافع ومعلم وحازم ورجلان من حضرموت
احدهما اسمه مازن والاخر قادم وواحد من الانصار وهو عبد الله بن الاخرم
وواحد من مراد اسمه سويد بن معد ابن هبيرة المرادي ابن اخي قيس بن هبيرة
المرادي فجزع عليه قيس بن هبيرة جبر لفقده وكلهم حملوا الا هذا الاخير
فلم يدر ولم يعلم به حتى فقده فعلم انه مقتول فاخذ معه قبسا من نار وخرج
هو ومعه الرجال من قومه حتى اتوا موضع المعركة فاقبلوا يفتشونه
فلم يدروا له خبرا فبيناهم قيس بالجموع اذ نظر الى نار وقد اقبلت من جانب ع
عسكر الروم تربو بمكان الوقعة وذلك ان بعض الروم اتوا الى موضع المعركة
يطلبون قتلاهم وكان معهم عشرتهم فقال قيس بن هبيرة لاصحابه يا
قوم اخفوا ناركم واتبعوا بين القتلى فوالله لاخذن الليلة بثار ابن اخي
من هؤلاء القوم فاخمدوا النيران واختبوا بين القتلى وتاهبوا للروم وكان
قيس ومن معه من قومه سبعة نفر فلما وصلت نار الروم اليهم تاملوهم
فاذا الكل نحو المائة علج بآلة وعدة فقال اصحابه يا قيس يا قيس ان القوم
مائة ونحن سبعة نفر وقد مسنا التعب فقال لهم قيس ارجعوا انتم على

اعقابكم

اعقابكم فانى اطلب الموت للاربعين عيره او اخذ بالثار فعجبوا من قوله
ووقفوا معه وفتحت الكمام واقبلت الاعلاج يبادرون التفتيش على صاحبهم
ويبادرون بين القتلى الروم ووقفوا على العلج وهو مطروح بالارض وكان قد برز اول
النهار في اول مرة وقتله قيس بن هبيرة فلما حملوه وولوا يريدون عسكرهم
صاح بهم قيس من ورائهم وتابعه اصحابه بالصياح فذهلوا من الصياح
ورموا بالقتيل بين ايديهم وولوا منهزمين يريدون الهرب فتبعهم المسلمون
ووضعوا فيهم السيف وجعلوا يقتلونهم حتى قتلوا خمسين وكان قيس اشدهم ضربا
فيهم بسيفه يقول هذا عن ابن اخي بعد اخذ ثاره فقتل بيده من القوم ستة عشر
رجلا وقتل اصحابه اكثر القوم وانفلت الباقون فلما رجع قيس من القوم عاد
يطلب ابن اخيه نحو عسكر الروم فسمع انينا فاقبل نحوه فاذا هو بابن اخيه
سويد بن معن او ابن هبيرة فلما نظر اليه عرفه وبكى وقال له ما لك يا ابن اخي
قال يا عماه اني تبعت الروم عند العشي حين هموا بمنصرفهم جمع الي واحد منهم
فطعنني في صدري حتى اخرج السنان من ظهري وانا اعالج منها امرا عظيما
وهو لا يكون العين حولي ينتظرون خروج روحي فبكى قيس وقال له يا ابن اخي
لكل اجل كتاب ولعل لك اجلا طويلا فقال له هيهات قرب والله الامر وتم
الاجل والان فهل لك تقدر ان تحملني الى عسكر المسلمين فاموت هنالك
فقال له اجل فاحتمله على ظهره واقبل به الى عسكر المسلمين ونصب له رحله
فجعله فيه وسجاه فسمع ابو عبيدة بذلك وعدي وقيس بن هبيرة
فقام حتى اتى اليه ونظر الى الغلام وهو يجود بنفسه فسلم عليه وجلس
عند راسه وبكى وبكى المسلمون معه فقال له ابو عبيدة كيف تجدك
يا ابن اخي فقال نجني وعفى ان جزى الله عنا محمدا صلى الله عليه وسلم
خيرا فلقد ادانا به وصدقنا في قوله فبينما الغلام يخاطب ابو عبيدة اذ خرجت
خرجت روحه ومات رحمة الله عليه فما برحوا حتى واروه التراب واخذ قيس
بن هبيرة ابا عبيدة والمسلمين بما فعل وفعل اصحابه من القتلى كبر ففرحوا
بذلك فرحا شديدا واعلموا ان ذلك علامة النصر والفتح

فصل وباتوا بقية ليلتهم يتلون القرآن ويسألون من الله المعونة والنصر
وأما ماهان الأرمني فإنه لما رجع أصحابه إلى عسكره أخبروه بكيفية
قتالهم مع المسلمين وبفعل عبد الرحمن وقيس وبذلك كله فقال لهم إن الذي
كان أيدي هؤلاء القوم من حول المسيح لعن أنفع لكم فوالله إني أعلم أن لكم أمرا
ونصيبه هؤلاء القوم عليكم فإن لم تلحقوا بهم بكثير نجدكم وإلا فلا تقوم لكم
معهم قائمة أبدا ثم إنه أتاه بطريق من بطارقته فساره في أذنه وقال له أيها الملك
إن هؤلاء القوم لا شك أنهم منصورون ولتعلم أني قد رأيت البارحة في منامي كأن
رجالا نزلوا من السماء إلى الأرض وهم على خيول لهم شهب وبلق وعليهم كامل السلاح
وقد أحدقوا بهؤلاء العرب وغير قيام بإزائهم ولا يخرج أحد من عسكرنا إليهم
إلا قتلوه حتى أتوا على آخر عسكرنا وكأني أراهم قد أتوا على آخرنا فكيف
قبل ماهان هذا الكلام فلم يرد جوابا وخاف مما رآه البطريق في منامه
وأمر البوق أن يضرب فاجتمع إليه القوم من البطارقة والأحبار والقسيسين
وكبراء القوم من الروم وسألوه ما قال البطريق فلم يخبرهم فلما التأم واجتمع عليه
الكلام وألحوا عليه في السؤال تكلم فيهم وقام كالخطيب وقال يا أهل هذا
الدين إنكم إن لم تقاتلوا عن دينكم ونعمتكم كنتم من الخاسرين بغضب عليكم
المسيح وكنتم من الهالكين فإن الله عز وجل لم يزل لكم ناصرا ولدينكم
معزا وإن الله عليكم الحجة إذ بعث فيكم رسولا وأنزل عليكم كتابا فلم يتبع
رسولكم الدنيا وأمركم ألا تتبعوها وأمركم في كتابه ألا تظلموا فإنه لا يحب
الظالمين فلما خالفتموه نصب عليكم أعداءكم بما عندكم عند خالفكم وقد
خالفتم أمر نبيكم وتركتم ما جاءكم به من عند ربكم وهؤلاء العرب بإزائكم
يريدون قتل فرسانكم وسبي نسائكم وأولادكم وأنتم تعملون بالمعاصي
والذنوب ولا تفزعون من ربكم فإن الله نزل سلطانكم من أيديكم ويظهر عليكم
أعداءكم وذلك لكفركم منه وعملكم لا تأمرون بالمعروف ولا تنهون عن المنكر ثم
إنه قدم له سماطه وفرقه بفعاله وجعل عليه الطعام فلم يأكل منه شيئا مما
وقع في قلبه من الخوف من غلبة المسلمين ومن الرؤيا التي رآها البطريق وأخبره بها

وكان

فكان ماهان يود لو نزل له الامر وخلى ابنه لاداء الجزية وصالح المسلمين لكنه
كان مغلوبا على رايه لمخالفة الروم له وخوفا من الملك فلم يقدر على ذلك ليقضي الله امرا
كان مفعولا قال واقبلت الروم من الملوك والبطارقة والي بعلبك والاقسة على ماهان
وقالوا اما بال الملك قد امتنع من اكل الطعام وشرب المدام فان كان ذلك من غمه
على من مات وعلى ما جرى من الحرب والقتال فان الحرب دول وسجال يوم لك ويوم عليك
واعلم ايها الامير ان القوم يقفون بنا بهاذه ال[illegible] وما نهلكهم الا بالخيل
وها نحن ذا نحمل عليهم بجمعنا ونحطمهم بخيلنا فلا يبقى منهم احد فقال لهم ما
ارى الا لكم شيئا تصنعونه من تغيير اديانكم والجور في سلطانكم فبهذا
نصرت العرب عليكم فقام اليه رجل من اهل دمشق وقال ايها الملك ان رجلا من
اهل البلد من اهل دمشق كانت له مائة راس من الغنم وكان ولده يرعاها فمر ب
عليهم من عظماء اصحابك جماعة الرجال فيها واخذ منها ما احتاج اليه وعدا عليها
اصحابه فاخذوا بقيتها وانتهبوها فجاءت امراة تشكو اليه انهم اخذوا غنمها
وقالت له ما اخذت انت لنفسك فهو لك وما اخذ اصحابك فمن لهم ان يردوه
علينا فلما راوها قد دخلت عليه في الخباء فكان من كثمها عنوه فلما راى ذلك ولدها
دنا من الخباء واذا هو يضاجع امه وهي تبكي فصاح به ووثب عليه فامر الملك
بقتل الغلام فقتل واخبرت بذلك فاقبلت اربعون رجلا من ولدها فامر بعض اصحابه
فنشر على فاتقيت الضربة بيده فقطعها السيف ثم اخرج يده فاذا هي مقطوعة
فغضب ماهان غضبا شديدا وقال له هل تعرفه قال نعم هو هذا الواقف على
راسك واوما بيده اليه فنظر اليه ماهان مغضبا فغضب البطريق الذي فعل ذلك بالرجل
الشاكي ما فعل وغضبت البطارقة اصحابه من اجله وهم لا يخفى من حاله وقالوا على
المشتكي فضربوه باسيافهم حتى مات وماهان ينظر اليهم وقد ازداد غضبا
فقال لهم ماهان العجب كل العجب كيف لا تهد الجبال الراسيات ولا تتزلزل
الارض باشجارها النابتات لهذه الافعال الخبيثات وانا اتكلم فكيف اذا غبتم
عن عيني اما علمتم ان هولاء الضعفاء المساكين والناس المظلومين اهل ينصف
المظلوم من الظالم فالان قد فرحت لكم في الطلب فتهيئوا للقصاص فويلكم

كيف ترجون النصر وانتم تفعلون هذه الفعال ولا تخافون من ربكم وانتم والله
اشر من الكلاب وسوف ترون عاقبة فعلكم والى اين تفرون من ربكم ولكنكم
لا جرم ان الله يجعل هلاككم وينتقم منكم وينزع منكم صالح ما اعطاكم ويسلط
ويعطيه غيركم ممن يؤمن بالله واليوم ويامر بالمعروف وينهى عن المنكر ثم امر
بانصرافهم وقد قيل انه قال وتركهم وانصرفوا فلما انصرف عنه القوم واقام
من غده ولم يبق معه الا بعض البطارقة قال له رجل من تلك البطارقة ايها الملك
ان القوم كما تقول والله ان القوم الذي ذكرت ان دينهم صحيح وما اظن الا انا
مغلوبون وان العرب علينا منصورون وفي الكلام ثم كلمنا ثم قال له اعلمك
اني رايت البارحة في منامي كان رجالا نزلوا من السماء على خيل وابل فتهيبنا فاحرقوا
بهؤلاء العرب وعليهم كامل السلاح ونحن وقوف بازائهم ننظر اليهم ولا نخرج
اليهم احد منا الا قتلوه حتى اتوا على اكثرنا واخذوا مثل ما ذكر البقر من الزرع
ماهان من ذلك وبهت ولم ينم تلك الليلة من الخوف فبقي ماهان يفكر في
طول الليلة واقبل يدبر كيف يصنع في امر المسلمين فسنح له في رايه الايقاع
القتال بينه وبين المسلمين وعول على ذلك وعزم عليه واجتمعت اليه
البطارقة من وراء الجبل وهم الملوك الاربعة جرجير وقناطير والديرجان وهو ابن
وهم اصحاب الجيش يستاذنونه في الحرب فقال لهم ماهان وكيف لي ان اقاتل
قوما يقاتلون ان كنتم احرارا فقالوا اعز دينكم وحاربوا عن سلطانكم
وذبوا عن ملككم وامنعوا عن حريمكم ونعمتكم فقالوا له الوينا العرب بوجه
المسيح لا نفارقهم حتى نخرجهم من الشام ونردهم على اعقابهم الى بلادهم
او يقتلونا عن اخرنا ثم يقولونا واستعض اليهم واذا عزمت على القتال فاجعل
كل واحد منا النوبة يقاتل بجيشه وعسكره يوما حتى نعيي وابدا انا بالحرب
والجمع وان توجه ... بعض العرب المطاولة بذلك وتجمع عيالاتنا
واولادنا واموالنا في العسكر فان كانت لنا على العرب دائرة لحقناهم ببلادهم
وان كانت للعرب دائرة بادرنا بانفسنا وعيالاتنا واولادنا في العسكر ويكون الحرب
بيننا وبينهم خمسة ايام في الاسبوع ونستريح يومين ونحن نرجو ان

كذا وجدتها

نفعل

ينفصل الامر بيننا وبينهم في يوم او يومين فقال لهم ما تفار[redacted] الله هذا
هو الراي ولا نظر امهلوني الى ان كاتب الملك بذلك ثم انه كتب الى هرقل
كتابا يقول فيه اما بعد فاني اسال الله لك ايها الملك ولجيشك النصر ولاهل
بيتك العز ولمملكتك وسلطانك الظفر فانك قد بعثتني الى العرب فيما لا يحصى من
العدد والعدد فعرضت عليهم ونزلت فيما حذاهم وارسلت اليهم وقد منيتهم
فلم يفعلوا وهيبتهم فلم يهابوا وخوفتهم فلم يخافوا واطمعتهم فلم
يطمعوا وسالتهم الصلح فلم يقبلوا وجعلت لهم الجعل فلم يجعلوا ذلك
كله رجاء ان يخرجوا عن بلادنا ويمضوا الى بلادهم ويسلموا لنا بلادنا ونبقى
حالنا على ما كنا عليه ونحقن دماءنا ودماءهم فلم يفعلوا ذلك وقد قتل
منهم جند الملك في عاشوراء وقتل منهم ذوي اعظيما وقد خشيت على جندك
وعسكرك ان يكون منهم يوم ركبهم الفشل ولاشك انه قد عمهم وان الرعب
قد دخل في قلوبهم وذلك لكثرة قتلهم وان بني الاصفر لا يفقهون العز في
الحرمات ولا يتوقون احكام شيء يعقبهم من المتعقبات وقد اجمعت اهل
الراي من اصحابنا والنصيحة للملك منا فاتفقوا بهم على النهوض اليهم فجمعنا
في يوم واحد ولا نزايلهم حتى يحكم الله بيننا وبينهم وقد اقسم منا رجال
الايقوا ولا ينفعهم موالو يقتلوا عن اخرهم واعلمك ايها الملك انني
رايت في منامي كان رايت اتيا وقال لا تقاتل هؤلاء القوم فانهم ينصرون عليك
ويملكون جماعتك ويهزمون جندك فانتبهت في عامر خوف ما رايت من
قوله وقلت هذا امر الشيطان فان كان ذلك هو المكتوب والاقدر فيسر الامر
فابعث ايها الملك عن مدد وحشمك ومالك وثقلك والحقهم باقصا بلادك
واتقي وقعت هذه فان اظفرنا الله عليهم حمدنا الله الذي اعز ديننا ومنع
سلطاننا وان اظفر الله علينا عدونا وهزمونا فان ذلك بقضاء الله سبحانه وتعالى
واعلم ايها الملك ان الدنيا زائلة عنك كما زالت عن غيرك ممن كان قبلك ولا
تتاسف على ما فاتك منها ولا تعتنيه بشيء مما هو في يدك منها والحق
بمعاقلك واهل مملكتك ودار ملكك بالقسطنطينية واحسن الى

رغبتك بنفسي اليك وان حضرت رحم وارفق بالضعفاء والمساكين وتواضع لمن
يرفعك الله فان الله لا يحب المتكبرين ولقد عملت الحيلة في احضار امير القوم
الذي هو خالد بن الوليد ومنيته فلم يفعل ورهبته فلم يفزع ورغبته في الاموال
فلم يقبل ولقد رايته مقيما على العفو والعدل فان رايت ان الحقك به وامكن تحققت
عاقبة الحق وما كان سبب نصرهم علينا الا باقامتهم على العفو وامتثالهم العدل
واجتنابهم الباطل واتباع سنن نبيهم وشرايعه والسلام عليك ثم طوى
الكتاب ودفعه الى بعض اعوانه من العلوج ليوصله الى الملك هرقل وبعث به
تلك الليلة قبل الصباح واستمر هو على ما هو فيه في رايه من المخاتلة للمسلمين
وعمل متاجرة فيما بينهم حتى ياتيه الجواب

ذكر الايام التي لم يقع فيها بين المسلمين والروم قتال وانما كانت فيها ملاقات الكتائب ومراسلات الجواسيس

قال الفقيه القاضي ابو عبد الله الواقدي رحمه الله

فلما اصبح الصباح من تلك الليلة عبا المسلمون صفوفهم على عادتهم وارادوا
الحرب فنظروا الى الروم فلم يخرج اليهم احد ولا ابصروا للروم حركة ولا اتى عابر في عسكر
هم فعلموا ان لهم راي فقال ابو عبيدة للمسلمين دعوهم ولا تبغوا عليهم
فان الباغي مخذول ابدا والبغي يهلك صاحبه ثم انهم اقاموا يومهم ذلك
فبعث ابو عبيدة رجلا من عيونه وجواسيسه لينظر له ما الخبر وما الذي
اخر القوم عن القتال فسار الرجل وغاب في عسكر الروم يوما وليلة ثم عاد
فاخبر ابا عبيدة ان ماهان قد كتب الى هرقل يعلمه بخبره ويستاذنه في امره
وهو ينتظر الجواب فقال خالد والله ما فاخر ماهان عن قتالنا الا وقد دخل
في قلبه رعب فان رجع بنا اليهم فقال له ابو عبيدة يا خالد اصبر ولا تعجل فان
العجلة من الشيطان وكان ابو عبيدة لين الجانب يحب الرفق بالمسلمين قال
واقام ماهان لعنه الله بعد الوقعة الاولى سبعة ايام لم يقاتل المسلمين
فيها ولم يقاتلوه وكان رغبته يستاذن في الحرب وهو ينتظر ذلك وانما

كان ان

كان يرسل من الروم طوائف وطلائع وجماعات ويأمرهم أن يحملوا على أصحاب
الأسواق من المسلمين ويغيروا عليهم ويكبسوهم على حين غفلة فكانوا
يفعلون ذلك وكان دأبهم فلم يفطن لذلك المسلمين لأن الأردن في أيديهم فهم
في خصب وخير فلما رأوا أن ذلك لا يضر بالمسلمين وأنهم يكتفون عنهم
الأذى بعث ذات يوم خيلا كثيفة من ورائهم وعليها بطريق من عظمائهم
وأراد أن يكبسهم فنحوه فعلم المسلمون بما يريدون فدعا أبو عبيدة خالد
بن الوليد وبعثه في ألفي فارس من فرسان المسلمين وسبقوهم إلى الموضع الذي
كانوا يغيرون منه فلما سار البطريق يريد الغارة على المسلمين وجد المسلمين
قد سبقوا إلى ذلك الموضع فاستقبله خالد والمسلمون وكان خالد قد نزل عن
فرسه في الرجالة وبعث قيس بن هبيرة في خيل من المسلمين فحمل عليهم واقتتلوا
قتالا شديدا أبلى فيه قيس ومن معه حتى اضطرهم إلى الرجالة الذين مع خالد بن
الوليد فلقيهم خالد مع الرجالة الذين معه وحملوا عليهم وشد خالد والمسلمون
على البطريق ومن معه فضربوهم بالسيوف حتى تبددوا وانهزموا وقتلوا منهم
مقتلة عظيمة البطريق وهو منهزم رجل من بني تميم
فقال له قيس يا أخا بني تميم لا يفوتنك البطريق فإنه والله قد حدثت في نفسي
وراءه يعدو حتى كل وجاء عمر التميمي من ورائه وأتاه فحمل عليه التميمي وركض
في أثره حتى أدركه فلما رآه البطريق وأنه أدركه عطف عليه فاقتتلا
بسيفيهما فلم يصنع السيفان شيئا واعتنق كل واحد منهما بصاحبه فوقعا
إلى الأرض فاعتركا ساعة ثم صرع التميمي فجلس على صدر البطريق وقبض
البطريق بيده وكان مثل الأسد فجثم بجنبه على التميمي وقبض على يديه فما
استطاع التميمي أن يتحرك فنظر إليهما قيس فجاء حتى وقف عليهما وقال يا
أخا بني تميم أقتلت البطريق فقال له والله لقد ضمني بين فخذيه وأمسك
على يدي فما استطيع أن أتحرك فنزل إليه قيس وضرب البطريق فأخرج
يديه فقطعهما فخلى عن التميمي وانطلق فقال له قيس تناوله وإياه فقام إليه
التميمي فضربه بسيفه فقتله فمر به خالد بن الوليد فقال له من قتل هذا

بابقيس فقال له قتله النبي عليه السلام ولم يخبره بما صنع قال ثم ان الروم استاذنوا
ماهان في الحرب فلم ياذن لهم وكان مراده ان يفوت عنهم ويكفهم عن القتال حتى
يتبين له خبرهم وكانوا في كل يوم يجتمعون اليه ويستاذنونه فلما كان ذات يوم
دعا برجل من العرب المتنصرة من لخم وقال له اذهب وادخل عسكر هؤلاء القوم
وتجسس لنا اخبارهم وانظر ما عندهم من اخبارنا وشدة حرصهم على القتال وما سبب
تاخيرهم عن قتالنا وكيف هيبتنا في قلوبهم وكيف هي اعمالهم وسيرتهم قال فمضى
المتنصر حتى دخل عسكر المسلمين واقام فيه يوما وليلة وهو يجول في عسكرهم
وليس احد من المسلمين ينكره لانه من العرب وزيه كزيهم ولسانه كلسانهم
فنظر الى المسلمين وهم آمنون وليس فيهم عدوان ولا ظلم ولا غدر ولا بغي ولا
يتعدى احد منهم على احد ولا يبغي عليه وليس لهم همة الا الصلاة وشانهم
مع القراءة والتعظيم والصلاة والتسبيح وقراءة القرآن فنظر المتنصر الى الموضع
الذي فيه ابو عبيدة فنظر الى خيمة كانه اضعف خباء ضعيفة في العراء فساعة
يجلس على الارض وساعة يقوم ويدور عليها فاذا كان وقت الصلاة قام واسبغ
الوضوء وامر المؤذن واذن وصلى بالناس صلاتهم فنظر المتنصر الى المسلمين
وكيف هم يخشعون من حسن صلاتهم وسيرتهم وانقيادهم لاميرهم فقال
ان هؤلاء جماعة حسنة لله ولاميرهم وما يشك انهم منصورون على عدوهم
ثم انه رجع الى عسكر ماهان وحدثه بما راى من المسلمين بما عاين من
احوالهم وحسن سيرتهم وطيب عشرتهم وامتثال اوامرهم وانقيادهم
الى اميرهم فقال له ايها الملك اني جئتك من عند قوم يصومون النهار ويقومون
الليل ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر رهبان الليل ليوث بالنهار لو سرق
واحد منهم قطعوا يده وان كان اميرهم ولو زنا احد منهم رجموه لا يغلب
هواهم على الحق بل الحق لهم غالب واميرهم كاضعف من فيهم الا انه مكرم
في قوله فيهم وهو بينهم ان امر سمعوا وان نهى سمعوا معه الموت والقتل
في سبيل الله مناهم والقتال والحرب مرادهم والشهادة شهوتهم وبغيتهم
وانما كان سبب تاخيرهم عن قتالكم هذه الايام ليكون البغي منكم ا...

بداتموهم

بامورهم فقال ما تقول يا هؤلاء القوم ينتصرون علينا من خالفهم غير انه وجدت حيلة
اعملها واحتال بها عليهم فقال له المتنصر وما هي هذه الحيلة ايها الملك قال ماهان
الست ترى انهم ما يقاتلونا حتى نقاتلهم لنكون نحن البادئين عليهم فقال له
بلى قال ماهان فاذا ما انقلب الحرب بل نطول الامر بيننا وبينهم وندهمهم
على حين غفلة وهم دون عدة ولا آلة فعسى ان نظفر بهم ولا نبقي منهم
احدا وننالهم عن آخرهم فيكون ذلك سببا لشتاتهم وانهزامهم واجمع
رايه على هذا الامر وكان ذلك والله اعلم في اليوم الخامس من ايام الكهرية

ذكر حرب اليوم الثالث من ايام اليرموك وهو اليوم الثاني من الايام العظام وهو وما بعده افظعها ويسمى هذا اليوم يوم التعوير

قال ابو عبد الله الواقدي رحمه الله فلما كان
في اليوم الثامن ونظر ماهان الى تلمع اصحابه وجيشه على الحرب والقتال ونظر
الى بطارقته وملوكهم اشرافا على ملاقاة المسلمين وفرحوا بنشاطهم وما
ظهر له من اغتنامهم عزم ان يلتقي بهم المسلمين مع ما لم يظهر له من عند الملك
جواب فقعد الى الليل حتى مضى منه جله واعلمهم بما قد عزم عليه في غد ذلك
ثم انه جمع الملوك والبطارقة اليه وجعل يعقد لهم الرايات والصلبان حتى
عقد مائة وستين راية وصليبا تحت كل صليب وراية عشرة آلاف مقاتل
فكان اول من عقد له راية وصليبا قناطير وكان نظيره في المملكة والمرتبة
وامره ان يكون في ميمنته ثم عقد لجرجير صليبا ثانيا وراية وضم اليه الارمن
والنوبة والروسية والصقالبة وامره ان يكون في القلب ثم عقد صليبا
ثالثا وراية لقورين وهو ابن اخت الملك هرقل وضم اليه الافرنج واهل قلبة
والقيامرة والي عمورية والي ونس وامره ان يكون بجوار جرجير في القلب ايضا
ثم عقد صليبا رابعا وراية لديرجان اليوناني بطارق وضم اليه السكاسكة
واللان وجعله على ميسرة الجيش ثم عقد صليبا خامسا وراية لجبلة بن
الايهم الغساني وضم اليه المتنصرة من غسان وجذام وعاملة ولخم وضبيعة

وامره ان يكون على الميمنة وقال له انتم العرب ولا يقطع الحديد الا بالحديد ثم وقف
باقي الاعلام والصلبان في جوانب العسكر وصف الصفوف فكانت ثلاث
صفا الذي اول الصف من اخره ولم يزل يصف الجيوش وترتيب الصفوف ويبعث
بالرايات والاعلام الى جوانب عسكره الى ان بدا ضياء الفجر فانفجر الصبح وفرغ
من تعبية عساكره وترتيبها وقد رتب كل طايفة وقال لهم اذا فرغت العرب
من هذه الصفة الا انهم على غير اهبة وتعبية فاذا طلعت الشمس ورايتموهم
على غير تعبية فاحملوا عليهم من كل جانب ومكان فما هم في عسكرنا الا كـ
الشامة البيضاء في جنب البعير ثم انه امر بمضرب قبة له على كثيب عال من
جانب اليرموك ليشرف منه على العسكرين عسكره وعسكر المسلمين معـ
وافق عن يمينه الف فارس والف عن يساره من حماة الروم في سوابغ الدروع و
الديباج الاحمر المنسوج بالذهب الذين منهم الاجاليق الحرق وهم الملوك
اصحاب التيجان وامرهم باليقظة قال نفكر اسمعت اياد بن غالب الحمسي
يذكر وكان من العجم بن وعن جوال البراء بن السكسكي عن ابيه اسد بن علقمة
وكان مرافقا لعياض بن غانم الاشعري قال الهارب ماهان عسكره كـ
في عسكرنا ولبس عندنا مما صنع الكفار خبر فلما انشق الفجر اذن الموذن
نور واسبغ الناس الوضوء وتقدم ابو عبيدة ليصلي بالناس وهو لا يعلم بكيد
ماهان فقرا في اول ركعة بسورة والفجر وليال عشر حتى انتهى الى قوله ان ربك
لبالمرصاد فاذا هتف بهم هاتف وهو في الصلاة وهو يقول ظفرتم
بالقوم ورب الكعبة وما يغني عنهم كيدهم شيئا وما اجرى الله هذه
الاية على لسان اميركم الا بشارة لكم فلما سمع المسلمون الهاتف وهم في
الصلاة عجبوا منه وقرا ابو عبيدة في الركعة الثانية بسورة والشمس
وضحيها حتى انتهى الى قوله فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها فلا يخاف
عقبها واذا بقايل يقول تم المقال وهو الرجى بعز له علامة النصر فلما فرغ ابو
عبيدة من صلاته قال يا معشر المسلمين هل سمعتم بهاتف النصر وبلوغ
الامر في الاعداء فابشروا بعون الله ونصره ومعونته فان الله لينصركم

الـ

الله عليهم ولئن سلط عليهم سوط عذاب كما انزل ذلك على القرون الماضية
والامم السالفة الخالية ثم قال ابو عبيدة معشر الناس اعلموا اني
رايت البارحة في منامي رؤيا تدل على النصر على الاعداء والمعونة من العلي الاعلى
فقالوا اخبرنا اصلحك الله ايها الامير وما الذي رايت فقال رايت كاني واقف بازاء عدونا
من الروم حتى احتوشنا رجال عليهم ثياب بيض لم ار كبياضها حسنا ولبياضها
اشراق ونور يغشي الابصار وعلى رؤوسهم عمائم خضر وبايديهم رايات صفر
وهم على خيول شهب فلما اخذوا مصافهم حولي قالوا لي تقدموا الى عدوكم ولا تها
بوهم وناوشوهم القتال فانكم الغالبون وانتم الاعلون والله معكم وناصركم
ثم دعوا برجل منكم اعرفه وسقوهم من كاس كان معهم فيه شئ ابيض وكاني انظر
الى عسكرنا وقد دخل في عسكر الروم فلما راونا ولوا بين ايدينا منهزمين
فقال له المسلمون اصلحك الله ايها الامير هذه بشارة اتى الله بها عينك و
وبشرك بخير فقام اليه رجل من خولان يقال له ابو بشر وقال اصلحك
الله ايها الامير وانا ايضا رايت البارحة رؤيا فقال له ابو عبيدة خيرا رايت
وخيرا يكون ان شاء الله تعالى يا ابا بشر رحمنا الله واياك ما الذي رايت قال
رايت كانا خرجنا نحو عدونا فلما صففنا لهم في الحرب واذا انقض علينا طيور
بيض لها اجنحة خضر وهي في الخلقة مثل العقبان فجاءت الى رجل منهم ضربته
ضربة فقطعته بها قطعا فبشر ابو عبيدة بذلك وقال هذه رؤيا حسنة
ونحن نرجو تاويلها النصر واني لارجو من الله ان تكون العاقبة للمتقين قال ففرح
المسلمون بذلك الى وبشر وقال بعضهم لبعض ابشروا فقد امدكم الله وايدكم
بالنصر وامدكم بالملائكة تقاتل معكم كما فعل بكم يوم بدر واحد
فقال رجل من المسلمين ما وقوفنا ايها الامير عن هؤلاء الكلاب واي شئ
ننتظر بالحرب وعدونا قد اكلنا بالمطاولة وما اتى علينا الا ليلة يوم
اربع فما بيننا فقال ابو عبيدة ان الامر قريب من ما تحب قال ابو سعيد عمار
بن رفاعة الحميري فبينما نحن كذلك اذ سمعت الاصوات قد علت والزعقات
قد ارتفعت من كل جانب من عسكر المسلمين وهم يهتفون بالقتال ويقولون

أن الروم قد زحفت فظن أبو عبيدة أن المسلمين قد كبسوا في الليل ووقـ
وقمنا معه وكان على حرس المسلمين تلك الليلة سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل
العدوي وإذا به قد أقبل وهو ينادي النفير النفير حتى وقف أمام أبي عبيدة
ومعه رجل من العرب المتنصرة فقال له أيها الأمير إن ماهان لعنه الله قد أخذ
دنا بالمطاولة وخرج خوف المسلمين بتخلفه عن الحرب وها هو قد عبأ عسـ
كره وجمع جيوشه وزحف إلينا رجاء من أن يكبسنا علينا ونحن على غير
أهبة ولا عدة وبعث إلى جرجير أن أقبل إلينا راغبا في الإسلام محذرا الناس بأنه
ومن عمر أن ماهان قد عبأ صفوف عساكره في الليل وزحف إلينا بجيشه وقدم إلينا
حامية الملوك والبطارقة وقد تعاهدوا بينهم على أن يقاتلونا كل يوم ملك من ملوكهم
بمن معه وهو صعب القتال وكان عدو الله ماهان قد قدم من الروم كل من
ذكرت شجاعته وعلمت براعته واشتهر بالثبات وذلك مائة ألف
مقاتل قال ووقع المسلمون إلى رايات الروم تخفق بأمنهم وإلى الصلبان قد ترفع
إليهم فقال أبو عبيدة لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ثم قال
أين أبا القاسم من خالد بن الوليد فجاءه بالتلبية فقال له أنت لها يا أبا سليمان
أبرز في أبطال المسلمين وحرضهم على الحرب حتى تأخذ الرجال مجالها وتستعد للـ
حربها فقال له خالد الرحبا وكرامة وصاح رضي الله عنه أين [illegible] قال أين
الزبير بن العوام أين عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق أين الفضل بن العباس أين
يزيد بن أبي سفيان أين ربيعة بن عامر العامري أين ميسرة بن مسروق العبسي
أين عبد الله بن أنيس الجهني أين أبا سفيان صخر بن حرب الأموي أين أبا هريرة
الدوسي أين سالم بن غانم الغنوي أين المقداد بن الأسود الكندي أين أبو ذر الـ
الغفاري أين عمرو بن معدي كرب الزبيدي أين عمار بن ياسر العنسي أين ضرار
بن الأزور بن طارق الكندي أين عامر بن الطفيل الدوسي أين أبان بن عثمان بن
عفان رضي الله عنهم وجعل خالد يدعوهم رجلا رجلا حتى أكمل عدة
نحو من خمسمائة فارس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ممن شهد
معه الوقائع وخاض المهالك والمعامع في صدر الإسلام وكل واحد منهم

جيش

جيش في نفسه يلقى جيشا وحده مقاتل في سبيل الله فجاءوا الى خالد باجمعهم
ثم استقبلوا المشركين بانفسهم وما معهم واستعمل القتال بينهم حتى ردوهم
على اعقابهم ولم تغن عنهم كثرتهم ما نالوا شيئا ثم رجعت الروم الى ورائها
منهزمة من حملات خالد رضي الله عنه فزحف اليهم في الخمسمائة فارس
فجزعوا لذلك ورجعوا **واما ابو عبيدة** فانه استعمل من ترتيب
الصفوف وتعبية العسكر فجعل لهم ميمنة وميسرة وقلبا وجناحين وقدم
اصحاب الرايات وجعل المهاجرين والانصار في القلب واكمل المسلمون العدة
والسلاح وجعل عسكره ثلاثة صفوف صفا فيه الرماة من اهل اليمن وصفا
فيه اصحاب السيوف والحجف وصفا فيه اهل العدة والسلاح وقسم
الخيالة ثلاثة فرق واستعمل عليها ثلاثة من فرسان المسلمين احدهم
عياث بن حرملة العامري والآخر مسلمة بن سيف اليربوعي والثالث
القعقاع بن عمرو التميمي وجعل على جناح الميمنة يزيد بن ابي سفيان
وعلى جناح الميسرة قيس بن هبيرة المرادي وعلى الرجالة شرحبيل بن
حسنة ووقف ابو عبيدة تحت رايته التي عقدها له ابو بكر الصديق
رضي الله عنه يوم مسيره الى الشام وهي راية رسول الله صلى الله عليه وسلم
التي سار بها الى خيبر وكانت مع خالد بن الوليد راية العقاب وكانت
سوداء ووقف المسلمون تحت راياتهم فلم يفرغ ابو عبيدة من تعبئة
جيشه وترتيب عسكره الا وقد ابتدر الناس من المنابرين بالقتال فاقبل ابو
سفيان الى ابي عبيدة وقال له ايها الامير مر النساء ان يقفن على ظهر التل
يحضرن القتال ويحرضن عليه ومعهن الاطفال والبنات فامرهن ابو عبيدة فلما فعلن
قال لهن خذن يا بني بكر الاعمدة وحملن الحجارة بين ايديكن وحرضن المومنين
على القتال فان كان الامر لنا والظفر بين ايدينا فكن على ما انتن وان رايتن
احدا من المسلمين منهزما فاضربن وجهه بالاعمدة وحصبنه بالحجارة وان
وعرضن اليه ولده وقلن له قاتل عن اهلك وولدك وعن بيضة الاسلام فقلن له
ايها الامير ابشر منا بما يسرك فلما حصل ابو عبيدة النساء على التل اقبل

الى موضعه من عسكره ثم خرج ابو عبيدة لما ثبت وسار بينهم
وجعل يحض الناس على القتال ويقول ايها الناس ان تنصروا الله ينصركم و
الصبر منجاة من الكرب ومرضاة للرب ومرغمة للعدو ولا تزايلوا مصاف
ولا تنقضوا تعبيتكم والزموا الصمت الا من ذكر الله ولا تخطوا خطو
الا وانتم تذكرون الله عز وجل ولا تبدؤوهم بالقتال ولا تحدثوا حدثا حتى
آمركم ثم رجع الى مقامه من القلب فوقف فيه ثم خرج من بعده
معاذ بن جبل رضي الله عنه فطاف على العسكر يحرض الناس وهو يقول يا
اهل بقية الدين وانصار الهدى والحق المبين اعلموا ان رحمة الله لا تنال الا با[illegible]
التقوى والعمل بالنية ولا تدرك بفعل المعصية ولا بغير عمل من التمني ولا
[illegible] ولا تدخل الجنة الا بالعمل الصالح مع رحمة الله عز وجل ولا يؤتي الله
الرحمة الواسعة والمغفرة الجامعة الا للصادقين من المخلصين الصادقين
واسمعوا قول الله عز وجل وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات
ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم
الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا فاستحيوا رحمكم الله من
ربكم ان يراكم الله فرارا من عدوه وانتم في قبضته ليس لكم منه ملجأ
ولا منجى الا اليه ولم يزل معاذ يقول ذلك ويحرض الناس حتى رجع الى مقامه
ثم خرج من بعده سهيل بن عمرو وهو يمشي بين الصفوف
وهو يحرض الناس على القتال ويوصيهم ويقول مثل ذلك القول حتى رجع الى
قومه ثم خرج من بعده ابو سفيان صخر بن حرب وهو شاك في
سلاحه فطاف بين الصفوف على فرسه وهو يقول معاشر الناس انتم العرب
الكرام والسادات العظام وقد اصبحتم في ارض الاعلاج منقطعين عن الاهل
والاوطان منقطعين من حول الله لا ينجيكم الله منهم الا بالصبر والضرب او [illegible]
تبلغوا ان ربكم منتقم وتنالوا الفوز العظيم من ربكم واعلموا ان الصبر في
مواطن الباس مما يفرج الله به الهم وينجي به من الغم فاصدقوهم القتال
فان النصر ينزل مع الصبر فان صبرتم قتلتموهم وملكتم امصارهم وبلادهم

وديارهم

وحريمكم واولادكم وان وليتم فليس بينكم وبين ابن يحيى الا مفاوز ولا تلمون
ولا تقطع الا بالابل اذ الكثير والماء القليل وهؤلاء يرجعون الى بلاد وديار وحصون
وقصور فاستعينوا بسيوفكم وجاهدوا في الله حق جهاده واتقوه حق تقاته
ولا تموتن الا وانتم مسلمون **ثم خرج** من بين الصفوف واقبل على النساء
وهن على التلول وبعضهن المهاجرات وبنات الانصار ومعهن اولادهن فقال لهن
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان النساء ناقصات عقل ودين وكن ممن
حفظن اذ بانهن وقد مضى في ذالك الهمة وحضر العزم والنية وحرضن المومنين
على القتال ومن رجع منهم منهزما فاضربن وجهه بالحجارة واضربن خيولهم
بالاعمدة وادفعن لهم اولادهم حتى يرجعوا قال فوقف النساء مستعدات
وهن منشرات وباشعارهن مضفرات ثم رجع ابو سفيان الى موضعه وهو
يقول معاشر المسلمين قد حضر ما ترون وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم امامكم
والشيطان لعنه الله وراءكم واقبل حتى وقف في مكانه **قال** فلما
اصطفت الصفوف وعبا المسلمون كتايبهم ورتبوا عساكرهم وبلغ عدو الله
ماهان الى قومه ان يحملوا حملة فصيح وقال لهم ما بقي فيكم عرق ثابت ارجعوا
اليهم في جملة عسكر الروم الى عسكر المسلمين وزحف عسكر المسلمين ايضا الى
عسكر الروم **ونظر خالد** رضي الله عنه الى جيش عظيم من الروم وسيوف
ورماح تلمع وقد اقبلوا وهم نحو من ثلاثين الفا من عظمايهم وشجعانهم تقدموا
في الميمنة من عسكرهم حفاة وانهم قيدوا وشدوا ارجلهم بالسلاسل وقرن كل
عشرة منهم في سلسلة وذالك كله منهم التماس الحقيقة لئلا يفروا وكانوا
قد حلفوا بعيسى بن مريم والصليب الاعظم والقسيسين والرهبان والكنايس
الاربع الا يفروا او لا يبقى واحد او يقتلوا عدوا لهم فسمي ذالك اليوم يوم
السلاسل فلما راى خالد الى ذالك قال لمن حوله من جيشه ان هذا اليوم يوشك
ان يكون يوما عظيما وقال اللهم ايد المسلمين بالنصر وافرغ عليهم الصبر
ثم اقبل على ابي عبيدة وقال له ايها الامير ان القوم قد اتوا في السلاسل
وزحفوا الينا بالقواضب ويوشك ان يكون هذا اليوم يوما عظيما فقال ابو

عبيدة للناس ان عدد الروم كثير وما يفجعكم منهم الا القليل ثم قال لخالد ما
الذي ترى من الراي يا ابا سليمان فقال له خالد اعلم ايها الامير ان ماهان قد قدم جا
اصحابه امام جيوشه وصفهم بازاء المسلمين والراي من الراي ان يقف في مكانه
الذي انت فيه سعيد بن زيد وتقف انت من ورائه في مائتين او ثلاثمائة فارس
من اصحابك فاذا علم المسلمون ان كبيرهم من ورائهم استحيوا من الله سبحانه ولا ينهزموا
فقبل ابو عبيدة مشورة خالد ودعا بسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل فاوقفه
في مكانه وكان رضي الله عنه بعض من العشرة الذين نزلت فيهم الاية وهو قوله تعالى لقد
رضي الله عن المومنين اذ يبايعونك تحت الشجرة ثم انتخب ابو عبيدة مائتين فارس
من فرسان المسلمين اليمن وفيهم رجال من المهاجرين والانصار فوقف فيهم من وراء
الصفوف اسعيد بن زيد رضي الله عنهم اجمعين وعن زيد بن مهلهل التنوخي
وكان صاحب راية من رايات ابي عبيدة يوم اليرموك وفي يوم السلاسل قال اول من
استفتح الحرب يوم السلاسل غلام من الازد حديث السن فاقبل الى ابي عبيدة وقال
له ايها الامير اني اردت ان اشفي قلبي واجاهد عدوي وعدو الاسلام وابذل نفسي
في سبيل الله لعلي ابلغ الشهادة فهل تاذن لي في ذلك وان كانت لك حاجة الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرني بها قال فبكى ابو عبيدة منه وقال له اقرا
منا السلام واخبره انا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا قال فاستوى الغلام
الازدي على جواده ثم برز الى الحرب فخرج اليه علج من علوج الروم تام الخلقة في الرجال
على فرس اشهب فلما راه الغلام وقد جرد نفسه في سبيل الله زحف نحوه وفي يده
منه وهو يقول • لابد من طعن وضرب صائب • بكل ماضي حسام قاضب •
• اقصد كل ما رد وكاذب • يوم عداة الله من كتايب •
• ارجو بذاك الفوز في العواقب • بجنة الخلد بخير جانب •
وحمل كل واحد منهما على صاحبه فابتدر الغلام الازدي الرومي فطعنه طعنة
طرحته بجدلة في الارض صريعا فاخذ عدته وسلبه وجواده وسلمه الى بعض
قومه ثم عاد ودعا الى البراز فخرج اليه اخر فقتله وخرج ثالث فقتله وخرج
رابع فقتله وخرج خامس فقتل الازدي رحمة الله عليه فغضبت الازد وقتل

صاحبهم

صاحبهم وزحفت حتى دنت من صفوف المسلمين كبر وعند ذلك اقبلت الروم وزحفت
كالجراد المنتشر حتى اتصلوا ثم جنحوا الى ميمنة المسلمين فقال ابو عبيدة ان اعداء
الله واعداءكم قد قصدوا الميمنة واعلموا ان الله معكم فاثبتوا ايها الصبر والصدق
في اللقاء انفسكم والنصر من عند الله ثم انه لحظ السماء بطرفه وقال اللهم
اياك نستعين واياك نعبد ولا نشرك به شيئا ولك توجهوا ان هؤلاء الاعداء
يكفرون بك ويجعلون معك شيئا ويجعلون لك ولدا اللهم زلزل اقدامهم وارعب
قلوبهم وانزل علينا السكينة والزمنا كلمة التقوى وامدنا من عندك وانصرنا
عليهم بامر لا يخلف الميعاد ويا من قال في كتابه واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى
ونعم النصير فبينما هو يدعو بهذه الدعوات اذ حملت ميمنة الروم على ميمنة
المسلمين وكان فيها الازد ومذحج وحضرموت وحمير وخولان فحملت عليهم الروم
حملة منكرة بكتيبة واحدة فصبر لهم المسلمون صبر الكرام وثبتوا ثباتا حسنا
وقاتلوا قتالا شديدا وحملت عليهم كتيبة اخرى فثبتوا ايضا ثباتا حسنا
وحملت عليهم كتيبة ثالثة فزال المسلمون عن الميمنة فانكشفت طائفة من
الناس الى العسكر وثبتت طائفة ثباتا حسنا وقاتلوا اوانهم فلما انكشفت
زبيد يومئذ في الميمنة فانبرى فيهم عمرو بن معدي كرب الزبيدي وهو سيدهم
زبيد وفارسهم والمقدم عليهم وهم يعظمونه لما سبق له في الجاهلية وكان يومئذ
اليوم قد مر له من العمر مائة وعشرون سنة الا ان فيه بقية الشجاعة فلما نظر
الى قومه قد انكشفوا صاح بهم يا آل زبيد اتفرون من الاعداء اتفرون من اهل الشرك في
كفر الى اين ترضون لانفسكم بالعار والمذلة فما هذا الا نكثا والا تجاح من
هؤلاء الكلاب الاعلاج اما علمتم ان الله مطلع على المجاهدين الصابرين فاذا لقيتم
اليهم فالزموا الصبر في مرضاته وثبتوا لغضبه فغضباته امرهم بنحوه واين هم
يصبر له فاين تفرون من الجنة الى النار رضيتم بالعار وغضب الجبار فلما سمعت
زبيد كلام سيدهم عمرو بن معدي كرب او الحجاج بن يعقوب والله اعلم ايهما كان
تراجعوا اليه وعطفوا عليه واجتمعوا من حوله وهم زهاء على خمسمائة رجل
وشدوا على الروم شدة واحدة ومعهم حمير وخولان وحضرموت وحملوا على الروم

جملة صعبة فازالوهم عن مواضعهم وحملت دوس مع ابي هريرة رضي الله عنه
فقعي رايته وحرض على القتال وجعل يقول ايها الناس سارعوا الى معانقة الحور العين
ومجاورة رب العالمين في جنات النعيم وما انتم في موطن احب الى الله من هذا الموطن
وان الله فضل الصابرين من المجاهدين على غيرهم ممن لم يشهد مشاهدهم فلما سمعت
دوس كلامه كانوا به وكانوا من حوله وحملوا على الروم وحداوا بهم كما تدور الرحى
على قطبها وتكاشفت عليهم جموع الروم فالقوهم الى القلب حتى لم المسلمين
حتى اعقبها فرجعت عليهم كتيبة اخرى فانتقضت ميمنة المسلمين راجعة
اعقابها والخيل تتبعهم فاذنا بها فتكى النساء الى خيول المسلمين منهن من ينادي
النساء يا بنات العرب يا بنات د ونكر الى رجال رد وهم عن الهزيمة وقالت سعدة بنت
عاصم الخولانية كنت في جملة النساء يومئذ على التل فلما انكشفت الميمنة
صاحت بنا عفيرة بنت عفار الحميرية وكانت من اللاتي حملت البارزات ونادت
يا نسل العرب دونكم الرجال واجعلوا اولادكم على ابي بكر واستقبلوهم بالتهديد
فاقبلت النساء في جمع وجوه الخيل بالحجارة وجعلت بنت العاص برامية تنادي
قبح الله وجه رجل يفر عن خليلته وقال العباس بن سهل الساعدي كانت
خولة بنت الازور وخولة بنت ثعلبة الانصارية وكعوب بنت مالك بن عاصم
وسلمى بنت هاشم ونعمى بنت بياض ولبنى بنت جرير الحميري وهن امام النساء
وجعلن يقلن لبعولتهن لسنا لكم ببعولة ان لم تمنعونا من الاعلاج وهن يقلن

يا هاربا عن نسوة منتقيات • حز جمالا وكمالا وثبات •
تسلمهن لمن الرش الهنات • اعلاج سوء فسق غلف عتات •
فما جزوا بنوالي المحرمات • بقلر منا اعظم النار الشتات •

وممن هند بنت عتبة بن ربيعة ومن خلفها نسل من المهاجرات وغيرهن
من النساء المذكورات وهي تقول الشعر الذي قالته يوم احد وهو هذا

نحن بنات طارق • نمشي على النمارق • مشي القطا الموافق •
ان تقبلوا نعانق • او تدبروا نفارق • فراق غير وامق •
نحن من كريم عاشق • نحمي عن العواتق • حمراول السوابق •

● بكم عشيرتي وامي ● مات على المعالي ● لو حففت المفارق ●
● وشابت المفارق ● ببيع المصاحف ● ويسبو السوابق ●

قال ونظرت الى خيل الميمنة وقد انهزم منهم من قد صاحت بهم الى اين تفرون من الله ومن
جنته وهو مطلع عليكم ونظرت الى ابي سفيان وقد ضربت وجه حصانه بعمودها وقلت
وقالت له الى اين يا صخر ارجع للقتال وابذل مهجتك حتى يمحو الله عنك ما اسلفت من
ذنوبك من تحريضك على رسول الله صلى الله عليه وسلم فعطف ابو سفيان حين سمع
كلامها وعطف المسلمون معه وجعل النساء يحرضن المومنين على القتال فرجع
المسلمون رجعة عظيمة عندما سمعوا تحريض النساء وقال الزبير بن العوام لما سمعت
كلام هند بنت عتبة لابي سفيان ذكرت تحريض ابي سفيان يوم احد على قتال النبي
صلى الله عليه وسلم وقد بين يديه قال الزبير ونظرت الى النساء وقد حملن مع ابي سفيان
ولقد رايتهن وهن يتسابقن من بين ارجل الدواب ولقد رايت امراة منهن تقبل الى
العلج العظيم وهو على فرسه فتتعلق به وهو على فرسه فلا تفارقه حتى تنكسه
عنه ثم تقتله وهي تقول هذا بيان نصر الله وحمل المسلمون حملة للابرين وبها
رضي الله ورسوله واقبلت الازد مع ابي هريرة فقاتلت قتالا شديدا حتى فشا
فيهم القتل واستشهد منهم من لم يستشهد من غيرهم وقال سعيد بن
زيد وكان القتال في الميمنة شديدا فكانت تنهزم مرة وتعود مرة وساعة
تصبر وساعة تتاخر قال ونظر خالد بن الوليد الى الميمنة وقد وصلت الى
القلب فصاح بمن معه من الخيل وهم زهاء ستة الالاف فارس فمال عليهم وكبر
وشد الحملة على الروم شدة عظيمة حتى كشف اعداء الله عن الميمنة والقلب
وردهم الى مواضعهم فانكسروا امامه رضي الله عنه كسرة عظيمة ونادى
خالد بن الوليد بلسانه يا اهل الاسلام والايمان وحملة القران واصحاب محمد صلى الله
عليه وسلم رسول الرحمن في السر والاعلان شدوا على عبدة الصلبان فانه قد انكسر
في القوم كسرة عظيمة وقد كسر الله حدتهم فلم يبق عندهم من الجلد والقتال
والشدة الا ما قد رايتموه فجدوا عليهم الحملة وشدوا عليهم الرجعة فو الذي نفس
خالد بيده لارجوا ان يمنحكم الله اكتافهم فنادى المسلمون يا خالد احمل

لنحمل معك عليهم فانتقض خالد بن سعيد وحمل مع اصحابه وقال عبد الله
بن حميد الحميري كنتا فيمن حمل مع خالد في حملته تلك فوالله لقد انكشف
الروم بين ايدينا وولت كما تولي الغنم بين يدي الاسد وتبعهم المسلمون وكانت
الحملة على ميمنة الروم فانكشفوا انكشافا قبيحا واما المسلسلة فما برحوا
مواضعهم واما كتائبهم يرمون بالنشاب وكانوا لهم حماة الروم وكان خالد في حملته
الى ان وصل الى الدرنجار وكان قائما في موضعه التي اقام فيه ما بدا له ومعه جليس
من الجوهر واصحابه ينتظرون ان يحملوا معه فلما دنت خيل المسلمين الموضع
قالت له البطارقة ايها الملك اما ان تحمل فنحمل معك او تولوا فقد غشيتنا
خيول العرب فقال لاصحابه اعلموا ان يوم الشنيع لا احب ان اراه ولا ابصره ولا انظر
اليه ولقد حزن الملك من هذا اليوم ومن هذا الموقف فانا كاره له ولكن
لفوا راسي ووجهي في هذا الثوب حتى لا ارى الحرب فقال فلفوا راسه ووجهه
في ثوب من الديباج والناس يقاتلون فانهزمت الروم بين يدي المسلمين ووصلوا
الى الدرنجار وهو ملفوف الراس فحمل عليه حتى ابن الازور فطعنه طعنة
نافذة فقتله ووقف خالد امامهم يقاتل من كان من الروم في بلاد عسكر
المسلمين وكان جرجير في الميمنة في الارمن وقناطير في الميسرة
فقال قناطير لجرجير احمل على العرب فقال جرجير انا امرتني ان احمل وانا امير مثلك
فقال له قناطير وكيف امرك وانا امير مثلك ولا كني قد فوقك وقد
امر الملك بالطاعة فاختلفا وتنازعا وغضب جرجير من قول قناطير فحمل على
المسلمين حملة شديدة وكانت حملته على كنانة وعبس وخثعم وجذام
وقضاعة وعاملة وغسان وهم يومئذ فيما بين ميمنة المسلمين مما يلي
القلب وكشفت الروم ميمنة المسلمين حتى زالت من مصافها ولم يبق منهم
الا اصحاب الرايات فقاتلوهم ومن يليهم فثبتوا واستشهدوا وركبت الروم اد
اكتاف المسلمين الى ان دخلوا معهم الى عسكرهم فاستقبلهم النساء
يضربن وجوه الخيل بالاعمدة ويرمينهم بالحجارة وينادين بهم يا اهل
الاسلام الى اين تفرون عن الامهات والاخوات والبنين والبنات اتريدون

ان تسلمو

ان تسلموهم الى الاعلاج **قال قتامة الراوي** فاقسم بالله لقد كان النساء
علينا اشد وطاة وغلظة من الروم حتى رجع المسلمون عن الهزيمة ونادى بعضهم
بعضا وتوامروا بالمعاتبة والحث وعطفوا على الروم عطفة هائلة وقتامة بن اشيم
الكناني امام المسلمين وهو يضرب في اعراض المشركين تارة بالسيف وتارة با
لرمح حتى كسر ثلاثة ارماح وهو ينشد ويقول

• فاحمل في الروم الكلاب النوابح • واضربهم ضربا بقطع الصفائح •

• وارضي رسول الله خير مومل • نبي الهدى المبعوث بالدين واضح •

ثم حمل حتى كسر سيفين وجعل يقول كلما كسر سيفا او رمحا من يعيرنا سيفا
او رمحا اجا نعيره في سبيل الله وجزاؤه على الله ثم نادى يا معشر عبس خذوا
بحظكم من الاجر فالصبر في الدنيا عز ومكرمة وفي الاخرة رحمة وفضيلة فاصبروا
وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون فاجابه قومه وتسابقوا معه للقتال
وقال قتامة بن اشيم الكناني فوالله ما رايت حملة مثل حملة حي حين مع قومه
ولقد خلطوا بعضنا ببعض ورجع خالد في حملته مع العين من اصحابه ووضع السيف
في الروم فقتلهم قتلا ذريعا ولما كثر القتل فيهم يفيني من كثرتهم واقبل خالد من
حملته والمسلمون يقولون جزى الله عنا قتامة بن اشيم خيرا فلقد اغنى غناء
شافيا وابلى بلاء حسنا فلما سمع ذلك خالد اقبل اليه وقبل بين راسه وبين عينيه
وقال له يا قتامة جزاك الله خيرا عن الاسلام واهله واقبلت ربيعة بنت الحارث
الى خالد حتى وقفت بين يديه وقالت له يا ابن الوليد انت علمت العرب انما الرجال
بامهاتها فلن يثبتوا ثبتت الرجال معهم وان هم انهزموا انهزمت الرجال معهم فقال
لها خالد والله ما كنت من المنهزمين وانما كنت اقـــــاتل تحت العجاج
فقالت قبح الله وجه رجل فر الى امه ثابتا وهو منهـــزم ثم خرج
علج من علوج الروم من الميمنة وعليه سابغ السلاح كـــانه قطعة جبل
على مهر عظيم المحمل فبرز بين الصفين على مهره وسط الـقتال وفي الدار ما
نعال لعنه الله نحو الميمنة وقد عرف ذلك الاديم فبعث اليهم نفر صدهم
عن القتال فخرج اليه غلام من الازد فما جال معه الا جولة حتى قتله العلج رحمه

الله عليه ثم دعا اللهم ان جمع ان يخرج اليه معاذ بن جبل فقال له ابو عبيدة يا معاذ
سالتك بالله ورسوله الا ما ثبت في مكانك واني قد رايتك فلي ووجه الى ابنه عبد
الرحمن فان ذلك الرهج العظيم فوقف معاذ بازاء ابنه ثم نادى معاشر المسلمين من اراد
في ساير كمه ويقاتل عليه فبادر اليه سيفي وسلاحي فجاء اليه ابنه عبد الرحمن
وقال له يا ابت انا اخرج اليه وكان يومئذ غلاما حين احتلم ثم عمد الى السلاح
فلبسهما واخذ في سلاحه في كمه وقال لابيه يا ابت انا خارج الى هذا العلج فان
قتلته فالمنة لله تعالى وان قتلني فعليك السلام وان كانت لك حاجة الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاوصني بها فقال له معاذ يا بني اقراه منا السلام وقل له
جزاك الله عن امتك خيرا ثم قال له اخرج يا بني وفقنا الله واياك لما يحبه ويرضاه
فخرج عبد الرحمن الى العلج كانه شعلة نار وحمل عليه العلج والتقيا فضرب فتيرسا
بقه عبد الرحمن فضربه بالسيف فنبا عنه ولم يعمل فيه شيئا ومال عليه العلج
فضربه وواصله فجاءت الضربة على راسه فقطعت عمامته وشجه شجة
موضحة فسال الدم منها فلما راى العلج الدم ظن انه قتله فصاح الى وراءه ليبلغ اليه
كبيا فسقط الى الارض عن الجواد فلما نظر عبد الرحمن الى العلج وهو قد انثنى راجعا
نحو عسكر المسلمين فقال له ابوه معاذ ما بك يا بني قال له يا ابت قد قتلني العلج
فقال يا بني وما الموت بين يدي الدنيا ثم نشرح جرحه واخذ ابو سالم شيئا ان العلج كر في
ثمره وحمل ثلاث حملات والارض تزلزل فقال ابو عبيدة معاشر المسلمين من لهذا
العلج فلم يخرج اليه عامر بن الطفيل وكان ممن شهد مع خالد بن الوليد قتال اليما
مة وكان قد راى العبرة الكبرى قتال اليمامة كان امراة فتحت له فرجها فدخل فيه
فتكى اليه ابنه ف اس عليه فلما كان اد خله ابوه ثم استيقظ
وقص رؤياه ع على المسلمين فلم يدر احد ما تاولها فقال لهم لاكني
والله اعلم اعلمه فقالوا له وما ذلك قال تاولت اني اقتل في سبيل الله
لان المراة التي ادخلتني فرجها هي الارض وان ابني سيصيبه جراح ويوشك
ان يلحقني فقاتل يوم اليمامة في جيش مسيلمة الكذاب وابلى بلاء حسنا وسلم
ولم يلحقه اذى فلما كان يوم اليرموك يوم الصلا يسلمون وقعة اليرموك شهد

لعينه صح

فيه الحرب وكان من اصحاب الرايات فرفع الراية الى ابنه جندب وخرج الى قتال العلج
وحمل عليه بعد ان قلب ميمنة الروم وميسرتهم ثم انثنى راجعا نحو العلج فوكا
لطاعنه فطعنه بقناته طعنة صادقة وكانت قناته قد تشهرت معه وقابع
اهل اليمن دية واليمامة فانفذت له في ماهان من بوكه واعتمد على قبيعته ونعى له وض ب
العلج على عاتقه خلو امعاه فانتكس عن جواده الى الارض صريعا فاسرع اليه عامر
واخذ سلبه ودماه للمسلمين وانثنى راجعا نحو الروم فحمل على الميمنة والميسرة وطلب
المتنصرة من غسان ولخم وجذام من اصحاب جبلة بن الايهم فقتل منهم فارسا ثم
طلب البراز فخرج اليه جبلة بن الايهم وكان في ذلك اليوم عليه دارعة من الديباج
المثقل بالذهب وتحتها درع من دروع التبابعة وعلى راسه بيضة تلمع كشعاع الشمس
وتحته فرس من نسل خيول عاد فدنا جبلة من عامر بن الطفيل وقال له من اي الناس
انت فقال عامر انا من دوس فقال له جبلة انك من الغرابة فابق على نفسك وارجع
الى قومك ودع عنك الطمع فقال له عامر بن الطفيل فاخبرني تكن انا ومن قبيلي
من اي الناس من العرب انت قال له من غسان وانا سيدهم جميعا انا جبلة بن الايهم
وانما خرجت اليك حين نظرت اليك وقد قتلت هذا العلج من التبر من العجم وهو
نظير ماهان وجرجير في الشجاعة فعلمت انك كفوا فخرجت اليك لاقتلك واحظى
بقتلك عند الملك هرقل وخليفته ماهان وجيوش الروم فقال له عامر اما ذكرت
من شدة القوم وعظم خلقتهم فالله اكثر منهم صنعة وهو مهلك الجبابرة واما
قولك تحظى بقتلي عند علوج مثلك فلله ابرار احظى بجوار في لد عند رب العالمين
وحمل عامر بن الطفيل على جبلة بن الايهم وحمل جبلة عليه
والتقيا بضربتين فخرجت ضربة عامر عن محكه وخرجت ضربة جبلة محكمة فقطع
من فرقه الى كتفه فسقط عامر رضي الله عنه الى الارض قتيلا رحمة الله عليه وجال
جبلة على مصرع عامر ووقف يتعجب بنفسه بما صنع وطلب البراز فخرج
اليه جندب بن عامر الدوسي وكانت معه الراية فاقبل البراء عبيدة وقال له
ايها الامير اراية فقد قتل والد جندب اخذ بثاره او المعونة فادفع رايتك الى من
تثبت من دوس فاختار ابو عبيدة الراية من يده ودفعها الى رجل من دوس تحملها

وخرج جندب بن عامر الى قتال جبلة بن الايهم وهو

سأبذل مهجتي للموت اني ... اريد العفو من رب غفور
واني في الغزاة بحد سيفي ... واقتل كل جبار كفور
اريد بذاك ان يرضى الاهي ... فيمنحني بولدان وحور
فان الفوز في الجنات حقا ... يباح لكل مقدام صبور

ثم نادى من جبلة بن الايهم وقاربه وصاح به اثبت يا قاتل ولدي وانى فانى
به لا محالة فقال له جبلة من انت من المقتول قال له انا والده فقال له جبلة وما
الذي حملكم على قتل نفوسكم واولادكم وقتل النفس مكروه في النفس محرم في
العقل فقال له جندب ان قتل النفس في سبيل الله محمود وفعله ثناء ابن الجنان
والدرجة العالية فقال له جبلة انت غلام حديث السن فارجع ولا تخرج الي
فانى لا اريد قتالك فقال له جندب وكيف ارجع وانا المفجوع بابني
ووالله لا رجعت حتى اخذ بثار ابني او الحق به ثم حمل على جبلة وحمل جبلة
عليه وجعلا يلتقيان بالطعن ابا وقد شخصت نحوهما الابصار فنظر
جبلة الى الغلام وما ابداه شجاعته وفي وثبته فعلم انه شديد الباس
صعب المراس فاخذ حذره منه ونظر غسان الى الغلام جندب بن عامر وقد
كفي على صاحبهم وقارنه في الحرب والقتال وساواه في الميدان والمجال
فصاحت غسان على صاحبها وقال بعضهم لبعض يا آل غسان ايقف الغلام الذي
برز الى سيدكم وصاحبكم لشيخ بن نجيب فبادروا بقتله فقد طغى على سيدكم
واميركم فاخرجوه ولا تدعوه يقتل فتيانكم فبادرت بنو غسان الحملة
نحو سيدهم ليستنقذوه اذ ادهمهم امرا وخشوا منه عنتا وضعفا ونظر
المسلمون الى صاحبهم جندب بن عامر وما كان من الشجاعة والنشوة في مثل
ذلك ونظر ابو عبيدة اليه والى فعله فبكى وقال هكذا يكون من يبذل
مهجته في سبيل الله اللهم لا تضيع له فعله وقال جابر بن عبد الله الانصاري
شهدت قتال النبي صلى الله عليه وسلم فما رايت غلاما من الغلمان في قتال القوم انجب من
الرومي ونحو جندب بن عامر في قتال جبلة بن الايهم لعنه الله فبينما هو اذ جا

والو

ص

الاجل لا تنفع الشدة في القتال ولا كثرة السلاح وذاك الغلام حمل ثانيا
مرة على جبلة فضربه ضربة او طعنه بها وضربه جبلة فقتله وعجل الله بروحه
الى الجنة وجال جبلة على جثته فصاح به قومه ارجع فقد قضيت ما يجب عليك
فرجع جبلة بن الايهم وهو متعجب بصنيعه فسار حتى وقف تحت صليبه فبعث
اليه باهان لعنه الله يشكر له على فعله قال واصيب المسلمون بعامر بن
الطفيل وولده وحق الله منامة عامر بن الطفيل رحمة الله عليه فحيث ذالك
صاحت دوس بعضها ببعض يا آل دوس الجنة الجنة خذوا بثار سيدكم
وولده من اعداء الله فحملت دوس الى القتال وعضدتها الاوس والازد وكانوا
حلفاء لهم فصاح ابو عبيدة وقال يا ايها الناس سارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة
عرضها السموات والارض اعدت للمتقين ومعانقة الحور العين في جوار رب
العالمين فما من موطن احب الى الله من هذا الموطن الا والصابرين المجاهدين فضلهم
الله على غيرهم ممن لم يشهد مشهدهم فلما سمعت الازد ذلك حملوا مع دوس
على المتنصرة كبير من المتنصرة من غسان ولخم وجذام حملة واحدة عظيمة
وتنادوا باشعارهم فجعلوا ينادون في شعارهم الجنة الجنة فلما حملت دوس
واتبعتها الازد قال لهم المتنصرة فوقعوا على عسكرهم وخرقوهم حتى فرقة
صعبة حتى وصلوا الى الصليب فكعر رجل منهم رجلا وهو حامل الصليب فنزل
عن فرسه على راسه وسقط من يده الصليب متنكسا فبكت غسان ثم لبد
اخذ صليبها فاقتتلوا عنده قتالا شديدا حتى قتل خلق كثير من الروم وغسان
وقتل من دوس والازد ناس لاكنهم كانوا في قتال غسان كالشامة البيضاء
في جنب البعير الاسود ثم خرجوا من وسط غسان **وعن** ابن ابي سمرة **عن**
عبد الحميد بن سهل **عن** جده **قال** لما حملت الازد ودوس يوم الصلاصل من ايام
اليرموك ذوحت الميمنة كبير ذوحة عظيمة وذوحت الميسرة كمثل ايضا دون
ذالك وكانت حملة الميمنة كبير حملة هائلة فانكشفا المسلمون وكان حامل
لواءهم عياض بن غانم الاشعري فهو بامنهم ما امنه المسلمون الى عياض بن غانم
فوقف تحارى باللواء بيده صاحوا به انما ثبات القوم في الحرب يكون بلوائهم

فقتلى

فانتهوا الى اخره عمرو بن العاص ولم يزل يقاتل به حتى انهزمت الروم وفتح الله
على المسلمين قال وكان اليوم الثالث من ايام اليرموك يوما شديدا انهزم منه
في سائر المسلمين ثلاث مرات كل مرة يردهم النساء بالحجارة والاعمدة و
يرجعون الى القتال وهم يتنادون بالاشعار وعن موسى بن محمد عن عطاء بن
قال سالت رجلا ما كان شعار المسلمين يوم يسال من ايام اليرموك ف
اخبرنا انه كان شعار عامة الجيش يا ال الله وشعار ابي عبيدة امت امت وشعار
خالد ومن معه يا حزب الله وشعار عياض يا ال عياض وشعار اهل اليمن من
اخلاط الناس يا انصار الله وشعار حمير الفتح الفتح وشعار مراد يا نصر الله
وشعار جذام والسكاسك الصبر الصبر فهذا كان شعار المسلمين يوم اليرموك
موك قال ولم يزل القتال بين الفريقين في تلك الحملة حتى اقبل الليل بسواده والقتلى
والناس تحت الكر والفر والقتال في المعترك كثير كثير وفي المسلمين يسير الا
ان الجراح بالنشاب فاشتد فيهم فلما جنهم الليل بسواده رجعت الروم الى
مواضعهم وباتوا تحت السلاح وانحازت الروم الى جانب اليرموك مع ملكهم
باهان فوبخهم وقال لهم ما علمتم ان هذا بكم منكم مما رايت من فشلكم
وقد عزكم من العرب الضعاف فاعتذروا اليه وقالوا ايها الملك غدا نبارزهم
ونصدقهم الحملة فتكون لنا عليهم العاقبة فان فينا رجالا ما ... سادنا وشجعاننا
لم يقاتلوا الى الان فسكت عن زجرهم وتوبيخه لهم وامرهم ان يصلحوا احوالهم
احوالهم واسلحتهم وان ياخذوا اهبتهم فيفعلوا ما امرهم به في غد الدو... وقد
ملئت قلوبهم رعبا من كثرة القتل فيهم واما المسلمون فهم اقوى لدينهم
وصح نياتهم بما كانت لهم همة بعد القتال الا الصلاة فنشروا اجراحهم
وصلى بهم ابو عبيدة الصلاتين معا ثم قال لهم ايها الناس رحمكم الله انه اعظم
البلاء فاتقوا وامر الله الفرج فاصبروا واوضعوا مواضع اتكم واصلحوا ازوادكم عنه
وتحارسوا وايقظوا انفسكم واكثروا التهليل والتكبير وقام ابو عبيدة
يمشي بين المسلمين وهو متكئ على يد خالد بن الوليد وهما يتفقدان احوال الناس
ويفتشان جراحاتهم ويداويانها ويقولان لهم ايها الناس اعلموا ان اعداء الله واعداءكم

فالموت

بالموت كانا الموت في جوف من الله ما لا يجور وطاف ابو عبيدة وخالد الركب الاكاد ولم يزالا
يتخللان خيام المسلمين ويوصيانهم وبات الجيش يتفقد بعضهم بعضا حتى اصبح الصباح

ذكر حرب اليوم الرابع وهو اليوم الثالث من ايام اليرموك العظام ويسمى يوم التعوير قال ابو عبد الله الواقدي رحمه الله فلما اصبح الصباح واضاء الفجر

اذن المؤذنون في العسكر واسبغ الناس الوضوء فصلى ابو عبيدة بالمسلمين صلاة
الفجر واذا بالروم قد زحفت ورايات القوم والصلبان قد تحلقت في عدد
الشوك والشجر كانهم لم يلاقوا عدوا ولا راوا قتالا ولا باسا شيء واحد فاقبلوا في
مصافهم ونصبوا لهم تفاريس على الكثيب الذي كان يجلس عليه ليشرف منه
على العسكر بين وعبوا مصافهم وامرهم الا يقاتلوا حتى يقوموا صفهم واقاموا
في مراكزهم فلما نظر امراء المسلمين الى سرعة الروم الى القتال اقبلوا من الصلاة
الى لبس السلاح وركبوا الخيل ورجع كل امير منهم الى مكانه فالامير يعظ اصحابه
ويذكرهم الاء الله ونعمه ويصف لهم فضل الجهاد وما اعد الله تعالى فيه
للمجاهدين الصابرين وما وعدهم عليه وخلف ابو عبيدة على الذراري والنساء
والاثقال والاموال عمرو بن سعيد بن عبيد الانصاري وجعل على الرجالة
سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وقدم الى مائة من مزينة والانصار فجعل منهم
خمسمائة في الميمنة وخمسمائة في الميسرة وخمسمائة في القلب وخرج
ابو عبيدة فتكلم عليهم وعلى سائر المسلمين وقال لهم يا معشر الرماة الزموا
مراتبكم ولا تبرحوا منها فان رايتم القوم وقد حملوا الينا جميعا فارشقوهم
بالنبل وادعوا واسم الله عز وجل عليها ولا تكونوا مختلفين ولترموا جميعا
سهامكم من قسيها كانها خرجت من كبد قوس واحد وان هم رجعوا عنا
فاثبتوا في اماكنكم حتى ياتيكم امري فجعلوا ما امرهم به الامير ابو عبيدة
وتقدم ابو سفيان الى ولده يزيد والراية بيده وحوله اصحابه وقد عزم على
الحملة فقال يا بني احسنت احسن الله لك اوصيك بتقوى الله وبالصبر

صح

فانه ليس احد في هذا اليوم الا وهو متمثل بالصبر فاتقوا الله حق تقاته وانصروا
دين الله ولا تشمت بعد نبيه واياك والجزع فقد قال ربنا فاصطبر واصبر كما
صبر اولوا العزم واياكم ان يراكم الله منهزمين فتبوءوا بغضب من الله عز وجل فان
نساءكم خلفكم وكافتكم والله في معسكركم وناصركم ثم صاح في بني عم رجاله وقص
رايته وتقدم الى القتال وحمل على من يليه من العدو بقومه فقاتلوا قتالا
عظيما فتعجب الناس منهم ولم يزل الاوائل كذلك حتى نكوا في العدو نكاية عظيمة
وابلوا بلاء حسنا وكان قتالهم في جانب القلب ولم يزل ابن زيد كذلك في بعـ
وباسه حتى خرج اليه من البطارقة ذو جثة عظيمة ومنعة مشهورة وبـ
وبيده رمح عليه صليب الذهب وحوله زهاء عشرة الاف فارس من الروم
فقطعوه عن الميمنة وكان عليها عمرو بن العاص فحملوا بعمرو ومن معه على
اعقابهم منكشفين حتى دخلت الروم في اوائل عسكر المسلمين مما يلي الميمنة
وعمرو ومن معه يدافعون عن الناس فيكرون عليهم ويرجعون حتى تكاثرت
عليهم الروم فكشفوهم حتى الجاوهم بالتل الذي عليه النساء واحاطت الروم
بالتل فصاحت امراة من نساء الانصار اين انصار الدين اين حماة الاسلام وكان
الزبير بن العوام رضي الله عنه في الساقة وزوجته اسماء بنت ابي بكر الصديق
رضي الله عنه بين يديه وكانت قد رمت بحجر فسمع صياح المراة اين انصار
الدين اين حماة الاسلام قال يا اسماء ما هذه المراة تصيح اين انصار الدين
اين حماة الاسلام فقالت له غشيت بنت غفار الحميري يا ابن عمة رسول الله
قد انهزمت ميمنة المسلمين وقد الجؤوهم الينا واختلط بنا الاعلاج وهذه
الانصارية تستنصر بانصار الدين وحماة الاسلام فقال الزبير انا لله وانا اليه
راجعون وانا والله من انصار الدين ولا يراني الله في الساقة ثم خرج الحرقة عن
يمينه واستوى على متن جواده واخذ قناته وحمل واتبعه بنو سهم فقال في
حملته انا الزبير بن العوام انا ابن عمة رسول الله وجعل يفعل فيهم كالعقـ
متداركا وتراجعت خيل عمرو ورجاله وهو ينادي الرجعة الرجعة الجنة
الجنة الحزم الحزم يا اهل الاسلام الصبر الصبر ثم حمل عمرو ومن معه وجلوا

بعدان

بعد ان نفى امامهم حتى ردهم على اعقابهم فلله در الزبير بن العوام وعمرو بن
العاص ومن معه لقد ردوا الروم الى عسكرهم وحمل ايضا في جيش الارمنيين فكانت
الهامة الارمن على شرحبيل بن حسنة كاتب رسول الله فانكشف اصحاب شرحبيل
ولم يثبت معه الا عصابة من قومه دون الخمسمائة رجل فقاتل الروم وجعل شرحبيل
يحمل عليهم ثم يرجع الى اصحابه وينادي يا اهل الاسلام افرارا من الموت الصبر الصبر
فرجع اليه اصحابه وحملوا عند رجعتهم على الارمن فردوهم على اعقابهم وجعلوا
يضربون وجوههم بالسيوف ويطعنونهم بالرماح ويرشقونهم بالنبل
حتى اصابوا من الارمن عند رجعتهم ما لم يصب الارمن منهم عند نفيهم يستقبلهم ثم
رجع شرحبيل الى مكانه ودار به اصحابه فجعل يعظهم ويعاتبهم ويقول لهم
ما الذي اصابكم حتى انكم ملتم امام هؤلاء الاعلاج العجم الغلف الكفرة وانتم
السادات العرب الحماة البررة اهل القرآن وعباد الرحمن اما سمعتم الله عز
وجل يقول في كتابه ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال او متحيزا الى فئة
فقد باء بغضب من الله اما سمعتم الله عز وجل يقول ان الله اشترى من المومنين
انفسهم واموالهم بان لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا
عليه حقا في التوراة والانجيل والقرآن ومن اوفى بعهده من الله فاستبشروا
ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم امن الموت تفرون وامن الجنة
تهربون فقالوا يا صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم زلة كانت من الشيطان
مثل يوم احد وحنين ونقاتل معك ومن بين يديك فاحمل حتى نحمل معك فجزاهم
خيرا ووقف مكانه وكان موقفه مما يلي سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل العدوي
وقد لزموا مواقفهم ولم يبق احد من مواضعهم الناس المحيطة وحمل قيس
بن هبيرة المرادي بمن معه على العدو حين نظر الى خيل شرحبيل بن حسنة قد رجعت
وهو ينادي بشعاره فسمع خالد شعاره فخرج من وراء جيوش الروم ونادى
هو واصحابه بشعارهم يوم بدر يا منصور امت يا نصر الله وكان هذا شعار
المسلمين يوم بدر واحد فحمل خالد على الروم من ذات اليمين وحمل قيس من
ذات الشمال فقاتلهم قتالا شديدا ولله در الزبير بن العوام وهاشم

المرقال وخالد بن الوليد وقيس بن هبيرة بن مكشوح المرادي ومن معهم من اصحاب
لقد حملوا على الروم حملة نشر بيده حتى فر بوا من سرادق فات بما هال فجالت الروم
جولة منكرة وقد اجتمعت منتقضة عن الشمس اذ فات والغبار فلما فكر بما هال العدو
الله الذي الك ولى هاربا عن سيره وصاح بالروم وعنفهم في جمعوا الى
القتال **وقد صاح** ابو عبيدة بن الجراح بسعيد بن زيد بن نجل بمن معه وهو
ينادي لا اله الا الله محمد رسول الله يا منصور امت امت واقبلوا يقتلون الروم
قتالا ذريعا قال عامر بن اسلم فبينما المسلمون في حملتهم اذ سمعوا قائلا
يقول النصر فصح الله افي بوا اليها ايها الناس الثبات الثبات فقابلنا الصياح
فاذا هو ابو سفيان بن حرب تحت راية ابنه يزيد بن ابي سفيان يستنفر الامراء باجمعهم
على من يليهم فقاتلوا قتالا شديدا فانهزمت الروم امامهم كالغنم بين يدي الاسد
ولم يكن في الروم اثبت من اصحاب السلاسل فانهم ثبتوا في اماكنهم يقعون
من اتاهم وانهزم اليهم واما الى ماكان من الارض فانهم كانوا في القلب من عسكر
الروم وهم مائة الف رام فكانوا اذا رشقوا نشابهم نحو المسلمين تستر
من الشمس فلولا النصر من الله والمعونة من عنده لكان المسلمون يهلكون وانقطع
المسلمون من جيش الروم وهم من حين مستنفقين بين والمثنى كون فمن هلك الكافر
وخرج علج من علوج الروم يطلب البراز كانه نخلة باسقة وعليه رداء
من حرير ودرع من ذهب وعلى راسه بيضة من ذهب وفي عنقه صليب من ذهب
مرصع بالجوهر وهو راكب على مهر عال وبيده رمح كامل فنظر المسلمون اليه
والى عظمه وهوله فقال لهم ابو عبيدة معاشر المسلمين لا يهولنكم ما ترون من
عظم الخلق فانه لا قلب له فاستعينوا بالله عليه فمن له منكم فخرج اليه عبد
من العبيد وكان اسود اللون وهو راجل وبيده سيف وحجفة فلما نظر ابو نوح
اليه صاح به مولاه وكان مولى لذي الكلاع الحميري فلما رد عبده خرج مبادرا
وقصد نحو العلج وكان ذو الكلاع من اهل الشجاعة فجال على العلج جولة منكرة
فهمه وجال العلج عليه وكلاهما رامح في التعبئة فتطاعنا طعنا بستر يداني
كلامن الطعن وانفصلا ساعة ثم تجاذبا بالسيف والتعبئة فهما فضربا

ذو الكلا

ذو الكلاع الحميري العلج ضربة غشي منها فتنة وضربه العلج ضربة هائلة وكان
سيفه قاطعا وساعده قوي فقطع درقة ذي الكلاع ودرعه وما تحت الثياب
ووصلت الضربة الى ساعده فاخرج حتى ما بلغ فيه مبلغا فتقلت يده عليه فلما
صار ذو الكلاع الى ما قد لحقه من العلج عطف راس جواده فبر الى المسلمين ونظر العلج
اليه راجعا فطمع فيه فصاح فبرز ونه من بين اولئك فيه وكان من شره والكلاع
سابقا فلم يلحقه العلج ان لحق بعسكر المسلمين واتى الى راية قومه من حمير فقالوا
له ما وراءك ايها الامير فقال يا بني سار حمير اياكم والعجب ولا تتكلوا في قتالكم
على السلاح والمنعة ولاكن اتكلوا على الله سبحانه فهو نعم الوكيل فقالوا له
وكيف ذلك ايها الامير فقال انه بهرني ردت في عين من القتال شعفه عليه اذ لبس
عليه لامة حرب وقلت انا اجود من عين في عزة ولامة فضعفت في نفسي الا علما لولا ان
نجاني الله ما لحقني في الحرب قبل ذلك مثلها فسر قومه من حمير جرحه ووقف تحت
رايته يحملها اليه رجل من قومه فصاح ذو الكلاع يا ال حمير ان كان اليمن كم رجع
كالاحجام منكم من ياخذ له بالثار ويكشف عن العار فبادر اليه بالاجابة فارس
من فرسان حمير وعليه سابغ اليمن من الابراد وخرج كانه شعلة نار وحمل نحو
العلج محكما وجال عليه العلج جولة عظيمة فعطف عليه الحميري وطعنه
اثبتها في صدره ارداه قتيلا وعجل الله بروحه الى النار وهم الحميري ان ينزل
الى سلبه لياخذه فحمل عليه كردوس من الخيل من الروم فكشفوه عنه فهزم
الحميري وصاح في بني عمه ثم رجع الى العلج واخذ سلبه واتى به الى ابي عبيدة فاعطاه
ابو عبيدة اياه فرجع بالسلب لقومه ورجع الى مكانه من القتال فخرج اليه
علج اخر فقتله وخرج اليه اخر فقتله وخرج اليه علج رابع فقتل الحميري رحمة
الله عليه وهم العلج ان ياخذ سلبه فرماه رجل من رماة الانصار بنبلة فجدله
صريعا وعجل الله بروحه الى النار وكان ذلك العلج الذي قتل بالنبلة بطريق
الروم وتطايروا جميع المسلمين فصاح بهم بما يقال لعنه الله وعنفهم وسكنهم
من افخر ابيهم وخرج الى القتال ملك اللان وكان يقال له مونوليس
وعليه لامة الملوك وقد اظهر ديباجه وجوهره وفي وسطه منطقة من

مرصعة بالياقوت فجال بين الصفين واشهر سيفه وعمي بنفسه فقال انا
ملك اللان فلما نظر اليه الامير كشف خرج اليه شرحبيل بن حسنة رضي الله عنه كاتب
رسول الله صلى الله عليه وسلم وبيده الراية وعليه درع ومن فوقه ثوبا ابيض
وهو متنكب بمنطقة من الاديم على فرس اشهب من عتاق الخيل فقال من الذي
خرج الى هذا العلج والراية بيده فقيل له شرحبيل فبعث اليه يقول ادفع
الراية واخرج ان شئت بغير راية فلما بلغه ذلك الكلام دفع الذي بعثه ابو عبيدة
دفع الراية اليه وقال له قف بها في موضعي فان قدر الله علي بقضاء فسلم الراية
للامين ابي عبيدة بن عامر بن الجراح وان رجعت سالما اخذتها فاخذ الرجل الراية
وامسكها عنده وخرج شرحبيل نحو العلج وهو يقول

• ساحمل في اللقاء على الاعادي • بكل مثقف لدن الصعاد •
• فيا بؤسى لقيصر يوم ياتي • وجمع الروم شتى في البلاد •

فلما سمعه اللاني لم يفقهه وكان اللعين يفهم قليلا في العربية فقال
يا عربي ما الذي تقول فقال له شرحبيل اقول كلاما تقوله العرب عند نزالها تشجع
به نفوسها ونثني به على الله الذي وعدنا على لسان نبينا محمد صلى الله
عليه وسلم فقال له ملك اللان وما الذي وعدكم به على لسان نبيكم فقال شرحبيل
وعدنا ان الله يفتح لنا الارض بالطول والعرض ونملك الشام والعراق وخراسان
ونقاتل الترك والارمن واللان ونكون من الكافرين بربهم بوعد الله ونحن على
جلد وهو خير الناصرين فقال له ملك اللان ان الله لا ينصر من بغى وانتم الباغون
علينا اذ تطلبون منا ما ليس لكم علينا بحق قال شرحبيل نحن قوم امرنا الله
بذلك والارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين واني اراك تعرف
بعض لغة العرب فلو تركت ما انت عليه من عبادة الصليب ودخلت في دين
الاسلام لكنت من اهل الجنة وسعدت فقال له ملك اللان لست ارجع عن قولي
واستخرج صليبا من عنقه وتركه بين عينيه واقبل يستنصر به فغضب شرحبيل
من فعله وقال له يا ويلك تبا لك ولمن معك ولمن يقول بقولك ثم حمل عليه واخذا في
القتال وجالا طويلا والابطال ترمقهما وجعل المسلمون يدعون لشرحبيل

بالنصر والمعونة والسلامة ونكص شرحبيل الى شدة المشرك وباسه وجودة
مراسه فاتكى حرير بربه كالمنهزم فظن العلج انه قد انهزم فتبعه وقصر
شرحبيل في سعي جواده حتى اذا علم انه قد قاربه فتل العنان اليه وعطف با
لقناة عليه يريد ان يطعنه فنحى له فزاغ عدو الله للطعنة ونجا سالما ثم قال
معاشر العرب لا تدعون الخديعة والمكر فقال له شرحبيل مه يا ويلك ان الحرب
خديعة والحيل والمكر راسها فقال له العلج وما الذي فعلت حيلتك ثم رجعا
الى الحملة وتضاربا بسيفيهما حتى انقطع السيفان في ايديهما واعتنقا
معانقة شديدة وكان عدو الله اعظم جثة واشد منعة وقوة وكان شرحبيل
نحيف الجسم من كثرة الصيام وطول القيام فضغط عليه المشرك ضغطة
اوهنه بها وهم ان يقتلعه من سرجه والعرب ينظرون اليهما **فقال** ضرار
بن الازور من اخلني والله غيظه وقلت عني نفسي ويحك يا ضرار كيف يقتل
هذا العلج كاتب رسول الله وانت تنظر اليه ثم الذي يمنعك من نصرته ثم دال
الى ولما ذا الحي يجرض ان رغويهما راجلا يسعى على قدميه حتى قرب منهما
ولا يعلمان به جميعا وكان بيده خنجر محض فاتى العلج من ورائه فاطلعه من
قلبه فسقط العلج قتيلا وخلص شرحبيل من الضغطة **فلما** سقط العلج
عن ظهر جواده نزل شرحبيل واتى اليه فصوص ان وسلباه ما كان عليه من لامة
حربه وركب ضرار جواد العلج ورو واتى هو وشرحبيل الى جيش المسلمين فهنا
المسلمون شرحبيل وشكر ضرار على فعله ولما قتل ملك اللان غضب الروم
غضبا شديدا وخرج منهم فارس شجاع وطلب البراز فخرج اليه الزبير بن العوام
فقتله واخذ سلبه وبرز فارس ثان فقتله وبرز ثالث فقتله وبرز رابع فقتله
واخذ سلبهم فقال خالد لابي عبيدة ان الزبير قد جهد ولا يقتل نفسه لله
ورسوله وانا خائف عليه من التعب فصاح ابو عبيدة بالزبير وعزم عليه ان
يرجع الى مقامه **فخرج** ملك الروسية وهو زوج ابنة ملك اللان
فخرج اليه خالد بن الوليد رضي الله عنه فقتله فقوم سلبه وتقوم تاجه ومن
منطقة وصليبه ودرعه وعصابته وسيفه ولامة حربه واتوا به بخمسة

عشر الف دينار واخبر ماهان بذلك فغضب وقال هذا ان ملكان منا فوقنا
وان امر المسيح لا ينتهي ثم انه امر الى مائة الف من رموا عن يد واخر
جوا سهامهم واطلقوها نحو المسلمين فسقط عليهم كسقوط البرد
من السماء فكثر القتل والجراح في المسلمين وعظم وقع السهام في عسكر
المسلمين حتى كان يسمع الامر يصيح واعيناه وابكي امه واخر فقداه واصطرب
المسلمون اضطرابا شديدا والحرب دايرة على ساق واحرز المسلمون على انفسهم
الا سنان وما وصل اليهم من وقع الاحراب والمزارق فلمع في ايدي الرجال كاضياء
النيران فحرفت العرب اعنة خيلها راجعة على اعقابها واراد جرجير وقناطير
وقورين ان يحملوا فقال لهم ماهان لعنه الله اثبتوا في مواضعكم عن الحملة
وارموا العرب بالنشاب فامسكوا عنها ونكى عدو الله ماهان الى ان اصطفى ابا عبيدة
المسلمين حتى ولت معظم الرماة من الروم وصاح بن جالد في احرب الى ماية
وبيناوا وزحفت المسلسلة نحو بوقفا نحو عسكر المسلمين قال عباد
بن عامر فنظرت الى جيوش المشركين كثير نحونا سايرة والى خيول المسلمين
ناكصة وقد مسايهم متاخرة فقلت لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم اللهم
افرغ علينا صبرا كالذي انزلته علينا في المواطن كلها ثم صحت في رجال من حمير
يا ال حمير اتفرون من الجنة الى النار وما هذا الفرار اما تعاينون العار اما انتم بين
يدي الجبار اما هو عالم الاسرار ان هي هزمتم من قتال الكفار فلم يجبني احد فقلت ان
كانت قبيلتك حمير تفر صمت عن الجواب فجعلت اهتف بقبائل العرب كلها
قبيلة بعد قبيلة فكان كل قوم يشتغل بنفسه عن اجابتي فجعلت اكثر من قول
لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فعظم امر المسلمين في ذلك اليوم فسماه
عمرو يسمى ذلك اليوم بيوم التعوير وكان ممن اصيب بعينه المغيرة بن
شعبة وسعيد بن زيد ويحيى بن عبد الله التميمي وابو سفيان صخر بن حرب
والاشعث بن سعيد وكان يقال للرجل منهم ذلك ما الذي اصاب عينك فيقول
الاجر لا يقال مصيبة بل نعمة الله او محنة من الله وقال عباد بن عامر فاذا كان
المسلمين لما اقبلوا اجمعين نحو التل الذي عليه النساء ولم يثبت منهم للروم

غير اصحاب الرايات فقاتلوا قتالا شديدا فما كان غير بعيد حتى نزل النصر من عند الله
عز وجل **وقال عبد الله بن قرط** الازدي شهدت قتال الشام كله فلم اشهد
قتالا كان اشد على المسلمين من قتال اليرموك ولم اشهد في ايام اليرموك قتالا على
المسلمين اشد يوما من يوم التعوير ورجعت خيل المسلمين على ادبارها ولم يزل
الحرب من اول النهار وكلما ذهب الليل تزيد وتشتعل ضراما وقاتلت الامراء
بانفسها والرايات بايديها حتى ان ابا عبيدة يقاتل بيده والامراء يفعلون كفعله
يزيد بن ابي سفيان وعمرو بن العاص وشرحبيل بن حسنة كانوا رضي الله عنهم
يقاتلون قتال الموت ونكى ضرار بن الازور والمسيب بن نجبة الفزاري وعبد الرحمن
بن ابي بكر الصديق والفضل بن العباس وهم يقاتلون قتالا شديدا فقلت في نفسي
وكم مقدار ما يقاتلون هؤلاء وهم في نفسي فما كان غير بعيد حتى اسعدهم
الله بالحملة من النساء التي شهدن المواقف مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ونصر
ابو عبيدة المسلمين ومعه معاشر الى قال وجماعة وحمير ولخم وجذام في جمع
المسلمين عن الهزيمة وقد قتل من الروم اربعون الفا وبرزوا **وقال**
حازم بن عمرو وبرز من المشركين كبير فلما الوقعة اصاب الرياح والحرب والملاحف
على الخيل الشهب والبلق كانهم الجبال الراسيات فلما برزوا اغاصوا في وسط
القتال وحملوا علينا من الجوانب وكروا كرة واحدة فحملت ميسرتهم على
ميمنتنا وحملت ميمنتهم على ميسرتنا فما بقي دونا بين ايديهم كانما نعام في
فلاة من الارض او حمر مستنفرة فرت من قسورة ولم نسمع غير صوت ابي
سفيان وهو يقول يا معاشر المسلمين انه يوم من ايام الله فابلوا فيه بلاء
حسنا ونظر ابو عبيدة الى المسلمين وقد تشردوا الى ناحية النساء والنساء
يضربن وجوههم بالحجارة والاعمدة ويصحن بهم لا اله الا الله محمد رسول الله
فجعل ابو عبيدة يصيح بهم ويقول ايها الناس لا تسلموا الاسلام بعد ايمانكم
واتقوا الله ربكم **وحمل خالد بن الوليد** رضي الله عنه وهو متعمم
بعمامة حمراء وهو ينادي في الروم باسمه ويقول انا خالد بن الوليد فبرز اليه
بطريق عظيم من بطارقة الروم وكان البطريق يصحب الملك في كل وقت فقال له

النسطور زوج ابنته زينونة عليه الديباج المثقل والامة الملوك فاقبل
يدعو بخالد بن الوليد ويحكم بالرومية وخالد مشغول في القتال لا يسمع
ولا يدري ما يقول حتى اخبر بذلك فعطف عليه خالد عندما سمع صوته وهو
يحكم بالرومية فالتقيا واقتتلا قتالا شديدا اعظم ما يكون فبينما
هما كذلك اذ ضرب خالد جواده فوقع الفرس على يديه وهوى خالد الى الارض ونظر
المسلمون اليه وقد هوى الى الارض فقالوا لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم
وعلاه البطريق بسيفه فوقعت الضربة على كتفيه فاوهن كتفيه ولم يضره
السيف شيئا وخالد يقول هي هي ونهض فسقط خالد عن ثنيته وقد سقطت
قلنسوته عن راسه فصاح خالد قلنسوتي فاخذها رجل من قومه من بني
مخزوم واعطاها اياه فاعادها خالد على راسه فقال له بعد ذلك يا ابا
سليمان انت على هذا الحال من القتال وانت تقول قلنسوتي فقال ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم لما حلق راسه في حجة الوداع اخذت شعرات من راسه
فقال لي ما تصنع يا خالد بهذه الشعرات فقلت اتبرك بها واستعين بها
على قتال الاعداء فقال لي صلى الله عليه وسلم لا تزال منصورا ما دامت معك
فجعلتها في مقدم قلنسوتي فلم القى جماعة وهي على راسي الا هزمتها ببركة الله
وبركة النبي صلى الله عليه وسلم ثم ان خالدا شدها على راسه بعصابة
حمراء ورجع الى البطريق وحمل عليه وعلاه بضربة على عاتقه فقطع عاتقه
وهم ان يثني عليه باخرى فحمل اصحابه وحازوه اليهم فهلك بينهم وانكسر
من بقي من ملوكهم وكرهوا التقدم بعد ذلك ولقد كان خالد بعد ذلك
يدعوهم الى البراز فلا يجيبه احد منهم الى ذلك ولم يزل خالد يضرب بالسيف حتى
كلت سواعده ولقد اخبرنا عنه انه انقطع في يده ذلك اليوم تسعة
اسياف وكل من حضر وقعة اليرموك وشاهدها قال بعد قتال خالد مائة
رجل من شجعان الروم سوى [illegible] الفرسان مثل الزبير بن العوام وغيره وقد قيل
انه قتل في ذلك اليوم ازيد [illegible] وخمسمائة وحده رضي الله عنه فاشفق
عليه ابن عمه الحارث بن هشام المخزومي وقال لابي عبيدة ايها الامير فرفض

خالدا

خالد فما يجب عليه واعطى السيف حقه حتى ضعف ساعده فلو امكنه ان يريح
نفسه فمشى اليه ابو عبيدة وجعل يعزم عليه ان لا يتقدم ويسأله بالله ان
يمتع المسلمين بحياته فقال خالد ايها الامين اما انا فوالله لاطلبن الشهادة بكل
وجه فان اخطأتني فالله اعلم بنيتي وحمل ولم يرجع عن حملته تلك حتى جلاها
وفي الكفار المسلمين ساعدوا خالدا في حملته واقبلوا اجمعين الى القتال بعد هزيمتهم
بمنهم والنساء امام الرجال وعن عمر بن الاشتر النخعي قال كان النساء
يقاتلن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المشاهد كلها يداوين الجرحى ويسقين
الماء ويبرزن الى القتال ولم ار امرأة من نساء قريش قاتلت بين يدي رسول الله صلى
الله عليه وسلم ولا في اليمامة مع خالد بن الوليد مثل ما قاتل نساء قريش يوم
اليرموك حين دهمهم العدو وخالطهم القتال وخالط الروم المسلمين
والنساء فضربن بالسيوف ضربا وجيعا وذلك في خلافة عمر بن الخطاب رضي
الله عنه وكان قد انضم الى نساء المهاجرين من نساء من لخم وجذام من المومنات
وقامت الحرب على ساق ولاح القتام وتنادين بانسابهن وجعلن يقاتلن
قتال الموت وبعضهن يقاتلن المسلمين ويضربن وجوه الخيل بالاعمدة والحجارة
حتى يرجعوا الى القتال وبعضهن يسقين الماء وبعضهن يشددن جراحات
الجرحى فبينما هن يقاتلن ويحرضن الرجال اذ انهزم نساء من لخم وجذام
وخذلن المسلمين فخرجت اليهن خولة بنت الازور ومن كان معها وام حكيم بنت
الحارث ولبنى بنت سالم وسلمى بنت لؤي من عاتم اليربوعي وجعلن يضربن
وجوههن ويرمينهن بالحجر ويقلن لهن اخرجن من بيننا فانكن لم تكن معنا
قال فرجعن عن الهزيمة وقاتلن قتالا شديدا وقاتلت ام حكيم بالسيف
امام الخيل قتال الموت وجعلت تنادي المشي كبيرة على اعقابهم وقال ابن
عامر وحملت خولة بنت الازور على علج من علوج الروم وكان قد حمل عليها
فاستقبلته وجعلت تضاربه بالسيف فكان السيف من يده فاومى بها
العلج على قمة راسها فاسال دمها وسقطت الى الارض فصاحت عفيرة بنت
غفار حين نظرت اليها صريعة فجمع ضرار باخته ثم حملت على العلج وضربته

ضربة ابانت راسه عن جسده واقبلت نحو خولة وقد قطعت راسها والدم قد صبغ
شعرها فقالت لها يا اختاه ما كنت فقالت لها انا نحيى فمالك علم باخي ضرار
فقالت لها ما رايته فقالت خولة اللهم اجعلني الفداء لاخي ضرار ولا تفجع فيه
المسلمين قالت عفيرة فهممت ان نقوم فما قدرت فما كان الا حتى رايت ضرار
قد رجع العسكر وتسعى الرجال امامه وكان رمى بها الرماح وهو مقبل اليها اخوها
ضرار والنضح به في اسمها فقال لها ما لك يا اختاه فقالت له علي رضى بني وقد قتلت
عفيرة بنت غفار فقال لها يا اختاه ابشري فقد اعزت الله بهم من اراد وقتلت
منهم اعداء الله وقال عبد الواحد بن عون نظرت الى هند بنت عتبة
وبيدها سيف من سيوف الهند وهي تعدو بين المشركين وتنادي معاشر المسلمين
اعدوا الى هولاء الغلف بالسيوف واما اسماء بنت ابي بكر الصديق فانها قد قتلت
عدة نهار مع بعلها الزبير بن العوام رضي الله عنه فما كان يضرب ضربة الا وهي
تضرب الى جنبه قال وقد رجع المسلمون الى القتال حين نظروا الى النساء وهن يقاتلن
قتال الموت ويقول الرجل للرجل من يليه ان لم نقاتل فنحن اولى بالخدور من النساء
فلله در النساء يوم اليرموك وكان بين يدي ابي عبيدة يوم اليرموك رجل من
بني مازن اسمه نعم بن مسعج وكان من خطباء العرب من افصح العرب لسانا
واجرئهم جنانا وكان ربيع القوم في بني مازن تقصده العرب الفصحاء يسمعون
ما ينطق به من نثره ونظمه ولقد بلغني ان الفصحاء المتاخرين مثل الاصمعي وابو
عبيدة انما كان يستمعون على منواله يوعظ الناس يومهم ذلك وقوى
عزائمهم وعن عبد الملك بن محمد عن ابيه حسان بن كعب عن عبد
الواحد بن عون عن موسى بن عمران اليشكري قال سمعت نصر بن مازن
وهو بجامع النيل يحدث عن صفوان بن بشر وقد سمعه يحدث عن وقعة اليرموك
قال ما رد الناس عن الهزيمة بعد فضل الله ونصره الا كلام رجل من بني مازن
اسمه نعم بن مسعج فكان لا يتكلم الا بسجع يولعه بحسن نظمه ولقد حفظنا
منه يوم اليرموك ما نعرف ذكره فكان جملة ما وعظ به المسلمين يوم
اليرموك بعد نقل يمينه ايها الناس تقدموا ليوم له ما بعده وتدرعوا بثبات قلوب وبعد

ولن تنالوا الجنة الا بالصبر على المكاره • وبالله ما يدخلها من يفر في الجهاد كاره •
ولله جنة عرضها السموات والارض ولكنها محفوفة بالمكاره • واعلى الدرجات الشهادة •
فارتقوا بها عالم الغيب والشهادة • وهذا الجهاد قد قام على ساقه • واكتفى انفاقه
في اسواقه • واختفى ربحه في انفاقه • اما انتم من اصحاب نبي العصر • اما يقسم
من الثبات والنصر • بغنى واروح المصطفى يثبتكم • وقدموا العزم يحصل ثباتكم
واياكم ان تولوا الادبار • فتستوجبوا غضب الجبار • اما والذي قدر الاقدار • واجرى
الفلك الدوار • وكل شيء عنده بمقدار • لقد زينت الحور العين • بايديهن
اباريق وكاس من معين • وزخرفت لكم القصور • واعد لكم نعيم غير محصور •
فمن طلب دار البقاء هان عليه ما يلقى • ومن اراد التقى كف عن نفسه المنى •
فصححوا نياتكم • تنالوا ارزاقكم • وحققوا املكم • تنالوا بغيتكم • واطعنوا
الصدور • تنالوا الحور • واشرعوا الاسنة • تنالوا الجنة • وخافوا وايا النفوس
يذهب عنكم في الاخرة النصب والبؤس • واغتنموا الصبر • تنالوا الثواب والاجر •
فنعم المسلمين بحسن اقدام عليهم • واياكم ان تضلوا عن سبيلهم ولا تواقفوا
الكفار في حملهم • واعدلوا عن طرق فوقهم • واقتفوا اثر من سلف من اسلافكم
في فعلهم • واسمعوا ما انزل الله سبحانه من اجلهم • وعد الله الذين امنوا منكم
وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم •
وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم • وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا يعبدونني
لا يشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فاولئك هم الفاسقون • فحسبي وا
بقية سيوف المعتدين • وجردوا بعد لهم الصبر • واحتموا بعزيز المهيمن
يا ايها الذين امنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون • **قال**
ولم يزل الحرب بين الفريقين حتى مالت الشمس لغروبها وانقلبت الروم منقلبين منه
على اعقابها وقد قتلت منهم الوف لا يحصى عددها واما اصحاب الاسلام فا
فقد كلهم واكثرهم وتشتت الخيل نحو ... فانفصل بعضهم من بعض
وقد ملئت الارض من القتلى وجرت بينهم الدماء واما الجراح ففاشية في العسكرين
الا انها في الروم اكثر ورجع كل قوم الى اصطلاح شانهم ومداواة جراحهم

وما يفتنا فجور اليه ابطال المسلمين اصلحته لهم نساؤهم ولم يغفل ابو عبيدة للاحرس
من اصحاب الرايات من يكون على حرس المسلمين بل تولى الحرس بنفسه مع جماعة من
المهاجرين من قيس فبينما ابو عبيدة يدور اذ نظر الى فارسين قد اقبلا وهما يدوران كما
يدور انه وكلما قال لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم قالا مثله كذلك حتى
قرب منهما واذا احدهما الزبير بن العوام والاخر زوجته اسماء بنت ابي بكر الصديق
رضي الله عنه فسلما على ابي عبيدة وسلم ابو عبيدة عليهما وقال له يا ابن عمة رسول الله
ما الذي اخرجك قال خرجت لحرس المسلمين وذلك ان زوجتي قالت لي يا ابن عمة رسول
الله صلى الله عليه وسلم يوشك ان المسلمين في هذه الليلة مشتغلون عن الحرس لما لحقهم
من التعب والنصب في الجهاد فكونوا مثلهم فهل لك ان نساعدني على حرس المسلمين
فا جبتها الى ذلك فشكر لهما ابو عبيدة ذلك وعزم عليهما ان يرجعا فلم يفعلا
فكان الزبير بن العوام وزوجته اسماء بنت ابي بكر الصديق يفعلان ليلتهما كما
كان يفعل ابو عبيدة ومن معه من المهاجرين رضي الله تعالى عنهم وارضاهم اجمعين

ذكر خبر ليلة الواقوصة وهي ليلة من ايام اليرموك التي كانت فيه الهزيمة على الروم

قال ابو عبد الله الواقدي رحمه الله وغيره عليه

عن صفوان بن عمر عن عبد الرحمن بن جبير عن ابيه قال كان في عسكر الروم رجل من
اهل حمص يقال له ابو الجعيد وكان من رؤسا اهل حمص فلما اجتمعت الروم
للمسلمين باليرموك ونزلوا في الزراعة وكان ابو الجعيد قد جعل مسكنه هنالك
لكثرة هوائها وانتقل من مدينة حمص ولم يرض بالمقام فيها ونزل عسكر الروم
على الزراعة وكان فيها عرس لابن الجعيد قد تزوجها ولم تزف اليه فاشتغل ابو
الجعيد بضيافة الروم واطعمهم وسقاهم فلما فرغ من جميع امورهم قالوا له
هات امراتك الينا فابى عن ذلك وسبقهم وهم يابون الا ان يا خذوا عرسه
فلما اشتد عليهم بذلك وراوا اباه قد غلبوا عليه وعمدوا الى عرسه فاخذوها
وغابوا بها طول ليلتهم فلما اصبح اتى اليهم ابو الجعيد وابنه فصاحا بهم
ودعوا عليهم فقتلوا ولده فاقبلت ام الفتى واخذت راس ولدها وجعله

في عمارها

308

في نهارها واقت به الى مقدم الجيش وشكت حالها وقالت ما لقيت ما صنع العلج
بولدي تحزن جفني فلم يعبأ بكلامها ولم ياخذ لها بثار ولدها فقالت له ام الفتى
والله لتنصرن العرب عليكم ورجعتنا ولينزعوا عليهم فما كان الا يسيرا حتى
اهلكهم الله تعالى على يد المسلمين بسبب ما صنع صاحبهم وكفرهم فلما كان يوم اليرموك
هو يعزم ان يقتل خالد الذي النسطور في يوم التعوير اقبل ابو الجعيد لعسكر المسلمين
الى ابي عبيدة بن الجراح بالنهار وقال له ان هذا الجيش النازل بازائكم جيش عظيم
ولو سلموا انفسهم اليكم للقتال فيغنيهم من قتلهم الا بعد مدة طويلة فان اكرتهم
في هذه الليلة بمكيدة تكيدهم بها تفعلون معي وتعطوني قالوا له نعطيك الا
نومنك جزية لك ولا لعقبك ابدا وتكتب لك بذلك عهدا فلما استوثق من
المسلمين مضى الى الروم ليتنصب عليهم المكيدة فاتى بهم الى موضع وهم لا يعلمون
انه الواقوصة وادي عظيم فاتى بهم الى جنبيها وجعل الواقوصة فيما بينهم وبين
المسلمين ولا يعلم احد منهم ما غورها وقال لهم ان هذا المنزل لا ينزلون به بغتة من
المسلمين واني سأكيد لكم الحرب بمكيدة يهلكون بها فلما كان من يوم المعول
عاد ابو الجعيد الى ابي عبيدة بالليل فوجده يطوف تلك الليلة هو وجماعة من
المهاجرين حول المسلمين وكان قد جاءهم في ذلك اليوم في النهار فقال لهم ما فعلتم
كم من عدوكم فقالوا له وما نصنع قال اذا كانت ليلة غد فاكثروا من النيران
وتقلبوا انتم انه رجع الى الروم ليتم عليهم نصب المكيدة والحيلة فلما
كان من الغد فعل كل عسكر في موضعه ولم يلاقوا في يومهم ذلك حتى جاء الليل
وهي الليلة الثانية وهي التي وعدهم فيها بوقود النيران اوقدوا من النيران اكثر
من عشرة الاف نار فلما اشتعلت النيران اقبل اليهم ابو الجعيد فقالوا له قد
اشعلنا النيران كما امرتنا فما بعد ذلك فقال لهم اريد منكم ان تعطوني نحوا
من خمسمائة فارس رجل منهم عياض بن غانم الاشعري ورافع بن عمرو الطائي
وضرار بن الازور وعبد الله بن قرط وعبد الله بن ياسر وعبد الله الليثي ومثل
هؤلاء السادات رضي الله عنهم فلما اجتمعوا اخذ بهم ابو الجعيد على غير
الطريق الجادة وقصد بهم نحو عسكر الروم فلما كادوا ان يختلطوا بهم اخذ

منهم ابو الجعيد رجلا ودله على المخاض ولم يكن يعلم به سواه ومن سكن اليـ
موك وقال اعبروا وشنوا عليهم الحرب ثم انهم هموا امامهم واقتحموا من ذلك المخاض الذي
دلكم عليه وقد عرفوا اباه فقالوا له نعم وفعلوا ذلك ثم صاح المسلمين
في الروم وحملوا عليهم وجرت بينهم وبين الروم مناوشة من القتال حتى اخذتهم
الليلة ثم انهم مروا كما امرهم ابو الجعيد يطلبون المخاض الذي دلهم عليه
فعند ذلك صاح بالروم ابو الجعيد برفيع صوته يا معاشر الروم ونكـ
من انتم وبهؤلاء العرب فخافوا وفروا بين ايديهم للمكيدة وقد عولوا على الهرب
تلك الليلة فاقبلت الروم على خيل العجلة يطلبون ارض الكرك فبعضهم
ركب جواده مسرجا وبعضهم ركب جواده عريا وبعضهم ترك جواده
اصلا وساروا في طلب المخاض هربا من المسلمين وابو الجعيد يقدم وامامهم
الى ان اوقعهم على الواقوصة وقال لهم هذه المخاض فجوزوا انتم وانا بكم فاقبلوا
يتبعون في الماء ويتساقطون فيه تساقط الجراد حتى مات من الغرق في الماء
ما لا يحصى ولا يدرك عدده والروم لا يعلم الاول منهم ما جرى للاخر ولا يعلم الاخر
ما جرى للاول ولا ما يقول وعبر ابو الجعيد بعسكر المسلمين وسمعته العرب
من ذلك اليوم بالواقوصة ولم يزل الروم كذلك يتساقطون في الماء حتى اذا
اصبحوا اقلعوا عن ذلك وسمعوا ان المسلمين في عسكرهم قائمين في حال اهل
سالمين فعلموا انهم قد دهموا في ليلتهم وقد قل عددهم فاغتاظوا الى الـ
غيظا شديدا وقال بعضهم لبعض من كان الصايح بنا في عسكرنا ليلتنا هذه
قالوا ابو الجعيد وهو الرجل الذي عشتم في جنبه وقتلتم ولده وجاء يشتكي
فلم يسمع قوله وقد اخذ بثاره منكم وقد لحق بجيش العرب قال الراوي فهذا
ما جرى للروم من امر الواقوصة وخبرها وكيف كان من

• ذكر فتح اليرموك الثاني وهو الرابع العام • العظيم في اليرموك وهو الذي كانت فيه الكسرة • على الروم قال ابو عبد الله الواقدي رحمه الله •

ولما اصبح الصباح اجتمعت الروم الى ماهان لعنه الله واخبروه بحقيقة

ماهان

ما نزل باصحابه وجيشه فعلم انه تعالى وان العرب عليه ظاهرون
فبعث الى قورين وهو ابن اخت الملك هرقل وقال له ما ترى ان نصنع وامرنا قد
ظهرت العرب علينا وانهم ان حملوا علينا حملة واحدة لم يفلت منا احد فقال
لكان نسلمهم او نوخر واعد القتال يومنا هذا حتى نعمل الحيلة في اخلاص انفسنا
فقال له افعل ذلك ثم ان باهان لعنه الله دعا برجل من تنصر من العرب من لخم و
بعثه الى المسلمين يقول لهم ان الحرب سجال والدنيا دول وانتم قوم كرام فلا تبغوا
علينا والبغي مصرعه الاجل واخروا الحرب عنا في يومنا هذا فاذا كان بعد ذلك
غدا وتحولوا يكون القتال بيننا وبينكم على ما تريدون قال فسار اللخمي المتنصر
فاقبل الى ابي عبيدة وبلغ اليه الرسالة فهم ابو عبيدة ان يجيبهم الى ذلك
فمنعه خالد بن الوليد من ذلك وقال لا تفعل ايها الامير قد قوّى الله ما عند القوم خير
بعد ذلك فقال ابو عبيدة للخمي المتنصر ارجع الى صاحبك وقل له ما نوخر عنك
ذلك وانا على عجل من امري فرجع الرجل المرسول الى باهان واعلمه بجواب ابي عبيدة
فعظم ذلك عليه وتغير لونه وقال لقد كنت اتربص بنفسي عن الخروج الى العرب
للحرب وارجو ان ذلك الكلام يرجع فوحق المسيح والصليب لا يبرز اليهم ولا يخرج اليهم
غيري ثم انه صرخ بالروم واصحاب جيش الملك ومن كان يتكل عليهم في الشدايد
وامرهم ان ياخذوا الاهبة للقتال فاستعدوا وتقدم باهان لعنه الله في مقدمة
الجيش والصليب امامه فاما المسلمون فقد اخذوا مصافهم للقتال وذلك ان
ابا عبيدة صلى بالمسلمين صلاة الصبح امرهم بالتعبئة للقتال واخذوا مواضعهم
للحرب وايقنوا انهم منصورون على عدوهم ووقف ابو عبيدة اصحاب الرايات ووقف
خالد وابو عبيدة في الخيل المعروفة بعسكر الزحف فلم تطلع الشمس الا والمسلمون
قد فرغوا من تعبية صفوفهم وراياتهم فلما كان طلوع الشمس الا وخرجت
فرسان في طلب البراز وهم اخذ الملوك الاربعة الذي تقدم ذكرهم وقال الامير فرص
الراي امير كم فسمعه ابو عبيدة رضي الله عنه فعلم انه يريد خالد بن الوليد
رضي الله عنه وقال له انت لها يا ابا سليمان انا عرفت من قتال هذا العلج بنفسي فان هو
قتلني فامسك رايتك وامارتك حتى يرى امير المومنين عمر بن الخطاب رضي الله

عنه رايته فقال له خالد ان لهذا العدو وافاتله دونك فقال له ابو عبيدة لست
افعل ذالك ولابد من الخروج اليه وانت تبقى بكف الاجر والثواب ثم برز
ابو عبيدة وما احد من المسلمين الا وهو كاره لذالك فاقبلوا يسلونه الا
يخرج فالح في الخروج حتى كلموه ورايته فلما فهم ابو عبيدة من جرجير وعاينه
قال انت امير هذا الجيش فقال ابو عبيدة نعم انا ذاك وقد اجبتك الى ما
طلبت من امر البراز فدونك وعلى من الميدان فما يقولهم يمنعك الان افعل وانا
فاهلك بعدك فقال له جرجير بل امة الصليب تغلبك ثم حمل جرجير على ابي
عبيدة وحمل ابو عبيدة على جرجير وكان بينهما القتال فبقي خالد ينظر الى قتال
ابي عبيدة وهو يدعوا له بالنصر والمعونة والسلامة والمسلمون كذالك
فانهزم جرجير امام ابي عبيدة واخذ في اعراض الجيش واراد بان يظهر انه ميمنة
المشركين فتبعه ابو عبيدة وهو واثق بالنصر والسلامة فسار في اثره حتى
في باسه فعثر بها فعطف جرجير عليه كالبرق الخاطف والتقيا بضربتين وكان
ابو عبيدة اسبق بضربته فوقعت على عاتق جرجير فقطعته من علاقه
فكبر عند ذالك ابو عبيدة وكبر المسلمون ووقف ابو عبيدة على جرجير
يتعجب من عظم خلقته ولم ياخذ شيئا من سلبه فناداه خالد لله دره ايها
الامير فارجع الى رايتك والى مقامك فقد قضيت ما يجب عليك فلم يرجع ابو
عبيدة فاقسم عليه المسلمون ان يرجع الى مقامه فرجع واخذ رايته من يد
خالد ووقف في مكانه ونظر باهان لعنه الله الى جرجير وقد قتل
فعظم ذالك عليه لانه كان من قبيلته وفي اول من اعوانه وركنا من اركانه
فهم بالهزيمة ثم قال في نفسه لم لا ابلي عذرا وابين فارا فتلك اسنى حظ من
العار وان سلمت كان لي عند الملك عذر احسن من اول في الدين ثم انه اخذ
عدته ولبس زينته وخرج كانه جبل يتوقد من غضبه واعلم رجاله انه يريد
المبارزة بنفسه ثم انه جمع البطارقة والقسيسين والرهبان اليه وقال لهم
يا بني الاصفر ان الملك هرقل كان اعلم منكم بهذا الامر واراد صلح القوم فجا
لعنوه واراد قتله فها انا اريد البراز اليوم بنفسي فنفروا اليه

فهي يوم من بطارقة الملك وكان فيه نسك ودين ويعظم الكنائس والبيع
ويتبع ما جاء عليهم من المعنى وما ثبت في الانجيل وكان يقرب من جرجير في النسب
فلما علم بقتل وجه وقتل جرجير عظم ذلك عليه وقال وحق الصليب لا يسرن
الى العرب ولا خذن بالثار ولاقتلن قاتله او اقتل في العرب ثم قال ان ماهان قد تقاعس
على الجهاد وان اود في دين المسيح ولابد من المبارزة واخذ بالثار
او اموت وكان اسمه جرجيس فتركه ماهان وما يريد يخرج وعليه درع
وعلى الدرع ثوب احمر من حرير وتقلد بسيفه واعتقل بقنطارية وعوذته الاقسة
والرهبان وبخروه بالبخور وكتابا فيهم واقبل عليه راهب عمورية واعطاه
صليبا كان في عنقه وقال له هذا الصليب من عهد المسيح توارثته الرهبان
ونولته وهم يتمسحون به فخذه معك فهو ينصرك فاخذه جرجيس
وخرج ونادى للبراز بكلام عربي فصيح حتى ظن الناس انه من متنصرة العرب
فخرج اليه ضرار بن الازور كانه شعلة نار فلما قاربه ونظر الى هيئته وعظم
خلقته اخذ حذره منه وقال وما يغني هذا اللباس اذا حضر الاجل ثم انه
رجع موليا نحو المسلمين انه جزع وخاف فقال قائل ما بال ضرار ضرار قد انهزم
من العلج وما علم فما له ذلك فلما وصل ضرار ولم يكلم احدا حتى سار الى
خيمته ونزع ثيابه وبقي في سراويله واخذ معه حربته وجحفته وتقلد
بسيفه ثم عاد الى الحرب فبرز من قبل البطريق فوجه مالك الاشتر النخعي
فسبقه اليه وكان مالك من الفصاحة فكان اذا ركب سحبت رجلاه في
الارض وهو ينادي يا علج تقدم يا عباد الصليب الى رجل النجيب وناصر دين
محمد الحبيب فلم يفهم العلج على كلامه مما داخله من فزعه فجال مالك عليه
وهم ان يطعنه وقدم اليه رمحه فلم يترك له مكانا للطعنة مما عليه من الحديد
فقصد جواده وطعنه في خاصرته فطلع الطعنة من الجانب الاخر فتقعقع
الجواد من حرارة الضربة وجعل يفحص بيديه ورجليه الارض وهم مالك
باخراج الرمح فلم يقدر لانه قد اشتبك في اضلاع الجواد فانقصف الرمح
وسقط الجواد الى الارض فالبطريق وهو على ظهره ولم يقدر ان يزول عن ظهره

الجواد لانه من فوق الى سرجه فنظر المسلمون الى ضرار بن الازور وقد اسرع حتى
وصل الى العلج وهو على تلك الحال فضربه بالسيف على قمة راسه على البيضة
فشق راسه فهلك نصفين ومال عليه فاخذ سلبه فاقبل عليه مالك الاشتر
وقال له يا هذا اياك ان تنسانا شركتني في صيدي فقال له ضرار ما انا بشي بل
وانما انا صاحبه وهو لي فقال مالك انا قتلت جواده وقد وقع وهو ولم يكن
يقدر ولا حركة فقال ضرار انا قتلته رب ساع لقاعد ولكل عين حاسد
فنقسم منهما ما له وقال له خذ سلبه بارك الله لك به قال ضرار انما اما انا
في كلام حقه اليك فوالله ما اخذ ضرار منه شيئا وانت احق به مني
وهو لك ثم انتزع ضرار سلب العلج وحمله على عاتقه وما يكاد يحمله
الا وهو يتصبب عرقا فقال وهبي بن عامر ولقد رايته يسعى به وهو
راجل ومالك فارس حتى وصل وهو حمه في رحل مالك النخعي فقال ابو عبيدة
ان لله قوما وهبوا انفسهم لله وما ابى يريدون عرض الدنيا ثم ان ماهان
لعنه الله انقض جناحه لما قتل البطريق فقال وصاح بقومه وجمعهم اليه
وقال لهم اسمعوا يا اصحاب ويقولون عني انما اتى كتب حيلة ولا الوت جهدا
في نصرة هذا الدين وقد حاميت على الملك وقد قتلت عن نعمته وما اقدر
ان اغالب رب السماء فانه قد اظهر العرب علينا وملكهم بلادنا والان ما لي
وجه ارجع به الى الملك حتى اخرج الى القتال والحرب واني زائل مقام القعر والكرب
فان قتلت فقد استرحت من العار ومن توبيخ الملك وان ظفرت بالنصر
واتى من في العرب ما اتى وان رجعت سالما علم الملك اني لم اقصر عن نصرته
وقد عزمت على ان اسلم الصليب الاحمر واني زائل الى قتال العرب فقالوا له
ايها الملك لا تخرج الى الحرب حتى نخرج نحن الى القتال فان قتلنا نحن فاصنع
انت ما شئت وتقدم اليه راهب من الرهبان وقال له ايها الملك ما ارى
لك الى الهزيمة من سبيل ولا احب اليك فقال له ولم قال لاني رايت لك رؤيا
غير صالحة فارجع ودع عنك غير كبرها فقال له ماهان لست افعل
والخروج احب الي من العار واقبل الروم والبطارقة يسئلونه في الخروج فحلف

ماهان

313

ماهان بالكنائس الاربع انه لا يخرج ولا يبرز احد قبله فلما حلف امسكوا عن
مراجعته ثم دعا بابن له كان معه فدفع اليه الصليب وقال له قف في مكانك
وقُرّب لماهان عُدّته فقُدّمت اليه فارقى عليها وخرج الى القتال وكانه جبل
ذهب يلمع ويتشقق ويتوقد ولقد بلغني ان عدة ماهان لعنه الله التي خرج
بها الى الحرب بالمال قومت بستين الف لانها كانت مرصعة كلها بالدر
والياقوت فلما عزم على الخروج تقدمت اليه البطارقة وقبلوه وعوذوه
ودعوا له بالنصر فاقبل حتى وقف بين الصفين ودعا الى البراز وخرق باسمه
فكان اول من عرفه من المسلمين خالد بن الوليد رضي الله عنه فقال هذا ماهان
لعنه الله ملك القوم فوالله ما عندهم خير فخرج اليه غلام من الاوس
من الانصار وقال انا والله مشتاق الى الجنة فحمل على ماهان وجال حوله واظهر
شجاعته عليه وابدى فروسيته لحربه وحمل ماهان عليه وفي يده على عمود
من ذهب كان بيمينه فاخذه وضرب به الغلام ضربة قتله بها وعجل الله
بروحه الى الجنة قال ابو هريرة رضي الله عنه فنظرت الى الغلام وكنت
قريبا من موضع المبارزة عندما سقط عن الجواد وهو يشير باصبعه
نحو السماء ولم يعقل ما قد لحقه من الضربة فعلمت ان ذلك فرحة لما عاين
من الحور العين وجال ماهان على فرسه وقوي قلبه بقتله ودعا الى
البراز فاسرع المسلمون اليه نحو من خمسة فوارس كل واحد منهم يقول
اللهم اجعل قتله على يدي فكان اول من سبق اليه مالك النخعي
وساواه في صحابته فابتدر لماهان بالكلام وقال له ايها العلج الاغلف
لا تغتر بمن قتلته فانما صاحبنا ذلك غلام حدث السن ومشتاق
الى الجنة فان اردت مجاورته في جنة النعيم فانطق بكلمة الشهادة
او اد الجزية والا فانت هالك لا محالة فقال له ماهان لعنه الله من انت
صاحب خالد قال انا مالك النخعي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال ماهان لا ابا لك اذا امر الحرب ثم حمل مالك على ماهان وحمل ماهان عليه
وكان عدو الله ماهان لعنه الله من اهل الشجاعة وممن يذكر في بلاد الروم

وكان له عمود من ذهب يقاتل به في بعض احيانه فاعتمد على عموده وضرب
به مالك النخعي فانصب العمود على البيضة على جبهته وشتر عينه من
ذلك اليوم سمي الاشتر وقد هلك لما نزل به من الضربة فعزم على الرجوع
ثم فكر فيما نزل وفيما قد عزم عليه من الرجوع فصبر نفسه وعلم ان الله
ناصره والنصر يكون من عند الله وعدو الله ماهان يظن انه قتله فهو ينظر
حتى يقع عن جواده واذا بمالك قد حمل عليه وقد اخذته اصوات
المسلمين من كل ناحية وهم يقولون يا مالك استعن بالله فانه يعينك
على قرنك قال مالك فاستعنت بالله وصليت على محمد رسول الله وضربته
ضربة عظيمة فقطع سيفي قطعا من موضعه فعلمت ان الاجل حضر
فلما احس ماهان بالضربة وقد بلغت منه واوهنته ولى على وجهه
منهزما وبين يديه نهارا ومالك يتبعه حتى دخل في عسكره فقصد
خالد بن الوليد لما ولى ماهان لعنه الله منهزما بين يدي مالك النخعي
بان النصر والباس احملوا على القوم ما داموا في شغلهم فتشتتهم
حمل خالد ومن معه من جيشه وحملت جميع الامراء ومن معهم من قومهم
جميع جيوشهم وتبعهم المسلمون بالتهليل والتكبير والصلاة على
البشير النذير فصبرت لهم جموع الروم بعض الصبر ولم تزل الواقعة بينهم
في القتال الشديد بين وقد ايد الله المسلمين عليهم وكثر فيهم القتل
حتى اذا غابت الشمس واظلم الافق انهزمت الروم منكسة على
اعقابها وتركوا عسكرهم بما فيه وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون
وقد قتلوا منهم مقتلة عظيمة في المعركة زهاء على مائة الف وأسر
منهم اربعين الفا وغرق منهم في الواقوصة امم لا تحصى وتفرقوا في
الجبال والاودية والشعوب وخيول المسلمين من ورائهم وهم في طلبهم
من كل مكان ولم يزل المسلمون يقتلون ويأسرون حتى مضى من الليل جزء
فبعث ابو عبيدة وراء الناس وقال لهم اتركوهم الى الصباح فعند ذلك
تراجعت المسلمون وقد ملئت ايديهم من الغنائم من السرادقات والنمارق

والكنائس واواني الذهب والفضة والعدد والخيول وانواع اسلاب الروم فوكل
ابو عبيدة رجالا من المسلمين يجمعون الغنائم ويخرجونها من اماكنها من
عسكر الروم وبات المسلمون فرحين بنصر الله لهم حتى اذا اصبحوا لم يجدوا
للروم خبرا ولا اثرا ووقع اكثرهم بهزيمة في الواقوصة باليرموك وافترق
خيل المسلمين في طلبهم في الجبال والاودية والشعاب في كل جهة من بلاد
الشام واذا بهم براع فلما استقبلهم قالوا له هل مر بك احد من الروم فقال لهم
نعم مر بي طائفة من بطارقة الروم ومعه زهاء اربعين الف فارس وكان البطريق
ماهان لعنه الله فتبعهم خالد بن الوليد وجعل يقفو آثارهم ومعه عسكر
الزحف فادركهم على دمشق فكبر وكبر المسلمون معه وحمل عليهم
ووضع السيف فيهم فقتلوا منهم مقتلة عظيمة وكان ماهان لعنه الله
قد ترجل عن جواده من تلقاء نفسه وقيل انما ترجل ليسلم فاقبل اليه رجل
من المسلمين فقاتله وحامى عن نفسه حتى كان وعيا فقتله الرجل وكان القاتل
له النعمان بن حليمة وقيل عاصم بن جوالي بن عدي وقد اختلفوا ايهما قتل
ماهان والله اعلم بمن قتله منهما واما خالد رضي الله عنه فانه مضى
في طلب الروم يقتلهم حيث ما وجدهم وكذلك جميع الامراء حتى انتهى
الى ثنية العقاب فاقام بها يوما وخرج اهل دمشق اليه وقالوا له نحن على
عهودنا الذي كان بيننا وبينكم فقال لهم خالد انتم على عهدكم ثم انه عاد
الى حمص فنزل بها وعن عمار بن اسلم عن نوفل بن عدي عن جابر بن
نهي عن عامر بن حميد قال اراد ابو عبيدة ان يحصي عدد القتلى من
المشركين في اليرموك فلم يقدر ان يحصي ذلك الا بالقصب فامر ان تقطع
له القصب من الوادي وجعل على كل قتيل قصبة ثم عدوا بعد ذلك القصب
فوجدوها مائة الف وخمسة آلاف والاسارى اربعين الفا وقتل من المسلمين
اربعة آلاف ووجد ابو عبيدة باليرموك رمة وسط الانقاض الحم من
المنتحية امراة من المسلمين فامر بها فغسلت ثم صلى عليها وعلى القتلى وامر
بدفنهم وبلغ الخبر الى ابي عبيدة ان خالدا انهزم فسار حتى لحق به فيمن معه من

المسلمين فاقاموا بها حتى اجتمعت الامراء الذين في طلب الروم في كل جهة من
الشام فلما اجتمعوا عادوا الى دمشق وعن عبد الرحمن بن الفضيل عن مكحول
قال كانت وقعة اليرموك في نصف رجب سنة خمس عشرة من الهجرة قال ثم
رجع ابو عبيدة الى الغنائم فاخرج منها الخمس وكتب الى امير المومنين عمر
بن الخطاب بالفتح والبشارة كتابا يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله
وصلواته على نبيه المصطفى ورسوله المجتبى الى امير المومنين عمر بن الخطاب من
ابي عبيدة عامر بن الجراح عامله على الشام اما بعد فانا نحمد الله الذي لا اله الا
هو ونشكره على ما اولى من نعمه وخصنا به من كرمه ببعثة نبي الرحمة
وشفيع الامة محمد صلى الله عليه وسلم واعلمك يا امير المومنين انا قد
نزلت اليرموك وان ماهان بالغ فينا كما في علمك ولم ير المسلمون
اكثر منه جمعا ولا اوفر عددا ففض الله تعالى تلك الجموع ونصرنا عليهم
بمنه وكرمه فقتلنا منهم زهاء على مائة الف وخمسة الاف واسرنا منهم
اربعين الفا وامام قتل في الاودية والشعوب والجبال من المنهزمين ومن غ
هم وعدتهم سبعون الفا وقتل ماهان على دمشق قتله عاصم بن جوال
اليربوعي وقد كان قبل الوقعة نصبا عليهم المكيدة رجل منهم من اهل
حمص يقال له ابو الجعيد لطلب بينه وبينهم فالتقيتهم في موضع في اليرموك
يقال له الواقوصة وفيه وقعة فيه منهم خلق كثير لا يعلم عددهم
ولا يحصيهم الا الله تعالى وكذلك يوم الهزيمة غرق فيه منهم كثير ايضا
لا يحصى عددهم وقد ملكنا الله تعالى حصونهم واموالهم ورقابهم وبلادهم
وقتل من المسلمين اربعة الاف ختم الله لهم بالشهادة ووجدت رؤوسا
مقطوعة لم اعلم اصحابها فصليت عليها ودفنتها وكتبت لك هذا بعد
الفتح من مدينة دمشق وقد جمعت الغنائم وخمستها وانا منتظر امرك
في الخمس والغنائم والسلام عليك وعلى جميع المسلمين ورحمة الله وبركاته
ثم طوى ابو عبيدة الكتاب وختمه بخاتمه ودعا بحذيفة بن اليمان
رضي الله عنه ودفع اليه الكتاب وضم اليه عشرة من المهاجرين والانصار

وامر

وامره بالمسير وقال له يا حذيفة سر بكتاب الفتح والبشارة الى امير المومنين
عمر بن الخطاب واحمد الله سبحانه وتعالى فاخذ حذيفة الكتاب من يده
وسار به من وقته وساعته والعشرة معه وساروا وهم يجدون السير ليلا ونهارا
حتى وصلوا الى المدينة **وعن عبد الله بن عوف المالكي عن ابيه قال**
لما فتح الله المشرق كله وجمع الكفار الظالمين من الروم يوم اليرموك وكان من
امرهم ما قدر الله تعالى راى امير المومنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليلة هزيمة الروم
في منامه فراى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في الروضة المشرفة ومعه
ابو بكر الصديق رضي الله عنه وكان عمر يسلم عليهما ويقول يا رسول الله ان
قلبي مشتغل بالمسلمين ما صنع الله بهم مع اعدائهم وقد بلغني ان الروم في ثمان
مائة الف مقاتل فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ابشر فقد فتح الله على المسلمين
وقد انهزم عدوهم وقد قتل منهم كذا وكذا ثم قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم
تلك الدار الاخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا والعاقبة
للمتقين فلما كان من الغد صلى عمر بالناس صلاة الفجر واعلمهم بما راى في
منامه ففرح المسلمون بذلك واستبشروا وعلموا ان الشيطان لا يتمثل على
صورة النبي صلى الله عليه وسلم ولما ورد حذيفة بن اليمان والعشرة
معه بكتاب ابي عبيدة بالفتح والبشارة وكان فيه كلما اعلم به المصطفى
صلى الله عليه وسلم فسجد عمر شكرا لله تعالى وقرا الكتاب على الناس فارتفعت
الاصوات بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير والثناء على العلي الكبير
والحمد لله رب العالمين فقال عمر يا حذيفة هل قسم ابو عبيدة الغنائم قال لا
يا امير المومنين بل اخرج منها الخمس وهو ينتظر امرك فدعا عمر بدواة
وقرطاس وكتب الى ابي عبيدة كتابا يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم
من عبد الله امير المومنين عمر بن الخطاب الى عامله بالشام ابي عبيدة عامر بن الجراح
سلام عليك وعلى من معك من المسلمين ورحمة الله وبركاته اما بعد فاني احمد
الله الذي لا اله الا هو واصلي على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وقد فرحت بما فتح
الله به على ايدي المسلمين من نصره لهم وانه ازاح عدوهم عنهم فاذا وصل اليك

كتابي هذا فاقسم الغنائم واعط لكل ذي حق حقه واجمع المسلمين والكلام
واشكر لهم صنيعهم وفعلهم وصف لهم وافهم بموضعك حتى ياتيك امري والسلام
عليك وعلى من معك من المسلمين ورحمة الله تعالى وبركاته ثم طوى الكتاب
وسلمه الى حذيفة بن اليمان رضي الله عنه فاخذه حذيفة وسار به حتى ورد على
ابي عبيدة بن الجراح فوجده على دمشق فسلم عليه وعلى المسلمين وناوله
كتاب امير المومنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه فلما قرا ابو عبيدة على
المسلمين امر بالغنائم فحملت بين يديه فجعل يقسمها على المسلمين فاصاب
الفارس اربعة وعشرون الفا مثقال من الذهب الاحمر وكذلك من الفضة
واصاب الراجل ثمانية الاف مثقال من الذهب الاحمر وكذلك من الفضة واعطى
العربي من الهجين سهما والعربي من العتيق سهمين والموالي اخوين بالعرب فلما
فعل ابو عبيدة ذلك وقسم الغنائم على ما ذكر قال خالد لابي عبيدة ان رجالا
من المسلمين قد تشفع في عذر كان تحمو في سنه الهجين فعن من عزيز وتعطيه
سهمين فابى ابو عبيدة من ذلك وقال له والله ان صبا الى دمج جوفي اهون
علي من ذلك قال فجاء اصحاب الخيل الهجين وقالوا لابي عبيدة الحقنا باصحاب
العرب فقال لهم اني قسمت عليكم كما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنائم
بين اصحابه فلم يقبلوا قوله وعن عامر بن عبد الله بن الزبير بن العوام قال شهد
جدي الزبير ابن العوام اليرموك ومعه فرسان يتعاقب عليهما يركب هذا يوما
وهذا يوما فلما كان وقت قسمة الغنائم اعطاه ابو عبيدة ثلاثة اسهم له
سهما ولفرسه سهمين فقال له الزبير اما تصنع بي كما صنع بي رسول الله صلى
الله عليه وسلم يوم خيبر كان معي فرسان فاسهم خمسة اسهم لفرسي اربعة
اسهم ولي سهم فقال المقداد فقد كنت انا وانت يوم بدر ومعنا فرسان فما
اعطانا رسول الله صلى الله عليه وسلم لهما سهما الا شيئا فقال ابو عبيدة انك
لصادق يا مقداد الا انه نسخ فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر بيوم خيبر
فاقبل جابر بن عبد الله الانصاري يشهد لابي عبيدة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اعطى الزبير بن العوام يوم خيبر خمسة اسهم فاعطاه ابو عبيدة خمسة اسهم

فلما بعد

فلما بلغ ذلك ابا عبيدة اتى رجال من العرب بالكلام واخوان بعث ابي اسود فقالوا والله لقد غنا
بالذي فقال لهم ابو عبيدة حتى استاذن عمر في ذلك فكتب الى امير المومنين
عمر بن الخطاب رضي الله عنه بذلك ويعلمه باختلاف الناس في الخيل الهجن والعراب
وبعثه الى الزبير بن العوام فكتب اليه عمر يقول اما بعد فانك فعلت في امرك واخذتا
بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم تتعد حكمه فاعط العربي من الفرس سهمين
واعط العربي من الهجين سهما واعلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عرب العربي
وهجن الهجين يوم خيبر فجعل للهجين سهما وللعربي سهمين واما الزبير فقد صح
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطاه يوم خيبر خمسة اسهم ولا يكن لا تفعلوا
لاحد غيره مثله بعد فعل النبي صلى الله عليه وسلم فلما ورد الكتاب على ابي
عبيدة وقرأه على المسلمين قال والله ما اراد ابو عبيدة ان يحرم احدا منكم
ولاكني تبعت سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفعله فيكم اليوم واما
هرقل ملك الروم فانه لما بلغه الخبر بهزيمة جيوشه وجنوده اغتم لذلك
غما شديدا وكبر ذلك عليه وعظم لديه وايقن بزوال ملكه وعن لوط بن يس
عبد الله عن سالم مولى حذيفة والقاسم بن سلمة عن عدي بن عاصم عن من
حدثه عن فتوح الشام قال لما هزم الله الروم يوم اليرموك على يد المسلمين
وبلغ الخبر الى هرقل بهزيمة جيوشه وجنوده وقتل بطارقته وملوكه
وان ماهان قد قتل قال علمت ان الامر يؤول الى هذا فقال له قومه فيم علمته ايها
الملك فقال انهم يكونون يحبون الموت وانتم تحبون الحياة ثم اقلع عنكم ما
يكون من امر المسلمين **وقال ابو عمرو الكلاعي** لما اتى
خبر الهزيمة لهرقل كان اول من اتى اليه رجل من الروم فقال له ما وراءك
قال الخبر ايها الملك هزم الله العرب واهلكهم ففرح من كان حوله وسروا
سرورا عظيما ورفعوا اصواتهم بكلمة كفرهم فقال لهم هرقل ويحكم هذا
كاذب فاجمل تعزيتكم وهيئته الا هيئة منهزم فسلوه ما جاء به فلعمري ما هو
ببريد ولم يكن هذا منهزما ما كان ينبغي له الا ان يكون مع اميره فقلما
ما كان باسرع اذ جاءه اخر فقال له ويحك ما وراءك فقال لهم نعم نصرهم الله

واهلكتهم فقال له هرقل فان كان الله قد اهلكهم فما الذي جاء بك وبمن
بذي الكلاع صاحبه وقالوا اصدق ايها الملك فقال لهم ويحكم اتخادعون انفسكم
والله ان هؤلاء قوم كاذبون ولو كانوا صادقين او كذبي واما جاوزكم الا على
ضعف حيلتهم من كثرة ولتسمعن الى اذون انهم لكاذبون في قولهم
فبينما هم كذلك اذ طلع عليهم رجل من العرب المتنصرة من تنوخ على فرس
عربية يقال له حذيفة ابن عمرو وكان نصرانيا من القدماء فقال هرقل لجلسائه
خبر السوء عن هذا اعلمنا في قامته قال له هرقل ما عندك قال له الشر فقال له
هرقل ويحك هذا الذي يبشر بالشر ثم نظر الى اصحابه فقال لهم خبر السوء من قوم
سوء فبينما هم كذلك اذ جاءه رجل من عظماء الروم فقال له الملك هل
ما وراءك قال الشر هل منا احد بعمه قال جاء بقتل اميركم فقال له قتل
فلان وفلان وفلان وجعل يسمي عدة من امرائه وفي بطانته وملوكه
وبطارقته واعوانه فقال له اقتلوا فقال له لا ابكيك والله انت اخبث واقبح
من ان تود عرق من ان تقاتل عرق فبينا ثم قال اللعين انزلوه فانزلوه وجاؤوا
به اليه فقال له الست انت كنت اشد الناس علي في امر محمد نبي العرب
حين جاءني كتابه ورسوله يدعوني الى الدخول في دينه او الصلح وقد كنت
احببت ان اجيبه الى ما دعاني اليه من الصلح وان ادخل في دينه وكنت انت
من اشد الناس علي في امره حتى تركت ما اردته من ذلك فهل تاملت الان
قوم محمد واصحابه دون سلطان والان اكافيك على قدر ما كنت
منعتني لبيت منك اذ منعتني من الدخول في دينه او الصلح فقد مولى
وارض بما اعطيه فقد مولى وحض بواعظه ثم انه اقلع يتنكر ما يؤول امره اليه

ذكر حروب بيت المقدس وتسمى
ايلياء ومسير المسلمين اليها
ونزولهم عليها وحاصرتهم
اياها قال الفقيه القاضي
ابو عبد الله محمد بن اسمعيل بن عمر الواقدي رحمه الله
تعالى

وأمّا ما كان من أمر المسلمين فإن أبا عبيدة رضي الله عنه أقام بهم
على دمشق مدة من شهر بعد هزيمة الروم ثم إنه جمعهم إليه وحضر
أمراء المسلمين كلهم فقال لهم أيها الناس أشيروا علي بما أصنع وإلى أين
أتوجه فإنه قد اتفقوا على المسير إلى بيت المقدس أو إلى قيسارية فما الذي
ترون من الرأي فقالوا له أنت الرجل الأمين وعلينا الأمر وما تسير إلى موضع أو
بلد إلا ونحن معك وبين يديك فقال له معاذ أيها الأمير اكتب إلى أمير المؤمنين
عمر بن الخطاب فحيث أمرك أن تسير فسر إليه واستعن بالله عليه فقال له أصبت
الرأي يا معاذ وفقنا الله وإياك ثم إنه كتب إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يعلمه
أنه قد عزم على المسير إلى قيسارية أو إلى بيت المقدس وأنا منتظر ما تأمرني به
والسلام عليكم ثم دفع الكتاب مع عرفجة بن ناصح النخعي وأمره بالمسير
فسار عرفجة حتى ورد المدينة وسلم الكتاب إلى عمر فقرأه على المسلمين
واستشارهم في الأمر فقال له علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم وجهه
يا أمير المؤمنين مر صاحبك أبا عبيدة أن ينزل بجيوشه بيت المقدس فيحاصره
ويقاتل أهله فهو خير رأي وأبركه فإذا فتح الله عز وجل بيت المقدس صرف
وجهه إلى قيسارية فإنها تفتح بعد إن شاء الله هكذا أخبرني رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال عمر صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وصدقت أنت
يا أبا الحسن ثم دعا بدواة وقرطاس وكتب إلى أبي عبيدة كتابا يقول فيه
بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين
إلى عامله بالشام أبي عبيدة عامر بن الجراح أما بعد فإني أحمد الله الذي لا إله
إلا هو وأصلي على نبيه وقد وصلنا كتابك تستشيرني في أي الجهات ناحية
تتوجه وقد أشار ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تسير إلى بيت المقدس
فإن الله يفتحها عليك فسر إليها وإن أتيتها ولا تبرح عنها حتى يحكم الله
بينك وبين أهلها والسلام عليك وعلى من معك من المسلمين ورحمة الله وبركاته
وحسبنا الله ونعم الوكيل ثم طوى الكتاب ودفعه إلى عرفجة بن
ناصح النخعي وأمره أن يعجل المسير فأخذه عرفجة وسار إلى أن قدم على أبي

عبيدة بوجوه على باب الجابية من بلاد دمشق ودفع اليه الكتاب وقرا
ابو عبيدة على المسلمين ففرحوا بذالك وحاشر بن اوس وانهم هم الى بيت
المقدس مسرورا معجبا فعند ذالك اقبل ابو عبيدة على المسلمين وقد عقد
ليزيد بن ابي سفيان وعقد له راية صفراء وقد دفعها اليه وضم اليه خمسة الاف فارس
من المسلمين وسيره الى بيت المقدس وقال له يا ابن ابي سفيان ما علمك الا انك
اذا اشرفت على بلد ايلياء فارفعوا اصواتكم بالتهليل والتكبير والصلاة
على الهادي البشير النذير واسالوا الله سبحانه وتعالى بجاه نبيه محمد صلى الله
عليه وسلم وبجاه من سكنها من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين
ان يسهل فتحها على ايدي المسلمين فاخذ يزيد الراية وسار من يومه ذالك
الى بيت المقدس وقد عقد لشرحبيل بن حسنة كاتب رسول
الله صلى الله عليه وسلم وعقد له راية سوداء وضم اليه خمسة الاف فارس
من المسلمين من اهل اليمن وحضرموت وكهلان وطي وسنبس وخولان والا
والازد ونبهان وقال له مثل ما قال ليزيد بن ابي سفيان وسر بمن معك حتى
تاتي الى بيت المقدس وانزل بعسكرك عليها ولا تختلط عسكرك مع اصحاب
يزيد بن ابي سفيان فسار شرحبيل بمن معه من يومه ذالك الى بيت المقدس
بعد ان اخذ رايته وقد عقد للمرقال هاشم بن عتبة بن ابي
وقاص وعقد له راية بيضاء وضم اليه خمسة الاف فارس من العرب من مضر
وغيرها وسيره في اثر شرحبيل واوصاه ايضا وقال له سر بمن معك وانزل
على حصنها ولتكن نزولك بمعزل عن صاحبيك فاخذ هاشم رايته وسار بمعزل
بمن معه الى بيت المقدس وقد عقد
للمسيب بن نجبة الفزاري وعقد له راية رابعة وسلمها اليه وضم اليه خمسة
الاف فارس من المسلمين من فزارة والنخع ولخم وغطفان واوصاه ايضا
وقال له جد في سيرك وجيشك حتى تلحقوا باصحابك ببيت المقدس فاخذ رايته
وسار بمن معه من جيشه في يومه ذالك وقد عقد
لقيس بن هبيرة ابن مكشوح المرادي وعقد له راية خامسة وسلمها

اليه وضم اليه خمسة الاف فارس من المسلمين من قومه مراد وغيرهم واوصاه
ايضا فاخذ قيس رايته وسار من بين يدي المقدس بمن معه من جيشه في يومه
ذلك ودعا من الغد بعروة بن مهلهل بن زيد الخيل الطائي وعقد له راية سادسة
ودفعها اليه وضم اليه خمسة الاف فارس من المسلمين من طي وغيرهم من
قبائل العرب واوصاه ايضا وشيعه في اثر اصحابه فاخذ عروة الراية وسار بمن
معه من جيشه من بين يدي المقدس في اثر اصحابه فكان جملة ما سرح ابو عبيدة
من الجيوش الى بيت المقدس ثلاثين الفا مع ستة من الامراء مع كل امير
خمسة الاف كما تقدم وسارت الامراء في ستة ايام كل امير في يوم على
التوالي وذلك لكي تعظم اعداء الله اذا اقبلوا عليهم بذلك فكان ينزل عليهم
كل يوم امير بمن معه من جيشه ثم اقبلوا على بيت المقدس فكان اول من اطلع
واشرف عليهم بالراية يزيد بن ابي سفيان فلما اشرف عليهم كبر وكبر
المسلمون بتكبيره حتى سمع اهل بيت المقدس ضجيج اصواتهم ففزعت
قلوبهم وانتفضت عقولهم وصعدوا على سور مدينتهم وبلادهم ونظروا
الى اصحاب يزيد ومن معه من جيشه وقد نزلوا مما يلي باب اريحا استصغروهم
وكانوا ازدروا ذلك جميع جيوش المسلمين وجنودهم ثم اقبل في اليوم الثاني
شرحبيل بن حسنة بجيشه واقبل في اليوم الثالث هاشم المرقال ابن عتبة
بن ابي وقاص فنزل في موضع مما يلي الباب الغربي واقبل في اليوم الرابع المسيب
بن نجبة الفزاري بمن معه من جيشه فنزل مما يلي الشمال واقبل في اليوم الخامس
قيس بن هبيرة المرادي بمن معه من جيشه فنزل في موضع مما يلي قبلتها
واقبل من بعدهم في اليوم السادس عروة بن مهلهل بن زيد الخيل الطائي بمن معه
من جيشه فنزل مما يلي طور زيتا قبالة محراب داوود عليه السلام قال عبد
الله بن عامر بن ربيعة القضاعي ما نزل احد من المسلمين على بيت المقدس
الا وصلى بازاء ما رزقه الله وبشره عليه وكبر ودعا بالنصر على اهلها
والظفر بالاعداء منها وبقي المسلمون ثلاثة ايام نازلين على بيت المقدس ومعه
استيفاء لا يقاتلونهم ولم ينابذوهم حربا وهم ينتظرون منهم رسولا ياتي

اليهم او يكلمهم فلم يكلمهم منهم احد الا انهم حصنوا اسوارهم بالمجانيق
والى عادات وزينوها بالى بنت العاجية واستعدوا بآلة الحرب من السيوف
والدرق وقال المسيب بن نجبة الفزاري ما رأينا بلدا من بلاد الشام ورأينا
عن قرب ما رأينا احسن عدة وهيئة وزينة ولا اكثر عدة من اهل بيت المقدس
وما نزلنا على قوم من الروم الا تضعضعوا لنا ودخلهم الهلع الا اهل ايلياء
فان لنا عليهم ثلاثة ايام لم يكلمنا فيها احد منهم فلما كان في اليوم الرابع قال
رجل من اهل مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم لشرحبيل بن حسنة ايها
الامير ان هؤلاء القوم صم فلا يسمعون ام بكم فلا يتكلمون ام عمي فلا يبصرون
ازحفوا بنا اليهم والحوا عليهم فلما كان في اليوم الخامس وقد صلى المسلمون
صلاة الصبح كان اول من ركب يزيد بن ابي سفيان فاشتهر سلاحه وجعل
يدنو من سورهم وقد اخذ معه ترجمانا يبلغهم عنه ما يقول ويبلغه
عنهم ما يقولون فوقف بازاء سورهم حيث يسمعون حكايته وهم سكوت
فقال يزيد لترجمانه قل لهم ان امير العرب يقول لكم ما تقولون في الاجابة
الى دعوة الحق وكلمة الاخلاص والصدق وهي قول لا اله الا الله محمد رسول الله
حتى يغفر لكم ربنا وربكم ما تقدم من ذنوبكم وسلف من خطاياكم
وكفى كم فان ابيتم ولم تجيبوا اليها فصالحوا على بلدكم كما صالح غيركم
ممن هو اعظم منكم واشد باسا وقوة واكثر جمعا وعدة فتحقنون بذلك
دماءكم وان ابيتم فعاقبة ذلك الشر حل بكم البوار وكان مصيركم الى النار
فتقدم الترجمان اليهم وقال لهم من القائد عنكم فتقدم اليه قس من الاقسة
وعليه مدرعة الشعر فقال له الترجمان ان هذا الامير يقول لكم كذا وكذا
فيدعوكم الى الدخول في دينه دين الاسلام فان ابيتم فصالحوه عن بلدكم
وانفسكم واهليكم باداء الجزية كما صالح غيركم والا فالقتال بينكم
وبينهم فبلغ القس لاهل بيت المقدس ما قال الامير الترجمان فضجوا بكلمة
كفرهم وقالوا انا لا نرجع عن دين ابن العذراء البتول عيسى بن مريم وان
قتلنا فهو اهون علينا من ذلك فبلغ الترجمان ليزيد بن ابي سفيان ما قالوا له فبعث

يزيد

يريد الى الامراء، وبلغهم ما قاله اهل بيت المقدس مع التي جاءت ثم قال لهم ما
امنكم وكم بهم فقالوا له ان الامير ابا عبيدة لم يامرنا بقتال القوم وانما
امرنا بالنزول عليهم ولاكن نكتبوا اليه ونعلموه بما كان من جواب القوم وما
الذي يريد منا ان قال فكتبوا اليه بذلك واعلموه بما ردوا عليهم فرد ابو
عبيدة اليهم جوابا كتابهم يامرهم فيه بالزحف اليهم وشدة الحرب والقتال
وهو في كتابه قادم اليهم وبعث الكتاب مع عرفجة بن ناصح النخعي
وسار به اليهم حتى قدم به عليهم فلما وقف المسلمون على كتاب الامير ابي
عبيدة بن الجراح فرحوا بذلك فرحا شديدا ولقد بلغني ان المسلمين
باتوا تلك الليلة كانهم ينتظرون قادما يقدم عليهم من شدة فرحهم بقتال
اهل بيت المقدس وكل امير منهم يريد ان يفتح الله على يديه وباتوا
ينتظرون الصباح فلما اضاء الفجر واذن المؤذنون في العساكر وصلى
المسلمون صلاة الفجر صلى يزيد باصحابه وقام فيهم يا قوم ادخلوا الارض
المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على ادباركم فتنقلبوا خاسرين
وقال ان جميع الامراء الستة قرءوها كل واحد منهم في اصحابه الاية وكانهم
كانوا على ميعاد فلما فرغوا من الصلاة قالوا النفير النفير يا خيل
الله اركبي قال فاول من برز للقتال قبائل حمير ورجال اليمن وبرز سائر
المسلمين الى الحرب كانهم اسود ضارية فنظر اليهم اهل بيت المقدس وقد
اشرفوا عليهم لقتالهم فارتعدوا فسبقهم ورشقوا المسلمين بسهامهم
وكانت كالجراد المنتشر فجعل المسلمون يتلقونها بالدرق والحجف ولم
يزل الحرب بين المسلمين واهل بيت المقدس كذلك اليوم من الغداة الى غروب
الشمس واهل بيت المقدس يقاتلون قتالا شديدا وليس يكترثون للمسلمين
منهم ولا رعبا ولا يكترثون في بلدهم فلما غربت الشمس تراجع
المسلمون الى رحالهم وصلوا ما فتح الله سبحانه عليهم واخذوا اصلاح
ما يحتاجون اصلاحه فلما جن الليل اوقدوا النيران واكثروا من وقود النار
لان الحطب عندهم كثير مكروبا وباتوا ليلتهم فقوم يصلون وقوم يقرءون

وقوم يدعون الله ويتضرعون وقوم لما لحقهم من التعب في القتال يومهم
نيام فلما كان من الغد بكر المسلمون الى عدوهم وانتدبوا لقتالهم وكبروا
تكبيرا وذكروا الله تعالى كثيرا واثنوا عليه بالثناء الجليل العظيم وصلوا
على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ونفرت رماة النبل فاقبلوا في وجوه الكفار
بنبالهم ويذكرون الله عز وجل بافصح لغاتهم وافواههم ويضجون بالتسبيـ
ويتضرعون بالسنتهم وقلوبهم وحسروا عمائمهم ولم يزل المسلمون كذلك
في القتال كل يوم على هذه الحال مع اهل بيت المقدس عشرة ايام واهل بيت
المقدس يقفون الفرج وانه ليس في قلوبهم من جزع منهم ولا فزع من قتالهم
فلما كان في الحادي عشر يوما اشرفت عليهم راية ابي عبيدة يحملها غلامه
سالم ومن دونها فرسان المسلمين وابطال الموحدين وقد احدقوا بابي
عبيدة وخالد بن الوليد براية العقاب في عسكر الزحف عن جهة اليمين وعبد
الرحمن بن ابي بكر الصديق في كتيبة اخرى براية عن جهة اليسار بقية
جيوش المسلمين وكان قد بقي بالجابية لم يبرح من مكانه الى ذلك اليوم
وجاء من ورائهم النسوة من الحريم والنساء والاولاد والذراري والاثقال
والغنائم مما افاء الله على المسلمين من الماشية والاموال فضج الناس
ضجة عظيمة بالتهليل والتكبير فاجابتهم سائر القبائل فوقع الرعب
في قلوب اهل بيت المقدس وانقلبت كبراؤهم وبطارقتهم الى البيعة
المعظمة عندهم وهي قمامة فلما وقفوا بين يدي بطركهم وقسيسهم
وخاص دينهم سلموا عليه وخضعوا له وبرروا به فقال لهم ما هذه
الضجة التي اسمع عند العرب فقالوا له يا ابانا انه قد قدم علينا امير العرب
بنفسه والقوم من اصحابه معه وهذه الضجة من سبب ذلك واجله
فلما سمع البطرك بذلك منهم انخلع قلبه وتغير لون وجهه واصفر لونه
وقال هو هو فقالوا له وما ذلك ايها البطرك الكبير والاب الخطير فقال لهم
وحق الانجيل ان كان الذي قد جاء وقدم هو اميرهم فقد جاء هلاككم
وابناؤكم فقالوا له وكيف ذلك فقال لانا نجد في الكتب وفي العلم

الذي ورثنا علمه عن العلماء المتقدمين او الذي يفتح الارض بالطول والعرض فهو
الرجل الاحمر صاحب نبيهم محمد ﷺ فان قدم عليكم فلا سبيل لكم الى قتاله
ولا طاقة لكم بباسه وقتاله ولا بد ان التقي به واتحقق صفته فان كان هو
عجلت في مطالعته واجبته الى ما يريد وان كان غيره لم اسلم اليه المدينة
لان مدينتنا لا يفتحها الا من قد ذكرته لكم ثم وثب هو من مكانه فاتبعه
القسيسون والرهبان والشمامسة من حوله وصعدوا على السور الى ان وصلوا
الى ناحية الطريق من البلد ونظر منها ابو عبيدة فنظر الى المسلمين وهم يقبلون اليه
ويسلمون عليه ويعظمونه ثم يرجعون الى القتال كانهم الاسود الضارية فدار
حوله الجمع وطرافه فهو فامر رجلا من الذين كانوا يمشون امامه ان ينادي بهم
فقال يا معشر العرب كفوا عن القتال حتى نسالكم ونستخبركم قال فامسك
المسلمون عن القتال فنادا اليهم الرجل الشماس بلسان عربي اعلموا ان الذي يفتح
بلدنا هذا وجميع البلاد وكافة الارض صفته عندنا وهو كذا وكذا فان كان هو
صاحبكم لم نقاتلكم بل نسلم لكم هذا البلد وان لم يكن هو فلسنا نكف عنكم
ولا نسلمه لكم ابدا فلما سمع المسلمون كلام الرجل اقبل بعض منهم الى ابي
عبيدة وحدثوه بما سمعوا من الرجل فخرج ابو عبيدة اليهم وسار الى ان
حاذاهم فنظروا اليه وحققوا صورته فقال لهم البطريق بولص هذا هو الرجل
الذي ذكرت لكم فابشروا وقاتلوا عن دينكم وحريمكم فلما سمعوا قوله
(اصرارهم)
رجعوا واعلنوا بكلمة كفرهم واقبلوا يقاتلون القتال الشديد وعاد البطريق بو
الى بيعته فمامنه ولم يخاطب ابو عبيدة بشيء ولا كلمه به بل امر قومه بالحرب
والقتال وعاد ابو عبيدة الى اصحابه فقال له خالد بن الوليد ما كان منك ايها
الامير فقال له لا علم لي غير اني خرجت اليهم كما رايت والتقيت على شيطان
من شياطينهم الذين يطلبون فما كان الا ان نظر الي حتى حقق نظره ثم
صاحوا صيحة واحدة ثم ولى عني ولم يكلمني فقال له خالد بن شك ان يكون
لهم في ذلك راي وامر يوقفه عليه بعد هذا الوقت ويعلم ثناله بعد حين
ولكن افصب عليهم كثرة الحرب والقتال ثم صاح خالد وابو عبيدة

بالمسلمين وامرهم بالقتال فزحف الناس اليهم وتكالبوا عليهم وبرز الى مائة من
اهل اليمن وهم اهل قسي الشوحطة والنبع وبركوا لهم جاثمين ورشقوهم
بالنبل وكانت الروم غير متحرزة ولا متحيزة من النبل لقلة اكتراثهم بها حين
راوا النبل نكستهم على وجوههم وتخرج من وراء ظهورهم قال عروة بن مهلهل
فلله در عرب اليمن لقد رايتهم يرمون بالنبل والروم يتهافتون ويتساقطون
من سورهم تساقط الجراد في الماء فلما نظروا الى النبل وما تصنع احترزوا منها
وتحرزوا منها وحصنوا الصور وتدرقوا بالحجف والجلود واللبود والحجارة
وغير ذلك مما يرد عنهم النبل ونظرت الى ضرار بن الازور وقد اقبل نحو الباب الاعظم
وعليه بطريق يوقنا على راسه صليب من الجوهر وحوله غلمان عليهم الغواكب
وبايديهم الاعمدة والقسي الموترة وهو يحرض القوم على القتال وقد قصد نحوه
ضرار بن الازور وهو يختفي في مشيته ويتحرز فاخترت جعبته الى ان قرب
من البرج الذي عليه البطريق يوقنا فطلو النبلة نحوه فوقعت عليه فنظرت الى
النبلة وقد خرجت من قوسه والبرج عال رفيع فقلت في نفسي وما يكون من
فعل النبلة عند علو هذا الجدار وما الذي تصنع في هذا العلج وعليه اللامة
المانعة والعدة الحسنة اللامعة السابغة الجامعة فاقسم بالله لقد وقعت
النبلة فيه فارتدت الى اسفل حصنهم من داخل وسمعت للقوم جلبة عظيمة
وضجة عالية هائلة فعلمت انه قد قتله بنبلته والمسلمون يقاتلون القتال
الشديد بنية صادقة وعزم سديد في ذلك اليوم وبعده من الايام حتى
ضاق باهل ايلياء الحصار وكثرة القتال ودوام الحرب في كل يوم ولم يزل
ابو عبيدة منازلا لاهل بيت المقدس ومحاصرا لها اربعة اشهر كملا وما من
يوم يمر عليهم الا ويقاتلونهم فيه القتال الشديد والمسلمون صابرون على
ما نزل عليهم عند ربهم من كثرة المطر والبرد والثلج وكان نزول المسلمين
على بيت المقدس ومحاصرتهم لها في زمان الشتاء وكثرة المطر والبرد وظنت
الروم ان العرب لا يقدرون على القعود عليها والحصار لها والمسلمون لم يعبئوا
بذلك ولا تكثروا اليه بل فوضوا امرهم الى الله سبحانه وتعالى فاعانهم على

بالصبر وايدهم عليهم بالنصر واعقبهم بالغنيمة والظفر وادخر لهم في الاخرة
الثواب والاجر

ذكر خبر مسير امير المومنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى الشام وسبب قدومه اليه وصلحه لاهل بيت المقدس وفتحه على يديه

قال القاضي ابو عبد الله الواقدي رحمه الله فلما اشتد
اهل بيت المقدس الى شدة الحصار وكثرة القتال والحرب في كل يوم وما نزل بهم
من امر المسلمين ولم يروا منهم عياء ولا مللا اتوا بجمعهم الى قسيسهم المعظم
عندهم وقصدوا بيعتهم قمامة ووقفوا بين يدي بطريقهم وعظموا فخروا له
سجدا من دون الله وقالوا يا سيدهم قد كان علينا حصار هولاء القوم وقد ضر
بهم ورجونا ان ياتينا مدد من عند الملك فلم يبلغنا له خبر اوهو لا شك انه قد
اشتغل بنفسه لاجل هزيمة جيشه وما من يوم يمر علينا الا ويقتل منا خلق
كثير ومنهم ايضا الا انهم اشهى الى القتل منا الى الحيوة وانهم من يوم نزلوا علينا
لم نخاطبهم بكلمة واحدة ولم نجبهم لشيء احتقارا منا لهم وامتهانا
بهم وبامرهم والان قد برح الخفا وعظم بنا الامر وانا نريد منك ان تشرف على
هولاء القوم وتنظر ما الذي يريدون منا فان امرا صعبا فتحنا لاخواننا الابواب
وخرجنا اليهم فاما ان نقتل عن اخرنا واما ان نرحلهم عنا وان كان امرا سهلا
اجبناهم الى ما يريدونه منا فاجابهم البطريق الى ذلك ولبس لباسه
وصعد السور وحمل الصليب بين يديه واجتمع القسيسون والرهبان حوله
وبايديهم الانجيل والمجامر بالبخور واشرف البطريق على الموضع الذي فيه ابو
عبيدة نازلا ونادى منهم رجل فصيح اللسان بالعربية وقال يا معاشر العرب
ان عمدة دين النصرانية وصاحب شريعتنا قد اقبل يخاطبكم فليدن منا اميركم
فاخبر والي ابا عبيدة بمقالته فقام يمشي اليه وجماعة من اصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم من حوله ومن معه ترجمان فلما اقبل عليهم وقف بازائهم فقال لهم
الترجمان ما الذي تريدون وما الذي تطلبون وهذا امير العرب قد اقبل نحوكم فقال
البطريق للترجمان قل لهم ما الذي تريدون منا فجهادكم هذه البلدة هي الارض المقدسة

ومن قصدها بسوء يوشك ان الله يغضب عليه ويهلكه فاخبر الترجمان ابا
عبيدة بذلك فقال له قل اعلم انها بلدة شريفة ومنها اسري بنبينا محمد صلى الله
عليه وسلم ودنا من ربه فكان قاب قوسين او ادنى وانها معدن الانبياء وان قبورهم
فيها ونحن احق منكم بها ولا نزال نازلين عليها او يملكنا الله اياها كما ملكنا غيرها
فقال البطرك فما الذي تريدون منا قال لهم ابو عبيدة اما الذي نريد منكم فهو خصلة
من ثلاث خصال اولها ان تقولوا لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فان
اجبتم الى هذه الكلمة كان لكم ما لنا وعليكم ما علينا فقال له البطرك ان هذه
كلمة عظيمة ونحن نقولها الا ان نبيكم محمدا لا نقر له ولا نومن به وانه رسول
الله فقال له ابو عبيدة كذبت يا عدو الله انكم لم توحدوا الله قط ولقد اخبرنا
الله سبحانه في كتابه الذي انزل على نبينا انكم تقولون ان المسيح ابن الله
لا اله الا الله سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا فقال البطرك ان هذه
الخصلة لا نجيبكم اليها ولا نحكم معكم عليها ابدا وما هي الخصلة الثانية
قال ابو عبيدة تصالحون عن بلدكم باداء الجزية الينا عن يد وانتم صاغرون
كما اداها غيركم من اهل الشام جميعا فقال البطرك ان هذه اعظم علينا من
الاول وما كنا بالذي ندخل تحت الذل والصغار ابدا فقال ابو عبيدة فما نبرح
عنكم نقاتلكم الى ان يفتح الله بكم فنستعبد نساءكم واولادكم
ونقتل منكم من خالف كلمة الحق واعتكف على كلمة الكفر فقال البطرك
فانا لا نسلم مدينتنا او نهلك عن اخرنا وكيف نسلمها وقد استعـ
ددنا بالة الحصار والعدة الحسنة وفيها الرجال الشداد ولسنا كمن لقيتم
من اهل حمص والشام الذين لا عقول لهم واداء الجزية اليكم فانما انتم قوم غضب
عليهم المسيح واذلكم في كل عتقكم ونحن في بلدنا امنون من ان ادعا
احدنا المسيح وساله اجابه فقال له ابو عبيدة كذبت يا عدو الله ما
المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وامه صديقة كانا ياكلان
الطعام كمثل ادم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون فانا اذا نزلنا بساحة
قوم فساء صباح المنذرين فقال البطرك ان فانا اقسم بالله بالمسيح

انكم

انكم لو اقمتم علينا عشر سنين لما افتتحتموها ولا فتحتموها ابدا وانما يفتح
بلدنا هذا رجل نعرفه ونجد نعته وصفته في كتبنا وليست الصفة معكم فقال
له ابو عبيدة وما صفة من يفتح بلدكم قال البطريق بو انما نجد في كتبنا وما ورثناه
من علمائنا على علمائنا انه يفتح هذه البلدة رجل صالح صاحب النبي العربي محمد
اسمه عمر بن الخطاب ويعرف بالفاروق وهو رجل شديد لا تاخذه في الله لومة
لائم ولسنا نجد صفته فيكم فلما سمع ابو عبيدة ذلك من كلام البطريق بو
تبسم ضاحكا وقال فتحنا البلد ورب الكعبة ثم اقبل عليه وقال له اذا رايت
الرجل تعرفه قال له نعم وكيف لا اعرفه وصفته عندنا وعدد ايامه ونسبه
من ابائه واجداده فقال له ابو عبيدة هو والله خليفتنا وصاحب نبينا فقال
له البطريق بو فاذا كان الامر على ما ذكرت وعلمنا صدق قولنا فاحقن الدماء
بيننا وبينك وابعث الى صاحبك فاذا اتى الينا فاذا رايناه واثبتنا معرفته
فتحنا له المدينة واعطيناه الجزية فقال له ابو عبيدة اني سابعث اليه
ان يسير الينا ان شاء الله فتحبسوا القتال والكف عنكم فقال البطريق بو معاشر
العرب الا تدعون بغيكم وتجبركم ونحن قد صدقناكم بالكلام وكلمناكم
لحقن الدماء وانتم تابون الا القتال فقال له ابو عبيدة فهو اشهى من
الحياة الى قلوبنا ونرجوا به الفوز والقرب من ربنا ثم انصرف ابو عبيدة الى
موضعه وامر الناس بالكف عن الحرب ثم جمعهم اليه واعلمهم بما قاله
البطريق بو وانه يكتب بذلك الى امير المومنين فرفع المسلمون اصواتهم
بالتهليل والتكبير وقالوا له افعل ايها الامير واكتب بذلك الى امير المومنين
فلعله ان يسير الينا ويفتح هذه البلدة علينا فنفوز بها فكتب اليه ابو عبيدة
كتابا يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم لعبد الله امير
المومنين عمر بن الخطاب من عامله بالشام ابي عبيدة بن الجراح سلام عليك اما بعد
فاني احمد الله الذي لا اله الا هو واصلي على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم واعلم
يا امير المومنين انا منازلون لمدينة ايليا فنقاتلهم كل يوم ويقاتلوننا
ولقد لقي المسلمون من ذلك مشقة عظيمة وقحط من ضرر البرد والامطار

عن الابكادار بوضع الا انهم طلبوا وعلى المدن يجدون رحمة الله عز وجل
فلما كان يوم كتبت لك هذا الكتاب اشترى على رجل نعمهم الذي يعظمون
وقال الناس انه يجري كنيستهم انه لا يفتح بلدهم الا صاحب نبينا وخليفتنا صا
امرنا وانه يعرف به بصفته وقد سال الناس عن الرماد وان تقبلهم الينا فان رايت
ان تقدم على ذلك فعسى ان تصل الينا وتحضر بنفسك فلعل الله تعالى
ان يفتح هذه البلدة على يديك والسلام عليك وعلى من معك من جميع
المسلمين ورحمة الله تعالى وبركاته ثم طوى الكتاب وقال من يتكفل
بكتابي هذا الى عمر واجره على الله فاسرع اليه بالاجابة ميسرة بن مسروق
العبسي وقال له ايها الامير انا اكون الرسول وارجع مع عمر ان شاء الله
فقال له ابو عبيدة خذ الكتاب بارك الله فيك فاخذ ميسرة
الكتاب واستوى على ناقته وسار ولم يفتر السير حتى اتى مدينة رسول
الله صلى الله عليه وسلم فدخلها ليلا وقال ما انزل على احد من اهل البلد ثم اناخ
ناقته وعقلها ودخل المسجد وسلم على قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعلى قبر ابي بكر الصديق رضي الله عنه وكانت له غرة لبال العرب ثم فيهما
واخرته عينا فنام فما استيقظ الا لاذان عمر وكان عمر رضي الله عنه
يعلن بالاذان فلما ان دخل المسجد وهو يقول الصلاة يرحمكم الله قال
ميسرة فقمت وتوضأت وصليت خلف عمر صلاة الصبح فلما انصرف من
صلاته قمت اليه فسلمت عليه فلما نظر الي صافحني واستبشر بي وقال ميسرة
ورب الكعبة ثم قال ما وراءك يا ابن مسروق فقلت الخير والسلامة يا امير
المومنين ثم ناوله كتاب ابي عبيدة فقبله وقراه فاستبشر المسلمون
به لما قراه عليهم فقال لهم عمر رضي الله عنه ماذا ترون رحمكم الله فيما كتب
الي امين الامة فكان اول من تكلم عثمان رضي الله عنه وقال يا امير المومنين
ان الله تعالى قد اذل الروم واخرجهم من ارض الشام ونصر المسلمين عليهم
وقد حاصر اصحابنا بلد ايليا وضيقوا على اهلها وهم في كل يوم يزدادون
ضعفا وذلا ورعبا فان انت اقمت ولم تسر اليهم راوا انك بامرهم مستخفا

وبهم مستغفر في وهاابهم غير معجب فلا يلبثوا الا يسيرا حتى يفتحوا المدينة
للمسلمين ويعطوا الجزية والفداء من انفسهم وينزلوا على الذل والصغار فلما
سمع عمر ذلك من كلام عثمان ومقالته جزاه خيرا وقال هل عند احد منكم راي غير هذا
فقام اليه علي بن ابي طالب كرم الله وجهه وقال له نعم الراي عندي راي غير هذا
وانا اشير به لك فقال له عمر وما هو يا ابا الحسن يرحمك الله قال ان القوم قد سالوك
الصلح اليهم وفي سؤالهم ذل عليهم وهو على المسلمين فتح ونصر وعز وغنيمة
وقد اصاب المسلمين جهد عظيم من البرد وامر القتال وطول المقام وان اردت ان تسير
اليهم فتح الله تلك المدينة على يديك وكان في مسيرك الاجر العظيم وفي كل
ظما ومخمصة وقطع واد وصعود جبل اجر حتى تقدم عليهم فاذا قدمت كان
لك وللمسلمين الامن والعافية والصلاح والفتح ولست امن اليهم ان ايسوا
منك ومن قبولك الصلح ان يتمسكوا بحصنهم ومدينتهم ويأتيهم المدد
من قبل ملكهم وكما غيثهم ويدخلون معهم في حصنهم فيدخل على المسلمين
من ذلك هم وبلاء ويلحقهم من حربهم وجهادهم مشقة عظيمة ويطول
بهم الحصار فيقيموا المسلمون عليهم ويصيبهم من الجهد والجوع والبرد نحو
ما قد اصابهم ولعل المسلمين يدنون من حصنهم فيرمونهم بالنشاب ويقذفون
نهم بالحجارة فان قتل رجل من اعيان المسلمين تمنيتم انكم لو فديتموه بما
بيديكم الى منقطع التراب ولكان المسلمون من اخوانك اولى بذلك وايضا
فان بيت المقدس معظم عند القوم واليه يحجون ولا ينقطعون عنه فانهم لا ي
يغفلون عن استنقاذه وعن نصرة اهله والصواب ان تسير اليهم ان شاء الله
واجرك على الله تعالى قال ففرح عمر بمشورته وقال لقد احسن عثمان في النظر
لمكيدة العدو واحسن علي في النظر لمصلحة المسلمين جزاهم الله تعالى خيرا
ورضي عنهم اجمعين ولست اخذ الا بمشورة علي فما عهدناه الا محمود المشورة
ميمون الطلعة ثم ان عمر امر الناس بالاهبة والاستعداد للمسير معه
فاسرع المسلمون لذلك وتاهبوا واستعدوا وامرهم ان يعسكروا خارج
المدينة ففعلوا ذلك واتى عمر رضي الله عنه الى المسجد فصلى فيه اربع ركعات

ثم قام الى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبر ابي بكر الصديق رضي الله عنه واستعمل
على المدينة عليا رضي الله عنه **وخرج** عمر رضي الله عنه يومئذ من المدينة
واهلها معه يشيعونه ويودعونه ويدعون له وهو على بعير احمر عليه غرارتان
في احدهما سويق وفي الاخرى تمر وبين يديه قربة مملوءة ماء وخلفه جفنة
للزاد وخرج معه جماعة من الصحابة كانوا قد شهدوا اليرموك ثم عادوا
الى المدينة منهم الزبير بن العوام وعبادة بن الصامت فسار عمر نحو بيت المقدس
وكان اذا نزل منزلا لا يبرح منه حتى يصلي الغداة فاذا انفتل من صلاته يقبل
على المسلمين ويقول الحمد لله الذي اعزنا بالاسلام وخصنا **بمحمد** عليه
الصلاة والسلام وهدانا من الضلالة وجمعنا على كلمة التقوى بعد الشتات والف
بين قلوبنا ونصرنا على اعدائنا ومكن لنا في البلاد وجعلنا اخوانا متحابين
فاحمدوا الله عباد الله على هذه النعمة واسالوه المزيد منها والتوفيق
للشكر عليها وعلى ما اصبحتم تتقلبون فيه من النعم السابغة الوافرة والمنن
الشاملة الظاهرة فان الله يزيد المستزيدين مما لديه ويجيب الراغبين
فيما لديه ويتم نعمته على الشاكرين ثم يأخذ الجفنة فيملأها سويقا ويلقي
التمر حولها ويقول للمسلمين كلوا رحمكم الله فيتقدمونها فياكل هو ومن كان
جماعة من المسلمين معه ثم يرتحلون فلم يزل عمر كذلك في مسيره الى الشام
يريد بيت المقدس حتى اذا دنا من ارض الشام واشرف عليه **و**قال اسلم بن
[illegible] مولى لعمر بن الخطاب فلما اشرفنا على الشام اذ نحن بالتي تعبية من
خيل فقال عمر للزبير بن العوام يا ابا عبد الله اسرع وانظر ما هذه الخيل فاسرع
الزبير نحوها فلما قرب اليها ودنا منها استخبرهم فاذا هي خيل من المسلمين
من اهل اليمن قد بعثهم ابو عبيدة يأخذوا له خبر عمر قال الزبير فسلموا
علي وقالوا لي يا فتى من اين اقبلتم فقلت لهم من مدينة رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقالوا لي كيف خلفت اهلها قلت بخير فقالوا لي وما فعل عمر هل
اتى الشام فقلت لهم ومن انتم قالوا نحن قوم من العرب من اهل اليمن وقد وجهنا
ابو عبيدة لنأخذ له خبر عمر فقلت لهم ها هو وقد قرب فرجع الزبير الى

عمر

عمر واخبره بما جرى لوابه وجرى لهم به فقال له اصبت يا ابا عبد الله واذا قد اقبل
من بعدهم فيه جماعة حتى وصلوا الينا فسلموا علينا وسالونا عن عمر فقال لهم
ها انا عمر فما تريدون فسلموا عليه وقالوا له يا امير المومنين لقد ارقت العيون
اليك وكلت الاعناق بالتطاول الى قدومك وكل الناس ينتظر ذلك ولعل الله
تعالى ان يفتح علينا بيت المقدس على يديك ثم انهم انحدروا راجعين وانقلبوا على
اعقابهم مبادرين حتى اشرفوا على ابي عبيدة ونادوا بارفع اصواتهم ابشروا
يا معاشر المسلمين بقدوم امير المومنين عمر بن الخطاب فارتج الناس لذلك فرحا
وهموا ان يركبوا للاستقبال باجمعهم فمنعهم ابو عبيدة رضي الله وقال لهم
عزيمة مني عليكم الا يخرج رجل منكم عن مركزه ثم سار ابو عبيدة في ناس من
المهاجرين والانصار حتى اشرف فاذا هو ومن معه على عمر فنظر عمر الى ابي عبيدة وهو
على قلوص موكبا بعباءة فحوايبه وخطام قلوصه من شعر وابو عبيدة لابس
سلاحه فلما نظر ابو عبيدة الى عمر اناخ قلوصه واناخ عمر بعيره ونزلا
كلاهما فمد ابو عبيدة يده وصافح عمر وصافحه عمر وتعانقا جميعا واقبل
المسلمون اصحاب ابي عبيدة فسلموا على عمر والزبير مع عمر فسلموا على ابي عبيدة
حتى سلم بعضهم على بعض ثم ركبا جميعا وجعلا يتسايران امام الناس ويتحدثان
باخبارهما ولم يزالا كذلك حتى نزلا فلما نزلا صلى عمر بالناس صلاة الضحى ثم
خطبهم خطبة بليغة حسنة ووعظهم وعظا جامعا فلما فرغ من خطبته
جلس وجعل ابو عبيدة يحدثه بما لقي من الروم وعمر ينصت له فتارة يبكي وتارة
يسكت فلم يزل كذلك الى ان حضر وقت صلاة الظهر فقال الناس يا امير المومنين
سل بلالا ان يوذن لنا وكان بلال مقيما بها الله فلما بلغه ان الناس نزلوا على بيت
المقدس اتى اليهم وشهد معهم القتال وجعل يقاتل معهم القتال الشديد وبلغه
ان عمر سار الى ابي عبيدة حتى ورد معه وسلم على عمر وعلى المسلمين معه فلما
نزل العسكر ذلك قال له عمر يا بلال ان اخوانك اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
يسالونك ان تؤذن لهم وتذكرهم اوقات نبيهم فقال بلال نعم فاذن لهم
فلما اخذ يكبر واذا نبيهم فخشعت جوارحهم واقشعرت ابدانهم

وبكى الناس بكاء شديدا حتى كادت قلوبهم أن تتصدع وتنفطر عند ذكر الله
وذكر نبيه وكاد بلال أن ينقطع الأذان لما لحقه من البكاء والحزن عند ذكر
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن في ذلك اليوم أطول بكاء منه ومن أبي عبيدة
بن الجراح ومعاذ بن جبل رضي الله عنهم فلما فرغ بلال من أذانه قام عمر فصلى بالناس
صلاة الضحى فلما فرغ من صلاته وجلس شكى إليه بلال أمر ضعفاء المسلمين وحالهم
فعوض لأهل بيت منهم من فيء الغنى والمن ما يغنيهم من البر والشعير والعسل والز
يت والخل وما لابد لهم منه ثم قال لهم عمر عزمت لكم على أمرائكم فيما فاتكم
من بيت مال المسلمين فإن قطع عنكم أمراؤكم ذلك فأعلموني حتى أعزلهم عنكم
ثم أمرهم بالرحيل فلما همّ عمر بالركوب على بعيره لابس مرقعته وكانت من
الصوف فيها أربعة عشر رقعة وبعضها من الأديم قال له المسلمون يا أمير
المؤمنين لو ركبت بدل بعيرك جوادا أو لبست بدل من مرقعتك ثيابا فإن ذلك
أعظم لهيبتك في قلوب أعدائك وقال له يزيد بن أبي سفيان يا أمير المؤمنين
إن الدواب عندنا كثيرة والثياب البيض الفاخرة وحال المسلمين كما تحب
فلو أنك لبست ثوبا من هذه الثياب البيض وركبت مركوبا من هذه
الدواب الفاخرة كان أبعد لك في الهيبة في قلوب الأعداء قال له عمر لا أتزين
للناس بما أخاف أن يشينني عند ربي عز وجل ولا أريد أن يعظم أمري عند الناس
ويصغر عند الله تعالى قال وأقبل المسلمون كلهم يسألونه ويلحون عليه إلى
أن أجابهم إلى ذلك فنزع مرقعته ولبس ثيابا بيضا فقال الزبير أحسب
إنما كانت من ثياب مصر فيساوي خمسة عشر درهما وطرح على كتفيه
منديلا من الكتان ليس بالجديد ولا بالخلق ودفع إليه أبو عبيدة وقدم
إليه برذونا أشهب من دواب الروم فلما ركبه عمر وسار جعل
البرذون يهملج به فلما نظر عمر إلى ذلك نزل مسرعا وقال أقيلوا عثرتي أقال الله
عثراتكم يوم القيامة لقد كاد أميركم أن يهلك لما داخله من الكبر فإني
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لن يدخل الجنة من في قلبه مثقال
حبة من خردل من كبر ولا يدخل النار من في قلبه مثقال حبة خردل من الإيمان

ولقد كان يطلقني ثوبك الابيض وبرذونك المعلم ثم انه رضي الله عنه
نزع ما كان عليه وعاد الى لبس مرقعته ولم يزل قبل ذلك وبعده كهيئته
الاولى في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحياة ابي بكر الصديق حتى خرج من الدنيا
ثم ان عمر رضي الله عنه مضى ومضى المسلمون معه حتى اتوا ايلياء يعني ارضها فلما
سار بين صعود العقبة بيت المقدس والمسلمون معه فلقيه المسلمون
واتاهم رجال وقوم من المسلمين فيهم ابو الاعور السلمي وقد لبسوا لباس
الروم وكان عليهم ثياب الديباج وتشبهوا بهم في هيئتهم وكانوا قد
اخذوا بقامر اليرموك فامر عمر ان يحثوا التراب في وجوههم وان تنزع عليهم
ثيابهم ولم يزل عمر متعلقا بالعقبة حتى انتهى فاعلى بيت المقدس فلما اشرف
عمر على بيت المقدس ونظر اليها قال الله اكبر الله اكبر الله اكبر فتح الله
ونصر اللهم افتح لنا فتحا مبينا يسيرا واجعل لنا من لدنك سلطانا عزيزا نصيرا
ثم سار واستقبلته القبائل والعساكر والجنود واصحاب الرايات والعقود
وعلت للمسلمين ضجة عظيمة وصياح مرتفع بالتهليل والتكبير وسار عمر
حتى نزل بالموضع الذي كان فيه ابو عبيدة نازلا فضرب له خيمة من شعر ثم قام
فصلى بها اربع ركعات وجلس في كسر الخيمة على التراب فلما استقر في
المنزل لم يبق واحد من امراء الاجناد الا استاذن عمر فيسئله ان يزوره في رحله
فيفعل عمر ذلك اكراما وتطييبا لقلوبهم وسمع اهل بيت المقدس الضجة
والصياح عند نزول امير المومنين عمر بن الخطاب بموضعه فقال البطريق بنو
يا ويلكم انظروا واما شان العرب بهذه الضجة العظيمة وقد استعلت
لهم الجلبة من غير قتال قال فاشرف رجل من متنصرة العرب على جيش المسلمين
وقال يا معشر العرب ما شانكم وما قصتكم وما هذه الضجة التي نسمع
عندكم فقال له رجل من المسلمين ان امير المومنين عمر بن الخطاب قد قدم علينا
من مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذه الضجة من فرح المسلمين به وبقدومه
فرجع المتنصر الى البطريق واعلمه بما قال له فاطرق البطريق ولم يتكلم فلما
كان من الغد وصلى عمر بالناس صلاة الفجر قال لابي عبيدة يا عامر تقدم الى هولاء

القوم واعلمهم انه قد اتيت اليهم وقد وصلت فان كان لهم ارب في الصلح فليـ
فيفعلوا فخرج ابو عبيدة وصاح بهم وقال يا اهل هذه البلدة ان صاحبنا امير المومنين
عمر بن الخطاب قد قدم علينا وقد وصل الينا فما تصنعون فيما قلتم فاعلموا البطريق
بذلك فخرج من كنيسته وعليه المسوح وحوله الاقسة ومعه الرهبان
والاساقفة وقد حمل بين يديه صليب عظيم لا يخرجه لاهل المدينة الا في يوم
عيدهم وسار معه الناطليون وهو الوالي عليهم من قبل الملك هرقل وهو يقول
للقس البطرك ان كنت تعرف صفته فنعم والا فلنقف له ونرد عنا قتال هولاء
القوم الى ان يبعث وننا او نبيدهم فقال له البطرك نعم فاني افعل ذلك ثم علا
على السور والناطليون الى جانبه واقفا والصليب امامه واشرف على ابي عبيدة
وقال له قل ما تشاء ايها الشيخ البطرك فقال له ابو عبيدة هذا امير المومنين الذي
ليس امير الا هو فاخرجوا اليه واعقدوا اليه الامان واعقدوا امنه الذمة وادوا
له الجزية فقال له البطرك يا هذا ان كان صاحبكم الذي اتى وليس عليه
امير فقال له ابرزوا منا حتى ناتي فيه وانحوه من بينكم وليقف بازاء الحصن
حتى نراه بصفته ونعته فان كان هو الذي نجد نعته في الانجيل نزلنا
اليه وعقدنا معه العهد واديناله الجزية وان كان غيره فهذا ما لكم منا
الا القتال فرجع ابو عبيدة الى عمر واعلمه بما قاله البطرك فهم عمر
رضي الله عنه بالقيام فقال له اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يا امير المومنين
اتخرج اليهم منفردا وليس معك غيرك ولا عليك عدة للحرب ولا معك سلاح غير
هذه المرقعة فانا نخشى عليك ان يكون لك منهم غدر فينالوا منك فقال لهم
عمر لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المومنون
ثم امر ببعيره فقدم اليه واستوى على كوره وعليه مرقعته وليس عليه
غيرها وعلى راسه قطعة عباءة قطوانية قد عصب بها راسه وليس معه
غير ابي عبيدة وسار امامه اليهم فلما اتصل بهم قال ابو عبيدة يا هولاء القوم
هذا امير المومنين قد اتى فمد البطرك عينيه اليه وامعن النظر فيه فزعق
زعقة عظيمة وقال بعلو صوته هذا والله الذي نجد نعته في كتبنا ومن

على يديه

على بدنه يبكون ويقع بلدنا لا محالة في هذه الكرة عندنا ثم قال يا اهل بيت المقدس
هذا والله صاحب نبي العرب محمد بن عبد الله فانزلوا اليه واعقدوا منه الامان والذمة
فلما سمعت الروم كلام بطريقهم نزلوا مسرعين من السور
وكانوا قد ضاقت انفسهم وساءت احوالهم وعظم البلاء عليهم من كثرة
الحرب والقتال وطول المقام وامر الحصار ففتحوا الباب وخرجوا الى عمر رضي الله عنه
يسئلونه العهد والذمة ويقرون له باداء الجزية فلما نظر اليهم عمر على تلك الحالة
تواضع لله سبحانه وخر ساجدا على قتب بعيره ثم اقبل عليهم وقال لهم يا
اهل هذه البلدة ارجعوا الى بلدكم ولكم العهد والذمة ان سالتمونا ذلك
واقررتم لنا بالجزية فرجع القوم الى حصنهم من حين مستبشرين ولم يغلقوا
الباب ورجع عمر الى معسكره فبات فيه ليلة فلما كان من الغد قام فدخل
اليها وكان دخوله يوم الاثنين واقام فيها الى الجمعة وخط محرابا وهو
موضع مسجده وتقدم فصلى بقومه واصحابه صلاة الجمعة فتعجبت
الروم بغدرهم وكان ابو الجعيد الذي تصالح عليهم المكبرة يوم اليرموك
عندهم لاجل اهله وماله فقالوا له ما ترى في غدرنا الفعاولة العرب عند
اشتغالهم بصلاتهم وليس معهم سلاح ولا آلة حرب فقال لهم ابو الجعيد
يا قوم لا تفعلوا ولا تغدروا بهم فان كانوا اصحاب دنيا ومن اهلها ولها
يطلبون اعتنت عليكم بما تصنعون بهم فقالوا له وما الذي نصنع بهم
فقال لهم اصحى واللعي باما عندكم من الزينة والمال ومتاع الدنيا فان الدنيا
وما فيها لا يخفى طالبها عنها فان اخذوا منها وطلبوها وهموا بغدركم
فيها فشانكم وما تريدون فاقبل القوم على ما كانوا يقدرون عليه وما
عندهم من الاموال والمتاع العش الفاخر فاظهروه ووضعوه في طرق
المسلمين وشوارعهم فجعل المسلمون يتخطون الذي كان عندهم ولم يسع
ويتعجبون منه ويقولون الحمد لله الذي اذل قوما لهم مثل هذه الدنيا وان
نساعرضهم وديارهم ولو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما
سقى الكافر منها جرعة ماء فقال عون بن سالم فو الله ما من المسلمين

ارضهم

ثم جعل يده في شيء من متاعهم ولا من وضع يده عليه فقال الحبر ابو الجعيد
هؤلاء القوم الذين وصفهم الله في التورية والانجيل وانهم لا يزالون على الحق
ولا يقوم بحربهم احد ما داموا على ما هم عليه قال واقام عمر رضي الله عنه
ببيت المقدس عشرة ايام ثم ارتحل بعد ان كتب لاهل بيت المقدس كتاب الصلح
والعهد بالامان واقرهم في بلدهم على اداء الجزية فسار بعساكره وجنوده
الى الجابية فاقام بها ما شاء الله ان يقيم ودون الدواوين واخذ الخمس الذي
لله عز وجل مما افاء الله على المسلمين ثم قسم الشام فاعطى ابا عبيدة من
حوران الى حلب وما بينهما وامره بالمسير الى حلب وان يقاتل اهلها
حتى يفتحها الله عز وجل على يديه وامر خالد بن الوليد ان يكون مع ابي
عبيدة واعطاهما اكثر الاجناد واعطى ارض فلسطين وارض الغور و
الساحل ليزيد بن ابي سفيان وامره ان يحارب اهل قيسارية الى ان يفتحها
الله على يديه وجعل ابا عبيدة واليا عليه واستعمل على حمص وقراها
عمير بن سعيد الانصاري وسير عمرو بن العاصي الى مصر ثم ارتحل وسار
يريد المدينة وكان اهل المدينة يظنون ان عمر يقيم ببيت المقدس لما
يرون من خصبه وطيبه وحسن نضارته ورخص اسعاره ولما يحكى عنها
انها بلاد الانبياء عليهم الصلاة والسلام ومعدن قبورهم ولما يروى من الارض
المقدسة ولما يحكى انه يكون فيها الحشر فبقي الناس قلقين ولونجوه
ويخرجون في كل يوم ينتظرون قدومه حتى قدم عليهم فارتجت المدينة
يوم قدومه واستبشر الصحابة رضي الله عنهم بقدومه وسلموا عليه
ورحبوا به وهنوه بما فتح الله له وعلى يديه فاول ما بدا بالمسجد فصلى فيه
ركعتين وسلم على قبر النبي صلى الله عليه وسلم وعلى قبر ابي بكر الصديق رضي الله عنه

ذكر قصة اسلام كعب الاحبار رضي الله عنه وخبر قدومه على عمر مدة اقامته ببيت المقدس ومسيره الى المدينة معه وزيارته قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال الفقيه القاضي ابو عبد الله محمد بن اسماعيل

بن عمر

بن عمر الواقدي رحمه الله وعن شهر بن حوشب قال سمعت كعب الاحبار يقول
لعمر بن الخطاب لما اطلع اهل بيت المقدس ودخلها اقام فيها عشرا اقبلت نحوه
وكنت في نفر من قومي الشام من ارض فلسطين فقدمت عليه لاسلم على يديه
وذلك ان ابي كان اعلم الناس بما انزل الله على موسى بن عمران وكان والدي
محبا لي ومشفقا علي وكان لا يعلم شيئا الا علمنيه اياه ولم يكتم عني شيئا فلما
حضرته الوفاة دعاني اليه وقال لي يا بني انك تعلم اني ما ادخرت عنك شيئا
مما كنت اعلمه الا اني خشيت عليك ان يخرج بعض الكذابين فتتبعه وقد
جعلت ورقتين في هذه الكوة التي ترى فلا تفتحها ولا تنظر اليهما
حتى يخرج نبي بمكة ويهاجر ليثرب وهو النبي الذي يبعث في اخر الزمان
اسمه محمد بن عبد الله فان يرد الله بك خيرا فانك تتبعه ثم انه مات بعد
وصيته قال كعب من ساعته ولم يكن شيء احب الي من ان ينقضي
المأتم حتى انظر ما في الورقتين فلما انقضى المأتم اقبلت الى تلك الكوة
ففتحتها واستخرجت الورقتين وفتحتهما ونظرت ما فيهما فاذا فيهما مكتوب
لا اله الا الله محمد رسول الله خاتم النبيين لا نبي بعده مولده بمكة
ومهاجره بطيبة علامته ليس بفظ ولا غليظ القلب ولا سخاب في الاسواق
امته الحامدون الذين يحمدون على كل حال السنتهم رطبة بالتهليل والتكبير
وهو منصور على كل من عاداه امته يغسلون وجوههم وايديهم ولو اوساطهم
اناجيلهم في صدورهم تراحمهم بينهم كتراحم الانبياء بين الامم قال
كعب فلما قرأت ذلك قلت في نفسي ان لو علمني ابي شيئا اخر هو خير من هذا
ثم مكثت بعد وفاة ابي ما شاء الله ان بلغني انه قد ظهر بمكة نبي وهو
يظهر امره مرة بعد مرة فقلت في نفسي والله هو هذا لا محالة ولم ازل ابحث
عن امره حتى قيل لي انه قد خرج من مكة وهاجر منها الى غيرها وانه قد نزل بيثرب
فجعلت ارتقب امره حتى غزا غزوات عديدة ونصر على اعدائه فتجهزت
اريد المسير اليه فبلغني انه قد قبض وتوفي صلى الله عليه فقلت في نفسي لعله
ليس الذي كنت انتظره حتى رأيت في منامي كأن ابواب السماء قد فتحت

والملائكة تنزل زمرا زمرا وقائل يقول قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم
وانقطع الوحي عن اهل الارض فرجعت الى داري وجاءني الخبر انه قد قام من بعده
خليفة رجل من امته اسمه ابو بكر فقلت اقدم عليه فلم ألبث ان جاءتنا جنوده الى
الشام ثم جاءتنا بعد قليل وفاته ثم قيل انه قد استخلف عليهم رجل اسمه عمر بن
الخطاب فقلت لا ادخل في هذا الدين حتى اعلم حقيقة هذا الامر فلم ازل متوقفا
حتى قدم عمر الى بيت المقدس وصالح اهلها وكتبت الروم بابهم وعهدهم وما صنع
الله باعدائهم فقلت انهم امة النبي الامي صلى الله عليه وسلم وحدثتني نفسي
بالدخول في دينهم فبينما انا ذات ليلة قائم على سطح داري واذا برجل من المسلمين
يقرأ اية من القرءان وهي هذه يا ايها الذين اوتوا الكتاب امنوا بما نزلنا مصدقا
لما معكم من قبل ان نطمس وجوها فنردها على ادبارها او نلعنهم كما لعنا
اصحاب السبت وكان امر الله مفعولا **قال كعب** فلما سمعت هذه الاية
خفت والله ان لا اصبح حتى يحول وجهي فما كان شيء احب الي من الصباح ان يرد
فلما اصبح غدوت من منزلي وسألت عن عمر فقيل لي انه في بيت المقدس فقصدتها
فسرت اليه واذا به قد صلى باصحابه صلاة الصبح فاقبلت نحوه ودنوت منه
وسلمت عليه فرد علي السلام وقال لي من انت فقلت له انا كعب الاحبار وانا
قد جئت اريد الاسلام والدخول فيه لاني قد وجدت صفة محمد في الكتب المنزلة
وان الله عز وجل اوحى الى موسى يا موسى انما خلقت خلقا اكرم من محمد ولولا
محمد لم اخلق جنة ولا نارا ولا شمسا ولا قمرا ولا ارضا ولا سماء امته خير
الامم ودينه خير الاديان بعثته في اخر الزمان امته مرحومة وهو نبي الرحمة وهو
النبي الامي التهامي العربي نسبه الى رحيم بالمومنين الشديد على الكافرين سريرته
مثل علانيته وقوله لا يخالف فعله القريب والبعيد عنده سواء اصحابه مثله
صلوم منى احمو فقال له عمر حقا ما تقول يا كعب فقال اي والله الذي يعلم
ما نقول وما تخفي الصدور فقال عمر الحمد لله الذي اعزنا بالاسلام واكرمنا
بالايمان وشفانا برحمته التي وسعت كل شيء وهذا محمد عليه الصلاة والسلام
فهل لك يا كعب ان الدخول في ديننا فقال له كعب يا امير المومنين في كتابكم الذي

انزل

انزل عليكم في كتابكم وقد بين لكم في ديننا فقال له عمر نعم ثم قرأ ووصى بها ابراهيم
بنيه ويعقوب يا بني ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون ثم قرأ
ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من
المشركين ثم قرأ ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخا
سرين ثم قرأ وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة ابيكم ابراهيم هو سماكم
المسلمين من قبل وفي هذا ثم قرأ اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم
نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا ثم قرأ واذ قال عيسى بن مريم يا بني اسراءيل
اني رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التورية ومبشرا برسول يأتي من بعدي
اسمه احمد ثم قرأ وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل ثم قرأ محمد رسول الله
والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله
ورضوانا سيماهم في وجوههم من اثر السجود ذلك مثلهم في التورية وم
ومثلهم في الانجيل ثم قرأ ما كان محمد ابا احد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم
النبيين وكان الله بكل شيء، فقال كعب فلما سمعت ذلك قلت يا امير المومنين
اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله قال ففرح عمر باسلام كعب
ثم قال له فهل لك ان تسير معي الى المدينة فتزور قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم
فتنتفع وننتفع بزيارته قال فقلت له نعم يا امير المومنين انا فاعل ذلك
ان شاء الله فلما ارتحل سائرا الى المدينة سرت معه قال فلما وصل اليها
واكمل زيارته جلس داعيا بكعب الاحبار رضي الله عنه وقال له حدث اخوانك
المسلمين بما وجدت في الورقتين قال فحدثهم كعب بذلك فازدادوا به ايمانا
ويقينا وكان رضي الله عنه يحدث المسلمين كل يوم مدة اقامته بالمدينة
حتى رجع الى الشام وانتقل منه الى المدينة فكان يحدثهم بعلوم التورية وما انزل
الله على نبيه موسى عليه الصلاة والسلام من اخبار هذه الامة وفضلها
عنده وفضلها على غيرها من الامم

ذكر حروب حلب وسير المسلمين اليها وفتح مدينتها صلحا وعصيان اهل قلعتها مع بطريقهم

من
اللهم صل على محمد نبي

قال القاضي أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن

عمر الواقدي رحمه الله ولما بعث أمير المومنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أبا عبيدة
بن الجراح إلى حلب وانطاكية والمعرات وما بينهما من الحصون سار بعسكره
حتى نزل على قنسرين وكانوا في صلحهم فأقام بها أياما وبعث النجدة ليزيد بن
أبي سفيان كما يأتي خبر ذلك إن شاء الله وكان معه عشرون ألفا فأنجده
بثلاثة آلاف فارس وبقي معه سبعة عشر ألفا أكثرهم من اليمن وقال
مصعب بن ثعلبة الكندي أقام أبو عبيدة على قنسرين بعد أن كانت فتحت
بالصلح في مسيره إلى حلب حتى أتاه الرسول بكتاب أمير المومنين عمر بن الخطاب
رضي الله عنه يأمره أن يبعث ليزيد بن أبي سفيان النجدة لقيسارية فأنجده
أبو عبيدة بثلاثة آلاف فارس وعزم أن يبعث جيش المسلمين إلى حلب ودعا
برجل من بني ضمرة يقال له كعب بن ضمرة الضمري وكان شجاعا بطلا شديد
البأس عظيم الاختلاس وكان إذا ثبت على وجه الأرض للقتال لا يهاب
الجحافل قلت عليه أو كثرت فضم إليه ألف فارس من أبطال المسلمين وسرحه
على مقدمته وقال له يا كعب لا تقاتل جيشا لا تطيقه واختبر أمر هذا العلج
واعرف لنا صفة خبره وكن على حذر منه وأنا راحل من ورائك إن شاء الله
فسار كعب بن ضمرة يريد حلب وكان عليهم رئيسان وكانا أخوين لأب
وأم كانا يسكنان في القلعة ولم تكن المدينة محيطة بالقلعة وإنما كانت
القلعة منفردة بذاتها وكان اسم أحد البطريقين يوقنا والآخر يوحنا
وكان أبوهما ملك البلاد وأعماله وضياعه ورساتيقه إلى حدود الروم
وإلى حدود العراق وكان قد ملك بلاد حلب سنين لا ينازعه فيها منازع
ولا يقدر عليه من الروم أحد وكان يحمل إلى طاغية الروم وقد أقطعه إياها
لأجل الذي عاين من كيده وعظيم بأسه وشره وكانت ملوك الروم
تهابه وتوقره ولا تغار به كل ذلك خوفا منه وإبقاء على ملكهم فإنه كان
قد انتجب من رومة الكبرى وهو غلام حدث السن ليلا يطلب المملكة لكثرة
شره وتوثبه وشدة بأسه وبأس بني عمه فلما نزل بلاد العواصم استعمله

لنحسنه

لنفسه حلب فبنا قلعتها وحصنها وانبسط في البلاد وبقي كذلك حتى هلك
فلما مات ملك الامر من بعده ولداه يوقنا وكان هو الكبير وكان شجاعا
بطلا جامعا للاموال مغرما في الحرب والقتال لا يصطلى بناره ولا يبسكر احد
بجواره وكان اخوه يوحنا وهو الصغير فهيما لبيبا قد درس الانجيل والكتب
المتقدمة حتى صار اعلم اهل زمانه وكان لا يدخل نفسه ولا يمد يده في شيء
من امور المملكة كلها وليس له الا عمارة الكنائس وبناء الاديرة وتشييد
الصوامع وكسوة الشمامسة والقسيسين والرهبان والفقراء وغيرهم والبحث
عن امورهم وبلغ اهل حلب صلح قنسرين وفتح العواصم عنوة وان العرب نازلين
عليهم وخيولهم تغير الى المعرات والعواصم وما تم من الضياع الى حد الفرات
وانهم عازمين على الرحيل والمسير اليهم فاتوا واخبروا يوقنا الصلح ابا ان يشيروا فقام
يوحنا لاخيه يوقنا وقال له على ما ذا عولت يا اخي ان تصنع في امر هولاء العرب
قال له على القتال والحرب ولا ادع العرب تقرب الى ارضنا وانا لست كمن لقوا من
بطارقة الشام وملوكه ولا من غيرهم فسكت عنه فلما بلغ الاخوين من خبر العر
وصح عندهم ان العرب قد قصدتهم وجاءت اليهم اقبل يوقنا على اخيه يوحنا
وقال له يا اخي اني اريد ان اخلو بك ليلة واشاورك فاني شككت في امري واطلعك
على رايي وانظر ما هو رايك فانعم له بذلك فلما كان ذات ليلة
اجتمعا لذلك وجلسا للمشاورة اقبل يوقنا على اخيه يوحنا وقال له يا اخي
اما ترى ما نزل بالملوك والامراء والبطارقة من هولاء العرب الجياع الاكباد
العراة الاجساد وما حل بالشام منهم من القتل والنهب واخذ الاموال قهرا وقتل
الابطال صبرا وما بقي لهم الا مدينة من مدن الشام الا فتحوها وملكوها واذعن
لهم بالطاعة اهلها فما ترى ان اصنع في امرهم فكانهم فجاشوا جاوا علينا واقبلوا
الينا فقال له يوحنا اذ قد استشرتني في امرك فاني انصحك ولا اغشك
ان قبلت النصيحة وان كنت اصغر منك سنا واقل منك بصيرة بالحرب وحق
المسيح والغربان لئن قبلت مشورتي ليعلون امرك وتسلم لك حالك و
نفسك فقال له يوقنا ما علمتك الا ناصحا فما عندك من الراي فقال له ان عندي

أن ترسل رسولا الى العرب وان شئت ان اكون انا رسولك فعلت ونطلب منهم الصلح
ونبذل لهم شيئا من المال انجو معهم على مال معلوم ندفعه اليهم في كل
عام ما دامت لهم الغلبة على البلاد فلما سمع بوقنا ذالك من كلام اخيه
اقبل عليه وقد استوى غضبا وقال له قبحك المسيح واعمى رايك وانما ولدتك
امك قسا راهبا ولم تلدك ملكا محاربا والرهبان لا قلوب لهم لان اكلهم العدس
والزيت والبقل ولا ياكلون اللحم ولا يعطى قوته وليس لك بالقتال بصيرة ولا بعلم فانه
الابطال حيلة واما انا فملك بن ملك وليس بيني وبينهم الا الحرب فلا تنسبني
الى العجز ويحك وكيف نسلم ما كان الى العرب ونعطيهم القياد من انفسنا من
غير حرب ولا لقاء وقتال فلما سمع بوحنا ذالك من كلام اخيه بوقنا تبسم
تبسم وقال له يا اخي وحق المسيح اني ما قلت لك الا فرقا باجلك لانك
صاحب نعمي وقد سبق سفك الدماء وقتل النفس وما ارى جموعك وجنودك اكثر
من جنود الملك هرقل التي سار بها وبيشر بعلبك ومع وردان يوم
اجنادين واعظم من ذالك واكثر الجموع التي جمعها باهان مع ماهان والارمنين
وهؤلاء القوم قد اذلهم وكانت سيوفهم علينا فاتق الله ولا تغتر على
قتلك برايك فصرخ بوقنا حين سمع كلام اخيه غضبا وقال له لقد اطلت
في الكلام واكثرت من حبك للعرب وانك لعمت كم قوة والجموع مثل الجموع التي
لقوها وذكرتها ولا انا ممن يفاخرهم ومع هاذا اني اعلم احدا ممن ذكرتنا
من اهل المدن وغيرها اسلم بلده حتى يقاتل وانما جمعت الاموال لادفع بها
الاذى عن نفسي واني اجمع على قتال العرب ومحاربتهم فان كفى الصليب بهم
واعانني المسيح عليهم غلبتهم حتى ادخلهم في بلادهم وادخل عليهم الحجاز
واقتل منهم واغزوا سائر الملوك وارجع الى الشام ملكا فلا يقدر هرقل ان ينازعني
وان نصرتني العرب دخلت قلعتي هاذه ولي منها فانه قد اعددت فيها من
الزاد والاطعمة ما يكفيني طول عمري واكون فيها عزيزا الى ان اموت ولا القي
بيدي الى العرب ولا ابذل المال من غير سبب فلا تعاود في شيء من هذا الكلام
ثم عزم على الصلح ابن الميلا يكتب بك فلما قالوا حسنوا الشبكا على ظهره

ولسوا له سوء الفعل فلما سمع يوقنا كلام اخيه يوحنا قال له يا اخي كلامك
على حزاء ابدا حتى نرجع الرب وتنتهي الى قولك ثم قام عنه مغضبا فلما كان من
الغد جمع يوقنا اليه جميع من لجا اليه ومن عنده من العساكر من الارمن والمتنصرة
وعي لهم وعرضهم على نفسه فمن اراد منا حاجة اعطاه اياه ومن اراد مالا وصله
به وجعل يفرق عليهم جميع ما اغتنم من اليه من الة الحرب ويقول عليهم امر العرب
ويقول لهم انما هم جمع قليل ولبسوا بالكثير ان رجوعهم فرا فيتفرق فمنهم من مضى
لقيسارية ومنهم من اقام بغزة الشام وصرته ومنهم من توجه الى مصر وعزم على
قتال الزبير مع ابي عبيدة قبل ان يصلوا اليه ثم انه عمد الى بكر بن مر بكار فقتله اسمه
كراكيس وضم اليه الف فارس وكله يحفظ بلده وارد عنه ويرده ما
يرد عليه من الغارات وسار يوقنا بمن معه يريد ان يلقى جيش ابي عبيدة ومن
معه وهو يومئذ اثنى عشر الف فارس بعد ان كان يعني طاغيهم ونشر الاعلام
والصليب الذي كان يعظمه فوق راسه وهو صليب من الجوهر وحوله الغلمان
وسار وكان قد قدم امامه عسكر له عيونا ياتونه بالاخبار فوردت عليه
جواسيسه فاخبرته ان خيول المسلمين قد اتت قرب بلده وتريد قتاله فقال لهم
في كم قد اتت العرب فقالوا له في الف فارس وهم على ثمانية اميال من بلدك فكمن لهم
يوقنا كمينا وسار بقية جيشه حتى اشرف عليهم وهم نزول امامكم على
نهر ماء يسقون خيولهم ويسبغون الوضوء فبينما هم كذلك اذ اشرف عليهم
يوقنا بجيشه وبكارفته والصليب امامه فلما راه المسلمون نادى بعضهم
بعضا واستووا على خيولهم وركبا كعب بن ضمرة في ستة وتسعين فارسا من قومه وسار
حتى اشرف على جيش يوقنا الذي معه فحزر الجيش انه خمسة الاف وكان قد قسم
يوقنا جيشه نصفين النصف معه والنصف في الكمين فلما نظر كعب الى الذي من
يوقنا وجيشه انقلب راجعا الى اصحابه وقال لهم يا انصار هذا الدين واصحاب محمد
ان قد اتى جيش عدوكم وحزرته وهم خمسة الاف فارس وهو لكم مغنما
وطعمة ان شاء الله اما يقاتل كل واحد منكم خمسة نفر من هؤلاء الكفرة النصارى
الغرة فقالوا له نعم وجعل يرتب اصحابه ويحرضهم ويشجع بعضهم بعضا

وقد فرق بين الفئتين بعضهما من بعض وصاح بوهط في رجاله وغلمانه وبطا
رقته وامرهم بالحملة على المسلمين فحملوا باجمعهم حملة صعبة وحمل المسلمون
عليهم ايضا والتقى الجمعان واشتبك بينهم القتال والحرب فقاتل المسلمون قتال
الموت والدار الآخرة وابتغوا بالفتح والغنيمة اذ اتى وا عليهم المشركون من
ورائهم وهم اصحاب الكمين وحملوا على المسلمين **قال مسعود**
بن عون الحمري الجمحي شهدت الخيل التي بعثها ابو عبيدة مع كعب بن ضمرة
طليعة في مسيرة الى حلب وكنت بها يوم التقى الجمعان وقد خرج علينا الكمين
ونحن في القتال ولم نكن نعلم ان لهم كمينا حتى طلع علينا من وراء ظهورنا واذا
نحن نغتر نحو الخيل في ظهورنا فما شعرنا ولم نلبث الا وقد اكبت الخيل
علينا ودارت بنا وايقنا بالهلكة بعد ان كنا موقنين بالفتح وصرنا
في وسطهم كالشامة البيضاء في جنب البعير الاسود ولم يكن لنا بد من
القتال فافترق المسلمون ثلاث فرق فرقة منهم منطقين منه وفرقة فصمدنا
لقتال اصحاب الكمين وفرقة مع كعب بن ضمرة فرجا بقرنا وصبرنا
لقتال الذين يلونا ومن معه فلله در رجال كثيرة لقد قاتلوا فنا الاشد بلاء
وابلوا بلاء حسنا وصبروا انفسهم لله عز وجل حتى قتل منهم في ذلك اليوم
مائة فارس في مقام واحد وحمل اهل الكمين حملا عظيما وكعب بن ضمرة
قد قلع على المسلمين وهو يحامي بنفسه ويجول بالراية وهو ينادي ويقول
يا محمد يا محمد يا نصر الله انزل معاشر المسلمين انزلوا على انفسكم منازل
الصابرين واقتتلوا القتال عن حسبكم اعداء الكافرين جانبا ساعة يأتيكم النصر
من عند الله ربكم وانتم الاعلون والله معكم فجعل المسلمون يقتلون اليه
ويجتمعون عليه وداروا من حوله فنقل البهم والجراح فاشية فيهم وقد قتل
من المسلمين مائة وتسعون رجلا من اجلاد الرجال وامراء الاعيان فمنهم جاد
بن عاصم البجلي وزيد بن عامر البياضي وحازم بن شهاب وشعيم بن اشيم
البجلي ورفاعة بن عصم الضمري وعوينم بن ماهر الضمري وقيس بن طالب
ونجبة بن دارم ومعلم بن ماجر اليشكري وسنان بن عروة احد بني ضبيعة

بن عامر

بن عامر السكسكي وسعيد بن علقمة مولى بني ساعدة وكان ممن شهد غزوة
السلاسل وتبوك بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم وممن شهد قتال اليمامة مع
خالد بن الوليد قال مسعود بن عون فوالله لقد اسفنا على قتله فوجدنا فيه اربعين
ضربة كلها في صدره ولم نجد منها واحدة في ظهره وكانت الاعيان اربعة عشر
رجلا رضي الله تعالى عنهم اجمعين الا انه ما قتل واحد منهم حتى قتل اعدادا من المشركين
وصار خدع للروم منهم واشتد القتل فيهم ونكى والرتبات المسلمين مع قلة
عددهم وما يهولهم من قتل منهم فهموا بالهزيمة فتبعتهم يوقنا وزجرهم
وقال لهم يا ويلكم ان العرب مثل الذباب اذا ضربت ولت واذا تركت تجمعت
ونظر كعب بن ضمرة الى ما قتل تحت رايته من المسلمين اغتم لذلك غما
شديدا فنزل عن فرسه وركب في ساعته اخرى مشهورا ولبس درعه وعاقد فوقها درعه
وشد وسطه بمنطقته ومسح وجه فرسه ومناخره وكان قد شهد معه
المواقف بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان فرسه اسمه البطال ثم استوى
على متنه ووقف امام المسلمين وجعل يحرضهم على القتال ويعظهم في امره والراية في
يده يتبعه من عشيرته جيش يمده به او طليعة تقدم اليه فلم يزل كذلك الى ان لم
يزل القتال بين المسلمين والروم يومهم ذلك اجمع وليلتهم الى ان قرب الصباح
وكان قد قتل من المسلمين من اصحاب كعب مائتان ونيف وكعب قد اضمر في
نفسه الحرب وعلم انه هالك لا محالة وقد عزم على القتال اذا اصبح حتى ينصره
الله عز وجل او يموت هو واصحابه فبينما هم كذلك اذ فرج الله عنهم
وانكشف جيش العدو موليا على عقبه وقال كعب بن ضمرة وكنت ذلك
اليوم صاحب الحرب بنفسي امنع اصحابي من العدو ولقيهم بمهجتي فاذا عرى
القتال وانكشفت الجماعات الى اصحابه وانا مع ذلك اتوقع من الله الفرج وارقب
كم يوم منهم ان تقع راية ابي عبيدة او راية من رايات المسلمين الا سلام
ان تطلع علينا فلم نر ذلك وبقي علي ولم تزل الحرب بيننا وبينهم يوما
وليلة الى الصباح من اليوم الثاني فاقسم بالله ان كان احد منا صلى صلاة
او اكل او شرب وكنا بين الاياس والرجا اذ رايت جيش العدو وقد اضحى با

من جوانبه وارتفعت له ضجة عظيمة فقلت ما هذا الا امر لحقه من الملك عز وجل
او من بلده فقلت لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فوحق من بعث رسول الله صلى
الله عليه وسلم ما تممت الكلمة حتى رأينا جيش العدو قد انكشف عنا على
اعقابه فقلت الحمد لله حمد الشاكرين واذا انا بطائفة صاح بهم من السماء و
فبددهم اجمعين او ملائكة نزلت عليهم كفوج بدر ام لا وعلم ان الهمداني افهمنا
ان انفعهم فصاح في المسلمين الهمداني يا كعب ارجع الينا واما كفاك ما نحن فيه
او كفى بنا اللازم وارحنا مما نحن فيه من التعب المسلمين وما لقينا من النصب فنودوا
فحضنا ونحن نحبو لنا بما رده الله هؤلاء القوم عنا الا بمشيئته وقدرته فنزل
كعب مكانه قال فمشى بنا الماء واسبغنا الوضوء وصلينا ما فاتنا من الصلوات
واكلنا مما عندنا من ازوادنا واستقبلنا الراحة وعلمنا ان ذلك بمشيئة الله
تعالى وقدرته **قال** وكان السبب في ذلك انه لما سار يوقنا بمن معه من
جيشه الى حرب المسلمين اجتمع مشايخ بلد حلب والى رؤساء منهم بعضهم الى بعض
وقال بعضهم لبعض يا قوم ويحكم انكم تعلمون ان هؤلاء العرب قد اطاعهم
اهل بن الحليب وهل البر اهل فيرود خلوا في منهم ومنهم من دخل في دينهم
ومن قاتلهم خيبي فهل لكم ان تمضوا الى اميرهم وتسألوه الصلح لنا فيقطع الحول
عن مدينتنا وندفع له ما احب من اموالنا فان ظفر وابى البطل يوقنا ومن معه
كنا نحن امنين وقد سبقنا الى الصلح وان لم يظفر ورجع سالما لم نعلمه بصلحنا
فقالوا نعم واتفق رأيهم على ذلك وخرج منهم ثلاثون رجلا من رؤسائهم و
سلكوا في طريق غير الطريق الذي سار عليه البطل يوقنا حتى اشرفوا على عسكر
المسلمين مع ابي عبيدة وهو نازل على قنسرين وهو عازم على الى حلب فلما اشرف
عليهم الثلاثون رجلا قاموا العوز العوز وكانت العرب لا تعرف تفسير هذه الكلمة
وان معناها الامان الامان وكان امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد بلغه
ذلك فكتب الى عماله بالشام قد بلغني ان العوز بالرومية هو الامان بالعربية
فمن سمعتموه يقولها فلا تعجلوا عليه بالقتل فيطالبكم الله بذمته يوم
القيامة وعمر بريء منكم فكانت الامراء تفهم تلك الكلمة فلما سمعهم

المسلمون

357

المسلمون يقولون ما الذي عوا اليهم وان قد وقفوا بين يدي ابي عبيدة فقال خالد بن الوليد لشك
ان هؤلاء قوم يطلبون الصلح والامان لانفسهم وهم اهل حلب فقال ابو عبيدة
ارجوا ان يكون ذلك ان شاء الله تعالى وان صالحونا صالحناهم وهو لا يعلم ما فيه اصحابه
وكان قد دهمهم عليه ليلا والنبي ان نضمهم وتوقف بين يديه ومن حوله من اصحابه
رجال فيلع به طائفتهم ورجال اخرون يقولون الغدر ان جعلت اليوم تنقض البيعة
ويقول بعضهم لبعض بيقوا الفعال غدروا علينا وعلى غيرنا امر الامم وهم الغالبون
لا محالة فاخبرهم الذي جاء ابا عبيدة بمقالتهم وبما تناجوا به بينهم فقال ابو عبيدة
للذي جاء قل لهم نحن قوم قد سبقت لنا العناية من خالقنا وانا رجال لا نريد
بدين الله ورسوله بدلا ولا نخاف الذل ولا نفزع من قتال الاعداء فاخبرهم الذي جاء
بذلك فصدقوا قوله ثم قال لهم من انتم فقالوا نحن سكان حلب من مدر
يسكنها من تجارها وسوقتها وقوم ساداتها وقد جئنا اليكم نطلب منكم الامن والصلح
فقال لهم ابو عبيدة وكيف نصالحكم وقد بلغني ان يوقنا قد حصنهم على قتالنا
وحصن قلعته منا وجعل فيها ما يقوته سنين واعد الجند واستعمل العدد
وما لكم عندنا صلح فقالوا ايها الامير ان صاحبنا قد ركب ما ركب من البغي
ولم يرض بالصلح وقد اطاع هواه ومن اطاع هواه اردأه في سبيل العمى ونحن
نرجوا انه هالك وقد خرج من عندنا من يبوح بكم وقتالكم فقال ابو عبيدة ومتى
خرج فقالوا نعم اوخر جنا الفجر في اثر من سار كذا وكذا فبلغني الذي سلك فلما
سمع ابو عبيدة نجي وجه الفجر يبوح خاف على طليعته منه وقال فعلها والله كعب
بن ضمرة ومن معه انا لله وانا اليه راجعون لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم
ثم اطرق الى الارض ساعة فقال شيوخ حلب للذي جاء كلم لنا الامير في الصلح
قال فكلمه فيه فقال له ابو عبيدة قل لهم لا صلح لكم عندنا فاخبرهم الذي جاء
بذلك فبكى الشيوخ على انفسهم وقالوا ايها الامير انه قد تجمع عندنا
ما فاز الينا خلق كثير من الغزو والحصون والى ما نتبع ان صالحتمونا
عمرنا لكم الارض وكنا لكم عونا على عماراتها وعشنا في ظلكم لا يالم
عدولكم وان انتم ابيتم ذلك كثر الناس منكم وطلبوا اقطار بلادهم

وشاع الخبر عنكم انكم لا تصالحون ولا تريدون الصلح ولا يبقى حولكم احد الا علم
الترجمان ابا عبيدة بذلك وبما قالوا به فتشاوروا واجعل بشطر البيع واذ
قد برز من القوم رجل حسن الوجه وكان حكيما من حكماء الروم فصيحا
بلسان العربية وقال ايها الامير اسمع ما القيه اليك من الحكم والعلم
الذي انزله الله في الصحف على انبيائه فقال له ابو عبيدة قل نسمع فان كان
حقا علمناه وهو ضالة وان كان باطلا تبرانا منه ورددناه فقال الرجل ايها
الامير ان الله سبحانه انزل على انبيائه انا الرب الرحيم الرؤوف الحليم خلقت
الرحمة واسكنتها في قلوب المومنين وانه لا ارحم من لا يرحم فمن احسن
احسنت اليه ومن تجاوز تجاوزت عنه ومن عفا عفوت عنه ومن طلبني
وجدني ومن اغاث ملهوفا اغثته يوم القيامة وبسطت له في رزقه وبارك
له في عمره وكثرت له اهله ونصرته على اعدائه ومن شكر المحسن
على احسانه شكرني فنشكرنه ونحن قد جئناك ملهوفين خائفين
فاقل عثرتنا واحسن الينا احسن الله لك واليك فبكى ابو عبيدة وقال
ان الله يحب المحسنين ثم قال اللهم هكذا بعث نبينا محمد صلى الله عليه وسلم
وعلى جميع اخوانه النبيين وبهذا امر الله ارسل نبينا الى جميع الخلق والحمد لله
على هدايته لنا ثم اقبل على المسلمين وهم حوله وفيهم الرؤساء من المهاجرين
والانصار وقال لهم ان هؤلاء القوم اهل سوقة وضياع وهم مستضعفون
وقد رايت من الراي ان احسن اليهم واصالحهم واطيب به قلوبهم فانه
متى كانت المدينة في ايدينا والسوقة معنا فانهم يقيمون فينا بالميرة بما
نقوم به على انفسنا ونستعين به على عدونا ويكونون اعوانا لنا فقال له
رجال من المسلمين اصلح الله الامير ان مدينة القوم قريبة من القلعة وما نامن
من القوم ان يدلوا على عورتنا ويخبروا باحوالنا وما للقوم الا يخرجون ما
امامهم ان يلحقوا بقومهم فقد خرج بعض قبالنا وحربنا وكيفا يطلب هؤلاء
الصلح منا ولا نشك انهم قد مكروا بكعب بن ضمرة ومن معه من المسلمين
فقال لهم ابو عبيدة احسنوا الظن بالله عز وجل وثقوا به فان الله سبحانه

لا يخذلنا

لا يغدر لنا ولا يسلط علينا عدونا في حرم الله عبدا قال خيرا او صمت وانا اشترط لكم
عليهم في صلحهم النصيحة لنا وللمسلمين ثم قال لهم ابو عبيدة اذا اردنا ان تنزلوا
في صلحكم ما نزل اهل قنسرين فقالوا له ايها الامير ان مدينة قنسرين اكبر من
مدينتنا وافسح ومدينتنا خالية من الناس لجور طى جميعا علينا ونحن قد بدا ان
قربنا الان اللعين يوقنا فاخذ اموالنا وغلاتنا وصعد بالجميع الى القلعة وما
بقي عندنا الا الضعفاء ومن لا مال له وانا نسئلك ان تعدل فينا وتحسن الينا فقال
لهم ابو عبيدة وما الذي تريدون ان تعطوا في صلحكم قالوا نريد ان نعطوا نصف
ما اعطاه اهل قنسرين فقال لهم ابو عبيدة قد قبلت ذلك منكم ولكن بشرط
على انا اذا نزلنا بساحتكم جئتمونا بالميرة وتبيعون وتشترون في عسكرنا
ولا تكتموا منا خبرا تعلمونه من اعدائنا ولا تتركوا جاسوسا يتجسس
علينا وان رجع يوقنا فكم منعكم ما تمنعونه ان يصعد الى القلعة فقالوا له ايها
الامير اما ان نمنع يوقنا من ان يصعد الى القلعة فما نقدر الى هذا من سبيل ولا نقول
لكم ما لا نفعله ولا نقدر ان نوفوا لكم به لان هذا ما لنا به طاقة ولا نقدر ان
نمنعه الصعود للقلعة واما ان نكون عيونا لكم فنعم فقال ابو عبيدة وعليكم
عهود الله والايمان المؤكدة ان تقولوا هذا القول بنية وتوفوا لنا بكل
شيء شرطناه عليكم فقالوا نعم فحلفهم بالايمان المؤكدة التي يعرفونها
فحلف القوم بما قال لهم وصالحهم على رجالهم ونسائهم واولادهم وعبيدهم
وحشمهم وجميع اهاليهم وكافة اموالهم فقال لهم ابو عبيدة انتم قد
حلفتم لنا ونحن قد قبلنا منكم ايمانكم فمتى وجدنا احدا منكم قد خالف
او علم من يوقنا خبرا ولم يعلمنا به فقد وجب لنا عليه القتل واخذ ماله
وولده حلالا لنا لا يطالبنا الله بشيء منه فيه ومتى نقضتم ما شرطناه عليكم فلا
عهد لكم علينا ولا ذمة لكم عندنا ولنا عليكم الجزية في العام المقبل **قال**
سعيد بن عامر التنوخي فرضي القوم بذلك يعني اهل حلب بما شرط عليهم
واخذوا كتابا بعهدهم وكان قد كتب اسماءهم وارادوا ان ينصرفوا الى بلدهم
فلما عزم القوم على الانصراف قال لهم ابو عبيدة على رسلكم حتى ابعث معكم من

يشيعكم الى مامنكم فانه قد وجب علينا حقكم الى ان تعودوا سالمين الى
بلادكم فقالوا له انا نرجع من الحصن فو الذي اقبلنا عليه وما نريد احدا يمشي معنا
فتركهم ابو عبيدة ورجع القوم من ليلتهم الى بلادهم فلما اصبح الصبح ولم يطلع
الرسل بنبيهم فلما انتهوا الى حلب نظر اليهم بعض الاعلاج الذين بيوقنا ورا
ليكل يوقنا وهم راجعين فاقبل اليهم وسالهم من اين اقبلتم وما صنعتم
فاخبروه بالصلح الذي كان بينهم وبين المسلمين وهم يظنون انه من اهل
المدينة واما اهل حلب فانهم استقبلوا اشياخهم وسالوهم واستخبروهم
فاخبروهم بالصلح ففرحوا بذلك واما العلج فانه تركهم ومضى الى يوقنا
فسار حتى انتهى اليه وهو يقاتل اصحاب كعب بن ضمرة وقد احاط بهم وهو
يظن انه ملكهم وهو يتوقع لهم الصباح اذ انتهى اليه العلج وصاح به ايها
البطريق انك غافل عما نزل بك وما دهمك ببلدك قال له ويحك وما ذلك
قال ان اهل بلدك قد صالحوا العرب وكاتبوهم وقد ملكوا القلعة واخذوا الاموال
وسبوا الذراري والنساء وقتلوا الرجال **فلما سمع** ذلك يوقنا خاف على
قلعته من العرب وخشي ان يملكوها في غيبته فانفسخ عليه ما كان يؤمله
من قتله لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وسار راجعا على عقبه الى قلعته
قال واما ابو عبيدة فانه لما ابطا عليه خبر كعب بن ضمرة بات قلقا عليه وعلى
من معه من المسلمين فلما صلى الصبح انفتل من صلاته واقبل بوجهه وخاطب
خالد بن الوليد وقال له يا ابا سليمان ان اخاك ابا عبيدة ما قر البارحة ولا نام
غما وان كان يجب علينا الشكر لله بما فتح الله علينا وان نفسي تحدثني ان اخواننا
الذين مع كعب قد دهموا وقتلوا لما اخبرني هؤلاء القوم الذين سالونا الصلح
والذمة ان وجه البطريق يوقنا قد جمعهم وانه قد سار اليهم واظن ان البطريق
قد وقع عليهم وظفر بهم فقتلهم عن آخرهم اذ لم نر لاصحابنا خبرا فقال له
خالد وانا والله مثلك ما نمت البارحة من الغم عليهم فعلى ماذا عولنا قال له
على الرحيل نحوهم فامر ابو عبيدة الناس بالرحيل واخذ الاهبة للمسير فارتحلوا
وساروا الى نحو حلب وعلى المقدمة خالد بن الوليد وعلى الساقة ابو عبيدة بن

الجراح

الجراح رضي الله عنهما فما كان غير بعيد اذ اتى خالد بن الوليد على كعب ومن
معه من المسلمين فوجدهم وبهم نيام وكانوا قد قاموا حين اذ ايقظهم فلما
اتى عليهم خالد والراية بيده صاح بهم خالد بسم النبي النبي يا اصحاب محمد
انصار الدين فثاروا من مضاجعهم كانهم الاسود الضارية وركبوا خيولهم
واستقبلوا صاحب الراية فلما عاينوا الراية وتلقى والبيات بن خالد صاح
بعضهم ببعض ابشروا واقبلت راية المسلمين يحملها خالد بن الوليد ثم اتى عليهم
واتصل بهم الناس مع ابي عبيدة ونظر الى كعب سالما فحمد الله واثنى عليه
ثم نظر ابو عبيدة الى موضع المعركة والقتلى مطرحين وما كان المسلمون
واروا قتيلا ولا غسلوه حتى اب فلما نظر الى الدماء عادت بوجهه فرحة وقال لا حول
ولا قوة الا بالله العلي العظيم ثم دعا بكعب وقال له كيف قتل اصحابك ومن غلبك
فاخبره بقتال بوقنا وانه قد اتى وهو ومن معه من المسلمين على الهلاك حتى لم
تبق بهم حركة فبينما نحن كذلك اذا انقلبوا عنا راجعين من غير قتال فقال
ابو عبيدة سبحان مسبب الاسباب ليت ابا عبيدة قتل امامهم ولم يقتلوا تحت
رايته ثم امر المسلمين ان يحفروا لهم حفائر ففعلوا ثم جمعهم ابو عبيدة وصلى
عليهم صلاة واحدة وامر بهم فدفنوا في اسلحتهم ودمائهم ثم قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يحشر الله الشهداء الذين قتلوا في سبيل الله
يوم القيامة ودماؤهم على نحورهم اللون لون الدم والريح ريح المسك والنور
عليهم يدخلون الجنة بغير حساب فلما واروهم في حفرهم قال ابو
عبيدة للمسلمين ان كان عدو الله رجع الى بلده وعلم بمصالحة القوم لنا فسيلقون منه
تعبا شديدا او يقتلهم فالحقوا بهم لانه قد وجب علينا ان نذب عنهم لانهم تحت
ذمتنا قال جابر فسار ابو عبيدة من ساعته في طلب فلما وردوا عليها اذا بهم
بالبطريق وجنوده قد احدقوا باهل حلب وهم يقتلونهم وذلك انه لما رجع
اليهم صاح بهم واحدق بهم من يقتلهم وجعل يقول لهم يا ويلكم صالحتم
العرب وصرتم عونا علينا فقالوا له قد كان ذلك لانا نعلم انهم قوم منصورون
فقال لهم يا ويلكم ان المسيح لا يرضى بفعلكم فوحق المسيح لاقتلنكم عن

دافعكم او تعينوا جوامعي الى قتال العرب وتنقضوا ما بينكم وبينهم من العهود
والمواثيق ونعين جوارنا من شهر الامر حتى ابرابه فلم يطيعوه على ذلك فقال العبيد
ادخلوا عليهم واتوني بهم حتى اقتلهم فخرج في فلان العلج من خرج منهم
واخبرني باسمائهم لانه قد لقيهم في رهوعهم وسماهم لعبيده فهجم العبيد
عليهم ودخلوا اليهم وجعلوا يقتلونهم على فرشهم وابواب فسمع اخاه يوحنا
الصيحة فدخل في المدينة وهو في القلعة فنادى الراهب فنزل اليه وهو يقتل اهل
البلد وقد كان قتل منهم ثلاثمائة رجل فصاح به على رسلك ولا تفعل فان
المسيح يغضب عليك لذلك وقد نهى عن قتل الغدر ونكث الصديق ومن هو على
دينا فقال له يوقنا انهم قد صالحوا العرب على البلد وصاروا لهم اعوانا علينا
فقال له يوحنا وما عليهم في ذلك لانهم ارادوا الصلاح لانفسهم والصلح عليهم
ومالهم واولادهم فانهم ليسوا باهل حرب ولا قتال فقال له يوقنا وحق الصليب
لا ابقيت منهم احدا ثم قال له ولك انت الذي حملتهم على الصلح وانت اول من
افتش به ثم عمد اليه وقد جرد سيفه واقتحم عليه ليعلوه به فلما نظر يوحنا
الراهب يقوم بسيفه علم انه هالك فرفع راسه الى السماء وقال يعلو صوته
اللهم اشهد علي اني مسلم اليك مخالف لدين هؤلاء القوم ثم قال اشهد
ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله وان
المسيح نبي الله ورسوله ثم قال لاخيه اصنع الان ما انت صانع فان قتلتني
فاني سائر الى جنة النعيم فورد على يوقنا من اسلام اخيه ومن صلح اهل بلده
وخوفه من العرب امر عظيم حمله الغضب على ان رمى براس اخيه عن جسده
وانثنى الى قتال اهل البلد وهم يستغيثون اليه فلم يغثهم ويسألونه فلم
يجبهم ولم يتجافى عنهم فكثر منهم الضجيج وعلت لهم الجلبة وهو قد اخذ
البلد من جنباته وابصر اهل حلب من فوق سورهم واذا بالعجاج قد اتاهم والمعونة
قد ادركتهم باتيان رايات الاسلام عليهم ومن تحتها ابطال المسلمين
وهم ينادون بكلمة التوحيد يقدمهم خالد بن الوليد والى جانبه ابو
عبيدة بن الجراح والمسلمون من ورائهم رضي الله عنهم فلما نظر خالد الى اهل

البلد ولهم ضجيج بالبكاء والصياح قال لابي عبيدة ذهب والله اهل صلحنا وذمتنا
كما ذكرت ثم انه صاح بجواده وحمل عليهم والى ابنه بيده وزعق بالقوم في حملته زعقة
عظيمة ادهشهم بها ونادى في رفيع صوته اي جوابا معشر الاعلاج عن اهل صلحنا
وذمتنا ثم اباح فيهم السيف وحمل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم
وبذلوا السيف في الاعلاج فلما نظر يوقنا الى ذلك منا وما همه انهزم وامام المسلمين
وهرب الى قلعته هو وجملة من بطارقته **قال محمد** بن عمرو العدوي ففرج
الله عن قلب ابي عبيدة وعن قلوبنا بقتل الاعلاج بوسط حلب فمن انتهى الى القلعة نجا
وسلم ومن طلب الهرب الى البر اخذ وقتل وكان جملة ما قتل يوقنا من اهل المدينة
الذين في صلحنا ثلاثمائة رجل وقتلنا نحن من اصحابه وقومه من اهل القلعة ثلاثة
الاف رجل اكثرهم من بطارقته فكانت وقعة عجيبة فرح بها المسلمون وفرج
الله بها عن قلوب اهل حلب ما يجدون فلما انفصل من قتل من الفريقين وفرح اهل حلب
بذلك اخبروا ابا عبيدة كيف قتل يوقنا اخاه يوحنا وبقصتهم كلها
من اولها الى اخرها واخذ جواده ابن عمير فقال بفتى اسارى من البطارقة اصحاب يوقنا
فلما اخذ جوبهم اليه قال ابو عبيدة للترجمان قل لهم لاي شيء امرتني بقتلهم فقالوا له
لانهم من اصحاب يوقنا ومن بطارقته وقد هربوا فلم نقدر نخفيهم عنكم لانهم
ليسوا معنا في الصلح فعرض ابو عبيدة عليهم الاسلام فاسلم منهم سبعة
وضرب اعناق الباقين ثم قال لاهل حلب لقد نصحتم لنا في صلحكم فسنتي و ن
منا ما بيننا وبينكم وقد صار الان لكم ما لنا وعليكم ما علينا فلا خوف ولا باس عليكم

ذكر حصار قلعة حلب وما لقي المسلمون من الحرب والمكايد في حصارها من اهلها وبطلهم يوقنا قال القاضي ابو عبد الله

محمد بن اسماعيل بن عمر الواقدي رحمه الله تعالى ورضي الله عنه ولما اسلم يوقنا
من سيوف المسلمين ودخل قلعته استعد للحصار وصنع الالة فنصب المجا
نيق الى عادات ونشر السلاح على الاسوار وعول على مطاولة الحصار
والحرب والقتال والضرب واما المسلمون فانهم نزلوا بجيوشهم حيث ارادوا

ولحقوا المدينة باسواقها في ايديهم واهلها معهم في صلحهم وتحت ذمتهم
فلما نزلوا جمع ابو عبيدة المسلمين اليه واستشارهم في امره وكان اهل المدينة
حضورا معهم فقال لهم ابو عبيدة يعني اهل ذمتنا انكم الان في صلحنا وعليكم
ما علينا ولكم مثل ما لنا منا وهذا بقي بعضهم قد تحصن في هذه القلعة منا فهل تعرفون
له عورة تدلونا عليها نقاتلهم منها فان فتحها الله على ايدينا جعلنا لكم غنيمة
معنا جزاء لفعلكم الجميل الينا فقالوا له ايها الامير والله ما نعرف لها عورة وانه
قد سترها ما تراه وفيه مسالك كثيرة وعور وفجاج وهذا امر لا نعلمه فنعرفها دعثر
وثب من المسلمين رجل وقال اصلح الله الامير مهلا عليك انك تسال هؤلاء القوم وان
كانوا قد صاروا في ذمتنا من خوفنا وينصحونا ان يدلونا على عورات قومهم
لا والله ما يفعلون ذلك ابدا فعند ذلك اقبل ابو عبيدة على خالد والمسلمين وقال
لهم اشيروا علي بما عندكم من الراي يرحمكم الله فاقبل عليه ذلك الرجل وكان
اسمه يونس بن عمرو الغساني وكان رجلا يعرف ارض الشام وجميع بلادها ومدنها
وكان قد رعى وجال في جميع ارضه فكانت المسالك لا تخفى عليه من ارض الشام
كله سهله ووعره وجباله وغير ذلك وقال اصلح الله الامير انا اتكلم بما
عرفته واخبرك بما اعرف من البلاد واشير عليك بما عندي من الراي فقال له ابو
عبيدة تكلم يا ابن عمرو فانت عندنا مامون ناصح للمسلمين فقال اصلح الله الامير
ان الله عز وجل قد فتح على يديك الشام وقتل طاغيته الكبرى وحاميته البحرية
وان بقايا عساكرهم من وراء الدروب والدروب هي جبال ومضايق وعرة وشتاء
والقوم قد رعبت قلوبهم بما اباد الله عليهم عز وجل منهم وبدد من شملهم فليس
لهم قلوب يقاتلون بها فما هي بهذه القلعة وبث الخيل في نواحي ارضهم
وشن الغارات عليهم واما هؤلاء فما لهم زاد يقوم بهم فتبسم خالد رضي
الله عنه من كلام الغساني وقال هذا والله هو الراي وانا ايضا اشير عليك
بمشورة اخي وهو ان ترحل الان نحو القلعة فلعل ان يفتحها علينا في يومنا
هذا او فيما قرب منه من وقتنا فاني اخشى ان طال بنا الامر منها والمقام عليها
ان تعطف علينا جيوش الروم من ناحية اخرى فيحولوا بيننا وبينها فقال ابو عبيدة

يا ابا سليمان لقد اشتفيت واحسنت وقلت فصدقت ثم امر ابو عبيدة بالزحف
الى القلعة فنجت جلة الفرسان عن خيولهم وتقدموا من ابوابها واحدقت القبايل
من بعضها وانتسبت العشاير واختلطت العبيد بالسادات وتداعوا بالانساب وكابر
وتداعوا بالاشعار **قال مسروق بن مالك** البلوي فوالله ما رايت
قتالا بالشام وعلى بعض حصونهم وكان عقيما اعظم من ذلك اليوم ولقد كان
دوران الحرب يكر ويدور الى ان حاقتهم ما رايت عليه ولقد برزنا اليهم وتبادرنا
اليهم في اول الحرب وابطال اليمن والسادات ربيعة ومضر ينتخي بعضهم الى بعض وجعلوا
يطلبون القلعة من حيث لا من بولها فاذا علوا نحوها اخذتهم الحجارة من كل جانب
ورموا بالجانبين والى عادات وكنت انا واصحابي اقرب الناس الى الارض السهلة
فاشتد عنا اجتمعنا على اعقابنا ونحن نرى مع بعضنا بعضا ولا نقدر ان ننجوا منها احد
ولقد شدخت الحجارة خلقا خلقا كثيرا فقتلت من المسلمين بعضهم وبعضا
ارمته مهشما وكان جملة من قتل بالحجارة في ذلك اليوم وهو يوم زحف
المسلمين الى قلعة حلب عامر بن الاسلع اليعمري ومروان بن عبيد اليعمري وسليمان
بن رفاع العامري وعاصف بن سالم الكلابي وسراقة بن مسلم وعاصم بن ملوم
وضمرة بن سعيان وسوار بن ملك العدوي وكان جملة من قتل في ذلك اليوم ثلاثة
عشر رجلا اربعة من ربيعة ورجل من آل عامر ورجل من بني كلاب وسبعة من بني عدي
قال مسروق بن مالك فوالله لقد كنا نرى بعد ذلك بسنين خلقا كثيرا اعرجا
ومشوهين الابدان وكنا نعرفهم في الجيش فيقال يوم وقعة حلب بالصخر فبعد ذلك
نصب ابو عبيدة رايته خارج المدينة وجعل ينادي في المسلمين اجتمعوا الي رحمكم
الله فلما اجتمعوا قال ايها الناس انكم قد تلقيتم منهم اليوم على غرة فان
جعوا الى ورايكم وادفنوا الشهداء وشدوا جراحات القوم وحين قال بشر بن
المسلمون يدفنون الشهداء ويشدون جراحات من قد جرح من اهل القلعة
واما يوقنا فانه قال لاصحابه ان العرب لا يرجعون الى القلعة بعد هذا ابدا
فوحق المسيح لاكبسنهم ولاهجمن على عسكرهم بالليل ولاذيقنهم فيه شرا
وعن عبد الله بن سليمان الدينوري قال اقام يوقنا في قلعته ذلك

اليوم الى الليل ثم انه انتخب الفين من اجناد قومه وشجعانهم وامرهم بالنزول
الى عسكر المسلمين ليلا فنزلوا من القلعة وساروا حتى قربوا من العسكر فهم
المفرح عليهم عينه الى عسكر المسلمين فوجدهم غير نائمين والنيران تشتعل
وتتوقد في جوانبه فجعل يدور حول العسكر حتى نظر الى ما في معسكرهم
فاذا فيه قوم وقد جمدت فيرانهم وكان القوم بناحية اليمن مثل مراد وبني
كعب قال عبد الله بن صفوان المكي وكنا تلك الليلة على خوف من عدونا وامنين
من كيدنا وقد غفل حرسنا فلم نشعر الا والابطال قد هجموا علينا وهم ينادون
بلغتهم وقد اعلنوا بالهرج فيما بينهم ولا نعلم ما يقولون ووضعوا السيف
فينا وكان النجيب منا من استوى على ظهر جواده وطلب النجاة بنفسه ولا يدري
اين يتوجه ولا يدري من اين عدوهم ووقعت الجلبة في عسكر المسلمين
ولا ندري احدا كيف يتخلص والناس ينادون النفير النفير دهمنا وهم يدعون
الرحمة ابي عبيدة وهم ينادون ايها الامير كبسنا عدونا بعسكره واصحابه
فعندها وثب ابو عبيدة في الرجال والابطال وجعل يدور حول عسكر المسلمين
فنظر المفرح على الروم وصاح عسكرهم الى العرب وقد لحقت فصاح باصحابه
من كان اخذ شيئا فليتركه وليطلب النجاة بنفسه قال عبد الله بن صفوان
فاخذوا منا رجالا نحو خمسين رجلا سوى من قتل في المعركة وهم ستون رجلا
من اخلاط الناس واكثرهم من حمير واقبل الروم يحمي بعضهم بعضا ويطلبون
الوصول الى القلعة فلما نظر خالد الى ذلك حمل عليهم وحملت معه عصابته فما
فتكوا من الروم اكثر من مائتي رجل ووضعوا السيف فيهم حتى قتلوهم عن
اخرهم ووصلت بقيتهم الى القلعة فلما وصل اصحاب يوقنا الى القلعة فتح لهم
يوقنا باب القلعة وادخلهم فلما اضاء الفجر واقبل النهار وطلعت الشمس دعا
يوقنا بالخمسين رجلا من المسلمين الذين اسروا وهم موثقون بالحبال كتافا
فعلا بهم الى موضع ينظر منه المسلمون اليهم ويسمعون اصواتهم وهم يقولون
لا اله الا الله محمد رسول الله حتى قتلوا عن اخرهم فلما نظر ابو عبيدة
الى ذلك امر مناديا ينادي في عسكره عزيمة من الله ومن الامير الى كل رجل

منكم

منكم ان يكون حارس نفسه ولا يتكل بعضكم على بعض فاخذ القوم من المسلمين
حذرهم واقبلوا في سور انفسهم بعد ذلك طول الايام التي من الشهرين واما
يوقنا فانه قد اقبل يفكر في امره ويحتال ويفكر كيف يصنع في مكيدة اخرى
ليكيد بها المسلمين اذ علم منهم انهم لا يفترون منه وهم محترزون وله ومع ذلك
كانت جواسيسه تاتيه بالاخبار بالليل والنهار وكان اعظم جواسيسه من
متنصرة العرب لانهم كانوا يحسنون لسان العرب والعجم من الرومية وغيرها
فبينما يوقنا ذات ليلة في قلعته وحوله العظماء من قومه والبطارقة والا
كابرة وكان قد اضر بهم الحصار وكان اشد ما كان عليه اهل بلده من المدينة
فانهم كانوا لا يرون رجلا من اصحابه ولا يبقى من الراجم من يلوذ به الا عرفوه
فاخذوه وسلموه للمسلمين فيقتلونه فبينما هو كذلك يتفكر ومع اصحابه
في امره وكيف يصنع في حيلة ومكيدة فيكيد بها المسلمين ويقاتل عليهم
اذ اقبل اليه من عيونه جاسوس وقال له ايها الملك ان اردت ان تكيد العرب بمكيدة
فقد امكنك وقتك فقال يوقنا وكيف ذلك وما الذي عندك من الخبر
فقال له ان علافة لهم قد خرجت الى وادي بطنان وقد صالحوا اهله وعلوفة العرب
وفي انهم انما تجيء منه وقد رايت لهم وبغالا ومعها طائفة منهم وعليهم العرفاء
الخلفة وبا يريدون الماء وهم يقصدونه في طلب العلوفة وهم قوم قليلون
فلما سمع يوقنا ذلك من كلام جاسوسه اختار من سادات قومه وابطاله
عدة الف رجل وقال لهم اعلموا انكم في هذا المسير لا ضيق على العرب مسالكهم
فلما اقبل الليل واظلم الافق فتح لهم باب السر وسار الجاسوس امامهم حتى استقا
موا على الطريق وجعلوا يسيرون تحت ستر الليل فبينما هم كذلك واذا هم
براع ومعه شرذمة من البقر يريد بها بلدة من بلاده وهو يسير بها فسبي اعتبقا
فلما نظروا اليه اسرعوا نحوه وقالوا له احسست خبرا من العرب فقال لهم نعم
قد مضوا اول الشمس فدا صحت وهم نحو مائة رجل على خيول مسرعة ومعهم
جمال وبغال يسيرون حمل ميرة عليها من هذا الوادي فقال له وكيف سلمت
نفسك وبقرك منهم فقال لهم ان اهل هذا الوادي في صلحهم فلسنا نخاف

منهم فقال له المغيرة على الافق لغير الفيئ من امر صلح اهل فحل الواحد ما لم يكن
عنونا فيجعلكم المسيح كيف كانت نفوسكم ما استحللتم ان تغيروا علينا العرب
فاجبني فانا كنت قد نهبت ميرة العرب قال لهم نعاهنا وارموا بيرك الى الشر وصار
البقية يوم من معه ولم يبق ضو الطاحب البغى وساروا حتى قرب الصباح فلما كان
في قرب الصباح اشرفوا على خيل المسلمين وكان علينا امير يقال له مناوش بن
الضحاك الطائي فلما لقي مناوش الخيل الروم فلما اقبلت اقبل على خيل المسلمين
وقال لهم يا بني العم بيانت هذا يكون يوم مفارقة الروم وقد اقبل الينا واراد
الهجمة علينا فدونكم والجهاد والصبر على الشدة لتنالوا الجنة ثم حملوا
عليهم وحمل العدو عليهم ايضا في كثيرة خيله فشد المسلمون عليهم شدة
عظيمة واقتتلوا قتالا شديدا حتى قتل منهم رجال وقتل مناوش بن الضحاك
وغيلان بن مساور والقطريف بن ثابت ومنيع بن عاصم وكهلان بن مرة ومكحول
بن حميد وسنان بن عوف ويسار بن بشر وقتيبة بن الاصلع ومنهال بن
مسمل بن يشكر وطلحة بن عقيل والمسيب بن نافع وحنظلة بن ماجد ومناوش
بن سليك وربيعة بن واضح ومرة بن ماهو ونوفل بن عدي وعطاء بن ياسر
وعقال بن حامل وسليم بن خعان والفضل بن ثابت والاقرع بن واضح والمعبط
بن عامر الكلبي وكان عدد جملة من قتل من المائة ثلاثون رجلا رحمة الله عليهم
وملكت الروم ما كان معهم من الدواب والابل ورجع باقي المسلمين منهزمين
فنعرها اقبل البقية يوم على اصحابه وقال لهم ارموا الاحمال عن ظهوره طوال
الاعناق بعض الجمال واعقروها بالاسنة وخلوا الدواب بما عليها فتكون لكم
الميرة واطلبوا الجبال واختفوا عن اعين الناس من العرب والا الساعة تطلع
عليكم خيول العرب كالجراد فتبرقكم فاذا جن الليل طلبنا القلعة واعتصمنا
بها فنعرها احرت الروم الى الابل والقوا ما على ظهورها وعقروها بالاسنة
وعقروا الدواب وهم عجلة نحو الجبل البرقة فيه خالية واقاموا فيها الى
بغية يومهم من قبول الليل جعوا الى القلعة وجعلوا لانفسهم دونها خنادقا
خوفا من العرب **قال معاوية** بن صيام الطائي كنت يومئذ في الخيل

اخبرجيت

التي سارت الى الوادي بكان السابقة المبرزة وقد خرجت علينا خيول الروم
واقتتلنا معهم حتى قتل رجل منا وبشر فلما قتل رجل منا وبشر ونظرنا الى كثرتهم
وشوكتهم باسهم مع قلة عددنا احتزنا انفسنا فاختبأنا في الغار ورجعنا الى ورائنا
وسرنا حتى اشرفنا على عسكر المسلمين والقوم يتفاخرون في اثرنا فبادر الينا ابو
عبيدة وقال لنا ما وراءكم فقلنا له وراءنا الحرب العوان قتل والله منا وبشر بن الضحاك
وقتل معه خلق كثير من فوارسهم وزينتهم واخذ ما كان معنا من الزاد والعلوفة
والدواب فقال لهم ابو عبيدة يا سبحان الله ومن ذا الذي دهمكم فقالوا لا ندري
ولا علم لنا الا انا رأينا فكن بقا علينا فوارس وعليها في عدة سابغة وهيئة
حسنة وخيول كثيرة وهم مستعدون للقتال ولا ندري كم عددهم ولا نعلم
من اين اتوا مددهم فهجموا علينا ونحن سائرون فقاتلونا وقاتلناهم واصيب
اميرنا وقتل رجالنا واخذت دوابنا فلما سمع ابو عبيدة ذلك **دعا بخالد**
بن الوليد رضي الله عنه وقال له يا ابا سليمان انت لهذا والمعد لمثلها واثق
بالله تعالى وبكم مع انا قد استعنت بالله عز وجل في جميع الامور فخذ معك من
احببت من المسلمين وسر حتى تشرف على موضع المعركة واقف اثر القوم الذين
قتلوا رجالنا واطلبهم حيث ما كانوا فلعلك ان تظفر بهم فتاخذ بثار قومنا
منهم واعلم يا ابا سليمان انا قد صالحنا اهل ذلك الوادي ونحن لا ننقض الصلح
فلا تنقض عهدا ولا تقطع عقدا الا ان يكون القوم قد مكروا باصحابنا وغدروا
فخذ الى قتلهم السبيل فاتق الله فيهم وسر برحمة الله قال فاسرع خالد الى
خيمته ولبس لامته واخذ سلاحه واستوى على ظهر جواده واخذ معه رجال
من قومه وفيهم ضرار بن الازور وربيعة بن عامر فسار خالد بمن معه حتى اتوا
موضع المعركة ورأى القتلى مكومين واهل الوادي حولهم يبكون خوفا على
انفسهم من العرب وعلى ديارهم ان يطالبوهم بهم فلما نظر خالد ومن
معه اليهم تصارخ القوم في وجهه والقوا انفسهم بين يديه فقال خالد للترجمان
الذي كان معه وكان لا يعرف ما يقول هؤلاء القوم فقال له يقولون انا برآء
من اخوانكم ونحن في صلحكم وعلى عهدكم فاستطلعهم خالد رضي الله عنه

انهم ما يعلمون من قتلهم فحلفوا له فقال لهم من الذي وقع باصحابنا وفعل بهم
هذا الفعل فقالوا له يقال يوقنا من بطارقة يوقنا جاء في بعض اصحاب يوقنا في
نحو من الف فارس من اشراف قومه وان له عيون في عسكركم يرفعون
له اخباركم في كل يوم وليلة فقال خالد في اي طريق اخذوا فقالوا له اخذوا
هذا الطريق المتعالي وراينا هم يطلبون الجبل فقال خالد لاصحابه ان القوم قد
علموا انه لابد لنا ان نطلبهم فتعالوا نعترضهم لعلنا نهجم عليهم الليل فيرجعون
الى القلعة ثم انهم ارخوا الاعنة وساروا يطلبونهم وخالد في المقدمة وقد
اخذ معه رجالا من المعاهدين يدلونهم ويقفون اثارهم فلما حصل في الطريق
قال خالد لاحد المعاهدين فعل لهم في اي طريق نجده فقال له لا فاكمن هنا
فانك تلاقي بهم **فكمن خالد** عن جواده ومن معه في ذلك الوادي وهم
يرقبون الطريق فلما مضى من الليل شطره سمعوا وقع حوافر الخيل في الظلام
والبطارقة امامهم والخيل من ورائه وهو يزجرهم ويحثهم في المسير فعند
ها صاح خالد من مكمنه صيحة تشوبرة اذهلهم بها وخرج كانه الاسد
وخرج عليهم من ورائه اصحابه فما كان لخالد الرعى فر ولا كان ينظر غير نظرهم
القوم عليهم وكر انه يوقنا فبلغه وضربه ضربة رمى له بها نصفين
ووضع المسلمون السيف فيهم وجعلوا يقتلونهم وهم في الهرب **قال**
من ابن الازور فوالله ما نجا من القوم احد وحاز المسلمون السلب والمتاع
والاسارى ودوابهم ورجعوا الى ابي عبيدة فوجدوه منتظرا في الغد وهم
فلما اشرف عليه خالد ومن معه من المسلمين ومعهم الاسارى والسلب
والدواب هللوا وكبروا واجابهم ابو عبيدة والمسلمون بالتهليل والتكبير
ايضا وقدموا امامهم الاسارى الى بين يدي ابي عبيدة وهم اكثر
من ثلاثمائة فارس او ما قاربها فعرض عليهم ابو عبيدة الاسلام فابوا
وقالوا له نحن لا نتبعك في ذلك فقال له خالد الصواب ضرب اعناقهم
ليشمت اهل القلعة لئن نهض بذلك عدو الله فلما سمع ابو عبيدة ذلك
من كلام خالد امر بضرب رقابهم ويوقنا واصحابه ينظرون الى ذلك فلما

ضربت

من بين رقابهم فقال خالد لابي عبيدة انا كنا نظن انا محاصروها ان يفعلون
غفلتنا وبيتنا وعورتنا والصواب ان تامر رجالا اهل التيقظ والنباهة وتجعل
عليهم الحرس في كل ليلة ويضيق عليهم ما استطعت حتى لا يمكنهم ان يخرجوا من
قلعتهم فقال له ابو عبيدة جزاك الله خيرا عن مشورتك يا ابا سليمان فلما
كان من صبيحة الغد صلى ابو عبيدة بالناس صلاة الصبح وانفتل من صلاته
واقبل بوجهه على اصحابه ودعا بعبد الرحمن بن ابي بكر الصديق وضرار بن الازور
وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وقيس بن هبيرة وميسرة بن مسروق العبسي
فدفع لهم مع من كان تحت راياتهم حول القلعة وامرهم باخذ الطرق والمسالك
على يوقنا فاقبل القوم على حصار القلعة وسدوا عليها الطرق والمسالك وا
نقطع منها الداخل والخارج فبقوا على ذلك مدة حتى لو كان الطير كان يمر لقبضوه
فلما طال عليهم حصار القوم ضجر ابو عبيدة لطول المدة وكثرة المقام على
القلعة وامر الناس بالرحيل عنها وعزم على ان يتباعد من القلعة لعله يجد منهم
غفلة او فرصة فيفتحها او وثبة يثب عليهم بها فبعد عن المدينة بجيشه
اميالا ويوقنا يدبر حيلة يصل بها اليهم فلم يتفق له من ذلك شيء ويوقنا لم ينزل
من قلعته ولم يفتح بابا من ابوابها فاشتكى ابو عبيدة ذلك وانكره غاية الا
نكار فاتى الى خالد وقال له يا ابا سليمان اظن ان جواسيس عدو الله عندنا في
عسكرنا تجول واخبرته وامرت امراء الناس ان يقبضوا على كل من ينكرونه
فلعلكم ان تقعوا في جواسيس عدونا فركب خالد وامر امراء الناس ان يدوروا
في العسكر دورانا جميعا ويقبضوا على كل من ينكرونه ولا يعرفونه فبينما
خالد يركض الخيل في دورانه وكذلك اذ نظر الى رجل من العرب وهو جالس وبين يديه
عباءة يفليها فجعل خالد يلاحظه ويتبين النظر اليه فاستراب امره وانكره
حاله ثم اقبل اليه وسلم عليه وقال له من اي الناس انت يا اخا العرب فقال له
انا رجل من العرب فقال له خالد نعم فمن ايها انت فاراد ان ينتمي الى غير قبيلته
فاجرى الله تعالى على لسانه فقال له انا من غسان فلما سمع خالد كلامه قبض عليه
وقال له يا عدو الله انت من متنصرة العرب وانت عين علينا في عسكرنا تجي

لعرفنا أخبارنا فقال له ما أنا بمتنصر بل أنا مسلم فأقبل ابن خالد إلى أبي عبيدة
وقال له أيها الأمير قد رأيت قول هذا الأعرابي ما رأيته قط إلا يومي هذا وقد ذكر
أنه من غسان ولا شك أنه من عبد المطلب فقال له أبو عبيدة أختبره يا
أبا سليمان قال وكيف أختبره قال بالقراءة والصلاة فإن أجابك وإلا فهو
متنصر فقال له خالد يا أخا العرب قم فصل ركعتين واجهر فيهما بالقراءة
فلم يدر ما يصلي ولا ما يقرأ فقال له خالد الآن والله غدرت بنا ثم استخبره عن
شأنه فأقر أنه عين عليهم فقال له خالد الآن وحرك فقال لا ولا تقتلني
ثلاثة أنا أحدهم والآخران عادا إلى موضعهما يخبران بوقفنا بخبركم وإنما
تخلفت لأنظر ما يكون من أمركم فقال له أبو عبيدة أخبرني أي شيء أحب
إليك القتل أو الإسلام فليس بعدهما ثالث فقال الغساني الإسلام أحب
إلي من القتل ثم قال أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله ثم إن أبا
عبيدة رجع إلى حلب بعسكر المسلمين وما زال محاصر القلعة مدة من أربعة
أشهر وقيل خمسة وما من يوم منها إلا ويقتل فيه حتى ما عسى أو قبالة شدة وقتالا
كثيرا والمسلمون على ذلك صابرون يرجون ثواب الله ورحمته كما معو رضي الله عنهم

ذكر خبر بعثة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى حلب من أرض الشام وفتحها

قال القاضي أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن عمر الواقدي رحمه الله تعالى
ورضي عنه ولما أبطأ كتاب أبي عبيدة وخبره على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب
رضي الله عنه إذ لم يرد له كتابا ولا خبرا أخذه القلق لذلك وتشوش على
المسلمين وكتب إليه كتابا يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم
من عبد الله عمر بن الخطاب إلى أبي عبيدة بن الجراح سلام عليك ورحمة الله فإني أحمد الله
الذي لا إله إلا هو وأصلي على نبيه محمد وإن كتابك أبطأ عني وما علمت يا أبا عبيدة
أن إبطاء كتابك وانقطاع أخبارك يكثر قلقي ويبعد رقادي ويضني
جسدي ويقوي كمدي من أجل إخواني المسلمين وما من يوم ولا ليلة إلا وقلبي
عندك وروحي معك فإذا لم يأت منك كتاب ولا خبر ولم يقدم علي رسول من

عندك يطمئن قلبي لكتابي وفكري جائلي وكأنك لا تكتب الي كتابا الا ان تكتب الي با
لفتح والبشارة بالغنيمة واعلم يا ابا عبيدة اني وان كنت غائبا عنكم ونائيا
منكم فاني معكم وداع لكم وقلبي عليكم كقلب المرأة على ولدها فلا تغفل عني
بكتابك واذا اتاك كتابي هذا فاقرأه للاسلام والمسلمين عصرا والسلام عليك
وعلى من معك من المسلمين ورحمة الله وبركاته وبعث الكتاب الى ابي عبيدة
فلما وصله اخذه وقبله وقرأه على المسلمين فبكوا بكاء شديدا وقالوا اللهم
اجز عنا امير المومنين خيرا ثم قال ابو عبيدة معاشر المسلمين ان كان امير المومنين داعيا
لكم وراضيا عنكم فما لكم فان الله سبحانه وتعالى يثبتكم وينصركم على عدوكم
ثم كتب ابو عبيدة رضي الله عنه جواب الكتاب كتابا يقول فيه
بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وسلم
لعبد الله امير المومنين عمر بن الخطاب من عامله بالشام ابي عبيدة عامر بن الجراح سلام
عليك ورحمة الله وبركاته وبعد فاني احمد الله الذي لا اله الا هو واصلي على نبيه
محمد صلى الله عليه وسلم يا امير المومنين ان الله سبحانه وتعالى قد فتح على ايدينا
وعلينا من بينه حلب صلحا وعنوة من بعد القلعة وفيها خلق كثير مع بطريقهم
يوقنا وقد كادنا مرارا وقتل منا رجالا ختم الله لهم بالشهادة على يديه وقد
قاتلناه قتالا شديدا وحاصرناه حصارا كثيرا فلم نقدر منه على شيء والله
سبحانه وتعالى له الحمد وله الشكر ان شاء الله مرورا به بالمسير حاد وقد اردت
الرحيل عن محاصرته الى ما بين انطاكية وحلب من البلاد بعد ان قد فتحنا الغارات
وبعثت الي ابا علي المعراث وما والاها من بلاد العواصم ونواحيها وانا
منتظر لجوابك وامرك والسلام عليك وعلى من معك من المسلمين ورحمة الله
تعالى وبركاته وطوى الكتاب ودفعه الى جليس وبها عبد الله بن قرط اليماني
وجعدة بن جبير البشكري وامرهما بالسير حتى يأتيا المدينة بعد ان ختمه
بخاتمه فسارا وجعلا يجدان السير حتى قطعا ارض خفاف الى العسكر
وهو محصور العدو باب القويم وهو في بيته من ساحلها وكلا اليها اذنهما بفارس
وعليه درع سابغ وبيضة عادية تلمع وتضيء مثل شعاع الشمس متقلد

رمحه وقد عارضهما وكانه برز الى قتال فلما نظر اليهما قصدهما فقال عبد الله
بن قرط لصاحبه جعدة بن جبير ارجا وبل امامي هذا الفارس الذي عرض لنا في هذا
المكان على هاذه الحالة فقال له جعدة وما عسى ان نخوف من فرسان العرب ور
فانا الم تعلم انه ليس في هذا الوادي احد ممن رفع له عمود ولا ضرب له وتد الا
وهو معنا في شيعة محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم فلما قرب الفارس
منهما سلم عليهما وقال لهما من اين انتما والى اين قصدكما فقالا له نحن رسولان
من عند الامير ابي عبيدة الى امير المومنين عمر بن الخطاب فمن اين انت ايها الفارس
وانا اراك مستعدا لالة القتال وقد عليك لامة الحرب فقال لهما انا هلال بن
بدر الطائي واني قد خرجت في طوائف وجماعة من اصحابي نريد الشام للجهاد
بكتاب ورد علينا ووصل الينا من عند امير المومنين عمر بن الخطاب فلما
رايتكما من بعيد البرية قصدتكما لانظر ما عندكما وما قصدكما ولي اصحاب
من ورائي مقبلين ثم سلم عليهما وسلما عليه وركضا مطيتيهما وسارا
وركب هلال على جواده واذا هم بخيل قد اشرفت وابل قد اقبلت تتبع هلال
بن بدر فسار واحتوى لحقوله واخبرهم بقصة اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
ففرحوا بذلك في حال سبيلا وساروا يريدون الشام ووصل عبد الله بن قرط
وصاحبه جعدة بن جبير الى المدينة ودخلا مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم
وسلما على قبر النبي صلى الله عليه وسلم وترحما على قبر ابي بكر الصديق وسلما على
عمر وعلى المسلمين ودفعا الكتاب الى عمر فتناول عمر الكتاب وقراه فلما
قراه وعلم ما فيه واستبشر رفع كفيه الى السماء وقال اللهم اكف
المسلمين شره وشر كل ذي شر ثم امر مناديا ينادي في الناس الصلاة جامعة
رحمكم الله فاجتمعوا اليه فلما اجتمع الناس اليه اعلمهم بذلك وقرا عليهم
كتاب ابي عبيدة فما استتم قراءة الكتاب حتى علت للناس ضجة عظيمة
ووجم الناس في حال سبيلا وجعلوا يدعون لاخوانهم المسلمين وخرج عمر
من المسجد واذا هو قد ورد عليه كتاب من اهل همدان وحضرموت
واليمن وسبا ومارب ومع حامله علو كتبي فسلموا على عمر وسالوه

المسلمين

المسير الى الشام فقال لهم عمر فمن كم انتم بارك الله فيكم فقالوا نحن زهاء
على اربع مائة فارس وثلاث مائة مكتبة صدق فيهم ومعنا ناس ما يمشون على ارجلهم
لا ركاب لهم فارحم امير المومنين ركابا نحمل عليها رجالاتنا حتى نصل الى اعدائنا
فقال لهم فكم يبلغ الذين معكم من الرجالات فقالوا مائة واربعون راجلا فقال
لهم اعينوا باموال فقالوا اعينا بمولاك ان لهم شانا انهم في الجهاد والمسير الى اعداء الله
فدعا عمر بولده عبد الله وقال له امض الى مال الصدقات وات منه بسبعين
راحلة يتعاقبون عليها ويجعلون ازوادهم ومتاعهم على ظهورها فاسرع
عبد الله بن عمر الى مال الصدقات واتى منه بسبعين راحلة وسلمها اليهم وقال لهم
عمر جزوا رحمكم الله في سبيلكم الى اخوانكم واسرعوا الى حرب عدوكم و
جهادكم ثم كتب الى ابي عبيدة كتابا يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم
من عبد الله عمر بن الخطاب الى ابي عبيدة اما بعد فانه قد ورد علي كتابك مع
رسولك فقراته وفرحت به وبما فيه من الفتح وسرني ما سمعت مما فتح الله
عليكم وبما ايدكم الله به من النصر لكم على اعدائكم واما ما ذكرت من امر
انتهائك الى البلاد التي بين حلب وانطاكية وفتحك القلعة ومن فيها
بما عطوه الكبراء ان فتحك رجلا اخذت بلاده وملكت من بعضه ثم ترحل
عنه فيبلغ الخبر الى جميع النواحي من بلاد الروم بانك لم تقدر عليه ولا وصلت
اليه فيضعف ذكرك ويعلوا ذكره بما صنع وتجتمع عليك اجناد
الروم خاصتهم وعامتهم ويطمع فيك من لم يكن يطمع وتعطف عليك جيوش
الروم وترجع عليك اهل مدنها وتكاتب ملوكها في امرك فاياك ان ترحل
عنه وحاصره حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين والفتح ان شاء الله قريب فقد
بعثت اليك من الخيل والجيوش في السهل والوعر وسائر الكمى والى المعرات
الى حدود العراق والى كل ما يمكنك من بلاد العدو ومن طلب منكم فاقبل
صلحه ومن سالمك فاقبل مسالمته ومسالمته وقد انفذت كتابي اليك مع
رسولك ومعه اهل مارب واهل سبا ممن وهب نفسه في سبيل الله ورغب في
الجهاد لله عز وجل والمدد متواتر ياتيك ان شاء الله والله خليفتي عليك

وعلى جميع المسلمين وامين وحفيظ ثم طوى الكتاب وختمه فاخذه ودفعه
لعبد الله بن قرط اليماني وامر المسلمين الذين قدموا عليه بالخروج والمسير معه
فسار الجيش وسار عبد الله بن قرط وصاحبه جعونة بن جبير ان يجعل الفوج يجدون
السير وهم مع ذلك يسألون عبد الله وصاحبه عن احوال بلاد الشام وعما
اباه الله تعالى على المسلمين من فتح البلاد وقتال الروم واين مضى ابو عبيدة
بن الجراح محاصرون لقلعة حلب وفيها بطريق يوقنا من عظماء بطارقة الروم
ومعه خلق كثير وقد تحصن في راس قلعته ومعه اعلاج اصحابه لم يهولهم
شيء فقالوا له يا ابن قرط فما بالهم لا يدخلون في جملة اصحابهم من صالح المسلمين
فقال لهم يا معشر العرب انا لم ارى بعد وقعة اليرموك رجلا اشجع من يوقنا
فلقد قتل منا رجالا وجرح ابطالا وانه ليغير على اطراف العسكر في وقت
غفلات المسلمين فيقتل رجالهم ويجرح ابطالهم وينهب اموالهم ويرجع
لقلعته وربما يبيت في سواد البلد في حلب المتعلقة فيقع بهم فيأسرهم
واخذ دوابهم وجميع زادهم ومن نهم ويعود الى قلعته ونحن لا نعلم به ومع
ذلك ان المسلمين له محاصرون ومنه خائفون وكان ممن يسمع خطابه
ويفهم كلامه غلام نجيب اسود شديد الباس وكان مولى من موالي بني دهيا
من كندة اسمه دامس ويكنى ابو الهول وكان مشهور الاسم والكنية
وكان اسود شديد السواد طويلا كانه النخلة السحوق وكان اذا ركب
الجمل من العالي يخطوا برجليه الارض وكان فارسا شجاعا قد شاع ذكره
في قبائل العرب وعلا قدره في بلاد كندة وحضرموت وجبال مهرة وارض
الساحل وكان قد اخاف البادية وانتهب اموال الحاضرة وكان يتوعد به
اكثر من العرب ومع ذلك لا تدركه الخيل العتاق وكان اذا ادركته العرب
في ادواتها تتعجب من صولته وشجاعته فلما سمع بذكر يوقنا وما يفعل
بالمسلمين كاد يتميز غيظا وجعل يتلوى حنقا فقال لعبد الله بن قرط
ابشر يا اخا العرب فانا والله لارجو ان يخذله الله على يدي ان شاء الله فلما
سمع عبد الله كلام العبد دامس جعل ينظر اليه شزرا ثم قال له يا ابن

السودا

372

السوداء فتدارك نفسك اما الآن فلا تحفظها واشباه لا تدع ركنها ويحك الم تسمع ان
في سائر المسلمين والابطال الموحدين باجمعهم له محاصرون ولاصحابه محاربون ومنه
خائفون ومع ذلك لا يقدر عليه احد منهم على شيء لانه يحتمي بو عظيم المنى فكيف
الكبير فرمكرم بالملوك وقاد الجيوش وقهر جبابرة الروم فلما سمع دامس
كلام عبد الله بن قرط غضب منه وقال والله لولا ما بلغني من اخوة الاسلام
لبادرت في قتله فاحذر ان تزدري بالرجال فان احببت ان تعرفني فسل عني من
حضر من قومي واهلي وعن ما تعرف من حربي وفعلي انا الذي من قد كرى تطيش
العقول ومن فعلي تضيق صدور الفحول كم من عساكر قاتلتها وكم من
جماعة فرقتها وكم من معاقل بعد فتحتها وكم من غارة شننتها وكم من رجال
قتلتها واموال انتهبتها وكم من قلادة قطعتها واهوال ارتكبتها وفي
كل ذلك لا يؤاخذني بثار ولا يقع لي غبار ولا يضام لي جار ولا يلحقني بحمد الله
عار ثم ان غضب من ابن قرط غضبا وسار دامس في اول الجيش امام الناس
فتعجب عبد الله بن قرط من قوله وصمت فاقبل قوم من العرب وقالوا لعبد
الله بن قرط لا تبق بنفسك فانه والله قد غضب رجلا يفي بما منه البغية
ويقوم عليه الامر الصعب الشديد بروانه لعلير جليبه لا تقوم له الرجال ولا
تقوم به الابطال وان كان في حرب وكان في اخره يعد ركب من كان في اوله وان
كان في اوله يعد ركب من كان في اخره لشدة فرجه لا يقدموا منه من هو منه تعا ربا
ربا ولا يلحقه من يقوله طالب **فقال** لهم عبد الله بن قرط لقد اكثرتم في
وصفكم لهذا الرجل واطلتم فيه قولكم وانا ارجو من الله تعالى ان يجعل
عمله خيبا وفي جا للمسلمين ثم اخذ القوم يحذرون في السير وساروا كذلك
بقية الايام والليالي حتى قدموا على عسكر المسلمين ووصلوا الى ابي عبيدة
وهو منازل لاهل القلعة ومحاصر لها من كل جانب فلما التقى القوم عليهم
باجمعهم اخذوا في زينهم وتهيئوا وجددوا سيوفهم واشتدوا واسلحتهم
ونشروا راياتهم وكبروا باجمعهم وصلوا على نبيهم فاعلنوا بالتهليل
والتكبير والصلاة على المصطفى النذير فاجابهم اهل العسكر بمثل ذلك من

التهليل والتكبير من كل جانب ومكان واستقبلهم ابو عبيدة وسلم عليهم
ورحب بهم فسلموا عليه واستبشر وا به فاتى كل قبيلة على بني عمها وعشيرتها
وكل قوم نزلوا على بني عمهم وعشايرهم ويوقنا في قلعته وهو مع
ذالك ينظر اليهم وكان قبل ذالك قد بنا وشهد الحرب ولا كان يقاتلهم نهارا
ولا يخرج اليهم من قلعته الا بالليل ويكون وقت خروجه في وقت غفلات المسلمين
فلما قدم ذالجيش وهم المسلمون القادمون تلك الليلة وهم في وسط
فيها وكثرة وحشر مونا ونزلوا على اخوانهم فنظر والى كثرة الخيل
وكثرة الخوف بالليل وعظم حزنهم فعند ذالك اقبل ابو الهول
دامس على قومه الذين نزل عندهم وهم بنوا طي فيه من كثرته وقال لهم انتم
والله نعم المحاصرون لاحالة في ذالك فقالوا وكيف ذالك قال لهم لان
عدوكم في راس قلعته وانتم في وطا الارض وبسبقها مكمنين للعساكر فان
ابكم ولا عدو يقدر بكم بعز عنكم ويجيعكم مما بعد الخوف وما هذا القلق
لا يدكم فقالوا له يا ابا الهول ان صاحب هذه القلعة مشوم في تعب عمر انها
ويغير على اهل اعمالها فيسبي منا مر امنا ويقتل رجالنا وينتهب اموالنا
فبينما دامس يخاطب قومه ويخاطبونه واذا بالضجة قد علت
والصيحة قد وقعت في طرف عسكر المسلمين وللناس جلبة عظيمة فوقف
دامس واخرس لسانه واسرع نحوها وهو منتظر سيفه متنكبا حجفته
وطلب الناحية التي سمع فيها الاصوات حتى بلغ اليها واذا بيوقنا في خمس
مائة فارس من ابطال رجاله وشجعان اجناده وقد وجد غفلة وغرة من
المسلمين لاجل قدوم اولايك القوم في ذالك اليوم فلما نظر دامس الى الروم
صاح بهم صيحة عظيمة ووقع في وسطهم وجعل يقول

انا ابو الهول واسمي دامس • ليث الحروب بطل ممارس •
اكر في جمعكم مداعس • لا ارهب الاجال والفوارس •

وجعل يمشي في اعراضهم وهو يضرب في اعناقهم ومعه طايفة من قومه من بني
طي من شجعانهم وفرسانهم وهم يجيضهم ويفتك بهم فلما نظر يوقنا

الرومانى ابن بقومه القهقرى الى ورائه ورجع منهزما وقد قتل من اصحابه
ما ابقى رجل وعاد دامس يكر فيهم كرا ويطعن فيهم طعنا كالجمر وهو
يتبعهم الى ان قرب من راس القلعة وكثرة من ورائه فناداهم ابو عبيدة
عزيمة منى عليكم ان لا تبعدوا اكثر في ظلمة هذا الليل فقال الناس يا ابا الهول
ان الامير يعزم علينا وعليك فارجع رحمك الله فرجع دامس الى رحله وهو
واصحابه حتى اجتمع القوم كلهم الى رحالهم وقد ابلت كندة بلاء حسنا
والناس فرحوا بذلك وسروا بمن قد صرع ومات من الروم وباتوا بقية
ليلتهم في امن وعافية الى الصباح وهم فرحين مستبشرين

ذكر حيلة فتح قلعة حلب على يد دامس عنوة وحيلة في فتحها واستلاء يوقنا وجملة من اهلها

قال القاضى ابو عبد الله محمد بن اسماعيل بن
عمر الواقدي رحمه الله فلما اصبح الله بخير الصباح من ليلة يوم قدوم الجيش
الذي جاء فيه ابو الهول دامس في زمان حصار قلعة حلب اجتمع الناس للصلاة
مع ابي عبيدة وصلى بهم صلاة الصبح فلما صلى بهم وانقضت الصلاة تفقد
الناس ولم يبق معه الا نفر يسير من المسلمين ودون سادتهم وفيهم خالد بن
الوليد حتى ثم جعلوا يتذاكرون ليلتهم فقال خالد اصلح الله الامير لقد
رايت البارحة كندة وقد ابلت بلاء حسنا وتقدمت رجالها وثبتت ابطالها
لما ازالت عنها جهة العدو فقال له ابو عبيدة صدقت يا ابا سليمان والله لقد
ساءني الناس كثرة في ثباتها ولقد سمعتهم يقولون احسن دامس اجاد ابو
الهول فقام اليه رجل من رؤسائها فقال له ايها الامير ان ابا الهول دامس هو مولى
لبني كليب وقد قدم علينا مع هؤلاء القوم في الوقت الذي ورد علينا بالامير
وهو رجل يعجز الرجال عن وصف شجاعته وبراعته يقتل الرجال ويجدل
الابطال ويفضح الشجعان ويهول الاقران لا يهوله جمع ولا تصعب عليه
غارة فقال له ابو عبيدة لخالد اما سمعت ما اتي به من دامس في غيرهم دامس
فقال له خالد اصلح الله الامير ما نشك انه صادق في قوله ولقد سمعنا

ولقد سمعت بذكره واخبرت بشجاعته ولقد اخبرني رجل يقال له بعمر بن
عميرة المهري ان ابا الهول ذا مسر غار عليهم وحده وهم على ساحل البحر محلة
فيها سبعون رجلا من المهرة وكان هذا ذا مسر يقتلهم لاجل ثار له عندهم
وكانوا يخافون منه لاجل شدته وشدة باسه ومكره وكانوا مع ذلك
يفرون بانفسهم ويفرون باموالهم ويسيرون الى الجبال والاوعار
وساحل البحار حذرا منه ومن مكره وكان مع ذلك يسال عنهم ويبحث عن
اخبارهم ويتطلع لاحوالهم واثارهم ويغير عليهم مرارا متعددة في ايام يسيرة
فلما سمع ابو عبيدة ذلك من قول ذا الراقل على سراقة بن مسر ذا مسر وقال له
ائتني بغلام حتى انظر اليه واتكلم اليه واسمع كلامه فما كان غير بعيد
حتى اتاه به سراقة فقال له ابو عبيدة انت ذا مسر قال نعم اصلح الله الامير قال
له ابو عبيدة لقد بلغني عنك عجايب وانت والله اهل لذلك لانك في بلد الجبال
واعلم يا ذا مسر انك وقومك كنتم تقاتلون في بلاد واسعة وارض سهلة
لا فيها الجبال ولا القلاع وقد افتتحت البارحة اعداء الله افتحاما منكرا فارفق
بنفسك واحذر من هذا البلد بان يحوفنا صاحب هذه القلعة فانه ذا هيبة
عظيمة ذا كيد ومكر فقال له ذا مسر اصلح الله الامير والله لقد غرت على اهل
مهرة واخذت اموالها مرارا وارجالها شاهقة رفيعة ذات وعر وحجر وما
هذه الجبال بارفع من تلك الجبال فقال له ابو عبيدة اذا اراك غلاما نجيبا فهل
حدثتك نفسك في امر هذه القلعة بشيء قال ذا مسر اصلح الله الامير اني لما
قدمت عليكم رايت في منامي كاني ساير في فضاء من الارض وانا مجد في طلب
قومي وكانه قد انقطعت عنهم وقد سبقوني الى غارة اغاروا بها على عدو
فبينما انا اسير واجد في سيري اذ اشرفت عليهم واذا بهم حايرون
لا يتقدمون ولا يتاخرون فناديتهم وقلت لهم يا قوم ما شانكم واي شيء
صدكم عن سيركم فقالوا لي اما ترى هذا الجبل قد لقينا وكيف عرض لنا
في اخر هذه الطريق وليس لنا منه مطلع ولا منفذ فقلت لهم على رسلكم
اما ترون هذه الفرجة في هذا الجبل فقالوا لي هيهات لا نهتدي فيها فقلت

لهم وليم فقالوا الآن فينبغي أن تعلما أنا عظيما لا يمر به أحد إلا قتله وقد قتل منا رجالا
وجعل أبطالا فقلت لهم أفلا تقتحمون عليه بأجمعكم فقالوا لا نقدر على
ذلك لأن النار تخرج من أنيابه ولا سبيل لنا عليه فقلت لهم التمسوا لي طريقا وراء
كهفه فقالوا لا نقدر على ذلك لعظم خشيته فبت كذلك في موضعهم ثم سرت
أمامهم والتمست موضعا لا طريق منه إليه فلم أجد إلا موضعا ضيقا ومكانا حرجا
فاقتحمته مما سلكته وخرجت منه إلا بعد مشقة وأتيت إلى الثعبان من ورائه
فقتلته بسيفي ثم سرت إلى قومي فاتبعوا أثري فما وصلوا إلا بعد جهد وهم
آمنون من عدوهم ثم استيقظت وأنا في دمشق ور فقال أبو عبيدة رضي الله
عنه خيرا ما رأيت وخيرا أن يكون فيا دامس أما تعبيري رؤياك فهي للمسلمين
بشارة ولعدونا خسارة فقال دامس إن العدو فإن الله تعالى وأنا أقول لك
تعبير ذلك الذي رأيت أيها الأمير ثم إن أبا عبيدة وثب من مكانه وقام قائما على
قدميه ونادى بأرفع صوته الله أكبر الله أكبر فتح الله ونصر وحبانا
بالنصر والظفر ألا ومن كان بعيدا فليدن ومن كان دانيا فليسمع لأني أعبر رؤيا
دامس عن أمرها أعتني وموعظة ورأيته لمن أخذكم فأقبل المسلمون يهرعون نحوه
في خير مستبشرين بما يقول فيهم معبر به مسرورين فلما اجتمع الناس إليه قام
على قدميه أبو عبيدة فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله وذكر النبي صلى الله
عليه وسلم وصلى عليه ثم قال معاشر المسلمين إن الله سبحانه وتعالى له الحمد
وله الشكر قد وعدنا في كتابه الحكيم على لسان نبيه الذي به الغلبة لأعدائنا
والظفر بمن عادانا وما كان الله سبحانه ليخلف وعده رسله وإني نذرت أن فتح
الله بفتح القلعة على يدي أن أفعل من البر ما استطعت والآن قد تحقق عندي وفي
نفسي أنا كأني عن قريب ومن قبلها إن شاء الله تعالى ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم
ودلني على ذلك ما قيل من رؤيا هذا ثم قبض بكفه على رأس دامس وقال له رحمك
الله حدث إخوانك بما رأيت في منامك فقام دامس على قدميه وقال اللهم إني
رأيت في منامي كذا وكذا وقص عليهم الرؤيا كلها إلى أن أتى عليها من أولها
إلى آخرها فلما فرغ منها أقبل المسلمون على أبي عبيدة وقالوا له أيها الأمير قد

فسمعنا قوله ورؤياه فما اتانا ولبثنا فقال الحضر ابو عبيدة ان الجبل الذي رءاه عاليا
شاهقا شامخا فيه الامتناع من ذلك انه لا شك حصن الاسلام واما الثعبان الذي
رءاه وهجم عليه فقتله بسيفه فعسى امر يعجب الله ان يكون على يديه فتح الله في
المسلمين ويفرح الناس فتفاولوا براي ابي عبيدة ثم قالوا له ايها الامير ما الذي تامرنا به
فقال امركم بتقوى الله عز وجل سرا وجهرا اثم المكابدة لاعداء الله ورسوله
فقوموا وصيحوا ارجعوا رحمكم الله الى رحالكم واعلموا ما تحتاجون اليه من اموالكم
فاذا اردت ان نغزوكم وابعثكم في غزاة غزوا ان شاء الله الى اعدائكم الا ان يحدث
عندي راي اخر من بعد فانه لا ادع الاجتهاد في الراي وفي المشورة ممن اثق به
من جندي فقالوا له باجمعهم وفقك الله لرايك ايها الامير وكفى بك فاعدائك
انه سميع الدعاء **ثم تفرقوا** باجمعهم الى رحالهم فبعضا اخذ سيفه وهذا
يقوم رمحه وهذا يصلح قوسه وبعضا يصقل درعه وبعضا ينتل كنانته وهذا
يتعاهد فرسه ولم يزالوا كذلك بقية يومهم الى الليل فاختلوا الطعام ورجع
كل واحد الى رحله وجعلوا المحرس وباتوا ليلتهم **فلما** اصبح دعا ابو
عبيدة بن عامر وقال له ايها العبد الصالح الناصح المجتهد ما تراه من هذه
القلعة وما الذي عندك من الحيلة **فقال** له عامر ايها الامير ان عندي
رايا حسنا ولكنها قلعة حصينة صعبة منيعة تعجز الوافر الوافرة وتمنع
الطالب ولا تنفع في اهلها محاصرة ولا يصيبهم ذعر من كثرة المطار غير انه
وقعت في حيلة احتالها بعد استحضار مائة حيلة واخترت منها واحدة
وان جواهر الله سبحانه تمامها عليهم فيكون فيها بوارهم وعلى يدي ان شاء الله
تملكها فبادرهم **فقال** ابو عبيدة وما هي يا عامر اصلحك فقال له عامر
اصلح الله الامير انت تعلم ما في اذاعة الاسرار من السوء الا انه من يكتم
سره كانت الخيرة في يديه ويقال ان دمشقا اول من تكلم بهذه الكلمة فصارت
بعده مثلا يمضي بابه **فقال** له ابو عبيدة فما تشير به من رايك وتعتمد
عليه في امرك **فقال له ايها** الامير الذي اراه ان ترحل بعسكرك وجيشك
واصحابك الى القلعة حتى تنزل بفنائها ليظهر منك الحرب والاهبة ويظهر منهم

الحرص

الى من الهيبة واعمل انا في ذلك الحيلة وارجو الله تعالى ان يفتحها عليهم ان شاء الله
ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فامر ابو عبيدة مناديا في عسكره فنادى في
الناس بالرحيل فارتحلوا ونزلوا تحت القلعة فهللوا وكبروا واظهروا اسلحتهم
وارعبوا اعداء الله فاشرف عليهم جماعة من الروم ونظروا الى كثرتهم فوقع الهم
لذلك والقى الله تعالى الرعب في قلوبهم واضطرب بواب قلعتهم اضطرابا شديدا
وماجوا فيما بينهم ماجا شديدا وصاح بعضهم ببعض وجعلوا يتشاورون فيما بينهم
فقال قوم منهم نقاتلوا وقال قوم اخرون بل نقعد في قلعتنا ولا قدرة لهم علينا
ثم اجتمع امرهم واتفق رايهم على القتال من فوق سور قلعتهم فصعدوا على
الاسوار وطلعوا في الابراج وجعلوا يرجمون المسلمين بالحجارة ويرمونهم بالسهام
واقبلوا يقاتلون المسلمين كذلك ليلا ونهارا ثم كفوا عن ذلك وجعلوا
الحرس التشريين **واقام** المسلمون نازلين بازاء القلعة سبعة واربعين يوما
في بعضها كانت بعض المهادنة ودامس مع ذلك يعمل كل حيلة فيهم بما يبطل
منها الفهم **فلما** كان بعد الاربعين يوما اقبل دامس الى ابي عبيدة وقال له ايها
الامير احتلت واجتهدت واعملت واجلت في فكري في كل حيلة لا طريق الى
اعداء الله بما وجدت الى ذلك من سبيل وقد فكرت في شيء وانا ارجو من الله سبحانه
ان يظفرنا ويعلي اعلامنا بظفرنا فقال له ابو عبيدة فما ذاك وما الذي فكرت وفكرت
فيه ايها الامير **فقال** له اجمع لي من قومك ثلاثين رجلا من صناديدهم وتضيفهم
الي وتامرهم لي بالطاعة وترك المخالفة والا تعترض علي في امري وفيما افعله
واراه رايا فقال افعل لك ذلك ثم جمع اليه ثلاثين رجلا من فرسان واجنادهم
وقادتهم حتى اذا احضرهم بين يديه اعلمهم بذلك وجعل على كل عشرة
منهم نقيبا ثم اقبل عليهم ابو عبيدة وقال يا معاشر المسلمين اني قد امرت عليكم
دامسا وامرتكم بالسمع والطاعة له والقبول لامره واعلموا انه فيما امرته عليكم
بانه اجل منكم حسبا ولا افصح مراسا ولا اعظم فتكا ولا اشد قلبا ولا اكثر
باسا ولا تقول قائل منكم في نفسه اني قد امرت عليكم عبدا احتقارا بكم
وبالله احلف مجتهدا لولا ما بلغني من من تدبير امر هذا العسكر لكنت اول من يعلو

معه في جملتكم وانا ارجوا من الله ان يفتح على ايديكم فاقبلوا عليه باجمعهم وقالوا
اصلحك الله ايها الامير والله ما نشك في اعطائك لنا ومعرفتك بنا فيما قلته ولقد
كان كلامك الاول قد اثر في نفوسنا والان فيما نحن لك وبين يديك ولو امرت علينا
علجا اغلف لم نخرج عن ايديه في السمع والطاعة لله ولك ايها الامير ولمن امرت ووليت
من بعدك فانا من الناس من كان اذ علمته انك لا تريد الا صلاحنا ونصحا للدين
وحياطة المسلمين ففرح ابو عبيدة بكلامهم وجزاهم خيرا ودعا لهم ثم دعا
وقيل او قال العلوا رحمكم الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ولى مولاه على سادات
العرب من المسلمين والاشراف من بني عمه وعشائرهم وان نفسي تحدثني ان الله
سبحانه وتعالى يفتح هذه القلعة على يد هذا العبد ان شاء الله انه في هذه الحيلة
حسن البصيرة في نفسي واسمعه وتقوا بالله وتوكلوا عليه **ثم اقبل على** دامس
وقال له ما الذي تحب من هذا فقال له ترحل بجيشك من فوق هذا الحصين حتى
تكون منا على مسيرة فرسخ فتنزل باصحابك هنالك وتامر من معك من الناس
بقلة الحركة والتخفي ما استطاعوا وتعطيني رجلين تثق بهما وبنصحهما
للمسلمين يتجسسان لنا اخبارنا واثارنا من غير ان يعلم بهما احد ويكونان
بغير سلاح الا الخناجر في بعضها فاذا اتاهما عنا الخبر كانا على اثرنا والخبر عليهم
منا فانهما يلحقان بك ليحثثك انك تريد ان تلحق بنا ان شاء الله تعالى وعسى الا
يكونا في موضع واحد بل يكونان متفرقين ولا يكونان مجتمعين فان في ذلك اسلم
لهما والله تعالى هو المستعان في جميع الامور كلها **ثم ان العبد دامس**
اقبل على النفر الذين معه وقال لهم يا فتيان العرب انهضوا بنا رحمكم الله حتى
نكمن في بعض هذه الشعاب من نواحي الجبال ما دام الناس مشتغلين بزوال الخيل
متشاغلين قبل ان يشرفوا عليهم القوم من سورهم وينظروا الى رحيلهم فلا يتفق
لنا ان ننقلب مكمنا اذا اتى فواحد من حصونهم وليكن مع كل واحد منكم سيفه
وحجفته ولا يكون معه رمح ولا قوس ففعلوا ما امرهم به من ذلك فلما اجتمعوا
اليه وتكاملوا بين يديه وثب دامس قائما ولبس لامته وتقلد سيفه وحجفته
وخفي نفسه تحت اثوابه واخذ مزوده وخرج بهم حتى فارقوا العسكر وجعلوا

يخفون

يخفون اشخاصهم واثارهم ويستترون ويسيرون كذلك حتى وافى بهم اسفل
الجبل فاتى بهم الى مغارة فامرهم بالدخول فيها وجلس دامس على بابها
واما ابو عبيدة فانه امر الناس بالرحيل بعد ان رتب الرجال كما ذكرنا
فيما وصف له دامس وارتفعت للمسلمين عند رحيلهم ضجة عظيمة وقامت لهم
زعقة هائلة فاشرف عليهم اهل القلعة فنظروا اليهم راحلين ففرحوا بذلك وقد
كانوا ايقنوا بالغنيمة وسهوا وسروا سرورا عظيما وقالوا ان العرب قد رحلوا عنا واخذ
المسلمون في التهليل والتكبير حتى رحل المسلمون ولم يبق منهم احد الا رحل وابو
عبيدة يقدمهم والروم تزعق بهم من كل برج ولهم زعقات عالية عليهم من كل جانب
ومكان وهم يهزون بهم ويضحكون عليهم من ورائهم وسار ابو عبيدة
واصحابه حتى غابوا عن حلب وجد في السير الى ان نزل بذلك في حاضر قنسرين وقالوا لبطريقهم
يوقنا ايها البطريق افتح لنا الباب حتى نخرج للعرب فلعلنا ان نقتل منهم احدا ممن
تاخر او نسي ولا ينفلت منهم عن ذلك واما دامس واصحابه فانهم جلسوا
في الكهف ولم يزالوا كذلك بقية يومهم الى وقت صلاة العشاء الاخيرة ثم اقبل
دامس على اصحابه وقال لهم يا قوم من ينهض منكم الى القلعة فلعله ياتينا
بخبر منها او يقبض على رجل منهم فياسره وياتينا به لنا خبرهم حتى نعلم فلم يجبه
احد منهم الى ذلك فقال انا اعلم ان ما في الجماعة الا من هو كثير محب لنفسه لا
الحياة كاره للممات وانا اكفيكم العناء فيما امرتكم به فانا كفيل واكيف تكونون من
بعدي ثم تركهم وسار عنهم فغاب ساعة واذا به قد اتى ومعه علج وقال لهم
يا فتيان العرب دونكم فاسالوه فكلمه المسلمون فجعل العلج يتكلم ولا
يفقهون قوله ولا يعلمون ما يقول لهم فقال لهم دامس على رسلكم حتى
اتيكم بغيره ثم غاب ساعة فما كان غير بعيد حتى اتى ومعه اربعة علوج واذا بهم
فلم يكن فيهم من يعرف كلام العربية ولا يفقهها فقال دامس لعن الله
هؤلاء العلوج فما اوحش لغتهم واكثر همهمتهم ثم تركهم وخرج وغاب
عنهم الى ان مضى من الليل شطره ولم يات فقلق اصحابه عليه قلقا عظيما واغتموا
غما شديدا وقال بعضهم لبعض ما اظن الا ان دامسا ظفر به فقتل او اسر

فبينما هم كذلك وحاروا في امره وهموا ان يرجعوا الى عسكر المسلمين

وهم ايسوا منه اذ دخل عليهم وهو يقود علجا فوثبوا اليه وتلقوه وسالوه

عن ابطائه وقالوا له لقد حدثتنا انفسنا بالقضاء وصعب علينا ابطاؤك فما

الذي ابطاك عنا علينا واخرك الى هذا الوقت فقال لهم ذامس انما جاوزتكم سرت

حتى قربت من سور القوم فرايتهم وهم يرمون بالحجارة ويتحدثون بكلامهم

ويتحدثون بلغتهم وانا لا اعرف للقوم وانتظر لهم كلاما الى ان اطلب من يتكلم

بالعربية فلم ار احدا حتى يئست من نفسي وهممت بالرجوع فاذا انا اذ سمعت

صوت هذا العلج وقد رمى بنفسه ووقع الى الارض من اعلى السور فاسرعت وبادرت

اليه واخذته واتيت به اليكم فاسالوه وانظروا اما هو فدنوا منه وكلموه

فلم يفقه كلامهم الا بلغته بالرومية واذا به قد انفتلت رجله وانفتحت جبهته

فقال لهم ذامس ان هذا العلج له امر وشان من الشان ويقولا ليس فيهم من يفهم

ما يقول ولاكن على رسلكم حتى اتيكم بمن يتكلم بالعربية ثم اسرع وخرج

من عندهم فلم يكن غير ساعة ولم يلبث الا قليلا واذا به قد عاد اليهم ومعه

رجل من العرب المتنصرة قد جعل عمامته في عنقه وهو يقوده فجاء به حتى مثله

بين يدي اصحابه وقال لهم سلوه فانه يفهم العربية فقالوا له من المدينة انت

ام من القلعة فقال بل انا من اهل القلعة فقال له ذامس انت من الروم قال لا ولاكن

من العرب المتنصرة فقال له يا هذا هل لك ان تطلعنا على عورة من عورات هذه

القلعة فنطلقك ونخلي سبيلك ولا يعدم ذلك منا اجر حسن فقال لهم يا هولاء

لست اعرف لهذه القلعة عورة ولا اطلع فيها ولو كنت اعرف لهذه ذلك لما

وسعني في ديني ان اطلعكم عليها ولا ارى ان ادلكم عليها الا وحق المسيح فا

غتاظ ذامس وغضب من قوله ذلك وقال له سل هولاء الاسارى هل فيهم احد من

اهل القلعة المدينة فان بيننا وبينهم صلحا فسلهم وكلمهم بالرومية

ثم قال لذامس ليس فيهم احد من اهل المدينة بل هم من القلعة وانا عارف بهم

فقال له ذامس فسل هذا الرجل عن شانه ولم طرح نفسه من السور وما دعاه

الى ذلك فساله ثم اقبل على ذامس وقال له انه يقول لك ان الملك يوقنا قد غضب

على اهل

على اهل المدينة لاجل صلحهم للعرب فلما انصرف العرب نزل اليهم وجعل يقيدهم
بجميع رؤسائهم واصعدهم الى القلعة وطلب منهم من المال ما لا يقدرون عليه وكنت
انا معهم ومعهم فلما رايت ذالك ونظرت الى ما نزل بنا من العقوبة فلم نشعر الا
وانت اخرجتني وقبضت علي وانا من المدينة من اهل صلح العرب ونحن خدامكم
فان كنت من العرب فانا خدامكم وامانكم فلا تنكثون ولا تغدرون وان كنتم
من غيرهم فاطلبوا مني ما احببتم فانا افدي نفسي بما شئتم فقال له دامس قال له
نحن من العرب ولا باس ولا خوف عليك ولا ينالك منا شيء فكرهه ثم ان دامسا
اراد ان يري الرجال ما يفعل باصحابه فاخرج اليوم المتنصر وكانوا ستة
نفر فاخرجهم وضرب اعناقهم ولم يدع غير الرجل فاطلقه ومضى الرجل الى بعض
حيث اراد واقبل دامس لاصحابه الى مزود فاخرج منه جلد معز والقاه على ظهره
واستخرج منه كعكا يابسا وقال لاصحابه بسم الله واستعينوا بالله وتوكلوا
عليه واخفوا امركم ما استطعتم وقدموا الحزم والخبرة في جميع اموركم فانا
عولت على فتح هاذه القلعة الليلة ان شاء الله تعالى فقالوا له يا دامس سر بنا
ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ثم قال للقوم
[illegible] دامس يقدمهم وبعث رجلين من اصحابه يعلمان ابا عبيدة بشانهم
وقال لهما قولا للامير يبعث لنا جيشا عند الصباح فاقبل الرجال وصعد دامس
واصحابه نحو القلعة يخفون اشخاصهم تحت ستر الليل وحد دامس على المغرمة امامهم
يلتمس لهم الاخبار وهو يمشي متخفيا كانه يمشي على اربع والجلد على ظهره وكلما
احس بحس قرض من الكعك كانه كلب ياكل عظما واصحابه من ورائه يقفون اثا
رهم ويستترون بالحجارة ولم يزالوا كذالك حتى قاربوا القلعة فسمعوا اصوات
الاجراس على الاسوار في الابراج وزعقات الرجال من اعلاها والحرس الساهرين فجعل
دامس يدور بهم حول القلعة وهو يمشي كما وصفنا الى ان انتهى الى بعض الابراج
فاذا هو بحارس البرج قد نام وليس في السور برج اقرب الى الارض من ذالك البرج
فقال دامس لاصحابه اترون هذه القلعة وعلوها ومنعها وحصنها وليس
ينفع فيها حيلة لشدة احتراسها ويقظة حراسها فما الذي ترون ان اصنع فيها

وكيف الحيلة في الصعود اليها على السور حتى نحمي عليها ونغلب في وسطها
وهم يتكلمون فيما بينهم سرا فقال له الغوث يا ذا امسن ان الامير قد امرك علينا
ونحن الان لا ندري ما نصنع فما رايت فيه صلاح المسلمين عملنا به وكل ما امرتنا به
فعلناه ولا نتاخر عنه فوالله ان قتلنا نفوسنا لاهون علينا من الرجعة دون
فتح ولا ان نرجع من غير قضاء حاجة فمنك الامر ومنا الطاعة وليس منا من يتاخر
عنك ولا يموت الا تحت ظلال السيوف في طاعة الله عز وجل ورضاه ورضى اخوانه
المسلمين فقال لهم ذا امسن شكر الله لكم فعلكم ونصحكم على اعدائكم فاذا
كانت هاذه نيتكم فاطلبوا السور والتحقوا به وافى بوامنه وكانوا
ثمانية وعشرين رجلا فلما صاروا عند السور قال لهم ذا امسن ايكم من
يقدر على الصعود عليه فقالوا له يا ابا الهول وكيف ذلك ومن يد لنا ان نرقى
عليه وعلى اي شيء نصعد حتى نصل الى اعلاه فقال لهم على رسلكم ثم اختار منهم
سبعة رجال كانهم الاسود الضارية لو كلفوا حمل ذلك البرج على متنا كتفهم
ما عظم عليهم ثم جلس ذا امسن واخذ واحدا منهم وجعله على منكبيه وامره
ان يمسك الجدار بيده ويلصق فوقه عليه ويقوم فقام وذا امسن جالس وامر الاخر
فعلا على منكب صاحبه قائما ايضا وعلا الاخر كذلك والاخر كذلك الى ان علوا
كلهم سبعة وكل واحد منهم على منكب صاحبه قائما وامر كل واحد منهم
ان يمسك الجدار بيده ويلصق فوقه على الجدار فقام العوفي منهم وطرح حبله
على الجدار ثم قام ذا امسن بهم فاخذ بهم واذا اعلاهم وقع لحو يشق فات السور
ويعلو بها ثم وثب واستوى على السور من داخله فمشى الى حارس ذلك البرج
فوجده فيه واذا هو حارس ذلك البرج مخمور وهو نائم فاخذ بيده ورجله
ورماه من اعلا السور الى اسفله من خارج فلما وقع بالارض قطعه المسلمون
باسيافهم ووجد له صاحبين رقودا قد غلبت عليهما الخمر فذبحهما ثم نحى
عنه والقاهما الى اصحابه ثم التفت منه الى احد اصحابه وهو الذي كان هو قائم
على منكبيه فتعلق بعضا وجذبه اليه فاذا هو على السور معه وجعلا يفعلان
كذلك باصحابهما كلهم الى ان وصل الامر الى ذا امسن فاذا لواحد منهم السبه

حبيش

وتعاونوا في جذبهم عليه حتى صار معهم على السور ثم قال لهم انتظروني
ههنا فانا السير على ممشى السور ولا يبقى منكم احد حتى اعود اليكم جميع القوم
ثم اقبل يمشي فيه ومشى فيه على وسط القلعة فاذا هو بساداتهم ورؤسائهم
في مجلس لهم وفي ايديهم اباريق واواني الذهب والفضة وهو فيها جالس في وسطهم
على بساط من الديباج الاحمر منسوج بالذهب الوهاج وعليه بردة من اللؤلؤ
الرطب متعصبا بعصابة من الجوهر والمسك يفتت عليه وعليهم والقوم ياكلون
ويشربون فاقبل ذامس على اصحابه وقال لهم ان القوم خلق كثير وهم مجتمعون
وكلهم مقاتلون فان نحن هجمنا عليهم في وقتنا هذا لم نامنوا الغلبة من كثرتهم
ولكن ندعهم الان فيدور عليهم الكاس وينشي ابهم الى قرب طلوع الفجر فاذا كان وقت
السحر هجمنا عليهم بسيوفنا فان كان نصرنا الله بهم وان خذلهم الله لنا وعلى ايدينا فذلك
هو المطلوب وهو المراد وان كان غير ذلك كنا في ايام الصباح ولاشك ان الجيش
يكونوا قد وصلوا وعلموا الامير ابا عبيدة بامرنا فيبعث لنا جيشا خيلا ورجالا
في ذلك الوقت فقالوا والله لا نخالف لك امرا وقد حصلنا في قلعة هؤلاء الاعلاج
ولا ينجينا منهم والله الا الحرب بالسيف فلما سمع ذلك منهم
قال لهم على رسلكم فانا امشي الى باب القلعة فلعلي افتح الابواب وكان للقلعة
بابان بينهما دهليز وكانا يغلقان من داخلهما ويبقى الرجال بينهما بالعدة
والسلاح كل ليلة يبيت ثلاثة رجال بالنوبة فلما اقبل ذامس للباب وجده
مغلقا من داخله بقفل ركناه من الباب فاقتلع منه حجرا عظيما ودخل من موضع
الحجر فاذا هو بالقوم نيام فجعلهم بالذبح وجز عنقهم معا ثم اتى البابين ثم فتح
البابين بعد ووكان احدهما الى خارج القلعة والاخر الى داخلها ثم ترك البابين
مردودين ورجع الى اصحابه وقال لهم فابشروا بالعز الاول قد فتحت لكم البابين
وقتلت من كان بينهما في سهما من الرجال في حكم الباب فاستبقوهم اليه
وحذوا لهم عليه فان القوم سكارى اسيا فيكم ان شاء الله ولا كن قدمي فاوقت
السحر فقام القوم وانتضوا اسيافهم وتنكبوا حججهم وساروا نحو الباب
وجعلوا يخفون اشخاصهم ويكتمون امرهم الى ان وصلوا الى باب القلعة فلما

واحد مكانه

حصلوا عند باب القلعة بأجمعهم أخذ كل منهم ورتبوا أمورهم وشأنهم
وإذا بالفجر قد طلع فأمرهم داميس أن يرفعوا أصواتهم بالتهليل والتكبير
والصلاة على البشير النذير فلما رفعوا أصواتهم بذلك تبادرت اليهم الروم
وقصدتهم الأبطال منهم من كل ناحية وتصارخوا بأوبليهم وكثيرا تمت نفره
الحيلة عليهم فصرخ بوقنا جاله فانتضوا السيوف والقواضب وعلا التكبير
من المسلمين من كل مكان وجانب وقاتلوا قتال البشر لم ير مثله فيما تقدم
من الوقائع العظام وصبروا لهم صبر الكرام قال ابن أوس لقد قاتلت
إلى جال ولاقيت الأبطال ورأيتهم فوالله ما رأيت مقاتلا أحسن بأسا ولا أشد
حربا ولا أقوى من داميس في ذلك اليوم وذلك أن الروم انصبت علينا مثل
الجبال الرواسي وصدفونا الصف فكان كلما كروا علينا تلقاهم بنفسه
وضربهم ضربا وثيقا ولقد عددنا في جسده بعد انفصالنا من القلعة ثلاثة
وسبعين جرحا فبينما نحن كذلك في أشد الحرب وأعظم الهول والكرب وقد
أشرفنا على الهلاك وكلنا ينظر إلى صاحبه ويفديه بنفسه وأيقنا بالموت
وكنا ثمانية وعشرين رجلا فقتل منا في ذلك الوقت ثمانية رجال أوس بن
عامر وأبا ماجد بن سراقة الحميري والبارع ابن المسيب التميمي ومنير بن جمرة
العنوي والربيع بن ماجد من بني عبد الدار وهلال من بني الخثعمي وأمية بن
رابع الدارمي والأسود بن طاعب بن معوام بن عروة الحضرمي ونحن على
تلك الحال إذ أشرفت علينا راية الإسلام يحملها خالد بن الوليد رضي الله عنه ومعه
الف فارس وعن نوفل بن سالم عن جده خويلد بن خارم وكان ممن حضر مع
داميس في فتح قلعة حلب قال قال جدي وكان يحدثنا لما قتل منا ثمانية من
أصحابنا وبقي منا عشرون رجلا وتكاثرت علينا الروم حتى صارت في أزيد من أربعة
آلاف فارس وكنا في إياس من الحياة إذ أشرفت علينا خالد بن الوليد رضي الله
عنه في ألف فارس من أصحابه وذلك أن أبا عبيدة كان قلقا علينا متشوقا
لأخبارنا وكان قد أنفذ خالدا بالقرب منا فأول ما لقيه الرجال بعث فلما
بصعودنا إلى القلعة فأقبل إلينا مسرعا فوجدنا في القتال الشديد والحرب

القتير فلما وصل إلينا ووقع الصياح بقومه تصارخت الروم وانفلوا عن القتال
عنا وصعدوا على سور القلعة وتفشوا فوقفوا على السور ينظرون إلى خالد بن الوليد ومن
معه فرأوه على الجبل الذي جاء عليه وسمعوا تكبير خالد والمسلمين معه قال
ابن اوس فلما سمعنا تكبير إخواننا المسلمين قويت قلوبنا واشتد بأسنا
فلما نظرت الروم إلى ذلك علموا أنهم لا طاقة لهم بنا فألقوا سلاحهم وصاحوا
العفو العفو يعنون الأمان الأمان بهذه الكلمة ثم كفوا أنفسهم عن القتال وكف
بقية المسلمين وكفوا عنهم القتال فبينما هم كذلك إذ أتى فأقبل علينا
أبو عبيدة في فرسان المسلمين وأبطال الموحدين فأخبر بما كان من القوم فقبلوا الأمان
وقد رفع الناس عنهم السيف إلى أن تأتي فيهم برأيك فقال أبو عبيدة قد
وهب امسوا اصحابه وارشدوا ارشدهم الله إلى الخيرات ثم إن أبا عبيدة
أمر فأحضر البطارقة وأحضر أقسنتهم وأحضر كافة رجالهم ونسائهم فعرض
عليهم الإسلام فكان أول من أجاب إلى الإسلام بكلي بغيتهم يوقنا رحمه الله
وجماعة من أصحابه من ساداتهم وعظمائهم فرد أبو عبيدة عليهم أموالهم وأهاليهم
ثم استبقى منهم أجراء وفلاحين وعفا عنهم وأخذ عليهم ولهم العهد
ألا يبقى ضد الأحد ولا يعين ضد أحد الأجنبي ثم أطلق شيوخهم وعجائزهم
وكل من أراد الخروج من حلب فانطلقوا وساروا إلى بلاد الروم وضرب الجزية
على من بقي منهم على دينه يبذلونه فأخرج المسلمون من الذهب والفضة والأواني
ما لا يقع عليه وصف ولا عدد فأخرج أبو عبيدة منها الخمس وفرق الباقي على
المسلمين فتعجب الناس من فعل يوقنا وحيلته وأخذوا في حديثه وشكر
له أبو عبيدة والمسلمون فعله شكرا عظيما واشتهر في ذلك وعلا قدره وكثر
فضله عند أهل الإسلام وعالج الجراح من جرح ممن كان خرج معه وأقاموا في
موضعهم ذلك حتى برئ من به أمسر ومن كان معهم من جراحهم

ذكر حروب قلعة أعزاز وفتحها عنوة ومكيدة يوقنا التي دبرها على صاحبها وكيف كان قتله قال القاضي

ابو عبد الله محمد بن اسماعيل بن عمر الواقدي رحمه الله ثم ان ابا عبيدة لما اقام على
حلب مدة ودعا بالمسلمين اليه وشاورهم في امره وكان الجميع اخذاك في حلب
وقال لهم ان الله تبارك وتعالى قد نصرنا ولله الحمد وقد فتح هاذه القلعة على ايدينا
عنوة ورغما من اهلها وما بقي لنا موضع نقصده الا انطاكية وهي دار ملكهم
وكرسي عزهم وبها اقتبة ملوكهم مع الملك هرقل فما ترون من الراي الرشيد
الصالح الموافق السر بن المسيب السعيدي فقام اليه البطريق يوقنا
صاحب القلعة وتكلم بلسان عربي مبين وقال ايها الامير ان الله عز
وجل قد نصركم واظفركم وكفاكم عدوكم وما ذلك الا بالفضل دينكم
ولان دينكم هو الدين القويم والصراط المستقيم ونبيكم هو النبي المشهور
لا محالة في الانجيل وهو الذي بشر به المسيح عيسى ابن مريم صلوات الله عليهم
اجمعين لا شك فيه ولا امتراء وهو الفاروق الفرق يفرق بين الحق والباطل
فقال له ابو عبيدة يا يوقنا قد حدثت في امرك حادثة كنت بالامس
تقاتلنا وتكيد علينا وعلى عسكرنا وتقطع الطريق على علافتنا واليوم تقول
هذه المقالة وقد بلغني عنك انك لا تعرف من العربية شيئا فمن اين لك هذا
حتى حفظتها فقال له يوقنا اتعجب من هذا ايها الامير فقال له ابو عبيدة نعم
فقال يوقنا اني قد دخلت في دينكم حقا وانا اشهد واقول لا اله الا الله محمد
رسول الله وذلك اني كنت البارحة معكم في امركم وفي حالكم وكيف نصرتم
علينا وكيف لنا منكم جيوشنا في غير ما موضع وغير ما مرة ولم تكن امة
اضعف منكم عندنا وكنت موسوسا من ذلك كله فلما توسوست به ونمت
واجلت فكري في امركم كيف اذ غلبتني عيناي فنمت فرايت شخصا عظيما
ذا نور ونوره اضوا من القمر واكثر اضعافا فسالت عنه فقلت من هذا
فقيل لي هذا محمد بن عبد الله نبي العرب صلى الله عليه وسلم وكنت اقول في
نفسي ان كان نبيا صادقا فليسال ربه ان يعلمني العربية فقيل لي [illegible]
عليك فاستيقظ وانا اتكلم بالعربية فعجبت من ذلك ثم قمت الى المنزل الذي
يوحنا بن رحلته وبحثت في انه كتبه فاخرجتها وقرأتها فوجدت في بعض

كتبه

كتبه صفة محمد صلى الله عليه وسلم وانه هو النبي اليتيم الذي يموت ابوه وامه
ويكفله جده وعمه ووجدت فيها كل ما يكون من امره وكيف يعلو دينه على
سائر الاديان وفضائله وفضل اصحابه وامته على سائر الامم ووجدت ان بعض الناس
فيه اليهود والنصارى ووجدت في شيء انه ان الله سبحانه كان يوصيه على اصحابه
وعلى من امره وتبعه وكانت بغيته اليتيم والمسكين فهل كان ذلك ام لا
فقال ابو عبيدة اللهم نعم هو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم كانت اليهود
تبغضه وتقلب قبله اشد الكلب فعصمه الله منهم وحفظه حتى قضى عليهم واخذ
حصونهم وقتل ابطالهم ورجالهم وصاروا تحت ذمته واما وصيته على اصحابه
ومن امره وتبعه فقول الله عز وجل واخفض جناحك لمن اتبعك من المومنين وقال
الله سبحانه في اليتيم والمسكين فاما اليتيم فلا تقهر واما السائل فلا تنهر
واما قولك يموت ابوه وامه ويكفله جده وعمه فقوله تعالى الم يجدك يتيما
فآوى ووجدك ضالا فهدى فقال يوقنا وما تفسير هذا او كيف يصفه بالضلالة
وهو عنده معظم مفضل على جميع الناس من الانبياء والرسل والملائكة فقال ابو
عبيدة معاذ الله ان يصفه بالضلالة معناه ووجدك ضالا اي ظالا في تيه محبتنا
بتعريفناك الى مشاهدتنا وسهلنا عليك الوصول الحضرة في بنا ومعنا
الى منازل مكاشفتنا وفيضا ووجدك حائرا في بحار الطلب على مراكب العطب
فآواك الى سواحل الحق وفي بك الى حقائق الصدق وايضا انكرت فغلبك على
عبرة الاعتبار وتفقه في فيافي الاستخبار كاشفا في عيون الاستبشار سائرا فيها
عن ساعة الوصول والتلاقي وليس لك منا خبر ولا معك منا اثر حتى الفينا لك لوائح
الامر وكشفنا لك عن وابل الغطاء اما علمت يا عبد الله انه لا كنز عند المومن
ازكى من العلم ولا مال اربح من الحلم ولا حسب اشر من الغضب ولا قرين ازين من
العقل ولا رفيق اشين من الجهل ولا شرف اعز من التقوى ولا كرم اوفى من ترك الهوى
ولا حسنة اعلى من الصبر ولا رسول اعدل من الحق ولا دليل افصح من الصدق ولا فقر
اذل من الطمع ولا غنى انمى من القناعة ولا حياة اطيب من الصحة ولا معيشة
اهنأ من العافية ولا عبادة احسن من الخشوع ولا زهد احسن من الورع ولا حارس

صح مقام

احق من الصمت وللغائب اقرب من الموت واعلم ان الدنيا سجن المومن
وجنة الكافر والقبر مضجع المومن والخلوة مجلسه والاعتبار ذكره والقرآن حديثه
والله انيسه والذكر رفيقه والزهد قرينه والحزن شانه والجوع ادامه والحياء
شعاره والحكمة كلامه والتراب فراشه والتقوى زاده والصمت غنيمته والصبر
معتمده والتوكل حسبه والعقل دليله والعبادة حرفته والجنة داره فلما
سمع يوفنا هذا الكلام من ابي عبيدة تهلل وجهه فرحا وقال والذي بعث محمدا
بالحق بشيرا ونذيرا انها المكتوبة في كتب ابي يوفنا رحمه الله وهكذا والسم
في انها البارحة في كتبه ويذكر انها وجدت على حاشية التوراة والان والله
لقد رسخ دينكم في قلبي وعلمت انه الحق وساقبل عليه وافارق اعدائي كم وامم
ما اسلف من ذنوبي فقال ابو عبيدة الحمد لله على نعمه التي لا تحصى قال نبينا محمد صلى
الله عليه وسلم من اعطي اربعا لم يحرم من اربع من اعطي الدعاء لم يحرم من الاجابة وهو
وفي بيان ذلك قوله تعالى لئن شكرتم لازيدنكم ومن اعطي الاستغفار لم يحرم من
المغفرة وفي بيان ذلك قوله تعالى استغفروا ربكم انه كان غفارا ومن اعطي
التوبة لم يحرم القبول وفي بيان ذلك قوله تعالى وهو الذي يقبل التوبة عن عباده
ويعفوا عن السيئات ويعلم ما يفعلون واعلم يا يوفنا انك اليوم منا لك
ما لنا وعليك ما علينا وانك اليوم عار من الذنوب كيوم ولدتك امك قال الله
تعالى على لسان نبيه مخاطبا لخلقه قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد
سلف ثم قال له ابو عبيدة يا عبد الله دلنا ابن نسيبي فقال له يوفنا اعلم ايها
الامير ان ههنا حصن يسمى اعزاز وهو حصن منيع قوي بالمال والرجال
والعدد والعديد وعليه ابن عم لي يقال له دارم ابن بشر وهو صاحب شرة وباس
وقوة ومكر وهو جليد في الحرب قوي في الضرب فان انتم لم تكفوه وسرتم الى
انطاكية فلابد ان يغير على بلادكم ومن يعود منكم من حلب وقنسرين
وعين تمر ويريهم شرا فيفسد البلاد ويهلك العباد فقال له ابو عبيدة
وكيف الحيلة عليه يا يوفنا فقال له يوفنا اصلح الله الامير اني قد دبرت حيلة
وارجو من الله تمامها فقال له ابو عبيدة قل افتح الله لسانك بالصواب فقال

حسنا

له يوفنا

له يوقنا انى رايت من الراي ان اركب جوادى ونضم الى مائة فارس من المسلمين
ويكون عليهم زي الروم ولباسهم واتقلدوا اذا بهم ثم تقعد امير من امراء العرب فمعه
الف فارس من عندنا والخيل من ورائنا وانا في المقدمة مع المائة ويكون بيننا وبينهم
مسيرة على فرسخ كانا نهاربون منهم اولئك الالف في طلبنا فاذا اشرفت على
حصن اعزاز اصيح بصاحبها والقى له الصوت الذي بيننا بالاستغاثة فاذا نظر
الينا صاحبها فاذ رئيس فلا بد ان ينزل الينا ويتلقانا ويسالني فاذا سالني فاخبره
انا اسلمت لكم كبيرا وخرجت منكم نهاربا وهاؤلاء العرب في طلبنا فاذا سمع
ذلك مني فلا بد ان يصعد بنا الى القلعة وليكن صاحب الالف فارس مكمنا بالقرب
منا في قرية في بيته من القلعة تسمى ميرة فاذا كان نصف الليل وثلثه الاخر خرجنا
في وسط الحصن ونصيح باهله ونضع السيف فيهم فاذا كان عند في الصباح
او عند طلوع الفجر يلحقنا صاحبك بمن معه **فلما سمع** ابو عبيدة ذلك
منه استشار المسلمين في ذلك **فقال له خالد بن الوليد** ومعاذ بن جبل
يا امين الامة ان هذا الراي راي حسن مصيب ان لم يغدر الى ان يرجع الى دينه فقال
ابو عبيدة ان ربك لبالمرصاد **فقال يوقنا اما والله** يا معشر المسلمين
انما رجعت عن ديني الى دينكم الا وقد ذهب من قلبي ما كنت اعلمه من الصور
والصلبان ولا بقي في قلبي شك ولا سوء ثم ثبت في دينكم عند الله بحمد الله عز وجل
وقد سكنت محبته ومحبة محمد صلى الله عليه وسلم في قلبي وقد رايته في منامي
وعاينت صفته ومعي انه في منامي ويقظتي فان كنتم تظنون بي ظنا كاذبا
فلا تنكروا لما قلت وذكرته لكم فقال له ابو عبيدة يا عبد الله ان اردت نصح
المسلمين في شيء فلتنه كان الله لك معينا وناصرا في كل ما تحاوله وما تناوله
وان انت خالفت وعملت بعكس هذا بعكس نقمة الله من ورائك بالمرصاد
فاتبع الصدق تنجوا به في الدنيا والاخرة فان دينا ما بني الا على الصدق فاتبع
سنن اخوانك المسلمين واعلم ان المؤمن الصادق قوته ما يحيى ولباسه ما يستر
وسكنه ما وجد فلا يغرنك ما تركت من امارتك وملكك وزينتك
ونعمتك فان امارتك التي تركت وزينتك التي كانت لك تبقى لك

وتبقى كما وملكك الذي كان لك كان الدنيا والنعيم الدائم هو الذي انت
عليه قادم وله طالب لان نعيم الدنيا فان ونعيم الآخرة باق ودائم لا ينقطع ابدا
واعلم يا يوقنا ان المسيح على نبينا وعليه الصلاة والسلام قال عجبت لثلاثة
غافل وليس بمغفول عنه ومؤمل الدنيا والموت يطلبه وباني القصور والقبر
مسكنه ثم ان ابا عبيدة لما وعظ يوقنا سرحه الى اعزاز مع مائة رجل من ابطال
المسلمين ونفر من ورائهم العامر مالك الاشتر النخعي واوصى الجميع
وعن عاصم بن قبيصة اليشكري عن يونس بن عبد الاعلى قرأته عليه عن
سليمان بن يوسف عن جده عامر بن اوس قال كنت كثيرا ما اعجب الرو
الذين يدخلون في ديننا وخالطهم في ايمانهم يجاهدون ويحتسبون ولم ار فيهم
احدا كثيرا ولا اشد باسا واخلص نية في الجهاد ولا اعظم رغبة من يوقنا
رضي الله عنه ورحمه في قتال الروم ولقد فعل في الروم ما لم يفعله احد ممن دخل
في دين الاسلام ولقد نصح المسلمين وارضى رب العالمين وجاهد في سبيل الله
اعداء الله الكافرين وقاتل ابطال المعتى كثيرا وذلك انه لما وعظه ابو عبيدة بوع
ظه ووجهه مع من ذكر ضم اليه مائة رجل من المسلمين من قبائل العرب والعجم
في زي الروم وزيهم ولباسهم وكانت على عشرة منهم من قبيلة من قبائل العرب
من طيء وعشرة من نخع وخزاعة وسنبس ونمير وحضرموت وحمير وباهلة
وتميم ومراد وجعل على كل عشرة منهم نقيبا فنقيب طيء خزعل بن عاصم
ونقيب تميم مرة بن مزاحم ونقيب خزاعة سالم بن عدي ونقيب سنبس
بن سنان ونقيب نمير اسير بن حازم ونقيب الحضارمة ماجد بن عمير ونقيب
حمير ذو الكلاع الحميري ونقيب مراد مالك بن قياض فلما رتبهم ابو عبيدة هذا
الترتيب قال لهم اعلموا رحمكم الله اني مرسلكم ومسيركم مع هذا العبد الذي
باع نفسه من الله عز وجل وقد قبلها الله ورسوله وكل طائفة منكم قد جعلت
عليها نقيبا منكم وقد وليته عليكم فاسمعوا له واطيعوا ما دام على طاعة
الجبار ومرضات الله عز وجل وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فقالوا نعم
ايها الامير ثم انهم لبسوا الذي تقدم ذكره من زي الروم وركبوا خيول الروم

وسار يوقنا على المقدمة وعليه زينة كفره وملوك الروم وساروا معه فلما جاز
الجيش نهر سيحم وبعد بقي منهم دعا ابو عبيدة بمالك الاشتر النخعي وضم اليه
الف فارس من قومه وقال له يا ابن الحرث سر في اثر هذا العبد وانظر ما يكون اليه
امره فاذا اخرجت من حصن اعزاز فاكمن الى وقت السحر ثم تقدم الى اخوانك
الذين مع يوقنا فسر وفقك الله وسدد رايك فسار مالك الاشتر من ساعته
ورفقته على مقدمة الالف وساروا بقية يومهم اجمع حتى جن الليل عليهم فلما جن
عليهم الليل وصلوا الى قرب اعزاز واذا هم بقرية مبنية فوجدوها وهي خالية من
السكان فكمنوا فيها هنالك واما يوقنا فانه اخذ على الطريق الجادة وسار
يطلب اعزاز مع المائة وعن الشعبي عن مازن عن جده خزعل بن عامر الكلابي
وهو احد النقباء العشرة من المائة التي سارت مع يوقنا الى اعزاز قال كنت في خيل
يوقنا التي بعثها معه ابو عبيدة الى اعزاز فلما اشرفنا على مدينة اعزاز اقبل
علينا يوقنا وقال لنا يا فتيان العرب قد وصلنا بلد العدو فاياكم ان يتكلم منكم
احد فان لغتكم لا تخفى على الروم وانا هو المترجم عنكم وكونوا على يقظة
من امركم فاذا رايتموني قد فتكت بصاحب هذه البلدة فثوروا على اسم الله تعالى
وليس عندكم خوف من جهة العدو وما عندكم من المكر واما يوقنا فانه سار بمن
معه حتى وصل الى حصن اعزاز بن جرط ابن عمه فدا اخذ على نفسه وحصن بلده
وجمع جنوده والسهم [illegible] الة الحرب وضعهم خارج الحصن وكان اللعين بن كيد في
اربعة الاف فارس من الروم والف من العرب المتنصرة غير ما انجلى اليه من اهل ا[illegible]
بلده واهل ناحية حتى كثر سواده فلما قدم يوقنا لم يرهبه بشيء من امره
بل استقبله حاذرا بفرسه وترجل اليه حتى كاد يقبل ركابه وكانت في يده سكين
قاطع فقطع به يوقنا حزام السرج ثم هزه هزة ونتره نترة واخذ به على ام
راسه واطبقت الاربعة الاف من اصحابه الروم والالف من المتنصرة وغيرهم
على المائة فارس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يمهلوهم حتى اخذوهم
قبضا بالكف وشدوا وثاقهم كتافا ونصو دام بفرح وجه يوقنا وضع
قفاه وقال له قد غضب عليك المسيح وابعدك الصليب اذ دار فيك دينك

ورجعتما مع اعرابك فوحق المسيح لا بد لي ان ابعث كتابا الى الملك الاعجم
ولا يعشك اليه فيصلبك على باب انطاكية بعد ان اضرب رقاب هؤلاء
العرب الذين معك ثم صعد بهم الى القلعة وهو في حر الكرب بدر الغيب كيف
يشاء **وكان الاصل في ذلك** ان داد ربيس كان له جاسوس فلما
سمع ما تناجاه يوقنا مع ابي عبيدة من الحيلة والمكيدة التي دبرها
عليه وكتب بذلك اليه وكان من خيرة الله للمسلمين انه لم يكتب الجا
سوس لصاحب اعزاز غير دم مالك الاشتر في الف فارس وانما كتب له بامر
يوقنا رضي الله عنه ومن معه خاصة **وعن يعمر** بن عبد الجبار وكان ممن
يكتب اخبار فتوح الشام ويبحث عنها **عن الاكوع** المازني **قال كنا**
مع مالك الاشتر النخعي في جملة الالف فارس حين سار في اثر يوقنا الى حصن اعزاز
فسرنا في اثر يوقنا حتى اذا كنا في بقعة قرية كمنا فيها واقمنا ننتظر بها
الصباح فاذا نحن على حالنا كذلك واذا بخمس من ورائنا في ابنا مالك الاشتر
وقد قصد للخمس فغاب عنا غير يسير ساعة ونحوها واذا به قد اتى وعاد الينا
ومعه رجل من العرب المتنصرة وقد اقبل وهو بين يديه فلما توسط به الكمين
قال يا فتيان العرب اسالوا هذا الرجل واسمعوا ما يقول لكم فقلنا له وما الذي
يقول قال المسلوك فهو الذي يخبركم فسالناه وقلنا له من اي الناس من العرب
انت فقال لهم انا من غسان من بني عم جبلة بن الايهم فقال له مالك الاشتر
ما اسمك قال كارو بن سنان فقال له مالك يا كارو سالناك بحق ذمة العرب
الا تكتم عنا خبرا نعلمه من اعرابنا فقال والله لا كتمتكم خبرا اعلمه ولا
كتمتكم خذوا على انفسكم قبل قدوم عدوكم عليكم فقال له مالك الاشتر
النخعي وكيف ذلك فقال كارو بن سنان البارحة جئتم تريدون خديعة
اعرابكم وقد مكروا بكم فقال له مالك وكيف ذلك فقال له البارحة
ورد عليه جاسوسه وهو عصبة بن عم وصة وقد سمع ما تناجيتم به
البارحة من الحيلة الذي دبرها يوقنا على صاحب اعزاز فلما سمع جاسوسه
ذلك اتى الى المدينة من حينكم كتب له بطاقة رقعة وربطها في جناح حمام معودة

عندك لمثل هذه الامور وارسله الى صاحب اعزاز اليوم قبل صلاة الظهر فلما
قراه بعثني الى صاحب الدواوين واسمه لوقا بن مساميس يستنجده عليكم وقد
بلغت اليه الرسالة وها هو قد قدم الى صاحب اعزاز اغاثة له عليكم في خمس
مائة فارس وكانكم قد قدم عليكم واقبل اليكم فتاهبوا لقتاله فلما
سمع مالك الاشتر قول المتنصر طارق بن سنان اخذ على نفسه وامر اصحابه
باخذ الاهبة فتاهبوا واخذوا على انفسهم واستوثقوا من المتنصر كتافا
واقاموا ينتظرون صاحب الدواوين لوقا بن مساميس فلما مضى نحو ربع من الليل
سمعوا قعقعة اللجم ودوي الخيل فلم يكلمهم مالك واصحابه حتى توسطوا
الخيل فعندها اطبقوا عليهم مالك الاشتر وصاح بهم المسلمون وسار كل اثنين
منهم لفارس واحد من الروم فاخذوهم اخذا بالكف واوثقوهم كتافا
ونزعوا ما كان عليهم من الثياب والسلاح ثم قسم مالك جيشه
نصفين فترك نصفه وهم خمسمائة فارس مع الاسارى واخذ معه نصفه وهم
خمسمائة فاخذوا ثيابهم ولباسهم فلبسوها وحملوا راياتهم وصلبانهم
كما كانت ثم التفت مالك الاشتر الى المتنصر طارق بن سنان وقال له يا
طارق هل لك ان ترجع الى دين الله عز وجل دين الاسلام ودين نبيه محمد عليه
الصلاة والسلام ونصفح عنك ما سلف من الكفر والضلالة بالايمان وتكون معنا
في الله تعالى ورسوله من جملة الاخوان فقال الغساني والله ان قلبي عندكم
وغرضي في دينكم واني كنت اول من اسلم مع ملكنا جبلة بن الايهم على يد
عمر بن الخطاب وقد سمعنا عن النبي عليه السلام انه قال من بدل دينه فاقتلوه
فقال مالك الاشتر لقد صدقت في قولك ولا تسمع لهذا الحديث فقول الله عز وجل
الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات ولقد
قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان قد قتل عمه حمزة بن عبد المطلب رضي
الله عنه ونزلت فيه هذه الاية فلما سمع الغساني من قول مالك
الاشتر قال اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له
واشهد ان محمدا عبده ورسوله فقال له مالك قبل الله توبتك

وثبت ايمانكم ثم قال له مالك يا عبد الله انا قريب منك الان ان تذهب الى صاحب
اعزاز وتبشره بقدوم صاحب الزواري في خمسمائة فارس الى نصرته فقال له
الغساني نعم سافعل ذلك ان شاء الله وان كنت في شك من امري فابعث معي
رجلا تثق به ويسمع ما اقول فان الليل قد انتصف والحي من الديلم نيام وابواب
القلعة مغلقة وانا اخاف عليهم من شيعتي الخيمة قائم من خارج القلعة فبعث مالك
الاشتر معه ابن عمه راشد بن قيس واوصاه ان يكون يقظانا فسار جميعا الى حصن
اعزاز فوجدوا الحي من شعيب نياما والبتة موجودا والقوم نيام بعضهم ونهضا
ووقفا والصوت عالي في وسط الحصن فقال كادر الغساني لراشد النخعي
اما ترى هذه الاصوات الا اصوات قتال وحرب ثم انصتا قليلا واذا بالقتال
والحرب قد اعلى في الحصن والامر على ما قال كادر وبن سنان **فلما سمع** الغساني
ورأى القتال عاد الى مالك الاشتر وحدثه بما سمع في حصن اعزاز فقال
لاصحابه وهم الخمسمائة التي كانت معه قد لبست زي العرب ان اركضوا الخيل
واسرعوا ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم واوصى الخمسمائة الاخرى ان تقيم
مع الاسرى حتى ياتيهم امره **قال** فركضوا الخيل واسرعوا الى ان وصلوا
الى اعزاز فلما وصلوا الحصن بهم ابن داعر رئيس جراتهم لاوزعون انهم المسلمون
فامر غلمانه ان يفتحوا باب الحصن ففتحوه وفعلوا ما امرهم به من ذلك فعند
ذلك قال لهم هذا صاحب الزواري قد اقبل لنصرتنا ودخل مالك الاشتر
واصحابه المدينة فلما حصل مالك واصحابه في اعزاز اعلنوا بالتهليل والتكبير
والصلاة على النبي البشير النذير ونظر اهل اعزاز الى ما حل بهم وانهم قد هلكوا فالقوا
السلاح من ايديهم وصاحوا العفو العفو يريدون الامان الامان فامر مالك الاشتر
ان يرفع عنهم السيف فرفع السيف عنهم واخذوا جميع ما كان في الحصن واحتووا
عليه فاخذوا الاموال غنائم واهله اسارى وبعث مالك الاشتر الى اصحابه
الباقين مع الاسارى الخمسمائة فجاءوهم وشكر ليعقوب ومن معه وفعلهم
فقال لهم بورقنا يا معشر المسلمين اشكروا الله عز وجل واشكروا هذا
الغلام يعني لاوزشم حدثهم بقصته وفعله فشكر له مالك الاشتر فعله

وصنعه

وصنعه وعظيم قدرته وبديعه وقال اذا اراد الله امرا هيا اسبابه ومن يتوله
يجعل له من امره فرجا ومخرجا **وكان الاصل في ذلك** ان ادريس
ابن عم يوحنا فكان يبعثه في كل وقت بالهدايا والتحف وفي الاعياد وغيرها
الى ابن عمه يوحنا فكان يقيم عند يوحنا في خلعته حلب الشهر والشهرين
ثم يرجع الى ابيه فكان ذلك دابه فحضر عنده في بعض الاوقات في عيد
الصليب فدخل في بعض الايام في البيعة التي هي الجامع بنت ابنة يوحنا في
حسنها وجمالها مع جواريها وخدمها فاعجبته وشغفته حبها فوقعت
في قلبه موقعا كبيرا واحبها حبا شديدا وكتم امره حتى عاد الى اغزاز
فلما رجع الى ابيه شكا اليه امره الى امه فقالت له امه اذا علم بذلك اباك
واخافته في امرها وامره ان يبعث الى خطابها يخطب من عمه يوحنا فلعله ان
يزوجك اياها فاشتغلت قلوبهم بمعنى الحرب بالى فتنى عن خطب فلما كان
من امر يوحنا ما قدره الله سبحانه وتعالى واراده من اسلامه وحيلته التي
دبرها على ادريس ووصل الخبر اليه بذلك احتاط لنفسه فلما قدم يوحنا
على اغزاز وكان من امره ما ذكرنا من قبض ادريس عليه وعلى من كان معه
من اصحابه فكان من حكمة الله سبحانه وتعالى وخيرته للمسلمين ونصره لهم
واظهار دينه على سائر الاديان ان سجن ادريس يوحنا ومن معه والقاهم
في دار ولده الاوزوا وحاطوا عليهم تلك الليلة حتى اذا اصبح الصباح يفعل
بهم ما يريد وكان من امر يوحنا واصحابه امر عجيب **فقال** الاوزو حود بن
ادريس ان هذا الفتى يوحنا هو اعلم من وليه بالاديان ولولا انه ذو الحق مع
هؤلاء الروم ما تعصبوا في دينهم وايضا ان الملوك النصارى ابيه لم يقم
بحق بهم وانهم لمنصورون على ضعفهم ومع ذلك فان قلبي متعلق بابنته
واذا رأى من الراي الاشير ان احل وثاق هؤلاء القوم وارجع الى دينهم ولا اشك
انه دين الحق فلعلي ان انال بذلك العز وان يزوجني ابنته **فلما** حرقته
نفسه بذلك اقبل على يوحنا وجلس بين يديه **وقال له** يا عمي اني قد عولت
ان احلك من وثاقك انت واصحابك ممن معك واختاركم على ابي وامي وعشيرتي

وحالي وولدي وانت تعلم ان مفارقة الاهل والاباء والوطن صعبة ولاكن
الايمان اقوى من الكل وقد تيقنت ان هؤلاء القوم دينهم صحيح وانا افعل
كما فعلت انت ولاكن على شرط ان تزوجني ابنتك والمهر الذي تاخذ مني
هو عتقك وعتق اصحابك فقال له يوقنا يا بني ان كنت معولا على الدخول
في الاسلام فلا يكن لاجل غرض من اغراض الدنيا فان عولت على فعل ذلك فليكن
فعلك خالصا لله فيعفو عنك الله فيما تفعل ويثيبك الله عليه وانا
ان شاء الله ابلغك ما تطلب ومن يردونا عن الدنيا والاخرة فقال الاوز
اما انا فاشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول
الله وما جاء به حق ثم انه حل يوقنا من وثاقه وحل اصحابه معه من وثاقهم
وناولهم السلاح وقال لهم ثوروا على اسم الله وبركته وها دونكم ومن في القصر
وانا امضي الى ابي فاضرب عنقه في طاعة الله عز وجل ورضا له ومضى الاوز من عند
وقصد الى قصر امارة ابيه لينجز ما قال ويقطع راسه فلما دخل وجد اباه
جالسا على سريره وخدامه واخوته حوله فقال لهم من فعل بي هذا فقال له
نعم فعلت بي ذلك فقال لهم ولم فعلت بي ذلك فقال له ان ذلك بين يدي
الله العظيم سبحانه وقد سمعنا ما اخبرتنا به مع يوقنا واصحابه
فخفنا عليك الا يتم لك ما تريده وان يبلغ الخبر لابيك قبل ان تفعل ما اردتنا
فيقتلك فيكشفنا به قبلك فجزاهم الاوز بذلك ورجع الى يوقنا واصحابه
واعلمهم بما جرى من ذلك فرفعوا اصواتهم بالتهليل والتكبير والصلاة على
البشير النذير ووضعوا السيف في القوم ووقع الصياح والضجيج في القصر
وتبادرت القوم تفاقم البر الى قتال الموت ووقف الاوز على القصر من
فوق الباب وامر غلمانه ان يقفوا عند الباب من داخل وفي تلك الساعة
قدم كارق بن سنان الغساني والاشتر بن قيس بن عم مالك الاشتر النخعي
فلما وصلا وعلما امر القتال عادا الى مالك الاشتر الكبير واعلماه بذلك فجاء
مسرعا وفتح له الباب الاوز ودخل مالك كما تقدم ذكر ذلك كله
وعن ابي عتبة صفوان بن عمرو عن عبد الرحمن بن جبير عن ابيه قال سالت رجلا

وهو ابو

وهو ابو لبابة بن المنذر وكان ممن حضر فتوح الشام فقلت له كيف كان قتل
داذ ربيس صاحب قلعة اعزاز فان نفسي تابى ان تقبل قول العرب واريد ان اخذ
عنه قال لما وضعت الحرب اوزارها وضم مالك الاشتر النخعي الاسارى
والسبي والاموال واواني الذهب والفضة وامر بذلك كله فاخرج الى ظاهر
اعزاز ووكل به قيس بن سعيد وكان ممن حضر اليرموك وكان قد اصابه سهم
فعور عينه وكذلك ابو لبابة بن المنذر وكلاهما حضر ابن رآ مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم فلما الربيو اخربنا اعزاز قام مالك يمشي في العسكر
يتفقد فرءا داذ ربيس مقتولا وكان ذا جثة عظيمة فلما راى داذ ربيس
مقتولا قال من قتل هذا اللعين فقال له لاون قتله اخي لوقا وهو اكبر مني
سنا فامر مالك باحضاره وقال له لم قتلت اباك وما الذي حملك على قتله
وما سمعنا ان احدا من الروم قتل اباه سواك فقال له حملني صحة دينكم
وذلك انه كان عندنا في بيعة هذا العسكر قس من المعمرين كنا نقرا عليه الانجيل
ونتعلم علم الرومية فاني كنت عنده يوما من بعض الايام في الكنيسة
وليس عنده سواي فقلت له يا ابانا الا ترى الى بلاد الشام وكيف استولت
عليها العرب وملكوا اكثرها وهزموا ملوكها وما كنا نظن ان العرب
تقدر على ذلك وليس في الامم اضعف منهم وقد نصروا على ضعفهم فقال
قد رايت ذلك في كتب الروم وملاحم اليونانيين انه لا بد فقال لي يا بني نعم قد
رايت ذلك ولقد اخبرني الملك هرقل بذلك قبل وقوع هذا الامر وقد جمع
اليه الملوك والبطارقة والقسيسين والاساقفة واخبرهم ان العرب لا بد
لهم ان يملكوا ما تحت سريره وقد بلغنا عن نبي القوم انه قال زويت لي الارض
فرايت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امتي ما زوي لي منها فقلت له يا
ابانا فما تقول في نبي القوم قال يا بني ان في كتابنا ان الله سبحانه وتعالى
يبعث نبيا عربيا من الحجاز وقد بشر به المسيح صلوات الله عليه ولا ادري
هل هو هذا ام لا فعلمت انه يكتم الامر مخافة ان اذيعه عنه فكتمت
عنه اياما فقال لي من الامر الى البارحة فلما رايت يوقنا واصحابه اسارى

قلت في نفسي لعل يوقنا قد قتل اخاك يوحنا وعاين العرب وقاتلهم ثم رجع
الى دينهم وما ذلك الا انه قد علم ان دينهم هو الحق لا مرا فيه فقلت اقتل ابي
واخلص يوقنا واصحابه وارجع الى دينهم دين محمد عليه السلام فهو الحق الذي لا شك
فيه فلما نام ابي وهو ثمل من الخمر قتلته وسرت الى خلاص يوقنا ومن معه
فوجدت اخي للاوز قد سبقني الى حله فقال له مالك الاشتر يا غلام لم فعلت
ذلك فقال محبة لكم ولدينكم ولنبيكم وانا اشهد ان لا اله الا الله
وان محمدا رسول الله حقا فقال له مالك فبارك الله فيك ووفقك انت منا
وعليك لك ما لنا وعليك ما علينا وعن عبد الملك ابن محمد عن ابيه
عن جده عبد الواحد بن عون عن موسى بن عمران البعلبكي عن حميد الطويل قال
هكذا حدثنا عبد الله بن قرط الازدي ان اعزاز كان فتحها هكذا وما
ذكر من ان المراة وبناتها هن اللواتي قتلن داود بن لم يعلم من ذلك شيء
عندنا والصحيح هو ما ذكرناه ثم ان مالك الاشتر خرج من الحصن وقد
ولى عليه سعيد بن عمرو الغنوي وترك معه المائة الذين كانوا مع يوقنا
فلما خرج اراد ان يرحل الى حلب بما معه من الغنائم والاموال فامر بتسيير
اعزاز جميع ما فيه وجعل يبرح به فاذا فيه الف رجل من فرسان الروم وما
ومائتان وخمس وان بعبيد رجال من مشايخهم ورهبانهم والف امراة من البنات
الشابات والنساء ومائة وثمانون عجوزة ولما اهل عسكرهم ومن كان
يقاتل وهي كما مع صاحبهم جماعة منهم خلق كثير وبقي اكثرهم من غير
عدد ونظر مالك الى شيخ من الرهبان مليح الشيبة واضح الهيئة فقال
ان صدق حزري وظني فهذا هو القس الذي ذكر لي لوقا اخو للاوز ثم دعا
بلوقا وقال له هذا هو الشيخ الذي حدثك بذلك الذي حدثتني به قال نعم
فقال للشيخ اذا كنت من علماء اهل دينك في زمانك فكيف تكتم الحق فقال
والله ما كتمته عن مستحقه ولكن خفت من الروم ان يقتلوني لان الحق ثقيل
فقال له مالك افلا ترجع الى ديننا فقال له القس لست ارجع الى دينكم حتى
اسالكم عن مسائل وجدتها في الانجيل فقال له مالك الاشتر هات مسائلك

لا اسمعها

اسمعا وانظر ما هي فلما اراد الفرسان فتكلم بعضا ووقع الصياح باعلى الحصن
فارتاع المسلمون لذلك ووثب مالك لينظر ما بال المسلمين وكنا ان الروم
قد غدروهم واذا الجماعة من المسلمين يقولون خذوا على انفسكم فانا نرى غبرة
على نحو منبج وبزاعة ولا ندري ما هي ولا ما تحتها فركب مالك الاشتر ومن
معه واقبلوا نحو الغبرة ينظرون ما الذي دهاهم واذا بالغبرة قد لاحت لهم
ومن تحتها خيول العرب وامامهم السبايا والاموال والغنائم والرجال مشدو
دون وهم يتوقون كتافا فنظر مالك ومن معه الى ذلك وتاملوا العسكر
واذا هم الفوارس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقدمهم الفضل بن
العباس في الجيش وقد بعثهم ابو عبيدة فاغاروا على منبج وقدورها
وبزاعة ورستاقهما فوقع التكبير في الجيش وسلم مالك الاشتر على الفضل
بن العباس وسلم هو عليه وسلم المسلمون بعضهم على بعض وسال الفضل
بن العباس مالكا عن قصته فاخبره بالقصة كلها وحدثه ان الله سبحانه قد
يتم علينا حصن اعزاز واذل كل من كان فيه وحرقته بايدي المسلمين وبوقنا وقال
له ما منعنا من الرحيل الى ابي عبيدة الا هذا القس وسواله **فقال**
له الفضل بن العباس ايها القس قل ما عندك وما انت قائل فقال له القس اي
شيء خلقه الله تعالى من مخلوقاته قبل خلق السماوات والارض **فقال له**
الفضل بن العباس اول ما خلق الله قبل السماوات والارض من مخلوقاته اللوح
والقلم وقيل العرش والكرسي وقيل الوقت والزمان وقيل العدد والحساب
وقيل خلق الله عز وجل اولا جوهرة فنظر اليها بعين الجلالة فذابت ثم نظر
اليها بعين الهيبة فصارت ماء فخلق العرش منه لقوله تعالى عز وجل وكان
عرشه على الماء وقيل اول ما خلقه الله اولا العقل لانه اراد ان الخلق ينتفعون
به وقيل اول ما خلق الله نورا وظلمة ثم دعاهما الى الاقرار بوحدانيته فا
نكرت الظلمة بارادته ومشيئته واقر النور بفضله ورحمته فخلق الجنة من
النور بفضل منه وخلق النار من الظلمة بسخطه عليها وخلق الارواح ال
السعداء من النور وخلق الارواح الاشقياء من الظلمة ولذلك رجع كل واحد منهما

الى مستقر له ويقال ان اول ما خلق الله عز وجل نقطة فنظر اليها بعين الرحمة
والهيبة فتضعضعت وصبى بها الفا فجعلها مبتدا كتابه وسمى من
الف كتابه من نقطة وخلق خلقه من نطفة ثم يميتهم بنقطة ثم يحييهم
بنفخة فلما سمع الغسانيون ذلك من كلام الفضل بن العباس رضي الله عنه قالوا
اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فلما نظر اهل اعزاز الى قسيسهم
اسلم اسلموا كلهم الا قليلا منهم ورحل المسلمون بعد ذلك بما معهم
من الغنائم والاموال والاسارى الذين كانوا معهم الى حلب فقال القسيس يوقنا
اما انا فوالله ما لي وجه ارجع به واقبل به على المسلمين لاني قلت قولا ودبرت
حيلة فلم يتم ذلك على اعداء الله وانا معول على المضي الى انطاكية لاني
نصبت مكيدة على هرقل فلعل الله عز وجل ان ينصر دينه باعداء دينه
فقال له الفضل بن العباس ان الله سبحانه قال لنبيه عليه الصلاة والسلام
ليس لك من الامر شيء ولا تحمل على قلبك ما لا تطيقه فقال يوقنا وحق
من انا على دينه لا رجعت الا بامر يبيض الله به وجهي عند المسلمين
وعن شبل بن صالح عن جده مسروق عن عباد بن مازن عن عمران
بن الحصين قال لما فتح الله على المسلمين حصن اعزاز وتيقن مالك الاشتر
عليها سعيد بن عمرو الغنوي والتقى بالفضل بن العباس رضي الله عنهما
رحل من حينه ورجع هو والمسلمون بالغنائم والاموال الى حلب فلما اشرفوا
على المسلمين بحلب استبشر ابو عبيدة بالغنائم وشكر الله وحمده على
سلامة الناس وفرح بفتوح اعزاز وسال عن يوقنا فعرفه مالك الاشتر
بقصته وانه مضى الى انطاكية لينصب على الملك هرقل مكيدة وانه
قال ما لي وجه ارجع به الى المسلمين حتى افعل وانال المراد من العدو فقال ابو
عبيدة ان الكفر بالايمان لينصرنه الله عز وجل ثم كتب الى امير المومنين
عمر بن الخطاب رضي الله عنهما كتابا يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم
وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين الى امير المومنين عمر بن الخطاب من ابي
عبيدة عامر بن الجراح عامله على الشام سلام عليك ورحمة الله وبركاته فاني

كتب صح

احمد الله

احمد الله الذي لا اله الا هو واصلي على نبيه **أما بعد** فان الله تعالى قد من
علينا بمنه وانعم علينا بنعمه نستوجب بها الشكر والمزيد اذ فتح لنا ما
استصعب من بلاد الكفار وقلاعهم وحصونهم واذل لنا ملوكهم ونصرنا عليهم
واورثنا ارضهم وديارهم فان الله عز وجل قد فتح لنا قلعة حلب وارجو بقلعة اعزاز
عنوة وان البطريق يوقنا صاحب حلب قد اسلم وحسن اسلامه وصار لنا عونا على
اعداء الله **وقد** كتبت لك هذا الكتاب بعد الفتح ونحن مقبلون ان شاء الله على
المسير الى انطاكية ونقصد طاغية الروم فما بقي لنا سواه ونحن طامعون ان شاء
الله في اخذ سريره وكنوز ملكه وعرفنا نبينا محمد نبي الله ورسوله صلى الله
عليه وسلم فيرفدنا بالدعاء فانه سلاح المومنين ومنار الكافرين والسلام عليك وعلى
من معك من المسلمين ورحمة الله وبركاته ثم استخرج الخمس وسلمه الى رباح
بن غانم اليشكري وضم اليه مائة فارس من الانصار فيهم قتادة بن مغفل و
سلمة بن الاكوع وعمرو بن يسار وجابر بن عبد الله ومثل هؤلاء السادات
رضي الله عنهم فاخذوا الخمس والكتاب وساروا به يريدون مدينة رسول الله
صلى الله عليه وسلم **قال** فلما ورد الخبر على امير المومنين عمر بن الخطاب بكتاب
ابي عبيدة بن الجراح مع رباح بن غانم ومن معه وقع الصياح بقدومه وتسامع
اهل المدينة واجتمعت الناس اليه في المسجد من كل جانب ومكان ليسمعوا
ما تجدد وزاد من اخبار حلب حتى دخل رباح بن غانم وسلم على امير المومنين
عمر بن الخطاب وقبل يده وعرض عليه خبر الخمس واعلمه بفتحها فامسى برضى
عنه عمر ودفع له الكتاب فقراه على المسلمين فاستبشر الناس
وضجوا عند ذلك بالحمد والشكر وامر بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير
النذير رسول الله صلى الله عليه وسلم **وكتب** امير المومنين عمر بن
الخطاب الى ابي عبيدة بن الجراح رضي الله عنهما كتابا يامره فيه بالمسير
الى انطاكية ولا يصده عنها الكثير وسلم الكتاب الى رباح بن
غانم **قال** فاخذ رباح الكتاب من يده وسار يريد ابا عبيدة
ومن معه بالشام

ذكر خبر مسير يوقنا الى انطاكية لينصب
المكيدة على الملك هرقل وما كان من امره وما
يتصل بذلك من فتح انطاكية بيد ابن الجراح رضي
الله تعالى عنه وكيفيته خبر قصة اسره
قال القاضي ابو عبد الله محمد بن اسماعيل بن عمر الواقدي رحمه الله
وحدثني عامر بن يحيى عن بشر بن مسلم عن حازم بن عياش عن جده قال
لما اسلم اعزاز الاسلام فيهم وعوفي الفضل بن العباس ومالك الاشتر
ومن معهما من المسلمين على ان جبلوا ان يرجعوا الى حلب وقال لهم يوقنا اني
وجهت ارجع به الى المسلمين نفسي واليه واذا اقر عينه ما نال من بيتي واهل بيته
وبلده من سخن الابصار في قلوبهم وتمكن حبه منهم ولهم الاطفال والعيال
عليها فاخرجهم يوقنا وسار بهم الى ابن انطاكية وترك ازواجهم واولادهم
عليها رحمهم الله فلما كان من الليل جرد اختار منهم اربعة من بني عمه وقال
للباقين ان تعلوا انتم وخذوا على ارض عمواية كانكم هاربون من العرب
وامض انا وهؤلاء الاربعة على بغال الخيل وهي الخيل الافضل المارة التي
في سمعان المنشرفة على الجبل الاسود فسار يوقنا على تلك الخيل حتى خرج
هنالك خيلا فلما نظر والى يوقنا وما معه الاربعة بعث بادروا اليهم
واستخبرهم عن حالهم فقال لهم يوقنا انا صاحب يوقنا وقد هربت
فوكل بهم صاحب الخيل بوفرسانا من اصحابه وقال لهم ارجعوا بهم الى بين
يدي الملك فاخذتهم الخيل واتت بهم الى ان وقفوا بهم بين يدي الملك
يوحنا وهو في كنيسته وهو يصلي فوقفوا حتى فرغ من صلاته فاوقفوهم
بين يديه وقالوا له ايها الملك ان قد وجه صاحب الخيل عنده في سمعان
قد وجه اليك بهؤلاء القوم وهذا يزعم انه صاحب حلب فلما سمع هرقل
ذلك التفت اليه وقال له انت يوقنا فقال نعم قال من الذي جاء بك
وقد بلغني عنك رجعت الى دين العرب فقال له يوقنا ايها الملك لقد بلغك
عني الحق في ذلك ولكني لم اسلم الا كيدا لهم واسلم من كيدهم وشرهم

ومكرهم

غ بو

صح اهل

ومكرهم ومن كربة منكفي بهم ونتن الجيفهم وسوء عشرتهم واني قلت لهم
اسيروا الى اعزاز واقتل صاحبها لا حرمة منهم واشتهي فرصة فيهم فاخرجت
منهم مائة من ساداتهم وامرت امير بهرام ان يتغذى الى الف منهم حتى اذا دخلوا
في اعزاز نصبت عليهم المكيدة وجعلتهم في الحبس وانفذ بالكل اليك فجعل
علي داد بن ومر لم يدر ما ضمرت وتوجع اسوسه ولم يشوف فقبض علينا
وجعلنا في الحصن ولما وصل العرب الى اعزاز ونصبت الحرب على الحصن ودخلوا
حصنها عنوة ووضعوا السيف في اهلها وذا الكان لو قتل اباه داد بن بس
ودخل في دبر العرب وحل العرب امر وقافهم تخلنا في الجملة وبعثم احالي لاوزيانا
العصر للعرب بن خلوه فلما اشتغلوا في القتال والنهب والسبي فهربنا نحن
بن بنتنا اليك ايها الملك ولولا محبتي لو بي ما كنت بالذي اقتل افي بوحنا
واصبر على قتال العرب وحصارهم سنة كاملة ولولا ما فعلوه من الحيلة
التي دخلوا بها علي في قلعتي ما قدروا عليها ابدا واعافته البطارقة والحجاب
والملوك وصدقوا قوله وقالوا ايها الملك ما اتينا اقوى من قلبه ولا اصدق
من نفسه فقال بوقنا ايها الملك سيكفيك لك قولي وفعلي واجتهادي في
عملي وشغلي فاهتز الملك لقوله وخلع عليه ما كان يلبسه من زي المملكة
وسواره ومنطقته وتوجه وقال له ان كانت حلب اخرجت من يدك فاء اوليك
على انطاكية فانت سكينها وفي مستقفها بعي والبها وشيمها ف
فصفع له بوقنا وشكي له ودعا فبينما هم واذا برسول البطريق بن الموكل
بجسر الحديد وهو موضع هنالك قد وصل اليه وهو يقول ايها الملك انه قد
قدم علينا مائتان فارس من جيش حلب وهم يزعمون انهم من بني عم بوقنا
ويقولون انهم من بيت واحد من الروسية وقد نجوا من العرب فلما سمع
الملك هرقل ذلك قال لبوقنا ان كنت ايها السكينين والمستو واتني ف
على هؤلاء القوم فان كانوا من بني عمك واهاليهم فاضممهم اليك ليكونوا
في كابك وان كانوا من غيرهم فانبئ بهم لاري فيهم رايي واياك ان يكونوا
من قبل العرب في مصر حج على دينهم او دخل عدهم من اهل شيبي بن والي سبتو

وحمص وبعلبك وحوشبة ودمشق وحوران وغير ذلك من سائر البلاد فقال
يوحنا نعم ايها الملك فركب يوحنا وركبت معه الخيل قبلية واهل الشام وساروا
الى ان وصلوا الى جسر الحديد فوقفوا هنالك وامر يوحنا ان يعقدوا عليه فلما
رآهم يوحنا رحب بهم وقال لهم كيف خلصتم من ايدي العرب فقالوا له انا خرجنا
مع اميرين من امرائهم وغدرنا على منبج وذي اعنة فلما رجعنا نريد حلب اخذنا
على طريق حصن اعزاز بعد جرثما فتملكت فلما كان من الليل هربنا الى هنا
وجاءوا الملك يسمعون ويصغوا للملك وحرسه الحجاب بما سمعوا منهم فخلع
عليهم الملك وانزلهم واعطاهم دارا مع دار يوحنا بازاء قصره **وقال له**
ايها الملك انت تعلم ان هذه الدنيا لا يدوم نعيمها وان المسيح شبهها
بالجيفة وطالبها بمنزلة الكلاب يتجاذبونها **وكما روي** ان المسيح
رأى كلبا حسنا مزينا بكل زينة فنزع جلده فاذا هو اقبح من كل شيء فقال
له من رافقه قال ان الدنيا كالكلب ظاهره مليح وباطنه قبيح وانما ضربت لك هذا
المثل لانه ما خلا جسد من حسد واذا اقبلت الدنيا على احد كثر حساده
واخاف ان من الحاسدين ان يتكلموا عندك في جانبي بسوء ويرمونني
بما لا افعله من القبيح فينبغي وانقلب الملك عن جانبي وان اراد الملك ان يولي هذا
الامر لغيري وانا لست ابرح من كابه فقال له الملك ايها الدمستق ما وليتك
هذا الامر الا وقلبي واثق بك ومن تكلم فيك بسوء سلمته اليك تفعل فيه
ما تشاء وما زال يوحنا يقبل الارض بين يديه واراد ان يخرج الى الخدمة التي
وليها عليه **واذا** بخيل البريد قد اقبلت الى الملك بقول صور من عندنا يذكرون
انهم رسل من ابنته زيتونة وانها خائفة من العرب وانها تريد القدوم عليه
حتى تروح بقول امرها اليه وانها تسأله حين شاء يبعث اليها **فلما سمع**
الملك ذلك قال ليس لها الا الدمستق يوحنا فقبل الارض بين يديه وقال
السمع والطاعة فضم اليه الملك العساكر من الخيل والرجالة والقباطرة فسار
يوحنا بالعبيد والمائتين معه من [illegible] الى جسر السيف وبقيتهم الى ان اتوا
مرعش فاخذوا زيتونة بنت الملك وكانت هي الصغيرة من بناته وكان

ابوها

يوقنا الملك بعد قتله ولابها على تلك الارض وزوجها من نسطور وكانوا
يسمونه سيف الشجاعة وكان قد مات في احد اطابته يوم اليرموك وقبل كان
قتله خالد بن الوليد في البراز **فلما** اخبر يوقنا بنت الملك وعاد يطلب
انطاكية فاخذ طريقه على الجادة العظمى لعله ان يلتقي باحد من جواسيس
المسلمين او يرى احدا من المعاهدين فيبعث معه الخبر الى ابي عبيدة وانه قد تمكن
من انطاكية فلما كان في بعض الليالي واذا بالطوالع وهي الخيل التي على المقدمة
قد عادت اليه في سرعة البرق فقال لهم يوقنا خبروا ما وراءكم فقالوا ايها
الرستق العظيم انا اشرفنا على راس المرج واذا بعسكر نازل في وسطه وقد
تعسعسنا اليه واذا بهم خيل العرب وهم نيام وخيلهم تاكل علايقها وما
نشكو فيهم الا انهم خيل المسلمين فلما سمع يوقنا ذلك قال لاصحابه خذوا
على انفسكم وابقوا خواطركم وجاهدوا عدوكم وقاتلوا عن حريمكم
ولا تسلموها لاعدائكم وكونوا في حيز من قاتلوا عن نعمة صاحبهم فاذا استقر
الحرب بيننا وبينهم فاعملوا على الاسر واياكم والقتل واعلموا ان العرب
لا بد لهم من ان يقصدوا الملك مع امنهم فان اسرنا منهم احدا وجئنا بهم نعاديه
وكان لنا فيه صلاح وقد وجدت في بعض كتب الحكماء من تفكر في عاقبة امره
توشح بوشاح امانه ومن اهمل امره ضاق صدره ومن ارتكن الغدر حل به الامر
نبيا واعلى بركة المسيح فانتحوا الاسنة واتقوا الاعنة وقصدوا نحو
المرج فلما احس بهم الحي امرا فيقظوا اصحابهم وقالوا لهم انا نسمع قعقعة
اللجم ودوي الخيل ولا ندري من القوم فاستيقظ القوم وركبوا خيولهم وقصدوا
نحو الخيل فاستقبلوا يوقنا وقالوا من انتم اذكروا من انتم قبل ان تحكم
الصوارم في الجماجم فلما سمع يوقنا كلامهم قال لهم من انتم قالوا نحن من اصحاب
الملك الرحيم بن قل ورجال ملك العرب جبلة بن الايهم الغساني نسير اليهم
ونغير منا ولده الطاهر فلما سمع يوقنا ذلك ترجل اليهم اماوا اعطاهم ما قوى حلته
الا العار والمانيار وسلم يوقنا عليهم وسلم للروم على المنتصر فقال الطاهر
بن جبلة ليوقنا من اين جئت ومن اين اقبلتم قال من حمص وكرا قبت بابنة الملك

فمن اين جئت انت قال جئت من المدينة والعلف وقد جئت بالميرة الى اهلها
فلما رجعت الى ابن الملك عبدت بمرج دابق فالتقيت بكبكبة من الخيل وهم نحو
من مائتين فارس وهم منا فلما تشارفنا اقبلوا بادروا الينا حتى بشر بيده وعزم
جليد واذا بهم قوم لا يصطلى لهم بنار ولا يسكن لهم بجوار ولقد اباد منا رجالا وحرا
ابطالا ونحن في العدد من ما كان فينا الا كالنار في الحطب الى فوق فما زلنا نكر
عليهم ويكرون علينا حتى افنى منا المائتين بعد ان قتل البطال منهم الفارس منا
والفارسين والثلاثة وبقي امير لهم في اوائل القوم فقصدنا جواده بالسهام
حتى قتلناه ووقع فلما وقع بادرناه واخذناه اسيرا واستحيى منا القوم فاذا هم
من اصحاب محمد بن عبد الله نبي العرب ومقدمهم ضرار بن الازور بن كارق الكندي
وها هو معنا اسير نحمله ونسير به الى الملك ليفعل فيه ما اراد له يوقنا العلج
والقس وقال له وحق ديني لقد فتنت بالعجب العظيم فانه سمعت لعائذ العلام
ولقد بلغني ما فعل باصحاب الشام وما قتل من فرسان الصحابة وما جرى من ابطال
الروم ثم سار القوم يريدون انطاكية الملك وقلب يوقنا فرح وعينه قريرة

قال وكان الاصل في ذلك انه لما سار رباح بن غانم يخمس غنائم حلب
واعزاز وكتب ابو عبيدة الى امير المومنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه دعا
ابو عبيدة بضرار بن الازور والمائتين معه وسار معه سفينة مولى رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولم يزل ضرار يسير بقومه ومن معه ومعهم رجل من المعاهدين
يدلهم فلما وصلوا الى مرج دابق قال لهم المعاهد اعلفوا على خيلكم
واستريحوا ساعة فان بلاد العدو في بيوتكم فاذا كان وقت السحر غرتم
عليهم فقالوا نعم فنزلوا هنالك وعلقوا خيلهم وناموا فما شعروا الا والهاجم
برجله قد كبسهم فقام ضرار وركب جواده ومعه مائة من اصحابه وكانوا
في الغي من المائة الاخرى فما استيقظوا الا والخيل قد دهمتهم بعساكرها
ونفرت خيلهم عند وقوع الصياح فلم يقدروا على اخذها فقاتلوا رجالة وما
وصل اليهم عدوهم كل واحد منهم فارسا واثنين وثلاثة فكان يجتمع على
على الواحد منهم خمسة ثم امسى والمائة واما ضرار بن الازور فانه صام

باصحابه

لاصحابه وقال لهم يا فتيان تقولا اعداوكم قد هالها جموعكم على حين غفلة منكم
وهو عدو مثلكم وهذه افضل الساعات عند الله تعالى فقدموا عزمكم ولا
تفشلوا وانتم تعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الجنة تحت ظلال
السيوف وقد قال الله تعالى كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله
مع الصابرين قال سعيد بن عامر كنت فيمن خرج مع ضرار في تلك
السرية وكان فيمن خرج معنا في من جاء نحو رجل من العرب فكان يسمع كلامه
فلما سمع ضرار وهو يحرضنا قال يا فتيان العرب ان هذا يوم له ما بعده وقد
علمتم في به وتعده فلله جنة عرض السماوات والارض ولا كنها محفوفة
بالمكاره لن تنالوا الجنة الا بالصبر على تلك المكاره فوالله ما يدخلها من هو
في الجهاد كاره فقدموا العزم بصفاء نياتكم واياكم ان تولوا الادبار
فتستوجبوا بذلك غضب الجبار فوالله لقد نعشت نفوسنا
وانشطنا القوله وحملنا على المتنصرة وضرار يقدمنا وهو يقول

• الا فاحملوا على اللئام الكواذب • وروّوا سيوفا من دماء المعائب •
• وهبوا اعراضكم للمعظم في الورى • وارضوا به الخلاق رب المواهب •
• فمن منكم يبغي النجاة لنفسه • من النار في يوم الجزا والمتاعب •
• فيحمل في الاعداء حملة ضيغم • فامر رسول في الورى غير كاذب •

ثم حمل ضرار ونحن من ورائه فبذلنا سيوفنا فيهم واستنشبنا في المتنصرة
وجرى بيننا وبينهم من الحرب ما لا يوصف وضرار فيهم كالنار في الحطب اليبس
والعابد بن جبلة يتعجب من حملاته وضربه فامر قومه ان يقصدوا جواده
بالسنتهم وسهامهم ففعلوا ذلك فانصرع جواد ضرار ووقع الى الارض
فتكاثرت عليه المتنصرة فاخذوه اسيرا وشدوه كتافا واوثقوه وباكا
واخذوا بقية اصحابه وساروا يريدون انطاكية فالتقوا بيوقنا وابنة الملك
هي قد كما ذكرنا قبل تقدم وعن معمر بن رواحة عن موسى بن قاسم عن
حازم بن عمر عن المنذر قال ان سفينة مولى رسول الله صلى
الله عليه وسلم كان في بني ضرار وحضر لحربهم واسره فلما كان في الليل انفلو

تعارينا يلتمس الوصول الى عسكر المسلمين مع ابى عبيدة بن الجراح رضى الله عنه
واذا هو بانسان عظيم قد عارضه فى الطريق فقال له يا ابا الحارث انا سفينة
مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان من امرى كيت وكيت قال فاقبل
الاسد يبصبص بذنبه حتى وقف بجانبه قال سفينة وهو معى الى جانبى وهو
يتلفت يمينا وشمالا كانه يحرضنى من عدو حتى اتيت موضعا سلمنا ووصل
معى الى موضع مامنى ثم سار عنى وتركنى ومضى **قال** فوصل سفينة الى
الجيش واعلم ابا عبيدة وخالد بن الوليد والمسلمون بكاء شديدا على اسر بكو
ضرار وحفوله فقال ابو عبيدة لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وبلغ الخبر
الى اخته خولة فقالت انا لله وانا اليه راجعون يا ابن امى ليت شعرى اى فى
السلاسل او تفكوك ام بالحديد قيدوك ثم انشات تقول

الا مخبر بعد التفرق بيننا • فما الذى يا قوم اشغلكم عنا •
فلو كنت ادرى انه اخر اللقا • لكنا وقفنا للوداع وودعنا •
الا يا غراب البين هل انت مخبرى • وهل بقدوم الغائبين تبشرنا •
لقد كانت الايام تزهو بقربهم • وكنا بهم نزهو وكانوا كما كنا •
الا قاتل الله النوى ما امره • وافظعه ماذا يريد النوى منا •
فليت انسراة افا الواصى ارمضهم • لكنا له فى ارض العدو وودعنا •
تذكرت ايامى ونحن جماعة • فجاء فنا ريب المنون وشتتنا •
وما صفوة الايام الا معارة • وما نحن الا مثل لفظ بلا معنى •
لئن رجعوا يوما الى دار عزهم • لتمنا جعابا للمحبين وقبلنا •
ارى القلب لا يختار فى الناس غيرهم • اذا قائل ما قال اورثنا وحنا •
سلام على الاحباب فى كل ساعة • وان بعدوا عنا وان منعوا منا •

ما جتمع النساء اليها وعلا بعد البكاء والنحيب وجعلن يتباكين **وعن**
ملحم بن عوف انه قال لما اجتمع النساء اللواتى لبعض الاسرى مع ضرار بن الازور
لعين اخته خولة وكانت فى جملتهن مزروعة بنت عملوق الحميرية وكانت من
افصح النساء من اهل زمانها لسانا وكان لها ولد بها ظاهر بن اوس قد اسر فى جملة
من اسر فانشات تقول

ابا ولد

ابا ولدي قد كان صبري تلفعا • وقد جرت مني العيون الدوامع •
وقلبي من نار المصيبة شعلة • وقد جرحت مني الحشا والاضالع •
واسال عنك الركب كي يخبرونني • بخبر لكي ما تزهر المطامع •
فلم يكن فيهم مخبر عنك صادقا • ولا قائل لي عنك انك راجع •
فيا ولدي مذ غبت كدرت عيشتي • فقلبي مقسوم وكلي مدامع •
ووجهي مقسوم وعقلي موله • ودمعي مسفوح ودار بلاقع •
فان عشت لي تبري لهيب مهجتي • وان تكن الاخرى فجل الحزن جازع •

فقالت لهم سلمى بنت سعيد بن زيد وكانت

من الزاهدات العابدات اما امركم الله عز وجل بالصبر ووعدكم على ذلك الثواب والاجر اما سمعتم ما قال الله عز وجل الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون وفي ثواب الله عز وجل عوض عما اصبتم به فسكتوا عن البكاء والنحيب واذ والهما قد لحقتها **واما ما كان** من امر يوقنا والهاشم بن جبلة ومن معهما فانهم لما اقلعوا فيا هم سار الى انطاكية وسبق الجيش الى الملك هرقل بالبيع في بيت واخفى تاج الروم وزينتها وفتحت الصرفة والقلع على زي اهل الروم وخرج الملك هرقل الى لقايهم راكبا مع ابن اخته قورس ودخل القوم في زيهم وحشمهم وزينتهم وترجلت البطارقة بين يدي ابنة الملك وقد كان خرج كل من كان بانطاكية وكان يوما مشهودا عندهم وزفت بنت الملك هرقل الى ابيها حتى اذ خلته وقدم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم مشدودون كتافا بالحبال كما سبق في قدرة الكبير المتعال تعالى ان يكون في ملكه ما لا يريد وهو على كل شيء شهيد ولم يكن يكن ضيق يجوز على الصحابة رضي الله عنه في جميع الفتوحات مثل هذا الضيق وقد دار بهم رجال الهاشم بن جبلة وادخلوهم على الملك هرقل وحففوا اليه بين يديه ودخل الهاشم بن جبلة على الملك هرقل وخضع بين يديه فخلع الملك على الهاشم بن جبلة وعلى يوقنا وعلى كبار اصحابهم وامر باصحاب

رسول الله صلى الله عليه وسلم فمثلوا بين يديه فلما مثلوا بين يديه ونظر اليه
طاخيهم الحجاب والبطارقة اصغوا بين يدي الملك الى الارض ولم يلتفتوا
اليه ولا عنوا بكلامهم فقال لهم الحجاب الكبير تسرو رتبتم ما لكم لا تعظمون
بسلام الملك بالسجود بين يديه اليه فقال ضرار بن الازور رضي الله عنه
انا لا نرى ان نسجد لمخلوق مثلنا وقد نهانا نبينا صلى الله عليه وسلم عن ذلك ولا
نسجد الا للواحد القهار وعن سهل بن قاسم عن تميم بن حازم عن الحكم
بن مروان قال لما وقف اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بين يدي الملك نظر فاذا
خاطبهم بنفسه من غير ترجمان وكلمهم بلسان عربي مبين واراد بذلك ان
يسمع كلامهم لبطارقته وحجابه ما كان حدثهم به حين بعث النبي صلى الله عليه وسلم
وبعث اليه كتابه يدعوه الى الاسلام او الجزية لانه قد كان فعل ذلك الوقت بيه
جمعهم اليه وقال لهم هذا هو النبي المبعوث الذي بشر به المسيح وهو صاحب
العهد والوقت وهذا وقته وزمانه للعلامة في ذلك ولا بد لدينه ان يظهر
على كل دين حتى يملا المشرق والمغرب ثم دعاهم الدخول في دينه او اداء
الجزية فقال لهم ادوا الجزية للعرب او تدخلوا في دينهم فهذا وقت ذلك
فارادوا قتله وهموا به فاراد هرقل في ذلك اليوم ان يبين لهم حقيقة
قوله وانه اراد بذلك الاصلاح حالهم وشانهم فقال للصحابة رضي الله عنهم
من فيكم منكم عما اسئله من العلم فاشاروا الى قيس بن عامر الانصاري
وكان قيس شيخا معمرا قد شاهد احوال رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعجزاته
فلما اشار الصحابة اليه قال الملك هرقل ما انت قايله فقال له هرقل اخبرني
عن نبيكم كيف اتى اليه الوحي من ربه في اول امره من مبتداه فقال له قيس بن
عامر سال نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بهذا السؤال السايل له رجل من اهل
مكة اسمه الحارث بن هشام فقال له يا رسول الله كيف ياتيك الوحي فقال
له رسول الله صلى الله عليه وسلم ياتيني احيانا مثل صلصلة الجرس وهو اشد
علي فينفصم عني وانا قد وعيت عنه ما قال واحيانا يتمثل لي الملك مثل رجل
فيكلمني فاعي عنه ما يقول ولقد قالت عايشة رضي الله عنها كان ينزل

عليه في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقا وأما ما بدئ
به عليه السلام من الوحي فالرؤيا الصالحة فجاءه بغار حراء فجاءه الملك فقال له
اقرأ فقال ما أنا بقارئ قال فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال لي اقرأ
فقلت وما أقرأ فقال اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم
الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم
يرجف فؤاده فدخل على زوجته خديجة بنت خويلد وقال زملوني زملوني فزملته
حتى ذهب عنه الروع فأخبرها بالخبر وقال لها لقد خشيت على نفسي فقالت له
خديجة كلا والله لا يخزيك الله أبدا إنك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم
وتقري الضيف وذكر الحديث كله **وقص** حديث صلى الله عليه وسلم فقال بينما
أنا أمشي ذات يوم إذ سمعت صوتا من السماء فرفعت بصري إلى السماء وإذا بالملك
الذي جاءني على كرسي بين السماء والأرض فرعبت منه ورجعت فدخلت وقلت
دثروني دثروني فأنزل الله عليه يا أيها المزمل يا أيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر
وثيابك فطهر والرجز فاهجر ثم جاء الوحي بعد ذلك وتتابع عليه قال
قيس بن عاصم لملك نعى قل اليوم اجمع يا نعي قل ما أقول اللهم كنت أنا الذي أخا
طبك مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد إذ دخل عليه رجل وكان جاء على
جمل له راكبا فأناخه خارج المسجد ثم عقله ثم نادى وقال أيكم محمد والنبي عليه
السلام معنا في المسجد فقلنا له هذا الرجل الأبيض المتكئ فقال الرجل يا ابن عبد
المطلب فقال له النبي عليه السلام قد أجبتك فقال الرجل إني سائلك ومشدد
عليك ولا تجد علي في نفسك فقال له سل عما بدا لك فقال له الرجل أسألك
بربك ورب من قبلك آلله أرسلك إلى الناس كلهم فقال اللهم نعم فقال له الرجل
أنشدك الله آلله أمرك أن تصوم شهرا في السنة وهو رمضان فقال اللهم نعم
فقال له الرجل آلله أمرك أن تأخذ من أغنيائنا وترده على فقرائنا فقال اللهم نعم
قال الرجل آمنت بك وبما جئت به وأنا رسول من ورائي من قومي وأنا ضمام بن ثعلبة
أخو بني سعد بن بكر بن وائل **فقال له** هو ذا معود فيك ما الذي رأيت
من معجزاته فقال له قيس بن عاصم كنت معه في سفر فأقبل إليه أعرابي ومعنا

بالملك

منه صلى الله عليه وسلم فقال له المصطفى عليه السلام تشهد ان لا اله الا الله وان
محمد رسول الله فقال الاعرابي من يشهد لك على ما تقول فقال له تلك الشجرة وكانت
تلك الشجرة بشاطئ الوادي فدعاها رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبلت تشق الارض
شقا وتجر عروقها كلما اقبلت تسوقها حتى قامت بين يديه صلى الله عليه وسلم [illegible]
فاستشهدها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا فقالت له انت رسول الله حقا فقال
لها ارجعي في جهة الى منبتها ودلت عروقها وقامت كما كانت اول مرة
فقال لهم قل اعلم ان النبي الذي بشر به المسيح هو الشاهد في الدنيا وهو
الشاهد في الاخرة على جميع الامم فقال له قيس هذه صفة نبينا محمد صلى الله
عليه وسلم وبيان ذلك هو قوله تعالى يا ايها النبيء انا ارسلناك شاهدا ومبشرا
ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا واما شهادته في العقبى فقوله تعالى
فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا واما قوله
عز وجل ويوم نبعث في كل امة بشهيد وجئنا بك شهيدا على هؤلاء وقال
عز وجل وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون
الرسول عليكم شهيدا **فقال لهم قل** ان النبي الذي بشر به المسيح يعرج به الى
السماء ويخاطبه العلي الاعلى **فقال قيس** هذه والله صفة نبينا محمد صلى
الله عليه وسلم وقد ذكر الله سبحانه ذلك في كتابه العزيز سبحان الذي اسرى
بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا
انه هو السميع البصير فقال لهم قل ان النبي الذي بشر به المسيح يفرض عليه
صوم شهر في السنة اسمه رمضان فقال له قيس هذه صفة نبينا صلى الله عليه وسلم
وبيان ذلك ما ذكر الله في كتابه العزيز شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن
هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه فقال
لهم قل ان النبي الذي بشر به المسيح يامر العباد من امته ان يتبعوا سنته ويصلوا الله
عليه في حياته وبعد مماته فقال له قيس نعم وبيان ذلك هو ما ذكره الله
تعالى في كتابه العزيز فقال عز من قائل ان الله وملائكته
يصلون على النبيء يا ايها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما

فقال لهم قل انا نجد في علمنا ان الرجل من امته اذا عمل حسنة كتبت له عشرا
واذا عمل سيئة كتبت له سيئة واحدة. فقال له ايها الملك هذه صفة امة
نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وقد ذكر الله تعالى في الكتب كتابه العزيز فقال عز
وجل من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا
مثلها وهم لا يظلمون فقال قيس بن عامر وكان بطريق من بطارقة
القوم وهو اعظم بطارقة الروم ورأس دينهم وكان عدو الله تحبه الروم وتع
وتعظمه وتعظيه ويتقادون اليه لعلمه ومعرفته بالاخبار والملاحم وكان
يسمع كلامه مع الملك هرقل فلما سمع ما وصفناه من صفة النبي صلى الله عليه وسلم
وما ذكرناه من معجزاته قام عمرو اليه قائما على قدميه وقال ايها الملك ان النبي
الذي ذكرت امره لم يبعث الى الان فقال له ضرار بن الازور رضي الله عنه
كذبت والله يا عدو الله تلك الصفة الغني بربه بل وكذبت انت يا كلب الروم
وانه هو النبي المبعوث المنعوت في التوراة والانجيل وهو المشهور عند العالمين
وهو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لاكن حجاب الكفر يمنعكم من معرفته فقال له
هرقل اغدا اساءت الادب اذ جعلت بحضرتي فيشتما فلعنته مرات فقال له قيس
بن عامر هذا ضرار بن الازور فقال لهم هرقل هذا الذي بلغني عنه انه يقاتل مرة
فارسا ومرة راجلا ومرة عاري الجسد فقال له نعم فبقي فيه باهتا فلما سمع
البطريق بنو سيئ ضرار له واستخفافه به وما اجترا به من الكلام عليه غضب
غضبا شديدا واخفى الحنق الجرح وقام من حضرة الملك مغضبا فغضبت
البطارقة والحجاب لغضبه فخاف هرقل على نفسه منهم وخشي من غضبهم
فقال لهم فدونكم به باسيافكم فاخذته السيوف ونالته الضربات من كل
جانب ومكان فوقعوا فيه اربعة عشر ضربة الا انها غير نافذة ولا قاتلة
لما اراد الله تعالى من حياته فلما راى البطريق ذلك جلس وسكن غضبه وقال
ارفعوا السيف فيسمع بوقنا ذلك وكان حاضرا في جملة القوم فقال لا
لا والله لاني كنت هذا اللعين يتمكن برجل من فضلاء اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم فتقدم بوقنا وقبل الارض بين يدي الملك وتوسل بذلك لله فقال له

ايها الملك ليس هذا من الصواب وان من الصواب ان تكف هذا الغلام عنه فقد
عاش من هذا الجراح الى صبيحة غد فخرجه الى باب الكنيسة ونفض باعنقه
فيشفى بذلك صدور الروم اذ على قلوبهم منه الا يوصف لقتله اباءهم
وابناءهم وبطارقتهم واقوامهم وايضا يبلغ الى العرب ما فتوقفهم بذلك
وانما اراد يوقنا بذلك خلاص ضرار من تلك الشدة وقال في نفسه اذا بات
ليلته هذه انكسر غضبه وغيظه وزال حنقه بغض الملك وينكسر
ايضا غضب البطريق وقوم فقال ما استصوب الملك رايه وقال ليوقنا وولى
خذه اليك واحتفظه عندك الليلة هذه فاخذه يوقنا وحمله فاتى به الى
دار ولده فاعي باعر جسده ونظر الى جراحه واذا بالضربات كلها مواضعه
ومنقعة لم يقطع عرقا ولا عصبا وذلك لحكمة من الله سبحانه فداوى كل
جراحه والقى عليها الدواء واستفاق واطعمه وفتح عينيه وافاق من سكرته
ولم يكن عنده علم ولا خبر بان يوقنا قدم لينصب المكيدة على ملك الروم ويوقع
به حيلة وانما ظن انه ارتد عن الاسلام ورجع الى دينه فقال انفسا ان كنتما
كافرين فقد سفك الله لي وان كنتما مومنين مسلمين فقد رحمني الله
وهنيئا لكما ولعل الله تعالى من كنكما ان يجمع شملي بعجوز لي في الحجاز منهومة
ضعيفة وقد تلكتها الصياح والبكا والنحيب علي وهي تدعو الله ليلا ونهارا
ولقد كانت تحسب هذه العساكر لان بغية من بقى لها من الاحباب ولي اخت
ايضا في عسكرنا فرجعى عليها امر جار في زمنا فبلغا بها سلامي واعلماها
بمقامي وكيف كان مع الروم كلامي فمن تعلم والدنه وذكاتهما فاعي ثم حمد
فاخبراه بعد ذلك بامرهما وانما قد اتى يوقنا بمن معه لينصب على الملك هو قل
مكيدة وحيلة وقال الا باس عليك ولا على من معك سيجعل الله لكم من امركم
فرجا ومخرجا ان شاء الله ثم انه مضى بنفسه الى الليل وقال اليه يوقنا يسالك بحق
الله ورسوله الا ما كتبت عني لاختي هذا الشعر وهو هذه الابيات وجعل
ينشد ويقول رضي الله عنه

الا ايها الشخصان بالله بلغا • سلامي الى اهل المكة والحجى •

بلغتما

ولقيتما ما عشتما الحق بعده • بعز وإقبال يدوم مع النصر
ولا ضاع عند الله ما تصنعانه • بقدر خفي عني ما وجد ناس الضنى
بصنعكما لي كل خير ونعمة • كذلك فعل الخير بين الورى يجري
وما بي من جرح وموت وإنما • تركت عجوزا في المقامة والفقر
ضعيفة جسم ليس فيها جلادة • على نائبات الدهر أشتات تجري
وكنت لها ركنا لعز زمانها • وإني لها جهدي وإن مسني ضر
وأمهما من حين كف أرانبا • من الوحش والبلى بجوع والضنا والقهر
وأحمي حملها أن يضاع ولم أزل • لها ناصرا في موقف الضر والعسر
وإذا أردت الله لا شيء غيره • وجاهدت الملاعين في جيش بالشمر
وأرضيت في الخلو أعني محمدا • لعل أنال العز في موقف الحشر
من خاف يوم الحشر أرضى إلهه • وجاهد أعداء الصليب ذي الكفر
كذلك أخي جاهدت كل كافر • وما بي حب بالكفر في الحي باغي الوغى
تقول وقد حان الفراق صيحة • ألا يا أخي مالي على البين من صبر
ألا يا أخي هذا الفراق ومن لنا • بعيش رجوع قادم عندك بالبشر
إذا ساح الإنسان عن أرض أهله • فإما رجوع أو هلاك إلى الدهر
ألا يا بلغا عن أختها تحية • وقولا غريب مات في قبضة الكفر
مضى سائرا يبغي الجهاد بنية • فوافاه أبناء اللئام على غدر
ألا يا فتاء بارك الله فيكما • ألا اكتبا هذا الغريب على قبر
ألا يا حمامات الأراك بالحلى • رسالة صب لا يفيق من السكر
حمامات نجد بلغوا قول شائق • إلى عسكر الإسلام والسادة الغر
وقولوا أضاع بالقيود مكبل • بعيد عن الأوطان في البلد الوعر
فهمتم بجرح بالسيوف مقطع • على نصرة الإسلام والطاهر الطهر
وإن سألت عني الأحبة خبروا • بأن دموعي كالسحاب وكالقطر
وقولوا القصر إن الأسير تحية • له غلة بين الجوانح والصدر
حمامات نجد غردوا عند موطني • وقولوا كذلك الدهر عسر مع اليسر

حمامات تغدوا ان تنم خيامنا • وقولوا ضرار في جيش الوغى •
له من عود العمر عشق وشجعة • وواحدة عند الحساب بطالتي •
وفي حوله خال محنة مصارع • على رفعه او كان وكيفي بلاحج •
الا يا حمامات الحكيم والى مرتم • الا خي والخيي بما كان مرامي •
عسى تشهم الايام منها بزورة • لقي عني بين لا يبقوا من الوغى •

قال ولما كتب يوقنا من ضرار بن الازور بهذه الابيات كتب بامره كله
للمسلمين ويخبرهم بقصته وقضيته كلها ويعلمهم بانه تمكن من انطاكية
وان الكلمة والامر بيده له ويامرهم بالمسير والرحيل اليها وذكر لهم كلما
اراد ذكره ثم ختم الكتاب وسلمه الى رجل يثق به من اصحابه وخاصته يوصله
الى عسكر المسلمين فاخذ الرجل الكتاب من يده بعد ان يسلم عليه وسار من ليلته
تلك نحو الشام يطلب جيش المسلمين بارض حلب

ذكر خبر قدوم المسلمين الى انطاكية وتمليكهم جيش العربين من اعمال البقا

قال القاضي ابو عبد الله محمد بن اسماعيل بن عمر
الواقدي رحمه الله وعن مازن بن عبد الله عن مالك بن انس عن جده
مروان بن الحكم بيقين فكان الجواب الذي بعث به امير المومنين عمر بن الخطاب رضي
الله عنه مع رباح بن غانم وهو جواب الكتاب الذي ورد عليه باخبار فتح
حلب واعزاز وغير ذلك كما تقدم لما ورد على ابي عبيدة وهو نازل على حلب
رحل من يومه ذلك وسار الى انطاكية وكان بذلك امره في الجواب امير
المومنين عمر بن الخطاب رضي الله عنهم وعن جابر بن عمران الدوسي قال كنا
في عسكر المسلمين مع ابي عبيدة بن الجراح في ارض يقال لها البلاط ونحن متوجهين
الى انطاكية اذ جاءنا ابن اوس من ال مخزوم وكان قد جعله ابو عبيدة
على المقدمة ومعه رجل من الروم فقال لابي عبيدة خذ هذا الكتاب جاء به هذا
الرومي فقال له ابو عبيدة ممن هو فقال الرومي من اسير لكم بانطاكية
اسمه ضرار بن الازور فاخذه ابو عبيدة وفكه وقراه على المسلمين ففرحوا

بالتهليل والتكبير وقرا عليهم الابيات التي كتب بها فبكى ابو عبيدة وبكى
الناس بكاء شديدا وبلغ الخبر الى اخته خولة فاتت ابا عبيدة وقالت له يا امين
الامة سالتك بالله العظيم وبرسوله النبي الامي الكريم الا ما اسمعتني ابيات
اخي ضرار فقرا عليها بعضها فاختنقت بالبكاء ولم تملك شيئا من نفسها رضي
الله عنها فلم يتمها عليها مخافة ان تزهق نفسها ثم استرجعت وقالت لا حول ولا
قوة الا بالله العلي العظيم والله لا اخذن بثارك يا ابن امي وابي ان شاء الله قال
وجعل الناس ابيات ضرار بن الازور وتناولوها بينهم وحزنوا عليه وعلى من معه من
المسلمين وكان اشد الناس حزنا عليه خالد بن الوليد رضي الله عنه وارضاه
وعن بعض الثقات ممن روى فتوح الشام واعتنى بامره عن عبد الملك بن محمد
عن ابيه حسان بن كعب عن عبد الواحد بن عون عن موسى بن عمران
اليشكري عن عامر بن يحيى عن اسعد بن مسلم عن حازم ابن عياش
ان ابا عبيدة رضي الله عنه لما وصل اليه كتاب امير المومنين عمر بن الخطاب رضي
الله عنه من المدينة وكتاب يوقنا رحمه الله من انطاكية [illegible] ان رحل بالمسلمين
مرحلة بعد مرحلة حتى نزل على جسر الحديد فلما نزلوا عليه اخذ اهله الامان من
المسلمين وسلموه لهم وقد خلوا فيه قال وكان من حسن صنع الله للمسلمين
ان صاحب الملك كان يمشي كل يوم في مركبه الى جسر الحديد ويوصي من في
البرج بالحفظة والحرس وانه مضى في بعض الايام على حسب عادته فلما اشرف
عليهم وجدهم يشربون الخمر وليس عندهم حافظ ولا حارس فاخذهم وضرب كل
واحد منهم خمسين مقرعة وهم ان يقتل مقدمهم ثم امسك عنه خيفة من
الملك ثم قال غيركم وعاد الى انطاكية مكانه وكان ذلك قبل قدوم المسلمين
عليهم وبعد ان بلغهم الخبر بمسيرهم اليهم فعمل ذلك المقرع في قلوبهم فلما قدم
ابو عبيدة والمسلمين معه اخذوا منه الامان وفتحوا له الباب فامنهم ودخل
جيش المسلمين منه وذلك بامر من الله ومراده وتيسير منه على من يشاء
الانبيا من عباده وكان قد بلغ الخبر الى هرقل ملك الروم بمسير
المسلمين اليه قبل نزولهم على جسر الحديد فلما نزلوا عليه وبلغه الخبر بذلك

فتمكن الخوف من قلبه وامر بطارقته بالتاهب لقتال عدوهم وامر ان ينصب
من ادفنه مما يلي جنس الحرير فضرب هنالك وضربت الملوك خيامها
ومن ادفانها وبسطا قبيلها ونزل العسكر كله هنالك وخرج كل من كان
من الحبشة بالنكاكية وقام فيهم خوفا ورعبا كبيرا وفتح الملك باب خزانة
السلاح وفرقها على رجاله وابطاله وكافة جيشه وخلع على يوقنا وقال له
ايها الدمستق قد وليتك على جيشي كله فكن مدبرا له ومسيرا له ثم ان الملك
هو قد ركب الى الكنيسة العظمى وركبت معه الملوك والحجاب والبطارقة
واجتمعت اليه الاقسة والرهبان والاساقفة وامر بالمسلمين المسورين من اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يوتى بهم اليه ليفعل بهم في دار فنا بعد فيقتلهم تقربا
الى الله رجاء الثواب فتقدم يوقنا الارض بين يديه وقال له يا عظيم الروم
ما اولاك الله على البلاد والعباد الا وقد علم ان حلمك وعقلك يحتمل ويسع ذلك
وقد قال قيس الحكيم ان العقل مرءاة جلية وصاحبه نبيل لانه عز الاحتشام
ومصباح الانام واعلم ايها الملك ان العرب لا يبالون ان يقصروا بعد دينهم
وعودهم ولا يدلنا من قتالهم ولا نعلم ولا ندري على من تكون الدائرة فان قتلت
انت ايها الملك هؤلاء العرب ووقع احد منا في ايديهم فانهم لا يبقون عليه ولا
ياخذون فيه فداء والصواب ان تترك هؤلاء عندك حتى نرى ما يؤول اليه امرنا
معهم فان اسر احد منا من اصحاب الملك وجدنا في ايدينا من نفاديه فقال له
ارباب دولته واهل مملكته لقد صدق يوقنا ايها الملك في قوله فتكلم البطريق
الاعظم وهو القس الكبير المتبرك به عندهم وقال له ايها الملك مر باخراجهم
وادخالهم الى بهاء الكنيسة فانها اجود وخير كنائسنا وقد اختلطت با
لنساء والبنات والزينة الفاخرة واعرض عليهم المتنصر فانهم اذا انظروا الى
نسائنا في حسنهن وجمالهن وشعورهن منعم كبير دراعهن ولعلهم ان يميل
انفسهم الى الدنيا وزينتها فيرجعوا الى ديننا فيكون ذلك وهنا على العرب
فامر الملك باحضار ضرار واصحابه فاحضروا فلما توسطوا الكنيسة
رفعت الاقسة اصواتها بقراءة الانجيل واطلقوا البخور واظهروا زينتهم

فلما راوا

لما رأى الصحابة ذلك رفعوا أصواتهم بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير
النذير وقالوا بصوت عال كذب أعداء الله وضلوا ضلالا بعيدا وخسروا خسرانا
مبينا ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم
على بعض سبحان الله عما يصفون قال وكان في جملة الصحابة رضي الله عنهم
رجل من عرب أهل اليمن من فصحائهم وعلمائهم اسمه رفاعة بن زهير وكان قد
تعلم الكتب الحميرية واطلع على الكتب السالفة وقرأ الأخبار الماضية وكان
يقول الشعر وينظم القول وعن سفيان بن عبد الله عن أبي الوليد بن زياد عن حازم
بن حكيم قال بلغني أن رفاعة بن زهير كان أعلم الناس بأنساب العرب
وأخبارهم وأنساب ملوكهم وأخبارهم وكان قد طالع كتب هود وصالح
وحنظلة بن صفوان على نبينا وعليهم الصلاة والسلام وأنه لما نظر إلى الكنيسة
ورآها وهي آهلة بأهل الكفر ورآهم يعظمون الصلبان ويسجدون لها من دون
الرحمن فقال الله أكبر الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى
الله عليه وسلم كفر باغي بالشيطان ولا إله إلا الله الملك الرحمان الذي ليس هو في
عدد محسوب وإنه قد ليس إلى شيء منسوب ليس له ضد ولا ند ولا أحد أوجد
الموجودات وصنع المصنوعات وخلق المخلوقات وكون الكائنات أول لا
افتتاح لوجوده وآخر لا عدم لمشهوده ليس كمثله شيء وهو السميع البصير
قال فأعجب بنت الكنيسة من قوله ومالت إليه الرهبان والقسيسون إليه وأشاروا
بعضهم إليه يريدون أن يسكتوه فأشار الملك إليهم أن يتركوه فلما
انتهى قولته وتركوه فلما انتهى من قوله أمر به الملك حتى قرب فدخل عليه فقال له
يا أخا العرب ما اسمك فقال له أيها الملك وما تريد من اسمي وليس أنا من جنسكم
ولا من جنسكم فتستخبرني فقال له بعض من البطارقة أيها العربي الملك
القيصر والعمر ينوع قوله ليس هو من حسب ولا له علم ولا خبر بحكمة فتنسب
إليه فتسأله عنها وأما هو بري قد تعود سكنى القفار وصحبة الأشرار
وأما الحكمة كلها في بلادنا كتبت وفي علمائنا انتشرت وفي حكمائنا انتهت
بعث من اليونانيين ووعاها عنهم أجدادنا الذين بأنجو ومن أين العرب

حكمة فتوارثوها وعلوم فتدارسوها وانه الفضائل كلها في علمائنا
والعدل في ملوكنا الاسكندر ومنا فيلفوس ومنا روفيل وجرجيس ومنا
ارسطاطاليس ومنا عوريش الواحد وهو الذي بنا انطاكية وارميا
وبطلو الذي بنا الخليج وطاطاغوش وهو الذي بنا الى ها والمستى في
والفتح والماكون وكان فيلسوفا وهو الواحد الذي اخبر انه وجد بكر امته ان
مولودا فيولد في الارض يكون له شان عظيم فخاطب اليا وبهلك على يديه
افلاطون ومنا فيثاغورث الحكمة ومنا في العلم ارمنوا وهو الذي بنا رومة الكبرى
وباسمه سميت ومنا بطاليس وهو الذي وضع الكتاب الاول الذي فيه صورة
الارض كلها بجبالها وشعابها وغيرانها ومعادنها وعجايبها ونباتها
واشجارها واحصى عيون الارض جميعا باسمايها واوديتها وبحارها وانهارها
ووصف كرامة بالوانها ووصف امة الاقليم بالوانها ووصف كل اقليم بما
فيه من المعادن من ذهب وفضة وجوهر وحديد ونحاس وقزدير ورصاص
حتى استوعب اقاليم الدنيا السبعة وكل واحد بما هو مختص به وانما
تكلم البكري بن بهذا الكلام بين يدي الملك كعنا في العرب ليسمع ذلك
جبلة بن الايهم وكان حاضرا وكان سبب العداوة بينهما ان البكري بن قرينا
ديرا عظيما وجعل له عيدا في كل سنة تقصده الروم من كل مكان من اقصا
بلادها بالذهب والفضة والحلل والاموال والستور والشمع وسائر انواع المتاع
وكان ذلك كله في سم البكري بن فاعطاه الملك لجبلة بن الايهم وما حوله
من البلاد لما هرب اليه ولحق به فاخذ جبلة من يده مع تلك الارض التي حوله
كلها وبنا حول الدير مدينة وسماها باسمه جبلة وكانت في ساحل
الشام وعن سليمان بن عامر عن منصور الجندي عن حجاج بن جريج
عن عمرو بن يحيى عن عمارة بن ابي حسن انه قال لما سمع
رفاعة بن زيد رضي الله عنه قول البكري بن وما افتخر به من كلامه تبسم منه
ضاحكا وقال له ايها البكري بن لقد وصفت ومدحت قوما ليس لهم للفضل
سبيل ولا لهم دين ولا نبيل الامر وخير الملك الجليل الذي ليس له مثيل ولا

صح منا

عربل وانا الفضل كلهم الولد اسماعيل بن ابراهيم الخليل الذي له البيت الحرام
وال كرو المقام والزمزم والمشعر الحرام ومنهم التبابعة والاقيال والحماة والابطال
والسادات الاقيال الذين ملكوا الارض بالطول والعرض ومنهم الملك الصعب
ذو مرافر وهو الاسكندر الاول الذي ملك في الارض ودخل الظلمة ودخل في
طاعته اهل الارض كلهم وبلغ المغرب الشمس ومطلعها واذل ملوكها
وجعل الله له منهم اعوانا وخداما وجندا وسماه الله تعالى في كتابه ذو القرنين
ومنهم سبا بن يعرب وشداد بن عاد وعمر الاذعار وابرهة ذو المنار والهدهاد
ذو الاعوار وتهراهين بن سكسكر وتهادبل ولقمان بن عاد وكان يتكلم بالحكمة
ومنا اسبا بن يسحبا وهو الامتوشلخ ومتوج منا ثم ولي من بعده ولده حمير ثم منا
تبع بن حمير وهو متوج ثم من بعده وائل بن حمير وهو متوج ثم مالك بن حمير
ثم عامر بن حمير ومنا نبي الله حنظلة بن صفوان نبي اهل الرس ثم منا ثعلبة
بن عبد الله بن عبد الدار بن جعشم عاش خمسمائة عام وهو الذي بنى المصانع
واستخرج الكنوز وقاد الجيوش وقد رزقه الله علم نبيه وعلمه حنظلة بن صفوان
ثم ختم الله شرفنا وعظم حالنا ورفع قدرنا اذ جعل محمدا عليه الصلاة
والسلام منا فنحن السادات وانتم العبيد يا معشر الى ومن تبعهم او ابيهم
فلما تكلم رفاعة بحضرة الملك بهذا الكلام اراد البطريق
ان يعترض بكلام يلقيه اليه فقال له الهمم العالية والارواح الزكية تصل الى الغيوب
الي بعد العقل الروحاني وتنفذ في ملكوت الضياء والصور الخفية الغائبة عن الابصار
المحيطة بالافكار وتفرح في رياضات الالباب المحجات من الادناس وبالافكار
النورانية يصفو اكثر الاخلاق وتعيش الارواح عيش الابرار الذي لا يصل اليه
الغلال ولا ضلال يجنسه يصفو العنصر ويمتزج الصفو بالصفو وينسب
الكدر الى الكدر فقطع عليه رفاعة كلامه وقال ايها البطريق يوجد مقالتك بغال
له ولم فقال له يا هذا وكيف تدركوا الغيوب وقد حجبت عنها صواب المطلوب
ام كيف تطلع الصعود من الكدر بغير تقريب من الحق وكيف تعلوا الافكار
غوامض الاسرار وهي في حجب الاغيار اذ تتابعت الاهواء المعاندة بينها

وفوت الفهم من مواقفها وعادت الافكار الى عناصرها ورجعت منى كانت
الفكر الى مساكنها وعادت الذهنات الى اماكنها وانحازت الاشكال عن الاشكال
بلطف ما برى للاهواء جميعها وانكبت منى فى على هياكلها من افكار
عناصرها ثم قال له رفاعة ايها الفكرى بو بعده من كلام العجم الذى زعمت
ان الحكمة ليست من خلايقهم ولا تباع في اسواقهم ولقد كان ملك منا
من ملوك اليمن اسمه سيفا بن ذى يزن وهو الذى بشر بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم
وكان يتكلم بغوامض العلوم ويجيد الشعر في المنثور والمنظوم انطقه الله
بالحكمة ووشحه وشايع الشكر والنعمة ومن جملة ما قال وجيع من وجهابنا
اسمه قشير بن ساعدة الايادى نفذه الابيات وهى بقوله

الا فتى من معشر سبقت لهم • اياد من الحسنى بعو جوامع الجمل •
ولم ينطق وابو ما الى غات عجم • ولا عى عن الا العبارة في الفعل •
ووحدنا عن التوحيد لله شاهد • زكى بان الله يعبد بالعقل •
الله تعالى عن تشبيه مليكنا • وجل عن الاوصاف والكيف والمثل •
يعاين ما فوق السماوات كلها • معاينة الاشخاص للجوهر النجل •
ويعلم ما كنا وما كان بعدنا • ومن كان بالتصوير في عالم الشكل •
وانا وان كنا على مركز الثرى • فارواحنا في عالم العلو تستعلى •
وما صعدت كى تستبد وانما • رات انها في النور في عالم العقل •
يلوح لها في الدنيا بها اوآثارنا • حقيقة منزل وجل عن المثل •

قال الفكرى بو يا معشر العرب بلغنا ان خليفتكم وامير امير كم عمر
بن الخطاب يلبس المرقعة وفرض اليه من اموالنا وذخاير تامر دنانيرنا
وورقنا ما يكل الوصف عنه من كثرته فما منعه ان يتزيا بزى الملوك فقال له
رفاعة بن ذهبى رضى الله عنه يمنعه من ذلك الاخرة والخوف من جبار الجبابرة
فقال له هو فلما صعد ادارته فقال له ذهبى هو مشيرة بالكبير قال فما
اصابه قال الفقراء والمساكين قال فما بساطه قال العدل والتمكين قال فما
نبييه قال العفة واليقين قال فما خزاينه قال الثقة برب العلمين قال فمن

جنده

نزله قال المهاجرون قال فمن يحابه قال الانصار والمهاجرون اما علمت ايها
الملك ان جماعة من قومه قالوا له يا عمر ملكت كنوز الاكاسرة وذلت لك
جيوش البطارقة والاكاسرة فهلا لبست ثيابا فاخرة فقال لهم انتم تريدون
زينة الدنيا وانا اريد زينة الآخرة ولا جرم انه لما ابدى هذا القول واظهر به
له اكتفى اشار اليه منادي الغور ابشر يا عمر الذين ان مكناهم في الارض اقاموا
الصلوة واتوا الزكوة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر فلما امرهم الملك
الى السجود فسجدوا له **وعن ابن ابي شيبة** عن عبد الله بن يحيى
عن ابيه محمد بن سعيد عن عبد الله بن ابي ربيعة **قال** قلت لرفاعة بن زهير
لما خرجوا من قبضة الاسر كيف كان الملك يقول ما تقول فقال لي يا ابني
ما رايت احدا من الروم اعرف ولا افصح من التعبير بكلام العربية ولقد سالت
عن ذلك يوحنا بعد ذلك فقال لي اما علمت ان ملوك الروم وبطارقتهم لا
يستغنيهم لهم ملكهم الا ان يتعلموا العربية اذ هم مجاورون للعرب بالحجاز
قال ولما حدث رفاعة بن زهير ابا عبيدة والمسلمين بعدما خرجوا من قبضة
الاسر بما جرى له مع الملك يوم المناظرة كتب اكثر الناس منها شيئا
كثيرا ووجدوا النصارى كثيرة عظيمة لانها جدال عن الله وعن دينه ودين
رسوله ثم ان هرقل لما امر بالصحابة الى السجن خرج من كنيسته التي
بعسكره ليمشي على الغياض والصحراء فلما اشرف على حمص راى قباب الملوك
قد نصبت وهي ادفات البطارقة قد ضربت وبازاء كل سرادق قبة وخباء
وكنيسة من الخشب مذهبة والاجراس على ابوابها وكان يفعله ازي الروم
وكانت تعمله البيع والكنائس التي من الخشب تتنافس الروم في صنعتها
وقد تكون معهم في اسفارهم وفي عساكرهم فكان الملك هرقل في عسكره
باجمعه واراد الدخول الى انطاكية فبينما هو كذلك واذا بغبار يشرف قد
اقبل بين كان اليه فقال لهم الحاجب الكبير ما ورائكما فقالوا قد ملك جبلة
الحرب وقد خلت العرب بارضنا فقال لهم هرقل وكيف اخذت العرب الجسر
والي جسر وبينهما ثلاثة الاف مقاتل فقال له ايها الملك ان العرب يوم المغرق

الذي عليه هو الذي سلمه اليهم فايقن هرقل بزوال ملكه ودخل الروم اذ ذاك وامر
اصحابه ان يتأهبوا ويأخذوا على انفسهم ويلبسوا سلاحهم ويجمعوا ود
ويتهيئوا للحرب والقتال وامر مناديه ان ينادي بذلك في عسكره ومدينته
ويفعلوا ما امرهم به من فتح الكنز

ذكر حروب انطاكية ونزول المسلمين عليها وقتالها وما تم لهم في ذلك من قدوم قلنطانوس صاحب رومية الكبرى لنصرة هرقل وسبب اسلام يوقنا وجلاء هرقل عنها وفتحها وما تم في قتالها قال القاضي ابو عبد الله محمد بن اسماعيل بن عمر الواقدي رحمه الله وعن

ياسين بن عبد الرحمن عن مبارك الصيدلاني وكان عالما باخبار فتوح الشام
قال بلغنا انه لما صار المسلمون في ارض انطاكية قال ابو عبيدة بن الجراح لخالد
بن الوليد رضي الله عنهما يا ابا سليمان قد صرنا في بلد كما ترى اليوم الساعة
فأشر علينا عساكرهم بما ترى من الراي فقال له خالد بن الوليد يا امين الامة
انت تعلم ان الله سبحانه وتعالى يقول في كتابه العزيز واعدوا لهم ما استطعتم
من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم والان الساعة مر اهل البلد
ان يتأهبوا ويلبسوا اسلحتهم ويفحصوا ازمتهم وما عندهم من العدة وال
السلاح وقوة الايمان وتفرق كل امير بعسكره ولتكن الكتائب تتلو
الكتائب والمراكب تتلو المراكب وليمشوا والراياتهم ويشهروا
اسلحتهم وقوتهم وعزتهم وليكونوا على يقظة وحذر في مسيرهم
قال فجعل ابو عبيدة فاول من عقد له راية سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل
العدوي وضم اليه ثلاثة الاف فارس من المهاجرين والانصار وغيرهم
وسمى اهل المقدمة ثم عقد راية ثانية اخرى وسلمها الى اجع بن عمرو الكلاعي
وضم اليه ثلاثة الاف فارس من اهل اليمن من حمير وغيرها وبعثه في اثر
سعيد بن زيد ثم عقد راية ثالثة وسلمها للمسيب بن ملحي العبسي
وضم اليه ثلاثة الاف فارس من اليمن عبس وغيرهم وبعثه في اثر رابع

لهم عقد راية رابعة وسلمها لمالك الاشتر النخعي وضم اليه ثلاثة الاف
فارس من النخع وغيرهم وبعثه في اثر ميسرة بن مسروق ثم عقد راية
خامسة لخالد بن الوليد رضي الله عنه وهي راية العقاب التي عقدها له ابو بكر
الصديق رضي الله عنه بيده حين بعثه الى اليمامة وضم اليه عسكرا الى حما وسار
خالد في اثر مالك الاشتر فلما بعد خالد رضي الله عنه سار ابو عبيدة في اثره
ببقية الجيش وفيه عمرو بن معدي كرب الزبيدي وذو الكلاع الحميري وعبد
الرحمن بن ابي بكر الصديق وعبد الله بن عمر بن الخطاب وابان بن عثمان بن عفان وال
والفضل بن العباس وابو سفيان صخر بن حرب وراشد بن سعيد ورافع بن
سهيل وزيد بن عامر وعبيد بن اوس وعبد الله بن صفوان وابو لبابة بن المنذر
وعوف بن ساعدة وعامر بن قيس وعابد بن عتبة ورافع بن عميرة وسمرة بن
عمرو وعبد الله بن قرط الازدي وماجد بن ابي عمرو وعامر بن ابي اويس ومثل
هؤلاء السادات رضي الله عنهم اجمعين وصيروا امام النساء والاموال والحريم
والاثقال وبعض النساء اللواتي لهن الاسم ومع ضرار منهن اخته خولة
بنت الازور وعفيرة بنت غفار الحميرية ومزروعة بنت عملوق الحميرية وام
ابان بنت عتبة ولبنى وفيهن امراة اشد حزنا من خولة بنت الازور على اخيها
ضرار رضي الله عنهم وهي تقول

ابعد اخي تلتذ العيون بنومها • وكيف ينام مقروح الجفون •
سابكي ما بقيت على شقيقي • اعز علي من عيني اليمين •
فلو اني لحقت به قتيلا • لهان لانه عين المهين •
واني للسلو بغير عهد • واعلق منه بالحبل المتين •
وانا معشر من مات منا • فليس يموت موت المستهين •
وابغي ان يقال مضى ضرار • ولم يقض عن الحرب •
وقالوا كم بكاك فقلت مهلا • الا ابكي وقد قطعت يميني •

خ
حبيب

قال ابو عبيدة بموكبه من بعد ان قسم جيوشه وبعث امراءه كما
ذكرنا فبينما الروم في عسكرهم في خيامهم وسراحاتهم اذ وقع الصياح

فيهم بقدوم العرب عليهم فركبوا خيولهم وصفوا صفوفهم قال وأول من التقى عليهم برايته سعيد بن زيد ثم رافع بن عمرو ثم ميسرة بن مسروق ثم مالك الاشتر النخعي ثم خالد بن الوليد ثم ابو عبيدة بجيشه وفيهم عبد الله عمار بن ابي بكر الصديق والمسيب بن نجبة الفزاري وغيرهم فنزل كل امير بجيشه وقومه في موضع متساترين بعضنا بعضا هذا فلما نظر هرقل الى جيوش المسلمين قد نزلت بفنائه ذلك كلمة جيشه حاجبه الكبير بكارس وكان شجاعا بطلا ثم ركب ودخل الى كنيسة القسيان وجمع اليه الحجاب والملوك والبطارقة والرهبان والاقسة والاساقفة وكل من له فيهم راي وتدبير وخاصته وعامته وقام فيهم خطيبا وقال لهم يا اهل دين النصرانية وبني ماء العمودية قد رأيتم ما حل بكم من زوال ملككم وذهاب عزكم من ارض سورية وقد كنت حذرتكم به وخوفتكم من هذا المقام فلم تقبلوا قولي واردتم قتلي وهؤلاء العرب قد حلوا بدار ملككم وتاج عزكم وقد جاهدت عنكم جهدي واقمت عليكم بالانفاق وجرايتي وابذلت رجالي على حماية دينكم وملككم فلم تساعدني سعادتي ولا بلغت من هؤلاء العرب ارادتي فقاتلوا عن حريمكم ونفوسكم واموالكم ودينكم واياكم والفشل ولا يلحقكم في الجهاد كسل فان انتم فشلتم وتقاعستم ولم تجردوا لهؤلاء العرب سيف العزم كان العار عليكم والابد يلحقكم والذلة تصل اليكم ابد اباد كم ومن سلف من اخوانكم ما ثبتوا كراما في لئام **فسكنت** ديارهم العرب الطغام بحيث وكنائسهم مساجد وجوامع وخربوا البيع والاديرة والصوامع واذلوا ملوكهم واستعبدوا اولادهم وملكوا نساءهم واستولوا بلادهم ودخلوا حصونهم وقراهم ومدائنهم وقد مضى ما مضى فلستم تبعوا الامر الان فقاتلوا على حماية دينكم وعن حريمكم وعن سلطانكم وملككم فكم هلك من الامم قبلكم على حماية دينهم واعزاز ملكهم وسلطانهم وعلى الغيرة على حريمهم وقد كانت لكم حكمتي اقتضت لكم ان تجيبوا على سؤال المصالحة بينكم

ومن يقول لا العرب قبل وقوع نفاذ الامر لاكن كلمة جهلكم لم تقبل ضوء نور
الحكمة اما علمتم انه وجد لوح من لوح الحجر الاخضر على قبر كيماوث فيه
مكتوب الحكمة سلم العالم الاعلى من عرفها جعل عوم الغي بامر باريه الحكمة
سياسة الامور وحماية القلوب ونزهة النفوس ونعيم الاذهان وانوار العقول
من لم تكن حكيما لم يزل سقيما ومن كان حكيما لم ير سقيما ومن تعدى ذلك ومن
تعدى حمد نفسه وتنفذ بعقله ومن تنفذ بعقله ضعف نفسه فقال ابن جبلة
بن الايهم الغساني لعنه الله وكان حاضرا فقال ايها الملك انما يكون قتال
العرب بقتل خليفتهم عمر بالمدينة فلو انك تنتدب ان ابعث رجلا فانك امرؤ ال
غسان ليقتله فاذا سمع هؤلاء بقتله ولوا عنا وانثنوا مدبرين عنا وكان
سببا لقتالهم وفنائهم وانتزاع الشام من ايديهم فقال له هرقل هيهات
هذا امر لا ينفع اهله ولا ينقص عن احد شيئا اجله لان الاجال مقدورة والانفاس
معدودة والامور محصورة ولاكن هذا شيء تكتسب النفس لسماعه
فاعمل ما اردت ان وجدت سبيلا **وعن ابي محمد عن حسان** عن السري
ان عمر حرقه عن نزول المسلمين على انطاكية **قال** فلما وعظ هرقل قومه
وجيشه بكنيسة القسيسين واستحلفهم الايمان ولا ينهزموا وان يموتوا
عن اخرهم او ينصروا وحلفوا له بذلك واستوثق منهم فلما استوثق
منهم الملك خرج ورجع الى عسكره فضرب الطبل على راسه وقرات الا
الاقسة والرهبان الانجيل بين يديه وارتفع الضجيج من اهل الصلبان وكثر
الضجيج من اهل الكفر والطغيان وزحفوا للقتال والميدان فعندها ركب
ابو عبيدة والمسلمون ووقف كل امير منهم في موقفه بمركبه ونشرت
رايات الاسلام وعلا حزب التهليل والتكبير والقران على حزب الكفر والشرك
والعصيان ووقف ابو عبيدة في مركبه كهيئته يوم فروه والتفت الى
ربيعة بن معمر وكان فصيحا اديبا شاعرا وكان لا يتكلم الا بالكلام
المنظوم يعني بسجع يتكلم به كلامه ويحسن به نظامه فكان اذا تكلم على
البديهة يجيء به ما معه من حسن كلامه وكان يصغو الى حسن ما يتكلم

به ويعطونه وكان جهير الصوت يسمعه القريب والبعيد فقال له يا ربيعة
يوم سمام وعقد الى قلوب المسلمين وحرض المومنين المجاهدين على القتال
فتقدم ربيعة امام الصفوف وقال ايها الناس تاهبوا للحملة فهذه حبور
الارواح قد علت على اولي الاشباح وقد ارتاحت الى ديارها وارتاحت
الى بارئها واجابت الى صوت مناديها وهو هاتف بالبشارة صوتها من يكن
اراد تاعز نفكو عيارا فها فما لهذا التوقف على بذل انفسكم وقد اشتاق اهل
مولاكم الى الحور الرحب الحسان الربيبة العانية والانفس الراغبة فهذه اوقات
بالنفس موبرة وهممكم عن رتبة الرقبا مجردة وبالوعد الصادق من كلام
الحق الخالق معبرة اينما تكونوا يدرككم ولو كنتم في بروج مشيدة
وهاذه طوالع سعودنا بالاقبال طالعة وشمس دامالنا بالتايد بازغة
فلله درهم لقد زهرت نجوم الصحبة في افلاك ارائهم وانبعث في الغسق
في سواد انوارهم واشرقت شموس المعرفة في مشارق عشقهم فلما
هموا بالحملة وصرفوا عزمهم جعلوا اهم النفوس في رضى الملك القدوس وفرقوا
امورهم وحققوا عزائمهم بعضهم بعضا ولم يرجعوا نحو وامر صعاب سراياهم
وشتى بواسل بسيلا من المومنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى
نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا وعن جعفر بن عون عن عياش
بن ابان عن جابر بن اوس قال كنت حاضرا في مصاف ابي عبيدة على ادها
كتيبة جيش وعطفنا ربيعة بن معمر بكار اول من خرج من الروم للبراز شجاع
منهم اسمه نسطورس من لواء تسر وكانه برج او رعى من حديد فلما توسط
الميدان طلب البراز فخرج اليه ابو الهول دامس مولى بنى طي ابو الهائم القلعة
حلبا وهو يومئذ فارس فحمل بعضهما على بعض وتقاتلا قتالا شديدا فلما
اشتعلت نار الحرب بينهما وثلو كل واحد منهما على قتل صاحبه عثر جواد
دامس وسقط عن ظهره فمال عليه نسطورس فاخذه اسيرا وقاده الى سرادقه
ذليلا حقيرا ثم رجع عدو الله نسطورس يطلب البراز فخرج اليه الضحاك بن
حسان الطائي وكان يشبه خالد في ركبته وصفته فقال قائل من الروم ممن

شهد قتال خالد في المواطن وعرفه لما برز الضحاك بعد فارس العرب بالذي كان اميرا
قبل هذا الذي عزلوه وهو الذي فتح بلادنا فتطاول جيش الملك وم من اهل انطاكية
وعيونهم كلهم ومدوا اليه اعناقهم ينظرون الى الذي خرج الى المبارزة وهم يظنون
الضحاك بن حسان وهو خالد بن الوليد قال فتزاحمت الخيل وقطعت شي اكثر
السني ادفات والاجنبية وكان من قضاء الله عز وجل ان من جملة ما قطع شي ادرك
ابن اخي نسطورس وبرى سرادقه على تلك الحال فقتلهم ولم يجدوا الحرب بينهم
على دفع البني اخوانه وكل من كان في العسكر مشتغل الى نسطورس وخصمه خالد
في كتفهم فاتبعوا راي البطريق اشبير وكانوا ثلاثة على حل دامس من وثاقه ليبعثهم
عليه فقالوا الدامس نحن نحلك من وثاقك لتعيننا على دفع بعض البني ادوو شر
ممدوده ولا كن على شي كان نحن دك الوثاق فاذا جاء البطريق ينسلوه ان
فعلى بتلك سبيلك فقال لهم دامس نعم فافعلوا ما شيتم فحلوه من وثاقه
فلما وجد الراحة من القيد هجم على اثنين منهما فاخذ احدهما بيمينه والاخر بشماله
وضرب بهما على الثالث فشدخهم وقتلهم جميعا بعون الله وبقي وحده في الهوادي
ثم قيم حسنوا مضى الى صنائع البطريق فوجد فيه ثيابا من الديباج فلبسه نسطورس
واخذ سيفا من اسيافه فلبس الثياب وتقلد السيف وركب جوادا من خيله
وكان واقفا بازائه وتنكر وقصد جيش العرب بالمتنصرة من غسان ولخم وجذام
ووقف معهم بازاء حازم بن عبد يغوث الغساني وكان هو المقدم على عسكر
المتنصرة من قومه جبلة بن الايهم على جيشه ووقف جبلة مع ولده الهنا ابن
وجودا بن عمه في موقف على يسار موكب الملك قال ولم يزل القتال بين نسطورس
والضحاك بن حسان الى ان تعب الجواد من الكر والفر ولم يقدر احد منهما على
صاحبه وخصمه فافترقا ورجع نسطورس الى سرادقه ليبدل جواده فوجد
سرادقه على الارض ملقى وجاء الغلمان وقالوا قتل ونفخ جاملة بن دامس خرج ولا علم
له ان يعلم ان المصيبة فخرج حتى من بوزة ثم مضى الى الملك هرقل واعلمه
بذلك فقال وحود في ما فعله الاشياخ من جم العسكر من صنع الهول
دامس قالوا اما فصد الا جيش المتنصرة لانه من جنسهم ونظن دامس السى

فلما تقطعت القنا [illegible] صاروا [illegible] الارض [illegible] [illegible]

ارتجاج العسكر فعلم ان ذلك من اجله فانتضى سيفه من غمده على حين غفلة
من عزائه وكان السيف من اخره من سيف ادونسطورس وكان سيفا قاطعا
ماضيا فضرب به حازم بن عبد يغوث الغساني فابان راسه عن جسده فبهتت
المتنصرة من فعله وامسك الله ايديهم عنه فاطلق عنان فرسه عند دهشتهم
وبهتتهم وقصد نحو عسكر المسلمين فلما نظر اليه المسلمون رفعوا اصواتهم
بالتهليل والتكبير وسار حتى وقف بين يدي ابي عبيدة وسلم عليه وحدثه
بحديثه وبما جرى له مع القوم فقال له ابو عبيدة لا شلت يداك يا دامس وسمع
جبلة بن الايهم بقتل ابن عمه فغضب لذلك غضبا شديدا واقبل على الملك هرقل
وصفع له وقال يا عظيم الروم انه لا نقدر على الصبر ولا بد لنا من الحملة على هولاء
القوم الذين غدروا بكم وجعلوا قدرهم فيتقدم الملك ان يامر اصحابه
ويكاتفنه بالحملة وامرهم بالتاهب والترتيب والتصفيف فبينما هم كذلك
واذا قد اقبلت خيل من جهة اليه فقال الفهر الحاجب خبر اما وراءكم فقالوا له ايها
الملك انه قد قدم لنصرتك فليكانوس صاحب رومة الكبرى فاستبشر الملك
هرقل بذلك وامر قومه بالخروج الى زينته ولبس العدة الحسنة واللامة الفاخرة
وركب في موكبه الى القائه فلما التقاه سلم بعضهما على بعض وفرح به الملك
ورجع معه وانزله وضرب له سرادقه بازاء سرادق الملك هرقل وفرحت الروم
وطمعت بالظفر والنصر وضربت الاجراس وخفقت النواقس ووقعت الصيحة
والضجة في جيوش الروم وارتفعت اصواتهم فرحا بكلمة كفرهم واذا بعيون
ابي عبيدة وهم المعاهدون قد اقبلوا اليه من عسكر الروم يخبرونه بقدوم
فليكانوس ملك رومة الكبرى لنصرة هرقل ونصرة دينهم فرفع ابو عبيدة
يديه الى السماء ودعا عليهم وقال في دعائه اللهم شتت كلمتهم وبدد
جمعهم ودمر جيشهم وزلزل اقدامهم وارعب قلوبهم واجعل كلمتنا العليا
وكلمتهم السفلى وانصرنا عليهم وامن المسلمون على دعائه وكان رضي الله عنه
تعالى عنه مجاب الدعوة عن ابي ابراهيم بن المعلى عن يوسف الكندي عن ابي
جعفر الرازي عن الربيع بن انس عن جعفر بن ميمونة بن عيسى العبسي قال

قال

الى ان لما قدم بليطانوس ملك رومة الكبرى بجنوده وجيوشه في ثلاثين
العام من المزرعة التي اجنبه خاف المسلمون ولاكن الله تعالى اثبتهم وبسا
برومة ان صاحب الملك البطى بن الكبرى القاهر بنصرة شيء يعتمه كتب اليه
في الشي من خاصة الملك يستنطق به وكان كل واحد مستقل بملكه في قومه
حتى قال بانطاكية وهو برومة الكبرى وكان جده ارمنوا وهو الذي بنا رومة وبا
سم جده سميت وكان جده قد صنع فيها هيكلا عظيما يسمى بوسينا
وصورته من نحاس مطلي بالذهب والفضة وله سبعة ابواب من ذهب على كل باب
هيكل مدور وعلى راسه رجل بيده لوح من الواح الذهب على عدد الاقاليم السبعة
والايام السبعة ولكل هيكل كاهن يقوم به وينظر في اللوح الذي بيد الرجل
الذي عليه في كل عام يعلوا احدهم على الهيكل المختص به الى ذالك الذي هو
تلقاء الشمس فينظر كاهن ذالك الهيكل في ذالك اللوح فيعلم ما يجري في
الاقليم المختص بذالك اللوح وكذالك كل هيكل من تلك الهياكل السبعة
فيعلم اهل رومة الكبرى ما يجري في ذالك العام في السبعة الاقاليم بعلوم
حكمائهم الاقدمين وفي وسط تلك الهياكل السبعة العظيمة قبة عظيمة
مبنية على اعمدة من نحاس مطلية بالذهب الاحمر محيط بها صور بستان نضر
الاعظم وعلى راسها صورة من حجر لا يعلم احد ما تلك الصورة بل هي سوداء
منقطة ببياض فاذا كان اول استواء الزيتون في مشارق الارض ومغاربها
سمعوا فيها صوتا هائلا تكاد العقول تنعطل منه فاذا كان من الغد تقبل من
اعلى الارض زرازير في مناقيرها وارجلها الزيتون فتلقيه على راس تلك الصورة
التي هي منقطة ببياض فيسقط عنها الى ما بين الهياكل السبعة والقبة التي
عليها تلك الصورة وهو موضع واسع جدا فلا تزال الزرازير كذالك تاتي
بالزيتون حتى ينقطع من الارض ويمتلئ ذالك البستان العظيم فيعصرون
منه زيتهم بقدر الذي يكفيهم لعامهم المقبل عليهم وكان في داخل تلك
بيت مغلوق مقفول لم يفتح منذ بنيت رومة الكبرى فلما اراد الملك بليطانوس
النهوض الى نصرة الملك فكر في احتياج الى ما ينفقه على عسكره فاتى الى البيت

ويهم بفتحه فقال له عما هوشن وهو المقدم عليه والقائم بامور الهياكل كلها
والكنيسة وغني بها ايها الملك ان لهاذا البيت منذ بني وغلق سبعمائة سنة
وذالك قبل ظهور المسيح بمائة وسبعين سنة وما اخرباني ويلي هـذه
الهياكل والقبة والكنيسة الا وهو يوصي على هاذا البيت الا يفتح ولا يـ
تفتحه ولا تفعلوا فان ذلك ان تزيل حكمة انشاها الحكماء واوصى عليها الملوك من
قبلك ولعزيا هذه المدينة واسس هذه الهياكل جدك ارمنوا وهو فيما
يقال في ملكه وهو ثلاث مائة سنة وسبعون سنة ثم وصى على هذه الـ
الهياكل والقبة وهذا البيت كوصية على بنيه واولاده ولكن انت اليوم في
هذا الملك مائة سنة فلا تزيل حكمة انشاها وكلاسها وضعوها فاخذه
اللجاج في امره على فتحه فلما فتحه لم يجد فيه شيئا من المال الا ما دار بالبيت
من التصاوير فيه صورة فيت المغرس ومدن الشام كلها وصفة ملوكهم
وعددهم وفي داخل صفة الملك فقر وكانه جالس وبين يديه لوح فنظر
اليه وفي اللوح مكتوبا باليونانية يا طالب عليك بكثرة القراءة فانها كلها
تكون من مرور النكت على السامع تعلمها فيكون ذالك اشد لفوته واحكم
لنصيبه اذ العلوم كلها انما استخرجت بالعقل والقياس انما يكون بكثرة
الرياضة فيه والعلم هو بقية التربية والتجريب موضع العقل والعقل هو القيم
لاشكال العلوم وقد رايناه في الحكمة العتيقة والاسرار اللطيفة ان السحاب
العمانية وظلال الظلالة اذا اعمت الارض خرج مصباح الهداية من ارض تهامة
فيذهب بظلام الجهل المظلم للمبين ويدعوا الناس لدينه توحيد الصانع وهو
صاحب الجمل الاورق فيذهب بالاديان والملل وتطبق دعوته السهل والجبال فانها
علت لكافة امره على كل كثيب وانتقلت روحه الى العالم الروحاني وليتق من
بعده الى حل النحيف قلبه منور بنور الصدق فيشيد ملته ويصدق نبي بعثته
فـــــو بل المتاع وما فعل به من الرجل الاحور الزاهد يملك كسرى وقيصر
وهو الرجل الكثيف صولته الى بعه قامته العدل صفته والحق منبته ن بنه
من نعته وسيفه عرقه في ايامه تذهب الدول وتضمحل الاكاسرة وتـذل

الاكاسرة

فاحرزه وانا ارى ذلك اذا فتح هذا البيت المصور بصور الحكمة العماه فحينئذ
النعمة بخوض لمن سعت الحكمة في قلبه واشتق من صافيها في مبسمه لبه واتبع
العلو وطالعه واجتنب الباطل وطالعه قسطنطين اوليبطانوس
ما في اللوح اخذه التعجب منه وقال العمانوس صاحب الهياكل والقائم بها ابنا الاباء
المستقبلين ما تقول في هذه الحكمة فقال له وما عسى ان اقول في حكمة وضعتها
الحكماء وتكلمت فيها العلماء واوصت عليها القدماء والعلوم الغامضة تصل الى
الحس المحجوب بنور العقل وانا ارى هذا قد هوى عمود عزه وانصرمت قبة
ملكه من ارض سورية وانتقل ملك الروم الى انتقلنطنفول يعني القسطنطينية
العظمى وبذلك اخبر فوار بس الحكيم في كتابه الذي صنعه وسماه اسطاروس
يعني جواهر الحكمة ومن جملته قال انه تظهر نور انوار النسمة المصفات
من جبال تهامة فانار بصفة الاذهان المظلمة بنور الحكمة وصرفت الكلمة
المتكاثفة في سماء الجهل بقوى عزمه ودعا الناس الى الحنيفية دعوته وقادهم
بازمة لطائفه ويعلوا على الافلاك في ليل التشاء وما يحل بهم من الاجل الاحمر وويل
لاهل ارض ايلياء من صولته صاحب المتوشح بوشاح الهيبة المتوج بتاج
الفضل والهيبة صاحب فتوح الارض ومزيل ملوكها العدل بسياسته المرفعة لباسه
في زمانه بكسر الصليب وتخريب الهياكل وتبدد اهل المذاهب وتذليل بني ماء
العمودية فالتعازي لاحر من صولته الا ايا قباع مني بعثه قسطنطين سمع فليطا
نوس من القائم بامور الهياكل والكنيسة اسم ح نور التوحيد في قلبه وكتم
الامر في نفسه وقال لابد من ان اصبح الى نصرة هذا وقد وصل اليه كتاب
وزيره البكي بن الغانم بنصرة دين بعثة المسيح وقد نزل بنى الى نصرة هذا الدين
فلما تاخرت عنه حين وايضا فاقبل الى العرب وكيف امرهم ثم انه اختار من
جيش رومة ثلاثين الفا وهم الارجنية والكرجية وولى على منصبه بمكانه
ولده اشغلوس واستخرج من البيت المذكور بيت الحكمة رايات الاسكندر
اليوناني وكانت منسوجة بالذهب والورق وهي التي تشير لها بوح فتح
اللوحات من ارض بابليون وكانت لا تنشر الا في يوم مبر في السنة في بيعة

اي شقيا وهو يوم عيد الصليب ويوم عيد الشعانين فلما رجعت الى ابياتنا
على الملك فليطانوس سار حتى انتهى الى انطاكية ونزل على باب فارس وضرب له
سرادقا وبازاء سرادق الملك كما تقدم قال ثم ان ابا عبيدة دعا بمعاذ
بن جبل وقال له يا صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الروم قد تجمعت من ساحل
الشام لنصرة دينهم فانهض وشن الغارات على الساحل واحتفظوا بالمسلمين
ولا يوتى الناس من قبلك فبعثه وبعث معه ثلاثة الاف فارس من المسلمين
من لخم وغيرهم فسار معاذ بمن معه وشن الغارات على جبلة واللاذقية واف
واحتوى على الاموال واخذ الغنايم ووجد على باب جبلة واليها عمار بن جرهم
الغساني ابن عم جبلة بن الايهم ومعه العداية محمولة بالبر والشعير لعسكر
الملك وكان قد جمعها فتسكنها خمس بن بهم قل من اهل نابلس وعكة ومن بلاد
قيسارية وبعثها الى ابيه مع حاجبه فلما وصلت الى جبلة من بينة المتنصر
وقفا بالباب وهم ينتظرون عسكر الملك ليجي بها الى انطاكية فوقع بها
معاذ بن جبل وهي على باب المدينة فاخذها معاذ ورجع الى عسكر المسلمين
بما معه من الاموال والغنايم والحمولة والميرة فارتفع ضجيج المسلمين بالتهليل
والتكبير حتى سمع هرقل ضجيجهم فبعث جواسيسه ليختبر له ذالك
وينظر ما الخبر فساروا حتى دخلوا عسكر المسلمين وجسوا له الخبر ورجعوا
اليه واخبروه بذالك فاغتم غما شديدا وقال لبطارقته واهل مملكته لم يبق
بيننا وبين هولاء العرب الا القتال ويعطي الله النصر لمن يشاء ثم انه دعا الى
اصحاب الرايات واهل الحل والعقد والبطارقة والهي قلبية والارمن يامرهم بالتاهب
والتعبية وركب هو وركب الى جانبه فليطانوس والى جانبه الاخر مرعوش
صاحب قلعة اسكاريين وصاحب طرسوس والمصيصة وصاحب انطاكية
وجرنيانس صاحب ملاطية وصاحب قيسارية والشاع الافطا وغيرهما من
البلاد واقبل يوقفا بين الصفوف ويعبيها تعبية الحرب فلما وقف
كل امير بقومه وكل ملك بجيشه وكل بطريق برايته اراد فليطانوس
ملك رومية الكبرى ان يتقرب الى الملك هرقل ليستاذنه في الحرب والمبارزة

للعي

العرب فصفع له على فيه بوسى سرجه وقال له ايها الملك ما انى كنت ملكي واقبلت
اليك من مسافة ما كنتي من سخ الاحمة لك ورض المسبح وكل من بين يديك من
الحجاب والبطارقة وغير نهم فراخر واد ولتبع في الحرب وقر جابهم واوانا ارتد
ان ابعد البوع الى حرب هؤلاء العرب واشفى فوادي منهم فطار ادم الملك في قل
ان يجيب قلبه بكلام يسمعه اياه فقال له الزم مكانك ولا تغير وحاشية
الملك وحشمة الملوك فانك انت اقوم في المملكة مني ودع غيرك يكون لها
هذا الامر وابلغ من شان العرب تخرج اليهم انت بنفسك فقال له فليكانوش
واي حاشية وحشمة بقيت لنا مع هؤلاء العرب وقد اهلكوا امرنا واذلوا عزنا
وعزة ديننا والجهاد معي ومن على الصغير والكبير منا اما علمت ايها انه من نظر الى — المدح
الدنيا بعين المحبة جرته همة الشهوات الى التعمق في محبتها والتعلق بزخار
بها فاذا اجعل الدرك غيم كثافة الجهل على صفحة صدره فيمنعه ذلك من
طلب معاده ولقد علم القديم الازلي بركون انفسكم المحجوبة بحجاب
الغفلة الى طلب ما يفنى سلط عليكم اضعافه فاخرجتكم من دياركم وزحزح
تكم عن اوطاركم وابعدتكم عن اوكاركم وما ذلك الا لخلودكم الى نعوا كم
الجاذبة الى معطو بكم في المهالك لانكم دكنتم بغير الحق ثم على الى عنة
وطلب ما ليس لكم بعو من اخذ اموالهم وافساد احوالهم وكثرة الهاوانباع
بلاد الامم تنصروا وكانت دائرة السوء عليكم فتكلم حاجب الملك الكبير
لفليكانوش وصاح عليه وقال له ايها السيد لا تحمل على قلب الملك من العتاب
ما لا يطيقه بقدر وعقبه من نفوا كتم منك فلم يسمع كلامه فصعبا على — قال ابو الفرى رحمه الله
فليكانوش وصاح الحاجب عليه واخذ نفسه من ذلك وكتم الامر الى الليل
وذلك ليقضي الله امرا كان مفعولا من تشتيت شملهم وتفريق جمعهم وافساد
كلمتهم وتنغيص ذلك دعوة له عبيدة بن الجراح التي جعلها قبل ويعلوا دين
الله سبحانه وتعالى فدعا فليكانوش بحجابه وخواص قومه ممن يهوى هواه
لونه ويعبو بطانه وقال لهم ان صنتم ان ينزع على صاحب في قل ويوغى
بين الملوك وانتم تعلمون ان بيتي اعظم من بيته ونسبي اعلى من نسبه وملكي

سليس

أقوى وأقدم من ملكه ولقد قال ذبلوس الحكيم لا تسع بقدميك لمن يرى أنك
دونه فتصغر عنده واجعل عزة نفسك في مقابلة رأي عجبه فإن عزة
النفوس تقاوم جاه الملوك ولا تضع صنيعك في غير أهله فإنما تجلب عليك   تقابله   مستخف
من قبل ذلك تعسيرا فإن الإحسان يزكو عند ذوي الأصول وينقطع عند السفهاء
الأرذال ولا تصف ودك للئيم فإنك تطلب منفعته وهو يريد هوى نفسه
بأذايتك وقد جئتنا من ما ينبغي في سمع واكثر إلى حرمة رجل يرى أنا قصرنا إلى
دار ملكه وتاج عزه ونحن في جملة من خدمه فإن نور العقل المحجوب في جوف الجهل
والحسد والبغض يمنعني من اتباع الجهل المكلل للنواميس وإن نفسي تأبى ذلك في العز
محله جليل وصاحبه نبيل والذل ذليل وصاحبه قتيل وقد عولت أن أصبو إلى هؤلاء   معاه
العرب وأنقل ملتهم فإنها الملة الواضحة بالحق المؤيدة بالصدق فمن كان
عليها أمن في معاده من الهول الأكبر فما أنتم قائلون **قالوا** له أيها الملك
وكيف يطيب قلبك أن تترك دينك وملكك وتتبع قوما لا فضل لهم ولا علم
عندهم ولا حكمة تنفعهم فقال لهم بليكانوش إنما الحكمة البالغة عندهم
مستقرة في نفوسهم ومكنها الله نور توحيدهم يصفي أذهانهم ونور
إيمانهم ينور قلوبهم ببركة صاحبهم ونبيهم المسمى **بمحمد** الطالع
بعلوم الغيوب لأن معنا كثير حكمته إلى باطنه جوبق عقولهم التي شفا بغيته
والاقتداء يشفي بغيته فمن أراد أن يرقى إلى أعلى عليين فلا يقعد على صفحة أرض
الجهل أما علمتم أن النور أنور من الظلمة والموت غاية الحياة **فلما** سمعوا
قوله قالوا له أيها الملك نحن ما تبعناك تطلب عز غايته ونهاية الغلبة
وتكون أخره في الأخرة إذ كنت تطلبه في بقاء يوم الدار البقاء ويذهب بالشقا
فالأحق اتباع الحق وما قدر لك وبين يديك **فقال** لهم خذوا على أنفسكم
وانظروا أمنا ربكم فإذا كنت ليلة غد ركبنا كأننا نغزو بالجيش
ونحن معه ونطلب جيش العرب فقالوا نعم وعول القوم على ذلك وافترقوا
وضم بليكانوش أمواله وذخائره وعول على ما ذكرناه **وعن** يونس بن عبد
الأعلى **عن** وهب **عن** معاوية بن صالح **عن** موسى السرحي **قال** لما عزم

بليكانوش

فليكانوش على المسير الى جيش المسلمين جاءه يوقنا برسالة من الملك فلما
ادى الرسالة واراد ان يقوم قال له فليكانوش من انت من حجاب الملك فقال له يوقنا
انا يوقنا صاحب حلب فقال له فليكانوش كيف كنت ملكك حتى استولت عليه
العرب فعرفه يوقنا بخبره كله فقال له فليكانوش فما الذى فهمت من قولة قال
العرب فقال له يوقنا ايها الملك انى دخلت فى دينهم حتى عرفت امرهم وكشفت سرهم
فرايت القوم لا يتبعون الباطل ولا يبدون الاثم ولا يتبعون البدل لكن فى اجتهادهم ولا
يتكلمون الا بالصدق وهم ينصفون المظلوم من الظالم ويواسون غنيهم فقيرهم والامراء
منهم فى زى المساكين والعزيز والذليل عندهم فى الحق سواء فقال له فليكانوش
واذا وقفت على سيرهم ودخلت فى دينهم وعاينت امورهم ورايت فضلهم فما منعك
ان تقيم بينهم فقال له يوقنا منعنى من ذلك محبة دينى وقومى لانى لم ارد قومى فقال
له فليكانوش ان النفوس الزاكية والالباب الوافرة والعقول الوافية اذا رات الحق
تبعته فاذا العقل يحض طلب الخلاص من المعيشة الذميمة الى الرفق الى اعلى عليين قال
فخرج يوقنا وقد رسخ قول فليكانوش فى قلبه وتامله فقال والله ما تكلم هذا الشيخ بمثل
هذا الكلام الا وهو منقوش على صفحة صدره وكلامه يشهد بقبول عقله لنصيحة دين
الاسلام وافعال فليكانوش كذلك فلما جن الليل ولما جن الليل تقنع يوقنا ثم تسبب
بحال الخفاء وسار حتى دخل على فليكانوش فوجده على هيئة الكرب كما تقدم وقد عول
على ما ذكرناه فلما وقف بين يديه صقع له ليرى على اى حال هو وهل دخل الاسلام قلبه ام لا
فقال له فليكانوش اترى ايها الحاجب يحجب المطلب عن اتباع سبيل المومنين والحق واضح
لمن طلبه والباطل خفى على من اتبعه اسمعت يا يوقنا ما اشرت به عليك فقال له
يوقنا ايها الملك ما معنى هذا الكلام الذى تشير به على فقال فليكانوش انى رايت بعين
البصيرة ما رايت انت ولكنك رجعت عن دينهم وصحبهم وطلبت بدلا منهم من غير
هم وانت انما طلبت نعيما يؤول الى الزوال وبعضه يصاحبه الى النكال فسكت يوقنا
وخرج من عنده وجعل يتجسس عليه ووقع له على ذلك بنو المسلمين فلما ركب
فليكانوش وخرج من معه اخفه وجرته عمه وحوله سرادقات قومه فداخذوا على انفسهم
وركبوا خيولهم وقدموا على مهم وهم اربعة الاف فارس وساروا يريدون حرا يطلبون

جيش المسلمين **فبينما** هم كذلك سائرين وإذا هم بيوقنا ومعه بنو عمه وهم
المائتان فقال لهم يوقنا أيها الملك عولت أن نكبس على جيوش العرب فقال له لا والقديم الأزلي ما
أردنا ذلك بل أنا ناصر لهم أرد عليهم حتى أكون من جملتهم ممن نزع إلى الدنيا بغير الغناء
عمل للآخرة ما يبقى فما الذي منعك يا يوقنا أن تواقفنا على ما نحن عليه عولنا فقال له يوقنا
أيها الملك لقد جرى بك جاذب الحوض من بعد الضلالة إلى الهدى ثم حدثه يوقنا بحديثه كله
وأنه عازم على أن يغدر بالروم فقال له قليكانوش وكيف تقدر على ذلك وما الذي معك
اللاتي أتبعني فقال له يوقنا إن في داخل المدينة مائتي رجل من أصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم من صناديد العرب وهم مقلع عتى بن العاص من جيش الروم ولقد رأيت من الرأي
أن ترجع إلى مكانك وأن تعود أنت وقومك ولا تستعجل ونبعث رجلا منا إلى الأمير
أبي عبيدة بن الجراح ونعلمه بما نحن عليه معولون فإذا كان غدا إن شاء الله تقف أنت
وجيشك في مكانك حولهم قل وادخل أنا المدينة وأحل أصحاب رسول الله صلى الله عليه
وأنا ولهم السلاح فأثور أنا وبنو عمي والمائتان في المدينة فنملكها إن شاء الله
ويحمل جيش المسلمين كله وتحمل أنت وقومك على عسكر هرقل وتقصده أنت
بنفسك فتقبض عليه وتكون قد جاهدت في الله حق جهاده فإن أحببت أن ترجع
إلى دار ملكك ويكون أمرك مكتوما من الروم فعلت وإن أمرت جيشكم من تشو
عليه من قومك **فقال** له قليكانوش ما فعلت هذا ولي نية في مملكة بل نيتي
في كف ملك الدنيا فإذا انقضى هذا الأمر ونصر الله الإسلام وأهله قصدت
بيت المقدس فأقيم فيه حتى أموت إن شاء الله تعالى ولكن يا يوقنا أنفذ من ينفذ
إلى المسلمين برسالتنا ويخبرهم بما نحن عليه عزمنا فقال له يوقنا إن لهم في عسكرنا
عيونا وجواسيس من أهل حلب ممن هم تحت ذمتهم فإنا أخبرهم بالقصة
ويعلمون الأمير أبا عبيدة **فبينما** هم في المشاورة تحت سفح الجبل وإذا بشبح
قد وصل إليهما فنظر إليه يوقنا وإذا به عمرو بن أمية الضمري بنا عرار رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقد عرف به فسلم على يوقنا ومن معه وقال لهم إن الأمير أبا عبيدة
يقول لك جزاك الله عنا وعن المسلمين خيرا وإنه يعلمك أنه قد رأى الليلة في منامه
رسول الله صلى الله عليه وسلم وحدثه بما كان من أمر صاحب رومة الكبرى وبما تحدث

مع قومه وبما قد عزم عليه وبشره بأن عن إذن الله يفتح انطاكية على أيدي المسلمين
بين وأصنعها ملك الروم فلما سمع بليكانوس ذلك من كلام عمرو بن أمية الضمري
اقشعر بدنه وارتعدت جوارحه وقال أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا
رسول الله وأن هذا هو الدين القويم وعن صالح بن عامر عن جده
عياض بن مراحم قال إن أبا عبيدة رضي الله عنه في الليلة التي فتح الله انطاكية
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء إليه وهو يسلم عليه ويشكو إليه حاله وحال
المسلمين فقال له يا أبا عبيدة أبشر من رضوان الله تعالى ورحمته وغدا تفتح المدينة
يعني انطاكية على يديك صلحا وأن صاحب رومية الكبرى قد جرى من أمره كذا
وكذا وهم بالغي بأمر عسكرك فتقدم إليهم بإنجاز الأمر على القوم فاستيقظ
أبو عبيدة وقص رؤياه على خالد بن الوليد رضي الله عنهما ففي حال ذلك وجاء
شعيرا وانعز إليهما عمرو بن أمية الضمري وعامر فأخبراهم أنهم عادوا وانكفوا
بجيش الملك هرقل كأنهم في سورته وقد انبطح يوقنا عن بليكانوس وقد وقع بهم
على ما قد ذكرنا من كبسهم وقبضهم على الملك هرقل وجيشه إذا أصبح الصباح
فبينما هم كذلك وإذا الحاجب الملك قد أقبل يوقنا وهو خارج من انطاكية
وبين يديه المشاعل ومعه أصحابه وأمامه ضرار بن الأزور ورفاعة بن زهير ومن
معهما من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين كانوا في السجن وقد أخرجهم منه
وعول على قتلهم ورمي رؤوسهم إلى جيش المسلمين فلما سمع ذلك منه وزيره يوقنا
أظلمت الدنيا في عينيه وقال له أيها الحاجب الكبير أنت تعلم أن اللقاء يكون غدا
بيننا وبين العرب فإذا أنتم قتلتم هؤلاء ورميتم برؤوسهم إلى العرب فلا يفعلوا
لا حرمنا إلا قتلوه فاتق الله ولا تعجل عليهم ودعهم عندي وراجع الملك هرقل
في أمرهم حتى نرى ما يؤول الأمر إليه قال فكفهم الحاجب عند يوقنا ورجع إلى الملك
وحدثه في شأنهم وأخبره بمقالة يوقنا في أمرهم فقال له الملك دعهم
عند الوزير يوقنا وقل له يحتفظ عليهم إلى حين مشاورة الملك وقال له احتفظ
بهم وكثر الغم عليهم فأخذهم يوقنا وسار بهم إلى خبائه وقد صعب عليه
إخراجهم من انطاكية لأنه كان عول أن يملك بهم المدينة فلما حطوا عنده

واطمار بعض حللهم من ثيابهم واعطاهم خيلهم وعددهم وسلم اليهم لامة حربهم
وحدثهم بما عزم عليه فبكا نوفل ومن روية ابي عبيدة لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وبشارته فقال ضرار بن الازور رضي الله عنه والله لارضين الله عز وجل عني جهادنا
غدا في سبيل الله ان شاء الله ولم يبق عنهم يوقنا في شي ادفه بل فرقهم على بني عمه
لكل واحد منهم رجل من المسلمين لئلا يطلع عليهم **وعن ابي محمد عن سعيد بن**
ابي مريم **عن** يحيى بن ابي ايوب **عن** عبد الله بن مسعود **عن** من اخبره ممن حضر فتوح
الشام عن امر الذين كانوا في السجن من الصحابة **قال** ان الذي امر باخراجهم من
سجن انطاكية فليس هو هرقل وانما هو البطريق صاحب ملكه الخاص به بالبيس وكان على
صفته لان الملك هرقل نام تلك الليلة فراى في منامه كان شخصا نزل من السماء
فقلبه عن سريره وكان تاجه كان عن راسه وكان المنجم يقول له قريبا ما يعد
من زوال ملكك من ارض سورية وقد ذهبت دولة الشقاء وجاء الحق بمن يهبا
الوبا وكان المنجم يقدم في عسكره فاشعله نارا فاستيقظ الملك فزعا
مرعوبا مما راى في منامه فعسى ذلك بزوال ملكه وانهزام جيشه وقتل
رجاله وكان قبل ذلك نزول المسلمين عليه قد عبا خزائنه وذخائره وجميع
ما يعتمد عليه من امواله والقى الكل في المراكب واكثر من الزاد والاطعمة
والسلاح والعدة في البحر فلما راى تلك الليلة ما راى في منامه بعث ببناته
وحرمه وجميع حشمه وخدمه الى المراكب في الليل من ارباب دولته وبطارقته
ثم دعا بخاصة خاصته واجل وزرائه وخاصة اهل بيته بما راى في منامه وعرفهم
بما عزم عليه من الهروب به وامرهم بالخروج معه ثم دعا بمملوكه الخاص به بالبيس
وكان اشبه الخلق به في الصفة والجسم زيه ومنطقه وتوجه وقال له كن غدا
في موضعي هذا فاني قد علمت ان اكابر العرب قد غدروا بهم وقهروا امتهم ثم انه ركب
مع اهل بيته وخاصته وخرجوا هاربين وساروا الى جهة البحر فركبوا في
السفن وفي تلك الساعة امر بالبيس باخراج اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
لاجل القتل فخلصهم الله سبحانه وتعالى بلطفه بيوقنا حين اغيثهم كما ذكرنا
فلما كان من الغد ركب جيش المسلمين كله

وتقدم

وتقدم خالد بن الوليد وابو عبيدة وركب جيش الروم واصطفت صفوفهم
وركب صاحب الملك هرقل ووقف في موقف هرقل ووقف الى جانبه قليقانوس
صاحب رومة الكبرى وركب يوقنا وبنو عمه والمنافقين من اصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم في مراكبهم وهم متكفنون تحت السلاح في موقفهم وحرهم
وليس معهم غيرهم فكان اول من حمل على الروم خالد بن الوليد بجيشه الى حيعا
واتبعه سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل العدوي وحمل من بعده رافع بن عميرة
الطائي وحمل من بعده ميسرة بن مسروق العبسي وحمل من بعده مالك الاشتر
النخعي وحمل ابو عبيدة رضي الله عنه ببقية الجيش وفيه عبد الرحمن بن ابي
بكر الصديق والفضل بن العباس وذو الكلاع الحميري وعمرو بن معدي كرب
الزبيدي وذكر انهم واختلط الناس بعضهم على بعض وضج المسلمون بالتهليل
والتكبير والصلاة على النبي النذير فلما اختلط القوم واشتبك الناس
وحميت نار الحرب واشتعل ضرامها حمل يوقنا وبنو عمه وحمل ضرار واصحابه
فلله در ضرار ويوقنا واصحابهما لقد اعطوا السيف حقه واخذوا ان ثاره
من اعداء الله الروم وكلما قتل قتيلا صاح واثاراه ضرار وكان قد قصد
عسكر المتنصرة واصحابه المسلمون لا يفارقونه ورفاعة بن زهير يشجعهم
ويعظهم ويقول احملوا ولا تفشلوا واعلموا ان الجنة قد زخرفت قصورها
وزينت غرفها واشرفت حورها وعرج ولدانها وتعلقت بابها ثم صاح يا
فتيان العرب اخبركم من نوافح نسمتها نسمة من شهد بدرا وحنينا اليكم بمن غبا
في زواج الحور العين ايكم يجعل بذل نفسه في المقصود من يريد عروسا في الجنان
من يحب ان يقوم على راسه الولدان والغلمان ايكم يرغب فيها فقاتل الذين متكبرين
على ربهم خضر وعبقري حسان فبينما ضرار واصحابه في قتال الاعداء وبعضهم
يقول بعضهم لبعض الى دي والناس في لجج الروم من كل جهة ومكان واذا بجيوش
الروم قد تدفعت الى ورائها وكتائبها قد ولت وانثنت راجعة على اعقابها
وكان الاصل في ذلك ان قليقانوس لما راى الحرب قد اضطرمت نارها وعلا
ضرامها حمل باصحابه على اصحاب اليسار وضج بهم عليه وهو يظن انه هرقل

وقتله فصاح صائح من الروم قد قبض على الملك هرقل وغدره فليطا نوش صاحب
رومة الكبرى فلما سمعت الروم ذلك ذهلوا عن عقولهم وعلموا انه لا طاقة
لهم بقتال المسلمين ونزالهم فولت الروم وركنوا الى الفرار وقتل المسلمون
منهم مقتلة عظيمة لم يقتل مثلها الا يوم اجنادين واليرموك وقتل من العرب
المتنصرة ما يزيد على اثني عشر الفا ومن الروم سبعون الفا وزيادة واسروا
منهم ثلاثين الفا وولت بقية الروم والمتنصرة منهزمة لا يدرون اين ياخذون فمنهم
من مضى وهرب الى قيسارية الى قسطنطين بن هرقل ومنهم من اخذ وهرب نحو
دروب انطاكية واخذ المسلمون سلاح الروم وخيامهم وجمعوا ثياب
كبرائهم ورؤسائهم واموالهم واسلحتهم وتبعوا اثر الكفار وراء عسكرهم
وطلبوا جبلة بن الايهم والفارع فلم يروا لهما خبرا فسالوا عنهما فقيل لهم وولده
هربا مع ولده الفارع قال الرواة الثقات انهما انهزما وكبا اخوهما
ووجوه بني عمهما الى جهة البحر وركبوا في مراكب الملك وهم جملة من العرب
المتنصرة نحو من خمسمائة رجل من سادات قومهم وهم الذين من نسلهم الافرنج
الذين هم اليوم مع الروم فمن جملتهم عربصة بن عصمة وعروة بن وائل ومرهعا
بن واقد وحجاج بن سالم ومثل هؤلاء فتناسلت منهم ذرية الافرنج الذين هم
اليوم مع الروم فلما وضعت الحرب اوزارها وخمدت نارها وجمعت الاموال
والاسارى بين يدي ابي عبيدة رضي الله عنه فنظر الى ذلك وسجد لله شكرا
وتباشر المسلمون بذلك واجتمع بعضهم الى بعض يهنئونهم بما فتح الله
عليهم وجاء ضرار واصحابه ويوقنا وبنو اعمه فسلم عليهم المسلمون وفرحوا
بهم وفرحوا بسلامتهم وخلاصهم من ايدي اعدائهم وجاء فليطا نوش
واصحابه فقام المسلمون كلهم الى لقائه فتقدم ابو عبيدة فسلموا عليه
وسلم عليهم فعند لقاء كبار اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وضج المسلمون
كلهم بالتهليل والتكبير واقبل جميع المسلمين يحيون فليطا نوش
واصحابه ممن معه ويسلمون عليهم وقالوا سمعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول اذا اتاكم كريم قوم فاكرموه فنظر فليطا نوش الى تواضع

المسلمين

المسلمين وحسن سيرتهم فقال ان هاولاء القوم هم الذين بشر بهم المسيح صلوات
الله وسلامه على نبينا وعليه ثم انه اسلم واسلم من كان معه من اصحابه فقال
ونظر ابو عبيدة الى قصر انطاكية ومنعتها وكثرة من فيها من الامم فقال
اللهم اجعل لنا اليها سبيلا وكن بنا واقتح لنا فتحا مبينا سهلا رفيقا وكان على
انطاكية وال من قبل الملك هرقل اسمه صايب بن جيس وكان خاملا
في قومه فعزم على القتال من داخل المدينة من اعلى القصور فخالفه قومه في ذلك
فاجتمع الكبراء منهم الى قس كان عندهم وقالوا له اخرج لهاولاء العرب واصلح
بيننا وبينهم على ما قدرت فخرج القس الى ابي عبيدة وتكلم معه في امر
الصلح وقال له تدخل معنا الى المدينة فقال له ابو عبيدة يا بني القس ان
لا امن منكم الا ان تحلف لنا يمينا انكم لا تغدرونا فان مدينتكم لعالية
مانعة يكفيها المنع والحجارة والجبال والوعر والاشجار ثم قال من يحلفه فقال يوقنا انا
احلفه ثم وضع يده فوقنا ابا عبيدة بين يدي القس وقال له قل والله والله اربعين مرة
والا قطعت زناري وكسرت صليبي ولعنت الشماسة والاربين روح
وخلعت مريم من النصرانية وذبحت الجمل في ماء المعمودية ونجستها ببول المولود
وقتلت كل الشهود والا خرقت سرابيل وعصيت بطارقتي والا ذبحت
القسوس وصبغت بدمائهم ثوب عروس والا جعلت المسيح ميتا لا يقوم
والا جعلت مريم زانية المسيح والا كفرت بما في الانجيل من البيان والا جعلت
على المذبح الزعفران والا اكلت قناديل كنيسة جرجيس والا هدمت الكنا
يس والبيع والا عبرت اللاهوت وهجرت الشماسية والناسوت والا غسلت
قبلة صبيحة يوم الجمعة والا صمت رمضان على المسلمين واكلت اللحم ناعشا
والا ذبحت الجمل في عيد الشعانين والا جعلت على المذبح حيضة يهودية
والا تزوجت ضمنه حتى لا انفك منها ابدا والا صليت في ثياب اليهود وقلت
ان عيسى دابغ الجلود لا غدرت بك ولا بمن معك فحلف له بذلك ودخل ابو
عبيدة بعد ذلك الى المدينة وكان دخول ابي عبيدة الى انطاكية لخمس خلون
من شهر شعبان سنة ثمانية عشرة من الهجرة فدخلها ونشر اللواء الذي عقده له

ابو بكر الصديق رضي الله عنه يوم مسيره الى الشام وعن يمينه خالد بن الوليد
وعن يساره ميسرة بن مسروق العبسي رضي الله عنهما والمسلمون وراءهم
والقارئ يقرأ ابين يديه سورة الفتح فلم يزل يسير حتى انتهى الى باب الجنان
فنزل هنالك وصار في مكانه مسجدا وبه يصلى الى وقتنا هذا اليوم واخبر ابو
عبيدة والصحابة بقتله قال ميسرة بن مسروق ووجد عمرو والحي اعني فكرنا
الى بلدة كبيرة كثيرة الماء والخيرات فما احد من المسلمين الا استطابها
واردنا الاقامة فيها ووجدنا ذلك فاقمنا فيها ثلاثة ايام ثم بعد ثلاثة
ايام كتب ابو عبيدة الى امير المومنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالفتح والبشارة
والسلامة والنصر والغنيمة كتابا يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم
الى امير المومنين عمر بن الخطاب من عامله على الشام ابي عبيدة بن الجراح سلام عليك
ورحمة الله وبركاته اما بعد فاني احمد الله الذي لا اله الا هو واصلي على نبيه
محمد صلى الله عليه وسلم واشكر الله على رزقنا من الفتح والغنيمة والنصر
واعلمك يا امير المومنين ان الله عز وجل قد فتح لنا كرسي النصرانية والبلد
الطاغية المدينة العظمى انطاكية وقتلت ابطالها وهزمت جيوشها
وكسرت عساكرها ونصرنا الله عليهم وهرب باقيهم في البحر واني لم ارد
ان اقيم بها لكثرة هوائها ولقد خشيت على المسلمين ان يوافقهم كثير
هوائها فيغلب بذلك حب الدنيا على قلوبهم فيقعدهم ذلك عن ذكر ربهم
وانا معول على المسير الى حلب وانا منتظر امرك فان امرتني ان اسير خلف
العدو والرحيل الى الدروب سرت وفعلت وان امرتني بالقعود قعدت وجلست
واعلم يا امير المومنين ان العرب العطاش قد نظروا الى بنات الروم فرغبتهم
انفسهم الى التزويج بهن فمنعتهم من ذلك واني اخشى عليهم الفتنة الى
الامر عصمه الله وشرح صدره للاسلام فعجل علي بامرك والسلام عليك
وعلى من معك من المسلمين ورحمة الله وبركاته ثم طوى الكتاب وختمه
وقال يا معشر المسلمين من يسرع بهذا الكتاب الى امير المومنين عمر بن الخطاب
فاسرع اليه بالاجابة زيد بن وهب مولى عمرو بن سعيد وقال انا اوصله

ان شاء الله تعالى فقال له ابو عبيدة يا زيد انك لست مالك امرك وانما انت مملوك
فان احببت ذلك واردت المسير فامض الى مولاك عمرو فليأذن لك بذلك
فاسرع زيد الى مولاه عمرو وانكب على راسه يقبله فمنعه من ذلك وذلك
ان عمروا كان رجلا زاهدا متواضعا لا يملك من الدنيا الا سيفا ورمحا وقوسا
وترسا وبعيرا ومزادة وقصعة ومضجعا وكان كل ما ياخذ من المغنم لا يدخر
منه شيئا الا ما يتقوتون به مع عياله والباقي كان يفرقه على اهله وقرابته
ويبعث بالباقي الى امير المومنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ويقول له فرقه على فقراء
المسلمين وفقراء المهاجرين والانصار والضعفاء فلما اقبل مولاه زيد بن وهب
ليقبل راسه ومنعه من ذلك وقال له ما الذي تريد فقال يا مولاي اريد ان تاذن
لي ان اكون رسول المسلمين بالبشارة الى امير المومنين فقال له عمرو بن سعيد يا ابن
زيد اتريد ان تكون رسول المسلمين بالبشارة وانما منعك من ذلك اني
فعلت ذلك لليتيم اذهب يا زيد حيث شئت فانت حر لوجه الله تعالى
وان جوارحي يعتقك ان يعتقني من النار فخرج زيد بن وهب بذلك وخرج من عنده
ومضى الى ابي عبيدة واخذ الكتاب من يده وجعله بامر سيده ثم استوى على
نجيب دفعه له ابو عبيدة من نجب اليمن وكان سابقا فسار زيد بعد
ان سلم على ابي عبيدة والمسلمين وجعل يجد السير ويطلب ارض الحجاز قال زيد
فقربت من مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد بقي من ذي القعدة خمسة ايام
فلما قربت واذا بالمدينة متغلقة وسمعت لاهلها ضجة عظيمة وهم يدعون
الى باب بقيع الغرقد فقلت لعل لهم امر فتبعتهم لانظر ما شانهم واذا كان
انهم يريدون حربا او قتالا فسلمت على رجل من المسلمين لاسئله فرد علي السلام
ونظر الي وعلي ثيابي فقال زيد بن وهب ورب الكعبة فقلت نعم قال الله اكبر
ما وراءك يا زيد من الاخبار فقلت خير البشارة والسلامة والفتح والغنيمة
فما فعل امير المومنين عمر بن الخطاب فقال لي ان الامير خارج يريد الحج الى بيت الله
الحرام وقد اخرج معه ازواج النبي صلى الله عليه وسلم يحج بهن والناس مشيعون
له قال زيد بن وهب فنزلت عن النجيب وعقلته ببعض زمامه واسرعت مهرولا

حتى وقفت بين يدي مولاي وهو راكب بعيرا وامير المومنين عمر بن الخطاب
رضي الله عنه في جوفه وهو يمشي راجلا على قدميه ومن ورائه يرفا مولاه وهو
راكب بعيرا يقوده وقد رحله بعباءة قطوانية وزاده وحقيبته عليه والهو
والهوادج بين يديه سائرون وعن يمينه علي بن ابي طالب وعن شماله العباس بن
عبد المطلب رضي الله عنهم ومن ورائه جماعة من المهاجرين والانصار وهو يسو
قهم بالمدينة قال زيد بن وهب فلما وقفت بين يديه ناديته السلام عليك
يا امير المومنين ورحمة الله وبركاته فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته من انت
ومن اين اقبلت قال فقلت يا امير المومنين انا زيد بن وهب مولى عمرو بن سعيد بن عمرو
وقد اتيت اليك من الشام بالبشرى فقال عمر بشرك الله بخير ما بشارتك قلت
هذا الكتاب من عاملك ابي عبيدة يخبرك فيه ان الله تعالى قد فتح على المسلمين
انطاكية قال زيد بن وهب فلما سمع بذكر فتح انطاكية خر ساجدا لله
شكرا ومرغ وجهه وخده في التراب ثم رفع راسه من سجوده وقد تمرغ وجهه
وشيبه في التراب وهو يقول اللهم لك الحمد ولك الشكر على نعمك المتتابعة
ثم قال هلم الي الكتاب يرحمك الله فسلمت اليه الكتاب فلما قراه فيه
بكى فقال له علي بن ابي طالب يا امير المومنين مم بكاؤك فقال له مما صنع
ابو عبيدة بالمسلمين وان النفس لامارة بالسوء ثم دفع الكتاب الى علي رضي
الله عنه فقراه الى اخره قال زيد بن وهب ثم رايت عمر بعد ان سكت من بكائه
ازداد في حمه ثم اقبل علي وقال يا زيد ان غدت وامتعنا في اكل تينها وعنبها
فاحمد الله تعالى كثيرا فقلت يا امير المومنين ليس بقوا وقته وزمانه فجلس عمر
على التراب ودعا بدواة وقرطاس وكتب الى ابي عبيدة كتابا يقول فيه
بسم الله الرحمن الرحيم
صلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين من عبد الله عمر بن الخطاب امير المومنين الى عامله
بالشام ابي عبيدة بن الجراح سلام عليك ورحمة الله وبركاته وبعد فاني احمد الله الذي لا
اله الا هو واصلي على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم واشكره على ما وهب من النصر
للمسلمين وجعل العاقبة للمتقين ولم يزل الهيبا بالمومنين اما فوالله انك لم تقم

فانك طيبة لطيب تقواها فان الله سبحانه وتعالى لم يجعل الطيبات على المتقين
الذين يعملون الصالحات وقد خاطب الله تعالى عباده بما خاطب به رسله فقال عز وجل
يا ايها الذين امنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا وقال عز وجل يا ايها
الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا فكان يجب عليك ان تريح المسلمين
من تعبهم وتدع عمرو بن عمرو في مطعمهم ومشيه بهم ومن يعود الابدان التي
تعبت في قتال من كفر بالله ورسوله وأما قولك انك تستطي امري وقولي
بالذي امرك به تقوى الله تعالى وان تدخل خلف العدو وتفتح بلاد الروم
فانك شاهد وانا غايب وقد يرى الشاهد ما لا يرى الغايب وانت بحضرة عدوك
وعيونك ياتونك بالاخبار فان رايت انه صواب لك مسيرك للدروب فافعله
وابعث اليهم الجيش اذا واحذ معهم بلادهم وضيق عليهم المسالك ما
استطعت وان طلبوا منك الصلح فصالحهم واوف لهم بما تعطي من العهد
والذمام وان رايت ذلك غير صواب فلا تفعله وأما قولك ان العرب
العطاش قد ابصروا نساء الروم ورغبوا في بناتهم والتزويج بهن ودعتهم
انفسهم الى ذلك فمن احب ذلك فدعه ان لم يكن له بالحجاز اهل ومن اراد ان
يشتري من الاماء فدعه فان ذلك اصون لفروجهم والسلام عليك وعلى من معك
من المسلمين ورحمة الله وبركاته ثم طوى الكتاب وختمه بخاتمه ودفعه
الى زيد بن وهب وقال له انطلق به يرحمك الله وانم كعم في ثوابك واجرك
فاخذ زيد الكتاب من يد عمر وهم ان يمشي فقال له عمر على رسلك يا زيد حتى
يزودك عمر من قوته ثم امر عمر بان اناخ بعيره واخرج له من تمره صاعا ومن
سويقه صاعا وقال له خذ هذا واعذر عمر فهذا ما امكنه قال زيد ثم انه
عمد الى راسي فقبله فبكيت وقلت يا امير المومنين ما بلغ من شاني وقدري
ان تقبل راسي وانت امير المومنين وصاحب الصادق الامين ختم الله بك الاربعين
وانت بك الدين واعز بك المسلمين فبكى عمر وقال يا زيد ان رجوا الله تعالى
ان يغفر لي بمشايتك فسلمت عليه واستويت على كور ناقتي وهممت
بالمسير فسمعته يقول اللهم احمله عليها واطول له البعير وسهل عليه

عليه الصعب الشديد أنك على ما تشاء قدير وبالإجابة جدير وأنت على كل شيء
شهيد ففي حب بدعوته وعلمت أن الله سبحانه وتعالى لا يرد دعوته إذ كان لله
ولنبيه طائعا وجعلت أمشي والأرض تطوى تحت أخفاف مطيتي حتى علمت ذلك
فما كان اليوم الثالث إلا وأنا عند أبي عبيدة وكان قد ارتحل عن أنطاكية ونزل
على حازم فلما أشرفت على عسكر المسلمين سمعت ضجة عظيمة فسألت
رجلا من المسلمين فقلت ما هذه الضجة فقال هذا فتح ما فتح الله على المسلمين مع خالد
بن الوليد فإنه سار إلى شاطئ الفرات وقد غار بخيله ورجاله عليهم وعلى منبج
وبزاغة وقلعتها وبالبيرة وأخذ أموالها وغنائمها وساقهم إلى أبي عبيدة وقد
طالبهم على أن يرد عليهم أموالهم ورجالهم فصالحوه وقد رد عليهم ذلك وقد
فتحها الله على المسلمين صلحا وكان فتح منبج وبزاغة وبالبيرة وقلعة نجم في
العشر الأواسط من المحرم سنة ثمان عشرة من الهجرة وكان صلحه مع أهلها
على مائة وخمسين ألف مثقال على أن رد عليهم أموالهم كلها وترك صاحبهم
يمضي بأموالهم وأثقالهم وعبيدهم وخيولهم إلى بلادهم وولى عليهم من المسلمين
من يقوم بأمرهم فولى على منبج عباد بن رافع التميمي وعلى القلعة نجم بن
مفرج الفهري وباسمه ذلك تسمى قلعة نجم بن مفرج إلى يومنا هذا وولى على
بزاغة أوس بن جابر الربعي وولى على البيرة إياد بن عمرو الحميري وبنا حولها قلعة
وسماها باسمه فلما قدم زيد بن وهب أتى خيمة أبي عبيدة فوجده وهو
جالس وبجنبه خالد بن الوليد وقد قدم بمال الصلح وكان قدوم خالد بن الوليد
بالأموال يوم قدوم زيد بن وهب فأناخ زيد الناقة وتقدم إلى أبي عبيدة فسلم
عليه وعلى خالد والمسلمين ودفع إلى أبي عبيدة كتاب عمر وأخبره بمقالته وفض
الخاتم وقرأه في نفسه ثم أعاد القراءة على المسلمين ثم أمر أبو عبيدة بالغنائم
فجمعت إليه ومثلت بين يديه وأخرج الخمس منها وفرق الباقي على المسلمين
وعكر لكافة [illegible] وفرح المسلمون بذلك فرحا شديدا إذ نصرهم الله على
عدوهم وملكهم بلادهم رضي الله عنهم

ذكر حروب الدروب وفتح جبالها ودخول ميسرة بن مسروق العبسي [illegible]

قال القاض

قال القاضي ابو عبد الله محمد بن اسماعيل بن عبد الله بن عمر

الواقدي رحمه الله ورضي الله عنه حدثني احمد بن عبيد بن ناصح عن ابي عبد الله محمد بن
عمر السلمي عن محمد ابن عبد الله بن مسلم الزهري عن عبد الله بن زيد بن الهذلي وامامة
وعبد الله بن الحارث وكل حدثني بما سمع من اخبار فتح الشام وقد زاد بعضهم على
بعض في الرواية واقتصى الذي ورد وكل واحد قد قال برواية صاحبه لما فتح ابو
عبيدة انطاكية وارتحل عنها الى حازم وفتح جنقات منبج ونزاغة صلحا
وجاءه الكتاب من عند امير المومنين عمر بن الخطاب يامره ببعث السرايا الى خلف
العدو وبلاد الروم فجمع ابو عبيدة المسلمين وقال لهم معاشر الناس قد جعل
امير المومنين امر دخول هذه الدروب اليّ وقال لي انت الشاهد وانا الغائب
وانا لا اعمل شيئا الا بمشورتكم وعن رايكم فاشيروا علي رحمكم الله بما
تشيرون فسكت المسلمون ولم يجبه احد فاعاد ابو عبيدة الكلام وقال
معاشر المسلمين هذه ايلة الشام قد ملككم الله اياها واخرج عنكم عدوكم منه
بالذلة والهوان والصغار واورثكم الله ارضهم وديارهم كما ضمن لكم نبيكم
محمد صلى الله عليه وسلم فما تشيرون به وما ترون فهل ترحلون في طلب الروم الى
خلف عدوكم ام لا فسكت الناس ولم يجيبوا جوابا فاعاد الكلام ثالثة وقال
ما هذا السكوت افشل لحقكم بعد الشجاعة ام كسل بعد النشاط ام قد كفيتم
من الحسنات ولم تبق عليكم خطيئة فارغبوا الى الله عز وجل ان يعينكم على
الجهاد فهو خير لكم من الدنيا وما فيها **فكان** اول من تكلم ميسرة بن
مسروق العبسي فقال ايها الامير انا لم نسكت لجزع لحقنا ولا لهلع ادركنا
وانما بعضنا ينتظر بعضا واعلم ايها الامير انه ما لنا بضاعة ولا حرفة ولا تجارة
ولا عمل الا الجهاد في سبيل الله لاعداء الله وطلب ما عند الله وها نحن لك وبين
يديك فما امرتنا به فعلناه فمنك الامر ومنا الطاعة لله ولرسوله ثم لك واما
انا فما اهلك الا نفسي فوجهني حيث شئت تجدني سامعا مسارعا طائعا
فجزاه ابو عبيدة خيرا ثم قال معاشر المسلمين من له راي وحضرت له مشورة فـ
فليبلغها وليمض ما عنده ولا يتكلم فيها **فقام** خالد بن الوليد وقال ايها الامير

والله ما عن طلب العدو نقصر عنه ولا نجبن عن القوم علينا ولا نضعف في ديننا
وان طلبت العدو فهي الغنيمة وانما النصر من عند الله والذي اشير به عليك ايها
الامير هو ان تبعث الجيوش والسرايا الى كل درب من دروب الروم فان ذلك مما يوهن
قلب عدونا وبه تقر اعيننا فجزاه خيرا وقال يا ابا سليمان اني قد رايت ان اعقد راية ابو عبيدة
لميسرة بن مسروق العبسي وانفذه ومعه رجال من اهل اليمن فيغير على درب
من بلاد العدو وفي جمع ان شاء الله تعالى فيجيئنا بخبر البلاد فنعمل على حسب
ذلك او ياتينا رسوله ولعله ان يفتح الله على يديه دربا من الدروب لانه اول من
سارع في هذا الامر واستشاره فقال خالد اصبت الراي رحمك الله فاخذ ابو عبيدة
قناة تامة الطول وعقد عليها راية سوداء مكتوبا عليها بالبياض لا اله الا
الله محمد رسول الله ونظر الى ابنه وهي في كفه وسلمها الى ميسرة بن مسروق
العبسي وقال له يا ميسرة انت كنت اول من مشى على المسلمين بالمسير الى
بلاد الروم وافتتاح هذه الدروب فخذ هذه الراية وكن انت المتولي لذلك
وقائع فتحها يكون لك ذكرها في الدنيا واجرها في الاخرة ثم انتخب ابو
عبيدة من قبائل اليمن ثلاثة الاف فارس من طي ونبهان وكندة وخولان
ولخم وجذام وذبيان وسنبس والازد ومذحج وكهلان واحمس وعك
وهمدان وهم قبائل العرب والعتاك والشجعان فيهم الرؤساء والنجباء
والفرسان العبس الحنفاء فاما السادات فانهم قد لبسوا كامل السلاح ولبسوا
ثيابهم وعمائمهم واشملتهم وابلاسهم وزيهم المعروف في القبائل وعليهم
الابراد اليمانية والعمائم العربية وفي اوساطهم محازم الادم العربية
واما العبيد فقد لبسوا السوابغ من الادم وعلى رؤوسهم العمائم الصفر
متوشحين بالسيوف القاطعة وبايديهم الرماح اللامعة وكل عبد منهم
يقول في نفسه انه يحمل على كتيبة ويقاتل عشرة الاف فارس وحده
وجعل ابو عبيدة ابا الهول امير اميرا على العبيد وجعله تحت راية
ميسرة بن مسروق واعطاه راية وقال له يا ابا الهول كن في اول هؤلاء
العبيد فهم تحت رايتك وطاعتك وانت تحت راية ابن مسروق فلما اخذ العبد

فيما

فيما امرك به واستشاريه عليك فانه مبارك المشورة رشيد الامر فقال له دامس
حبا وكرامة وسمعا وطاعة واجابت العرب كلها الى ذلك الا رجالا من طي
فانهم كرهوا المسير تحت راية ميسرة بن مسروق العبسي وقال بعضهم لبعض
كيف عقد ابو عبيدة الراية لرجل من عبس وترك سادات طي وملوك اليمن
فبلغ الخبر الى ابي عبيدة فدعا بهم وقال لهم يا آل طي انكم مشكورون
عند المسلمين وقتالكم انما هو عز ونصر وفتح عليهم فاياكم ان يداخلكم
الكبر فتهلكوا واعلموا ان الله لا ينصر بكثرة عدد ولا بشدة جلد وعزم
وقوة جلد وانما الغلبة بنصر الله تعالى وهو قوله ان ينصركم الله فلا غالب
لكم وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم وان اكرمكم عند الله اتقاكم **فوالله**
ان ميسرة لاقدم منا سابقة في الاسلام وهجرة الى دار السلام وصحبة لرسول الملك
العلام فسكت القوم من طي عند ذلك وساروا واسرعوا حتى وقفوا تحت
راية ميسرة بن مسروق فلما تكامل القوم وتهيئوا للمسير اقبل ميسرة
على ابي عبيدة وقال له ايها الامير اني جاهل بهذه الطريق وغير عارف وخبير
بهذه الديار ووالله ما عرفت ابدا اخذ والى اين نتوجه والارض قاتلة لمن جهلها
وقد تعلم ان امير المومنين عمر بن الخطاب امرك في كتابه ان تبعث الادلة معنا
ولا بد لنا من دليل يدلنا ويرشدنا الى الطريق فنسلكه فقال له ابو عبيدة
لقد ذكرتني ما كنت ناسيا له ولا بد لكم من الادلاء فانتخب ابو عبيدة وعرض
عليه المعاهدين ممن كان في الذمة من كل مكان فاخذ منهم اربعة ممن عرف
خيرته ورشده ونصحهم للمسلمين وضمن لهم الجعل وهدم عنهم الجزية ابدا
ما كانوا في بلاد المسلمين وقال لهم على اي طريق يكون دخول المسلمين خلف
العدو من بلاده الدروب فكل اشار بالدروب الاعظم وقالوا ايها الامير ان الدروب
الاعظم فالروم قد اسلموها واكثر هاجيا وهو قريب الى البلد وهذه الدروب
ليس فيها مثل البلاد التي افتتحتموها لانها من مطايب وشعوب وكهوف
واودية وهذا اسهلها وابردها وغيره كثير الحجارة عظيم الكهف
فقال اهل اليمن يا ميسرة امض امامنا فانك ترى منا عجبا ان شاء الله فتقدم

ذلك هو ميسرة الراية وسار في اوايل قومه بعد ان سلم على ابي عبيدة والمسلمين
وسلم المسلمون بعضهم على بعض وسار من كان في اول الجيش وهم يضجون با
لتهليل والتكبير للرحمن والصلاة على البشير النذير وقراءة القرءان قال
عكاء بن جعدة الغساني وسرنا نحو السبي والادلة امامنا حتى اتينا بقعة عن
اوس وصرنا حتى غاب قرني الشمس حور واقبلنا الى قوم فنزلنا وبتنا بها
فلما اصبح الصباح سرنا وولجنا الى الدروب ولم نزل نسير في طرق صعبة وجبال
وعرة واشجار ملتفة بكثرة ومياه جارية ومضايق موحشة ليس فيها
للفارس مسلك ولا مجال فقلت في نفسي ان كان علينا هذا خشيت على المسلمين
ان يكفي بهم عدوهم وسارت الادلاء امامنا وتعلقوا بنا في جبال شاهقة
الطوال وصعب على المسلمين الصعود فيها ولم يبق احد من المسلمين الا ترجل عن
جواده وقاده من ورائه وقال عبد الرحمن بن ميسرة ابن مسروق
كنت مع ميسرة بن مسروق العبسي في سريته التي دخلت الدروب فلما
اخذنا في الدروب واذا الجبال شاهقة والاشجار متكاثفة واودية مشتبكة
وارض صعبة الممر وشيئ وقد كان لي خفان من الادم اليمني فلما نزلت عن الجواد
لبستهما وسرت وانا اقود جوادي من وراي فوالله ما كان الا قليلا حتى كان
النعلان من رجلي وبقيت امشي حافيا ورجلاي تشخب دما من صعوبة
الطريق وشدة خشونته ولم تزل الادلة تسير بنا امامنا ونحن في ذلك
ثلاثة ايام وما من يوم نسير فيه الا وهم يقولون لنا كونوا على حذر من عدوكم
فانه ان خرج عليكم العدو في هذه الطريق اهلككم فلما كان في اليوم الرابع خرجنا
الى ارض زهرة واسعة وكان دخولنا الى بلد الدروب في اول الصيف وما احد منا
الا وقد نزع فروته عن جسده في تلك الجبال فلما خرجنا الى تلك الارض لبس كل
واحد منا ما كان يلبسه في زمان الشتاء وانه ليطلب الدفا ونحن نرى الثلج
وهو عن ايماننا وعن شمايلنا وكان ابو الهول ذا مسن قد سار وليس معه الا انه
حد به ولم ياخذ معه لباسا للبرد فلما دخل الارض الزهرة ضعفه البرد
صاحبه القرى وليس معه ما يكفيه للدفا فقال قبح الله هولاء العلوج اذا كان

هزا البرد

من البرد والقر عندهم في بلادهم في الصيف فكيف يكون في الشتاء اما يقتلهم
الله بطالع الثلج والبرد الشديد وجعل ينفخ في يديه فمضى اليه رجل من المسلمين
الذين كانوا معه فقال له يا ابا الهول مالك تتقفقف فقال له لقد اخذني البرد حتى
ما استطيع ان اثبت فقال له مالك ما تقف دابة وليس يجزيك ذلك فقال له لا
واخبر ميسرة بن مسروق ونزع له فروة كانت عليه فلما لبسها ودفا
جسده قال يا ميسرة كسوتني كساك الله من ثياب الجنة فقال الغد فحلت على
الجبال وهي احسن من الفقع وسارت بهم الادلة امامهم ولم يزل الناس يمشون
في ارض الروم الى ان وصلوا الى ارض طيبة كثيرة الماء قليلة الثلج فامر ميسرة
الجيش بالنزول فيها فنزل الناس حتى اكلوا واستراح الجيش وتلاحق من كان تاليا
ثم رحل بهم ميسرة وسار بقوم الجيش والراية بيده ونحن معه في ذلك كله لم نر احدا
في طرقنا ولم ننظر احدا من الروم فكر بنا واخر حذره منا ونحن نبو مناخ الله كله
الرايل وقتنا **وقال سعيد بن عامر** فوالله ما رايت احدا من الروم في تلك
الايام كلها ونحن سائرون في بلادهم فلما كان في اليوم الخامس ونحن سائرون اذ
لاح لنا سواد في نحو جبل عاس عن الخيل فنحوه فلما قربوا منه فاذا هي قرية
من قرى الروم في راس جبل فقصدوها فوجدوها خالية وليس فيها احد من
اهلها الا انهم سمعوا صوت الديكة ونعاء الغنم وليس فيها داع ولا مانع وكنت
في جملتهم فلما نظرت الى ذلك علمنا انهم هربوا منا فنادى ميسرة بالناس وقال لهم
خذوا على انفسكم فان اهل القوم قد علموا بنا وهربوا منا فاقتحم المسلمون
الى القرية واخذوا جميع ما كان فيها من طعام واثاث وثياب وغير ذلك فنظرت
الى ابي الهول وهو دامس وهو يحمل على عاتقه ثلاثة اكسية وقطيفتين فقلت له
يا ابا الهول ما هذا الذي معك فقال يا ابا سعيد لي في هذه البلاد ووالله ما
انساه ابدا واخذ المسلمون كل ما في القرية ثم سار ميسرة والمسلمون ونحن
معه حتى اشرفت بنا الادلة على مرج طايل كثير العشب والنبات طويل عريض
يسمى مرج القبائل فلما اشرفنا على المرج انبثت فيه خيل المسلمين يمينا وشمالا
حتى امرهم ميسرة ونزلنا فيه معه لعنا الله ورعت خيلنا وميسرة يحدث نفسه بالرجوع

الراي عندي وذلك لان ابا عبيدة امرك الا تبعد ولا تغرر في البلاد وان يكون حرزا
متيقظا فبينما هو كذلك نازل وخيله منبثة في ذلك الموضع والناس من عدوهم
آمنون اذ اقبل فارس من المسلمين ومعه علج يسوقه ومن ورائه دابته حتى او
قفه ومثله بين يدي ميسرة والمسلمين فقال ميسرة للذي جا ما شان هذا
العلج ومن اين اخذته فقال له يا ايها الامير انا لما انبثت خيل المسلمين في هذا المرج
سبقت اصحابي في السير وبعدت عنهم حتى افضيت الى شعب يلوح مرة ويخفى
اخرى فاشرفت عليه فاذا انا بهذا العلج فاخذته وجئت به اليك فدعا ميسرة
برجل من صحبه من المعاهدين الادلاء فلما وقف بين يديه قال له سل هذا العلج عن
اي شيء عنده من اخبار القوم فاقبل المعاهد يسال العلج واطال معه الكلام
والناس سكوت فلما اطال معه المعاهد الكلام قال ميسرة للمعاهد ويحك
ما الذي يقول هذا العلج قال له المعاهد ايها الامير انه يقول ان الملك هرقل
لما ركب في البحر قصد القسطنطينية العظمى وبلغه الخبر ان انطاكية قد
فتحت صلحا وقتل البطارقة صعب ذلك عليه وبكى وقال السلام عليك
يا ارض سورية الى يوم القيامة ثم جمع بطارقته وجماعته اليه وقال لهم اني خائف
من العرب ان يتوغلوا في هذه الدروب فيلحقنا في ملكنا فبعث ثلاثين الفا مع ثلاثة
من البطارقة يحفظون له الدروب فقال له ميسرة قل له كم بيننا وبينهم
قال يزعم ان بيننا وبينهم جمعتين فلما سمع ميسرة ذلك اطرق براسه
الى الارض ولم يحر جوابا فقال له رجل من آل سهم يقال له عبد الله بن حذافة
السهمي وكان من ابطال المسلمين وشجعانهم وكان له عمود من حديد يقاتل به
في الحرب لا يحمله سواه وكان ذميم الخلقة وقال له ما لي اراك مطرقا الى الارض
كانك اي الخطر لحلحلة اللجام والرجل منا يقاتل الفا من كلاب الروم وقال
ميسرة يا عبد الله والله ما اطرقت خوفا من الموت ولا جبنا ولا جزعا على نفسي ولكني
خفت على المسلمين ان يعطبوا او يقتلوا تحت رايتي وهي اول راية دخلت الدروب
فيلومني عمر بذلك وكل راع مسؤول عن رعيته فقال المسلمون والله ما نبالي من الموت
ولا نفكر فيه لانا قد بعنا انفسنا من الله عز وجل ومن يعلم انه منتقل من دار الفناء بعنا

الى دار

الى دار البقاء فلا يبلى بما وصل اليه من الكبار اهل الشقاء ثم قال لهم ميسرة ايها
الناس ما ترون من الراي هل نقف نلتقيهم في موضعنا هذا او نسير اليهم فقالوا نسل هذا
العلج ان كان موضعنا هذا افسح واوسع من موضع القوم ثبتنا فيه فسال المعا
هدين العلج الرومي فقال ليس بعد مرج عمورية لمرج اوسع من هذا المرج فان عولتم
على لقاء هذا الجيش فاثبتوا في موضعكم وان تاخرتم وعدتم الى ورائكم كان خيرا
لكم من قبل ان يغشى عليكم القوم قال فعند ذلك عزم عليه ميسرة الاسلام فاني في حب
عنقه فبينما الناس كذلك وقد ثبتوا في موضعهم اذ اشرفت عليهم رايات
الروم وصلبانهم كانهم جراد منتشر فنزلوا بالقرب من المسلمين واضرموا نيرانهم
بالليل على قرون الجبال فلما كان من الغد صلى ميسرة بالناس صلاة الصبح فلما انفتل
من صلاته قام فيهم خطيبا وقال ايها الناس هذا يوم له ما بعده وان رايتكم هي
اول راية دخلت الروم وان اخوانكم وسائر جيش المسلمين متكلون عليكم
ومتكلون لاخباركم واعلموا ان الدنيا دار زوال والاخرة دار مستقر وسرور
واسمعوا ما قال نبينا محمد صلى الله عليه وسلم الجنة تحت ظلال السيوف ولا تنظروا
الى قلتكم وكثرة عدوكم فان الله معكم وخاذل عدوكم وناصركم عليهم
مع قلتكم وكثرتهم قال الله عز وجل كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن
الله والله مع الصابرين فقال المسلمون يا ميسرة اركب بنا الى لقائهم فانا
نرجو من الله سبحانه وتعالى النصر عليهم والظفر بهم فاستبشر
ميسرة من قولهم وركب من وقته وركب جيش المسلمين لركوبه وانفصلت
الغيوم من الغبار ووقفوا تحت راية ابن الهول دامس ووقفت العرب تحت راية
ميسرة بن مسروق وقد حرضوا على انفسهم لقتال عدوهم واستنصروا بالله عز وجل
عليهم وجعل دامس يوصي اصحابه ويشجعهم وميسرة يقول لكافة الناس ايها
الناس اوصيكم بتقوى الله تعالى وان تكونوا كقوم اشترت عليهم الموت فلم
يفروا منه فلما صفوا لاحت لهم الجنة فعز ابى بها وابعدوا واما اعد الله لهم فيها
واحبوا الذي عنه للدخول اليها وهذه الجنة امامكم وانتم اليوم جيش الاسلام
ثم عباهم ميسرة تعبية الحرب ميمنة وميسرة وقلبا وجناحين فجعل على

الميمنة عبد الله بن حذافة السهمي وعلى الميسرة سعيد بن زيد سعيد المنتقي ووقف
في القلب مع خواص الجيش وقوم العبيد وهم ألف مقاتل بالصفائح الحمر والعمائم
الصفر وبأيديهم الرماح والسيوف وأوقفهم أمام القلب ورايتهم بيد أبي الهول
دامس وهو ساكت ولم يسمع منه كلام بل ولو كلمة واحدة فقط ولم ينكس
وركب جيش الروم وعبوا عساكرهم ومدوا صفوفهم على ثلاثة
صفوف في كل صف منهم عشرة آلاف مقاتل فيهم الصلبان أمامهم وعليهم عدة
حسنة وهم في الحديد القسطنطيني وهم في كتيبة عظيمة فلما تقابلت الجيوش
واستوت الصفوف خرج رجل من القوم يعني من الروم يتكلم بلغة العربية وكان من
متنصرة العرب من غسان فوقف بين عسكر المسلمين وقال إن الباغي أبدا يردي به
بغيه وهو مقهور والمبغي عليه منصور أما كفاكم ما ملكتم من الشام العظيم
حتى اقتحمتم تطلبه الأردن خلفنا وجئتم تطلبون الجبال والأوعار إلينا وإنما ساقكم
الأجل المقدور وهذه ثلاثون ألف مقاتل حلفوا بالصليب أن لا يفروا ولا ينثنوا أو يموتوا
عن آخرهم فإن أردتم أن يبقى عليكم فاستسلموا للأسر فنحملكم إلى الملك يقضي فيكم
فيحكم فيكم ما يريد فخرج نحوه أبو الهول دامس والراية في يده يهزها وجال
لقد صدق الباغي أبدا يردي به بغيه وقولك إنا نلقي بأيدينا إليكم للأسر حتى
تبقوا علينا فأنت الباغي إذ أعليت بقولك إذ تكفلت لنا بهذا من غير بينة
منك البتة وأنا عبد من عباد العرب لا قدر لي عند ذي التاج فاني حتى
أدركك حتى تعانق في دمك ثم أداره امسافي بسنانه منه والراية في يده
وطعنه طعنة أرداه عن جواده قتيلا فلما أرداه فرح أبو الهول بطعنته ونظر
المسلمون إلى ذلك فعجبوا وأدخل الأول من الأعداء وهز أبو الهول الراية في
يده وقال الله أكبر فتح الله ونصر وجاءنا بالفرج ثم جال بجواده ولوح إلى
الروم براية وتكلمت الروم إلى أبي الهول وقد قتل صاحبهم وفارسهم فغضبوا
لذلك وخرج إليه عليهم أخي من علوج الروم من شجعانهم فما تركه أبو الهول
يقف أمامه حتى وجهه وطعنه بالسنان فوقع العلج قتيلا وتكلمت الروم إليه
فقال لهم أميرهم وقالوا هذا عبد أسود من عبيد العرب فعلينا ما ترونه من فعله

البعل

يفعل

فكيف تفعل ساداتهم فلم يجسر احد ان يخرج اليه يبارزه فعندها حمل ابو الهول
بالراية فحال ان ترجل عن جواده فقتل علجا او اجرا من قلب عسكر الروم كانه عقابا
اختطفه من بينهم ورجع الى موضعه فعندها وثبت الروم بعضها بعضا
وعزموا على الحملة على المسلمين والمسلمون ايضا قد عزموا على الحملة على الروم و
تعجبوا من صنع ابي الهول دامس فبينما هم يجولون بين الصفين وبرز الى البراز
ونحو الروم باسمه وبرز عبدهم بفعله اذ حمل عليه بطريق من الروم براية عليها
صليب تحته عشرة الاف فارس مقاتل ودهموه بالخيل ونظر اليهم المسلمون وقد
حملوا على صاحبهم فصاح ميسرة بن مسروق بالمسلمين ونادى وقال في ندائه
يا رجال الله احملوا الى جنة ربكم الحملة الحملة فحمل المسلمون وحمل جيش المشركين
كله عليهم والتقى الجمعان على راس دامس فلله در العبيد لقد ابلوا ابلاء حسنا
واستنقذوا ابا الهول دامس من عين الهلكة واخذوه من ايدي الروم وحازوه
لانفسهم وجعلوه فيهم وهم يقولون

نحن عبيد لعباد الله • والفخر بالمفاخر في الاهي •
يقتل كل كافر بالله • ونجاهد لموعد الإله •
وعابد الصليب والملاهي • وننصر واقول رسول الله •

ولم تزل الحرب تضطرم نارها ويعلو اشرارها ويهيج ضرامها ولم يبق قوائمها
بينهم اجمع حتى وقفت الشمس في قبة الفلك وحمي الحرب واشتد الكرب والمسلمون
موقنون بالنصر والفتح من الرحمان والمشركون موقنون بالهلاك والخذلان
فاقتتل الجمعان على تعب شديد ولم يقدر احد منهم ان يقاتل صاحبه وقد قتل
من المشركين خلق كثير فقتل منهم زهاء الف ومائة واسر منهم تسعمائة
اسير ومات من المسلمين في المعركة نحو من خمسين رجلا واسر منهم عشرة
راشد بن زيد ومالك بن حاتم وسالم بن معجر ودارم بن طارق وعون بن مازن
ومسعود بن حيان وجراح بن عاصم ونبهان بن مرة وعدي بن شهاب وابو
الهول دامس واما الذين ماتوا فمنهم الحارث بن يربوع وسلم بن جابر
وزيد بن ارقم وعبد الله بن عامر وجرير بن جثام والاغيد بن نافع والنعمان بن يحيى

وعمارة بن حازم ورواحة بن سهل ومثل هؤلاء السادات ختم الله لهم بالسعادة
والرحمة فلما التقى الجمعان تفقد المسلمون ضرارا فلم يجدوه ولم يروه بينهم
فبكى وأدركه فقال ميسرة إن كان أبو الهول قد قتل واستشهد فقد فجعنا فيه وإلى
الله أشكو ما أصابنا من فقده وفقد من مات واستشهد معه من المسلمين ثم قال
معاشر المسلمين من يتكلم منكم ويطلب لنا خبر أبي الهول وخبر من استشهد من معه
من المسلمين فلم يجبه أحد إلى ذلك وما قال أحد منهم أنا **وأعادت الروم الحـ**
الحملة على المسلمين واقتتلوا قتالا شديدا حتى كان الرجل يجتمع عليه عشرة
وعشرون وثلاثون من الروم يقتلونه أو يأسرونه وكان عدد الروم ثلاثون ألفا
والمسلمون في أربعة آلاف فمالوا إليهم ولقد جاهدوا في الله حق جهاده وصبروا
وميسرة ينادي ويصيح في خلال ذلك أيها الناس إن أكرمكم الله والدار
الآخرة واعلموا أنها أقرب إلى أحدكم من رجوعه إلى أهله واستقبلوا الآخرة
كاستقبال الوالدة لولدها ولا تولوا وتدبروا كما تولى الغنم بين يدي الأسد
من الفزع فإن أصاب القوم الذي كان ربما خشينا أن يكون ذلك وهنا وضعفا
لنا وجرأة منهم علينا ثم نادى بأرفع صوته أيها الناس حطموا أجفان سيو
فكم واقبضوا على نصابها فإنما تكون في ذلك من النجاة من عدوكم قال
الزبير بن وهب فلم يبق أحد من المسلمين إلا سمع كلام أميره وحطم جفن سيفه
ورمى به من يده فلقيت الروم أن أهل المسلمين وقد حطموا أجفان سيوفهم
فعلوا كفعلهم وحطم كل واحد منهم جفن سيفه فسميت تلك الوقعة
بالسيف ووقعة مرج القبائل ووقعة الحطمة لأجل ما حطموا فيه وكسر من أغماد
السيوف واقتتلوا قتالا شديدا أعظم من القتال الأول وما زالوا كذلك
يتطاعنون بالرماح ويتضاربون بالسيوف حتى ظنوا أنها لا تنقطع شيئا
والمسلمون من العرب والعبيد يقاتلون قتال الموت وقد فوضوا أمرهم إلى خالقهم
وينتظرون فرجا من الله سبحانه ينصرهم أو مددا من إخوانهم المسلمين
يأتيهم وكان شعار المسلمين في ذلك اليوم النصر من الله من النصر من الله و
شعار العبيد يا محمد يا محمد وتارة يضجون بالتهليل والتكبير والصلاة على

الحبشي النوبي واما الروم فانهم قد احمى بعضهم بعضا لكثرتهم وقد اعلنوا
بكلمة كفرهم **قال عطية بن ثابت** فوالله لانا كذلك وانا قد
اقترع على المسلمين الهم والوجل والغلو وتخوفت كرب شر من وجهه فعظم وقد
رجع النهار كالغلس اذ سمعت للروم صيحة عظيمة هائلة فالتفت ونظرت
واذا بغيمة عندهم قايمة ساطعة فتاملتها واذا هي قد انقشعت وكشفت
من وراء عسكر الروم فقلت لعله جيش قد اقبل اليهم فضحكم فاطلقت عنان
فرسي واقتحمت الغبرة لانظر ما هي واذا بالروم في قتال عظيم مع طائفة من
اصحابنا وهي في عسكرهم وقد داروا بهم كالحلقة الدائرة والزعقات منهم
قد علت فسمعت قايلا يقول لا اله الا الله محمد رسول الله فقلت ندخل
اصوات الهيللة ففرحت بذلك وتبعت الصوت واذا به دامس بارك الى الارض
وحوله اصحابه العشرة رجال المسلمين قد جثوا على ركبهم والروم منكبة عليهم
وهم لا يفترون في قتالهم وابو الهول دامس يجاهدهم وحده ويمنع اصحابه
وكلما حملت عليه كتيبة من الروم يضربها فيهم الضربة والضربتين والثلاثة
حتى يثبتهم جرحى ويفني منهم وهو يقول

• تو تفني الاعداء في الحروب • وناصري ذو العرش المجيد •
• مهلك عاد وبني ثمود • بحكمه وبطشه المبيد •
• ومصطفاه بالهدى البشير • اعاننا بعونه الشديد •
• فحل عنا القيد من حديد • اعني رسول الملك المجيد •

فناديته يا ابا الهول ما وراءك واين كنت فقد اغتم المسلمون من اجلك لفقدك
قال يا اخي كنت في القتال وقد اسرت وبعثنا من تعمى وليس نعزا وقت سؤال
قال عطية فاسرعت الى الامير ميسرة واخبرته واذا بابنه قد حمته من
دعاء الروم فناديته ايها الامير البشارة فقال وما بشارتك يرحمك الله هل
اتتنا نجدة من اخواننا فقلت لا ولاكن اتتنا من عند ربنا ونبينا محمد صلى الله
عليه وسلم وقد خلص الله ابا الهول من وثاقه فبينما الخاطب ميسرة يحيي دامس
واذا به قد اقبل هو واصحابه وكانهم تحيروا في جمع الروم فلما نظر ميسرة الى ابي الهول

دامس فهما قبل هم ان ينترجل له عن فرسه ليسلم عليه فاقسم عليه ابو الهول
دامس الا تفعل فاقبل عليه وصافحه وقال له يا ابا الهول كيف كان امرك فقال له
اعلم ان الروم فرا اسرونا وغللونا في القيود من الحديد انا واصحابي حتى يئسنا
من انفسنا فلما جن علينا الليل الكريه نمنا من شدة التعب وكثرة النصب
فرايت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول لي لا باس عليك يا دامس فابشر فان لك
عند الله ما لا يحصى واعلم ان منزلتك عند الله عظيمة ثم انه مسح بيده المباركة
على القيود فانحلت وجرّ بها على الاغلال فانحلت وزالت وكذلك فعل باصحابي
وقال لي ابشر وانهض الله تعالى وعونه فانا محمد بن عبد الله رسول الله ثم انه
غاب عنا فانتبهنا من نومي فوجدت قيدي محلولا وغلي مفكوكا ونهضت الى
اصحابي وهم نيام فوجدتهم كذلك فايقظتهم واخذنا سيوفنا وجئنا بها
في وسط القوم فحملنا عليهم ووضعنا فيهم فنصرنا الله عليهم وضج المسلمون
بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير صلى الله عليه وسلم وكان فراغهم في
الجهاد فو الله ما قتل من المسلمين اكثر من خمسين رجلا الاولى ينقصون اثنين
رحمة الله عليهم وقتل من الروم ثلاثة آلاف فارس ونيف سوى ما قتل ابو الهول
دامس من الكتيبة التي التقت عليه من الروم حين اسروه مع اصحابه الذين كانوا
معه وخلصه الله منهم ببركة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم واما الروم
فان النكبة في القوم عليهم وكان اسمه دارس لما راى ما حل بقومه من القتل والاسر
مع كثرتهم وقلة المسلمين جمعهم اليه وقال لهم وحق المسيح لقد خاب ملك من
انتم حماته ولئن لم تقاتلوا بقوة وشدة عزم لاقتلنكم قبلهم واخبر الملك
من قبل بعوده لك بقصتكم فتعالوا اليوم الرابع ولا ينهض منا ولا يقتلوا عن اخرهم
فلما استوثق منهم امر بالنبي ان فاضربت على راس الجبال والمراقب بالليل ليستنفر
الروم لنصرته وجعل يستنفر بذلك اهل تلك البلاد بالنواحي فما قبلت الروم و
اتت من كل جانب ومكان من كل ناحية كالجراد المنتشر فما من لذلك يومان
او ثلاثة حتى اقبل من الروم ازيد من عشرين الفا واجتمع لهم جيوشهم والمسلمون
لم يكترثوا بهم ولم يخافوا من باسهم ولا من كثرتهم بل زادوا في اعينهم قلة

وضعفا ولم يكن في تلك الايام حربا فلما كان من الغد صلى ميسرة بالناس صلاة
الخوف وهوا وامر صلاها بالدروب فلما فرغ من صلاته قام فيهم خطيبا فحمد الله
واثنى عليه بما هو اهله وذكر النبي صلى الله عليه وسلم وصلى عليه وقال ايها الناس
اثبتوا واصبروا ولما نزل بكم والصبر عند نزول المصائب محمودة عواقبه وهذه
رحمة من الله سبحانه وتعالى لنا اذ نحن في صدور الروم وقد راينا هذا الجيش
العظيم ولا نامنجا الا الى الله سبحانه ونحن لا نقاتل الا بنصر الله لنا وان الامير ابا
عبيدة كان امرنا الا نغرر بكم فوقع ما ترون وبيننا وبين جيش المسلمين سبعة
ايام وما ظن الامير ابا عبيدة انا نلقى هذا الجيش العرمرم فقال له سعيد ابن زيد
بن عمرو بن نفيل ما الذي تريد منا بهذا الكلام فان كنت تريد ان تحرضنا فنحن والله
اشوق الى لقاء الله تعالى من الظمآن الشديد العطش الى لقاء الماء البارد **فقال**
ميسرة ما اردت بذلك الا امشورتكم وقد اردت ان ننفذ رسولا او نكتب الى
امير المومنين ابي عبيدة يخبرنا فقال له سعيد بن زيد نعم ما قلته وما ذكرت
ثم **كتب** الى ابي عبيدة كتابا يذكر له فيه حالهم ودعا برجل من اهل
الذمة من المعاهدين الذين معه ووعده بكل خير وقال له امض الى الامير ابي
عبيدة وادفع له هذا الكتاب واخبره ان يبعث العون فقد لحقنا من الحصون
والقلاع والقرى والضياع ومن سائر بلاد الروم وقد نزلوا بازائنا وحولنا
نحن بشانا كله فلبس المعاهد زي الروم وانغلس من عسكر المسلمين على حين
غفلة من الروم وسار الى ابي عبيدة واجهد نفسه في السير ولم ياوي الى راحة
حتى وصل الى عسكر المسلمين فوجدناه نازلا على حلب فقصد المعاهد خيمة
ابي عبيدة وما احد يمنعه حتى وقف بين يديه كالبغل الهرم مما اصابه من
التعب وكثرة المشي وشدة النصب فلما راه ابو عبيدة على تلك الحالة علم
ان له شانا فدعا له بالطعام والماء فاكل وشرب واستراح حتى رجعت له نفسه
ثم قال له ما وراءك يا اخا الذمة اهلكت الكتيبة ام كيف ذلك فقال له لا
والله ايها الامير ولكن قد استغاث عليهم العدو من كل قلعة وبلد من جميع النواحي
وقد احاطت بهم الجيوش من كل جانب ومكان ثم اخبره بحالهم في الحرب والقتال

وكيف حكموا جفون سيوفهم وكيف اسر ابو الهول ذا مصر وكيف حل
من وثاقه وبمن مات منهم وبمن اسر من الروم وبمن قتل منهم وبجميع ما فتح فيه
المسلمون ففرح ابو عبيدة عندما سمع ذالك فرحا شديدا وكان ممسى على
حتى وصل قبة خالد بن الوليد فوجده يصلح درعه فاخذ بيده وسار به الى رحله
ثم قال للمعاهدين فحدث خالدا بما رايت فقام المعاهد على قدميه فافهم والناس
جلوس سكوت واقبل يحدث خالدا والمسلمين معه حتى اتى على اخر حديثه
فقال خالد ان الله سبحانه وتعالى قد نصرنا ولم يخذلنا فلله الحمد على ذالك وقد
امرنا بالصبر على البلاء عند نزول الشدائد فقال تعالى وهو اصدق القائلين يا ايها
الذين امنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون وقال تعالى
ان الله مع الصابرين واما انا فقد حبست نفسي وجعلتها حبسا في سبيل الله
ولا اغفل بالجهاد لله ورسوله ابدا فلعله ان يمنحني جنته وعسى الله ان يرزقني
الشهادة ثم انه قام واسرع الى خيمته ولبس لامته فالقى على راسه قلنسوته
المباركة وتقلد سيفه واعتقل رمحه وافرغ عليه سلاحه وركب جواده وندبا
اليه ابو عبيدة المسلمين ووقع النفير فيهم فاقبلوا يهرعون اليه مسرعين
من كل جانب ومكان طوعا لله ولرسوله ولولا ان ابا عبيدة منعهم لساروا
معه بجمعهم ولم يتخلف احد منهم فانتخب منهم ابو عبيدة ثلاثة الاف
فارس وسيرهم مع خالد بن الوليد واردفه بعياض بن غانم في الفين وسار
خالد بجيشه مع اصحابه وهم ثلاثة الاف فارس على المقدمة وعياض بن غانم
على الساقة في جيشه كذالك وجعلوا يجدون كلهم السير والادلة تقدموا
بين ايديهم فاما خالد فانه لما تقدم امام اصحابه رفع يديه الى السماء ودعا
وكان مجاب الدعوة فقال اللهم اجعل لنا اليهم سبيلا واطو لنا البعيد من الارض
ولا تسلط علينا بذنوبنا من لا يرحمنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به ثم انه اقتحم
الدروب وجعلوا يجدون السير هو ومن معه من المسلمين وما زالوا يجدون السير
وعن محمد بن هشام عن عياض بن مالك عن من حدثه من الثقات عن
فتوح الشام قال لما سار خالد بن الوليد بالجيش الى معونة ميسرة بن مسروق

العبسي ونصر ثم دعا ابو عبيدة لهم وقال في دعائه اللهم اقرب لهم البعيد
وسهل عليهم الصعب الشديد وعن محمد بن راشد عن الزهري انه قال لما سار
خالد بن الوليد بالجيش ليلحق ميسرة بن مسروق العبسي الى الدروب سجد ابو عبيدة
سجد ابو عبيدة سجدة اطالها وقال في سجوده اللهم اني اسالك بمن جعلت اسمه مع
اسمك وعرفت فضله لانبيائك ورسلك الا قربت لهم البعيد وسهلت
عليهم الصعب الشديد والمعتهم باصحابهم بالله يارب العالمين واما ما كان
من خبر ميسرة واصحابه فانهم دارت بهم الروم بالتنور من كل جانب ومكان
فكانوا يتلاقون ويتقاتلون في كل يوم ولا يفترقون حتى يقضي الليل بينهم فا
ذا طال الكلام بينهم افترقوا من غير اختيار وما كل يوم ياتي من الايام الا
ويزداد عدد الروم والقتل فيهم كثير من غير ان يقضي فيهم القتل وكانهم
يحيون عن الموت لكثرتهم وميسرة ومن معه من المسلمين يتفكرون في من جا ياتيهم
او نصر ياتي اليهم وقد وهبوا انفسهم لربهم وقد فوضوا امرهم لخالقهم وعن
عبد الله بن الوليد الانصاري عن ثابت بن عجلان عن سليمان بن عامر الانصاري
قال كنت في السرية مع جيش ميسرة بن مسروق العبسي يوم وقعة مرج
القبائل من بلاد الدروب ويوم حكم اغماد السيوف والروم ترد علينا كالسحاب
المتراكم وتاتي من كل جانب تجتمع الى قتالنا وقد رايناهم كثرهم بالقتال ونبادرهم
فيه صباحا ومساء فخرج في يوم من الايام بطريق من بطارقة الروم وقد لبس
لامته وعليه درعان وعلى ساعديه حديد وعلى راسه بيضة تلمع كانها من
ذهب احمر لشدة لمعانها ومن فوقها صليب مرصع بالجوهر وفي يده عمود من
حديد كانه ذراع بعير فجال بين الصفين ودعا للبراز وكان احد البطارقة
الذين يعتمد عليهم فلما قرب من الجيش جعل يدعو للبراز ويكلمهم بكلامه فقال
ميسرة للترجمان ما يقول هذا العلج الطاغي فقال يذكر انه شجاع وهو يطلب
فارسا من شجعانكم يبارزه فقال ميسرة معاشر المسلمين من يبرز اليه ويكفي
المسلمين شره فاسرع اليه بالاجابة رجل من النخع من قبيلة مالك الاشتر
النخعي وعليه درع من دروع الروم وثوب من ثيابهم فلما قرب من البطريق

وزاد نظرائه من منتهى لذة الحرب وقد اجاب الى الاسلام وخرج من بين القتال
فاقبل العلج يكلمه ونظرائه يفهم كلامه فلما علم انه لا يفهم كلامه ولا يدري ما
يقول حمل عليه مصمما وضربه بالعمود الذي بيده فزاغ النخعي عنها وتركها
وغ لها وجه الجواد الى ورائه فوقع العمود على راس الجواد فانصرع من راكبه
فنزل النخعي عن جواده ووثب قائما على قدميه وهم ان ينادي واراد العلج
ان يثني عليه بضربة اخرى فاشفق عليه ميسرة ونادى يا اخا النخع ارجع
الى ورائك ولا تلقي بيدك الى التهلكة فرجع متقهقرا الى ورائه والعلج
يتبعه من ورائه يريد ان يضربه بعموده والنخعي راجل والعلج فارس فلما
هم العلج ان يضربه ورأى ذلك عبد الله بن حذافة السهمي بادر نحو العلج
وخرج اليه وصاح صيحة عظيمة ادهش العلج بها وسلم منه النخعي ولحق
بجيش المسلمين ورجع العلج وحمل عبد الله بن حذافة عليه وتبعه وخرج
العلج اليه والتقيا في ميدان الحرب وتقاتلا قتالا اشد بدا وعظم بينهما القتال
وقد بينهما الحرب والنزال وكان عبد الله اذا ضرب العلج لم يعمل فيه شيئا
لكثرة ما عليه من السلاح وكان العلج اذا ضربه عبد الله ياخذ الضربة
في درقته وحجفته فيدفعه بها من ثقل الحديد وقوة ساعده فكان
بينهما القتال وعظم الى ما شاء الله تعالى ثم التقيا بعد ذلك بضربتين
فبادره عبد الله بضربة تحت لحيته فطلب بها فخذه فقطع سيفه الحلق
الصغار من الزرد ووصل الى عنقه فابان راسه عن بدنه وسقط الى الارض
قتيلا وهم من بشر ان يصيح من تحته العسكر الروم فرجع الى اصحابه
فاسرع عبد الله بن حذافة اليه والى سلاحه فاخذه واخذ سلاحه وسلبه
ورجع به الى المسلمين فعظم ذلك على الروم واخبرهم قتل بطريقهم وكان
ذلك البطريق يقول له المنزلة الرفيعة والمرتبة العظيمة عند الملك هرقل
اخبر بذلك عبد الله بن حذافة رضي الله عنه **قتال البطريق** الثاني
البطريق الثاني وقال قد قتل صاحب الملك ولابد من الاخذ بثاره وقال
لقومه انا اخرج الى الذي قتل بطريق الملك فاقتله او اسره واحمله

الى الملك

الى الملك نقفور واقول له هذا هو الذي قتل بطريقك وصاحبك فاصنع به ما
شئت ومالي بن نصر **ثم انه** لبس لامته وتدرع وخرج على جواد عظيم
الخلقة واقبل حتى وقف على المقتول وقد سلبه عبد الله من اثوابه ودرعه وما
كان عليه وحلف بالصليب والانجيل انه ياخذ بثاره وسار حتى وقف قريبا من
عسكر المسلمين ثم نادى وقال بلسان فصيح يا معشر العرب يوشك ان الله
يهلككم ببغيكم علينا وقد اتاكم بنا عليكم زالي فانا قاتل هذا البطريق حتى اخذ
منه بالثار ولا ابقى على احد من بعده من اصحابه الاشقى قال فلما سمع عبد الله
بن حذافة قول البطريق وكلامه هم بالخروج اليه فمنعه ميسرة من ذلك البراز
اليه شفقة عليه لانه قد تعب مع البطريق الاول وهم ميسرة ان يخرج اليه بنفسه
فقال له عبد الله بن حذافة ايها الامير ابن عوف يا سيدي واتخلف عنه وعن الخروج
اليه اني اذا العاجز غير حازم فقال له ميسرة اذا قد اشفقت عليك من تعبك مع
الاول **فقال له عبد الله** بن حذافة يا ميسرة اتشفق علي من التعب في
الدنيا ولا تشفق علي من حرارة جهنم وعذاب النار وسخط يوم القيامة وعيش
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا برز اليه احد غيري **ثم خرج** اليه عبد الله بن حذافة
وبغته في سرج البطريق الذي قتله وبيده سيفه ودرقته ولا عليه من لامته شيئا
فلما نظر اليه البطريق وقد بغته في سرج صاحبه ولامته عليه علم انه الذي قتل صاحبه
فلم يمهله ان يجول حتى قرب عليه ووثب اليه وحمل على عبد الله بن حذافة كانه
جبل انحط عليه من علو فتشبث بعبد الله بن حذافة وجعل يده في درعه وجذبه
البطريق اليه واقتلعه من سرجه واخذه اليه اسيرا وحمله الى عسكر المشركين
واتى به الى قومه وسلمه اليهم وقال العبدلوا وثقوه كتافا بالحديد وادعا رجال
من قومه ووجه من جيشه وقال لهم احتفظوا به واحملوه الى القسطنطينية
العظمى وقفوه بين يدي الملك نقفور وقولوا له هذا قاتل بطريقك وصاحب
جيشك جرجير فاركبوا عبد الله بن حذافة على دابة وذهبوا به الى
القسطنطينية وعاد البطريق الى مكانه ورجع الى الحرب وهو يفتخر
بفعله وبما صنع ويدعو الى البراز فخرج اليه ثلاثة من المسلمين فقال ميسرة

من لامته جريه وسلاحه
وراسه واقع على يديه
بدرقته وقتله رحمة له
وشفقة عليه

لنفسه يا ميسرة نفسي اما تستحيي من الله عز وجل ان تقف براية المسلمين
وفرسان عبد الله بن حذافة وخرج هؤلاء الثلاثة من المسلمين لهذا اللعين وانت
تخلف عن القتال فما يكون عذرك عند رب العالمين يوم القيامة **ثم استدعى**
بسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وسلم اليه الراية التي عقدها له ابو عبيدة وقال
له كن للراية ملازما حتى اخرج الى هذا اللعين فان قتلته او اسرته كان فداء
لعبد الله بن حذافة وان قتلني كان اجري على الله سبحانه وتعالى فاخذ سعيد
بن زيد الراية **وخرج** ميسرة بن مسروق الى العلج كانه اسد ضار وقرب
اليه فحمل على البطريق وحمل البطريق عليه وجالا مليا واعتركا طويلا وعلا
بينهما التجاول واشتد بينهما القتال ثم تدانيا وغابا تحت العجاج وكل فرقة
تنظر وتتطاول الى صاحبها وترعوا بالنصر لم يبدها حتى انكشفا من تحت الغبار
والعجاج وهما بالاقتراب وقال العلج لميسرة يا مسلم يجود بنفسك اخبرني ما
تفاخره الراية التي طلعت من وراء عسكرك فلم يفهم ميسرة كلامه وانما
قال له وما ذلك على الله بعزيز فقال له البطريق وحق ديني ما قلت لك الا حقا
ونصر عدو الله في تلك الساعة كاذب فالتفت ميسرة ببصره نحو عسكر
الروم المسلمين لحي سه على نحو نهم عسى الله ان يأتيهم بالفرج من عنده
وينظر حقيقة قول البطريق ومن صوبه فعندها عطف البطريق وجال عليه
ومكن يده منه ليأخذه اسيرا اليه وكانت الشمس قد اضحت وعمت
على الغرب والنهار قد ولى والليل قد اقبل واذا بالراية الاسلامية قد طلعت وهي
تضيء بالنور يحملها في يده خالد بن الوليد والاخر من ورائها العباس بن عثمان
رضي الله عنهما فلما نظر اليها المسلمون كبروا وهللوا تكبيرة واحدة وتهليلا
واحدا باجمعهم فارتجت الارض لعظم تهليلهم وتكبيرهم فاستحى حينئذ
البطريق من ميسرة والتفت ينظر ما بال المسلمين ما وصل اليهم فقبض عليه
ميسرة بن مسروق وهم ان يقتلعه من سرجه فلم يقدر الى ذلك من سبيل لانه
من قوي في سرجه فجعل ميسرة يجذبه فلم يقدر فضرب اليه وتمكن عدو الله الى الراية
ونهض بامنه وقد وقع بصر خالد عليه وهو قاصد نحوهما فعلم العلج انه هالك

لا محالة

الحالة في وقع السيف بين يدي ان يضرب بابه فيقبض له ليقطعه من يده فانخرم السيف
فوقع على يد البطريق من الشمال فقطعها واهلك بنفسه بيده وانقلب عدو الله
البطريق راجعا الى عسكره وشمال بقلب ويده مقطوعة وقد على ابنه وضعف
صوته واجتمعت الالم لما وصل به من الخوف بيده التي قطعت بيده فالتقاه فجاءته
واتوا اليه غلمانه فاخذوه وحملوه على اعناقهم وادخلوه في مضربه واتوا اليه
بدواء فداووه وكووا يده واما خالد بن الوليد فانه التقى بميسرة لما رجع
الى المسلمين وسلم بعضهم على بعض وتعرفت واعلمه ميسرة بما جرى له مع الروم
والبطريق وكيف اسر عبد الله بن حذافة فصفق خالد بن الوليد بيده على يده
وقال ابعدنا مثل عبد الله بن حذافة ايسر اليه منا وما والله لا يقر لهم خالد
حتى يخلصه الله ان شاء الله تعالى **وأقام خالد بقية يومه**
ذلك فلما كان من الغد واد ابنفس قد خرج من عسكر الروم وعليه المسوح من
الشعر فاقبل حتى وقف بين ايديهم واراد ان يسمعه فمنعه خالد من ذلك وقال
له ما الذي تريد فقال ان البطريق قد اذعن لكم بالطاعة وانه لما
رأى نفسه الجيش الذي اقبل اليكم وقدم عليكم علم انه لا طاقة له بكم ولا بقتا
لكم وهو يريد صلحكم ويقول لكم اهل الكتاب الى صلحنا من سبيل فيخلو لكم
اسيركم ويدفع لكم ما تريدون من الاموال وترجعون عن بلادنا فقال له
خالد اما والله لا نرجع عنكم ولا نبرح الا عن وطن معكم واما الاسير الذي
ابديكم فان اطلقتموه طوعا والا اطلقتموه كرها فقال له الشيخ انت
امير القوم قال نعم قال ارايت ان توضع الحرب بيننا وبينكم بقية يومنا ولـ
ليلتنا فافعل لننظر في الامر وتشتتنا ورفعنا بيننا حتى نرى امرنا ويرد رجع
نفذ البطريق يقرب اليكم ويجيبكم الى ما تريدون فقال له خالد قد اجبناكم
الى ذلك فرجع الشيخ الى قومه واعلم البطريق بذلك وقال له قد اجابنا الاجل
الرماح فكرمت ووضعت الحرب اوزارها وبقي خالد والمسلمون فاما كنتم
فلما كان الليل امر البطريق اصحابه ان يضعوا النيران على ابواب الخيام والعسا
كير ويترك وارفع وقعودها فجعل القوم ذلك وحملوا اثقالهم ورحالهم

وما قدروا عليه من اموالهم وتركوا الخيام والفساطيط منصوبة على حالها
والنار تتقد كما هي كمنا على ابوابها وهربوا ليلا وساروا ليلتهم تلك قبل
الصباح فلم يصبح الصباح الا وليس لهم حس يعلم ولا اثر يدرك فلما كان من الغد
واصبح الصباح ركب المسلمون وانتظروا ان يخرج اليهم احد من الروم فلم يروا
احدا فعلم المسلمون انهم قد هربوا ولو اخرجوا او خرجوا منهم فعض خالد يده
غما وغيظا وقال انا لله وانا اليه راجعون واسفا على افلاتهم منا وعلى عبد الله
بن حذافة وعزم المسلمون على طلبهم وان يتبعوهم فمنعهم ميسرة من ذلك
وقال انهم دونهم مطاوي من الارض وانها بلاد وعرة ذات جبال شامخة واوعار
هائلة والصواب ان ترجعوا الى عسكر المسلمين فاخذوا الخيام وما بقي من رحال
الروم والفساطيط ورجع خالد وميسرة ومن معهما من المسلمين منصورين
الا انهم محزونون على اسر عبد الله بن حذافة رضي الله عنه فاقبلوا يجدون السير
حتى وصلوا الى ابي عبيدة فالتقاهم ابو عبيدة ورحب بهم وفرح بسلامتهم
واقبل ميسرة وسلم على امين الامة ابي عبيدة فعانقه ورحب به وحدثه
بامره وبما كان من امر المسلمين مع الروم واخبره بمن قتل من المسلمين وانه ما قتل
منهم غير خمسين رجلا ختم الله لهم بالشهادة والرحمة والسعادة وحدثه
باسر عبد الله بن حذافة السهمي فلما سمع ابو عبيدة باسر عبد الله بن حذافة
صعب عليه ذلك وبكى ثم رفع يديه الى السماء ودعا له وقال **اللهم** اجعل
له من امره فرجا ومخرجا وكانت دعوته رضي الله عنه مستجابة **ثم كتب**
الى امير المومنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتابا يخبره فيه بامر السرية التي
دخلت الدروب ويعلمه بما كان من امر المسلمين كله وباسر عبد الله بن حذافة
السهمي وبعثه اليه **فلما** وصل الكتاب الى امير المومنين عمر بن الخطاب
وقراه فرح بما كان فيه من امر سلامة السرية ونصر المسلمين على عدوهم
واغتم لاسر عبد الله بن حذافة وحزن عليه وقال وعيش رسول الله صلى الله عليه وسلم
لاكتبن الى هرقل ملك الروم كتابا حتى يبعث الى عبد الله بن حذافة والا فلم تعجل
سرت اليه بالجنود والجيوش والعساكر ثم كتب اليه كتابا يقول فيه

بسم الله

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولدا وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين المشهور في التورية والانجيل من عبد الله عمر بن الخطاب امير المومنين الى الطاغية الروم هرقل كلب الروم اما بعد فاذا وصلك كتابي هذا فابعث الي بالاسير الذي عندك وفي اسرك وهو عبد الله بن حذافة فاذا فعلت ذلك رجوت لك السلامة وان ابيت ذلك بعثت اليك رجالا لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله والسلام على من اتبع الهدى ثم طوى الكتاب ودفعه لرجل يوصله الى ابي عبيدة وامره ان يبعث به الى هرقل فلما وصل الكتاب الى ابي عبيدة دعا برجال من المعاهدين وضمن لهم جعلا ودفع لهم الكتاب فاخذوه وساروا به الى القسطنطينية

وكان هرقل قبل ذلك يعني قبل ورود الكتاب عليه دعا بعبد الله بن حذافة قال عبد الله بن حذافة لما دعاني وجيت اليه فدخلت عليه والتاج على راسه والبطارقة وقوف حوله وخلفه وبين يديه فلما وقفت بين يديه قال لي من انت من العرب فقلت انا رجل من قريش فقال لي هل انت من بيت نبيكم محمد قلت له نعم فقال لي فما تكون منه قلت من اهله وابناء عمه فقال لي هل لك ان ترجع الى ديننا وتتبع الى ديننا وازوجك بنتي بكر من ابكار فتي واجعلك من خواصي واكابر اصحابي فقلت لا ارجع عن ديني ولا والله لا افارق دين الاسلام وما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم فقال ارجع الى ديني واعطيك من الاموال كذا وكذا فقلت لا والله لا افعل ذلك ولا افارق دين الاسلام ابدا ولو اعطيتني ملكك هذا باسره ثم دعا بسفط من الجوهر وقال ان دخلت في ديني اعطيتك اياه فقلت والله لا ارجع عن ديني ولو اعطيتني ملء الارض ذهبا فاصنع ما انت صانع قال فغضب من كلامي وقال لي اسجد لهذا الصليب سجدة وانا اخلي سبيلك فقلت لا افعل ذلك ابدا فقال لي كل من لحم الخنزير وانا اخلي سبيلك فقلت له ان الله عز وجل قد حرمه علينا فلا اكله ابدا فقال لي اشرب من هذا الخمر شربة واطلقك فقلت لا والله لا افعل ذلك ابدا فقال لي وحق ديني لتاكله ولتشربن من الخمر ثم قال لغلمانه خذوه واجعلوه في بيت واجعلوا معه لحم الخنزير والخمر واغلقوا عليه الباب

وانّي كنت فيه في بر وخير حتى يعطّلوا بمضغ له الجوع اليه فيعلوا ذلك قال عبد
الله فاقمت في البيت اربعة ايام بلياليها فلما كان في اليوم الخامس قال الملك للنقفور
انظر ما فعل الاسير فجاءوا اليه ورجعوا اليه وقالوا ايها الملك انه على حاله
فقال له وزراؤه ايها الملك ان هذا الرجل شيء يعز في قومه لا يرضى بالذل وكلما
تفعله به يفعله العرب بمن وقع منا في ايديهم قال عبد الله فاستدعاني فجئت
اليه وقال لي ما فعل اللحم والخمر فقلت هو على حاله فقال لي فما منعك ان تاكل
ذلك منه قلت خوفا من الله وحياء من رسوله وحفظا لديني وان كان قد
حل لي بعد ثلاثة ايام ولكن امتنعت من اكله لئلا اشمت بدين الاسلام عند
الاعداء فقال له وزراؤه قد قلنا لك ايها الملك انه يعز في قومه غير كاذب
في نسبه وعن عامر بن سهل عن يونس بن عمرو الجهني عن سيار
بن خالد قال ان الذي فعل ذلك بعبد الله بن حذافة ليس هو هرقل وانما هو
ولده قسطنطين ولعنه ابيه هرقل واما الملك هرقل فانه كان قد مات ابوه
بعد خروجه من انطاكية وهو به غمّا مما حل على قلبه من الشام فقتله
الغلبا على جراء ارض سورية ويقال انه مات مسلما بسبب صراع كان به
براسه وعن سليمان بن عبد الله عن صفوان بن يحيى عن عروة بن مزعور
وعن محمد بن ابي عدي عن سعيد بن قتادة عن ابي الحريش الباجي عن
ابي سعيد قال ما خرج هرقل من انطاكية الا وهو مسلم وذلك انه
كان قد كتب الى امير المومنين عمر بن الخطاب كتابا في السر من قومه يقول فيه
يا امير المومنين ان بي صراعا لا يسكن ولا اجد له دواء فبعث الي بالدواء
فبعث اليه عمر قلنسوة مبطنة فكان اذا وضعها على راسه يسكن ما به من
الصراع واذا نزعها عن راسه عاد اليه الصراع فتعجب من ذلك فامر
بتفتيشها ففتشها فوجد فيها رقعة فاذا فيها مكتوبا بسم الله الرحمن الرحيم
فقال لهم هرقل ما اكرم هذه الدين واعزه حيث شفاني الله باية واحدة منه
فكان ذلك سبب اسلامه فيما يقال والله اعلم فصحّحه ثم لما وصل الى ملك
القسطنطينية اعلم الملك بذلك وقيل انهم رسل من العرب فقال لهم

اكرموهم فلما ورد عليه كتاب عمر بن الخطاب وفي اثره اعطى لعبد الله بن حذافة
ما لا كثيرا او قيلا با حسنة فاخرة وخلى سبيله واعطاه لولوا كثير الثمن
هدية لعمر بن الخطاب وبعث معه خيلا يشيعونه الى ثغور الروم فشيعوه اليها
ثم رجعوا عنه ووصل عبد الله بن حذافة الى عسكر المسلمين مع ابي عبيدة بن الجراح
ففرح بقدومه وحمد الله على خلاصه وسأله واستبشر به وكذلك المسلمون
كلهم وبعثه ابو عبيدة الى المدينة وبعث معه خيلا يوصلونه فشيعوه اليها
فلما ورد على امير المومنين عمر بن الخطاب بعثها ورءاه سجد لله تعالى شكرا على خلاصه
وسأله بالسلامة وفرح به واعطاه عبد الله اللولو الذي بعث له معه هدية فا
خذه عمر وعرضه على تجار المدينة فلم يعرفوا قيمته وقالوا ان الله تعالى قد اجابك
به يا امير المومنين فخذه اليك بارك الله لك فيه فامر عمر الناس ان يجتمعوا
للمسجد فاجتمعوا اليه حتى امتلا المسجد بالناس ثم صعد المنبر فخطب خطيبا
فحمد الله واثنى عليه بما هو اهله وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال ايها الناس
ان ملك الروم قد بعث الي بهذا اللولو وقد جعلته للمسلمين فما تقولون
انتم فقالوا له يا امير المومنين بارك الله لك فيه فقال اللهم لا اله الا الله محمد رسول الله
ان كنتم انتم احللتموني وجعلتموني منه في حل فكيف اصنع بمن غاب من المسلمين
وبمن هو في البطون وفي الاصلاب من اولاد الانصار والمهاجرين في سبيل رب العالمين
ولا طاقة لعمر بن الخطاب بمخاصمتهم يوم القيامة ثم انه امر به فجعل في بيت
مال المسلمين ولم ياخذه رضي الله عنه وعنهم اجمعين

ذكر فتح حروب الساحل

قال القاضي ابو عبد الله محمد بن اسماعيل بن عمر الواقدي

رحمه الله وكان امير المومنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما ورد وورد الى واويس
بالجابية حين فتحه لبيت المقدس وجه عمرو بن العاصي الى مصر وسار اليها ومن
ثمة صار الى ساحل الشام لموضع يقال له نخل وسارت معه عشرة الاف فارس
من المسلمين فيهم عبادة بن الصامت وعمرو بن ربيعة وبلال بن حمامة مؤذن
رسول الله صلى الله عليه وسلم وربيعة بن عامر وشبيع بن حمزة وجماعة من ابطال

المسلمين وفي ساقتهم وفيهم شرحبيل بن حسنة كاتب رسول الله صلى الله
عليه وسلم فارتحل عمرو بن العاص بمن معه من جيش المسلمين وسار حتى نزل بموضع
من الساحل يقال له نخل وبلغ الخبر الى قسطنطين بن هرقل وكان بقيسارية وكان كل
من انهزم من عسكر الروم وسائر عساكر ابيه قبل يهرب به عن انطاكية يهرب
اليه ويلحقوا به مع البطارقة الذين كانوا يتقدمون ويتكامل جيشه حتى انتهى
الى كثرة كثيرة وبلغ اربعين الفا ممن كان معه ولحق به **فلما** راى ماله
من كثرة جيشه وسمع بالمسلمين مع عمرو بن العاص نزلوا ارض نخل وان يصلوا
اليه بقيسارية فامل في نفسه ملاقاتهم على بعد فاراد ان يخرج الى لقاء المسلمين
فدعا برجل من العرب المتنصرة وقال له اذهب الى هذا الجيش الذي اقبل الينا
وتجسس لنا اخبار هؤلاء العرب وارجع الينا بالخبر قال فمضى الجاسوس حتى
بلغ الى جيش المسلمين فاتى عسكر عمرو بن العاص ودخل فيه وتجسسه من
اوله الى اخره الى ان مر بقوم من اهل اليمن فجلس عندهم بالقرب منهم ساعة
ليسمع حديثهم وما يقولون فيما بينهم فلما سمع منهم ما سمع واراد ان يقوم
عثر في ذيله فقال باسم الصليب كلمة زلت به اذ خرجت على لسانه **فلما**
سمعوا قوله علموا انه متنصر وجاسوس فوثبوا اليه واقبلوا عليه فقتلوه **ووقع**
الصياح في العسكر وضج قبايله فسال عمرو بن العاص عن الخبر فقيل له ان قوما من
العرب اهل اليمن قد وقعوا بجاسوس من الروم فقتلوه قال فغضب عمرو بن العاص
ودعا بهم اليه وقال لهم يا قوم ما حملكم على قتل الجاسوس هلا اتيتموني به حتى
اساله واخذ منه خبر الروم واختبره كم من عدو علينا ولعله ان يرجع الى
دين الاسلام لان القلوب بيد الله عز وجل يقلبها كيف يشاء ثم نادى في جيشه
من وقع منكم بجاسوس او غريب فلا يقتله ولا يقض به وليات به الي قال **واما**
قسطنطين فانه استبطا جاسوسه فعلم انه قد قتل فبعث جاسوسا
اخر فسار حتى اتى عسكر المسلمين وطاف به كله وحزره انه عشرة الاف
وعاد الى الملك هرقل قسطنطين واعلمه وقال له ايها الملك اني سرت الى جيش ابن
العرب واني قد طفت عليه وكشفت فيه وانهم عشرة الاف فارس الا انهم اسود.

ضراغم

معي ما والحياة معهما والموت بين كواسر فشانهم عقبان وعقبان يسرعوا انعم
فلما سمع بذلك من الجاسوس قال وهو المسيح والغني بان لا ابوه مـراك
يبعي البيع وقاتلهم بشدة عزم فاما ان ابلغ المراد او اقتل صبرا ثم انه
جمع بطارقته اليه وحجابه وخاصته واختار منهم عشرة الاف فارس مدرعة
بكلها لابسة لامة الحرب وعقد لهم راية على قضيب من الفضة وعلى راس القضيب
صليب من الجوهر محوق بالذهب الاحمر وسلمه الى بطريق من بطارقته اسمه ميكائيل
وهو صاحب جيشه يقدمه وقال له قد وليتك على هؤلاء وعم هذا الجيش
وانت طليعة لنا فسر بهم حتى الحقك فاخذ البطريق الراية وسار من ساعته في
يومه ثم اخذ فسكتنا غير راية اخرى وعقدها على قضيب من فضة عليها
صليبا من الذهب وسلمها الى بطريق من بطارقته وهو مستو العكسي
وكان اسمه جرجس وضم اليه عشرة الاف فارس وامره ان يسير من الغد ويلحق
بالبطريق الاول مكان فسار جرجس في غده من حينه بالعشرة الاف التابعة في اثر
البطريق الاول فلما كان في اليوم الثالث خرج فسكتنا غير من هرقل ببقية الجيش
وكافة عساكره وهم يستو العامر بطارقة الروم وابطالهم وفرسانهم **قال**
فبينما المسلمون نزول في تل اذ اشرف عليهم البطريق الاول في عشرة الاف
فارس فلما راى ناصر المسلمين مضى اليه بعضهم فحقروه فجاءهم عشرة الاف فارس
فلم يبال بهم المسلمون **فبينما** نحن كذلك اذ طلع علينا في اليوم الثالث
الجيش الكبير مع فسكتنا غير بن هرقل فقام عمرو بن العاص رضي الله عنه وقال
ايها الناس اعلموا انه من اراد الله ورسوله والدار الاخرة فلا يبالي من كثرة العدد
ولا بين تاع من قتر ابن المدد فان الجهاد في سبيل الله او من مضى او اني في اعلى وافضل
من يقاتل في سبيل الله شتعيرا بين صفوف المسلمين وصفوف الكفار ويكون
جاءهم زوجا ابراهيم قاع في رياض الجنة وينال الحور العين من الله وسوابغ النعمة
قال الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله
امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون ولولا ان الجاسوس الذي جعلتم بقتله لكان
اخبرنا بمسير هاؤلاء الجيوش الينا وكثرتها من قلتها ونكون منه الكا على حذر

وناخذ بالحوطة على انفسنا ولا كرامة الله عز وجل لا يغالب ثم انه جمع
اليه الابطال من المسلمين وذوي الراي منهم وقال لهم اشيروا علي براي من عندكم
رحمكم الله فقام اليه رجل من المسلمين وقال له اني قد رايت من الراي ان تبعث
رسولا وتكتب كتابا الى الامير ابي عبيدة يمدنا ويمدنا بخيل من المسلمين فان
لقي الجيش جيش عظيم عرمرم فقال عمرو بن العاص نعم ابن من يرغب منكم
ويسير الى امين الامة ابي عبيدة ويمضي له بالخبر ويعلمه بما نزل بنا من كثرة
العدو فلعله يمدنا واجره على الله تعالى فقام اليه ربيعة بن عامر وقال
له يا عمرو الق الجيش بالجيش وتوكل على الله عز وجل فان الذي نصرنا في مواطن
كثيرة ونحن في قلة من هذا ينصرنا على بقية الكافرين فجهوا رحمنا وهو
خير الناصرين فاقتنع عمرو بمشورة ربيعة بن عامر وقال له والله لقد صدقت
يا ربيعة بن عامر ثم انه امر الناس بالتاهب الى قتال عدوهم ولقائهم
فكبر المسلمون ورفعوا اصواتهم بالتهليل والتكبير لله عز وجل والصلاة على
البشير النذير صلى الله عليه وسلم فاجابتهم الجبال والاوعار والاودية والانهار
والصخور والاشجار فارتاعت قلوب الروم عند سماع اصواتهم وكادت الارض
ان تميد باهلها وظن الروم انها قد خسفت بهم ونحن فسكنا تكبير
الجيش المسلمين فلما راى ذلك وسمع من فعل المسلمين ما سمع وتاهبهم
للحرب انزاح الجيش وكثر في عينه وارعبه الله تعالى وقال وحق الصليب
ان لما التقيت عليهم ما كانوا في عشرة الاف فارس وقد زاد الان عددهم
وتزايد مددهم ولا شك ان الله امدهم وارعبهم بالملائكة تقاتل معهم
كما نسمع عنهم ولقد كان ابي حدثني بذلك وقد كان على بصيرة من
امرهم وترك بلاده لهؤلاء العرب وليس جيشي هذا باكثر ولا اكبر من
جيش ماهان الارمني لما قتلهم حين لقيهم باليرموك في ثمانماية الف مقاتل
في الاتباع ولقد ندمت على خروجي اليهم وانا سوف اجد حيلة واحتال بها
على هؤلاء العرب واكيد بها عليهم ثم انه دعا بفرس عظيم القدر عندهم
عالم كبير فيهم وهو قس من دينه فيما رية وعظمه وقال له اركب وسر

الى هؤلاء

لهؤلاء العرب وكلمهم بالتي هي احسن وقل لهم ان ابن الملك هو قريب من الصلح
ويقول لكم عساكم ان تبعثوا اليه رجلا منكم من فصحائكم افصح لسانا واجراكم
جنانا ولا يكون الا من عظماء العرب فقام القس ولبس ثوبا من الديباج الاسود
وعليه برنوس من الشعر وركب بغلة شهباء وبيده صليب من الذهب مرصع
بالجوهر وسار على هيئته حتى اتى الى عسكر المسلمين فلما قرب من الجيش وقف
بحيث يسمعون كلامه وقال يا معشر العرب انا رسول اليكم من الملك قسطنطين
ابن الملك هرقل وانه يريد صلحكم ولا يبغي قتالكم لانه عالم بدينه يعني بامره
وليس يحب سفك الدماء ولا الفساد في الارض فلا تبغوا عليه فان الباغي مقهور
والمبغي عليه منصور وقد قال الشيخ لا تقاتلوا الا من بغى عليكم وان ابن الملك
يريد ان تبعثوا اليه رجلا فصيحا عارفا من افصحكم لسانا واجراكم جنانا ولا
يكون الا من عظماء العرب ثم سكت **فلما سمع** عمرو بن العاص كلامه
قال ايها الناس قد سمعتم ما قال هذا العلج فمن فيكم من يقوم في مرضات
الله تعالى وطاعة رسوله ويلقى ما يتكلم به كلب الروم فقام اليه بلال بن حمامة
مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان بلال غلاما اسود طويلا ضخما في الرجال
كانه النخلة السحوق وكان شديد السواد وعيناه حمراوتان كانهما الياقوتتان
جهير الصوت فقال له يا عمرو انا امضي اليه فقال له عمرو يا بلال انت رجل قد
كبرت السن على رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا اخاف عليك الا تفصح في الخطاب
ولا تسرع عن الجواب وايضا مع ذلك انك من جنس الحبشة ولست من العرب
وان كنا لا ننكر فضلك ومنزلتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا الكلب
اللعين انما اراد رجلا فصيحا بالغا ما هو في المناظرة من العرب والعرب لهم الكلام
الجزل الفصيح والخطاب البين العظيم فقال له بلال يا عمرو بحق رسول الله صلى الله
عليه وسلم الا ما تركتني اسير وامضي اليه فستجدني كما تحب فقال له عمرو لقد
اقسمت علي بعظيم امض اليه واستعن بالله عز وجل عليه ولا تهابه في الخطاب
وافصح في الجواب وعظم شان ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له بلال ستجدني
ان شاء الله كما تحب وترضى فخرج اليه بلال وهو كالنخلة السحوق عريض

المناكب كانه من رجال شنوءة وكان من خلقته وهيبته اذا نظر اليه احد او نظر
الى احد يخاله هائبا وراغبا وخائفا وكان عليه يومئذ قميص من كرامات الشام
وعلى راسه عمامة صوف متقلد بسيفه وبيده عصى ومزودة على عاتقه فلما خرج
بلال من الجيش وبرز من عسكر المسلمين ونظر اليه القس انكره **وقال** في نفسه
ان القوم قد صغرنا في اعينهم اذ اردنا ان نخاطبهم بعثوا الينا عبدا من عبيدهم
ثم قال له القس ارجع الى مولاك وابلغه سلاما وقل له ابن الملك قد اراد ان
يخاطبه الا امير من امرائكم من اعظم العرب ممن يخاطبه ويسمع منه ما يريد
فقال له بلال ايها القس انا بلال بن حمامة مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومولاه
ولست بعاجز عن جوابكم ولا عن جواب صاحبكم فقال له القس قف مكانك حتى
اعلم الملك ثم سار حتى دخل على الملك واعلمه وقال له ايها الملك ان القوم قد بعثوا
اليك بعبد من عبيدهم يخاطبك وما ذاك ايها الملك الا انا صغرنا في اعينهم
وجعل يصف له بلالا ويقول له هو عبد اسود طويل عظيم الخلقة وابلغ في وصف
بلال وتفخيم خلقته وبدع امره وحالته حتى خاف ابن الملك من صفته قبل
ان يراه وداخله الرعب منه **فقال** قسطناطيس للقس ارجع اليهم وقل
لهم ان ابن الملك هرقل ملك النصرانية انه بعث اليكم يريد من يخاطبه من امرائكم
فبعثتم له عبدا من عبيدكم وها هو يقول لكم لسنا نريد مخاطبة العبيد وانما
نريد ان نخاطب المامور عليكم اميركم وصاحب جيشكم فرجع القس واعلم
بلالا بذلك وقال له ان ابن الملك يقول كذا وكذا فرجع بلال وهو منكس الراس
منكسر القلب مما سمع واعلم عمرو بذلك واخبره بخبره وبما قال له القس
فقال شرحبيل بن حسنة انا امضي اليه فقال له عمرو بل اياي دعا وانا امضي اليه
واراد ان يخرج اليه عمرو بن العاص فقال له شرحبيل بن حسنة واذا مضيت اليه
فالى من تدع المسلمين فقال له عمرو الله الخليفة على عباده وهو ارحم بخلقه من الوالدة
بولدها ولاكن خذ الراية واخلفني في قومي فان غدر القوم بي فالله الخليفة عليكم
وهو ارحم الراحمين **قال** فاخذ شرحبيل الراية ووقف في مقام عمرو ومكانه
والراية بيده وخرج عمرو بن العاص نحو القوم وعليه جبة صوف وعلى راسه

عمامة

عمامة من صنع اليمن مصبوغة صفراء وقد ردها على راسه وارخى لها ذؤابة وفي
وسطه منطقة بسيور وقد تقلد بسيفه واعتقل رمحه وسار حتى وقف بازاء
القس فلما وقف عمرو بازاء القس ورءاه ضحك من زيه فقال له عمرو ما الذي
اضحكك يا اخا النصرانية قال ضحكنا منك ومن زيك وحملك لهذا السلاح
وما الذي تصنع بهذا السلاح التي حملت معك وانت لاتي بغير حرب فقال له عمرو
وان شعار العرب وزيها وتاركها خامل سلاحها وانما جعلت سلاحي معي
استكثارا عليكم ولعلي القى عندكم حربا فيكون السلاح حصنا لي من عدوي
واحامي به عن نفسي **فقال** له القس انا لسنا من اهل الغدر والمكر ولا ممن يغدر
بكم وطمئن القلب ثم عطف القس راجعا الى عسكره وسار حتى دخل على الملك
وقال له ايها الملك هذا امير العرب قد قدم عليك وعليه من اللباس كذا وكذا
فتبسم الملك من كلام القس وقال قدموه الي كما هو ثم اخذ الملك في
التاهب للقاء عمرو وقومه عليه وحر قوله اليه فليعرف عز مملكته والقى
التاج على راسه واوقف المرجعة عن يمينه والبطارقة عن يمينه وشماله وعلى
راسه كذلك وبين يديه الحجاب والوزراء واقبل الى جار الى عمرو وقال له
يا اخا العرب انزل واجلس فقد اذن لك الملك فسار عمرو على جواده وعسكر الروم
من اهل قيسارية وغيرها يتعجبون من زيه الى ان وقف على قبة الملك ثم نزل
عن جواده ومشت الحجاب امامه حتى اوقفوه بين يديه فسكنا كثيرا فلما وقعت
عينه عليه حياه عمرو بتحية العرب فحياه الملك وادناه ورحب به وتبسم
في وجهه وقال له مرحبا بامير قومه واراد ان يجلسه على سرير معه فوق بساطه
وامتنع عمرو من ذلك وقال له الارض بساط الله وهو احق من فرشكم لان الله تعالى
جعل لنا الارض مسجدا وطهورا وبساطا كما اباحنا اياها فنحن نسعى فيها وما اريد
غيرها وليس اجلس الا على ما اباحه الله لنا ثم جلس على الارض باركا وجعل رمحه
امامه وسيفه على فخذه وقال للملك قل ما تشاء يا عظيم قومه واسئل عما تريد
فقال له الملك فسكنا كثيرا ما اسمك فقال له اسمي عمرو وانا من العرب الكرام
ارباب البيت الحرام المكعبين لله عز وجل **ولمحمد** عليه الصلاة والسلام

في قال له

فقال له قسطنطين انك لفتى كريم من عرب كرام يا عمرو وان كنت من العرب
فانا من الروم وبيننا وبينكم قرابة ورحم متصل ونحن وانتم متصلون في النسب
ومن يكونوا متصلين في الانساب فكيف ينبغي لهم سفك دماء بعضهم
بعضا فقال له عمرو ان انسابنا اللاحقة من ابينا وابيكم واحدة ونسبنا الاعلى
نحن من الاسلام واتباع محمد صلى الله عليه وسلم واما اذا كان الاخ مع اخيه
واختلفا في الدين كان حلالا ان يقتل الاخ اخاه والاب ابنه وقد انقطع النسب
بينهما باختلاف الدين واما ما ذكرتم ان نسبكم لاحق بنا فكيف يكون
ذلك واحدا وانتم تزعمون ان العرب لئام والروم كرام وهما عند الله بعكس
ذلك نحن من قريش ومن غيرها من العرب الكرام وانتم الروم اللئام فقال
له قسطنطين يا عمرو اليس ابونا ادم ثم نوح ثم ابراهيم ثم ابونا عيص
بن اسحاق واخوه اسماعيل بن ابراهيم واسحاق بن ابراهيم وكلاهما ولد ابراهيم
وابراهيم ابوهما ولا ينبغي للاخ ان يبغي على اخيه ويجور عليه في قسمته التي
قسمها عليهم اباؤهم الاقدمون فقال له عمرو انك لصادق في قولك ان العيص
ولد اسحاق واسماعيل عم العيص ونحن بنو اب واحد وابونا نوح عليه السلام
وانه كان قد قسم الارض نوح بين اولاده فانه قسم بينهم شقفا حين غضب
على ولده حام واعلم ان اولاد نوح لم يرضوا بتلك القسمة قبل واقتتلوا عليها
زمانا وغلب بعضهم بعضا وهذه الارض التي انتم فيها ليست هي لكم وانما
هي ارض العمالقة من قبلكم لان نوحا عليه السلام قسم الارض بين اولاده الثلاثة
سام وحام ويافث فاعطى ولده سام وما حولها الشام وما حواها الى اليمن
الى حضرموت وعمان الى البحرين والعرب من ولد سام كلهم وهم قحطان ونعيم
وجو ومشر وعملاق وهو ابو العمالقة حيثما كانوا وانما كانوا من البلاد
ومنهم الجبابرة الذين كانوا بالشام فهذه العرب العاربة لان لسانهم
الذي جلبوا العربية ووقع لحام ارض المغرب والسواحل وانزل يافث ما بين
المشرق والمغرب والعمالقة اقرب الينا منكم فغلبتم على بلادهم فنريد
ان نرد هذه القسمة ونجعلها قسمة معتدلة فناخذ ما في ايديكم من

المدن

المدن والقصور والانهار وناخذها في ايدينا من الشوك والحجارة والبلد الوعر
والقفار والارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين فلما سمع
قسطنطين ذلك من كلام عمرو وعلم انه رجل مكين في قوله عظيم في قومه
فقال له صدقت في قولك الا ان القسمة قد جرت ومضت علينا وعليكم من
المتقدمين من قبلنا وقبلكم فان لم ترضوا بها كنتم من الباغين علينا ونحن نعلم
ان ما حملكم على ذلك واخرجكم من بلادكم الا الجهد العظيم فقال له عمرو
اما قولك اما ما ذكرت وزعمت من قولك ان الضرورة اخرجتنا من بلادنا
فلقد صدقت ولقد كنا في اقل العيش وكان اعظم ما ناكل من طعامنا الشعير
والذرة فلما دخلنا بلادكم ورأينا معيشتكم واكلنا طعامكم استحلينا
ذلك واستحسناه والان فلا نبرح عنكم حتى ناخذ البلاد من ايديكم وننحيكم
عنها ونستظل تحت اشجاركم هذه العالية الفروع الباسقة الاصول
الطيبة الفواكه واليانعة الثمار فان منعتمونا اياها قتلنا في بلادكم من لذيذ
العيش وطيب ذلك فسوف نلقاكم وقاتلناكم برجال اشوق الى لقائكم
وقتالكم والى الموت في سبيل الله والدرجة العالية اكثر من حبكم انتم في الحياة
الفانية لانهم يحبون الموت والقتل في سبيل الله كما تحبون انتم الحياة فا
فحم قسطنطين وخرس لسانه عن الجواب ورفع راسه والتفت
الى قومه وقال لهم اعلموا ان هذا العربي قد صدق في قوله فوحق الكنائس الاربع
والقربان والمسيح والصلبان انهم على الحق وما لنا معهم ثبات فقال عمرو وقد جرت
الدموع على خده السبيل وقلت لهم يا معشر الروم ومن حضر منكم ومن غبر كم
ان الله تعالى قد فرض عليكم ما بعده واتاكم ما تطلبون ان كنتم تريدون وتحبون
المقام فيها والحكم عليها فادخلوا في ديننا وصدقوا قولنا وما جاء به نبينا
محمد صلى الله عليه وسلم وما قاله نبيكم عيسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام
ومن قبلهما من النبيين عليهم الصلاة والسلام وما قاله الله العظيم ان الدين
عند الله الاسلام فقولوا لا اله الا الله محمد رسول الله يكون لكم
ما علينا فقال له قسطنطين يا عمرو انا لا نفارق دينا وعليه مات اباؤنا

واجرا له فقال لهم عمرو بن العاص فان كنتم ادخلتم قوما في دين الاسلام
فاعطوا الجزية عن يد وعجلوا عليك وقومك عن يد وانتم صاغرون فقال
قسطناطين يا عمرو ولا يعجبك الذي ذكرته ولا ارضى ذلك فان اليوم لا تـ
تطيعني عليه ولقد قال لهم ايضا مثل هذا القول الذي قلت انت لهم فارادوا
قتله فقال له عمرو فقد اعذرنا من الانذار والاعذار ولقد حذرناكم ما
قدرنا ووعظناكم ما استطعنا ولم يبق بيننا وبينكم الا السيف فتحكما
ويقضي الله من يشاء والله يعلم انا قد دعوناكم الى امر فيه نجاتكم في الدنيا
والآخرة فعصيتم كما عصى ابوكم عيصو امه ويعقوب في بطنها حتى خرج من جوفها
قبل اخيه يعقوب وانكم تزعمون انكم تفخرون علينا في النسب وانا اقرب الى الله
عز وجل من قرابتكم ومنكم ومن نسبكم الينا اذ انتم تكفرون بالله عز وجل
وانتم من ولد عيصو بن اسحاق ونحن من ولد اسماعيل بن ابراهيم خليل الرحمن
عليهم الصلاة والسلام فاولاد اسماعيل هم خير الناس كلهم والهم الله سبحانه
اسماعيل ان يتكلم بالعربية وذاك اسما وعلى لسانه من ابيه ابراهيم وولد اسماعيل
العرب كلهم فهم خير الناس فجعل الله سبحانه وتعالى خير الناس وخير انسابهم
ولد اسماعيل بن ابراهيم عليهما الصلاة والسلام وان الله تعالى جعل خيرة العرب
كنانة ثم جعل خيرة كنانة في قريش ثم جعل خيرة قريش بني هاشم ثم جعل
خيرة بني هاشم بني عبد المطلب فان الله عز وجل اختار لنبينا محمد صلى الله
عليه وسلم خير الانساب من ولد آدم حتى الى بني هاشم ثم الى بني عبد المطلب
ثم اختار من ولد عبد المطلب ولده عبد الله فاستخرج منه خيرة خلقه **محمدا**
صلى الله عليه وسلم فبعثه الله تعالى رسولا الى جميع الخلق واتخذه نبيا
واهبط جبريل عليه بالوحي وقال له **يا محمد** قد طفت المشرق والمغرب
فما رأيت مثلك ولا اكرم ولا افضل منك. فخضعت جوارح القوم حين
ذكرت ذلك من تعظيم رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجلت قلوبهم ودخلت
الهيبة قلب قسطناطين حين سمع ذلك من كلام عمرو بن العاص وقال له
صدقت وكذلك الانبياء تبعث من خير بيوت قومها ثم قال له

قسطناطين

نسكتنا كثير يا خي يا عمرو وهل في اصحابك مثلك يبين الكلام اذا تكلم ويسمع
في الجواب اذا سئل كاسي اعطيك في جوابك اذا سئلت وتكلمت فقال له عمرو
ان كل اصحابي بعد هكذا وليس لهم الا اللسان وانا اقلهم ولو كلمت احدا
احدا منهم علمت انني لا اقاس بهم فقال له الملك ان من المحال ان يكون في اصحابك
مثلك ولو واحدا فقال عمرو بلى والله وان احببت ايها الملك ان اتيك ببعضهم
فعلت لتقف على صحة ما اقول ثم وثب فاتى الى جواده فركبه واستوى على
كتفه وخرج من عنده وهو يظن انه ياتيهم اليه وسار عمرو الى نحو عسكر المسلمين
وحمد الله واثنى عليه اذ خلصه الله منهم وتلقاه المسلمون وسلموا عليه وهنوه
بالسلامة وبرجوعه اذ رجع الى موضعه وقص عليهم امره مع الروم فغار كتبه
ايديهم وباتوا ليلتهم يتحارسون الى الصباح **فلما اصبح الله بخير**
الصباح صلى عمرو بالمسلمين صلاة الصبح بعد طلوع الفجر وامرهم بالركوب
والتاهب الى قتال الروم ولقاء عدوهم فبادروا الى ذلك واستووا على متون
خيولهم وركبوا خيولهم كلهم وتاهبوا واصطفوا للحرب والقتال ونظر عمرو بن
العاص الى فسكنا كثير من فرقه فوق عساكره وعزم على الحرب فعبا
المسلمين صفا واحدا وجعل في اثنان العسكر من الميمنة والميسرة الحماة من اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعهم شرحبيل بن حسنة في الميمنة وجابر بن
حارثة في الميسرة وكان من فرسان المسلمين الابطال الانجاد **وعن** اثوبة
عن فروة بن يزيد عن موسى المصري عن موسى بن عمير بن صباح قال انه لما
كان يوم الحرب رتب عمرو بن العاص جيشه كما ذكرت للحرب صفا فسكنا
كثير جيشه ثلاثة صفوف وفوق الى مائة وفوق الى مائة امام الجيش بعد ان عدل
الميمنة على الميسرة وعباهم تعبية الحرب وضرب الطبل وقدمه امام الـ
الصفوف فبينما الناس كذلك بعد ان اصطفوا اذ خرج فارس من الروم وعليه
ثياب الديباج والدروع والجواشن موقعا وفي عنقه صليب من الذهب وبرنس
الحرير وبيده رمحه وجال فيها من قدم من الميمنة الى الميسرة ومن الميسرة الى الميمنة
وبين فيها نسبه واظهر شجاعته ثم حمل الى القلب ثم وقف بازاء جيش المسلمين

وركز رمحه بإزائه واخذ قوسه ووفق فيه سهما ورمى رجلا في الميمنة فنظر
عمرو بن العاص الى صنعه فصاح بالمسلمين الاثر والى هذا العلج اللعين وما
يصنع بقوسه ونبله من يكفينا امره وقد دعا على المسلمين شره فخرج اليه
رجل من ثقيف وعليه درع وله تليسة وعمامة رقة وبيده قوس عربية وقد
فوق فيها نبلة وقصد نحو العلج فبدره فنظر اليه العلج وليس عليه من السلاح
العربي شيء الا فروة ولا معه من السلاح الا قوسه فرماه العلج بنبلة من كبد
قوسه فوقعت النبلة في صدره فاشتبكت في الفروة ولم تصبه ولم تصل اليه
ووقعت للارض وكان عدو الله اللعين ارمى اهل زمانه ما رمى شيئا قط الا اصابه
ولم يخطه من رماه الا نفرة قال فغضب عدو الله وهم ان يرميه مرة ثانية
بسهم ثان فامتعط الثقفي قوسه ووفق فيه نبلة في كبد قوسه ورمى
العلج بنبلته واطلقها نحوه وقال بسم الله وعلى بركة رسول الله صلى
الله عليه وسلم فلم يرها العلج لصغرها وخفي عن نفسها فاشتبكت النبلة
وحصلت في حلق العلج وخرجت من قفاه فوقع العلج صريعا واسرع الثقفي
الجواد في كبده واستوى على متنه واخذ بيضة العلج وجعلها على راسه
وجعل يسحب العلج ويجره نحو عسكر المسلمين فاستقبله ابن عم له وتلقاه
فكلمه فلم يجبه من فرحه بما صنع فقال له يا اخي اكلمك فلم تجبني كانك
من بعض الاولاد فنبص فلم يجبه ايضا واقبل الثقفي بسلاح العلج الى عمرو بن
العاص فاعطاه اياه **ونظرت** الروم الى فعل الثقفي وصنعه في قتله
صاحبهم ولم يعلموا كيف قتله فجعلوا يشيرون نحو السماء فعلم المسلمون
انهم يقولون ان الملائكة قد قتلته فعند صاحبهم فعظم ذلك على الملك وقال لبعض
بطارقته اخرجوا الى هؤلاء العرب وانظروا من يخرج منكم ويحامي عن الصليب
فخرج منهم بطريق يعرف بعلقم وعليه ثياب ديباج احمر ومن فوقها درع حصين ومن
تحت الدرع جوشن مذهب وفي عنقه صليب من الذهب مرصع بالياقوت
والجوهر ومن ورائه غلام يجنب له جنيبة ومعه سيفه ودرقته فسار حتى
وقف بين الصفين ودعا الى القتال وطلب البراز فلما نظر المسلمون الى العلج والى

عظمه جعلوا ينظرون في الخروج اليه ويختارون كفوا له فقال عمرو بن العاص
معاشر المسلمين من يخرج منكم الى هذا العلج ويهب نفسه لله ولرسوله
فخرج اليه رجل من المسلمين وهو يقول انا اكون ذلك الرجل فقال له عمرو
اخرج اليه بارك الله فيك قال فحمل على العلج مصمما واستقبله البطريق
وجعلا يتحاربان ويتضاربان وجالا في الميدان ساعة وتسابقا بالسيوف الى ان
التقيا بضربتين فسابقه البطريق بضربة فاثبتها في الدرقة فقطعها نصفين
وكانت من جلود بقر فلم يصل اليه منها شيء وضربه المسلم ضربة في ازرها
وقال له خذها يا عدو الله فقطع البيضة فقطعها من هنا فتقهقر الى ورائه
وفوق نحوه عدو الله البطريق ثم لما رجع اليه ذهنه حمل على المسلم وضربه
ضربة جرحه بها جرحا موضحا قبلها فخرج المسلم ورجع الى ورائه الى نحو
عسكر المسلمين فناداه رجل من المسلمين من قومه يا هذا من باع نفسه من
الله عز وجل فلا يرجع في بيعه الى ورائه وكيف يفر من وهب نفسه لله تعالى
ورسوله فقال له الرجل يا اخي اما كفاك ما انا فيه من هذه الجراح الذي
اصابني وقد اضر بي حتى توهمني فان الله عز وجل لم يامرني ان القي بنفسي بيدي
الى التهلكة قال فقنع المسلم بحجته ورجع الى الحرب نحو البطريق من بعد ما
وقف الرجل وقلبه في ذلك الرجل الذي وقف وقال له لا ترجع الى ورائك وقرعهم
عليه كلامه وكان ابن عمه فاعطاه بيضة وقال له خذ هذه البيضة واجعلها
على راسك واستعن بها على قتال عدوك فقال له يا اخي ثقتي بالله
تعالى اعظم وافضل من ثقتي ببيضتك ثم رجع الى قتال البطريق والمسلمون يدعون
له بالنصر والسلامة ويقولون اللهم ابلغه ما يؤمل وثبته باحسن
الثبات ثم انه حمل على العلج وضربه ضربة هائلة فوقعت على عاتقه
خرجت من علائقه وخر صريعا وعجل الله بروحه الى النار ثم حمل على جيش
المشركين يمينا وشمالا فقتل منهم رجالا وجدل ابطالا ولم يزل كذلك
يحمل عليهم ميمنة وميسرة ويعود حتى حمل اخر مرة فداروا عليه جماعة
من الروم فقتلوه رحمة الله فلما قتل رحمه الله قال عمرو بن العاص رحمه الله

نعزار جل باع نفسه من الله سبحانه وتعالى اللهم اعطه ما تمنى وكان الملك
هرقل حين وجه ابنه قسطنطين الى قيسارية عاملا له عليها نفر معه جيشا
فيهم رجال ابطال من فرسانه وكان فيهم صهر له يوم يكار فته اسمه
فيرموز وكان اللعين عارفا بجميع اللغات كلها يحقق سائر الالسن وكان من
اجل سراة الروم وكان ابن خالة هرقل ويقال انه كان ملكا قبله وقد لقي عسكر
الروم الذين سير وعساكر الجراجمة فهزمهم الله على يديه فقال لقسطنطين
ايها الملك لابد من ان اخرج الى قتال العرب لان الجهاد علي فرض فلم يمنعه
قسطنطين فلبس ثوبه من لامة حربه وخرج كانه برج ذهب مشبك
وكلما عليه يلمع من بريق الذهب والجوهر كشعاع الشمس فلما راه المسلمين
ضجوا بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير فسار عدو الله اللعين
حتى قرب من عسكر المسلمين ووقف في الميدان وجعل يشتمهم بلغته ويطلب
البراز فاقبلت فرسان العرب ينظرون اليه من كل جانب وكل يريدون قتاله
وقتله لاجل ما عليه فصاح بهم عمرو بن العاص وقال لهم ايها
الناس ثواب الله تعالى خير مما عليه فلا يخرج احد منكم لطلب سلبه
فيكون خروجه وقتاله لاجل ذلك ان قتله وان مات كان في سبيل ما طلب
من سبب الدنيا ولكن اقصدوا الله عز وجل ونصرة دين محمد صلى الله عليه وسلم
فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من كانت هجرته الى الله ورسوله
فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها او امراة يتزوجها
فهجرته الى ما هاجر اليه ويقول انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرء ما نوى
قال فخرج اليه من المسلمين من اهل اليمن رجل حديث السن وكان قد خرج
باخته وامه يريدون الشام للجهاد وكانت اخته تقول له حين خرجت هي
وامه معه تقول له يا ابن امي جئتنا في الصيف حتى نصل الى ارض الخصب ونأكل
من خيرات الشام فان خيره كثير ولكن نقاتل اعداء الله فكان يقول لهما
اما انا فما جئت اطلب غير الشهادة في رضى الله عز وجل ورضى رسوله فقد
سمعت معاذ بن جبل يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الشهداء

احياء عند ربهم يرزقون فلما كان في ذلك اليوم خرج ذلك الشاب الى قتال
الكافر بعد ما ودع امه واخته وداع الموت وقال لهما تكون
لقاؤنا واجتماعنا عند حوض رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خرج وبيده رمح
طويل وتحته جواد عتيق وحمل على قبرمون وطعنه بسنان رمحه فانتشب
الرمح في درع الكافر فلم يقدر الغلام على اخراجه وانتزاعه من الدرع ثم ان
الكافر ضرب الرمح بسيفه فقطعه وحمل على الغلام وضربه ضربة هائلة
على هامته فشقها نصفين وسقط الشاب فوقع ميتا رحمة الله عليه
وقال عدو الله الكافر فوا ابطالا قطلما راى ذلك شرحبيل بن حسنة اقبل
يعاتب نفسه ويوبخها ويقول لها انت تبغي حين قتل المسلمين وكيف
تصبرين على الراحة والفرار مع النبي المختار ثم انه خرج من بين قتاله والراية
بيده التي عقدها له ابو بكر الصديق حين وجهه الى الشام فلما راه عمرو بن
العاص قد عول على الحرب قال يا شرحبيل اركز الراية لئلا تشغلك عن قتال
عدوك فركزها شرحبيل فوقفت كانها نخلة وغاصت في قيعها كانها منه
فتفاءل بالنصر وخرج الى قتال الكافر قبرمون والمسلمون يدعون له بالنصر
على عدوه فلما راه الكافر قبرمون ضحك من رؤيته وكان عدو الله الملعون ضخم الجسم
وله صوت كالرعد وكان شرحبيل نحيف الجسم من كثرة الصيام والقيام
فلما تقاربا وسارا في ميدان الحرب حمل كل واحد منهما على صاحبه وقد التقيا
فضربه الكافر بسيفه شرحبيل بضربة فلم تعمل فيما عليه ولم يقطع سيفه
شيئا من لامته لما عليه من الدروع وضربه قبرمون فوقع سيفه على شرحبيل
فشجه شجة جرح ثم تواخذا بالايدين ونما على الجواد بين **قال الشعبي**
يدوم وكان ذلك اليوم كثير البرد والسحاب فبينما هما في المعاركة
كذلك على الخيل اذ نزل المطر كافواه القرب فسقطا عن الخيل على وجه وجعلا
يتصارعان في الطين ثم ان عدو الله حمل على شرحبيل ذات مرة وضرب بيده
على مراق بطنه واقتلعه من مكانه ورفعه على يديه وجلد به الارض على
قفاه واستوى على صدره وهم بذبحه او نحره **قال شرحبيل فناديت**

فنادیت عند ذلک اغثنی یا غیاث المستغیثین اغثنی برحمتک فما تم کلامه
حتی خرج فارس من عسکر الروم علیه لامة مذهبة وتحته فرس من عتاق الخیل
فقصد نحو البطریق ومشی جبیل وخطر البطریق بو انه لما خرج لیعینه علی شرحبیل
فلم یحمل علیه وذلک لطف من الله تعالی بشرحبیل فلما قرب منهما فرجل عن
جواده ومال علی البطریق واخذ برجلیه فسحبه وازاحه عن صدر شرحبیل وهو
منکس لا یبقی منه الا العروق وقد جرد سیفه وضرب به فیرمو ازال راسه
عن جسده وقال لشرحبیل قم یا عبد الله فقد اتاک الغوث من ربک غیاث
المستغیثین وخذ سلبه فهو لک هدیة من رب العالمین فوثب شرحبیل قایما
وهو یتعجب من فعله وقال له من انت بارک الله فیک والله ما رایت اعجب
من امرک وانی لاعجب منک ومما صنعت بعدوی وانی قد رایتک جیت مقبلا
من نحو عسکر المشرکین فمن انت یرحمک الله فقال له انا هو الشقی المعبود
الشقی وهو المطرود طلیحة بن خویلد الاسدی الذی ادعیت النبوة بعد رسول الله
صلی الله علیه وسلم وکذبت علی الله عز وجل وزعمت ان الوحی ینزل علی من السماء
وعن سالم بن عمرو عن صالح النخعی عن حسن بن عامر الیربوعی عن جده قال
بلغنی ان طلیحة بن خویلد لما کان من امره ما کان خاف علی نفسه وهرب الی
الشام فاقام بها ما شاء الله وقد تاب من امره وحسن حاله فاراد ان یرجع الی
المسلمین فخاف من خالد بن الولید ان یراه فیقتله فقصد الی قیساریة لیرکب
فی مرکب فی البحر ویطرح نفسه فی جزیرة من جزایر البحر فلما نظر الی جیوش
فلسطین قد برزت فخرج للقتال المسلمین فقال عسی مع هذه الجیوش فلعلی
ان انکی العدو نکایة فامحو ما سلف من ذنوبی او انکب فیه نکبة اغسل
شیئا من اوزاری ویکون ذالک قربة لی عند الله تعالی وعند المسلمین فلما نظر الی
شرحبیل وقد وقع به العدو والممات والهلاک اقرب الیه من السلامة والحیاة
فقال لا صبر عنه فخرج الیه وتشفع له من عدوه **قال شرحبیل**
فقلت له یا اخا العرب ان رحمة الله قریب من المحسنین ومن اقلع وتاب ورجع الی
الله واناب وقصد الملک الوهاب لم یغلق عنه الباب وقبل الله توبته وعفی له

ما تقدم من ذنبه بسبب واحد من الاسباب او بالآيات فقال له يا شرحبيل والله
مالي وجه ارجع به الى المسلمين وهم ان يمضي على وجهه ويمضي الى غير جهة فمنعه
شرحبيل وقال له لست ادعك يا طليحة من يدي حتى ترجع معي الى عسكر المسلمين
فقال له ما يمنعني من المسير معك الا الخوف الغليظ اخاف ان يراني فيقتلني يعني
خالد بن الوليد فقلت له ليس هو معنا في هذا الجيش وصاحب هذا الجيش عمرو بن
العاص قال فذهب معي فلما دنا من عسكر المسلمين تبادروا الينا وقالوا
يا ابا عبد الله من هذا الذي معك وقد اعانك الله به على قتال عدوك فقلت لهم
هذا طليحة بن خويلد الاسدي فقالوا وقد تاب الى الله عز وجل ورجع الى الحق فقال لهم
طليحة نعم انا تائب الى الله عز وجل مما كنت جنيت على نفسي قال شرحبيل
فاتيت به الى عمرو بن العاص فلما وقف بين يديه عمرو سلم عليه ورحب به وشكر له
في الكرم فعله وبشره بالتوبة وكتب له كتابا الى امير المومنين عمر بن الخطاب
يعلمه بخبر توبته وبما صنع وشهد فيه جماعة من المسلمين وبعثه به فلما وصل
اليه واعطاه الكتاب وقرا ما فيه بشره امير المومنين بالتوبة وصيره الى قتال
العجم بالعراق وقد اعرضنا عن كثير من خبر قصته خشية الاطالة ثم
نرجع الى الحديث الاول وفي ذلك انه لما قتل الله البطريق بوقيدمون ابن خالة هرقل
على يد طليحة بن خويلد وخلص الله شرحبيل بن حسنة مما كان وقع فيه
واخذ شرحبيل وطليحة اسلاب البطريق ورجعا الى عسكر المسلمين وكان المـ
شويرا والفتح كثيرا عظيما وقطع المسلمون القتال وكان قد اصاب الناس منه
جهد شديد ولحق المسلمين منه اذى كثير لان اكثرهم دون اخبية ولا بيوت تسعى
فالتجوا الى الجابية واستتروا الى جدرانها فكان من رحمة الله تعالى وحسن
صنعه للمسلمين ان القى الله تعالى واوقع في قلب قسطنطين الرعب والجزع والدهش
وبات حين قتل فيه مون لانه كان ابن خالة ابيه هرقل وركنه وقد عاينه
فكان مع ولده ركنا من اركانه فجمع اصحابه اليه وشاورهم في الرجوع الى قيسارية
وقال لهم يا معشر الروم ان جيوش العرب اتية من بني الاصفر وغيرهما فثبتت
لقتال هولاء القوم باليرموك وفلسطين واجنادين فكيف بنا فثبت نحن

وان ابى قوليس امامهم وهو بباب القسطنطينية من خروجهم وقد ملكوا الشام
كله بامره وما بقى لهم غير هذا الساحل وانا اخاف ان يكون هؤلاء شغلونا
ههنا وان اخوانهم قد رحلوا الى ورائنا فيصلوا الى قيسارية فيملكها اصحابهم
في غيبتنا ويحولون بيننا وبين مدينتنا والى جبال او حولنا من مقامنا هنا فاجابوه
الى ذلك ورحلوا من قبتهم وخيمهم والمطر ينزل كافواه القرب وكان ذلك
رحمة من الله تعالى للمسلمين **قال سعيد** بن جابر الاوسي فلما كان اليوم
الرابع من صبيحة تلك الليلة اقلع المطر وطلعت الشمس وخرجنا من الجابية
من بعد قتال الروم فلم نر والقوم اثرا ولا علمت لهم خبرا ابو الله الغد في حد طلوع الشمس
اكثر من من حنا ابن جبل الغوم عنا **وكتب** عمرو بن العاص لابي عبيدة كتابا
يقول فيه **بسم الله الرحمن الرحيم**
من عبد الله تعالى عمرو بن العاص الى امين جيوش الشام امين الامة ابي عبيدة عامر بن
الجراح سلام عليك ورحمة الله وبركاته اما بعد فاني احمد الله الذي لا اله الا هو
واصلي على نبيه واشكره على ما منحنا من نصره واعلمك يا امين الامة ان طلب الروم
فسمعنا خبر من هرقل قد خرج الى انطاكية ثمانين الفا وكان العلج ناصحا على نقل
وقد اخذ منه شرحبيل بن حسنة اسيرا او كان صاحب اسيره فيمن من خالد ... ولو هو
منهم ناحية بعظيم الغدر ثم خلص الله سبحانه شرحبيل على يد طليحة بن خويلد
الاسدي وقد قتل فيه قوم بعد ما تاب الى الله تعالى مما كان منه وقد وجهته
بكتابي الى امير المؤمنين عمر بن الخطاب وقد اصابنا مطر شديد في كثير فلما
الى الجابية وانهزم عدو الله وعدونا طلب الروم فسمعنا خبر من هرقل بعينه
هاربا الى مدينة قيسارية وانا منتظر ما تامرني به من جوابك والسلام عليك
وعلى من معك من المسلمين ورحمة الله وبركاته ثم طوى الكتاب وبعثه مع جابر
بن سعيد الحضرمي فلما وصل به الى ابي عبيدة وقراه وعلم ما فيه فرح بسلامة
المسلمين وانهزام عدوهم عنهم وبسلامة شرحبيل وتوبة طليحة وكتب
الى عمرو بن العاص جواب كتابه يقول فيه اما بعد فقد وصلني كتابك
وقد حمدت الله تعالى على سلامة المسلمين وانهزام عدوهم عنهم فاذا وصلك

صح

كتاب

كتابي هذا وفي ايده فارحل بجيشك وانزل على قيسارية وانا في اثر كتابي ان شاء الله
تعالى معولا بالمسلمين على المسير الى الساحل لفتح صور وعكة واهل نابلس ونواحيها
والسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته وعلى من معك من المسلمين وسلم الكتاب
لجابر بن سعيد الحضرمي وامره بالرجوع الى عمرو بن العاص فسار جابر بعد ما سلم
على ابي عبيدة ومن معه من المسلمين

ذكر فتح مدينة نابلس من ساحل الشام وكيف كان وعلى يد من كان

قال القاضي ابو عبد الله محمد بن اسماعيل
بن عمر الواقدي رحمه الله ولما عول امير جيوش المسلمين في الشام ابو عبيدة
بن الجراح رضي الله عنه على النهوض الى الساحل وما حوله فطلع اليه الحسن عبد الله
يوقنا صاحب حلب وقال له ايها الامير ان الله سبحانه وتعالى قد اباد المشركين وقد وقع
عباد الموحدين ونصر اهل هذا الدين على سائر جنود الكافرين وانا اريد ان تامر لي
ان اسير قبلك الى الساحل لعلي ان افوز من القوم بفرصة اجد فيها فيهم او مغارة
او اوقعها عليهم فقال له ابو عبيدة يا عبد الله ان كنت تفعل شيئا في الجهاد
في سبيل الله بغية تك الى الله عز وجل وتعده امامك وتبتغي به في الدار الآخرة
فنعم ما تفعل ان وجدت اليه سبيلا فوثب يوقنا قائما من مكانه في ساعته
واخذ اصحابه وكان قد انضاف اليه كل من كان بحرمته ومعه تغلب حين كان ط
جيشا وكلهم قد دخلوا في دين الاسلام وكانوا نحوا من اربعة آلاف فارس من
البطارقة وغيرهم وكانوا ايضا يتلون بنية وتوبة وعزم وكان في عسكر المسلمين
من البطارقة وغيرهم ممن اسلم من الروم ايضا يزيد على ثلاثة آلاف فارس غير
اصحاب يوقنا فاخذ يوقنا ما قدروا عليه منهم وما اراده وسار بهم الى الساحل وكان
قد صحبه ايضا قليطا نوش صاحب رومية الكبرى واصحابه الذين كانوا معه وكانوا
معولين على زيارة بيت المقدس والمقام بمعاقلها فيتبعهم البعض رحمهم الله
وعن سالم بن عامر عن نوفل بن عبد الله عن جده من البكاء وكان من اعلم
الناس بفتوح الشام قال ما دخل يوقنا الساحل حتى نصب عليه المكيدة

واحكم فيه الحيلة وذلك انه لما اخذ ما اخذ معه من اصحابه مر في طريقه على وادي
الاحمر وكان في صلح المسلمين وكان قد نزل فيه الحارث بن سليم في بني عمه يرعون ابلهم
مشورة له عشيرة واذية وكانوا في ما يتبين ينبت من العرب فاغار عليهم يوقنا
واخذهم اسارى واوثقهم وشدهم كتافا فادخل بهم ارض الساحل فلما جاز
البلد جمعهم اليه وقال لهم لا تظنوا بي واني قد رجعت عن دين الاسلام فانتم والله
ما رجعت وانما فعلت بكم فعالا لكي تسمع الروم في سواحلها اني قد غيرت على
العرب واخذتهم اسارى فيطمئنوا الينا اذا اردناها فقالوا كما نوالي فيه وفرحوا
بكلامه وقالوا له ان كنت انما فعلت ذلك تريد اقامة دين الله عز وجل فان الله
تعالى ينصرك وبالاعداء يكفيك ووكل بهم رجالا من قومه يسوقونهم مع
الاموال من الاغنام والجمال والعرب مغمومون كانهم عندهم اسارى وساروا يطلب
طرابلس وعن جعفر احمد بن عيسى بن نافع عن محمد بن عمر السلمي وابي جعفر احمد
بن عبد الله الفهري وعن اسامة بن زيد الليثي قالوا جميعا والله اعلم انه لما انهزم
قسطنطين من هرقل الى قيسارية وتحصن فيها بعث اليه اهل طرابلس
ان يبعث اليهم جيشا ويتقدم عليهم فبعث اليهم ثلاثة الاف فارس من اولاد
البطارقة وامر عليهم بطريقا يقال له حرجاش وكان بطريقا عظيما فسار
بجيشه ومن معه يطلب طرابلس فلما كانوا بالقرب منها نزل في مرج هنالك
ليعلو على خيله وامر جيشه ان يلبسوا اسلحتهم ويظهروا زينتهم وتبرجوا
بزيهم ويستعدوا ويعرفهم لاهل طرابلس **فبينما** هم كذلك اذا اشرف
عليهم يوقنا وبنو عمه واصحابه فلما اشرفوا عليهم وهم بزيهم وما عاينوا
منه شيئا ونظر اليهم حرجاش وراءهم ركب جواده وركض اليهم بنفسه
ليستخبرهم ويعرف خبرهم ونظر انهم من الروم الذين فلما قرب منهم سلم عليهم
ورحب بهم وقال لهم من انتم فقال يوقنا نحن الذين لحقنا الى هؤلاء العرب واستكفينا
شرهم وظننا انهم على شيء فاذا هم قوم كما هو لا دين لهم ولا عهد عندهم
ولا ذمة معهم ولا حرمة فيهم وقد اصاب فنشي بن وحلب واعزاز وحازم واقطاد
كثيرة وفواحيها وقد قاصدون الى ابن الملك هرقل لنكون تحت حماه ورايته

دفرهم بنا

وقد بعث بنا ابو بثينة منهم اليه وبعثهم كتائبه منهم معنا اسارى نحملهم اليه
فلما سمع حي فاشرة الكلمة انس بهم واكرمهم ورحب بهم ومدحهم
واهدى اليهم خيرا ومعهم الاسارى من العرب والجمال والاغنام وكثير من الاموال
والانعام وقال لهم انزلوا عندنا ساعة حتى تستريحوا من التعب لانكم سرتم
الليل والنهار وخافت نفوسكم من العرب فنزلوا عندهم ساعة وقدموا لهم
شيئا من زوادهم فاكلوا فقال لهم ابو بثينة والى اين انتم سائرون فقال له قد
بعثنا الملك الرحيم قسطنطين بن الملك هرقل من قيسارية الى كبر ابليس
نجدة ونحن ثلاثة آلاف فارس فقال له ابو بثينة كونوا على حذر من العرب فان اميرهم
الذي يقال له ابو عبيدة قد بث كتائب بين الغور الى هذه الساحل فقال له
حي فاشرة وما الذي ننفع حذرنا منه ودولتنا قد انقضت وحالنا قد اضمحلت
وايامنا قد ولت ومن ادرك الطلب يفنى عن اهله فلما اكلوا ركب ابو بثينة واصحابه
وودعهم وهم حي فاشرة من بعد ان ركب معهم ويودعهم هو ومن معه فقال
له ابو بثينة اشتغل باصحابك والبسهم احسن ثيابهم واخفي سلاحهم فان في الكر
ما لي هيبا ويلقي الرعب في قلوبهم بعض اعدائهم قال فلما ركب ابو بثينة ثم ان
حي فاشرة فرق خزانة السلاح التي كانت معه على اصحابه وقعد حتى جن الليل
وعلفت الخيل ثم استقاموا على الارض الى ... وكان ابو بثينة لما ركب هو
واصحابه لحق والرجع حي فاشرة واصحابه فاصبر بحفظه فاذكروا لهم واعلموا
انهم يطلبون كبر ابليس وعكة فكمنوا لهم بالبر في ... الغور فلما توسطوا
الكمين عليهم ابو بثينة واصحابه وقليطانوش ومن معه وداروا بهم ولم يمهلوهم
دون ان فتحوا لهم وكبسوا عليهم فاخذوهم قبضا بالكف اسارى ولم يفلت
منهم احد وشدوا اكتافهم واقتسموا الخيل في تلك الارض كلها ادناها
واقصاها مخافة ان يفلت منهم احد فيخبر الخبر فلما حصلوا في قبضتهم وقعت
وقاعهم اراد ابو بثينة ان يقتل الحارث بن سليم واخوانه فقال له الحارث ... اني
ارى من الراي ان تتركنا على حالنا فان ثواب الله عز وجل قد حصل لنا وانكم
لا تفتحون على بلد من بلاد العدو الا فتحها الله لكم فينا اذا ادركونا اسيرا معكم

6 وتفهموا بنا ما تقدمون عليه من الأمر **وبعث** ذلك عمر يوقنا إلى الفيس
من أصحابه والعامر من أصحاب فليكانوش وترك الجيش كله مع أصحاب حرقاش
وقال لهم إذا جاءكم رسولي فاقدموا علي ثم إنه ألبس أصحابه زي أهل قيسارية
وساروا نحو مدينة أبلس ومعهم الأسير من العرب وهم ثلاثة آلاف فارس يريدون
أهل أبلس فلما أشرفوا على مدينة أبلس ومعهم الأسارى من العرب ووصلوا
إليها خرج كل من كان في البلد من أهلها إلى لقائهم وهم يظنون أن الملك بعثهم
إليهم لينصروهم وكان قسطنطين قد بعث إليهم رسوله يقول لهم إني قد بعثت
إليكم ثلاثة آلاف فارس مع حرقاش بن صليب فدخل يوقنا وأصحابه وهم
معه وبين يديه فلما استقر هو ومن معه في البلد بدار أمارته في أبلس وحضر
معه أميرها ورؤساء البلد وشيوخها وبطارقتها قبض عليهم يوقنا ومن
معه وأسرهم ولم يفلت أحد من أهلها وكان قد استوثق من حصونها وأبوابها
واحتوى عليها وترك أصحابه عليها وقال لهم لا تدعوا أحدا يخرج منها من أهلها
ثم قال لهم يا أهل مدينة أبلس إن الله عز وجل بمنه وفضله قد أظهر دين
الإسلام وأعز ملة **محمد** عليه السلام ونصر أهله وأعلى كلمته وقد كنا نحن وأنتم
في غشوة مظلمة نسجد للصلبان ونعظم الصور والقربان ونعبد الحجارة والأوثان
ونجعل لله تعالى زوجة وولدا حتى بعث الله تعالى لنا هؤلاء القوم فقاتلناهم
وقاتلنا فيهم كنا فاسدا وذلك كان من تسويل اللعين الشيطان فلما أسعدنا
الله تعالى كما سبق في علمه فدانا لهم فعدنا إلى دينه بهم وأرشدنا بإرشادهم
إلى توحيده وأوضح لنا الصراط المستقيم على أيديهم وأدخلنا بتوفيقه وقضا
بيده في حزبهم ونلنا ما ناله القوم من السعادة ببركة نبيهم الكامل المصطفى
محمد صلى الله عليه وسلم بشير البشر الشفيع في يوم المحشر والملتجأ إلى لوائه
يوم القيامة عند الهول الأكبر واعلموا أنه هو النبي المبعوث الذي ذكره الله
في التوراة والإنجيل وبشر به المسيح عيسى ابن مريم صلوات الله وسلامه عليهم
واعلموا أن دين الإسلام حق وأن أهله قوم قد وفوا لهم صدق يأمرون بالمعروف وينهون
عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله ويكتفون بالخمس

ويقيمون

ويشهدون الصواب ويوحدون الله عز وجل ويعتقدون انه على كل شيء قدير
وأن محمدا عبده ورسوله بعثه بالرسالة وختم به النبيين وبعد اذا انا لسنته
صلى الله عليه وسلم الى يوم الدين وانهم يجاهدون في سبيل الله ويسمحون باموالهم وانفسهم
في مرضات الله ولا يخافون لومة لائم وبعد هذا والله هي السنن التي امر الله بها انبياءه
ورسله والصالحين من عباده وما خرجوا بقليل ولا بكثير والان فاما ان ترجعوا الى
دين الاسلام او تؤدوا الجزية عن يد وانتم صاغرون واعلموا بينهم بها تبين الخصلتين
قتلتكم بالسيف وبعثكم في العبيد فهذا ما عندي والسلام على من اتبع الهدى
وخشي الضلالة والردى **فلما** سمعوا قوله علموا ان يوقنا فداخل عليهم
واخذ اصحاب الملك في الكلام فقالوا ايها السيد افعل ما انت فاعل فيها نحن لك
وبين يديك نفعل كلما امرتنا به ولا نخالفك ثم اسلم بعضهم وادى الجزية
بعضهم وعول جميعهم يوقنا مثل ما يفعل المسلمين **وبعث** وراء بقية اصحابه
الذين تركهم مكمنين في الكمين فجاؤوا بالاسرى معهم فعرض عليهم الاسلام
فابوا فامر بحبسهم وتقدم بهم واستوثق بهم وكتب الى ابي عبيدة كتابا
واخبره فيه بالفتح من اوله الى اخره وبعث به مع الحارث بن سليم الذي كان اخذه
مرواس الاحمر على وجه المكيدة لما وقع اسيرا مع بني عمه وقال له يا ابا عبد الله كن
للامير مبشرا بهذا الفتح فقال له الحارث نعم سافعل ذلك ان شاء الله تعالى
فسار الحارث بكتاب يوقنا الى ابي عبيدة فسلم عليه ودفع له كتاب يوقنا فقال
له ابو عبيدة انت الذي اسرت وقومك مرواس الاحمر قال نعم ثم كان في الاعلى
جهة المكيدة فقال له الم تعشنا في انك تنسبني الى دار الاحمر انت وبنو اعمك
بها الذي او صلك الى حلب فقال له القضاء والقدر في الذي يوقنا اغار علينا
واخذت اسيرا واوصلنا اليها وحدثه بحديثه واخبره بالخبر كله فتعجب من
ذلك ابو عبيدة والمسلمون فلما سمع ذلك في الكتاب وقراه وعلم ما فيه قال
اللهم ثبتهم واعنهم على اعدائهم وايدهم بالنصر يا من يقول للشيء كن فيكون

بنصرك

ذكر حرب مدينة صور وكيف كان فتحها وسببه

قال القاضي أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن عمر

الواقدي رحمه الله تعالى ولم يسمع باعجب من هذه القصة في فتح هذه المدينة
من جميع الفتوحات الواقعة بالشام وفي الديار يوقنا رحمه الله كان من امره انه
لما فتح مدينة طرابلس وملكها كانت في مرساها مراكب كثيرة فاخذها
يوقنا ووقع في اثنائها وشي اعلامها البلاد لم يعلم بفعله احد من اهل الساحل فلما كان
بعد ايام جاءت من بلاد الساحل مراكب كثيرة ما يزيد على خمسين مركبا
فيها كلهم يوقنا حتى نزل الكل منهم على مرسى المدينة فامرهم ان ياتوا بهم اليه
فاستخبرهم عن امرهم وعن حالهم ومن اين اقبلوا والى اين يريدون وما عندهم من خبر
العرب فلعلهم هل علم احد بحيلته من اهل الساحل ام لا فقالوا له اما العرب فلا علم
لنا بهم وما عندنا من خبرهم شيء غير ما هو عندكم واما نحن فقد اتينا من مواضع
متفرقة جئنا من جزيرة قبرص ومن جزيرة اقريطش من اهل مدنها فقال
لهم وما وسقكم في مراكبكم قالوا العدة والسلاح والطعام والميرة الى الملك
نستعين بها من عدونا قال ففرح لهم البطريق والسرور بذلك وخلع عليهم الخلع الجزيلة
وقال لهم اذا اردتم المسير معكم الى ابن الملك هرقل ثم امرهم الى دار الضيافة
وبعث الى من بقي في المراكب فاتى لهم وفرش لهم سماطا فاكلوا منه حتى تملوا ثم
قال لهم يوقنا اذا اردتم ان اقدم معكم في جيش زادا وعلوفة وسلاحا نقوي به للملك
للملك ولكني احب منكم ان تريدوا ان تصبروا على ثلاثة ايام مقدار ما تتهيا لي
ما اريد فقالوا له ايها البطريق الكبير انا على عجل من امرنا ونخاف من ملامة الملك
وانا لا نقدر على ملامته وتوبيخه فلم يزل بهم حتى انعموا له بذلك فقال لهم
اني احب منكم ان تنزلوا الى الشاطئ والمغاني ليكونوا في المدينة عندنا
وتكونوا كلكم في المدينة عندي في اكرام وافا منكم حتى يتهيا لي ما اسير
به معكم ونسير وايدا واحدة ففعلوا ذلك وانزلوا كل ما طلب منهم
وانزلوا جملة رجالهم واثقالهم ولم يبق في المراكب غير ثلاثة رجال فلما
تمكنت له الحيلة قبض على الجميع واستوثق منهم كتافا وامر بسجنهم
وللاستعانة بهم واقام بقية يومه ذلك فلما كان من الليل فقد تشكل وسلم

مدينة

من بيته فلما ابلغ الى بني عمه الحارث بن سليم والى وليعة توتش وعمر المراكبا
من رجاله وبني عمه وهم بالصعود فيها قال ثم ان خالد بن الوليد رضي الله عنه
قد اقبل في البحر فارس من اصحابه فلما راهم يوقنا سجد لله شكرا وسلم المدينة
اليه وحدثه بما جرى له مع القوم وبما عزم عليه على اعتبارهم فقال له خالد نصرك
الله تعالى على اعدائك ثم ان يوقنا ركب من ساعته في ليلته تلك وسار في
البحر الى ان نزل على صور وهي مدينة صغيرة على جانب البحر وكان عليها ملكا
يدعى مستو جيش قسطنطين من بطارقه يقال له ازرين قشكو ومعه اربعة الاف
فلما اصبح الصباح الا ويوقنا قد برز على مدينة صور فامر بالابواق فضربت
وبالرايات فنشرت ثم وقف صاحبها صور وهو المستو واصحابه على باب
البحر وقال لاصحابه احذروا واصعدوا القوم على السور بينهم وبين ذلك وبعث البطريق
رسوله اليهم ليتعرف اليهم ويستخبرهم من اين اتوا والى اين تريدون فوصل اليهم
وقال لهم من انتم ومن اين جئتم والى اين تريدون فقالوا له نحن من اهل جزيرة قبرص
ومونها وجزيرة في بحش واهلها وقد جئنا بالميرة والطعام والعدة والسلاح
للملك قسطنطين بقيسارية ثم رجع رسول صاحب البحر وجاء اليه واخبره
بذلك وقال له هؤلاء اهل قبرص واهل جزيرة في بحش قد اقبلوا الى خدمة
الملك قسطنطين وهم يريدون قيسارية ومعهم العلوفة والميرة والطعام
والعدة والسلاح ففرح البطريق ومن معه لذلك بهم وامرهم بالنزول
فنزل يوقنا ومن معه ممن استخلصه لنفسه من خاصته واهل بلده وهم
تسعمائة رجل وترك الباقين في المراكب في سفنها وقال لهم ان تم لنا
ما تريده من هؤلاء القوم فالله المستعان وان لم يتم لنا الامر وكان غير ذلك
فلا تبرحوا من مواضعكم وتقدموا الى الامير خالد بن الوليد واعلموه بقصتنا
قال وان يوقنا لما نزل الى البر تواضع لهم البطريق والاكرام ووضع لهم
سماطا عظيما واحضر لهم من انواع الطعام والفواكه ما اكرمهم وخلع عليهم
الخلع الى بيعة ويوقنا مع ذلك يتمنى ان يجن الليل ليثور عليهم بمن معه
من اصحابه وبعث رجلا الى الخبير يخبره بسهم المركب من بغى يعلمهم

بذلك ويتأهبوا ويستعدوا ويكونوا على حذر ويمكنه من امرهم اذا
سمعوا بصوتهم وعن نصر بن مزاحم عن الازرق بن عامر عن عمارة بن راشد
الابيعري قال لما دخل بوقنا والتسعمائة رجل من اصحابه الى المدينة واتى بهم
البطريق بوو وخلع عليهم واطعمهم واكلوا واستقوا واتى البلد اقبل على البطريق بو
رجل من بني عم بوقنا ممن تمكنت الضلالة في قلبه واحتوى الكفر على لبه
وحرثه فاعلمه بان بوقنا اسلم وبما عزم عليه وانه قد اسلم ويقاتل مع العرب وانه هو
الذي فتح مدينة حلب ابلستر واخذ البطريق بوحنا شر صاحب الملك في الحين بو
واخبره بما فعله كله ونقضته من اوله الى اخره فلما سمع البطريق بوذلك
لم يكذب في نفسه دون ان ركب في قومه واصحابه وقبض على بوقنا واصحابه
وعلا الصياح في المدينة وارتفع الضجيج ولم يسمع بذلك اهل المراكب
اصحاب بوقنا وان الصياح في القصر فعلموا ان ذلك بسبب اصحابهم وانه قد
قبض عليهم فاغتموا لذلك غما شديدا واخذوا على انفسهم بالحوطة من
عدو يقدم عليهم قال استوثق البطريق بوذار بن قيسك من بوقنا
واصحابه ووكل بهم الف فارس من اصحابه وقال لهم سيروا بهم الى الملك يفعل بهم
ما يشاء ويحكم فيهم بما يريد فاقبلوا يعنفون بوقنا واصحابه ويقولون لهم
ما الذي رأيتم في دين العرب حتى تبعتموهم عليه وتركتم دينكم ودين
ابائكم واجدادكم لقد كفرتم بدين المسيح عيسى وابيه وابعدكم عن جنابه
فلما خرجوا من البلد وهموا ان يسيروا ببوقنا واصحابه الى قيسارية وقع
الصياح خارج المدينة ومن الذين كانوا على الابراج والابواب وانه قد دفع
اهل الغور ممن كان بالغرب والبحر من مدينة صور وهم يسمون عون البهلا
فسألوهم ما الخبر فقالوا قد وصلت العرب الى ارضنا وغاروا علينا واخذوا
اموالنا ونساءنا فقد قتلت خيولهم الكثير وكان السبب في ذلك ان عمرو
بن العاص رضي الله عنه لما نزل على قيسارية كما سيأتي ذكره وكان
عليها قسطنطين بن هرقل وكان قد نزل عليها يزيد بن ابي سفيان بايام
قلائل قبله فلما نزل عليها عمرو بن العاص وجه يزيد بن ابي سفيان ليغير

على الطريق الى مدينة صور وجاء اليها وليس عنده خبر بما فعل يوقنا وليس
عند اهل صور خبر بنزول المسلمين على قيسارية وذلك والله اعلم كان
كله في ايام قلايل فلما سمع البطريق بوقا بذلك امر بيوقنا واصحابه فردوهم
الى البلد وهم موثوقون في الحبال والحديد في ارجلهم وامر بالابواب فاغلقت
وتصعدت الرجال على الاسوار والابراج ونصبوا المجانيق والى عادات
واقام القوم يومهم ذلك في سور بلدهم من على سورهم وفي ابن يزيد
عليهم من عشي ذلك اليوم فلما كان من الغد اشرف البطريق يوقنا على سور
المدينة على عسكر المسلمين حتى راى جيش يزيد بن ابي سفيان فلما راهم في
قلة استخف بهم واستحقرهم وطمع فيهم وقال وحق المسيح لا ابرح من
الخروج اليهم وقتلهم الا شرذمة قليلة ثم انه لبس لامته وامر قومه وحشد
وجنده بذلك من لبس اسلحتهم وخرجوا الى لقاء عسكر يزيد بن ابي سفيان
وترك على حفظ البلد يوقنا واصحابه رجلا من بني عمه يقال له باسيل وكان
قسا عظيما عالما بدينه قد قرا الكتب السالفة وجميع اخبار الامم الماضية
والملاحم الواقعة وقد درس الانجيل وتوغل في علمه وكان قد راى رسول الله
صلى الله عليه وسلم ذات مرة في دير بحيرا الراهب حين خرج النبي صلى الله عليه وسلم
في صغره تاجرا الى الشام في عير خديجة وشاهد امره قبل نبوته ومعجزاته ما يكل
عنه الوصف واخبره بحيرا الراهب حين راه ايضا انه هو النبي المصطفى الذي
بشر به المسيح فعلم باسيل ان بحيرا الراهب لا يتكلم الا بالحق وكتم الامر
في نفسه وبقي متحيرا في امره وقصته طويلة اعرضنا عنها خشية الاطالة
قال وكان من حسن صنع الله عز وجل للمسلمين وتسهيله لعباده
المومنين ان البطريق يوقنا لما خرج للقاء عسكر يزيد بن ابي سفيان لم يدع احدا من
شبان المدينة الا اخرجه معه وبقي النساء والعيال من الاولاد والاشياخ
على الاسوار ينظرون ما يكون من امرهم مع بقيتهم في قتال المسلمين فلما
صار يوقنا واصحابه بين يدي باسيل ونظر الى المدينة وخلوها واشتغال اهلها بما حل
بهم اجمع رايه على خلاص يوقنا واصحابه وقال في نفسه والله ان دين الاسلام

هو دين الحق وقد رايت في هؤلاء القوم في دير يحيى الراهب واخبرني فيه
يحيى او انه هو النبي الذي بشر به المسيح فكوني لم اتبعه وصرفه وامر
به فاقبل اليهم فلبا وقال ليوقنا ايها البطريق بو الكبير كيف اني كنت
دينك ودين آبائك واجدادك من قبلك ودخلت في دين هؤلاء العرب
بما الذي رايت لهم من الحق حتى تبعتهم على دينهم ولقد كانت الروم تعرفك
عصرا وتعرفك هونا وركنا فقال له يوقنا يا باسيل قد كفاني في
ما قد كفاني لك من الحق وعرفته وقد نفع في هذا انه يقول الحق الله سبحانه
وتعالى قد هداك لدينه وبشرني بالخلاص على يديك فلما سمع باسيل
ذلك من يوقنا زاد يقينه وتعجب وقال له يا يوقنا الغداة انقذك الله بالحق
وتبعت من يفقه واجرى على لسانك الحق وتكلمت بالصدق وان الله تعالى
قد كشف حجاب الغفلة عن قلبي ولقد كنت رايت في هؤلاء القوم صفة
في دير يحيى الراهب وكفى لي من معجزاته كذا وكذا وجعل يعدد ذلك له
ولقد انباني يحيى الراهب انه النبي المبعوث المنعوت بالذات والصفات فلم ازل
ابحث عنه وعن امره ودينه حتى حار ماني فقال له يوقنا وما الذي قد عزمت
عليه الان فقال عزمت ان اخالف قومي وديني واتبعكم على دينكم فان الحق
فيكم ومعكم لا شك فيه عندي ثم انه حل يوقنا واصحابه من وثاقهم
وسلم اليهم عدتهم وسلاحهم وقال ليوقنا ان معظم تبع البلد عندي وان العسكر
كله بجملته خارج المدينة مع البطريق بو وهو مشتغل بقتال
العرب وليس في المدينة من يقاوم من جهته فانهضوا على اسم الله تعالى
فقال له يوقنا جزاك الله خيرا فلقد هداك الله لدينه القويم وارشدك
فهو في التعظيم وسلك بك سلوك جنات النعيم وختم لك بما ختم
لعباده المتقين ولكن يجب علينا الان ان نفكر والا انفسنا ونبعث الرسل
في الليل اكبا من اخواننا حتى ينزلوا الينا ويكونوا هم وايانا يدا واحدة
ونتقوى والبطريق من يقينه نعتصم لله تعالى ورسوله ونخفي امره ونخرج من باب
المدينة ونسير الى عسكر المسلمين ويصل الى امرائهم يخبر بين ايديهم شيئا ويعلمه

بما كان

بما كان من امرنا ويخفى لنا بقصتنا ليكونوا على اهبة فاذا سمعوا صياحنا
فلا يمهلونهم عن ذلك فقال له باسيل نعم الراي ما رايت فافعله ثم ان يوقنا خرج
في حال الغفلة ومعه باسيل ورجل من اخوانه ففتح باب البحر وركبوا في زورق
ومشوا حتى وصلوا المراكب وحدثوهم بما جرى وما وقع لهم وما اتفقوا
عليه فنزل كل من كان في المراكب من اصحاب يوقنا وساروا الى الباب ودخلوه
ودخلوا في المدينة واعمى الله تعالى ابصار القوم الظالمين عنهم ثم نكثوا
من بعض الى يزيد بن ابي سفيان فقال لهم رجل انا اكون من يمشي اليه ثم انه خرج
فشكى امر الباب واغلق باسيل الباب من ورائه ورجع الى اصحابه وسار الرجل حتى
وصل جيش يزيد بن ابي سفيان واخبره بالامر على وجهه وبما كان من امر يوقنا
واصحابه من اسرهم واسلام باسيل وحله اياهم واعلمه بالقصة من اولها الى
اخرها فسجد يزيد لله تعالى شكرا وامر المسلمين ان يأخذوا اعلى انفسهم
ويتلطفوا للكيفية على عدوهم اذا سمعوا صياح اخوانهم من داخل الحصن
فيفعلوا ذلك وتهيؤوا وامّا ما كان من امر يوقنا واصحابه فانه
لما خرج الرسول من عنده وعلم ان الخبر قد وصل الى يزيد بن ابي سفيان والمسلمين
قال لاصحابه يصعد منكم جماعة خمسمائة رجل على الاسوار بيده وامر عليه
ويضعوا فيهم السيف بالقتل او الاسر فقال له باسيل ليس هذا براي لان القوم
لا علم لهم ولا خبر عندهم ولعل الله ان يهديهم الى الاسلام ولكن من الراي
ان يكونوا مع امكنة الاسوار حتى لا يكسبوا ان ينزل عليهم احد ويناديهم فلا
يستصعبوا يوقنا كلامه وفعل ما امره به من رايه ثم خرج يوقنا واصحابه
ونادى برفيع صوته واعلنوا بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير
فسمع كل من كان من اهل المدينة في اعلى الصور صياحهم والصوت مرتفع
وكل من كان في داخل المدينة كذلك فعلموا ان يوقنا واصحابه قد
تخلصوا من قبضة الاسر وقد وثبوا وثاروا في المدينة فتاهت عقولهم
وانكسرت قوتهم وارتعدت جوارحهم وانزعجت افئدتهم على اولادهم
واهليهم وتحيروا في امرهم فبقوا في غاية عظيمة من كان من اهل المدينة في بيته

لم يجسر ان يخرج من بيته ومن كان على السور لم يجسر احد منهم ان يتحرك
من مكانه وسمع يزيد بن ابي سفيان الضجة فعلم المسلمون ان اخوانهم واعوا
نهم المسلمين قد ثاروا في المدينة فكبر عند ذلك وكبر معه المسلمون
وهلل الموحدون وتهيئوا للحملة على المشركين وسمع الروم سنوس ان برقسطو
الضجة في المدينة فعلم ان المسلمين يوقنا واصحابه قد ابطلوا امر الناس وهم
الذين جعلوا اذا الدموع الرعب في قلوبهم ونظروا الى النيران الحربية قد راحمنا
واشتعلت في عسكر المسلمين وقد تاهبوا للحملة عليهم فايقن عدو الله بطو
واصحابه بالهلاك ولم يبق لهم صبر لان قلوبهم قد تعلقت باولادهم واموالهم
واهليهم في داخل بلدهم وقد حيل بينهم وبين المدينة وكان قد بلغهم الخبر
ان قيسارية محاصرة وليس لهم ملجا ولا مدد ياتيهم من عند ولد الملك
فهم قد ولوا الادبار وركنوا الى الفرار وانهزموا اقبح هزيمة واتبعهم
المسلمون في اثارهم يقتلون ويأسرون في ظلام الليل ومنهم من نجا براسه
ومضى على وجهه في البراري لانهم اعرف ببلدهم وملك المسلمون خيامهم وعسكر-
هم وما كان فيه فلما اصبح الله بخير الصباح فتح يوقنا باب المدينة
ودخل يزيد بن ابي سفيان ومن معه من عسكر المسلمين واحتووا على اموال الروم
ونادى كل من كان على الاسوار منهم العفو العفو يعنون الامان الامان فامنهم
المسلمون ونزلوا باجمعهم من اعلى السور واتوا اليهم فقال لهم يزيد بن ابي سفيان
ان الله سبحانه وتعالى قد فتح علينا مدينتكم هذه عنوة بالسيف وانتم الان
عبيد لنا ان شئنا جعلنا فيكم نحكم فيكم بما نريد وكيف نشاء ولكن نحن قوم
اذا عاهدنا وفينا واذا امنا اتممنا واذا قلنا وجدتنا صدقنا وقد اعطيناكم
الزمام من انفسنا ولا كن الا الجزية على من اراد منكم ان يبقى على دينه ولم يدخل
في ديننا ومن اسلم منكم فله ما لنا وعليه ما علينا فاجابوا القوم الى ذلك واسلم
اكثرهم وفرح المسلمون بذلك الفتح فرحا عظيما وشكروا يوقنا ومن معه
فعلهم وبلغ الخبر الى عمرو بن العاص رضي الله عنه ففرح بذلك وبعث واليا على
صور ياسر بن عوف بن مسلمة اليربوعي وكان شيخا كبيرا قد شهد مع

رسول الله

رسول الله صلى الله عليه وسلم المشاهد منها خيبر والخندق وحنين وقتل أخاه
في ذلك اليوم فقتله مالك بن عوف الثقفي فبعثه عمر وبعث معه مائة رجل من
المسلمين من الصحابة

ذكر حروب مدينة قيسارية وفتحها وفتح جهاتها على الكمال في روايات حديثها قال القاضي أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن عمر الواقدي رحمه الله تعالى ورضي عنه

أما خبر قيسارية اختلاف بين روايات حديثه فيمن
فتحها وجاء بها وفي وقته أيضا ونحن نورد من ذلك ما تيسر ويليق بالموضوع
وعن أحمد بن الحسين بن العباس المعروف بابن أبي سفيان النخعي عن أبي جعفر أحمد
بن عبيد بن ناصح عن عبد الله بن مسلم وعبد الله بن جعفر وعبد الله بن يحيى عن من
حدثهم ممن تقدم ذكرهم وأسماؤهم من الشيوخ في أول الجزء والحديث كله
متقارب قالوا إن الذي جاء قيسارية معاوية بن أبي سفيان في أول إمرة وذلك أنه
لما بعث أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أمراء جيوش الشام أبا عبيدة بن الجراح رجلا
وافتكاكها وما والاها من الحصون حين فرق الجيوش ودعا الولاة بأرض الجابية
بعث يزيد بن أبي سفيان إلى ساحل الشام فنزل على قيسارية وكانت مملوءة
بأهلها بالعلوج كثيرة الجنود وكان واليها قسطنطين بن الملك هرقل وكانت
معه ثلاثون ألف من الروم والعرب المتنصرة والأرمنية وغير ذلك فلما أن
قسطنطين رأى جيش يزيد بن أبي سفيان وكان معه ستة آلاف فارس استقل
قسطنطين ما كان معه من ذلك الجند كله واستنجد بأبيه فبعث إليه
بصاحبه مع عشرين ألف من رجال في عشرين من الكامل من أبطال الروم وبعث له المراكب
بالزاد والعلوفة فلما تكاثر ذلك على يزيد بن أبي سفيان وأنه لا قدرة له على قيسارية
كتب إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب كتابا يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم
لعبد الله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب من عامله يزيد بن أبي سفيان سلام عليكم ورحمة
الله وبركاته أما بعد فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو وأصلي على نبيه محمد صلى الله
عليه وسلم وأعلمك يا أمير المؤمنين أني نزلت على قيسارية وهي مدينة قد ملئت

بالناس واهله بالعلوفة حتى لا الجند وليس لنا الى اهلها من سبيل وان
قسطنطين بن هرقل قد استنجد بابيه لما نزلت بها عليه وقد انجده
بصاحبين عشر ومعه لاذر بن منجال في عشرين الفا من الروم والمراكب مع ذلك
تروح عليه كل يوم بالعلوفة والطعام وانا من النجدة والسلام وبعث
الكتاب مع سالم بن حبيب النخعي فلما ورد على سالم المدينة سلم الكتاب
لعمر وسلم عليه فقال له عمر من ابن بعث الكتاب فقال له من عند عاملك يزيد بن
ابي سفيان فاخذ عمر الكتاب وقراه فلما اتى على اخره فكر في امر يزيد وما دفع
اليه من الجيش فقال له علي بن ابي طالب رضي الله عنه يا امير المومنين لا تغتم ولا
تحزن على المسلمين فان الله تعالى سيفتحها على يديك رغما على اهلها فانجد يزيد
بن ابي سفيان بما قررت عليه فكتب عمر الى ابي عبيدة بنجدة يزيد بن ابي
سفيان فلما وصل الكتاب عمر الى ابي عبيدة بعث ليزيد بن ابي سفيان بثلاثة
الاف فارس مع ضرار بن عمرو حتى وصل اليه عمرو بن العاص ومن معه بعد وقعة
فحل وعن عمرو بن سالم عن عبد الله بن عامر قال لما فتح ابو عبيدة
انطاكية ورجع الى حلب اقام بها ينتظر ما يكون من امر عمرو بن العاص
على قيسارية وجملة ما سار مع عمرو بن العاص الى قيسارية وجملة ما سار
مع عمرو بن العاص الى قيسارية خمسة الاف فارس من المسلمين وعن
عامر بن اوس عن صالح بن سالم عن موسى بن مالك اليعمري قال ان عمرو
بن العاص لما ارتفع المصر الذي اتاه يوم فحل بعد ملاقات قسطنطين وجاءه
الجواب الذي بعثه اليه ابو عبيدة يامره بالنزول على قيسارية وهو في اثره
اقلع من ارض الجابية وسار حتى نزل على باب قيسارية فحاصرها وبعث يزيد
بن ابي سفيان ليغير على صور كما تقدم وخلص وحاصر عمرو بن العاص
قيسارية حتى جاءه الخبر بفتح مدينة صور فشدد الحصار على قيسارية
فضاق باهلها الحصار وبلغ الخبر الى قسطنطين ان صور قد اخذت فعلم انه
لا بقاء له مع العرب ولا ثبات له فانتهز الفرصة واغتنم الغفلة واخذ
خزائنه وامواله وما خف حمله واهله وركبهم في المراكب في البحر وذلك

بالليل

بالليل واقلع بما عليه وسار في البحر يريد الروم واتى الى القسطنطينية العظمى
فلما كان من غد تلك الليلة ونظر اهل قيسارية الى ذلك والى ما فعل ملكهم
خرج اهلها بجمعهم الى عمرو بن العاص وصالحوه على ان يسلموا اليه المدينة فصالحهم
على ذلك وعلى ان يسلموا اليه جميع ما خلف وترك قسطنطين بن هرقل من
ذخائره وخزائنه ورجاله وعلى ما اقتنى الغادرهم وضرب عليهم الجزية من السنة
الى السنة على كل رجل محتلم منهم اربعة دنانير وفي ذلك كان امر عمر بن الخطاب
رضي الله عنه **وعن رفاعة** بن عبد الله العنوي **عن سالم** بن عروة بن نعيم
اليشكري **قال** لما فتح عمرو بن العاص قيسارية صلحا على ما اقتنى الغادرهم
وما ترك قسطنطين من بقية امواله ورجاله من خزائن وكسوة ورحال وعدة
وطعام دخلها عمرو بن العاص يوم الاربعاء في العشر الاوسط من شهر الله رجب
الفرد المبارك من عام تسعة عشر بعد هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولعمر بن الخطاب رضي الله عنه في الخلافة اربعة اعوام وستة اشهر وبلغ الخبر
الى من بقي من اهل مدن الشام وقراه وجباله كاهل مدينة عكة والرملة ويافة
وعسقلان وغزة ونابلس وطبرية واهل مدينة قيروز وجبلة واللاذقية
فاتوا كلهم باجمعهم الى المسلمين وعقدوا معهم الصلح وصالحوهم رغما على انفهم
ومن من اتوبه ان اهل الغربية واهل جبل قبرص وكفى كلمات وما والاها من
الحصون ففتحهم الله كذلك صلحا على يد عمرو بن العاص وبقي عمر بن الخطاب
بعد ذلك في الخلافة والله اعلم اربعة اعوام وستة اشهر وكان ذلك
والله اعلم بعد وفاة ابي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه **وقد ذكر غير**
ذلك الفقيه الاستاذ ابو عمر
الطلمنكي رحمه الله **في مصنفه فقال** مكث المسلمون بالشام
وعليهم ابو عبيدة بن الجراح بعدما خرج عمر بن الخطاب رضي الله عنه ثلاث
سنين ثم توفي ابو عبيدة رضي الله عنه في طاعون عمواس وكان قد عم
الشام كله فمات فيه ابو عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل رضي الله عنهما
ومات فيه معهما من الناس خلق كثير فلما انتهى الى امير المومنين عمر بن الخطاب

هلك ابو عبيدة ومعاذ بن جبل بولى عمال الشام واستعمل يزيد بن ابي سفيان
على سائر الجنود التي كانت بالشام وكتب اليهم ان يسيروا معه الى قيسارية
اذا سار من كل عسكر عامل وجماعة من اهلها حتى يفتحها الله على يديه وكتب الى
يزيد بن ابي سفيان كتابا يقول فيه اما بعد فقد وليتك امر اجناد
الشام كله وقد كتبت اليهم ان يسمعوا لك ويطيعوا امرك ولا يخالفوا
قولك فاخرج بعسكر المسلمين وسر بهم الى قيسارية وانزل عليها ولا تفارقها
حتى يفتحها الله عليك وان فتحت فانه ما بقي في الشام احد من اهل طاعته
ممتنعا ان فتحتموها فقطع الله رجاءه من الشام وجاءه كتاب عمر بن
الخطاب الى امراء الاجناد اما بعد فاني قد وليت يزيد بن ابي سفيان على سائر
الجيوش فلا تعصوا له امرا ولا تخالفوا له قولا ولا رايا وكانت الكتب كلها
نسخة واحدة وكتب يزيد الى امراء الاجناد نسخة واحدة اما بعد
فانه قد فرض علي وعلى الناس ان اسير بهم الى قيسارية فاخرجوا من كل
امير منكم رجالا وعجلوا اشخاصكم الي ان شاء الله فلم يلبث الا قليلا حتى
توافت عنده عساكر الاجناد فلما اجتمعت عنده قام يزيد فيهم خطيبا
فحمد الله واثنى عليه وصلى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال ايها الناس
ان كتاب امير المومنين عمر بن الخطاب اتاني يامرني فيه بالمسير الى قيسارية
وان ندعوا اهلها الى الاسلام او يدخلوا فيما دخل فيه غيرهم من اهل الشام فيعـ
فيعطون الجزية عن يد وهم صاغرون والا قاتلناهم فسيروا رحمكم الله
فاني ارجو الله ان يجمع لكم الغنيمة في الدنيا والاخرة قال على مقدمة
العسكر حبيب بن مسلمة ثم قال للناس سيروا على بركة الله فخرج حبيب بن
مسلمة في المقدمة ويزيد بن ابي سفيان على الساقة وساروا الى قيسارية فاصابوا
اليها وبها جموع من بطارقة الروم وفرسانهم وكل من كان كره الدخول في
الاسلام واداء الجزية من النصارى وغيرهم ومن بقي منهم من اهل تلك المواضع
من نواحيها وغيرهم الذين كانوا يقاتلون المسلمين فانحاز الجميع اليها
فكانت بها جموع كثيرة من الروم وجيوش لا يحصى عددها فلما اقبل حبيب

في المقدمة

في المغومة ودنا من حصنها خرج اليه في نساء ورجال من اهلها في جيش عظيم
فرموهم بالنبل وحملت بكارزتهم على المسلمين فانحاز حبيب بن مسلمة باصحابه
وجاء حتى انتهى الى يزيد وجاء كافة الجيش ونزل يزيد عليها وجعل على ميمنته
عبادة بن الصامت وجعل على ميسرته الضحاك بن قيس وردم حبيب بن مسلمة على
الخيل ومشى يزيد في الرجالة فحملوا عليهم وقاتلوهم قتالا شديدا ثم رموهم
ثم بعث الى الضحاك بن قيس ان احمل على من يليك فحمل عليهم وهزمهم وقتل منهم
مقتلة عظيمة ثم بعث الى عبادة بن الصامت ان احمل على من يليك من ميمنتهم فحمل
فحمل عليهم فرموهم ولكن ثبتوا له بعض الثبات اول مرة فقاتلهم قتالا
شديدا حتى هزمهم وقتل منهم مقتلة عظيمة فجاءوا ورجعوا عنهم وانصرف
عبادة بن الصامت الى موضعه في اصحابه فوعظهم وحضهم وقال لهم يا اهل
الاسلام وحماة دين محمد عليه السلام اني اوصيكم بتقوى الله وبالجهاد
في سبيل الله وقد فرض الله ان لا يفر احد حتى اقاتل هذا العدو معكم وانا اسال
الله ان يرزقني واياكم ثواب المجاهدين في الله فعسى ببركة ما حملت فلم
في عصابة من المسلمين كثيرة المومنين غير كم على جماعة من الكافرين او المشركين
الا هزمناهم وخلوا لنا العرصة واعطانا الله عليهم النصر والظفر فما بالكم
حملتم على هؤلاء فلم تزايلوهم فشدوا عليهم رحمكم الله معي اذا شددت انا
فوالله لا ارجع الى موقفي هذا ان شاء الله ولا ازايلهم حتى يفتح من الله
او اموت دونهم ثم انه شد عليهم شدة وحمل عليهم وحملت معه الميسرة
على ميمنة الروم فصبروا لهم حتى تكاعنوا بالرماح وافضوا بها الى السيوف
واختلفت بينهم اعناق الخيل فلما راى ذلك عبادة بن الصامت من اصحابه ترجل
عن فرسه ونادى بقومه واقبل عبادة معهم وهو في الرجالة وقد كانوا اقبل
ذلك احاطوا به وبقومه فحملوا عليهم وعطفوا بعضهم على بعض حتى ازالوهم
عن مواضعهم وانتهوا الى مواقفهم ونادى عمرو بن سعيد يا المسلمين عشرة الك
يا معشر المسلمين يا اهل الاسلام ان عبادة بن الصامت من افضل اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقد نزل او ترجل عن فرسه ومال الى رحمة الله والجنة وتعجيلا

للحملة فاتقوا عواقب الفرار فانما توجه الى النار وحمل حبيب بن مسلمة على من يليه
وحمل ايضا يزيد بن ابي سفيان بكتيبة جماعة المسلمين عليهم فولوا ايديهم
الادبار وركنوا الى الفرار وانتهى من انتهى لما فيها ووضع المسلمون فيهم سيوفهم
حيث ارادوا واتبعوهم يقتلونهم حيث شاءوا وهم في اعقابهم حتى ادخلوهم
مدينتهم وقد قتلوا منهم من رؤسائهم وابطالهم مقتلة عظيمة وحاصروهم
بعد ذلك وضيقوا عليهم وقطعوا عنهم المادة ثم بعد ذلك لما طال عليهم
البلاء والحصار قالوا من في مدينتهم فيما بينهم فقال بعضهم لبعض اخرجوا بنا
اليهم نقاتلهم حتى نظفر بهم او نموت كراما فاستعد واجتمع اهل مدينتهم
وخرجوا على تعبيتهم يريدون القتال والمسلمون لا يشعرون ولا يعلمون ما خبرهم
ولا يظنون انهم يخرجون اليهم لانهم كانوا قد فرقوا قتالهم وقتلوهم واحجزوهم
عن الخروج وضيقوا عليهم وظنوا انهم لا يقدرون على الخروج اليهم فبينما
المسلمون ذات يوم في غفلة وقد خرج اهل قيسارية اليهم وهجموا عليهم
وهم يقتلون فيهم فاجمعهم الرجيب عسكرهم بالسيوف والرماح فجال المسلمون
عليهم جولة منكرة وخرج يزيد بن ابي سفيان اليهم ومعه جماعة من اصحابه
وسار حتى دنا منهم فقاتلوهم قتالا طويلا واجتمع المسلمون كلهم على
راياتهم وصفوا صفوفهم وتكاملت اليهم خيلهم ورماتهم فلما كثر عدد
المسلمين واجتمعوا حوله امر الخيل فحملت على الروم ونهض بالرجال وحمل عليهم
في وجوههم فانتهى من انتهى اما فيها واقتتل المسلمون قتالا ربعا فولت
الروم الادبار وركنوا الى الفرار وركب بعضهم بعضا واتبعهم المسلمون في
اثارهم حتى دخل بعضهم المدينة وذهب بعضهم على وجهه فلم يدخل المدينة
ولم يقدر ان يأتي اليها وقتل الله منهم في المعركة مقتلة عظيمة نحوا من خمسة
الاف فارس وراجل وفي هلكوا الى ذلك وذلوا فلم يخرجوا بعدها حتى خرجوا الى
عقد الصلح واما يزيد بن ابي سفيان فانه لما نظر الى ما قد انزل الله بهم من الهرب
والقتل وما صيرهم اليه من الخزي والذل اقبل فقفل يزيد عنها وخلف عليها اخاه معاوية
بن سفيان اقم عليها حتى يفتحها الله عليك فلم يلبث معاوية عليها الا يسيرا

حتى فتحها

فتح الله على يديه وذلك سنة تسعة عشر من الهجرة وفرح المسلمون بذلك
وفرحوا واستبشروا وفتح الله عز وجل بقية الشام كله للمسلمين واخزى المشركين وفرق
جمعهم وكسر شوكة الكافرين ولم يبق حينئذ في بلاده في اقطارها ولا في اجنادها عدو
للمسلمين وصار كله في ايديهم وحمدوا على ذلك الله رب العالمين وذلك كله
ببركة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكتب بذلك يزيد بن ابي سفيان الى امير المومنين
عمر بن الخطاب رضي الله عنه من الفتح والبشارة مع انس بن حزام كتابا يقول فيه
بسم الله الرحمن الرحيم لعبد الله امير المومنين عمر بن الخطاب من عامله
يزيد بن ابي سفيان سلام عليك ورحمة الله وبركاته اما بعد فاني احمد الله الذي لا
اله الا هو واصلي على نبيه صلى الله عليه وسلم وان راى امير المومنين لاهل الشام رايا
ارشدك الله وامرك من الخير وبارك ولاهل طاعته فيه واخبر امير المومنين وانا
قد التقينا نحن واهل فلسطين بجموع كثيرة غير مرة وفي كل ذلك وجميعه يجعل
الله جدهم الاسفل وكيدهم الاخس الاذل ويجعل الله لنا عليهم النصر والظفر
فلما راوا ان الله قد اذهب ريحهم واذل عزهم وانزل عليهم صناديدهم وملوكهم
وفرسانهم وابطالهم ولم يبق عندهم حالهم في الخروج الينا لزموا حصونهم وانحجزوا
في مدنهم وصاروا ابغا لا تقدر على صورهم بينهم فهجمنا عليهم غير ما مرة
وضيقنا عليهم المسالك والماء ثم ضيقنا عليهم اشد التضييق وان منها
واحد بينهم وخرجوا الينا طائعين وصالحونا على بلادهم كغيرهم وفتحها
الله علينا والحمد لله رب العالمين والسلام عليك ورحمة الله وبركاته وعلى من معك
من المسلمين والمجاهدين وبعث الى امير المومنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقراه وعلم ما
فيه فرح بذلك فرحا شديدا وحمد الله على ذلك اذ اعز الله دينه واهله واعز
اولياءه واذل الشرك وبغى اهله وضعفا كبيرا وفرح بذلك من معه من المسلمين
فرحا شديدا اذ فتح الله كل بلاد الشام لهم واخرج منها من اهل الكفر
عبدة الاوثان والصلبان والاصنام وكتب كتابه كتابا يقول فيه
بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله امير المومنين عمر بن الخطاب الى عامله
يزيد بن ابي سفيان والذين معه بالشام من المسلمين سلام عليك ورحمة الله وبركاته
اما بعد فاني احمد الله الذي لا اله الا هو واصلي على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم و...

اتاني كتابك وفهمت ما فيه وما ذكرت فيه من البشارة والفتح على
المسلمين والنصر لهم على عدوهم فالحمد لله رب العالمين على ذلك فاشكروا الله عز وجل
يزدكم كما اخبركم في كتابه على لسان نبيه لئن شكرتم لازيدنكم فان تعلموا انه
يزدكم ويتم نعمة عليكم فان الله تعالى قد كفاكم مؤونة عدوكم واخرجه
عنكم واذل منهم من بغى معكم وهم الذين نقضت ايديكم وحكمكم ومكن لكم في
البلاد فما وعدكم الله على لسان نبيه واخبركم به رسوله صلى الله عليه وسلم وذلك
قوله تعالى عز وجل وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في
الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم
من بعد خوفهم أمنا الآية وبسط لكم في الرزق واتاكم من كل ما سألتموه
وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها والسلام عليك وعلى من معك من المسلمين
ورحمة الله وبركاته فلما اتى هذا الكتاب يزيد بن ابي سفيان قرأه على المسلمين
في جوانب الارض جهرا فسروا به وانشرحت صدورهم فحمدوا الله تعالى على ما انعم
به عليهم واصطنع عندهم واقبل يزيد بن ابي سفيان على هيئته حتى نزل على
دمشق فلم يلبث بها الا سنة حتى هلك رضي الله عنه وذلك في سنة
تسعة عشر من الهجرة والشام كله اجمع مستقيم امره ليس به عدو للمسلمين
وكان يزيد رحمه الله فتى فقيها حليما عاقلا رفيقا حسن السيرة محببا للمسلمين
فاضلا فلما ثقل به مرضه رحمه الله واشرف على الموت استخلف اخاه معاوية
بن ابي سفيان على المسلمين بالشام وكتب الى امير المومنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه
يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم الى امير المومنين عمر بن الخطاب من
عامله يزيد بن ابي سفيان سلام عليك ورحمة الله وبركاته اما بعد فاني احمد الله
الذي لا اله الا هو واصلي على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم واعلمك يا امير المومنين
اني قد كتبت اليك هذا الكتاب واني اخرج في اول يوم من ايام الآخرة وفي آخر
يوم من ايام الدنيا فجزاك الله عنا وعن المسلمين خيرا وجعل جنته لك مآبا
ومصيرا فاني بعثت الى عملك بالشام من احببت فاما انا فقد استخلفت اخي معاوية
بن ابي سفيان عليه حتى ترى رايك ويمضي لك الامر الا رشدا ارشدنا الله واياك
الى الهدى والصواب والسلام عليك وعلى من معك من المسلمين ورحمة الله وبركاته

ثم بعد

ثم بعد ذلك مات رحمه الله تعالى ورضي عنه فلما اتى الى امير المومنين عمر
كتابه مع خبر موته جزع عليه جزعا عظيما وبكى بكاء شديدا وكتب
الى معاوية بولايته على الشام فاقام معاوية على الشام اربع سنين بقية خلافة
عمر بن الخطاب ثم اقره عليها عثمان بن عفان رضي الله عنه مدة خلافته كلها
وهي اثنا عشر سنة ثم كان منه بعد وفاة عثمان بن عفان مع علي بن ابي طالب
وابنه الحسن رضي الله عن جميعهم وارضاهم ما هو معلوم عند اهله وبقي
عليها اربعين سنة ملكا مستقلا بنفسه ثم مات رحمه الله تعالى ورضي الله
عنه وكل حي يموت حتى ملك الموت يموت فسبحان الحي الدائم الباقي الذي
لا يموت **قال مولفه سامحه الله بمنه** وهذا اخر ما بلغنا مما
ما جمعناه في هذا المجموع المسمى بالارشادة والاعلام باخبار الصحابة
الاعلام في كيفية فتحهم لبلاد الشام من اخبار فتح بلاد الشام والله تعالى
ينفع به القارئ والمستمع والكاتب والكاسب والمتسبب في شيء منه
وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم كثيرا الى يوم الدين
والحمد لله رب العالمين وهو حسبنا ونعم الوكيل

انتهى بحمد الله تعالى وحسن عونه وتوفيقه ومنه على يد كاتبه
احوج الورى الى رحمة ربه سبحانه ... محمد الموتب ... ارجو عفو
ربه ومغفرته لانه محسن الى من اساء اليه ويغفر برحمته عن المستوجب
عليه النار لا ... رحمته اوسع واعز واكرم واعلى واجل واتم واكمل
من ذنوب العاصين لا ياخذنا بذنوبنا ... اصغر لجنة في ارض ...
جعلنا الله وإياكم ممن يعفو عن ذنوبهم في رحمته ويعتق رقابنا
ورقابهم برحمته انه جواد كريم سميع لمن دعا واغفر لنا ولوالدينا
ولاشياخنا ومعلمينا ولجميع المسلمين والمسلمات الاحياء منهم
والاموات آمين يا رب العالمين كتبته لفتى ... محمد ... بساحات
الشرط ... [illegible] الجمعة ... الجمع ... كتبته لاجل
... ولولا ذلك ما كتبته وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه
وسلم تسليما والحمد لله رب العالمين

[illegible] ... اتم الاسلام ... الصلاة ... والسلام على ... العالمين ... [illegible]

عدد ما في هذا الكتاب المعظم من الاوراق
ماية من الاعداد وسبعة وثلاثون ورقة















